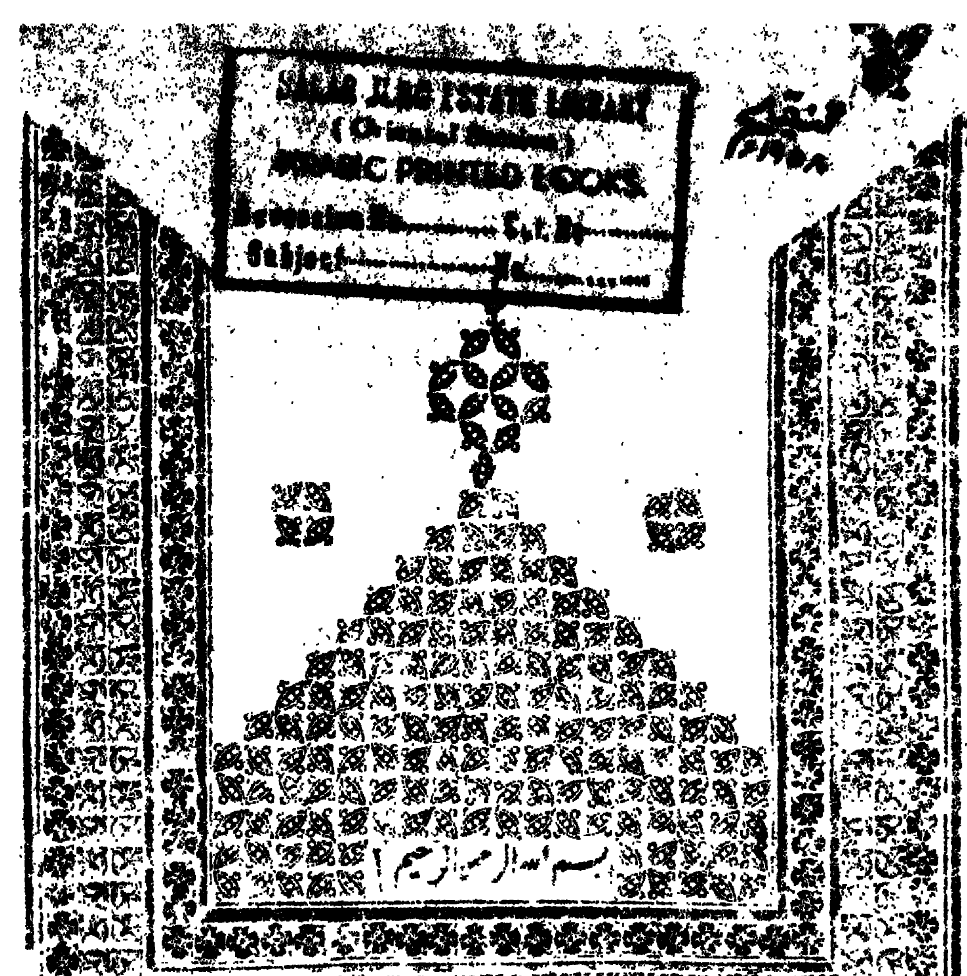
الجزء الأول من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب سقى الله زمانه
ومادة أوانه العلامة أحمد المقري المغربي
المالكي الأشعري تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

وفي هوامش أجزائه الأول والثاني والثالث تاريخ المحقق ... في المدا...
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للإمام أبي الحسن علي المسعودي تغمده الله بعفوه
في دار المستقر وأفرد بهامش جزئه الرابع كتاب ... تحفة الأحباب
وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما ... للعلامة
السخاوي الهمام تغمده الله تعالى برحمته الإكرام

(الطبعة الأولى)
(بالمطبعة الأزهرية المصرية)
(سنة ١٣٠٢ هجرية)



يقول العبد الفقير * الذليل المضطر الحقير * من هو من صالح الاعمال عرى * أحمد بن محمد الشهير بالمقرى * المغربى المالكى الاشعرى * أصلح الله تعالى حاله * وجعل فى مرضاته حله وترحاله * وبلغه من الطاعة والرضوان أمحاله * وأنجح بلوغ آماله ابتداءه واتصاله * (أحمد) من عرف من حلى الامصار وحلى الاعيان * على تناول الاعصار وتداول الاحيان * ما فيه تذكرى لاولى الابصار وارشاد الى معرفة الديان * واعتبار باخبار راق وصفها اوراق * (وشرف) من صرف المطامح والمطامع * الى تحصيل ما أفاد لسان الدين من كلم جوامع * وتحصيل ما أجاد من حكم بوالغ سحب بلاغتها هوامع * واقتناء ذخائر المهتدي التي تستغنت بدررها اللوامع الآذان والمسامع * من كل متطامن دوحة البراعة أوراق * (حتى) توج الخطيب المجيد رؤس المنابر بفرائد الكلام وحلى الكاتب الاديب المجيد صدور المزاير من فوائد الاعلام * وتكل الحكيم الطبيب الاريب المفيد من اثمد الفاخر كراوذ الانام * عيون أوراق * (وأشهد) أن لا اله الا الله لا شريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال وبرا * وقسم العباد الى عامر وباد وخامل وقاصر وكامل * تشير اليه بالانامل ايدى الكبرا * والذى فى اختلاف أعراضهم وتباين أدواتهم وأغراضهم وتغاير ألسنتهم وأمكنتهم وألوانها

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله أهل الحمد
ومستوجب الثناء والمجد
وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما الى
يوم الدين

*(باب ذكر جوامع أغراض
هذا الكتاب)*

اما بعد فانا صنفنا كتابنا
فى اخبار الزمان ونقلنا
القول فيه فى هيئة الارض
ومدنها وعجائبها وبحارها
واغوارها وجبالها وانهارها
وبدائع معادنها واصناف
منابعها واخبار غياضها
وجزائر البحار والبحيرات
الصغار واخبار الابنية
المعظمة والمساكن
المشرفة وذكر شأن المبدا
واصل النسل وتباين
الاوطان وما كان نهرا
فصار بحرا وما كان بحرا
فصار برا وما كان برا
فصار بحرا على مرور الايام
وكرور الدهور وعلة ذلك
وسببه الفلكى والطبيعى

وأكوانهم ومناصبهم ومناسبهم شبرا * وجعل الدنيا لمن أتيح صغرا أو كبرا * ولبس منهم مسوحا وحبرا * أو أخلد الى الارض او صعد منبرا * جسرا الى الآخرة ومعبرا وحكم وهو الفاعل المختار على الجميع بالموت فكان لمبتداهم خبرا * فياله من داء أعيا كل معالج أو راق * (فسبحانه) من اله انفرد بوجوب القدم والبقا واختص بفضله من شاء فارتقى وعم تعالى ذوى السعادة والشقا بالحدوث والفنا * وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها بلا ثنيا فمن وفق فنبي عن جفنه وسنا * او خذل فجر فى ميدان الاغترار رسنا وزين له عياذا بالله سوء عمله فرآه حسنا * طعم شعوب المر الجنى * فلم يغن منه عن ذوى الغنى والغنا * وأهل السناء والسنا * من استظهر وا به من أرباب الصوارم والقنا وأصحاب النظم والنثر والجدال والفخر والمدح والثنا * فأولئك ألقوا السلاح مذعنين مستبصرين موقنين اذ جاء الحق وزهق الباطل وولى الامترا * وهؤلاء تركوا الاصطلاح معلنين عالمين انهم لم يكونوا فى التمويه محسنين وكيف لا وقد اضمحل الغرور والاجترا * وذهب والله الجور والافترا * وبدل مذق الاطراء بصدق الاطراق * (وأشكره) جل وعلا على أن علم بالقلم ما لم نعلم * ونبه بآثاره الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الاقوم الواضح المعلم * وأرشد من أشرق فكره وأضا الى التفويض لاحكام القضا ومن ذا يرد ما أمضى أو ينقض ما أبرم والتسليم على كل حال أسلم * وأمر جل اسمه بالتدبر فى أنباء من مضى والنظر فى عواقب أحوال الذين زال أمرهم وانقضى من صنوف الامم * ووبخ من دجا قلبه بالاعراض عن ذلك وأظلم * وشتان ما بين اللاهى والمتذكر والساهى والمتفكر والناجى والهالك المتحير والداجى الحالك والمشرق النير * وما يستوى الظل والحرور والحزن والسرور والظلمات والنور ذو البهجة والاشراق * (وأصلى) ازكى الصلاة والسلام هدية لحضرة سيد الانام ولبنة التمام من زويت له من الارض المغارب والمشارق * وتم به نظام أنبياء الله ورسله العظام وأزاح نوره الضلال والظلام حتى أضاءت بوسمه المساجد وازدانت باسمه المهارق * وألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام وذلك شأن ذوى العقول الراجحة والأحلام غير خائف من عتب ولا مترقب لملام فأمن من الطوارئ والطوارق * وتمت كلمة الاسلام الذى اتضح برهانه لدى بصر وبصيرة لا يحتاج الى زيادة الاعلام وعلت سيوف توحيد الملك العلام * من المعاند المفارق المفارق * وخضبتها بحناء النجيع الرقراق * (النبى) الامى الامين الداعى جميع العالمين الى سلوك منهاج ماله من هاج ذى أضواء شوارق * سيد الرسل الغر الميامين ملجأ الامة جعلنا الله ممن نجا بالتجائه اليه آمين الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وانشق له الزبرقان ونبع الماء من بين أصابعه زيادة فى الايقان * وسلمت عليه الاحجار وانقادت لامره الاشجار متفيئة ظلاله الشريعة وخطت فى الارض أسطرا مبدعة الاتقان الى غير ذلك من معجزاته الخوارق * فهو صاحب الدعوة الجامعة والبراهين اللامعة والادلة التى سقت الشجرة الطيبة غيوثها النافعة الصيبة الهامية الهامعة الصادقة البوارق * فثمرت النجاة والفوز والفلاح وأورقت بالهدى أحسن ايراق * (أسنى) رسول بعث الى

وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحى والآفاق وتباين الناس فى الآراء القديم واختلافهم فى بدئه وأوليته من الهند وأصناف الملحدين وما ورد فى ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانيين (ثم اتبعنا ذلك) باخبار الملوك الغابرة والامم الداثرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على مر سيرهم فى تغير أوقاتهم وتنيف اعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقاتل فلاسفتهم واخبار ملوكهم وأخبار العناصر الى ما فى تضاعيف ذلك من أخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى ان أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فذكرنا مولده ومنشاه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه الى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذى شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله أمير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (ثم اتبعناه) بكتابنا الاوسط فى الاخبار على التاريخ وما اندرج فى السنين الماضية (ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط رأينا) ايجاز ما بسطناه

واختصار ما وبسطناه أرق كتاب لطيف نودعه لمع ما في ذينك الكتابين مما ضمناهما وغير ذلك من انواع العلوم

واخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان وتنتصل من اغفال او عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والزابج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية واذربيجان والموات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيري في الآفاق سرى الشمس في الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا في أصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا سلك مسالك من مواقفهم على ان العلم قد بادت آثاره وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا مموها جاهلا ومتعاطيا

من

الارض وأعظمهم جلاله * وأكثرهم تابعا في الطول منها والعرض ولم لا وقد ظهر به الحق لمن أمه مسترشدا وجلاله * وأسمى من جاء بتبيين السنة والفرض وأعمهم دلاله منقذ البرايا في الدنيا ويوم العرض الآخذ بحجزهم عن النار والضلاله * الداعي الى تقديم الخير وحسن القرض الحريص على هداية الخلق المبلغ لهم أحكام الحق من غير ضجر ولا ملاله * ذو الفضل العظيم الذي لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان والمجد الصميم الثابت الاصول الباسق الافنان المنتقى من محمد معد بن عدنان المنتخب من خير عنصر وأطهر سلاله * شفيعنا وملاذنا وعصمتنا ومعاذنا وثمالنا الذي نجحت به آمالنا وزكت أقوالنا وأعمالنا * ووسيلتنا الكبرى وعمدتنا العظمى في الاولى والاخرى وكنزنا الذي أعددناه لازاحة الغموم ذخرا * وغيثنا وغوثنا وسيدنا ونبينا ومولانا محمد الطيب المنابت والاعراق (صلى) الله وسلم عليه ووجه وفود التعظيم اليه من مفرد في جماله بمار جميع الانبياء تماما * وفذ في كماله تقدم في حضرة التقديس التي أسست على التشريف أعظم تاسيس بالمرسلين اماما * وصدر تحلى بجميل الاوصاف كالوفاء والعفاف والصدق والانصاف فزكا في أعماله وبلغ الراجي منتهى آماله ولم يخلف وعدا ولم يخفر ذماما * وسيد كسي حلل العصمه من كل مخالفة وذنب ووصمه فلم يصرف لغير طاعة مولاه الذي اولاه من التفضيل ما أولاه اهتماما واهتماما * وعلى آله وعترته الفائزين بأثرته أنصار الدين والمهاجرين المهتدين وأشياعه وذريته الطالعين نجوما في سماء شهرته وأتباعهم القائمين بحقوق نصرته * أرباب العقل الرصين الفاتحين بسيوف دعوته أبواب المعقل الحصين حتى بلغت أحكام ملته وأعلام بعثته من بالاندلس والصين فضلا عن الشام والعراق * (ورضي) الله تعالى عن علماء أمته المصنفين في جميع العلوم والفنون وعظماء سنته الموفين للطلاب بالآراب المحققين لهم الظنون * وحكماء شرعته المتبصرين بحدوث من مرت عليه الايام والشهور وكرت عليه الآناء والدهور والاعوام والسنون * المتدبرين في عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الامكان عن ظعنته رحا المنون * من أملاك العصور الخاليه وملاك القصور العاليه وذوي الاحوال التي هي بسلوك الاختلاف حاليه * من بصير وأعمى وفقير وذي نعمى ومختال تردى بكبريائه ومحتال على ما بأيدي الناس بسمعته وريائه * وعاقل أحسن العمل وغافل افتتن بالامل * وكارع في حياض الشريعه ورائع برياض الآداب المريعه وذي ورع سد عما رابه الذريعه وأخي طمع في أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعه * ومقتبس من نبراس الروايه وملتبس بأدناس الغوايه * وشاعر هام في كل واد وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرواد * وجاهل عمر الخراب وخدع بالسراب عن أعذب الشراب * ومحقق علم أنه اذا جاء القدر عمي البصر ممن كان أحذر من غراب وموفق تيقن أن غير الله فان وكل الذي فوق التراب تراب * ومن متخلق متجرد تصوف ومتعلق متفرد تشوق الى ما فيه رضا الرب وتشوف وناه ذكر بايام الله ووعظ وخوف * ولاه اغتر بالباطل فهو بالحق مماطل وطالما أخر وسوف * وأبعد الانتجاع ثم أوى

من باطنه الى بيت قعيدته لكاع نفس أمارة بعد ما طوف * ومن مادح نظم الا لاء نظم اللآل وكادح طمس لالاء العز بظلمة ذل السؤال * فجعل القصائد مصايد والرسائل وسائل والمقطعات مرقعات فآل أمره الى ما آل * ومن مخبر بما سمع ورأى حين اغترب عن مكانه ونأى او أقام فى أوطانه فبلغ ما قدر ووأى * ومن مجازف لا يفرق بين الغث والسمين والامرار والاحلاء * وعارف ثقة أمين نظم در الصدف الثمين فى أسلاك الكتابة والاملاء * وعاشق خنساء فكره ذات الصدار من الشجون والشعار تبكى على صخر قلب المحبوب * وتذكره كلما طلعت شمس أو كان للصبا هبوب فتأتى بما يطفى وقود الجوى المشبوب من بحار الاشعار * وليلى شوقه العفيفة عن العار ترفل فى ثوب من التصبر معار وفيس توقه من ثوب السلو عار * قد توله واشتاق خصوصا عند انتشاق البشام والعرار * وقلق لما ارق فلم يقر به قرار * فاعتراه ما براه وألف البكاء بحكم الاضطرار * ولبس ثياب النحول والاصفرار وأسر لما هزمت جيوش صبره وأزمعت الفرار * فتحير مما شجاه وسأل النجاء من أسر الفراق

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
ومسدد أو جائر * أو حائر يشكو ظلامه
لولا استقامة من هدا * ه لما تبينت العلامه
ومجاور الغرر المخيـ * ـف له البشارة بالسلامه
وأخو الحجا فى سائر الانفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله * يمضى ولم يقض الترامه
والجاهل المغتر من * لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من * يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من * لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش فى الدنيا الدنية غير مرجو الادامه
من أرضعته ثديها * فى سرعة تبدى فطامه
من عز جانبه بها * تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فأين من * منعته أو منحت مرامه
ومن الذى وهبته وصـ * ـلا ثم لم يخش انصرامه
ومن الذى مدت له * حبلا فلم يخف انفصامه
كم واحد غرته اذ * سرته مخفية الدمامه
قعدت به من حيث لم * يعلم فلم يملك قيامه
أين الذين قلوبهم * كانت بهاذات استهامه
أين الذين تفيؤا * ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذوو ابربا * سة والسياسة والصرامه

ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم ير الاشتغال بهذا الضرب من العلوم • والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن اصول الديانة وكتاب المقادر فى اصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة فى اصول الملة وما اشتمل عليه من اصول الفتون وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد فى الاحكام ووقع الرأى والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهى والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وافعال النبى صلى الله عليه وسلم وما الحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم فى شئ منه وكتاب الاستبصار فى الامامة ووصف اقاويل الناس فى ذلك من اصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والجلى والخفى والداثر وايقاظنا على ما يرتقيه المرتقون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر لنا أوها المنجلى اوائلها الى سائر كتبنا فى السياسة كالسياسة المدنية واجزاء

و بنو أميـة حين جمع عصرهـم لهـم فثامـه
ويمكنوا ممن يحـا * ول نقض ماشاؤا ابرامـه
وتعشـقوا المـابدا * لهـم محيـا الارض شامـه
وتاملوا وجه البسيـ* ـطة فانثنوا يهوون شامـه
حتى تقلص ظلهـم * وأراهم الدهر اخـترامه
أين الخلائف من بني الـ* ـعباس والـبر القسامـه
أين الرشـيد وأهله * و بنوه أصحاب الشهامـه
وو زيره يحـيي وجعـ* ـفر ابنه الراوي احتشامـه
والفضل مدني من يقو* ل لمن يلوم على الندى مه
أم أين عنترة الشجا * ع وذوا الجدا كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم * أن القبور صدى وهامه
والمكثرون من المجو * ن اذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد * أو أشـعب وأبو دلامـه
أين الأُلى هاموا بسـ* ـعدى أو بثينة أو أمامـه
و بكوا الفرط جواهم * والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من * عشـقوا بنجد أو تهامـه
وتعللوا والشوق يغلـ* ـب بالاراكة والبشامـه
أضنى النوى قيسا فقا * سى لاعجـا أغرى غرامه
وغوى هوى غيلان مذ * أبدى عيـته هيامـه
أين الاكاسر والقيا * صرة المحلون القـمامه
أين الذى الهرمان من * بنيانه الحاكى اعتزامه
أم أين غمـدان وسيـ* ـف والوفود به أمامـه
أين الخورنق والدويـ* ـر ومن شقى بهما أوامه
ومدائن الاسـكندر اللاتى لهـا أعـلى دعامـه
أين الحصون ومن يصو * ن بها من الاعدا حطامه
أين المراكب والموا * كب والعصائب والعمامه
أين العساكر والدسا * كر والندامى فى المدامه
وسـقاتها المتـلاعبو * ن بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدرى * بالغصن ان يهزز قوامه
ذى غـرة لالاؤهـا * تمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى أزراره * والبـدر فى يده قـلامه
يصمى القلوب اذا رمى * عن قوس حاجبه سهامه

ينة ومثلها الطبيعية وانقسام أجزاء تكون المدينة ومثلها الطبيعية منه وانقسام أجزاء الملة والابانة عن المواد
يية تركيب العوالم
جسام السماوية وما
سوس وغير محسوس
كثيف واللطيف
ل أهل النحلة فى ذلك
مادعانى الى تأليف
هـذا فى التاريخ
ار العالم ومامضى فى
ف الزمان من أخبار
اء والملوك وسيرها
ومساكنها محبة
داء الشاكلة التى
العلماء وقفاها
اء وان يبقى للعالم
ودا وعلما منظوما
فانا وجدنا مصنفى
تب فى ذلك مجيدا
را ومنتهيا ومختصرا
دنا الاخبار زائدة
دة الايام حادثة مع
الازمان وربما غاب
منها على الفطن
ولكل واحد قسط
قدار عنايته ولكل
ائب يقتصر على
هـله وليس من لزم
لنه وقنع بما هى اليه
بار عن اقليمه كمن
ره على قطع الاقطار
ع ايامه بين تقاذف
روا استخراج كل
ن معدنه واثارة
من مكمنه وقد
س كتبا فى التاريخ
وعما يسلف و خلف فاصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه واظهر مكنون

ويروق

وبروق حسنا ان رنا * ويفوق آراما برامه
أنى لها ثغر حلا * ذوقا لمن رام التثامه
أنى لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للغـ * ـولا يرى الشرع اعتنامه
بل اين ارباب العلو * م اولوا التصدر والامامه
وذوو الوزارة والحجا * بة والكتابة والعلامه
كانهم سكنوا باند * لس فلم يشكوا سآمه
هي جنة الدنيا التى * قد اذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة الـ * ـغراء رائقة الوسامه
وهى التى دعيت دمشـ * ـق وحسبها هذا فخامه
لنزول اهل الشام بها * اذ أظهر الكفران هزامه
وأتت جيوش الشام من * باب نبى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق * اذ أشبهتها فى الفخامه
وبدا لهم وجه المنى * واراهم الثغر ابتسامه
وتبوؤها حضرة * تبرى من المضنى سقامه
بروائها وبمائها * وهوائها النافى الوخامه
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
ومرجها النضر الذى * قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهر التى * يأبى بها الحسن انقسامه
ياليت شعرى أين من * امضى بها الملك احتكامه
واتيح فى حمرائها * عزا به زان اتسامه
ابن الوزير ابن الخطيـ * ـب بها فما احلى كلامه
فلكم ابان العدل فـ * ـارجائها وبها اقامه
ولكم اجار عداوكم * اجرى ندى والى انسجامه
واعت صروف الدهر دو * لته وما راعت ذمامه
حتى ثوى اثر النوى * فى حفرة نثرت نظامه
من زارها فى ارض فا * س اذهبت شجوا منامه
اذ نبهته لكل شمـ * ـل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين اسـ * ـكته واسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن * حياه لم يردد سلامه
فكانه ما امسك الـ * ـقلم المطاع ولا حسامه
وكأنه لم يعل متـ * ـن مطهم بارى النعامه
وكأنه لم يرق غا * رب الاعتزاز ولا سنامه

جوهر فطنته كوهب بن منبه وأبى مخنف لوط بن يحيى العامرى ومحمد بن اسحق والواقدى وابن الكلبى وأبى ع[بيدة]
معمر بن المثنى و
العباس الهمدانى واله
ابن عدى الطائى والمث
ابن القطامى وحماد الراو
والاصمعى وسهل بن هر
وعبدالله بن المقفع واليز
ومحمد بن عبدالله العت
والآمدى وأبى ز
سعيد بن أوس الانصار
والنضر بن شميل وعبيدا
ابن عائشة وابى عبيد ا
القاسم بن سلام وعلى
محمد المدائنى ودمار بـ
ربيع بن سلمة ومحمد بن
سلام الجمحى وأبى عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ واب
زيد عمر بن شبة النميرى
والزرقى الانصارى واب
السائب المخزومى وعلى
ابن محمد بن سليمان النوفلى
والزبير بن بكار والانجيلى
والرياشى وابن عائشة وعما
ابن وسيمة المصرى وعيسى بـ
لهيعة المصرى وعبد الرحمن بن
عبدالله بن عبد الحكم
المصرى وابى حسان الزيادى
ومحمد بن عيسى الخوارزمى
وابى جعفر محمد بن أبى السر
ومحمد بن الهيثم بن شبابه
الخراسانى صاحب كتاب
الدولة واسحق بن ابراهيم
الموصلى صاحب كتاب
الاغانى وغيره من الكتب
والخليل بن الهيثم الخرثمى
صاحب كتاب الحيل والمكايد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد بن سليمان المقرى الجوهرى ومحمد بن

وكأنه لم يجتل وجـ * ـها حاز من بشر نمامه
وكأنه ما حال في * امر ولا نهي وسامه
وكأنه ما نال من * ملك حباه ولا احترامه
وكأنه لم يلق في * يده لتدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفردا * والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزا * رة جاده صوب الغمامه
لم يبق الا ذكره * كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعـ * ـد الموت أهوال القيامه
والناس مجزيون عن * أعمال ميل واستقامه
فذووا السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكي ندامه
والله يفعل فيهم * ما شاء ذلا او كرامه
ويشفع المختار فيـ * ـهم حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبـ * ـد كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤل في الفوز والنجاة كرما منه وحلما * فبيده الخير لا اله الا هو العلي الكبير العليم الخبير الذي احاط بكل شئ علما * فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء من مخلوقاته على الشمول والاستغراق * (أما بعد) حمد الله مالك الملك * والصلاة على رسوله المنجي من المهالك * والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم الظلم الحوالك وعن العلماء الاعلام الخائضين بحار الكلام المستوين من البلاغة على الفلك * (فيقول) العبد الحقير * المذنب الذي هو الى رحمة ربه الغني فقير * المقصر المتبرئ من الحول والقوه المتمسك بأذيال الخدمة للسنة والنبوه وذلك بفضل امانه وبراءه * الضعيف الفاني الخطاء الجاني من هو من لباس التقوى عري * احمد بن محمد بن احمد الشهير بالمقري المغربي المالكي الاشعري التلمساني المولد والمنشا والقراءة * نزيل فاس الباهره ثم مصر القاهره أصلح الله احواله الباطنة والظاهره وجعله من ذوي الاوصاف الزكية والخلال الطاهره وسدد في كل قصد انحاءه وآراءه * ووفقه بمنه وكرمه للاعمال الصالحه والطاعات الناجحة الراجحه والمتاجر المغبوطة الرابحه والمساعي الغادية بالخير الرائحه ووقاه ما بين يديه ووراءه * وكفاه مكر الكائد وافتراءه * وجدال الحاسد المستأسد ومراءه * وجعل فيما يرضيه سومه وشراءه * آمين انه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب اورد * ولا محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء او ورد * برحلتي من بلادي ونقلني عن محل طارفي وتلادي بقطر المغرب الاقصى * الذي تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت

زكريا العلائي المصري المصنف لكتاب المترجم بكتاب الاجواد وغيره وابن أبي الزيني مؤدب المكتفي بالله واحمد بن محمد الخزاعي المعروف بالخاقاني الانطاكي وعبد الله محمد بن محفوظ البلدي الانصاري صاحب أبي يزيد عمارة بن زيد اليمني ومحمد البرقي بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان وولده احمد بن محمد بن خالد البرقي واحمد ابن ابي طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وابي الوشاء وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب أخبار ابراهيم بن المهدي وغيرها ومحمد بن الحرث التغلبي صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن دارنه فانه كان اماما في التأليف متنوعا في ملاحة التصنيف اتبعه من بعده وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير في التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم والملوك وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة في المسالك والممالك

بدائع أمنه نقصا * وطما به بحر الاهوال فاستعملت شعراء العيث فى كامل رونقه من الزحاف اضمارا وقطعا ووقصا

قطر كأن نسيمه * نفحات كافور ومسك
وكأن زهر رياضه * درهوى من نظم سلك

وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب والاهل والوطن والالف

بلد طاب لى به الانس حينا * وصفا العود فيه والابداء
فسقت عهده العهاد وروّت * منه تلك النوادى الأنداء

وما عسى أن اذكر فى اقليم تعين لحجة فضله التسليم

أضواؤه طبق المنى وهواؤه * يشتاقه الولهان فى الاسحار
والطبع معتدل فقل ما شئته * فى الظل والازهار والانهار

محل فتح الكمائم ومسقط الرأس وقطع التمائم

به كان الشباب اللدن غضنا * ودهرى كله زمن الربيع
ففرّق بيننا زمن خؤون * له شغف بتفريق الجميع

لم أنس تلك النواسم التى أيامها للعمر مواسم وثغورها بالبشر ور بواسم فصرت اشير اليها وقد زمّت للرحيل القلص الرواسم

ولنا بها تيك الديار مواسم * كانت تقام لطيبها الاسواق
فأبانتا عنها الزمان بسرعة * وغدت تملنا بها الاشواق

وأنشد قول غيلان

أمنزلتى مىّ سلام عليكما * هل الازمن اللائى مضين رواجع

واتمثل فى تلك الحدائق التى حمائمها سواجع بقول من جفونه من الموت غير هواجع

تشدو بعيدان الرياض حمائم * شدو القيان عزفن بالاعواد
ماد النسيم بقضبها فتمايلت * مهتزة الاعطاف والاجياد
هذى تودع تلك توديع التى * قد آذنت منها بوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عين الندى * فابتل مئزر عطفها المياد

وأحدق النظر الى روض لانسان العين من فراقه فى بحر الدموع سبح وخوض

روض به أشياء ليست فى سواه تؤلف
فمن الهزار ترنم * ومن القضيب تقطف
ومن النسيم تلطف * ومن الغدير تعطف

والتفت كالمستريب والحى اذ ذاك قريب وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب

أهذا ولما تمض للبين ساعة * فكيف اذا مرت عليه شهور

والآثار لائحة والشمال غادية ورائحة

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب من تذكرهم دموعى

وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته واذا تفقدته جدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى أيامهم وأخبارهم تاليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها صلحها وعنوة من هجرة [illegible] وما فتح فى أيامه وفى أيام الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم فى فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سواد المعروف بابن اخت عيسى ابن برخان شاه بلغ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما انبات به التور وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى أيامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الاموى

وأسأل من قضى بفراق حبي * يمن على منهم بالرجوع

والنفس متعللة ببعض الانس والمشاهد الحميدة لم تنس

تلك العهود بشدها مختومة * عندي كما هي عقدها لم يحلل

غيران الرحيل عن الربع المحيل فصل به بين الشائق والمشوق وحيل

وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ونحاول

وألقت دموع العين فيه مسائلا * لها عن عبارات الغرام دلائل

وبالسفح منها كم سقيت لبانها * فيلته والسفح للبان مائل

اذا نسمة الاحباب منها تنسمت * تطيب بها اسحارنا والاصائل

تثير شجوني ساجعات غصونها * فنها على الحالين هاجت بلابل

مرابع ليلى في مراتع لذتي * مطالع اقماري بها والمنازل

فحياها الله من منازل ذات اقمار سائرة فيها ومنازه لا يحصي الواصف محاسنها وامداح اهلها ولا يستوفيها

حلوا عقود اصطباري عند ما رحلوا * وفي الخمائل حلوا مثل امطار

ان المنازل قد كانت منازه اذ * باتوا بها وهي اوطاني واوطاري

ورعى الله من بان وشاق حتى الرند والبان

بانوا لعيني اقمارا تقلهم * لدن الغصون فلما آنسوا بانوا

عهودهم لست انساها وكيف وقد * رثى لبيني عنها الرند والبان

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق الاديب الاندلسي الشهير بابن الزقاق

وقفت على الربوع ولي حنين * لساكنهن ليس الى الربوع

ولو أني حننت الى مغاني * احبائي حننت على ضلوعي

وكما قال بعض من له في هذه المحاج مسير

دخولك من باب الهوى ان اردته * يسير ولكن الخروج عسير

واين من له صفاة لا يطمع الدهر القوي في نحتها وجنات دنيوية لا تجري انهار الفراق من تحتها

فسقى رضيع النبت من ذاك الحمى * بحيا تدور على الربا كاساته

سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

ولم ازل بعد انفصالي عن الغرب بقصد الشرق واتصالي في اثر ذلك الجمع بالفرق

احن اذا خلوت الى زمان * تقضى لي بأفنية الربوع

واذكر طيب ايام تولت * لنا فتفيض من اسف دموعي

وأتوق وقد اتسع من البعد الخرق وخصوصا اذا شدا صادح أو أومض برق الى ديار لا يعدوها اختيار

واربع احباب اذا ما ذكرتها * بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر

وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فأما عبدالله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته واما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ ابي عبدالله ابراهيم ابن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فمحشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن اهل عصره تأليفا واملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد ابن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس وبني امية وشعرائهم ووزرائهم

بطاح وادواح يروقك حسنها * بكل خليج نمنمته الازاهر
فما هو الا فضة فى زبرجد * تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والهوى * عبير وكافور وراح وعاطر
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته * وما ضم منه الحسن نجد وحاجر
بلادى التى اهلى بها واحبتى * وروحى وقلبى والمنى والخواطر
تذكرنى انجادها ووهادها * عهودا مضت لى وهى خضر نواضر
اذ العيش صاف والزمان مساعد * فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
بحيث ليالينا كغض شبابنا * وايامنا سلك ونحن جواهر
ليالى كانت للشبيبة دولة * بها ملك اللذات ناه وآمر
سلام على تلك العهود فانها * موارد افراح تلتها مصادر

واتذكر تلك الايام التى مرت كالاحلام فأتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام

يا ديار السرور لازال يبكى * فيك اذ تضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك غض * وعيون الفراق عنا نيام
فى ليال كانهن امان * فى زمان كانه احلام
وكأن الاوقات فيك كؤس * دائرات وانسهن مدام
زمن مسعد والف وصول * ومنى تستلذها الاوهام

وبقول الحائك الامى عند ما يكثر شجوى وغمى

لم انس اياما مضت ولياليا * سلفت وعيشا بالصريم تصرما
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف * صرف الزمان ولا نطيع اللوما
والعيش غض والحواسد نوم * عنا وعين البين قد كحلت عمى
فى روضة ابدت ثغور زهورها * لما بكى فيها الغمام تبسما
مد الربيع على الخمائل نوره * فيها واصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحى مثل ثغر اشنب * اضحى المحب به كئيبا مغرما
وعيون نرجسها كاعين غادة * ترنو فترمى باللواحظ اسهما
وكذلك المنثور منثور بها * لما رأى ورد الخدود منظما
والطير تصدح فى فروع فنونها * سحرا فتوقظ بالهديل النوما

وأميل الى بلاد محياها جميل

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها عق الشباب تمائمى
ذكرت بها عهد الصبا فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالى لا الوى على رشد ناصح * عنانى ولا اثنيه عن غى لائم
انال سهادى من عيون نواعس * واجنى مرادى من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
تمر الينا ثم عنا كانها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابى الحسن على بن الحسن المعروف بابن الماشطة فانه بلغ فى تصنيفه الى آخر ايام الراضى بالله وكذلك ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التاليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معربا للمعانى واذا اردت علم ذلك فانظر فى كتابه فى الاخبار المعروفة باخبار زهر الربيع واشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ماقد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه فى كتابه فى الاخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسى الذى عارض فيه المبرد فى كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطى الكاتب فى اخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح فى الوزراء وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى اخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق

ابن أبي يعقوب المصري في اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ في اخبار الخلفاء من بني العباس وغيرهم لعبدالله بن الحسين ابن معد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبي الازهر في التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الجرجاني حين انتحل ماليس من صناعته واستنهج ماليس من طريقته قد الف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام في أخلاق النفس واقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون في كتابه في السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم انها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة في التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ماليس من مهنته ولو أقبل على الذي انفرد لا نطل

وبتنا ولا واش نخاف كانما * حللنا مكان السر من صدر كاتم

واهفو الى قصور ذات بهجه وصروح توضح معالمها للرائد نهجه

ورياض تختال منها غصون * في برود من زهرها وعقود

فكأن الادواح فيها غوان * تتبارى زهوا بحسن القدود

وكأن الاطيار فيها قيان * تتغنى في كل عود بعود

وكأن الازهار في حومة الرو * ض سيوف تسل تحت بنود

وأصبو الى بطاح وادواح تروّح النفوس والارواح

سقيا لها من بطاح خز * ودوح زهر بها مطل

اذ لا ترى غير وجه شمس * اطل فيه عذار ظل

وانهار جارية وازهار نواسمها سارية وأربع وملاعب تزيح عن مبصرها المتاعب

تلك المنازل والملا * عب لا أراها الله محلا

أوطنتها زمن الصبا * وجعلت فيها لي محلا

حيث التفت رأيت ما * ء سائحا ورأيت ظلا

والنهر يفصل بين زهـ * ـر الروض في الشطين فصلا

كبساط وشي جرّدت * ايدي القيون عليه نصلا

والى منازل يستفز حسنها الرائق الجاد والهازل ويشفي منظرها عليلا ويكفي مخبرها للمستفهم دليلا

وجنان ألفتها حين غنت * حولها الورق بكرة واصيلا

نهرها مسرع جرى وتمشت * في رباها الصبا قليلا قليلا

وأتمثل ان ذكرت حال وداعي بقول الشاعر الاديب الوداعي

الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدّمه

فالشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه

وبقول غيره اشارة لفضل الغرب وخيره

أشتاق للغرب واصبو الى * معاهد فيه وعصر الصبا

ياصاحبي نجواي والليل قد * ارخى جلابيب الدجى واختبا

لا تعجبا من ناظر ساهر * بات يراعي انجما غيبا

القلب في آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

وأهيم كلما حللت من غير ان أرضي بمكان وقد صير السائق جد السير معمولا لما انفك كما جعله خبرا لكان بقول قاضي القضاة العالم الكبير الشمس بن خلكان

أي ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زمّ جماله

يزجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله

أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله

وأنخها هنيهة وارحها * اذ براها السرى وفرط الكلاله

لا تطل سيرها العنيف فقد برح بالصب فى سراها الاطاله
وارث للنازح الذى ان رأى ربعـ * ـاً نوى فيه نادباً اطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الاحباب لا زالت الاعـ * ـين فى ترب ساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل * فى مغانيك ساحباً اذياله
اين عيش مضى لنا فيك ما اسـ * ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير * والتدانى غصونه مياله
ولنا فيك طيب أوقات انس * ليتنا فى المنام نلقى مثاله

واردد قول الذى سحر الالباب منادياً من له من الاحباب

احبابنا لو لقيتم فى اقامتكم * من الصبابة مالاقيت فى الظعن
لأصبح البحر من انفاسكم يبساً * كالبر من ادمعى ينشق بالسفن

وقوله

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا * حالت بى الحال فى عهدى وميثاقى
درسى غرامى بكم دهرى اكرره * وقد تفقهت فى وجدى واشواقى

وقول المجد بن شمس الخلافه معلماً أنه لا يريد بدل معهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلو عنك حرام
أى عيش قطعته فيك لودا * م وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلماً والعيش فيك خيالاً * وسريعاً ما تنقضى الاحلام
لهف نفسى على ليال تقضت * سلبتنى برودها الايام
فطمتنى الاقدار عنها وليداً * وشديد على الوليد الفطام
لا تلمنى على البكاء عليها * من بكى شجوه فليس يلام

وقول أبى طاهر الخطيب الموصلى

حى نجداً عنى ومن حل نجداً * أربعاً هجن لى غراماً ووجدا
واقر عنى السلام آرام ذاك الـ * ـشعب والاجرع الخصيب المفدى
وابك عنى حتى ترنح بالوجـ * ـد أراكابه وباناً ورندا
فلكم وقفة اطلت على الضا * ل بدمع اذاع سرى وأبدى
وعلى البان كم من البين أذريـ * ـت لآلى للدمع مثنى ووحدا
آه والهفتى على طيب عيش * كنت قطعته وصالاً وودا
حيث عود الشباب غض نضير * ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ينعم اسعا * فاً وصرف الزمان يزداد بعدا
والليالى مساعدات على الوصـ * ـل وعين الرقيب اذ ذاك رمدا

به من علم اقليدس والمعظمات والمجسطى والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو اليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلة مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتاباً فقد استهدف فان اجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف (قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث فى معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من أن نأتى على ذكره فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف انواعهم وتنازعهم فى آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من اهل الآراء والنحل

كم بها من لبانة لى وأوطا * ر تقضت وجازت الحد حدا
فاستعاد الزمان ما كان أعطى * خلسة لى ببخله واستردا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انها * شريعة وردى أو مهب شمالى
ليالى لم نحذر حزون قطيعة * ولم نمش الا فى سهول وصال
فقد صرت أرضى من نواحى جنابها * بخلب برق أو بطيف خيال

وقول الجرجانى

لمحبين من حذار الفراق * عبرات تجول بين المآقى
فاذا ما استقلت العيس للبين وسارت حداتها بالرفاق
استهلت على الخدود انحدارا * كانحدار الجمان فى الاتساق
كم محب برى التجلد دينا * فهو يخفى من الهوى ما يلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجد لسان عن دمعه المهراق
وانحدار الدموع فى موقف البين على الخد آية العشاق
هون الخطب لست أول صب * فضحته الدموع يوم الفراق

وقول الخطيب الحصكفى الشافعى

ساروا وأكبادنا جرحى واعيننا * قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
تشكو بواطننا من بعدهم حرقا * لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كأنهم فوق أكوار المطى وقد * سارت مقطرة فى حالك الغسق
دراري الزهر فى الابراج زاهرة * تسير فى الفلك الجارى على نسق
يا موحشى الدار مذ بانوا كما أنست * بقربهم لا خلت من صيب غدق
أن غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا * وان حضرتم جعلناكم على الحدق

وما أحسن قول بعضهم فى هذا المعنى الذى كررنا ذكره وبه ألمعنا

سلام على أهل الوداد وعهدهم * اذ الانس روض والسرور فنون
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا * ففاضت لروعات الفراق عيون

وكم أنشدت وليالى النوى عاتمة قول الأندلسى بن خاتمة

أيامنا بالحمى ما كان أحلاك * كم بت أرعاه اجلالا وأرعاك
لا تنكرى وقفتى ذلا بمغناك * يا دار لولا أحبائى ولولاك
لما وقفت وقوف الهائم الباكى
فهل لهم عطفة من بعد دلهم * تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم
آها لقلبى على تبديد شملهم * ما كان أحلاك يا أيام وصلهم
ويا ليالى الرضا ما كان أضواك
يا بدر تم تناءت عنه أربعنا * ولم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
ما للنوى بضروب البين توجعنا * اذا تذكرت دهرا كان يجمعنا

المذاهب والجدل الى سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد سميت كتابى هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة فى معناه وغرر مؤلفاتنا فى مغزاه وجعلته تحفة للاشراف من الملوك واهل الدرايات لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة اليه وتنازع النفوس الى علمه من دراية ما سلف وغبر فى الزمان وجعلته مسهما على اغراض ما سلف من كتبنا ومشتملا على جوامع يحسن لاديب العاقل معرفتها ولا يعذر فى التغافل عنها ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الآثار الا اوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى العبارات فمن حرف شيأ من معناه اوازال ركنا من مبناه اوطمس واضحة من معالمه اولبس شاهدة من تراجمه اوغيره او بدله او اشانه اواختصره اونسبه الى غيرنا اواضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه بما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله تعطرت

تفطرت كبدى شوقا لمرآك

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم * و يامعاهد نجوانا بذى سلم

تالله ماشبت دمعا للاسى بدم * ولا لثمت تراب الارض من كرم

الامراعاة خل ظل يرعاك

عل التعلل يدنى منهم وعسى * فيعمر القرب ما بالبين قد درسا

كم ذا انادى بربع بالنوى طمسا * ياقلب صبرا فان الصبر عاد أسى

ويامنازل سلمى أين سلماك

وقول بعض من اشتد به الهيام فخاطب جيرته مادحا ليالى القرب وذاما تقلب الايام

أيام أنسى قد كانت بقربكم * بيضا فحين نأيتم أصبحت سودا

ذممت عيشى مذ فارقت أرضكم * من بعد ما كان مغبوطا ومحسودا

وقول صاحب مصارع العشاق وقد شاقه من الهوى ماشاق

بانوا فادمع مقلتى * وجدا عليهم تستهل

وحدا بهم حادى الفرا * ق عن المنازل فاستقلوا

قل للذين ترحلوا * عن ناظرى والقلب حلوا

ماضرهم لو أنهلوا * من ماء وصلهم وعلوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق عن أوطان العراق

قد قلت والعبرات تسـ * ـفحها على الخد المآ ق

حين انحدرت الى الجزيـ * ـرة وانقطعت عن العراق

وتخبطت أيدى الرفا * ق مهامه البيد الرقاق

يابؤس من سل الزما * ن عليه سيفا للفراق

وقوله أيضا

يامنزل الحى بذات النقا * سقاك دمع مذ نأوا مارقا

هل سلوة هيهات لاسلوة * قد بلغ السيل الزبى وارتقى

وأنت يايوم النوى عاجلا * أدال منك الله يوم اللقا

وقولى بموطنا الثالث وقد تغير لى فيمن تغير حادث

لم أنس معهدنا والشمل مجتمع * والعيش غض وروض الانس معطار

فهل أنا بعد بعد عنه فى قلق * وقد نبت بى أرجاء وأقطار

تمضى الليالى وأشواقى مجددة * وما انقضت لى من الاحباب أوطار

وكلما مرت بمرأى بروق لمعت لى من ناحية المغنى بالمنى بروق فتذكرت قول بعض من له على غير من يهوى طروق

مانظرت عينى سواك منظرا * مستحسنا الاعرضت دونه

وما تمنيت لقاء غائب * الاسألت الله أن تكونه

وربما رمت التعالى مذهب السلو وانتحالى خلال أحوال اقامتى وارتحالى فلم ينتقل

ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من اى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التخويف فى أول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى او ذلبه شقاء فليراقب امر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وماحوى كل باب منها من انواع الاخبار وبالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب)

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جوامع كلية ابوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكى يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك

ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر ملك ارخبعم بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بنى اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم

ذكر جمل من اخبار الهند وآرائها ومدد

عن تلك الصفات حالي وأني وجيدي بقلائد البنات حالي

والشوق أعظم ان يحيط بوصفه * قلم وان يطوى عليه كتاب

والله ما انا منصف ان كان لي * عيش يطيب وجيرتي غياب

وكيف ولا ماقي صب ولا تواقي زيادة اذا سرى نسيم او هب

شربت حميا البين صرفا وطالما * جلوت محيا الوصل وهو وسيم

فيعتاد دمعي ان تنوح حمامة * وميقات شوقي أن يهب نسيم

فان لا يصبني بارق شاقني او ترنم شاد حدا بي الى الهيام وساقني أو رنا ظبي فلاة راعني وراقني

والى ليصبيني سنى كل بارق * وكل حمام في الاراك ينوح

وأرتاع من ظبي الفلاة اذا رنا * وارتاح للتذكار وهو سنوح

ولم يك ذاك لامر من حيث ذاته * ولكن لمعنى في الحبيب يلوح

ولا أستطيع الاعراب عن أمري العجيب لما بي من النوى المذهل والجوى المدهش والوجيب

ولا تسألوا عما أجن فليس لي * لسان يؤدي ما الغرام يقول

يطارحني البرق الاحاديث كلما * أضاء كأن البرق منه رسول

ومابال خفاق النسيم يميلني * هل الريح راح والشمال شمول

اذ دموع شؤوني عند الذكرى لا ترقا وجفوني ليس لها عن الارق مرقى وشجوني تنمو اذا صدحت بفنن ورقا

رب ورقاء في الدياجي تنادي * الفها في غصونها المياده

فتثير الهوى بلحن عجيب * يشهد السمع أنها عوّاده

كلما رجعت توجعت حزنا * فكلانا في وجدنا نتباده

فيا لها من ذات طوق مثيرة لكامن شوق جالبة له من يمين وشمال وفوق

ذكرتني الورقاء أيام أنس * سالفات فبت أذري الدموعا

ووصلت السهاد شوقا لحبي * وغراما وقد هجرت الهجوعا

كيف يخلو قلبي من الذكر يوما * وعلى حبهم حنيت الضلوعا

كلما أولع العذول بعتبي * في هواهم يزداد قلبي ولوعا

وربما أتخيل قول من قال انها بالحزن بائحة وعلى فقد الالف نائحة فأنشد قول خليل وهو بالحب مدنف وعليل

ورب حمامة في الدوح باتت * تجيد النوح فنا بعد فن

أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا * فمنها النوح والعبرات مني

ولا غرو ان ظهر سر بائح فبالك مثلي من الشجو نائح

فرجعت بعد فراق أيام الهوى * أصف الصبابة للمحب المولع

دامي الجفون اذا الحمامة غردت * من فوق غصن البانة المترعرع

أسقي الديار وقد تباعد أهلها * عنها عزالي[٣] الدموع الهمع

ن الكواكب وغير ذلك
كر جمل من الاخبار عن
نتقال البحار وجمل من
خبار الانهار الكبار
كر الاخبار عن البحر
لحبشي وما قيل في مقداره
تشعبه وخلجانه
كر تنازع الناس في
لمد والجزر وجوامع ما قيل
ذلك
كر البحر الرومي ووصف
ما قيل في طوله وعرضه
ابتدائه وانتهائه
كر بحر نيطس وبحر
مانطس وخليج القسطنطينية
كر بحر الباب والخزر
جرجان وجملة من الاخبار
عن ترتيب جميع البحار
ذكر ملوك الصين والترك
وتفرق ولد عابور واخبار
الصين وملوكهم وجوامع
من سيرهم وسياساتهم
وغير ذلك
كر جمل من الاخبار عن
لبحار وما فيها وما حولها من
العجائب والامم ومراتب
الملوك وغير ذلك
كر جبل الفتح وأخبار
الامم من اللان والسرير
أنواع من الترك والبلغر
اخبار الباب والابواب ومن
حولهم من الملوك والامم
كر ملوك السريانيين

٣ قوله عزالي بقرا بتشديد الياء للضرورة اه

ونواعب الاطلال ليس يجيبني * ما بينهن سوى الصدى بتوجع
وهواتف فوق الغصون يجيبني * منهن تغريد الحمام السجع
ناحت على عذب الفروع والفها * منها غراى فوقها وبمسمع
مافارقت الفاكماً فارقته * كلا ولا أجرت سواكب أدمعي

على أوان عيون سعوده رواني وزمان معمور بأماني وامان وآمال دوان وتهاني ما بين بكر وعوان وفي عذر من طال ليله فاضطرب فيه لولوعه وسكن جواه بجوانحه وضلوعه

ان طال ليلي بعدهم فلطوله * عذر وذاك لما اقاسي منهم
لم تسر فيه نجومه لكنها * وقفت لتسمع ما أحدث عنهم

فأرقني الزائد في حرقي أظهر المكنون وأبان ووجدي بمن ناى وبان لم يجد فيه تعلل برند وبان

تنبهي يا عذبات الرند * كم ذا الكرى هب نسيم نجد
فلست مثلي في جوى أوارق * وحرقة من فرقة أوصد
عوفيت مما حل بي من جيرة * في الغرب لم يرثوا الفرط وجدي
أعلل القلب ببان عنهم * وهل ينوب غصن عن قد
بانوا فلا مغني السرور بعدهم * مغني ولا عهد الرضا بعهد
آها من البعد ومن لم يدره * لم يشجه تأوهي للبعد

وفي شغل من ابكته الربوع والطلول وذهبت برهة من زمانه بين الترحل والحلول فركب من الاخطار الصعب والذلول وحافظ على العهود ولم يسلك سبيل الغادر الملول

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفي من بعدهم ونحولي
ضمنت لها أجفان عين قريحة * من الدمع مدرار الشؤن همول

ومن الغريب الذي ينكره غير الاريب أن الحادي انسر القلب بكشف وين فقد تسبب في اجتماع أمرين متنافيين متنافرين

ترنم حادبا الصريم فشاقني * الى ذكر من باتت ضلوعي تضمه
فسر وساء النفس شجوا فربما * كلفت به من حيث صرت أذمه

وارتحلت حين مللت من طول السرى مضمنا ذكرما اروم له تيسرا وقد أكثر الرفاق عند رؤية مالم يألفوه من الآفاق تلهفا وتحسرا

قلت لما طال النوى عن بلادي * ولاهل النوى جوى وعويل
هل أرى للفراق آخر عهد * ان عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضمنا

لائمي في ذكر أحباب نأوا * لا تلم من أضعف الشوق قواه
ان يوما جامعا شملي بهم * ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

ثم قلت مضمنا أيضا

لك الله من صب اضر به النوى * وليس له غير اللقاء طبيب

الفرس الاولى وسيرها وجوامع من اخبارها
ذكر ملوك الطوائف الاشغانيين وهم بين الفرس الاولى والثانية
ذكر أنساب فارس وماقال الناس في ذلك
ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وسيرها وجوامع من أخبارهم
ذكر ملوك اليونانيين واخبارهم وماقال الناس في بدء أنسابهم
ذكر جوامع من اخبار الاسكندر بارض الهند
ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر
ذكر الروم وما قال الناس في بدء انسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم وجوامع من سيرهم
ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع مما كان في اعصارهم
ذكر ملوك الروم عند ظهور الاسلام الى أرمينوس وهو الملك في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة
ذكر مصر ونيلها واخبارها وبنائها وعجائبها واخبار ملوكها
ذكر أخبار الاسكندرية وبنائها وملوكها
ذكر السودان وانسابهم واختلاف اجناسهم وانواعهم وتباينهم في ديارهم واخبار ملوكهم ذكر الصقالبة ومساكنهم

وان صباحا نلتقي بمسائه * صباح الى قلبي المشوق حبيب

ثم عدت الى الصبر بعد امعان النظر والتدبر

واني لادري أن في الصبر راحة * ولكن انفاقي على الصبر من عمري

فلا تطف نار الشوق بالشوق طالبا * سلوّا فان الجمر يسعر بالجمر

ثم سلكت منهج التفويض والتسليم منشدا قول ابن قطرال المغربي في مقام النصح والتعليم ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم

ان ايام الرضا معدودة * والرضا اجمل شئ بالعبيد

لا تفنوا عنكم لي سلوة * ما على شوقي اليكم من مزيد

واجمعوا انفسكم تستبقوا * أنكم في الوقت اقصى ما أريد

ان يوما يجمع الله بكم * فيه شملي ذاك عندي يوم عيد

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد وامّل العود والعود أحمد الى المشاهد وغفر للدهر ذنبه ان عاد وتلهف ان لم يعامله بغير الابعاد

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى * غفرت لدهري كل ذنب تقدّما

وان لم يعد منيت نفسي بعودة * وماذا عسى تجدي الاماني وقلما

يحق لقلبي أن يذوب صبابة * وللعين أن تجري مدامعها دما

على زمن ماض بهم قد قطعته * لبست به ثوب المسرة معلما

وقول آخر يخاطب أحبابه ويذكر فواصل بحر النوى الطويل وأسبابه

أعيذكم من لوعتي وشجوني * ونار جوى تذكى بماء شؤوني

وبرح أسى لم يبق في بقية * سوى حركات تارة وسكون

أرى القلب أضحى بعد طارقة الاسى * أسير صبابات رهين شجون

وكيف سبيل القرب منكم ودونكم * رمال زرود والاجارع دوني

سلوا مضجعي هل قرّ من بعد بعدكم * وهل عرفت طعم الرقاد جفوني

سهرنا بنعمان ونمتم ببابل * فيا لعيون ما وفت لعيون

وفي بعض الاحيان أتسلى بقول بعض الاندلسيين الاعيان

لا تكترث بفراق اوطان الصبا * فعسى تنال بغيرهن سعودا

فالدر ينظم عند فقد بحاره * بجميل أجياد الحسان عقودا

وقول غيره

فعسى الليالي أن تمنّ بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا

فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها واطلب ممن اجال النفوس في سيول الكربة ان يخلصها

فليتني وعوادي الدهر غافلة * عما نروم وعقد البين محلول

والدار آنسة والشمل مجتمع * والطير صادحة والروض مطلول

وسروبهما مع اهل الاندلس
ذكر النوكبرد وملوكها والاخبار عن مسالكها
ذكر عاد وملوكها وجوامع من اخبارها ومافيل في طول اعمارهم
ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها عليه السلام وجوامع من اخبارها
ذكر مكة واخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرهم وما لحق بهذا الباب
ذكر جوامع من الاخبار في وصف الارض والبلدان وحنين النفوس الى الاوطان
ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا والشأم شأما والعراق والحجاز
ذكر اليمن وانسابها وما قاله الناس في ذلك
ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها وسيرها ومقادر سنيها
ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم واخبارهم
ذكر ملوك الشام من اليمن وغيرهم واخبارهم
ذكر البوادي من العرب وغيرها من الامم وعلة سكناها البدو واكراد الجبال وانسابهم وجمل من أخبارهم وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب
ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد واخبار اصحاب الفيل وأمر الاحابيش وغيرهم

وأضرع اليه سبحانه في تيسير العود الى أوطاني ومعهدي الذي مطايا العز أوطاني وأن يلحقني بذلك الافق الذي خيره موفور وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور

اذا ظفرت من الدنيا بقربهم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأني بعاتب يقول ما هذا التطويل فأقول له جوابي قول ابن أبي الاصبع الذي عليه التعويل

أكثرت عذلي كأني كنت أول من * بكى على مسكن أوحن للسكن

لا تلح ان من الايمان عند ذوي الايمان مناحنين النفس للوطن

على أنني أقول اللهم يسر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو المغارب وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله وأصحابه الاعلام والتابعين لهم باحسان ما ذر شارق وتعاقب طالع وغارب ثم جد بنا السير في البر أياما ونأينا عن الاوطان التي أطنبنا في الحديث حبا لها وهياما وكنا عن تفاعيل فضلها نياما الى ان ركبنا البحر وحللنا منه بين السحر والنحر وشاهدنا من أهواله وتنافي أحواله ما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدا * لا جعلت حاجتي اليه

أليس ماء ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد أزعجتها أكف الريح من وكرها كما نبهت اللجج من سكرها فلم تبق شيأ من قوتها ومكرها فسمعنا للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما وزفيرا وتيقنا أنا لا نجد من ذلك الافضل الله مجيرا وخفيرا واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاإياه وايسنا من الحياه لصوت تلك العواصف والمياه فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب فيتعدو يقترب وفرقه تلتطم وتصطفق وتختلف ولا تكاد تتفق فتخال الجو يأخذ بنواصيها وتجذبها أيديه من قواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من خلالها وعنان السحب يخطف في استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وآذنت الاحوال بعد انتظامها باختلالها وساءت الظنون وترامت في صورها المنون والشراع في قراع مع جيوش الامواج التي أمدت منها الافواج بالافواج ونحن قعود كدود على عود ما بين فرادى وأزواج وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا وخرست من الفرق ألسنتنا وتوهمنا أنه ليس في الوجود أغوار ولا نجود الا السماء والماء وذلك السفين ومن في قبر جوفه دفين مع ترقب هجوم العدو في الرواح والغدو لاجتيازه على عدة من بلاد الحرب دمرالله سبحانه من فيها وأذهب بفتحها عن المسلمين الكرب لاسيما مالطة الملعونة التي يتحقق من خلص من معرتها أنه امدته بتأييد المنى ومعونة فقد اعترضت في لهوات البحر الشامي شجا وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا فزادنا ذلك الحذر الذي لم يبق ولم يذر على ما وصفنا من

وعبد المطلب وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب ذكر ما ذهب اليه العرب في ١٩ النفوس والهام والصفر واخبارها في ذ

ذكر أقاويل العرب في التغوّل والغيلان وما غيرهم من الناس في ذلك وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني

ذكر أقاويل الناس في الهواتف والجان من العرب وغيرهم ممن أثبت ذلك ونفاه

ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك

ذكر الكهانة وصفتها وما قاله الناس في ذلك من أخبارها وحد الناطقة وغيره من النفوس وما قيل فيما يراه النائم وما اتصل بهذا الباب

ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم بأرض سبأ ومأرب وتفرق الازد في البلدان وسكناهم في البلاد

ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف

ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف في اسمائها وجمل من التاريخ وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور

الروم وعدد ايام السنة ومعرفة الانواء ذكر شهور الفرس وما اتصل بذلك ذكر ايام الفرس وما اتصل بذلك ذكر سني

العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها ٢٠ ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

هول البحر بينما وأبرزنا اددالـنى ميدان الالقاء باليد الى التهلكة طلقنا وتشتتت أفكارنا فرقا وذهبنا شتى وتساوينا فرقا اذ البحر وحده لا كفء يقارعه ولا قوي يصارعه ولا شكل يضارعه لا يؤمن على كل حال ولا يفرق بين عاطل وحال ولا بين أعزل وشاكي ومتباك وباكي

لانه ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخائن والكافر الحائن الى أن قضى الله بالنجاة وكل ما نراد فيه والكائن وان نهى عنه وأخطأ المائن فرأينا البر وكأنا لم نره وشفيت به أعيننا من المره وحصل بعد الشدة الفرج وشممنا من السلامة أطيب الارج فيالها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب يقل شكرها مدى الاحقاب وعتق الرقاب جعلنا الله بآلائه معتبرين وعلى طاعته مصطبرين ولم نخل في البر من معاناة خطوب ومداراة وجوه لا عب ذات تجهم وقطوب فكم جبنا منه مهامه فيحا ومسحنا بالخطا منها أثيرا وصفيحا وفلينا الفجاج وقرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامة واعوجاج وقلوب الرفقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج وربما عميت على الخريت الادلة التي يستدل بها على المذهب الاحتجاج فترى الانفاس تعثر في زمرة الاشواق والاجسام قد زررت عليها من التعب الاطواق هذا والليل بتصفحه البدر مرتاب وقد شدت رحال وأقتاب وزمت ركاب ورفعت احداج وفريت من الدعة بمدية النصب أوداج وتساوى في السير نهار مشرق وليل مقمر أوداج وأديم التأويب والاسآد وحمل العربة قد أثقل وآد ثم وصلنا بعد خوض بحار يدهش فيها الفكر وتيار وجوب فياف مجاهل يضل فيها القطا عن المناهل الى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الاوجاع وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها الافواه والاسجاع وتمثلنا في بدائعها التي لا تنحصر فيها بقول ابن ناهض فيها

شاطئ مصر جنة * ما مثلها في بلد
لا سيما مذ زخرفت * بنيلها المطرد
وللرياح فوقه * سوابغ من زرد
مسرودة ما مسها * داود بمبرد
سائلة وهو بها * يرعد عاري الجسد
والفلك كالافلاك بين حادر ومصعد

وبقول آخر

انظر الى النيل الذي * ظهرت به آيات ربي
فكأنه في فيضه * دمعي وفي الخفقان قلبي

وبقول ابي المكارم الخطير المعروف بابن مماتي في جزيرتها

جزيرة مصر لا عدتك مسرة * ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا * ومختلفات الموج فيك حبالها

ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم وجمل مما قيل في ذلك مما يتصل بهذا الباب
ذكر انواع العالم وما خص به كل جزء منه من الشرق والغربي والشمالي والجنوبي وغير ذلك من سكان الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم
ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وعبادات الهنود وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم
ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين وما فيها
ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة وما فيها
ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم وما فيها
ذكر بيوت معظمة وهياكل مشرفة للصابئة من الحرانيين وغيرهم وما فيها من العجائب والاخبار وغيرها
ذكر الاخبار عن بيوت النيران وكيفية بنائها واخبار المجوس فيها وما لحق ببنائها
ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما اتصل بهذا الباب من العلوم
ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام وما ومن

ومن أعجب الاشياء أنك جنه * تمد على أهل الضلال ظلالها

لعله أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدواة وتذكرت فى مصر قول القاضى الفاضل

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأعيذ صبرك ان يكون جميلا

وقول احمد بن فضل الله العمرى

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقول آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقول آخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارتنا به من مرها عسكرا مجرا
بشط يهز السمهرية ذابلا * وموج يهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكى الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقول آخر

واها لهذا النيل اى عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم * حتى اذا ما مال عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقول ابن النقيب

الصب من بعدهم مفرد * ودمعه النيل وعليته
وخده لما بكاهم دما * مقياسه والدمع تخليقه

وقول الصفدى

سقيا لمصر وما حوت * من أنسها وأناسها
ومحاسن فى مقسها * تبدو وفى مقياسها
ومسرة كاساتها * تجلى على اكياسها
وسطور قرط خطها الـ * ـبارى على قرطاسها
ودمى كنائسها ولا * تنسى ظباء كناسها
ولطافة بجلالة * تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى * للنفس فى انفاسها
ومراكب لعبت بها الا * مواج فى وسواسها

وقول ابن جابر الاندلسى

نيل فى ذلك الى هجرته صلى الله عليه وسلم ذكر هجرته وجوامع ما كان فى ايامه الى وفاته صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار عن امور وأحوال كانت من مولده الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم
ذكر ما ابدى به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام
ذكر خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة على بن ابى طالب رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره ونسب اخوته واخوانه
ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحروب وغير ذلك
ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين
ذكر الحكمين وبدء التحكيم
ذكر حربه رضى الله عنه مع اهل النهروان وهم الشراة وما لحق بهذا الباب
ذكر مقتل على بن ابى طالب رضى الله عنه
ذكر لمع من كلامه وزهده وما لحق بهذا المعنى من اخباره ذكر خلافة الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام معاوية بن ابى سفيان

ذكر جمل من اخلاق معاوية وسياساته وطرف من عيون أخباره ولمع من اخباره وسيره ونوادر من بعض اخباره

مرابعه شدة من محاسن ارضها * خبرا صحيحا ليس بالمقطوع
متنزل من نيلها وسلسل * وسدبح من هضبها المرفوع

وقول ابراهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كأنما * صدئت بصفحته صفيحة صيقل
يأتيك من كدر الزواخر مده * بمسك من مائه ومصندل
وكأن ضوء البدر في تموجه * برق تموّج في سحاب مسبل
وكأن نور السرج من جنباته * زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مفتقا أنواره * تبدو لعين مشبه وممثل

وقول ابن الصاحب

فرح الانام بنيلهم * اذ سار احمر كالشقيق
وتبركوا بشروقه * فكانه وادي العقيق

وقول آخر

احمر النيل حد * حتى غدا كالشقيق
وقد ترعت فيه * اذ سار وادي العقيق

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدة طويلة الى المهم الاعظم والمقصد الاكبر الذي هو سر المطالب الجليلة وهو زيارة الحرمين الشريفين والعلمين المنيفين زادهما الله شرفا وتعظيما وبلغ النفوس بيركة من شرفا بها ما لم تزل تنوبها فسافرت في البحر الى الحجر راجيا من الله سبحانه في الاجر الانجاز الى ان بلغت جدة بعد مكابدة خطوب اذهبت لها الصبر عدة فحين حصل القرب واكتحلت العين باثمد ذلك الترب ترنمت بقول من زال محرزا على الوخد والارقال

بدالك الحق فاقطع ظهر بيداء * واهجر مقالة احساب واعداء
واقصد على عزمه ارض الحجاز تجد * بعدا عن السخط في نزل الاوداء
وقل اذا نلت من ام القرى أربا * وهو الوصول باسرار وابداء
يا مكة الله قد مكنت لي حرما * فما لست اشكو فيه من داء
فذراى النازح المسكين مسكنه * في قطرك الرحب لم ينكب بارداء
شوق الفؤاد الى مغناك متصل * شوق الرياض الى طل وأنداء

ثم انشدت عند ما بدت اعلام البيت الحرام قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام وقد بلغ من امانيه الموجبة بشائره وتهانيه المرام

وافي الحجيج الى البيت العتيق وقد * سجا الدجى فرأوا نوره بزغا
عجوا عجيجا وقالوا الله أكبر ما * للجو مؤتلقا بالنور قد صبغا
قال الدليل ألا هاتوا بشارتكم * فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا الى العيس بالاشواق وانتحبوا * وحن كل فؤاد نحوها وصغا
وكل من ذم فعلا نال محمدة * في مكة ومحا ما قد جنى وبغى

ذكر [illegible] وولده وموالي ابن أبي طالب والعباس رضي الله عنهما و[illegible]
ذكر أيام يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان
ذكر مقتل الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما ومن قتل من أهل بيته وشيعته
ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه
ذكر لمع من اخبار يزيد بن معاوية وسيره ونوادر من بعض أفعاله وما كان منه في الخمر وغيرها
ذكر أيام معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم واخبار ابن عبد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وبعض ما كان في ايامهم
ذكر ايام عبد الملك بن مروان ولمع من اخباره وسيره والحجاج بن يوسف وافعاله ونوادر من بعض اخباره
ذكر لمع من اخبار الحجاج بن يوسف وخطبه وما كان منه في بعض افعاله
ذكر ايام الوليد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره وما كان من الحجاج في ايامه
ذكر ايام سليمان بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضي الله عنه ولمع من اخباره وسيره وزهده
ذكر ايام يزيد بن عبد الملك ولمع من

ولما

ولما وقع بصري على البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف بالله الشبلي لما وفد الى حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعيني * رسم دارهم فهاج اشتياقي
هذه دارهم وأنت محب * ما احتباس الدموع في الآماق
والمغاني للصب فيها معان * فهي تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها * واجر الصبر وارع حق الفراق

ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بطاعة ربه عمره وذلك أوائل القعدة من عام ثمانية وعشرين وألف من الهجرة السنية وأقمت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف ومتفيئا ذلك الظل الوريف ومقتطفا ثمار القرب الجنية الى أن جاء الاوان فأحرمت بالحج من غير توان وحين حللت مما به أحرمت نويت الاقامة هنالك وأبرمت فحال من دون ذلك حائل وكنت حريا بأن أنشد قول القائل

هذي أباطح مكة حولي وما * جمعت مشاعرها من الحرمات
أدعو بها لبيك تلبية امرئ * يرجو الخلاص بها من الازمات
نأت المنى عني لأني لم أخف * بالخيف من ذنب أحال سماتي
وعرفت في عرفات أني ناشق * للعفو عرفا عاطر النسمات

وأن أتمثل في المطاف اذ حقق الالطاف بقول من ربعه بالتقوى مشيد البغدادي الشهير بابن رشيد

على ربعهم لله بيت مبارك * اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه * ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة او فرحة لطوافه * فلله ما أحلى الطواف واهناه

ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار طيبة الشريفة التي لها الفضل على الاقطار واستشعرت قول من أنشد وطير عزمه عن اوكاره قد طار

حمدت مرادي اذ بلغت مرادي * بأم القرى مستمسكا بعمادي
ومذ رويت من ماء زمزم غلتي * فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التي جلت ومننه التي نزلت بها النفوس مواطن التشريف وحلت

من يهده الرحمن خير هداية * يحلل بمكة كي ينال المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انثنى * يشفي برؤية طيبة داء الصدى

وكان حظي في هذه الحال تذكر قول بعض الوشاحين من الاندلسيين الذين كان لهم ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة والمشاهد الزاهرة التي تشد اليها الرحال

يا من لعبد به افتقار الى أياد له جسام فضلك مدن لخير مدن حل بها سيد الانام

لم يهف قلبي لحب ليلى * ولا لسعاد ولا الرباب
لاقى شجونا ونال ويلا * من هام في ذلك الجناب

اخباره وسيره
ذكر ايام يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وابراهيم ابن الوليد بن عبد الملك من اخبارهما
ذكر السبب في العصبية بين اليمانية والنزارية ولذلك على بني امية والعصبية
ذكر ايام مروان بن محمد مروان بن الحكم وحروبه ومقتله
ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو امية من الاعوام
ذكر الدولة العباسية من اخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره
ذكر خلافة السفاح وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المنصور وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المهدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الهادي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الرشيد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر البرامكة وأخبارهم

بل من دنى الفؤاد ميلا * لمن له الحب لا يعاب

قلبي والله مستطار * مذ حل في بيته الحرام ذي الحجر والركن خير ركن وزمزم الخير والمقام

دابت قلوب المطي عشقا * وركبها واستوى المراد

الى حبيب القلوب حقا * الحي والميت والجماد

الى الذى ليس فيه يشقى * من حبه داخل الفؤاد

شكرا وقد طالت الديار * ومضنا باهم السقام فهي قسي من التثني والقوم من فوقها سهام

ولست من سكرتي مفيقا * حتى ارى حجرة الرسول

فان يسهل لي الطريقا * فذاك أقصى مني وسول

حتى ترى عيني العقيقا * ويفرح القلب بالوصول

كم قلت والصبر مستعار للركب اذ غادر والمنام ونسمة الشوق حركتني

وزادني الوجد والغرام

قوموا فقد طال ذا الجلوس * وبادروا زورة الحبيب

تاقت الى طيبة النفوس * لا عيش من دونها يطيب

لا حبذا دونها الفردوس * والماء والشادن الربيب

وحبذا الرمل والقفار والعرب في تلكم الخيام وام غيلان ظل التي والايك والاثل والثمام

يا طيبة حزت كل طيب * بسيد فيك ذي حلول

نداء مستضعف غريب * في غمر امداحه يقول

وهو من السامع المجيب * لمدحه يسأل القبول

أنت الغني لي فلا افتقار * وانت عزي فلا أضام

مستمسك منك حسن ظني * بعروة ما لها انفصام

بسيد العالمين أجمع * بأحمد المجتبى الرسول

ومن هو الشافع المشفع * في موقف الحشر المهول

اذ لا كلام هناك يسمع * للغير والناس في ذهول

اذا السما لها انفطار والشهب منثورة النظام كذا الجبال انثنت كعهن سريعة المر كالغمام

يا أول الرسل في الفضيله * وان تأخرت في الزمن

شفاعة نلت مع وسيله * فمن يضاهي علاك من

علت بك الرتبة الجليله * وطبت في السر والعلن

فأنت من خيرهم خيار فمن يضاهيك في المقام والرسل نالت بك التمني وأنت بدر لهم تمام

الوجد تذكو في فؤادي * فما لصبري به قرار

ولا لجفني ساعد اتقاد * ودمع عيني له انهمار

وها أنا جئت من بلادي * للمنية أبتغي الجوار

فحبذا تلكم الديار والمصطفى مسكة الختام عليه أزكى الصلاة مني وصحبه الغر والسلام

ذكر خلافة الواثق وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المتوكل وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المنتصر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المستعين وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المعتز وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المهتدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المعتمد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المعتضد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المكتفي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة المقتدر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة القاهر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر خلافة الراضي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المتقي لله وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المستكفي وجمل وقول

اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المعتصم وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة

وقول أبي جعفر ابن عبي العرباطي رحمه الله تعالى وهو من التشريع أحد أنواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة * نبت المنى بزيارة الاخيار
حي العقيق اذا وصلت وقف بها * وادي منى باطيب الاخبار
واذا وقعت لدى المعرف داعيا * زال العنا وظفرت بالاوطار

ولما من الله تعالى علينا بالحلول بالمشاهد التي قام الدين بها وظهر والمعاهد التي بان الحق فيها واشتهر والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر ونصرت النبوة وعضدت وقطعت غصون الكفر وحصدت ورمت بواسطة التوحيد ونضدت وقرت العيون وقضيت الديون أنشد لسان الحال قول بعض من حبب بمحاسن طيبة حال

يا من به طيبة طابت حلى وحلى * ومن بتشريفه تشرف العرب
يا أحمد المصطفى قد جئت من بلد * قاص ولي حلد قاس ولي أرب
وقد دهتني ذنوب دات اذ عظمت * لله منها رطبة المرتبي الهرب

ونسب بمشاهدة ذلك الجناب ما كنت فيه وسبق الدمع الذي لا يعارض الارج ولا ينافيه

أيها المغرم المشوق هنيئا * ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك هملان سرورا * طالما أسعد الذي تلم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الاشجان والاشواق
وأمر العين أن تفيض انهمالا * وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

ولما سعى الاكوار وقطعنا من عرفات الانجاد والاغوار وعلينا من هاتيك الانوار وشغلنا عن الاغيار وتعلينا بحلى الاخيار وكيف لا وطيبة مركز الزوار

اذا لم تطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين تطيب
وان لم يجب في أرضها بقية الدعا * ففي أي أرض للدعاء تجيب
أيا ساكني أكناف طيبة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وما أحسن قول عالم الاندلس المالكي الاديب عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب

لله در عصابة صاحبتها * نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامه فدجبتها ومفاوز * ما زلت أذكرها لطول حياتي
حتى اتينا القبر قبر محمد * حص الاله محمدا بصلات
خير البرية والنبي المصطفى * هادي الورى لطرائق النجاة
لما وقفت بقربه لسلامه * جادت دموعي واكف العبرات
ورأيت حجرته وموضعه الذي * قد كان يدعو فيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها انها * مشتقة من روضة الجنات
وبمنزل الانصار وسط قبابهم * بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا ونالوا رحمة * مغني الكتاب ومحكم الآيات
وبقبر حمزة والصحابة حوله * فاضت دموع العين منهمرات

من الهجرة الى هذا الو وهو جمادى الاولى ست وثلاثين وثلثم وقد انتهينا فيه الى المر من هذا الكتاب

ذكر من حج بالناس من أول الاسلام الى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وآخر الكتاب

ذكر جمل القابهم وما عن ذوي الدراية امدادهم

قال المسعودي فهذه جوا ماحوى هذا الكتاب من الابواب على التواني في ما ممماذكرناه من أنواع العلوم وفنون الاخبار والا مالم نأت عليه تراجم الابواب ونحن نرتب حسب ما قدمناه من ابوا على تفصيل ما ار الخلفاء وتفاير اعمارهم بابواب نفردها عن سيرهم وأخبارهم ثم نعقب بعد ذلك الغرر من أخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان أعصارهم وأخبار وزرائهم وما جرى من أنواع العلم في مجالسهم ملوحين بذلك الى ما سلف من تقدم وتقدم من تأليفنا في هذه المعاني والفنون وغير ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون بابا أولها ذكر جميع اغراض هذا الباب

لنا البشائر اذ شاهدتها * وشهدتها بالخطو والخطوات

لا زلت زوارا لقبر نبينا * ومدينة زهراء بالبركات

صلى الاله على النبي المصطفى * هادي البرية كاشف الكربات

وعلى ضجيعيه السلام مرددا * مالاح نور الحق في الظلمات

وقول كمال الدين ناظر قوص

أبشر هذه والحمد لله يثرب * فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب

فعفر بهذا الترب وجهك انه * أحق به من كل طيب وأطيب

وقبل ربوعا حولها قد تشرفت * بمن جاورت والشئ بالشئ يحسب

وسكن فؤادا لم يزل باشتياقه * اليها على جمر الغضى يتقلب

وكفكف دموعا طالما قد سفحتها * وبرد جوى نيرانه تتلهب

وقول الرعيني الغرناطي

هذه روضة الرسول فدعني * أبذل الدمع في الصعيد السعيد

لا تلمني على انسكاب دموعي * انما صنتها لهذا الصعيد

ولما سلمت على سيد الانام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء وخجلا لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلا غير أني توسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم في أن أكون ممن وضح له وجه الصفح وجلا

اليك أفررت زللي * فرار الخائف الوجل

وكان مزار تربك بالمدينة منتهى أملي

فوفى الله ما طمحت * له نفسي بلا خلل

فخذ بيدي غريق في * بحار القول والعمل

وهب لي منك عارفة * تعرف ما تنكر لي

وتهديني الى رشدي * وتمنعني من الزلل

وتحملني على سنن * يؤمنني من الوجل

فأنت دليل من عميت * عليه مسالك السبل

وانك شافع بر * وموئلنا من الوهل

وانك خير مبتعث * وانك خاتم الرسل

فيا أزكى الورى شرفا * وشافيهم من العلل

ويا أندى الانام يدا * وأكرم ناصر وولي

نداء مقصر وجل * بثوب الفقر مشتمل

على جدواك معتمدي * فأنقذني من الدخل

وألحقني بجنات * لدى درجاتها الاول

بصديق وفاروق * وعثمان الرضى وعلي

فأنت ملاذ معتصم * وأنت عماد متكل

والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب وآخره ذكر من حج بالناس من أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل القابهم

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي الا بالله

*(ذكر المبدأ وشأن الخليقة وذرء البرية).

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها

عليك

عليك صلاة ربك جل ذو العدوان ولا حل

ومذ شممنا من أرج تلك الارجاء الذاكية واستضأنا بسرج تلك الاضواء الزاكية ظهر من الشوق ما كان بطن ولم يخطر ببالنا مكن ولا وطن ويا سعادة من اقام بتلك البقاع الشريفة وقطن

مر النسيم بربعهم فتلذذا * حتى كأن النشر صار اذا غدا
فيحاو صح وصاح لا اشكو أذى * بل للصبا ماذا حملت من الشذا
أمسست طيبا أم علاك عبير

يا أيها الحادى الذى من وسمه * قصد الحبيب وأن يلم برسمه
هذى منازله فزمزم باسمه * بأبى الذى لم تذو زهرة جسمه
لكنه غض الجمال نضير

لله شوق قد تجاوز حده * أوفى على الصبر المشيد فهده
يا ناشق الكافور لا تعده * طوبى لمشتاق يعفر خده
فى روضة الهادى اليه يشير

فهناك يبذل فى التوسل وسعه * ويصيخ نحو خطيب طيبة سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه * ويرى معالم من تحب وربعه
وبحمد العالمين بشير

صلى عليه الله خير صلاته * وحباه منه جليل صلاته
ما حن ذو الاشواق فى حالاته * وأتى مغانيه على علاته
فأتيح حسن الختم وهو ذرير

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين وتوسلنا الى الله بذلك المقام العلى خاضعين وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا اخدودهم حتى شدوا على تلك الاعتاب واضعين

أكرم بعيد نحو طيبة مغتدى * متوسل مستشفع مسترشد
يطوى الفلاة لها بعزم أيد * وافى الى قبر النبى محمد
ولربعه الاسمى يروح ويغتدى

أزجاه صادق حبه المتمكن * وحداه سائق عزمه المتعين
فحكى لدى شجو حمام الاغصن * هزجا ردد فيه صوت ملحن
ويمد للاطراب صوت المنشد

ويقول جئت بعزمة نزاعة * ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحل أحمد قائلا باذاعة * هذا النبى المرتجى لشفاعة
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤف بجاره ونزيله * هذا سراج الله فى تنزيله
هذا الذى لا ريب فى تفضيله * هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن بانى البيت أول مسجد

الجبال فقرت الارض وذلك قوله تعالى وجعل فيها رواسى ان تميد بكم وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وسخر وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وذ(لك) قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وانما سمى الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى فى كل سماء أمرها يقول خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور يد طبقها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة

هذا الذى اصطفت النبوة جمه * هذا الذى ائتم الهدى تهديه
هذا الذى سقى غدا تسنيمه * هذا الذى جبريل كان خديمه
فى حضرة التشريف أزكى مصعد

هذا الذى شهد الوجود بنصه * بمزيه التفضيل من مختصه
وأبانه من وحيه فى نصه * هذا الذى ارتفع البراق بشخصه
فى ليلة الاسراء أشرف مشهد

هذا الذى غدت الضلول حديقه * بجواره وبدت تروف أنيقه
هذا المكمل خلقه وخليقه * هذا الذى سمع النداء حقيقه
ودنا ولم يك قبل ذلك يبعد

فهناك كم رسل به نتوسل * وعلى جاه لدى المعاد نعول
يا ارحم الرحماء أنت المؤتمل * يا خاتم الارسال أنت الاول
فترق فى اعلى المكارم واصعدى

الله روح فى سراه منار * وأبان فى السبع العلا أنواره
فرأت ملائكة السماء آثاره * وأراه جنته هناك وناره
فتريد ومخلد مخلد

لم داده روجل وجلى ظلمه * واتن بالرحى ومن حرمه
لما دجا ليل الضلالة دهمه * بعث الاله به لنرحم امه
لولاه كانت بالضلالة تربدى

حار الشفوف فكل لمن دونه * فالغيث يسأل اذ يسيل يمينه
والشمس تستهدى الشروق جبينه * والله وحده واطهر دينه
ووفى له فيه بصدق الموعد

نطق ينادى ذكره ويراوح * وبه ينافح مسكه وينافح
نعى اللسان محامد ومدائح * طوبى لمن قد عاش وهو يكافح
عنه يناضل باللسان وباليد

هو صفوة العرب الالى أحسابهم * اسلافهم قرنت بها انسابهم
فهم لباب المجد وهو لبابهم * من آل بيت لم تزل انسابهم
تنبى لهم عن طيب عنصر مولد

شرف النبوة ندرسا فى اهلها * وسما على ازهر العلا بمحلها
ساق السوابق للفخار برسلها * نطق الكتاب كما علمت بفضلها
وقضى به نص الحديث المسند

فوق السماك توطنت وتوطدت * وتفردت بالمصطفى وتوحدت
وهى الخلاصة صفيت فبردت * من معدن فيه الرسالة قد بدت
من عصر آدم للعصر محمد

انه يدفهم مثل ذلك مسد
خلقوا الى ان يقوم الساعه
وتحت العرش بحر منه
منه أرزاق الحيوان يوحى
الله تعالى اليه فيمطر ماشاء
الله من سماء الى سماء حتى
ينتهى الى موضع يقال له
الابرم فيوحى الله الى الريح
فتحمله الى السحاب فتغربله
وتحت سماء الدنيا بحر من
ماء يطفح دفعه من التراب
سئل مالى تخور الارض
فتمسك بالعروة وان الله
تعالى أسكن ظهر الارض
لما فرغ من خلقها الجن
قبل آدم فجعلهم من مارج
من نار وابليس منهم فنهاهم
الله ان يسفكوا دم البهائم
و يظهروا المعصية بينهم
فسفكوا وعدا بعضهم على
بعض فلما رآهم ابليس
لا يقلعون عن ذلك سأل
الله تعالى ان يرفعه الى
السماء فصار مع الملائكة يعبد
الله أشد عبادة وأرسل الله
الى الجن وهم حزب ابليس
قبيلا من الملائكة فطردوهم
الى جزائر البحار وقتلوا من
شاء الله منهم وجعل الله
ابليس على سماء الدنيا
خازنا فوقع فى صدره كبر
ثم شاء الله عز وجل ان يخلق
آدم فقال الله للملائكة انى
جاعل فى الارض خليفه

نبيا الوار بنا وما يكون ذلك الخليفه قال تكون له ذريه ويفسدون فى الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فقالوا طالوا

طالوا ولم يبقوا المجد مصعدا * دائرا في أيمانهم رجف العدا
سلوا فهم لعفاتهم غيث الجدا * أهل السقاية والرفادة والندى
والكعبة البيت الحرام المقصد

المطعمون وقد طوى ام الطوى * الناهضون اذا الصريخ لهم نوى
العاطفون اذا الطريق بهم نوى * أهل السدانة والحجابة واللوى
اهل المقام وزمزم والمسجد

المصلحون اذا الجوع تخاذعت * المنجحون اذا المساعي دافعت
الدافعون اذا الاعادي قارعت * المؤثرون اذا السنون تتابعت
وعدا الجحيم بنيل كل نفقد

لا يقرب الخطب الملم منيعهم * لا يطرق الكرب المخيف قريعهم
والله شرف بالنبي جميعهم * من نال رتبتهم وحاز منيعهم
نال الشفوف وحاز معنى السودد

حلوا من الطود الاشم بمنعة * في خير معتصم واسمى رفعة
فهم بمنة أمنه في هجعة * الله خصصهم بأشرف بقعة
محجوجة محفوفة بالاسعد

لما اتبت لرامة اصل السرى * من بعد قصدى مكة ام القرى
انشدت جهرا فيه انثر جوهرا * ياليكها يا خير من وطئ الثرى
عذراء تزرى بالعذارى الخرد

كل الحسان لحسنها انداد شا * مامثلها في تربها شادنشا
سفرت بعزم ما احدوا طيشا * نشأت بطي القلب وارتوت الحشا
زهراء من برد ايهل ويسعد

امتك تشأى في مدائحها الالسنا * وترى اجادتها المجيد المحسنا
تغدو ولا تثنى العنان عن المنا * وانتك تمرح كالقضيب اذا انثنى
مترنحا بين الغصون الميد

نداء ملت في المدح ثاقب ذهنها * ترجو الحلول لدى قرارة امنها
وعسى اذا غديت بتربة عدنها * يحلوك الاحسان بارع حسنها
والحسن يحلوها وان لم تنشد

مدحي لخير العالمين عقيدتي * ومطيتي بل طيبتي ونشيدتي
ونتيجتي وهدى اليقين مفيدتي * ولئن مدحت محمدا بقصيدتي
فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

ياخير خلق الله دعوة حائر * يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم في هواك سرائري * وهو الذي أرجو لعفو جرائري
متوسلا بجنابك المتأطد

ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون ثم بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض انى أعوذ بالله منك ان تنقصني فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيا فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وانا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فاخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين في الالوان وسمي آدم لانه أخذ من أديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك الموت بالموت وجعله الله تعالى وتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمإ مسنون أى متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه بيده فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير

ماذكرناه كان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يا رب أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذي كنت مستخلفا في الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذي عبدتك في سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فانظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذي من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى أن آدم كان محرابا للمامورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والخدمة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه فكان كلما دخل في بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودى) وماذكرناه من الاخبار في مبدإ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقي عن الماضي فعبرنا عنه

لولا حفوف عدت بمغارب * لمكثت عندك كي تتاح مآربي
ويكون في الزرقاء عذب مشاربي * حتى احل من ثراك ترائبي
وانال دفنا في بقيع الغرقد
وعليك من رب حباك صلاته * وسلامه وهباته وصلاته
ما أم بابك من هدته فلاته * لعلاك حتى زحزحت علاته
فأتيح حسن الختم دون تردد

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم ووقعت من البعد عن تلك المعاهد في المقعد المقيم وأنا أرجو أن يكون شكل منطقي غير عقيم وان أحشر في زمرة من سلك الصراط المستقيم

يا شفيع العصاة أنت رجائي * كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضرا بفؤادي * غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع * أطيب العيش ما يكون بطيبه

ثم عدت الى مصر وقد زال عني ببركته صلى الله عليه وسلم الاصر وذلك في محرم سنة ١٠٢٩ ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام وقد شملتني بفضل الله جوائز الانعام وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وهو مما زادني في هذه الزيارة رغبة

الى البيت المقدس جئت أرجو * جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الاقصى وأبصرت بدائعه التي لا تستقصى بهرني جماله الذي تحلى الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت اليه وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة وكان حقي أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغي أن تزمزم به الحداة

ان كنت تسأل أين قد * م محمد بين الانام
فأصخ الى آياته * تظفر بريك في الاوام
اكرم بعبد سمت * تقديه لرسل الكرام
في حضرة القدس وا * فاها بعز واحترام
صفوا وصلوا خلفه * ان الجماعة بالامام
للشهب نور بين * والفضل للقمر التمام
سلك النبوة باهر * وبأحمد ختم النظام
هذا الكتاب دلالة * تبقى الى يوم القيام
شهدت له من بعد عجـ * ـز ألسن اللد الخصام
خير الورى واجل آ * يات له خير الكلام
فعليه من رب الورى * أزكى صلاة مع سلام

بما يقول من يقف على سرد هذه الامداح النبوية الى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان
البديهة والروية فأنشده فى الجواب قول بعض من أم نهج الصواب

لأديمن مدح المصطفى * فعل من فى الله قوى طمعه
فعسى أنعم فى الدنيا به * وعسى يحشرنى الله معه

واذا كان القريض فى بعض الاحيان كذبا صراحا والموفق من تركه والحالة هذه رغبة عنه
واطراحا فخيره ما كان حقا وهو مدح الله ورسوله وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله

ليس كل القريض يقبله السمـ * ـع وتصغى لذكره الافهام
ان بعض القريض ما كان هزأ * ليس شيأ وبعضه أحكام
واجل الكلام ما كان فى مد * ح شفيع الورى عليه السلام
طيب العرف دائم الذكر لاتأ * تى الليالى عليه والايام
مثل زهر قد شق عنه كمام * أو كمسك قد فض عنه ختام
ليس تحصى صفات أحمد بالعد * كما لم تحط به الاوهام
ولو أن البحار حبر وما فى الارض من كل نابت أقلام
فطويل المديح فيه قصير * وحسام ماض لديه كهام
ولسان البليغ لاعى يمسى * وكذا صيب الفصيح جهام
كيف يحصى مديح مولى عليه الله أثنى وذكره مستدام
وله المعجزات والآى تبدو * لا يغطى وجوههن لثام
من المعجزات أن سار ليلا * وجميع الانام فيه نيام
راكبا للبراق حتى أتى القد * س وفيه رسل الاله الكرام
فاستووا خلفه صفوفا وقالوا * صل يا أحمد فأنت الامام
فعليه من ربه صلوات * زاكيات مع صحبه وسلام

ثم رجعت الى القاهرة وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ الذى
هو عام تسعة وثلاثين وألف مكة خمس مرات وحصلت لى بالمجاورة فيها المسرات وأمليت
فيها على قصد التبرك دروسا عديدة والله يجعل أيام العمر بالعود اليها مديدة ووفدت على
طيبة المعظمة مهما منا هجها السديدة سبع مرار واطفأت بالعود اليها ما بالاكباد الحرار
واستضأت بتلك الانوار وألفت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض مامن الله به على فى ذلك
الجوار وأمليت الحديث النبوى بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ونلت بذلك
وغيره ولله المنة مالم يكن لى فيه مطمع ولا مطمع ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور
ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور وكان عودى من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع
وثلاثين وألف للهجرة فتحركت همتى أوائل رجب هذه السنة للعود لبيت المقدس وتجديد
العهد بالمحل الذى هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة
وعشرين يوما بدا لى فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب وألقيت عدة دروس بالاقصى

ب مانقل الينا من ألفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث الاجسام العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف
من وافق ذلك وانقاد اليه
من أهل الملل القائلين
بالحدوث ولا الرد على من
سواهم ممن خالف ذلك
وقال بالقدم لذكرنا ذلك
فيما سلف من كتبنا وتقدم
من تصنيفنا وقد ذكرنا فى
مواضع كثيرة من كتابنا
هذا جملا من علوم النظر
والبراهين والجدل تتعلق
بكثير من الآراء والنحل على
طريق الخبر وروى عن أمير
المؤمنين على بن ابى طالب
عليه السلام انه قال ان الله
حين شاء تقدير الخليقة
وذرء البرية وابداع المبدعات
نصب الخلق فى صور كالهباء
قبل دحو الارض ورفع
السماء وهو فى انفراد ملكوته
وتوحد جبروته فأتاح نورا
من نوره فلمع ونزع قبسا من
ضيائه فسطع ثم اجتمع
النور فى وسط تلك الصور
الخفية فوافق ذلك صورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقال الله عز من قائل أنت
المختار المنتخب وعندك
مستودع نورى وكنوز
هدايتى من اجلك أسطح
البطحاء وأموج الماء
وارفع السماء واجعل الثواب
والعقاب والجنة والنار
وأنصب أهل بيتك للهداية
وأوتيهم من مكنون على
الا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرتى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم

والتحية المنيفة وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة وكنت حقيقا بأن أنشد قول ابن مطروح فى ذلك المقام الذى فضله معروف وأمره مشروح

خليل الله قد جئناك نرجو * شفاعتك التى ليست ترد
ألمنا دعوة واشفع تشفع * الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب أضياف وفد * لهم بمحمد صلة وعهد
اتوا يستغفرونك من ذنوب * عظام لا تعد ولا تحد
اذا وزنت بيذبل او شمام * رجحن ودونها رضوى وأحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم * وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سالوا رضاك على لسانى * الهى ما أجيب وما ارد
فيا مولاهم عطفا عليهم * فهم جمع اتوك وانت فرد

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم على نبينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبياء أجمعين افضل الصلاة والتسليم ثم حدث لى منتصف شعبان عزم على الرحلة الى المدينة التى ظهر فضلها وبان دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام والادواح المتنوعة والارواح المتضوعة حيث المشاهدة المكرمة والمعاهدة المحترمة والغوطة الغناء والحديقة والمكارم التى يبارى فيها المرء شانئه وصديقه والاظلال الوريقة والافنان الورقة والزهر الذى تخاله مبتسما والندى ريقه والقضبان الملد التى تشوق رائيها بجنة الخلد

بحيث الروض وضاح الثنايا * انيق الحسن مصقول الاديم

وهى المدينة المستولية على الطباع المعمورة البقاع بالفضل والرباع

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التى راقت بحلو المشارب
لها فى اقاليم البلاد مشارق * منزهة اقمارها عن مغارب

ودخلتها أواخر شعبان المذكور وحمدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعى المشكور

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ومبانيها المستحسنة

نزلنا بها ننوى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنق فى الخطاب وأطال فى الوصف وأطاب وان ملأ من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام أجلى * من ان تحاط بحد
لولا حمى الشرع قلنا * ولم نقف عند حد
كأنها معجزات * مقرونة بالتحدى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالباب لا سيما اذا حياها النسيم واشكر

أحب الحمى من اجل من سكن الحمى * حديث حديث فى الهوى وقديم

لهدايته معه والنوراة ... سامة فى آله تقدسيا ... مة العدل وليكون عذار متقدما ثم أخذ الله ... لخليقة فى غيبه وغيرها فى ... ون علمه ثم نصب العوالم بسط الزمان وموّج الماء ثار الزبد وأهاج الدخان ... اعرشه على الماء فسطح ... رض على ظهر الماء ثم ... ماهية الى الطاعة ... دعنا بالاحدية ثم انشا ... الملائكة من أنوار ... دعها وأرواح اخترعها ... رن توحيده بنبوة محمد ... لى الله عليه وسلم فشهرت ... السماء قبل بعثته فى الارض فلما خلق الله آدم ... ن فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم حيث عرفه عند استنبائه اياه سماء الاشياء فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد اليها الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه اماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان الى ان وصل محمدا صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد فلله

..رآدا الجميل الجليل وبيوتها التى لم تخرج عن عروض الخليل ومخبرها الذى هو على ..لها وفضل اهلها أدل دليل ومنظرها الذى يقلب البصر عن بهجته وهو كليل

والروض قدراق العيون بحلة * قدما كما بسجا به آذار
وعلى غصون الدوح خضر غلائل * والزهر فى أكمامه أزرار

..كم لها من حسن ظاهر وكامن كما قلت موطئا للبيت الثامن

أما دمشق فجنة * لعبت بالباب الخلائق
هى بهجة الدنيا التى * منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فاخرت بذوى الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالورود وبالشقائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للاشواق سائق
والطير بالعيدان أبدت فى الغنا احلى الطرائق
ولآلئ الازهار حلت جيد غصن فهو رائق
وموارد الامطار قد * كحلت بها حدق الحدائق
لازال مغناها مصو * نا آمنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا ايضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء * وبهجة وغضاره
فيها نسيم عليل * صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس * تزهى باعجب شاره
ياحسنها من رياض * مثل النضار نضاره
كالزهر زهرا وعنها * عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها * أعلى الاله مناره
وحاصل القول فيها * لمن أراد اختصاره
تذكيرها من رآها * عدنا وحسبى اشاره
دامت تفوق سواها * انالة وانارة

وكما ارتجلت فيها ايضا

قال لى ما تقول فى الشام حبر * كلما لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا أقول فى وصف قطر * هو فى وجنة المحاسن شامه

وقلت ايضا

قال لى صف دمشق مولى رئيس * جمل الله خلقه واحتشامه
قلت كل اللسان فى وصف قطر * هو فى وجنة البسيطة شامه

وقلت أيضا

واذا وجدت فى محاسن الدنيا فلا * تبدأ بغير دمشق فيها اولا
بلد ا..غ وذوالك..طرف لن نحوه * لم تلق الاجنة أوجدولا

..ى تقدمه الى الذر قبل النسل فنبوا نبعة واقتبس من مصباح الانوار المقدم اهتدى الى سيره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولاح فى أئمتنا فنحن انوار السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين واشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ما روى عن أبى عبدالله جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن امير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار وطرقها الا انا قد اتينا على جميع ذكرها واتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل فى هذا الكتاب واما ما وجدت فى التوراة فهو أن الله تعالى ابتدأ الخلق فى يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام ..قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه

ذا وصف بعض صفاتها وهي التي * يعيا البليغ وإن أجاد وطولا

والغاية في هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب قول أبي الوحش سبعي ابن خلف الاسدي يصف أرضها المشرقة ورياضها المورقة ونسيمها العليل وزهرها البليل

سقى دمشق الشام غيث ممرع * من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زوار العراق أنها * تعزى إليها لا إلى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم رياض رضها متى سرى * فك أخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع في ربوعها * وسيقت الدنيا إلى أسواقها
لا تسأم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدي الطيبي

إذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها * بها ما شئت من دين ودنيا

وكأن لسان الدين ذا الوزارتين ابن الخطيب عناها بقوله المصيب

بلد تحف به الرياض كأنه * وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وكنت قبل رحلتي إليها ووفادتي عليها كثيرا ما أسمع عن أهلها زادهم الله في ارتقائهم ما يشوقني إلى رؤيتها ولقائهم وينشقني على البعد اريج الادب الفائق من تلقائهم حتى لقيت بمكة المعظمة أوحد كبرائها الذين فرائدهم بلبة الدهر منظمة عين الاعيان وصدر أرباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذي طبق الكلي والمفاصل والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل والتآليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل وارث العلم عن غير كلالة ذو الحسب المشرق بدره في سماء الجلالة صاحب المعارف التي زانت خلاله وساحب أذيال العوارف التي أبانت عن فضله دلالة مفتي السلطان في تلك الاوطان على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين لا زال سالكا سبيل المهتدين فكان جعل الله به عصرا وأوانا لقضية هذا القياس عنوانا فلما حللت بدارهم ورأيت ما أذهلني من سبقهم للفضل وبدارهم صدق الخبر وتمثلت فيهم بقول بعض من غبر

ألمت بنا أوصافهم فامتلأ الفضا * عبيرا وأضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم * بلاغا فصح النقل إذ حصل اللقا

وقابلوني أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء وعرفني بديع برهم فن الاكتفاء

غمرتني المكارم الغر منهم * وتوالت على منها فنون
شرط إحسانهم تحقق عندي * ليت شعري الجز[illegible] يكون

وقابلوني بالقبول مغضين عن جهلي

والآثار فهو أن الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس بميسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتشر في بلاد الهند فيقال والله أعلم ان علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والافاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفي جزائر بحره السنباذج وفي قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج معه صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار منها عشرة ما له قشر وهي الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهي الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور [illegible]

وما

وما زال بي احسانهم وجميلهم * وبرّهم حتى حسبتهم اهلي

بل الاولى أن اتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول في آل المهلب وهو قول بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خلب في زمن به تقلب

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل
ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

لاسيما المولى الذي امداحه تحلى اجياد الطروس العاطلة وسماحه يخجل انواء الغيوث الهاطلة صدر الاكابر الاعاظم الحائز قصب السبق في ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم الصديق الذي بوده أغتبط والصدوق الذي بأسباب عهده ارتبط الاوحد الذي ضربت البراعة رواقها بناديه والماجد الذي لم يزل بديع البلاغة من كثب يناديه السري الحائز من الخلال ما أبان تفضيله اللوذعي الذي لم تزل أوصافه تحكم له بالسودد وتقضي له والحق أبلج لا يحتاج الى زيادة براهين الاجل المولى احمد افندي بن شاهين لازالت العزة مقيمة بواديه ولا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر وبواديه والسعد براوح مقامه ويغاديه والمجد يترنم بذكره حاديه فكم له أسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدي من أياد يعجز عن الابانة عنها لو أراد وصفها قس اياد ولو تعرضت لاسمائهم وحلاهم أدام الله تعالى سوددهم وعلاهم لضاق عن ذلك هذا النطاق وكان من شبه التكليف بما لا يطاق فليت شعري بأي أسلوب أؤدي بعض حقهم المطلوب أم بأي لسان أثني على مزاياهم الحسان وما عسى أن اقول في قوم نسقوا الفضائل ولاء وتعاطوا أكواب المحامد ملاء وسحبوا من المجد مطارف وملاء وحازوا المكارم وبذوا المواود والمصارم سوددا وعلاء

فما رياض زهر الربيع * اذا بدت في وشيها البديع
ضاحكة عن شنب الاقاح * عند سفور طلعة الصباح
غنى بها مطوّق الحمام * وصافحتها راحة الغمام
وباكرتها نسمة من الصبا * فاصبحت كأنها عهد الصبا
نضارة ورونقا وبهجه * تفدي بكل ناظر ومهجه
أطيب من ثنائهم عبيرا * بين الورى فاسال به خبيرا
دامت معاليهم على طول الزمن * يروى حديث الفضل عنها عن حسن
وثابت وقرة وسعد * وأسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوّهوا بقدري الخامل وظنوا مع نقصي أن بحر معرفتي وافر كامل حسبما اقتضاه طبعهم العالي فلو شريت بعمري ساعة ذهبت من عيشي معهم ما كان بالغالي فتعين حقهم لا يترك وحبهم لا يخالطه غيره ولا يشرك وان اطلت الوصف فالغاية في ذلك لا تدرك

يزداد في مسمعي ترداد ذكرهم * طيبا ويحسن في عيني مكرره

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابي الذي ... لمناقته في مدح البدر والبليغ ... ذلك سيان والحق ابلج والباطل لجلج وليس الخبر

والشاهلوج وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص ومنها مالا قشر له ولا نوى ٣٥ ... التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما اهبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذي يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمي بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمي الذكر قاين والانثى لويذاء ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمي الذكر هابيل والانثى اقليمياء وقد تنوزع في اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ما ذكرنا ومنهم من رأى ان اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وتذكر علي بن الجهم في قصيدته في بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمي قاينا * وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابيل وشب قاين * ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوّج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق في النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام ... احتياطا الا ... ما يمكنه في ذوي المحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب

كالعيان

هب الروض لا يثني على الغيث نشره * أتحسبه تخفى ما آثره الحسنى

وقد تذكرت بلادي النائية بذلك المرأى الشامي الذي يبهر رائيه فاشثت من أنهار ذات انسجام أترع فيها من جريال الانس جام وازهار متوجة للادواح مروحة للنفوس بعاطر الارواح وحدائق تغشى أنوارها الاحداق وعيانها المخبر عنها مصداق وأي مصداق

فهي التي ضحك النهار صباحها * وبكت عشيتها عيون النرجس
واخضر جانب نهرها فكأنه * سيف يسل وغمده من سندس

وجنان أفنانها في الحسن ذوات أفنان

صافحتها الرياح فاعتنق السر * وومالت طواله للقصار
لا تنذ بعضه ببعض كقوم * في عتاب مكرر واعتذار

وبطاح راق سناها وكمل حسنها وتناهى كما قلت مضمنا في ذلك المنحى لقول بعض من نال في البلاغة منا ومنحا

دمشق لا يقاس بها سواها * ويمتنع القياس مع النصوص
حلاها راقت الابصار حسنا * على حكم العموم أو الخصوص
بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص

ولله در القائل في وصف تلك الفضائل

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا يكون سواها
او تكن في السماء فهي عليها * قد امدت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور * فاغتنمها عشية أو ضحاها

وعند رؤيتي لتلك الاقطار الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى اوطان لي بها اوطار اذ التشابه بينهما قريب في الانهار والازهار ذات العرف المعطار وزادت هذه بالتقديس الذي همعت عليها منه الامطار وتمثلت بقول الاصفهاني وان غيرت يسيرا منه لما اسفرت وجوه التهاني

لما وردت الصالحية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الشآ * م نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولمن احب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق
لم يبق لي الا تجشم ازمن السفر البواقي
حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقي

وكنت تميل حلولي بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه

ولي بالحمى اهل وبالشعب جيرة * وفي حاجر خل [illegible] يكون نحني صحب
تقسم ذا القلب المتيم بينهم * سألتكم بالله [illegible] م القلب

فيالك

وقد زعمت المجوس ان ادم لم يخالف في النكاح بين البطون ولم يتحر المخالفة ولهم في هذا المعنى شعر يدعون فيه الفضل في التلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به في الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وان هابيل وقابين قربا قربانا فتحير هابيل أجود غنمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قابين شر ماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز من قتل قابين هابيل ويقال انه اغتاله في برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير في تورية وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قابين ثم قال ما حكاه القرآن عنه يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودي) وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى آدم قاله حين حزن على ولده * وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الا[illegible]

فيالك من صب مراع للذمام منقاد لشوقه بزمام يتخيل له انه سمع صوت قيان يقول الاول

الى الله أشكو بالمدينة حاجة * وبالشام أخرى كيف يلتقيان

وفرد تعددت جموعه وشتت بما كنت ضلوعه دموعه فانشد وقد تحير مابدل فيه من عظم مابه وغير

كتمت شان الهوى يوم النوى فوشى * بسره من جفونى أى نمام
كانت ليالى بيضا فى دنوهم * فلا تسل بعدهم عن حال أيامى
شنيت وجدا بهم والناس تحسب بى * سقما فابهم حالى عند لوامى
وليس أصل ضنى جسمى النحيل سوى * فرط اشتياقى لاهل الغرب والشام

وحصل التحير حيث لم يمكن الجمع ولا الخلو عند التخير كما قال ابن دقيق العيد فى مثل هذا الغرض البعيد

اذا كنت فى نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلى باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكنى نجد وعيل تصبرى
فقد طال مابين الفريقين موقفى * فمن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة وهو مقر الاولياء والانبياء ولا يجهل فضله الا الاغمار الاغبياء الذين قلوبهم مريضة

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها * والشمس تبهر أبصار الخفافيش

ولله در من قال فى مثل هذا من الارضياء

وهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر

اذا لم يكن للمرء عين بصيرة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وحسب الفاضل اللبيب أن يروى قول البدر بن حبيب

عرج اذا ماشمت برق الشآم * وحى اهل الحى وافر السلام
وانزل باقليم جزيل الحيا * بارك فيه الله رب الانام
العز والنصر لديه وما * لعروة الاسلام عنه انفصام
من اولياء الله كم قد حوى * ركنا بمرآه يطيب المقام
وهو مقر الانبياء الالى * والاصفياء الاتقياء الكرام
كم من شهيد فى حماه وكم * من عالم فرد وكم من امام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره فى الدواوين وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة الاواوين وتناقلت أنباءه البديعة ألسن الراوين وهامت بأماكنه المربعة هداة الشريعة فضلا عن الشعراء الدواوين ومع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين أولا يرى انهم يأتون من مقولها مراما على قدر رأيهم وعقولهم ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين

تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وبدل أهلها خمطا وأثلا * بجنات من الفردوس فسيح
وجاورنا عدو ليس ينسى
لعين لا يموت فنستريح
وقتل قابين هابيل ظلما
فوا أسفا على الوجه المليح
فمالى لا أجود بسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما
وما أنا من حياتى مستريح

ووجدت فى عدة من كتب التواريخ والسير والانساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

تنح عن البلاد وساكنيها
فقد فى الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها
أآدم من أذى الدنيا مريح
فمازالت مكايدتى ومكرى
الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن أضحت
بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ماذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت

أباهابيل قد قتلا جميعا
وصار الحى بالموت الذبيح

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على المصائب وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه انى مخرج منك نورى الذى به السلوك فى القنوات

على ندرك الصهباء توايك نشوة * بهاسىء اعداء وسر أصحاب
ولو أنها تعطيك منها بقدرها * لضاقت بك الاكوان وهى رحاب

وكنا فى حلال الاقامة بدمشق المحوطة واثناء التأمل فى محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة كثيرا ما ننتظم فى سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الاعيان فى مجالس مغبوطة نتجاذب فيها اهداب الآداب ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لباب الالباب ونمد بساط الانبساط ونسدل أطناب الاطناب ونتضى اوطار الاقطار ونستدعى أعلام الاعلام فينجر بنا الكلام والحديث شجون وبالتمنى يبلغ المستفيدون ما يرجون الى ذكر البلاد الاندلسية ووصف رياضها السندسية التى هى بالحسن منوطة وقضاياها الموجهة التى لا يستوفيها المنطق مع انها ضرورية وممكنة ومشروطة والفطر السليمة والافهام المستقيمة بتسليم براهينها قاضية لاسيما ان كانت بالانصاف مربوطة فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجرى على لسانى من الفيض الرحمانى وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلمانى صب الله عليه شآبيب رحماه وبلغه من رضوانه الامانى ما تثيره المناسبة وتقتضيه وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل فى الجد والهزل والانشاء الذى يدهش به ذا كره الالباب ان شاء وتصرفه فى فنون البلاغة حالى الولاية والعزل اذ هو أعنى لسان الدين فارس النظم والنثر فى ذلك العصر والمنفرد بالسبق فى تلك الميادين بأداة الحصر وكيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدى الهصر ونثره تزرى صورته بالخريدة ودمية القصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة اجماعهم وعلق بقلوبهم وأضحى منتهى مطلوبهم وبغية آمالهم واطماعهم وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ويستنشقون من أزهاره كل ذلك فطلب منى المولى احمد الشاهينى اذ ذاك وهو الماجد المذكور ذو السعى المشكور أن اتصدى للتعريف بلسان الدين فى مصنف يعرب عن بعض احواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ومفاخره التى قلد بها جيد الزمان ولبته ومآثره التى ارج بها مسرى الشمال وهبته وبعض ماله من النثار والنظام والمؤلفات الكبار العظام الرائقة للابصار الفائقة على كلام كثير من أهل الامصار السائرة مسير القمر والشمس المعقود عليها بالخناصر بل الخمس كى ما يكون ذلك لهذه الاغراض مشيعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من اغراضه البديعة ومنازعه وشيعا فاجبته اسمى الله قدره الكبير وأدام عرف فضائله المزرى بالعنبر والعبير بان هذا الغرض غير سهل ولست علم الله له باهل من جهات عديدة أولها قصورى عن تحمل تلك الاعباء الشديدة اذ لا يوفى بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة وثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لانى خلفتها بالمغرب واكثرها فى المشرق كعنقاء مغرب وثالثها شغل الخاطر باشجان الغربة الجالبة للفكر غاية الكربة وتقسم البال بين شغل عائق وبلبال وأنى يطيق سلوك هذا المضيق من اكتحلت [illegible] بالسهاد ونبت

الطاهرة والارومات الشريفة وأباهى به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعله خيار الائمة الخلفاء واختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم واشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغش زوجتك على طهارة منها فان وديعتى تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور فى مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسر ما يكون من الذكران واتمهم وقارا واحسنهم صورة واكملهم هيئة واعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع فى اسارير جبهته وبسق فى غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع وايفع وكهل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته فى الارض والمؤدى حق الله الى اوصيائه وانه ثانى انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين ادى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفى يوم الجمعة لست بخلون من نيسان فى الساعة التى كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة

جنوبه عن المهاد وسدد نحوه الاسف سهمه وشغل باله ووهمه وبث فلى تبريحا
وعناء لم يجد منه الالان يلطف الله تسريحا فما شام بارقة أمل الا فى النادر ولا ورد منهل
صفاء الاوكدره مكر غادر وقد كثر الجفاء وبرح بلاشك الخفاء واستوخمت الموارد
والمصادر والقلب مكلوم وذو الاب غير ملوم اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر ولا
مؤنس الاشاكى دهر بلسان صريح اوباكى قاصمة ظهر بجفن قريح اومناضل فى
معترك العجز طريح اوفاضل دفن من الخمول فى ضريح اذ رمته سهام الاوهام الصوائب
وعضت منه ابهام الابهام بنابها النوى والنوائب فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب وكم
شابت من أمثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب

على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وأدمع اجاورها تسلط فجارها فكم من عدو منهم فى ثياب صديق وحسود لا نظره الى نعم
الله على عباده تحديق لاتخدعه المداراة ولاتردعه المماراة يتتبع العثرات ويقنع
بالم البثرات ويتبسم وقلبه من الغل يتقسم ويتودد ومكايده تتجدد فتتعدد

لاترم من مماذق الود خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب الحباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

والصديق الصدوق فى هذا الزمن قليل وقد ألف بعض العلماء شفاء الغليل فى ذم
الصاحب والخليل وهو غير محمول على الاطلاق وان قال به بعض من رهنه من أبناء
عصره ذو اغلاق

أبناء دهرك فالقهم * مثل العدا بسلاحكا
لا تغتر بتبسم * فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاول والآخر وقد عظم الامر فى هذا الاوان وكثر المزدرى والساخر
مع ان أسواق الدفاتر كاسدة وأمزجة المحابر فاسدة

والدهر دهر الجاهلين وأمر أهل العلم فاتر
لاسوق أكسد فيه من * سوق المحابر والدفاتر

فالمنسوب للعلم فى هذا الزمن زمن وهو بان ينشد قول الاول قمن

لاى وميض بارقة أشيم * ورعى الفضل عندهم هشيم

وليت شعرى علام يحسد من ابدل الاغتراب شارته واضعف الاضطراب اشارته وانهل
بالدموع انواءه واقلل اضواءه وكثر علله وادواءه وغير عند التأمل رواءه وثنى عن
المأمول عنانه وارهف بالخمول سنانه حتى قدح الذكر جنانه وملأ الفكر جاشه وجنانه
فهو فى ميدان الترح مستبق ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق

له أنة المشتاق فى كل ساعة * تمر وما للثاكلات من الحزن
ومن مرسلات المدمع واقعة الاسى * ومن عاديات البين قارعة السن
تثير الذكرى منه كوامن الشجون وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والحجون

قد وصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن أربعين ألفا ٣٩ من ولده وولد ولده وتنازع الناس فى
قبره فمنهم من زعم ان قبره بنى
بمسجد الخيف ومنهم
من رأى انه فى كهف جبل
أبى قبيس وقيل غير ذلك
والله أعلم بحقيقة الحال
وان شيثا حكم فى الناس
واستشرع صحف أبيه وما
انزل عليه فى خاصته من
الاسفار والاشراع وان
شيثا واقع امرأته فحملت
بانوش فانتقل النور اليها
حتى اذا وضعته لاح النور
عليه فلما بلغ الوصاة اوعز
اليه شيث فى شان الوديعة
وعرفه شانها وانها شرفهم
وكرسهم واوعز اليه ان ينبه
ولده على حقيقة هذا
الشرف وكبر محله وان
ينبهوا أولادهم عليه ويجعل
ذلك فيهم وصية منتقلة
مادام النسل فكانت
الوصية جارية تنتقل من
قرن الى قرن الى ان أدى
الله النور الى عبد المطلب
وولده عبد الله ابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهذا موضع تنازع الناس
فيه من أهل الملة ممن قال
بالنص وغيرهم من اصحاب
الاختيار والقائلون بالنص
هم الاباضية أهل الامامة
من شيعة على بن ابى طالب
رضى الله عنه والطاهرين
من ولده الذين زعموا ان
الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما انبياء واما اوصياء منصوص عن اسمائهم واعيانهم من الله ورسوله واصحاب

وتحت ضلوع المستهام كآبة * يخاف على الاحشاء منها التفطرا

ولو ان احشاء تبوح بما حوت * لتمتلئ الارض كتبا واسطرا

وشتان ما بين الاقتراب والاغتراب والسكون فى الركون والنبو عنها والاضطراب فذاك تسهل غالبا فيه الاغراض والمآرب وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز * ولكن أرى تحصيلها بالدنية

وان طاوعتنى رقة الحال مرة * أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وكما قلت عندما صرت الى الاغتراب وألت

تركت رسوم عزى فى بلادى * وصرت بمصر منسى الرسوم

ورضت النفس بالنجر يد زهدا * وقلت لها عن العلياء صومى

مخافة أن أرى بالحرص ممن * يكون زمانه احد الخصوم

وكما قال بعض الاكابر من أهل الزمان الغابر

لا عار ان عطلت يداى من الغنى * كم سابق فى الخيل غير محجل

صان اللئيم وصنت وجهى ماله * دونى فلم يبذل ولم أتبذل

أبكى لهم ضافنى متأوبا * ان الدموع قرى الهموم النزل

لا تنكروا شيبا ألم بمفرقى * عجلا كأن سناه سلة منصل

فلقد دفعت الى الهموم تنوبنى * منها ثلاث شدائد جمعن لى

اسف على ماضى الزمان وحيرة * فى الحال منه ووحشة المستقبل

ما ان وصلت الى زمان آخر * الا بكيت على الزمان الاول

لله عهد بالحمى لم انسه * ايام اعصى فى الصبابة عذلى

و يرحم الله ابن قلاقس الاسكندرى اذ قال فى معنى التمنى المصدرى

لعل زمانى بالعذيب يعود * فيقرب قرب او يصد صدود

وابصر كثبانا وهز روادف * عليهن اغصان وهن قدود

واقطف ورد الخد وهو مضرج * واجنى اقاح الثغر وهو برود

وادنى ذراعى للعناق ذريعة * فتنهى عن الاقراط فيه نهود

ويسرى الى البدر وهو ممنع * ويغدو الى الظبى وهو شرود

ونكرع فى شكوى الفراق كأننا * فوارط هيم وافقهن ورود

واكبر مقدار الهوى عن كبيرة * واحمى عفافى دونه واذود

وفرق ما بين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصا والحسام والعصا والرجوع الى التفويض للاقدار فى امور هذه الدار الكثيرة الاكدار هو المطلوب والمرجو من الله سبحانه جبر القلوب

يارب نفس همومى * واكشف كروبى جميعا

فقد رجوت كريما * وقد دعوت سميعا

ولم يجعل لى المذكور حفظه الله فسحة ولا مندوحة بعد هذه الاعذار المحمودة فى الصدق

الممدوحة

الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من اصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيديه فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من اقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان أنوش قد لبث فى الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفى زمن انوش قتل قاين بن آدم قاتل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور فى جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان فى تموز بعدما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهى احدثت فى ايامه احدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص

قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم ٤١ من ولد قابن واكثر هذا النوع بأرض قمار
من ارض الهند والى بلدهم
اضيف العود القمارى
فكانت حياة لود سبعمائة
سنة واثنتين وثلاثين سنة
وكانت وفاته فى اذار وقام
بعده ولده (خنوخ) وهو
ادريس النبى صلى الله عليه
وسلم والصابئة تزعم انه هو
هرمس ومعنى هرمس
عطارد وهو الذى اخبر الله
عز وجل فى كتابه انه رفعه
مكانا عليا وهو أول من درز
الدروز وخاط بالابرة وأنزل
عليه ثلاثون صحيفة وكان
قد نزل قبل ذلك على آدم
احدى وعشرون صحيفة
وانزل على شيث تسع وعشرون
صحيفة فيها تهليل وتسبيح
وقام بعده (متوشلخ) بن
خنوخ فعمر البلاد والنور
فى جبينه وولد له أولاد
وقد تكلم الناس فى كثير من
ولده وان البلغر والروس
والصقالبة من ولده
وكانت حياته تسعمائة سنة
وستين سنة ومات فى
ايلول وقام بعده (لمك)
وكانت فى أيامه كوائن
واختلاف وتوفى وكانت
حياته سبعمائة سنة وتسعين
سنة وقام بعده (نوح) بن لمك
عليه السلام وقد كثر الفساد
فى الارض فاشتدت دياجى
الظلم فقام فى الارض داعيا
الى الله فأبوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فاوحى الله اليه أن اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة

الممدوحة ولسان حالى وقالى يشهدان بعجزى عن اداء هذا الحق بشهادة من هو واد وولى
اذ من كان بصفة غير متمكنة مما تكون به متصفة واتسم بنعوت مختلفة وارتسم فى
غير ذوى الاحوال المؤتلفة كيف يحير فى التصنيف جوابا أو يدنى من التأليف صوابا
ومن جفنه هام هامل وقصوره عام شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر
الكامل ومن لبس من العى ملاءه لا يعبر عمن طبق مفاصل الكلام وكلاه وقصرت
ألسن البلغاء عن علاه وزانت صدور الدواوين حلاه وجمع خلالا حسانا وكان للدين
لسانا وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب وازدانت بمرآة النوادى والمواكب
ونفحات الازهار من آدابه ونسمات الاسحار عطر أذياله وأهدابه والسحر من كتابته
والسحر من كنايته وروح النسيم من تعريضه والنثرة من نثره والشعرى من شعره
وقريضه وحلل المجد لباسه وأنوار العلم اقتباسه

له ذهن يغوص بحر علم * فيأتى منه بالدر النظيم
معانيه الرياض لاجل هذا * سرت ألفاظه مثل النسيم

ومباهيه النجوم ومضاهيه الغيث السجوم الى آباء يحسدهم القمر والشمس وإباء لو
كان للمشترى لما تحيفه امس وشرف لا مدعى ولا منتحل وهمة لو نالها البدر لاستجدى له زحل
وبراعة أرهفت سنان قلمه ويراعة سارت أمراؤها تحت علمه فكم فتح بفكره اقفالها
ووسم بذهنه الثاقب أغفالها وسبك معانيها فى قالب ذهبه ابريزا ورقم بيان لسانه برود
احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع فى ميدان الاجادة لواءه وأتيح من انهار البراعة
العذبة ارواءه ونال سبقا وتبريزا

ومازمن الشباب وانت تجرى * مع الاحباب فى لهو وطيب
ووصل من حبيب بعد هجر * بأحلى من كلام ابن الخطيب

تقصائده ارخصت جواهر البحور المنظومة فى قلائد اللبات والنحور من حسان العقائل
الحور

معان وألفاظ تنظم منهما * عقود لآل فى نحور الشمائل
وزهر كلام كالحدائق نسجه * غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدت للابداع اقليدا وجمعت طريفا من البلاغة وتليدا

كسون عبيدا ثياب العبيد * واضحى لبيد لديها بليدا

ومقطعاته ألذ فى الاسماع من مطرب السماع وأبهى فى الاحداق والنواظر من الحدائق
ذوات الاغصان الملد النواضر يعترف بفضلها من انتحل الانصاف دينا وانتحل
الاوصاف فاختار العدل منها خدينا

رقيقات المقاطع محكمات * لو أن الشعر يلبس لارتدينا

ورسائله كنقط العروس اللائحة فى البياض او كوشى الربيع اوقطع الرياض برزت
اغصانها الحالية وتبرجت وتضوعت أفنانها العالية وتأرجت وقد البسها القطر زهرا
وفجر خلالها انهرا فأخذت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير محتجبة وتبدت فبهرت

من لها قابل أستغفر الله لا بل

هي الحديقة الأنيق صيبها * صوب النهى وجناها زهرة الكلم

وقوافيه ريشت بها قوادم الاتقان وخوافيه بنان مجاريها يستدئر الحصر وباع مباريها يستشعر القصر

خطها روضة وألفاظها الأز * هار يضحكن والمعاني ثمار

تبدي لمبصرها وترى ما قاله أبو عبادة البحتري

وكلام كأنه الزهر النا * ضر في رونق الربيع الجديد

مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد

ومعان لو فصلتها القوافي * هجنت ما لجرول من نشيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد

بل هي أجل مما وصف عند التحقيق وإمعان النظر الصحيح والتدقيق

أين زهر الرياض وهو إذا ما * طال عهدا بالغيث عاد هشيما

من قواف كأنها الأنجم الزهـ * ـر سناها زان الكلام البهيما

وناهيك بمن اطلعته العلوم على جلائلها ودقائقها وأرته الفنون ما شاء من يانعات حدائقها وحيته الحكم الرياضية بأزاهرها وشقائقها وأرضعته الوزارة من ثديها وحلت به الإمارة صدر نديها وجعلته المرجوع إليه في تمييز جيد الأمور ورديها فغرس في أرض الرياسة من نخل السياسة ودّيها وأعلى علم العدل وأغمد سيف الانتقام ودفع تنين الفتنة الذي فغر فاه للالتقام والعهد إذ ذاك قريب في وطن الأندلس الغريب باختلال الحال وتوالي الإمحال والتجري على قتل الملوك والتحري لقطع الطرق ومنع السلوك حيث أهواء المارقين ذات افتراق وضلوع الصادقين في قلق واحتراق وأيدي الإحن باطشة وسيوف المحن إلى الدماء عاطشة وعرش الحماية مثلول وصارم الكفاية مفلول ونطاق الرعاية محلول وجيب النصيحة مملول والنور السلطاني بنار اختلاف الكلمة ملتهب والعدو ينتهز الفرصة ويستلب الأنفس والأموال وينتهب وليس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء وإن عقد المهادنة في بعض الأحيان فهو يسر حسوا في ارتغاء وكلاب الباطل في دماء أهل الحق والغة ولله سبحانه وتعالى في خلقه إرادة نافذة وحكمة بالغة فرقع لسان الدين ثوب الأندلس ورفاه وأرغم رحمه الله الكفر الذي فغر فاه وشمر عن ساعد اجتهاده وحض باللسان والبد على دفاعه وجهاده حتى لاحت للنصر بوارق وأمنت بالحزم البوارى والطوارق ثم ضرب الدهر ضربانه وأحرق الحاسد بنار أحقاده أنضر بانه وأظهر ما في قلبه على لسان الدين وأبانه وتقرب الوشاة وهم ممن كان يخدمه ويغشاه إلى سلطانه الذي كان عزه أوطانه الذي كان يأمنه ولا يخشاه حتى فسد عليه ضميره وتكدر ومن يسمع يخل نميره فأحس بظاهر التغير وصار في الباطن من أهل التحير وأجال قداح آرائه والتفت إلى جهة العدو من ورائه ففر مشمرا عن ذيله في لمة من خيله إلى أسد العرين سلطان بني مرين وكان إذ ذاك بتلمسان وهو من أهل العلم والعدل والإحسان فاهتز لمقدمه ولقيه بخاصته

خلت من آذار فأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الأرض خمسة أشهر ثم أمر الله الأرض أن تبتلع الماء والسماء أن تقلع واستوت السفينة على الجودي والجودي ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلي وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل إلى هذه الغاية وذكر أن بعض الأرض لم يسرع إلى بلع الماء ومنها ما أسرع إلى بلعه عندما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا إذا احتفر وما تأخر عن القبول أعقبه الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذي امتنعت الأرض من بلعه انحدر إلى قعور مواضع من الأرض فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب أهلك به أمم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها * ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا إلى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ودبر عقب هؤلاء

وخدمه

وخدمه وأكرم مثواه وجعله صاحب نجواه ثم أدرك السلطان الحمام وكسف بدره
وقت التمام فرجع لسان الدين الى فاس واستنشق بها أطيب الانفاس وكثرت بعد
ذلك الاهوال وتغيرت بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال فما نجا من مكر العدا
ولا سلم وآل أمره من الاغتيال ومانفع الاحتيال الى ماعلم على يدى بعض أعدائه الذين
كانوا يتربصون الدوائر لارادئه فأصبح كأمس الذاهب وصارت أمواله وضياعه
عرضة للناهب وغص بذلك من كان من أوادئه وأخذ الله ثاره من بعض من حرك عليه
المكر وأثاره وتسبب فى هلاكه حتى انتثرت جواهر أسلاكه ومات بدائه فالعيون
لى هذا الوقت على لسان الدين باكية ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكية
والالسنة والاقلام لمقاماته فى الاسلام حاكية فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفا
لا يقدر مثلى على تحبير التعبير عنه ويخشى أن تكون فكرته كخرقاء نقضت نصفا أو صوفا
ثم انى لما تكرر على فى هذا الغرض الالحاح ولم تقبل أعذارى التى زندها اشحاح عزمت
على الاجابة لما المذكور على من الحقوق وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق وهو
الذى يروى من أحاديث الفضل الحسان والصحاح فوعدته بالشروع فى المطلب عند
الوصول الى القاهرة المعزية وأزمعت السير عن دمشق المعروفة بالمزية والدنى السفر
منها من الخلع زيه ورحلنا عن تلك الارجاء المتألقة والقلوب بها وبمن فيها متعلقة

حللنا ديار اللغرام سرت بها ** الينا صبا نجد بطيب نسيم
وبان ردا الاشجان لما تجاذبت ** أكف المنى فيها رداء نعيم
فما انشتنا العيس أن قذفت بنا ** الى فرقة والعهد غير قديم
فان نك ودعنا الديار وأهلها ** فما عهد نجد عندنا بذميم

فخرج معنا أسماه الله مع جملة من الاعيان الى داريا المضاهية لدارين فى رياها وحبذا ريا
فالفيناها

ربا من الانداء طيبة لها القدر الجليل
تهدى لنا أرجاؤها ** أرجا من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت ** ميل الخليل على الخليل

ووصلنا عند الظهيرة وسرحنا العيون فى محاسنها الشهيرة

منزل كالربيع حالت عليه ** حاليات السحاب عقد النطاق
يمتع العين من طرائق حسن ** تتجلى فى بهاء عن الاطراق

وقلنا بها لما نزلنا بجانبها

وبتنا والسرور لنا نديم ** وماء عيونه الصافى مدام
يسايره النسيم اذا تغنت ** حمائمه ويسقيه الغمام

فيالك من ليلة أربت فى طيب النفح على ليلة الشريف الرضى بالسفح

ونحن فى روضة مفوفة ** قد وشيت بالغمائم الوكف
نغفى على زهرها فيوقظنا ** وهنا هدير الحمائم الهتف

وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التأويل والمختلف عنه من ولده الذى قال له يا بنى اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث فى مسكن سام ووجدت فى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة ٣ فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا اماكنهم فى البر والبحر على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل فى الارض وما كنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم ابن سام عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن غاثر ابن ارم بن سام وكانوا

٣ قول المسعودى فجميع عمر نوح الخ يتأمل فيه وتراجع كتب التفسير اه

ينزلون الحجر بين الشام والحجاز فارسل الله اليهم أخاهم صالحا وكان من أمرهم مع صالح ما قد اتضح

ودوحها من نداه في وشح * ومن لآلي الازهار في شنف
والغصن من فوقه حمامته * كأنها همزة على ألف

وما أقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للاقمار

ياليلة بتنا بها * في ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الريا * ض وتحت أذيال النسيم

وناهيك بمحل قرب من دمشق الغراء خلعت عليه حلل الحبور والسراء وأمدته بضيائها وأودعته برق حياها وماء حيائها فصار ناضر الدوحات عاطر الغدوات والروحات مونق الانفاس والنفحات مشرق الاسرة والصفحات هذا والقلوب من الفراق في قلق ولسان الحال ينشد

وبي علاقة وجد ليس يعلمها * الا الذي خلق الانسان من علق

ويحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هي غنيمة ويذكر بقول من قال وأكف الدهر موقظة ومنيمة

تمتع بالرقاد على شمال * فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع * فأنت من الفراق على يقين

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع والكل ما بين واجم وباك وداع فتمثلت بقول من قلبه لفراق الاحباب في انصداع

ودعتهم ودمعي * على الخدود غزار
فاستكثروا دمع عيني * لما استقلوا وساروا

وقول آخر

يا وحشة من جيرة قد نأوا * علوّ قدري في الهوى انحطا
حكت دموعي البحر من بعدهم * لما رأت منزلهم شطا

وحق لي أن أتمثل في ذلك بقول الفزاري

لا تسلني عما جناه الفراق * حملتني يداه ما لا يطاق
أين صبري أم كيف أملك دمعي * والمطايا بالظاعنين تساق
قف معي نندب الطلول فهذي * سنة قبل سنها العشاق
وأعد لي ذكر الغوير فكم ما * ل بعطفي نسيمه الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالـ * ـعاشقين الخدود والاحداق
يوم ولت طلائع الصبر منا * ثم شنت غاراتها الاشواق

وبقول غيره

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع ملتصقه
واليوم صار الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وقول آخر

حين هم الحبيب بالتوديع * عيروني أني سفحت دموعي

أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من أخباره وأخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العماليق تفرقوا في البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر في باب تنازع الناس في انساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرث باميم وقيل ان أميما نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عبيل ابن عوص أخي عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماش بن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذي بنى الصرح ببابل وجسر جسرا ببابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفي زمانه فرق الله الالسن فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا في موضعه الذي يوجد في كتابنا لم

لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعة الأسى من ضلوعي

كيف لا أسفح الدموع على ربـ * ـع حوى خير ساكن وجموع

هبك أني كتمت حالي أتخفى * زفرات المتيم المصدوع

انما يعرف الغرام بمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

وقول من قال

أقول له عند توديعه * وكل بعبرته مبلس

لئن قعدت عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفس

وقول الصابي

ولما حضرت لتوديعه * وطرف النوى نحونا اشوس

عكست له بيت شعر مضى * يليق به الحال اذ يعكس

لئن سافرت عنك أجسادنا * فقد قعدت معك الانفس

وقول المهذب بن أسعد الموصلي

دعني وما شاء التفرق والاسى * واقصد بلومك من يطيعك أو يعي

لا قلب لي فاعي الملام فانني * أودعته بالامس عند مودعي

هل يعلم المتحملون لنجعة * أن المنازل أخصبت من أدمعي

كم غادروا احزانا وكم لوداعهم * بين الجوانح من غرام مودع

والسقم آية ما أجن من الجوى * والدمع بينة على ما أدعي

وقول الكمال التنوخي

كم ليلة قد بتها ارعى السها * جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد

قضيتها ما بين نوم نافر * وزفير مهجور وقلب مكمد

لم أنس أيام السرور وطيبها * بين السدير وبين برقة ثهمد

والروض قد أبدى بدائع نوره * من أزرق ومفضض ومورد

والماء يبدو كالصوارم ساريا * فيعيده مر الصبا كالمبرد

والطير بين مسجع ومرجع * ومغرد ومعدد ومردد

وقول القاضي بهاء الدين السنجاري

أحبابنا مالي على بعد المدى * جلد ومن بعد النوى يتجلد

لله أوقات الوصال ومنظر * نضر وغصن الوصل غض أملد

أنى يطيق أخو الهوى كتمانه * والخد بالدمع المصون مخدد

ما بعد مفترق الركاب تصبر * عمن أحب فهل خليل يسعد

يا سعد يسعد بالبكاء أخا هوى * يوم الوداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الأثير

لم أنس ليلة ودعوا * صباوسار وابالحمول

والدمع من فرط الاسى * يجري فيعثر بالذيول

بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذي قسم الارض بين الامم ولذلك سمي فالغ وهو فالغ أي قاسم ابن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذي قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر ابن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو اول من حياه ولده تحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية الملك من ملوك الحيرة وقحطان ابو اليمن كلها على حسب ما نذكر ان شاء الله تعالى في باب تنازع الناس في انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعاني وابانته عنها ويقطن ابن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب ما نورده من اخبارهم وقطور بنو عم لهم ثم أسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح في جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حي لان الله عز وجل اوحى الى سام ان الذي وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم في وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك في ايلول

الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت فى ايامه كوائن ونوازع فى مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة واربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنه وقد قدمنا ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بارض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور والضروب من العلل احدثت فى الارض

وقول الارجانى

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى هامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كانى سحاب والوشاة بروق

وقول ابن نباتة السعدى

ولما وقفنا للوداع عشية * ولم يبق الا الشامت وغيور
وقفنا فمن باك يكفكف دمعه * وملتزم قلبا يكاد يطير

وقول بعضهم

لما حدا الحادى بترحالهم * هيج أشواقى وأشجانى
وراح يثنى القلب عن غيرهم * فهو لهم حاد ولى ثانى

وقول الصفدى

لما اعتنقنا لوداع النوى * وكدت من حر الجوى أحرق
رأيت قلبى سار قدامهم * وأدمعى تجرى ولا تلحق

وقوله أيضا

تذكرت عيشا مرحلوا بقربكم * فهل لليالينا الذواهب واهب
وما انصرفت آمال نفسى لغيركم * ولا أنا عن هذى الرغائب غائب
سأصبر كرها فى الهوى غير طائع * لعل زمانى بالحبائب آئب

وقول ابن نباته المصرى

فى كنف الله وفى حفظه * مسراك والعود بعزم صريح
لو جاز أن تسلك اجفاننا * كنا فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل

عجبت لنفسى بعدهم ما بقاؤها * ولم أحظ من لقياهم بمرادى
لعمرك ما فارقتهم مذ ودعوا * ولكنما فارقت طيب رقادى
وقد منعوا منى زيارة طيفهم * وكيف يزور الطيف حلف سهاد
وأعجب ما فى الامر شوقى اليهم * وهم فى سوادى ناظرى وفؤادى

وقوله رحمه الله تعالى

رعى الله أيام المقام بروضة * تروح علينا بالسرور وتغتدى
كأن الشقيق الغض بين بطاحها * نجوم عقيق فى سماء زبرجد

وقول القاضى الرشيد الاسوانى

رحلوا فلا خلت المنازل منهم * ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم * وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحمى * روت جفونى أى أرض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتى * رحلوا وفى قلب المتيم خيموا

وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتى سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله ساروغ قام بعده (ناحور) بن ساروغ مقتديا ما

ماضرهم لو ودعوا من أودعوا * نار الغرام وسلموا من أسلموا
هم فى الحشا ان أعرقوا أو أيمنوا * او أشأموا أو أنجدوا أو أتهموا

وقول الشاعر أبى طاهر الاصفهانى المعروف بالوثانى

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع * وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت وداع لا أطيق عيانه * كفانى من البين المشت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته * وعند النوى سر الكتوم مذاع

وقول أبى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله * وجاد عليه هاطل وهتون
ولازال مخضر الجوانب مترع السحياض وفيه للنعيم فنون
لئن قدر الله اللقاء وأينعت * غصون التدانى فالبعاد يهون
وان حكمت أيدى الفراق بعسرة * فكم قضيت للمعسرين ديون

وقول آخر

غبتم فمالى فى التصبر مطمع * عظم الجوى واشتدت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا * ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى * عنه أحبة قلبه يشتاق

وقول أبى الحسن الهمذانى

ويوم ولت الاظعان عنا * وقوض حاضر وأرن بادى
مددت الى الوداع يدا وأخرى * حبست بها الحياة على فؤادى

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقال فيه بدر بن الادمى مكتفيا

يوم توديعى لاحبابى غدا * ذكر مى شاغلى عن كل شى
قرنت نحوى وقالت ياترى * أنت حى فى هوانا قلت مى

وقول غيره

ولى فؤاد مذ نأى شخصهم * ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم * تذرف دمعا أربعا أربعا
وليس لى من حيلة كلما * لجت بى الاشواق الا الدعا
أسأل من ألف ما بيننا * وقدر الفرقة أن يجمعا

وقول الرعينى الغرناطى

محاسن ربع قد محاهن ماجرى * من الدمع لما قيل قد رحل الركب
تناقض حالى مذ شجانى فراقهم * فمن أضلعى نار ومن أدمعى سكب

وفى معناه قوله ايضا

والالات وكانت فى ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفى عصره كان نمروذ بن كنعان وفى ايام نمروذ حدثت فى الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب فى العبادات وكان فى الارض رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الالات وترتب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر اصحاب النجوم الى طالع السنة التى ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فاخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمروذ بقتل الولدان واخفى ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

(ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل وغيرهم) ولما نشا ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التى كان بها وتامل افاق الارض والعالم وما فيه من دلائل

وقائلة ماهذه الدرر التي * تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت لها هذا الذي قد حشا به * أبو مضر اذني تساقط من عيني

انتهى

وقول الزمخشري

لم يبكني الاحديث فراقهم * لما أسر به الي مودعي

هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي اجريته من مدمعي

وقول الزعاري

قد بعتهم قلبي يوم بينهم * بنظرة التوديع وهو يحترق

ولم اجد من بعدها الرده * وجها وكان الردلولم نفترق

وقول بعض الاندلسيين

ساروا فودعهم طرفي واودعهم * قلبي فما بعدوا عني ولا قربوا

هم الشموس ففي عيني اذا طلعوا * في القادمين وفي قلبي اذا غربوا

وقلت انا مضمنا بديهة

لا كان يوم فراق * ساق الشجون الينا

فكم اذل نفوسا * يامن يعز علينا

وقلت ايضا مضمنا

سلا أحبته من لم يذب كمدا * يوم الوداع وان اجرى الدموع دما

يامن يعز علينا أن نفارقهم * من بعدكم هدّ ركن الصبر وانهدما

وان نأى الجسم كرها عن منازلكم * فالقلب ثاو بها لم يصحب القدما

وما نسينا عهودا للهوى كرمت * نعم قرعنا عليها سن نادما

واظلمت بالنوى ارجاء مقصدنا * وصار وجدان ألف غيركم عدما

وقلت ايضا مضمنا

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه * جادت معاهده أنواء نيسان

لهفي لعيش قضينا في مشاهدها * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

ياحسرة بانوا وابقوا حسرة * تجري دموعي بعدهم وفق القـ

كم قلت اذ ودعتهم والانس لا * ينسى وعهد ودادهم لن يـ

ياموقف التوديع ان مدامعي * فضت وفاضت في ثرى ذ...ضا

وكم تفاءلت بقول الاول مع علمي بان على الله المعول

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البـ

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع

وضاقت بي الرحاب عند مفارقة اعيان الاحباب والصحاب ...ت دموعي من بينهم السحاب وزند التذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب وقد ...اذ ذاك والجوانح من الجوى في التهاب وذخائر الصبر دات انتهاب بقول بعض من حرق ... منه الاهاب

الحدوث والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربي فلما رأى القمر أنور منها قال هذا ربي فلما رأى الشمس أبهر منها رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فمنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فاتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتي رشده من قبل ومن أوتي رشده فقد عدم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم المجوفات آلهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمرود النار والقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسمعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة اول من آمن بابراهيم عليه السلام وهي ابنة بتوايل ابن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن اخي ابراهيم عليه السلام رسل الله ولما

ولما نزلنا منزلا طله الندى * انيقا وبستانا من النور حاليا
اجدّ لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
وقد طفت فى شرق البلاد وغربها * وسيرت خيلى بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا * ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا * واعذب الفاظا واحلى معانيا

ويقول من تاسف على مغانى التدانى وهو ابو الحجاج الاندلسى الدانى

الى الله الا ان افارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام حين غشيته * يمينا فلم احلله الا مسافرا

وتخيلنا ان اقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف ما كانت الاحضرة طيف ملم او لمحة طرف

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغنى المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك فى اجتماع * اذا ما شتت البين اجتماعه

وطالما عللت النفس بالعود اليها ثم الى بقاعى منشدا قول الاديب الشهير بابن الفقاعى

متى عاينت عيناى أعلام حاجر * جعلت مواطى العيس فوق محاجرى
وان لاح من ارض العواصم بارق * رجعت باحشاء صوادى صوادر
سقى الله هاتيك المواطن والربا * مواطر أجفان هوام هوامر
وحيا الحيا من ساكنى الحى اوجها * سفرن بانوار زواه زواهر
بحيث زمان الوصل غض ورَوضه * اريض بازهار بواه بواهر
وحيث جفون الحاسدين غضيضة * رمقن بآماق سواه سواهر

ثم حاولت خاطرى الكليل فيما يشفى بعض الغليل فقال على طريق التضمين وقد غاب [illegible] الشوق والتخمين

بأبى من أودعوا اذ ودعوا * قلبى الشوق وللعيس ذميل
جيرة غر كرام خيرة * كل شئ منهم يبدو جميل
وعلى اجماله مالى غيرهم * لو ارادوا ان يميلوا او يحيل

وقد سدد التنائى الى نباله موطئا للبيت الثالث كما فى الابيات قبله

يا دمشقا حياك غيث غزير * ووقاك الاله مما يضير
حسنك الفرد البدائع بدع * متناه فيه فعز النظير
أين ايامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

ثم اكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال وتشبهت البيداء والشوق ببدل الكل والاشتمال وتنسمت من نواحى تلك الارجاء اريج الشمال وضمنت فى المعنى قول بعض من ثنى الحب عطفه وأمال

تنسمت ارواحا سرت من ديار من * بهم كان جمع الشمل لمحة حالم
وجاوبت من يلحى على ذاك جاهلا * بقول لبيب بالعواقب عالم
وما انشق الارواح الا لانها * تمر على تلك الربا والمعالم

(لوطا) الى سدوم وقراها الخمس وهى صبغة وعمرة وادماء وصبوغو بالعوان قوم لوط ٤٩ ه، اصحاب المؤتفكة وهذا الاسم مشتق من الافك وهو الكذب على رأى من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله فى كتابه بقوله والمؤتفكة اهوى وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلى الاردن وبلاد فلسطين الان ذلك فى حيز الشام وهى مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسوّمة موجودة فيها يراها الناس السفار سوداء فاقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسمعيل) هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل افئدة من الناس تهوى اليهم واهلك الله قوم لوط فى عهد ابراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس

وما احسن قول الآخر

سرت من نواحي الشام لي نسمة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متتابعه

وقلت انا

حمدت وحق الله للشام رحلة * اتاحت لعيني اجتلاء محياه
وبعد التنائي صرت اوتاح للصبا * لان الصبا تسرى بعاطر رياه
فلله عهد قد اتاح بجلق * سرورا فحياه الاله وحياه

واستحضرت عند جد السير قول صفوان بن ادريس المرسي ذكره الله تعالى بالخير

أين ايامنا اللواتي تقضت * اذ زجرنا للوصل ايمن طير

ثم قول غيره ممن حن وأن وقلق قلبه وما اطمان

احن الى مشاهد انس الفى * وعهدي من زيارته قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفي * لهيب الشوق فازداد اللهيب

وربما تجلدت مغالطا متعللا بقول من كان لالفه مخالطا

حضرت فكنت في بصري مقيما * وغبت فكنت في وسط الفؤاد
وما شطت بنا دار ولكن * نقلت من السواد الى السواد

وقول غيره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد * فالقلب يرعاك ان لم يرعك البصر

وبقول الوداعي

يا عاذلي في وحدتي بعدهم * وأن ربعي ما به من جليس
وكيف يشكو وحدة من له * دمع حميم وأنين انيس

ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلعه السلو ريقه

لا رعى الله عزمة ضمنت لي * سلوة القلب والتصبر عنهم
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منهم

وبقول ابن آجروم في مثل هذا الغرض المروم

يا غائبا كان أنسي رهن طلعته * كيف اصطباري وقد كابدت بعدهما
دعواي أنك في قلبي يعارضها * شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

ثم جد بي السير الى مصر واستمر فتذكرت قول الصفدي وقد اشتد بالرمل الحر

اقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالي الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدي به في الشام وهو عليل

وقول ابن الخياط

قصدت مصرا من رباجلق * بهمة تجري بتجريد
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عيني بالمرزيد

وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعي وانشدت قول الشهاب الحنبلي الزرعي

في الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق ومنهم من رأى انه اسمعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسمعيل لان اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولدت منها ستة ذكور وهم مرو ونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفي ابراهيم بالشام وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وانزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بوحاء ابنة بنوايل فولدت له (العيص ويعقوب) في بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق في وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة في ولده ودعا للعيص بالملك في ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هنالك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثني عشر وهم (لاوي ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان

احبتنا والله مذغبت عنكم * سهادى سميرى والمدامع مدرار
ووالله مااخترت الفراق وانه * برغمى ولى فى ذلك الامر أعذار
اذاشام برق الشام طرفى تتابعت * سحائب جفنى والفؤاد به نار
الاليت شعرى هل يعودن شملنا * جميعا ونحوى نار بوع واقفار

وقول ابن عنين

دمشق بناشوق اليك مبرح * وان لج واش اولج عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول آخر

نفسى الفداء لانس كنت اعهده * وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى انف بوصلهم * والانس افضل ماناالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى * سواهم فاعترانى بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادى واشياءه له * والآن كل وجود بعدهم عدم

فان أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال

ياغائبا قد كنت أحسب قلبه * بسوى دمشق وأهلها لا يعلق
آن كان صدك نيل مصر عنهم * لاغرو فهو لنا العدو الازرق

اتيت فى جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر جمعنا شمل لذته * بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس * كانما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلها * من النعيم الى ذلك من الحرق
رق العذول لحالى بعدها ورثى * لى فى الجوى والهوى والشجو والارق

لله فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طوالعها منسوبة

وكانت فى دمشق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

وقولى مغانى التهانى التى مانسيناها وأمانى زمانى التى نعمت بطور سيناها عليها وعلى وطنى مقصورة والقلب فى المعنى متيم بهما وان كان فى غيرهما بالصورة والاشواق اليهما قضاياها موجهة وان كانت غير محصورة

ولله عهد قد تقضى وان يعد * فانى عن الايام أعفو وأصفح
بقلبى من ذكراه ماليس ينقضى * ومن برحاء الشوق ماليس يبرح
اذا مسحت كفى الدموع تسترا * بدت زفرة بين الجوانح تقدح
فان جمعت شملى الليالى بقربهم * تجمع غيلان ومى وصيدح
على انها الايام جد مزاحها * ورب مجد فى الاذى وهو يمزح

وكثيرا مايلهج تلمسان بقول من قال

ونفتالى وكاد واشار وشمعون وروبيل) هؤلاء الاسباط والنبوة والملك فى عقب اربعة منهم لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثر جزع يعقوب من اخيه العيص فآمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فاعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفافا لشره وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاقبهما الله فى ولده بخالفته لوعده فاوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولى فلاجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من امره مع اخوته ماقص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك فى امته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة واربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهنالك مسجده وقيل ان يوسف اوصى ان يحمل فيدفن

وما تفضل الاوقات اخرى لذاتها * ولكن اوقات الحسان حسان

ويردد قول من شوقه متجدد

سقى معهد الاحباب ناقع صيب * من المزن عن مغناه ليس يريم
وان لم اكن من ساكنيه فانه * يحل به خل على كريم

وينشد من يلوم قول من في حشاه وله وفي قلبه كلوم

قد أصبح آخر الهوى اوّله * فالعاذل في هواك مالي وله
بالله عليك خل ما اوله * وارحم دنفا الذي حشاه وله

وقد امتد بنا الكلام وربما يجعله اللاحي ذريعة لزيادة الملام فلنرجع الى ما كنا بصدده من اجابة المولى الشاهيني أمده الله سبحانه بمدده فاقول مستمدا من واهب العقول انى شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع والقلوب وسلكت في ترتيبه احسن أسلوب وعرضت في سوقه كل نفيس غريب من العرب الى الشرق مجلوب تستحسن الابصار ما عليه احتوى وتعرف الافكار أنه غير مجزوى ثم وقف بي مركب العزم عن التمام واستوى فاخرته تاخير الغريم لدين الكريم وصدتني أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض وأضربت برهة عما له من منحى لاختلاف احوال الدهر نفعا ودفعا ومنعا ومنحا ومرقت عن هدف الاصابة نبال وطرقت في سدف ليلي الكتابة أمور لم تكن تخطر ببال فجاءتني من المولى المذكور آنفا رسالة دالة على انه لم يكن عن انجاز الوعد متجانفا فعدت لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستأنفا وحدا بي خطابه الجسيم للاتمام وساقني وراقني كتابه الكريم لتلك الايام وشاقني وذكرني تلك الليالي التي لم انسها وحركني لتلك المعاهد التي لم ازل اذكر انسها الالف لا يصبر عن الفه الا كما يطرف بالعين وقد صبرنا عنهم مدة ما هكذا شأن المحبين فيا كتاب كريم اعرب عن ود صميم وذكر بعهد غير ذميم وود طيب العرف يخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعز تميم

ولم تر عيناي من قبله * كتابا حوى بعض ما قد حوى
كأن المباسم سماته * ولاماته الصدغ لما التوى
واعينه كعيون الحسان * تغازلنا عند ذكر الهوى
كتاب ذكرنا بالفاظه * عهودا زكت بالحمى واللوى

فكأنه الروض المطرد الانهار والدوح المدبج الازهار

رأيت به روضا تدبج وشيه * اذا جاد من تلك الايادي غمائم
به ألفات كالغصون وقد علا * عليها من الهمز المطل حمائم

وقد سقيت بانهار البراعة السلسالة حدائق حلت بها غانية تلك الرسالة تشفي صبها بالزيارة وتشرف بدنوها داره

زارت الصب في ليال من البعد فلما دنت رأى الصبح يلمع
قلدت بالعقيان جيد بيان * ليس فيه للفتح من بعده لمع

الز

عند قبر أبيه يعقوب في مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان في عصره (أيوب) النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايوب بن موص ابن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك في بلاد الشام من اردن حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله في نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من اخباره في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التي اغتسل منها في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذي كان ياوي اليه في حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة في ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب نبي قبل موسى ابن عمران وانه هو الذي طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض اهل الكتب ان الخضر هو خضرون بن عمياثيل بن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه ارسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران

فشفت

فشفت النفس من آلامها وأحييت ميت الهوى بذحيت بعذب كلامها

كلام كالجواهر حين يبدو * وكالند العنبر اذ يفوح
له فى ظاهر الالفاظ جسم * ولكن المعانى فيه روح

فصيرت لى ذلك الكتاب سميرا ووردت من السرور مشرعا عميرا وتمثلت بقول بعض من اخلص فى الود ضميرا

يا مفردا أهدى الى كتابه * جلا بعبارة الذهن فى اثنائها
كالدر اشرق فى سموط عقوده * وازهر والانوار غب سمائها
فافادنى جذلا وبالى كاسد * واجار نفسى من جوى برحائها
وحسبت ايام الشباب رجعن لى * ولبست حلى جمالها وبهائها
لا يعدم الاخوان منك محاسنا * كل المفاخر فقرة من شانها

فاكرم به من كتاب جاء من السرى العلى والماجد الاخ الولى

فضضت ختامه فتبدت لى * معانيه عن الخبر الجلى
وكان ألذ فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وأعرب عن اعتماد متماد وودادمرداد وأطاب حين أطال وادى دين الفصاحة دون مطال واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحدق المراض * وأتى من اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التى لا خلف فيها ولا اعتراض وروينا من غيث اماله المتون ورويناعنه مسند احمد حسن الاسانيد والمتون وحشا لى العود والرجوع وكان اجدى من الماء الزلال لذى ظما والمشتهى من الطعام لذى سغب وجوع

واشهى فى القلوب من الامانى * واحلى فى العيون من الهجوع

بنوره ظلام استيحاشى وحشر الى اشتات المسرات دون ان يحاشى ووجدنى بشغوب واشغال اشربت القلب الكسل واللغوب وحيرت الخواطر وصيرت لاقلام غير مواطر فزحزح عنى الغموم وسلانى واولانى شكر الله صنيعه رأت ما اولانى

وقول

حديثا او حديث عنه يطربنى * هذا اذا غاب اوهذا اذا حضرا
كلاهما حسن عندى أسربه * لكن احلاهما ما وافق النظرا

وقال آخر

لست مستأنسا بشئ اذا غبت سوى ذكرك الذى لا يغيب
أنت دون الجلاس عندى وان كنت بعيدا فالانس منك قريب

وضمنت فيه لما ورد مع جملة كتب من تلك الناحية وأنوار أهلها ذوى الفضائل الشهيرة أظهر من شمس الظهيرة فى السماء الصاحية

قلت لما أتت من الشام كتب * من أجلاء نورهم يتألق
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن جلق

الهلواس بن ليث بن هران ابن عمر بن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد استرقوا بعد مضى يوسف واشتد عليهم البلاء واخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان سيولد مولود يزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وامر بذبح الاطفال وكان من امر موسى ما اوحى الله عز وجل الى امه فى امره أن اقذفيه فى التابوت فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره واوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويت بن رعويل بن مر ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من اهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من امره معه وتزوجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده باخيه (هرون) وبعثهما الى

فرعون فخالفهما فاغرق الله عز وجل فرعون وامره الله عز وجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة الف

وقت أبصا

ذلت لما وافت من الشام كتب * والليالي تتيح قربا وبعدا
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن سعدى

وكان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهيني الذي اقتنص بفضله كل شارد مانصه ومما اختلس طلبي من يدي ترحي وجدد سروري ونبه فرحي حديث الكتاب وما حديث الكتاب حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب وأنساني حرارة المصاب في الارسال والاعتاب ونضى به من حق لسان الدين دينه الذي تبرع به غريم ملىء من البلاغة وهو غير مدين حتى كاني يا سيدي بهذه البشرى أحرزت سواري كسرى وكان في سمعي كل حرف البها منسوب بقميص يوسف في أجفان يعقوب وحتى كدت أهجر اهلي وبيتي وأسرج لاستقبال هذه البشرى أشهبي وكميتي وحتى انني حاربت نومي وقومي وعزمت على ان أرحل ناقتي في وقتي ويومي وان ذلك التغليس والتهجير في جنب ما بشرت به لحقير وان موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير وقد كنت سألت شيخي حين ورد دمشق الشام واشتهر بها ورود الشام وشرفني فعرفني وشاهدني فعاهدني على ان يجري ما دار بيننا في المحاورة من المسامرة والمحاورة في ديباجة ذلك الكتاب الذي فتن العقول خبره وسحر الالباب وما قصدت الا أن يجري اسمي على قلمه ويرقم رسمي في مطاوي تحريره ورقمه ويكون ذكري مختلطا بذكره كأن سري مرتبط في المحبة بسره فرأيت شيخي لم يتعد في أثناء هذه البشرى لما فهمني بالذكرى لانظر النجاح في الاخرى ولم يساعدني على ذلك الملتمس وحبس عنان القلم فاحتبس فانكسرت سورة سروري بفتوري وتبين لنفسي عن بلوغ ذلك الامل تخلفي وقصوري انتهى

قال) بعد كلام طويل لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ما صورته

وحسبت أن سيدي وحاشاه نسي من لبس نساه ونفثت به الظنون لامور تكون وعلى يد سيدي وشيخي أن يهدي لدنيا في طبق ثم الاخرى على ذلك الندى لك أن خطه هو ازروضة اغنى الابل جنة المأوى فطوبى لنفسي ان جنت ثمر ولعمر شيخي اني بذلك لجدير واني كنت أملك به الخورنق والسدير انتهى

والغرض من ذلك الرقيم الذي شكل منطقه غير عقيم سلك الله تعالى بي وبمن وجهها المستقيم وأتى في المكتوب بانواع من البلاغة مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه بهذا الامر الخاص الذي يسم لكارع الادب مساغه وختمه بقصيدة نفيسة من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد وأشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد وما دلت الا بالذي علمت سعد* وهذه صورتها

يا سيدا أفديه بالاكثر * من أصغر العالم والاكبر
ويا وحيدا ليس ولي له * عطارد أنت مع المشتري
ويا مجيدا ليس عندي له * الامثال المادح المكثر
أقسمت بالبيت العتيق الذي * حجت اليه الناس والمشعر

بالغ دون من لبس بمالغ وكانت الالواح التي انزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد اخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل راى قوما من بني اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فارتعد فسقطت الالواح من يده فتكسر جمعها واودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله في الهيكل وكان هرون كاهنا وهو قيم الهيكل واتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التيه وقبض هرون فدفن في التيه في جبل مر ... قرب جبل الشراة مما يلي الطور وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دوي عظيم يخرج منه كل ذي روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع في تلك المغارة وبهذا الموضع عجائب قد ذكرناها في كتابنا اخبار الزمان من الامم الماضية والممالك الداثرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ما وصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة اشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائة وعشرين وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعربانيين والمديانيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم

ما للعلا

مالعلا والعلم الا ابو العباس شيخي أحمد المقري
ذاك الذي أثرني منه بالعلم الذي للغير لم يؤثر
وخصني منه باشياء لم * يفز بها غيري ولم يعثر
فرحت عبدا ذا وفاء له * معترفا بالرق لا امتري
فيا أبا العباس يامن غدا * أعظم في نفسي من معشري
ومن اذا ما غاب عن ناظري * كان مع الرالب لمحضر
هات أفدني سيدي عن علا الـمولى لسان الدين ذاك السري
ذاك الوحيد الفذ في عصره * بل أوحد الادهر والاعصر
ذاك الذي أخبرني سيدي * عنه مرايا بعد لم تحصر
ذاك الذي اعرف لا يعتلي * الى معاليه ولا يجتري
ما قد وعدت العبد في جمعه * من خبر عن فضله مسفر
بخطك الوضاح وهو الذي * مخبره يربي على المنظر
والشئ لا يرجى اذا ما غدا * منظره يربي على المخبر
نقش على طرس بياض كما * لاحت عيون أرشا الاحور
وأسطر قد سلسلت مثل ما * لاح عذار الشادن الاحور
ونزهة الانفس معنى غدا * ما بينها ينساب كالكوثر
عذب رقيق مثل ظبي غدا * يلوح طاوي الكشح أو جؤذر
آثار أقلامك وهي التي * أغنت عن الابيض والاسمر
براعك الجامع راو غدا * يروي اللعي عن لفظك الجوهري
ينثر مسكا تارة ناظما * وينظم الجوهر بالعنبر
هذا ابن شاهين الفتى أحمد * عن ذكرك المأنوس لم يفتر
فاجعل له ذكرا كريما به * يردان مغبوطا الى المحشر
واذكر بيوتاتي وكل الذي * كتبته حولك في دفتري
أنت جدير بالذي فكن * ذا كرعبد بالوفا أجدر
وها لها سيارة انتقت * على جواد كان للبحتري
طرف كريم سابق صافن * بذهن ذي ادب او فكر
ورثته منه ولكنما * من شاعر واني الى أشعر
ما للفتى الطائي شوط امرئ * يصطاد نسر الجو بالمنسر
واسلم لعبد لا يرى سيدا * سوى الذي في ثوبك الاطهر
في كرم العنصر فردا غدا * طبعك فاشكر كرم العنصر
ماحن مشتاق أخو صبوة * الى خليل في الهوى ممكر انتهت

فلما وصلني هذا الخطاب الذي ملأ من الفصاحة الوطاب وحلى في عيني وقلبي وطاب تحركت دواعي الوجد لذلك المجد الذي ولعت به ولوع ابن الدمينة بصبا نجد وأثار من

من الطوائف على حسب ما في التوراة وانزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم انزل الله عليه التوراة بالعبرية وفيها الامر والنهي والترهيب والترغيب والسنن والاحكام وذلك في خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من سمائه الف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا وصار الكاهن بعد هرون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم تحدث لموسى ولا لهرون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع وافتتح بلاد اريحاء من أرض الغور وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كفولى وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب

الغمام والاوار ما يزيد على ما حصل للمرزدق لما فارق النوار وتضاعف الشوق الى تلك الانجاد والاغوار منشدا قول الاول لعل أبى المغوار وتذكرت والذكرى شجون واطوار تلك الاضواء والانوار المشرفه بقطر أزهر بالمحاسن وجرى نهره غير آسن فلم يذم فيه الجوار

وان اصطبارى عن معاهد جلق * غريب فما أجفى الفراق واجفانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت بها من شدّة الشوق أجفانى

وحصل التصميم على التكميل للتأليف والتميم رعيا لهذا الولى الحميم أفاض الله تعالى عليه غيث البر العميم وأبقى ظل عزه ممدودا وحلى سودده مودودا واناله من الخيرات ما ليس محصورا ولا معدودا وجمعنى واياه واطلع لى بشر محياه وانشقنى عرف اجتماعه ورياه وكيف لا أستديم أمد بقياه وأعتقد البشائر فى لقياه واسقى غروس الود بسقياه وهو الصدر الذى أصفى لى الوداد والركن الذى لى بثبوته اعتماد واعتداد

فعليه من مصفى هواه تحية * كالمسك لما فض عنه ختام
تترى بساحته السنية ما دعت * فوق الغصون هديلهن حمام

ودامت فضائله طاهرة كالشمس محروسة بالسبع المثانى معوّذة بالخمس

ولا انفك ما يرجوه أقرب من غد * ولا زال ما يخشاه أبعد من أمس

وبقى من العناية فى حرم أمين آمين *(ولما) حصل لى كمال الاغتباط بما دل على صحة حال الارتباط نشر بساط الانبساط وحدثت لى قوّة النشاط وانقشعت عنى سحائب الكسل وانجابت وناديت فكرى فلبت مع ضعفها وأجابت فاقتدحت من القريحة زندا كان شحاحا وجمعت من مقيدانى حسانا وصحاحا وكنت كتبت شطره وتيسر هامشه وسطره ورقت من انباء لسان الدين بن الخطيب حللا لا تخلق جدتها وسلكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطا وتقصر بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعتنى به الاسلام وينصر مفاخرها الباسقة ومآثر أهلها المتناسقة لان كل ذلك لا يستوفيه القلم ولا يحصر من المنثور والنثر بنبذة توضح للطالب سبله وتنهر نهله ونبله وتترع كاس محاسنه المذاكرة واناؤه حتى يرى حسن هذا التأليف ابناءه هذا التصنيف وادباؤه فى المغرب وظلال الشباب ضافية وسماء الافكار من نزع الاكدار صافية معنيا بالفحص عن أنباء أبناء الاندلس واخبار اهلها التى تنشرح لها الصدور والانفس وما لهم من السبق فى ميدان العلوم والتقدم فى جهاد العدوّ الظلوم ومحاسن بلادهم ومواطن جدالهم وجلادهم حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الافاضل الاخاير وانتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر واقتطفت ازاهر أنجمها فى افق المحاضرة زواهر وحصلت فوائد بواطن وظواهر طالما كانت اعين الالباء لنيلها سواهر وجمعت من ذلك كتبا عالية لو خاطب بها الداعى صم الجلامد لانبجس حجرها وحكما غالية لو عامل بها الايام ربح متجرها واسجاعا مترنمة الاعطاف ومواعظ يعمل بمقتضاها من حفت به الالطاف وقوافى موثورة

نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا عن مائها فيغوص فى وسطها وهو نهر عظيم فلا يدرى اين غاص من غير ان يزيد فى البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة اعنى المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد اتينا على ذلك فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا اخبار الاحجار التى تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودى ويذكره الفلاسفة واستعمله فى الناس لما به وجع الحصاة فى المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة يخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله اعلم بحيرة لا يتكون فيها دود ولا حيوان من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها ببلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة وهى المعروفة بكبودان وقد ذكر الناس ممن تقدم تعذر عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كبودان ويأتى على قياس قولهم ان تكون علتهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشام

القوادم والخوافى يثنى عليها من سلم من الغباوة والصمم ويعترف ببراعتها من لا يعتريه الالم وطالما اعترض الجاهل الغمر بوجهه عن مثلها واشاح وانصت لها الحرا صات السوار لجرس الحلى ونغم الوشاح ونرجو ان ظفر بشئ منها فرح الصائد بالقنيص والسارى العارى ذى البطن الخميص بالزاد والقميص وتركت الجمح بالمعرب ولم استصحب معى منه ما يبين عن المقصود ويعرب الا نزرا يسيرا على بحفظى وحليت بجواهره جيد الغنى وبعض اوراق سعد فى جواب السؤال بها حظى ولو حضرنى الآن ما حلقته مما جمعت فى ذلك الغرض والفته لقرت به عيون وسرت الباب اذ هو والله الغاية فى هذا الباب ولكن المرء ابن وقته وساعته وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته وعذر مثلى باد للمنصفين من العباد ان قصرت فيما تبصرت أو تخلفت فى الذى تكلفت أو اتعبت تحريرا ونعت والتقمت ثدى التقصير ورضعت أو أطعت داعى التوانى فتأخرت عمن سبق وانقطعت ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ومن كانت بضاعته مزجاة فهو من الانصاف بنجاة اذا أتى بالمقدور وتبرأ من الدعوى فى الورود والصدور وعين الرضا عن كل عيب كليلة والسلامة من الملامة متعذرة أو قليلة وقد قال امامنا مالك صاحب المذهب الجليل كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ازكى صلاة وأتم سلام وشفى غليلنا من الآلام تلو بنا الليلة وجعلنا ممن كان اتباع سنته رائده ودليله آمين والحمد لله الذى يسر لى هذا القدر مع ضيق الصدر وقلة بضاعتى وكثرة اضاعتى فانه جل جلاله تتضوع به المثالب طيبا وتغدى ببركته المآرب فيرقى صاحبها على منبر القبول خطيبا وتعذب به المشارب فتنبت فى أرض القرطاس من زاكى الغراس ما يروق نيرا وبورق غصنا رطيبا وقد أتيت من المقال بما يقر ان شاء الله تعالى العين ومن قال وان كنت ممن هو فى ثوب الحى رافل وعن نسبته للفضل غير غافل ومن للنفس هدفا وصير مكان الدر صدفا اذ لسان الدين بن الخطيب امام هذه الفنون ومحوى الآمال المتنوعة المستخرج من بحار البلاغة دره المكنون وله اليد الطولى فى على اختلاف أجناسها والالفاظ الرائقة التى تزيح وحشة الانفس بايناسها

ناهيك من فرد أنسى مدح ... رحب الدراحر الكلام محمد
بهر الانام رياسة وسياسة ... وجلالة فى المنتمى والمحتد
وأتى بكل بديعة فى نوعها ... لم تخترع وغريبة لم تعهد
ما شئت من شعر أرق من الصبا ... وكتابة أزهى من الزهر الندى
وبديع قرطاس توشح متنه ... بمنظم من رقمه ومنضد
بهج كأن الحسن حل أديمه ... فكساه رونق الشباب الاغيد
كالبرد فى توشيعه والسلك فى ... ترصيعه والوشى نمق باليد
وكأنما سال العذار عليه أو ... خطته أيدى الغانيات بإثمد
يختال بين موصل ومفصل ... ومطرز بمنظم ومنضد
قد قيد الابصار والافكار من ... ألفاظه بمثقف ومقيد

وكانت مدة يوشع بن نون فى بنى اسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محاربته الملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين وفى ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمى

ألم تر ان العلقمى بن هوبر ... بايلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل ... ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا
فامست عداة العماليق بعده ... على الارض مشيا مقعدين وفزعا
كأن لم يكونوا بين أجبال مكة ... ولم يرو قبل ذلك السميدعا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ماب بن لوط ابن هاران وكان مستجاب الدعوة فسأله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتأت له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب) ابن يوقنا بن بارض بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى) ووجدت

مافيه معجز أصبح الاوفيه نتيجة لمفرع ومولد
ولكل جزء حكمة أوملحة * أودعة لمرسل ومقصد
أوليس مثلى قاصرا عن وصفه * والحق نور واضح للمهتدى

وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المسنون وفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون

ليت شعرى أى العبارات توفى * واجب ابن الخطيب مما أروم
وأنا عاجز عن البعض منها * لقصورى وما العيى ملوم
وهو يدعى لسان دين وما يسلك اقتداره تتم الرسوم
بأى الحلى أحلى على من * نال فضلا روته عرب وروم
وعلى الغرض ما الذى أنتحى منه لدى الوصف ان يخص العموم
ألحفظ قدار توى من معين * لصواب عليه كل يحوم
أم لنهج يستخرج الدر غوصا * من بحار يخشى بها من يعوم
أم لذكر مؤلف فى فنون * عن دهاء به تداوى الكلوم
أم لنظم كأنه جوهر السلك غلا قدره على من يسوم
تتباهى به الصدور حليا * وتروق العيون منه نجوم
أم لنثر وافى بسحر بيان * فهو كالروح والمعانى جسوم
وأظلته للبديع سماء * تتلالا فى جانبيها العلوم
فاستزادت منه النفوس رشادا * واستزانت منه النهى والحلوم
أم لخط منمنم فاق حسنا * مثل وشى تلوح منه الرقوم
أو كزهر فى بهجة ورواء * وأريج به تزاح الغموم
والغصون الاقلام والطرس روض * ناضر والمداد غيث سجوم
تلك ست أعجزن وصفى فانى * بسواها مما يجل أقوم

ولم يكن جمعى علم الله هذا التأليف لرفد أستهديه أوعرض نائل أستجديه بل لحق ودين وعد أقدمه وأبديه ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبية داع أجيبه وأعذر منه

ان من يرجو نوال الوندى * من بنى الدنيا لذو حظ غبين
فلقد كان على غير الهدى * من يسويهم برب العالمين
ويرجى منهم الرزق فهل * خالق الكل فقير أوضنين
أتخلى قصد رب مالك * ونرى للخلق جهلا قاصدين
مالنا من مخلص نأتى به * غير جاه المصطفى الهادى الامين
سيد الخلق العماد المرتجى * للملمات شفيع المذنبين
فعليه صلوات تنتمى * حضرة حل بها فى كل حين
والرضا من بعد عن أربعة * هم بحق أمراء المؤمنين
فبهم ان من يهواهم * ليكونن من أصحاب اليمين

فى سنة ان السامرى فى بنى اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) السعرى وانه اقام فيهم ثمانين سنة وهلك وملك (عمايل) بن قاثم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان بنى اسرائيل كفرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بنى اسرائيل (علان) الاخبارى أربعين سنة (ثم قام شمويه) الى أن وليهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص ابن العازر بن هرون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خابية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فاذا مغارة تحتها صخرة ثابتة فوضع الخابية فيها وانضمت الصخرة على ذلك فكونها اولا ولما هلك فينحاس بن العزر دبر امرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بنى اسرائيل واخذهم بالبلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال بن قناز اخو كالاب من سبط يهودا اربعين سنة ثم دبرهم عقلور ملك هاب بجهد شديد ثمانى عشرة سنة ثم دبرهم اهود من ولد افرايم وسط

وسط جنات تحييه بها * آنسات قاصرات الطرف عين
بقوارير لجين شربه * وأباريق وكاس من معين
والذي شرفهم بمحنا * حبهم والكون معهم أجمعين

فدونك أيها الناظر في هذا الكتاب المتجافي عن مذهب المقصد والعتاب كلمات سوانح اختلست مع اشتغال الجوانح وتمادي الأمور اللوائح واللوانح والمطابوارح اقتنصت بين اشتغال الجوارح وطرفا أعمت الصرف في مرعاها وكانت هملا غير سوارح وتحفا يحصل بها للناظر الاستمتاع ولا يعدها من سقط المتاع الذي يلهج به المرتاح ويستأنس المستوحش المرتاع

وبعد أن ختمت تمام هذا التصنيف وأعملت النظر فيما يحصل به التقريظ له ومعه التشنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطلوب بحسب أن يسما باسمين

(القسم الأول) فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المرصعة الأكواب والأنباء المنتجعة صوب الصواب الرائقة من الأدلة في سوابغ الأثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الأبواب

(الباب الأول) في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المنافع والمحاسن واحتوائها وكرم نباتها الذي سقته سماء البركات من جنابها بنافع أنوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من أضوائها

(الباب الثاني) في إلقاء بلاد الأندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحال الارتياد والارتياد وما يتبع إليه الشأن من خبر حصل بازدياده ازدياد ونبأ وصل إليه اعتناؤهم وتقرر به اعتماد

(الباب الثالث) في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامي العماد والقهر للعدو والمعتدي والتحرك للجهاد البالغ غاية الآماد وإعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد في الجبال والوهاد بالأسنة المشرعة والسيوف المنتضاة من الأغماد

(الباب الرابع) في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة وجامعها الأموي ذي البدائع الباهية الباهرة والإلماع بحضرتي الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الأقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر إليه شجون الحديث من أمور تقتضي تحسين إيرادها القرائح الوقادة والأفكار الماهرة

(الباب الخامس) في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق الزاكية العراق والشام ومدح جماعة من أولئك الأعلام ذوي الألباب الراجحة والأحلام لشامة وجنة الأرض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام أعيانها وأرباب بيانها ذوي السؤدد والاحتشام ومخاطباتهم للمؤلف المقتبسين حلها عام سبعة وثلاثين وألف وشاهد برق فضلها المبين وشام

(الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق المهتدين في

خمسا وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة خلت من أيامه ثم للعالم أربعة آلاف سنة ٩٠ وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن اهو خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا وقيل إنها ابنته وضمت إليها رجلا من سبطه إلى أن قتل أبا زاق أربعين سنة تداولهم رؤساء بني إسرائيل وهم عريب وربيب وبرسونا ودارع وسلماغ سبع سنين وثلاثة أشهر ثم دبرهم كدعون من آل منشا أربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه ابيمالخ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم تولى من آل فراين ثلاثا وعشرين سنة ثم يائير من آل منشا اثنين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم يحشون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ثم عالي الكاهن بعد ذلك أربعين سنة وفي زمانه ظفر البابليون ببني إسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو إسرائيل يستفتحون به فحملوه إلى بابل وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فبقي منهم ثلاثة أسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة

من جزائر البحر وكان لهم خبر طويل ٦٠ حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا الخزر قيل هل رايت قوما اصابهم ما اصابنا فقال

قصدهم اليها بنور الهداية المنير المشرق والاكابر الذين حلوا منها بحلولهم فيها الجيد والمفرق وافتخروا برؤية قطرها الموثق على المشئم والمعرق

(الباب السابع) فى نبذة مما من الله تعالى به على اهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم فى اكتساب المعارف والمعالى ما عز او هان وحوزهم فى ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم واوصافهم المؤذنة بالمعيتهم وغير ذلك من احوالهم التى لها على فضلهم اوضح برهان

(الباب الثامن) فى ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله فى امرها حيل فكره حتى استولى دمره الله عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأى الخبيث فيها واستغاثة اهلها بالنظم والنثر اهل ذلك العصر من سائر الاقطار حين تعذرت بحصارها مع ملوك حماتها وانصارها المآرب والاوطار وجاءها لاعداء من خلفها ومن بين يديها اعادها الله تعالى اليها كلمة الاسلام واقام فيها شريعة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حواليها آمين ولم اخل بابا فى هذا القسم من كلام للسان الدين بن الخطيب وان قل مع ان القسم الثانى بذلك كما ستقف عليه قد استقل وهذا آخر ما تعلق بالقسم الاول وعلى الله سبحانه المتكل والمعول

(القسم الثانى) فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر انبائه التى يروق سماعها ويتأرج نفحها ويطيب وما يناسبها من احوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب

(الباب الاول) فى ذكر اولية لسان الدين وذكر اسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع اخلافه وما يناسب ذلك مما لا يذهب المنصف الى خلافه

(الباب الثانى)* فى نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه المجن على عادته فى مصافاته ومنافاته وارتباكه فى شباكه وما لقى من احن الحاسدين ذى المذهب الفاسد ومحن الكائد المستاسد وآفاته وذكر نصوص من احواله وغير ذلك من احواله فى تقلباته عندما قابله الزمان باهواله فى بدئه واعادته الى وفاته

(الباب الثالث) فى ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة وما يتصل بذلك من الاخبار الشافية للعلة والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة والمناسبات الواضحة البراهين والادلة

(الباب الرابع) فى مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العلية وثناء غير واحد من اهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم انوار رياسته الجلية

(الباب الخامس) فى ايراد جملة من نثره الذى عبق اريج البلاغة من نفحاته ونظمه الذى بالغ فى نور البراعة من لمحاته وصفحاته وما يتصل بذلك من بعض ازجاله وموشحاته

لولا سمعت بقوم فروا من الله فرار كم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة ايام حتى تواعى آخرهم ودبر بنى اسرائيل بعد عيلام الكاهن شمويل بن برخال ابن ناحور اوتى فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح امرهم ثم خلطوا بعد ذلك فطلبوا الى شمويل ابعث لنا ملكا يقاتل معنا فى سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر بن ابنال بن ظرور بن بحرون بن اذيح بن سميداح بن فالح بن بنيامين ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل من مصر الى ان ملك على بنى اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل فى كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم واخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية ومناسبات

ومناسبات رائقة من فنون الادب ومصطلحاته

(الباب السادس) فى مصنفاته فى الفنون ومؤلفاته المحققة للوقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

(الباب السابع) فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه والمقتبسين انوار الفهوم من سراجه الوهاج

(الباب الثامن) فى ذكر اولاده الراقين فى حلل الجلالة المقتفين اوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والحلم والرياسة والمجد عن غير كلالة ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا المنقذة من أنواع الضلالة ومايتبع ذلك من المناسبات القوية والامداح النبوية التى لها على حسن الختام اظهر دلالة (وقد كنت) اولاسميته بعرف الطيب فى التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمته حين ألحقت اخبار الاندلس به (بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وله بالشام تعلق من وجوه عديدة هادية لمتامله الى الطرق السديدة أولها أن الداعى لتاليفه أهل الشام أبقى الله مآثرهم وجعلها على مر الزمان مديدة ثانيها أن الفاتحين للاندلس هم أهل الشام ذوو النجدة والشوكة الحديدة ثالثها أن غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستانفا وحضرة جديدة ورابعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها فى القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء وهذه مناسبة قوية العرا شديدة * هذا وانى أسال ممن وقف عليه أن ينظر بعين الاغضاء اليه كما أطلب ممن كان السبب فى تصنيفه والداعى الى تاليفه وترصيفه استنادا الى ركن الثقة واعتمادا على الود والمقة ان يصفح عما يراه من القصور ويسمح ويلاحظه بعين الرضا الكليلة ويلمح اذ ركبت شكل منطقه من غالبة وقضية الغربة موجبة للكربة وبعض الآمال سالبة وهو فى بكل الغرض فلا يخلو من فائدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض فان أديت لى بذلك المرام الذى أرتضيه ويوجب الود ويقتضيه والا فحسبى أن بذلت به جهدى من وجدى على قدر ماعندى وقد توهمت أنى لم أسبق الى مثله فى بابه اذ لم أقف لنظير أتعلق باسبابه ورجوت أن يكون هدية مستملحة مستعذبة وطرفة مقبولة مستغربة

هديتى تقصر عن همتى * وهمتى أكثر من مالى
وخالص الود ومحض الاخا * أكثر مايهديه امثالى

وأوردت فيه من نظم وانشاء مايكفى المقتصر عليه ان شاء ومن اخبار ملوك ورؤساء وطبقات من احسن اواساء مافيه اعتبار للمتامل وادكار للراحل المتحمل وزينة للذاكر المتجمل وتنكيت على أهل البطر وتبكيت لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة الوطر

ارى اولاد آدم ابطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا واوّلهم منى * اذا نسبوا وآخرهم منيه

ثم ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وكان مدة مامكث التابوت ببابل عشر سنين فتجمعوا عند النهر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بنى اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وهو جالوت بن بالول بن ديال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بنى اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببنى اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عزوجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك فى كتابه وأمروا كيف يشربون من النهر وولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان فى مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عزوجل بذلك فى كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذى كان فى مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهى التى قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا فى الماء

وخالفوا ما أمروا به كان القائل لهم طالوت وقد أنبأنا على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من هذه الحروب وخبر الدهر ... وما كان من حرب ... ذكرناه في كتابنا في أخبار الرسل و... بعد هذه الجملة من ... البربر و... في البلاد في موضع اللائق بها من هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واخمل ذكر طالوت ورأى طالوت أن يفي لداود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه بابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فمات طالوت فجمع الله لداود من ذلك ... ملك بنى اسرائيل الى داود عليه السلام وكان ملك طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذى قتل فيه جالوت بيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل مدائن من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة

وفيه ايقاظ لمثلى من سنة الغفلة وحث على عدم الاغترار بأهله وتنبيه للابس برد الشباب والمشيب انه لابد من حادث الموت قبل أو بعد المشيب

لله در الشيب من واعظ * وناصح منهاجه واضح

كل امرئ يحجبه شانه * وحادث الدهر له فاضح

وكم باك على عصر الشباب وشاك افتراق عهد الاتراب والاحباب أنساه طارق الزمان لمى والرباب

مضى عصر الشباب كلمح برق * وعصر الشيب ما الا كدار شيبا

وما اعددت قبل الموت زادا * ليوم يجعل الولدان شيبا

وما احسن قول بعض الاعلام

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث احلام

ويقول من ارشد سفيها

انما هذه الحياة متاع * فالجهول الجهول من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى انت فيها

وفي معناه لغيره

دنياك شيئان فانظر * ماذانك الشيئان

ما فات منها فحلم * وما بقى فأماني

وما احكم قول ابن حطان مع وقوعه من البدعة فى أشطان

يا اسف المرء على ما فاته * من لبانات اذا لم يقضها

وتراه ضاحكا مستبشرا * بالذى امضى كأن لم يمضها

انما الدنيا كأحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

ولغيره

والله لو كانت الدنيا باجمعها * تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا

ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

ولآخر

لاحظ فى الدنيا لمستبصر * يلمحها بالفكرة الباصره

ان كدرت مشربه ملها * وان صفت كدرت الآخره

ويعجبني قول الوزير ابن المغربي

انى ابثك من حديثى والحديث له شجون

فارقت موضع مرقدى * ليلا ففارقني السكون

قل لى فأول ليلة * للقبر كيف ترى اكون

وقول مامية

تأمل فى الوجود بعين فكر * ترى الدنيا الدنية كالخيال

ومن فيها جميعا سوف يفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وقول بعض العارفين

استعدي يا نفس للموت واسعي * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحي * خلود وما من الموت بد
انما أنت مستعيرة ما سو * ف تردين والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا تسـ * ـهو وتلهين والمنايا تجد
أي ملك في الارض أو أي حظ * لامرئ حظه من الارض لحد
لا ترجي البقاء في معدن المو * ت ودار حتوفها لك ورد
كيف يرجو امرؤ لذاذة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

وأسأل من مبلغ السائلين ما يرجون أن يصفح عن زلاتي ويسامحني فيما أوردت في هذا الكتاب من الهزل والمجون الذي جرت المناسبة اليه والحديث شجون وما القصد منه الا ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الاسمار ويزجون وفيما أوردت من المواعظ والمصالح وحكايات الاولياء الذين طيب زهر مناقبهم فائح والتوسل بمحاسن الامداح النبوية أن يستر بفضله سبحانه القبائح ويرينا وجه القبول بلا كتام ويمنحنا الزلفى وحسن الختام ومن يتوسل بالنبي محمد شفيع البرايا السيد السند الاسنى فذلك جدير أن يكفر ذنبه ويمنح نيل القصد والختم بالحسنى وهذا أوان الشروع في الاصول من هذا الكتاب والفروع وعلى الله سبحانه أعتمد ومن معونته استمد

(القسم الاول)

فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب والانباء المنتجعة صوب الصواب النائلة من الافادة في سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في ذلك من المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول)

في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بنافع أنوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من أضوائها فأقول محاسن الاندلس لا تستوفى بعبارة ومجاري فضلها لا يشق غباره وأنى تجاري وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق (قال ابن سعيد) انما سميت بالاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها واليه تنسب سبتة (قال) وأهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لانهم اما عرب او متعربون انتهى (وقال ابن غالب) انه اندلس بن يافث والله تعالى أعلم (وقال الوزير) لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له اجرى فيه ذكر البلاد الاندلسية أعادها الله تعالى للاسلام ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ما نصه خص الله تعالى بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة

سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بختنصر وما يكون من أمره في المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أثور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة باورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس اعلى منه في هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المتقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية أوريا بن حيان ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدا والخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها ساجدا باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة وثلثا

الناس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الانسان ونبل الأذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الاقاليم مما سواها انتهى (قال أبو عامر السلمي) في كتابه المسمى بدرر القلائد وغرر الفوائد الاندلس من الاقليم الشامي وهو خير الاقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو أوسط الاقاليم وخير الامور أوساطها انتهى (قال أبو عبيد البكري) الاندلس شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائها اهوازية في عظم جباياتها صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والاثر في مدينة طركونة الذي لا نظير له (قال المسعودي) بلاد الاندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع ستين يوما للفارس المجد وانتقد بأمرين أحدهما أنه يقتضي أن اربونة داخلة في جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثاني ان قوله ستين يوما للفارس المجد اعياء وافراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف (قال ابن سعيد) وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الحجاري وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة أفضى الى نحو شهر بنيف قليل (قال الحجاري) في موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجز الى اشبونة الف ميل ونيف اه وبالجملة فمراد الغريب من غير مشاحة كما قاله ابن سعيد واطال في ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة الحاجز الذي بين بحر الزقاق والبحر المحيط اربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند رأسها من جهة الشرق ولقلته سميت جزيرة والا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس في موسطها عند طليطلة ستة عشر يوما واتفقوا أن جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في اربونة فمن قال انه في اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينة برذيل التي في الركن الشمالي احمد بن محمد الرازي وابن حيان وفي كلام غيرهما انه في جهة اربونة وحقق الشريف وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الاسفار برا وبحرا اليها وتفرغه لهذا الفن (قال ابن سعيد) وسألت جماعة من علماء هذا الشان فاخبروني أن الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة غير داخلتين في ارض الاندلس وان الركن الموفي على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطركونة في موضع يعرف بوادي زنلقطو وهنالك الحاجز الذي يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفي هذا المكان جبل البرت الفاصل في الحاجز المذكور وفيه الابواب التي فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخل ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر وذكر الشريف أن هذه الابواب يقع في مقابلتها ببحر الزقاق البحر الذي بين جزيرتي ميورقة ومنورقة وقد اخبر بذلك

سليمان بن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه في قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عزوجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ابنه سليمان وقبض وكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين ألفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب بأس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا من الله عزوجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا في الارض مظهرا للحكمة والزهد في هذا العالم الى أيام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وعم عدله رعيته واستقادت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله عزوجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القمامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس

جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن
الشمالي أربعون ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل وهي من مدن
الافرنجة مطلة على البحر المحيط في شمال الاندلس ولو يتفق للبر بعده بهذا الركن
الى الشمال في بلاد الافرنجة ولهم به جزائر كثيرة وذكر أن الركن الشمالي عند شنت ياقوه
من ساحل الجلالقة في شمال الاندلس حيث تبتدئ جزيرة برطانية الكبيرة وتنصرف منها
بحر داخل بين أرضين من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط ذاهبا الى
الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل (وذكر الشريف) أن عند شنت ياقوه في هذا
الركن المذكور على جبل يجمع البحرين صنما مشبها بصنم قادس والركن الثالث
غربيه من جبل الاغر حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من غربيه مع جنوبيه بحر
الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى جبل البرت المذكور انتهى
والكلام في مثل هذا طويل الذيل *(قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي) بلد
الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة
خصب الجناب منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام ذوات السموم معتدل
الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وسطة من
الحال لا يتولد في أحدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص تتصل فواكهه أكثر الازمنة
وتدوم متلاحقة غير مفقودة أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره وأما الثغر
وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمره فمادة الخيرات بالبلد متمادية
في كل الاحيان وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان وله خواص في كرم النبات
توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره منها أن المحلب وهو المقدم
في الافاوية والمفضل في أنواع الاشنان لا ينبت بشيء من الارض الا بالهند والاندلس
وللاندلس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها
البر والبحر والسهل والوعر وشكلها مثلث وهي معتمدة على ثلاثة أركان الاول
الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي
الذي يقبل الاندلس والركن الثاني هو شرقي الاندلس بين مدينة نربونة ومدينة برديل
مما بأيدي الفرنجة اليوم بازاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط
والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض
الكبيرة التي بلاد افرنجة ومسافة ما بين البحرين مسيرة يومين ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط
والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على البحر
وفيها الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية قال والاندلس
اندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان انهارها أندلس غربي
وأندلس شرقي فالغربي منهما ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية
ومبدؤه من هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف الى بلد شنت برية طالعا الى
حوز اغريطة المجاورة لطليطلة مائلا الى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة

منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون أن فيها قبر داود
عليه السلام وأعطى الله
عز وجل لسليمان عليه
السلام من الملك ما لم يعطه
لاحد من خلقه وسخر له
الجن والانس والطير
والريح على حسب ما ذكر
الله عز وجل في كتابه
وكان ملك سليمان بن داود
على بني اسرائيل أربعين
سنة وقبض وهو ابن اثنين
وخمسين سنة والله ولي
التوفيق

*(ذكر ملك رحبعم
ابن سليمان بن داود عليهما
السلام ومن ملك من بني
اسرائيل وجمل من اخبار
الانبياء)*

وملك على بني اسرائيل بعد
سليمان بن داود عليهما
السلام ملك بن رحبعم بن
سليمان واجتمعت عليه
الاسباط ثم افترقوا عنه
الا سبط يهوذا وسبط بنيامين
وكان ملكه الى أن هلك
سبع عشرة سنة وملك على
العشرة اسباط (نورهم)
وكانت له كرائن وحروب
واتخذ له عجلا من الذهب
والجوهر واعتكف على
عبادته فأهلكه الله عز
وجل فكان ملكه عشرين
سنة وملك بعده (نودم)
فاظهر عبادة الاصنام
والتماثيل وكان ملكه
سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم ينج منهم الا غلام

الخامس الذي من الدلو ويسمونه الجزء الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى وتجري أوديته الى المشرق وأمطاره بالريح الشرقية وهو من حد جبل البشكنش هابطا مع وادي ابرة الى بلد شنتمرية وما في جوف هذا البحر وغربه المحيط وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج الى بلاد الشام وهو البحر المسمى بحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام بلاد الاندلس عند علماء أهلها اندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط المنصب عن اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة والاندلس الغربي ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقي منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربي يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وجبالها هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل وانما قسمته الاوائل جزءين لاختلافهما في حال أمطارهما وذلك أنه متى استحكمت الريح الغربية كثر مطر الاندلس الغربي وقحط الاندلس الشرقي ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الاندلس الشرقي وقحط الغربي وأودية هذا القسم تجري من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبلا بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصب كلها الى البحر المحيط بالاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوفي الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فان اوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف (وصفة الاندلس) شكل مركن على مثال الشكل المثلث ركنها الواحد فيما بين الجنوب والغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنها الثاني في بلاد جليقية حيث الصنم المشبه بصنم قادس مقابل جزيرة برطانية وركنها الثالث بين مدينة اربونة ومدينة برديل من بلاد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلاد الاندلس جزيرة بينهما في الحقيقة لولا أنه بقي بينهما برزخ الى صحراء وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة التي وبعض الابواب ومن قبله يتصل بلاد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة وجمعت اختلافه قال واول من سكن بالاندلس على قديم الايام فيما نقلته الاخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالاندلش معجمة الشين بهم سمي المكان فعرب بعد بالسين المهملة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرا على دين التمجس والاهمال والافساد في الارض ثم أخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها وغارت عيونها ويبست أنهارها وبادت أشجارها وهلك أكثرهم وفر من قدر على الفرار منهم فأقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة وذلك من حد بلاد افرنجة الى حد بحر الغرب الاخضر وكان مدة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها بعد ابادة الله المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا

فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعله فقتلوه ا ٦٦ وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذي بقي من نسل داود فملك وله سبع سنين فاقام ملكا اربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (امليصا) وكان ملكه اثنين وخمسين سنة وكان في عصره (شعياء) النبي ولشعياء اخبار وكانت الحروب قد اتينا على ذكرها في كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوفا) ابن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (احام) فاظهر عبادة الاصنام فطغى واظهر البغي فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعيس وكان من عظماء ملوك بابل ويذكر للاسرائيلي معه حروب الى ان اسره البابلي وخرب مدن الاسباط وسباهم وكان في ايامه تنازع بين اليهود في الديانة فتميزت الاسامرة وانكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وابوا ان يكون بعد موسى نبي ورجعوا الرؤساء منهم من ولد هرون بن عمران والاسامرة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعرا وهي بين ارملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس واكثرهم بهذه المدينة اعني نابلس ولهم جبل يقال له طور يك وللاسامرة ... منهم

منهم لا محالة توالى على أهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم جملة في السفن مع قائد من قبله يدعى ابطريقس فأرسوا بريف الاندلس الغربي واحتلوا بجزيرة قادس فصاروا الى الاندلس وقد امطرت واخصبت فجرت انهارها وانفجرت عيونها وحييت اشجارها فنزلوا الاندلس مغتبطين فسكنوا ساحلها معمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا في عمارة الارض ما بين الساحل الذي أرسوا فيه بغربيها الى بلد الافرنج من شرقيها واقاموا عليهم ملوكا منهم ضبطوا أمرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على ديانة من قبلهم من الجاهلية وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من ارض اشبيلية ابتنوها وسكنوها فاستمر ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخمسين عاما الى ان أهلكهم الله تعالى وسلط عليهم عجم رومة بعد ان ملك من هؤلاء الافارقة فيما عدهم احد عشر ملكا ثم صار ملك الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية وذكر بعضهم ان اسمه اشبهان فأحيل بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب اسمها عليه وهو الذي بنى اشبيلية وكان اشبانية اسما خاصا بالبلد اشبيلية الذي كان ينزله اشبان هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كله فالعجم الآن يسمونه اشبانية لآثار اشبان هذا فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة بعد ما سلطه الله عليهم في جموعه ففض عساكرهم وأثخن فيهم ونزل على طالقة وقد تحصنوا بها منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتحها الله له ووالهم واستوثق له مملكة الاندلس بأسرها ودان له من بها فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار مملكته واستفحلت سلطنته في الارض وكثر جموعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايلياء وهي القدس الشريف من اشبيلية بعد سنتين من ملكه خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق مائة ألف ونقل رخام ايلياء وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتد سلطانه (وذكر بعض المؤرخين) أن الغرائب التي أصيبت في مغانم الاندلس أيام فتحها كمائدة سليمان عليه الصلاة والسلام التي ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وقليلة الدر التي ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف الذخائر انما كانت مما صار لاشبان من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحها مع بختنصر وكان اسم ذلك الملك ... ريان وفي سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت الجن تأتي به نبي الله سليمان على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى (وقال غير واحد من المؤرخين) كان أهل المغرب الاقصى يضرون باهل الاندلس لاتصال الارض ويلقون منهم الجهد الجهيد في كل وقت الى أن اجتاز بهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فاحضر المهندسين وحضر الى الزقاق فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير فامر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة

... الصلوات في اوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند اوقات الصلاة وهم الذين يقرؤون لا مساس ويزعمون ان بابل هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب النبي عليه السلام وهم لا شرائع لهم وهم صنفان منهم يقال لهم كتابيون لا أثر لهم ويهود واحد الصنفين يقال له الكوشان والآخر الدوستان احد الصنفين يقول بقدم العالم وسعان غير ذلك أعرضنا عن ذكرها مخافة التطويل وان كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحل وكان ملك اجام الى ان اسره الملك الثاني سبع عشرة سنة ولما أسر الملك اجام ولده ولد يقال له (حزقيل اجام) فاظهر عبادة الرحمن وأمر بكسر التماثيل والاصنام وفي مملكته سار (سنجاريب) ملك بابل الى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بني اسرائيل وقتل من اصحابه خلق كثير وسبى من الاسباط عددا كثيرا وكان ملك حزقيل الى ان هلك سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعد حزقيل ولده يقال له (ميشا) فعم شره سائر مملكته وهو الذي قتل شعياء النبي فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار اليه في الجيوش فهزم جيشه وأسره فاقام في ارض الروم عشرين سنة واقلع عما كان عليه وعاد الى ملكه وكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولده يقال له (أمون) بن ميشا

التى كانت بين البحرين وبنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل فى البحر الشامى ثم فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة وأهلك امما عظيمة كانت على الشطين وطفا الماء على الرصيفين احدى عشرة قامة فاما الرصيف الذى يلى بلاد الاندلس فانه يظهر فى بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذى من جهة العدوة فان الماء حمله فى صدره واحتفر ما خلفه من الارض اثنى عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه والعذر بين لارتباط الكلام بعضه ببعض (وقال ابن سعيد) ذكر الشريف أن لا حظ لارض الاندلس فى الاقليم الثالث قال ويمر بجزيرة الاندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبى وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما فى سمتها من الجزائر والشمس مدبرته * والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما فى سمتهما الى بلاد أرغون التى فى جنوبها برشلونة ثم يمر على رومية وبلادها ويشق بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبرته الزهرة * والسادس يمر على ساحل الاندلس الشمالى الذى على البحر المحيط وما قاربه وبعض البلاد الداخلة فى قشتالة وبرتقال وما فى سمتها وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ومدبره عطارد ويمر الاقليم السابع فى البحر المحيط الذى فى شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة وغيرها من الجزائر وما فى سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البيهقى وفيه تقع جزيرة تولى وجزيرتا اجبال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة فى الشمال والبلغار ومدبره القمر انتهى (وقال بعض العلماء) ان النصارى حرموا جنة الآخرة فاعطاهم الله جنة الدنيا ستانا متصلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شاه البلوط والبندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون اكثر وأمكن فى الاقاليم الباردة ورب عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكر وربما يكون شئ من ذلك فى الساحل لان البحر يدفئ انتهى (قال ابن حيان فى المقتبس) ذكر رواة العجم ان الخضر عليه السلام وقف على اشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدن له ايام حراثته فقال له يا اشبان لذو شان وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان فاذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبياء فقال له اشبان أساخر بى رحمك الله أنى يكون هذا منى وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلى ينال السلطان فقال له قد قدر ذلك فيك من قدر فى عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد أورقت فريع لما رأى من الآية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام بخلده ووقرت فى نفسه الثقة بكونه فترك الامتهان من وقته وداخل الناس وصحب اهل الباس منهم وسما به جده فارتقى فى طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما أتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشرين سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده الى

فانهزم الضيان وكفر بارمياء وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر فى الجيوش فانهزم الضيان واسره ومضى به الى مصر فمات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك وملك بعده اخ له يقال له (نوفين) وهو ابو دانيال عليه السلام وفى عصره زال الملك سار البختنصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان ببلخ وكانت نصبة الملك فامعن البختنصر فى القتل لبنى اسرائيل والاسر وجلاهم الى ارض العراق واخذ التوراة وما كان فى بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه فى بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبى من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألفا وفى هذا العصر كان (أفدسنا) النبى عليه السلام وسار بختنصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وفتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بنى اسرائيل فاولدها ولدا فرد بنى اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زريايل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور ان

ن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومة امة يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن بيطه وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اتوا الاندلس من قبل رومة وكانوا يملكون افريجة معها ويبعثون عمالهم اليها فاتخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل ملكهم بها مدة الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات أمة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ من صاحب رومة وتفردوا بسلطانهم واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم فبقي باشبيلية علم الاشبانيين وربانية اوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين في الارض يدعون الخلق الى ديانته فاختلف الناس عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان من اسرعهم اجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشندش ملك القوط تنصر ودعا قومه الى النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخير من تنصر من ملوكهم واجمعوا على انه لم يكن فيهم اعدل منه حكما ولا أرشد رأيا ولا احسن سيرة ولا اجود تدبيرا فكان الذي اصل النصرانية في مملكته ومضى اهلها على سنته الى اليوم وحكموا بها والانجيلات في المصاحف الاربعة التي يتطلعون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقت ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان غلبتهم العرب عليها واظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الاديان (فوقع في تواريخ العجم القديمة) ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اثاناوينوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصري لمضي اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم الى عهد لذريق آخرهم الذي ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصفر وهو الذي دخلت عليه العرب فازالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وان مدة ايام ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنتان وأربعون سنة انتهى (وقال جماعة) ان القوط غير الاشبانيات وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار ملكهم ماردة واتصل ملكهم الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل عليهم القوط واتخذوا طليطلة دار مملكة وان أول من تنصر من ملوكهم خشندش مثل ما تقدم ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون (وذكر الرازي) أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى (وذكر الرازي) في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه ان الاندلس في آخر الاقليم الرابع الى المغرب ... الاقاليم السبعة التي تقدم ذكرها التي هي ربع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة مخصبة الناعة منبجسة العيون الثرار منفجرة الانهار الغزار قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء أكثر الازمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان وكذا سائر فصولها في اعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر بباكوره كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل اوان ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد المتقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار وبها شجر الخلاف

فاقام هذا الملك على عمارة أرضهم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع ما كان نافعا لهم في حال الناس والسامرة تزعم ان التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أوردها موسى ابن عمران عليه السلام وان تلك حرفت وبدلت وغيرت وان الحق دونها هذا الملك لانه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في ايدي السامرة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستة وأربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بختنصر وهو الذي ردهم ومن عليهم وفيه نظر (ودبر اسمعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام) ونبأه الله عز وجل وأرسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان فآمن طائفة منهم وكفر اكثرهم وولد اسمعيل اثنى عشر ذكرا وهم نابت وقيدار وأربل ومبسم ومسمع ودوما ودوام ومسا وحداد وتيم وقطورا ونافش وكانت وصية ابراهيم الى ابنه اسمعيل عليه السلام ووصى اسمعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده

المعروف بالافاويه المقدم من انواع الاشنان كثير واسع وقد زعموا أنه لا يكون الا بالهند وبها فقط وهما دراسن نباتيه يكثر تعداده انتهى (وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال) يوجد في ناحيته دلايه من اقليم البشرة عود لا يحوج لا يفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحة وقد سيق منه الى خيران الصقلى صاحب المرية وان اصل منبته كان بين أحجار هنالك وباكشونبه جبل كثيرا ما تقوع رائحته ريح العود الذكى اذا ارسلت فيه النار وبجر شذونه يوجد العنبر الشبيه الغربى وفى جبل منت ليون الخلب ويوجد بالاندلس القسط الطيب والسنبل الطيب والجنطيانا يحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقار رفيع والمر الطيب بناحيته اوب واطيب كهرباء الارض بشذونه درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة واطيب القرمز قرمز الاندلس واكثر ما يكون بنواحى اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحيته لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد وقد يوجد فى غيره او فى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد بجبل شحيران وهو شرقى بيرة وحجر الجادى يوجد بناحية مدينة الاشبونة فى جبل هنالك يتلألأ فيه ليلا كالسراج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة الا انه دقيق جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانة فى خندق يعرف بقرية باشرة أشكالا مخلقة كأنه مصبوغ حسن اللون صبور على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد فى كورة تدمير وحجر الشادنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل ذلك فى التذهيب وحجر اليهودى فى ناحية حصن البونت وهو انفع شئ للحصاة وحجر المرقشيثا الذهبية فى جبال ابدة لا نظير لها فى الدنيا من الاندلس تحمل الى جميع الآفاق لفضلها والمغنيسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة الا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية يلتقط منه فى اقل من شهر نحو ثمانين ربعا ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير ويجمع ايضا فى ساحل الاشبونة ومعادن الفضة فى الاندلس كثيرة فى كورة تدمير وجبال جمة بجانة وباقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونية معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة وله معادن بناحية افرنجة وليون ومعدن الزئبق فى جبل البرانس ومن هنالك يتجهز الى الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة وهى ازكى توتيا واقواها فى صبغ النحاس وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل الشبيه بالاصفهانى بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من ان تحصى وما ذكرت هنا وان تكرر بعضه مع ما سبق او يأتى فهو لجمع النظائر وما لم نذكره اكثر والله تعالى اعلم (ومن خواص طليطلة) ان حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذى يعم البلاد ويتجهز به الرفاق الى الآفاق وكذلك الصبغ السماوى انتهى (وقال المسعودى) فى مروج الذهب بعد كلام ما نصه والعنبر كثير ببحر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى قرطبة

قاثث بن اسمعيل عليه السلام الى منهج اسمعيل وملته وقيل ايضا انه كان وصى ابيه اسمعيل عليه السلام وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهما السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير ويونس واشعياء وزكريا والياس واليسع ويونس وذى الكفل والخضر وروى ابن اسحق انه ارمياء وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت ايشاع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح عليهم السلام وهو عمران بن ماثان بن يعاميم من ولد داود ايضا واسم ايشاع ومريم حنة وقد لزكريا يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فقتلوه وكان لما احس بهم لجأ الى شجرة فدخل فى جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت ايشاع ابنة عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل فقام فيهم بامر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الأحداث فى بنى اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا

قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشدونة تبلغ الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادى وتباع بمصر اوقيته بعشرين دينارا وهو عنبر جيد ويمكن ان يكون هذا العنبر الواقع الى بحر الروم ضربته الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء وبالاندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز الى سائر بلاد الاسلام والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرر مع ماذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى اعلم (وذكر البعض) ان فى بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهى الرصاص من زحل والقصدير الابيض من المشترى والحديد من قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزئبق من عطارد والفضة من القمر (وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بالرقيق بلد الاندلس) فقال اهله اصحاب جهاد متصل بحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امة يدعون الجلالقة يتاخمون حوزتهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالحرب متصلة بينهم مالم تقع هدنة ويحاربون بالافق الشرقى امة يقال لهم الفرنجة هم اشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم اذ كانوا اخلقا عظيم فى بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة العمارة آهلة تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجلالقة واشد باسا واحد شوكة واعظم امدادا وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم فى الديانة فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بارضهم وفى ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلم الحذاء قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة (قال ابن سعيد) ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربى بمكان ثم يله الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدار عرضه هنالك (ثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصر مصمودة بالقرب من سبتة (وذكر) كانت القنطرة التى يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الاندلس الى بر الجزيرة ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب المجاز لانه مجمع البحرين لاتزال الامواج تتطاول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذى عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك الى ميناسبتة ومن هنالك ياخذ البحر فى الاتساع الى ثمانمائة ميل وأزيد ومنتهاه مدينة صور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر (قال بعضهم) انها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرهما انتهى وبعضه بالمعنى (وقال بعضهم) عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة ما صورته ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى مالاذرع له ولانهاية (وقال بعضهم) وكان مبلغ خراج الاندلس الذى كان يؤدى الى ملوك بنى امية قديما ثلثمائة ألف دينار دراهم اندلسية كل سنة قوانين وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم

من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس ٧١ وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم بنت عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته فى يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ماذكره الله عز وجل فى كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان ايشوع الناصرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الاردن فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه فى بعض الايام كان يقرأ فى سفر اشعياء اذ نظر فى السفر الى كتاب من نور فيه أنت نبيى وخالصتى اصطفيتك لنفسى فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله فى ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة

فيها اعضاء الموتى يسيل منها ريب نحس ٧٢ كالرب تتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين

وجاوز ثلثه من ذلك مائة ألف دينار ويتفقون في أمورهم ونوائبهم ويؤدون أعطياتهم مائة ألف دينار ويدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار انتهى (وذكر غيره) أن الجباية كانت بالاندلس أيام عبد الرحمن الاوسط ألف ألف دينار في السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر (وقال قاضي القضاة) ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير ما صورته كان هذا القطر الاندلسي من العدوة الشمالية من عدوتي البحر الرومي وبالجانب الغربي منها يسمى عند العجم الاندلوش وتسكنه أمم من افرنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالقة وكان القوط قد ملكوه وغلبوا على أهله لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الافرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وماردة وأقاموا كذلك نحوا من أربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة لملوكهم كما أن جرجير سمة لملوك صقلية انتهى (ومن أشهر بلاد الاندلس) غرناطة وقيل ان الصواب اغرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بها (وقال القلقشندي) أما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض ونهر شنيل لكفاها (وفي بعض كلام لسان الدين) ما صورته وما لمصر تفخر بنيلها وألف منه في شنيلها يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل وفيها قيل

غرناطة ما لها نظير * ما مصر ما الشام ما العراق
ما هي الا العروس تجلى * وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق لان جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الانهار وكثرة الاشجار حكاه صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الافرنج على معظم بلاد الاندلس انتقل أهلها اليها وصارت المصر المقصود والمعقل الذي تنضوي اليه العساكر والجنود ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها وفي قبليها جبل شلير وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندي لكن ليس فيه حدائقه انتهى (ومن أعمال غرناطة) قطر لوشة وبها معدن للفضة جيد ومنها أعني لوشة أصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة المشهور بشنيل * (ومن أعمال غرناطة الكبار) * عمل باغة والعامة يقولون بيغة واذا نسبوا اليه قالوا بيغي وقاعدته باغة طيبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه ويجود فيها الزعفران * (ومن أعمال غرناطة) وادي آش ويقال وادي الاشات وهي مدينة جليلة

والله تعالى أعلم وقد ذكر أن مرقس ويوحنا وشمعون ولوقا وبولس هم الحواريون الاربع الذين نقلوا الانجيل فانهم ذكروا مولد عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبره ولده وكيف عمده يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمداني في بحيرة طبرية وقيل في نهر الاردن الذي يخرج من بحيرة طبرية ويجري الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب وأتى من المعجزات وما لاقت اليهود الى أن رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي الانجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم عليهما السلام ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك في كتابه ولا أخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم)

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم من الناس من رأى أنهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فممن ذكر أنه نبي حنظلة بن صفوان وكان من ولد اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وارسل الى أصحاب الرس وكانوا

فد

قد أحدقت بها البساتين والأنهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر وفيها يقول ابو الحسن بن نزار

وادي الاشات يهيج وجدي كلما * اذكرت ما افضت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط * قد بردت لفحاته الانداء
والشمس ترغب أن تفوز بلحظة * منه فتطرف طرفها الافياء
والنهر يبسم بالحباب كأنه * سلخ نضته حية رقشاء
فلذاك تحذره الغصون فميلها * ابدا على جنباته ايماء

(ومن اعمال وادي آش) حصن جليانة وهو كبير يضاهي المدن وبه التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادي آش اثنا عشر ميلا (ومن غرائب الاندلس) ان به شجرتين من شجر القسطل وهما عظيمتان جدا احداهما بسند وادي آش والاخرى ببشرة غرناطة في جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا أمر مشهور قاله ابو عبد الله بن جزي وغيره * وكانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل أناس البيرة اليها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده (وذكر غير واحد) أن في كورة سرقسطة الملح الاندراني الابيض الصافي الاملس الخالص وليس في الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح (قال) وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذي تؤرخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس (وقيل ان موسى بن نصير) شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وحكم أنه لم يشرب بالاندلس أعذب منه وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم * وبمدينة برجة وهي من اعمال المرية معدن الرصاص وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء وهو محدق بالازهار والاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني رحمه الله تعالى

رياض تعشقها سندس * توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربا * لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة * وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا قوله

حط الرحال ببرجه * وارتد لنفسك بهجه
في قاعة كسلاح * ودوحة مثل لجه
فحصنها لك امن * وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها * كعمرة وهي حجه

وبمالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس في الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي حسبما انشده غير واحد منهم

من ولد اسمعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن ٧٣ وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عز وجل فقتلوه فاوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بختنصر بسير اليهم فسار اليهم فاتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما احسوا باسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثية له فقال

بكت عيني لاهل الرس * رعويل وقدمان
واسلم من ابي زرع * بكال الحي قحطان

وقد حكي عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذي القرنين وللناس في ذي القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك في كتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الاعصار كانوا فمنهم من زعم أنهم كانوا في زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكر ملوك الروم في هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك

ابن سعيد

ما لقة حييت يا تينها ✽ الفلك من أجلك يا تينها

نهى طبيبي عنه في علتي ✽ ما لطبيبي عن حياتي نهى

وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله

وحمص لاتنس لها تينها ✽ واذكر مع التين زياتينها

وفي بعض النسخ

لاتنس لاشبيلية تينها ✽ واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الاول لان حمص هي اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره (ونسب) ابن جزي في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الاولين للخطيب ابي محمد عبد الوهاب المالقي والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم ✽ وقال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة كثير البركة شهيرها وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه أشجار النارنج البديعة انتهى وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى (وبكورة اشبونة) المتصلة بشنترين معدن التبر وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري (ومن اشهر مدن الاندلس) مدينة قرطبة اعادها الله تعالى للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر (وقد ذكر ابن حيان) أنه بني على امر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ونصه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله انتهى

وفيها يقول بعض علماء الاندلس

باربع فاقت الامصار قرطبة ✽ منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ✽ والعلم اعظم شيء وهو رابعها

(وقال الحجاري في المسهب) كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في الروايه اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من أحسن الانهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالازهار تصدح في جنباته الاطيار وتنعر النواعير ويبسم النوار وقرطاها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وافقاه النعماء والسراء وان كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة أوجهها الحسان فتلك عادته وسل الخورنق والسدير وغمدان وقد أعذر بانذاره اذ لم يزل ينادي بصروفه لا أمان لا أمان وقد قال الشاعر

ومازلت أسمع ان الملو ✽ ك تبني على قدر اخطارها

في الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله ٧٤ من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد ادرك بعض الحواريين فارسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره ثالثة واحراقه واذرائه في دجلة فاهلك الله عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود في كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعواه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعبرانية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته انتهى

انتهى وقال السلطان يعقوب المنصور ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن على لاحد رؤساء اجناده ما تقول فى قرطبة فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله جوفها شمام وغربيها قمام وقبلتها مدام والجنة هى والسلام يعنى بالشمام جبال الوردو يعنى بالقمام مايؤكل اشارة الى محرث الكنبانية ويعنى بالمدام النهر ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لابى عمران موسى بن سعيد العنسى ماعندك فى قرطبة قال له ما كان لى أن أتكلم حتى اسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المفسحة الكبيرة والشوارع المتسعة والمبانى الفخمة المشيدة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لى امير المؤمنين ما أقول (قال ابن سعيد) ولاهلها رياسة ووقار لاتزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم الا ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان أثقلته صاح ماندرى أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيته من اهلها عندى ولاية وانى ان كلفت العود اليها لقائل لايلدغ المؤمن من جحر مرتين انتهى (وقال ابو الفضل التيفاشى) جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابى الوليد بن رشد والرئيس ابى بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة ما أدرى ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى (وحكى) الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابى بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابى بكر المخزومى قال فسالنا من اين فقلنا من قرطبة فقال متى عهدكما بها فقلنا الآن وصلنا منها فقال اقربا الى اشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم راسى وقبله وقال لى اكتب

اقرطبة الغراء هل لى اوبة ** اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربى منك غمامة ** وقعقع فى ساحات دوحاتك الرعد
ليالك اسحار وارضك روضة ** وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابى الحسين بن سراج بقوله

يا سيدى وأبى هوى وجلالة ** ورسول ودى ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها ** بابى الحسين وناده تمويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه ** أهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقى وشكرى مجملا ** ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كانما ** جرت على زهر الرياض ذيولا

أخبر الله عزوجل بذلك فى كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية ودفنا بها منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سلمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك فى خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وحرمهما فى كنيسة هناك قد ذكرناها فى الكتاب الاوسط عند ذكرنا عجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم فى البلاد وسنورد فى هذا الكتاب لمعا من أخبارهم ان شاء الله تعالى فاما أصحاب الاخدود فانهم كانوا فى الفترة فى مدينة نجران باليمن فى ملك ذى نواس وهو القاتل لذى سار وكان على دين اليهودية فبلغ ذانواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد فى الارض وملأها حجرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه فى النار فاتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عزوجل الطفل فقال يا أمه امض على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها فى النار وكانوا

وفى باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د بدرا أبى الحسن ان يكسفا
تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوسفا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومساجدها فى الباب المفرد بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة (ومن اعظم مدن الاندلس اشبيلية) قال الشقندى من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت احسن اهذان ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا تمساح انتهى (ويقال) ان الذى بنى اشبيلية اسمه توليس وانه اول من سمى قيصر وانه لما دخل الاندلس اعجب بساحتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى فى وسط المدينة قصبتين بديعتى الشان تعرفان باخوين وجعلها أم قواعد الاندلس واشتق لها اسما من روميته ومن اسمه فسماها رومية توليس انتهى (وقد تقدم) شئ من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعة بلاد من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ فى فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه (واعلم) ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهى من الكور المجندة نزلها جند حمص ولواؤهم فى الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية ايام الحكم بن هشام الى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار * وفى اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبى وكأنها تريده لم يسمع فى الاخبار ولا رؤى فى الآثار صورة أبدع منها جعلت فى بعض الحمامات تعشقها جماعة من العوام وفى كورة ماردة حصن شنت افرج فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره (ومن عجائب الاندلس) البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهى مربعة منحوتة مستوية الاطراف (وقال بعض من وصف اشبيلية) انها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تل عال من تراب احمر مسافته اربعون ميلا فى مثلها يمشى به السائر فى ظل الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق (وقال صاحب مناهج الفكر) عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يضرب المثل فى الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على

مؤمنين موحدين لا على رأى النصرانية فى هذا الوقت فمضى رجل منهم يقال له دمعليان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشى لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذى يزن واستنجاده الملوك الى أن أنجده انوشروان مما قد أتينا على ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى وهو خالد بن سنان بن غيث بن عبس وقد ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبى أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت فى العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدا كل ذى دين يرد الى الله الاعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها ومابى سدى فاطفأها حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا أنا دفنت فانه سيجئ عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فيضرب قبرى ذلك

ذلك واديها الفرج وناديها البهج وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ويحرز في كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب أحمر طوله من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثناعشر ميلا يشتمل على مائتين وعشرين قرية قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت انتهى * ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام بني عباد خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة وبها ولد المعتمد بن عباد وهي متصلة بكورة ماردة والجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى ابن نصير اذ كان أوّل ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا شهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تحوّن البحر هنالك مستديرا حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة

وأقود قد ألقى على البحر متنه * فأصبح عن قود الجبال بمعزل
يعرض نحو الافق وجها كأنما * تراقب عيناه كواكب منزل

واذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج قال أبو الحسن على ابن موسى بن سعيد أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدي أجز

انظر الى جبل الفتح راكبا متن * فقلت
وقد تفتح مثل الافنان في شكل سرج

(وأما جزيرة طريف) فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في أربعمائة رجل فنزل بهذه الجزيرة في رمضان سنة احدى وتسعين وبعده دخل طارق والله أعلم (ومن أعظم كور الاندلس) كورة طليطلة وهي من متوسط الاندلس وكانت دار مملكة بني ذي النون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة وسماها قيصر بلسانه طليطلة وتأويل ذلك أنت فارح فعربتها العرب وقالت طليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أمية بالثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لانها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بنى اشبيلية أخذها من بيت المقدس وقوّمت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار وقيل انها كانت من زمرد أخضر ويقال انها الآن برومة والله أعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه وقد قيل ان أواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها شيئا كثيرا هذا مما لا يكاد يصدّقه الناظر فيه * وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولنلمّ ببعض منتزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب ان

بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ماهو كائن فلما مات ودفن ورأوا ما قال فارادوا ان ينبشوه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تنسبنا العرب الى نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله احد فقالت كان أبي يقول هذا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من اخباره مما دعوا الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) وممن كان في الفترة وثاب السني وكان من عبد القيس ثم من ... وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت احد من ولده الا تيدفن الا راكبا واسطا على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على احمد انه
رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وألزم طاعته كل من
على الارض من عرب او عجم

وهو اول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذي عظم الله ملاء معصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معدّ وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات

شاء الله تعالى * وطليطلة قاعدة ملك القوطيين وهي مطلة على نهر باجة وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخربت أيام الامير محمد لما عصى عليه اهلها فغزاهم واحتال في هدمها وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس

اضحت طليطلة معطلة * من أهلها في قبضة الصقر
تركت بلا أهل تؤهلها * مهجورة الاكناف كالقبر
ما كان يبقي الله قنطرة * نصبت لحمل كتائب الكفر

وسيأتي بعض اخبار طليطلة (ومن مشهور مدن الاندلس المرية) وهي على ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت في دولة المنصور ابن أبي عامر وولي عليها مولاه خيران فنسبت القلعة اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (وقال بعضهم) كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعتابي والمعاجر المدهشة والستور المكللة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها أفضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألف فيها ابو جعفر بن خاتمة تاريخا حافلا سماه مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية في مجلد ضخم تركته من جملة كتبي بالمغرب والله سبحانه المسؤول في جمع الشمل فله الامر من قبل ومن بعد * ووادي المرية طوله اربعون ميلا في مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مغردة (قال بعضهم) ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر مالا من أهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار أولية وكأنما غربلت ارضها من التراب * ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار انتهى (وقال ابن اليسع) عند ذكره مدينة شنترة ان من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال لي ابو عبد الله البكوري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل بحضرة ابن عباد ان المعتاد عندهم أقل من هذا فاذا ارادوا أن يجيء بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وابقوا منه عشرا أو اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى * وبحصن شنش على مرحلة من المرية التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز ويعرف واديها بوادي طبرنش * وبغربي مالقة عمل سهيل وهو عمل عظيم

فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى وأحكم من قس وأجرى من الذى بذي الغيل من خفان أصبح خادرا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت اما بعد فان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو ارضى من دين أنتم عليه ما لي اراهم يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف وقال ابياتا لا احفظها فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال انا أحفظها يا رسول الله فقال هاتها فقال

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضي الاوائل والاواخر
لا يرجع الماضي ولا * يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني لأرجو ان يبعثه الله امة كثير

كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالاندلس الا منه (ومن كور الاندلس الشرقية تدمير) وتسمى مصر ايضا لكثرة شبهها بها لان لها ارضا يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر وصارت النصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب في قبليها * واعلم أن جزيرة الاندلس اعادها الله للاسلام مشتملة على موسطة وشرق وغرب * فالموسطة فيها من القواعد الممصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام واقطار متسعة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة فمن أعمال قرطبة استجة وبلكونة وبرة ووريدة وغافق والمدور واسطبة وبيانة والبسانة والقصير وغيرها ومن أعمال طليطلة وادي الحجارة وقلعة رباح وطلمنكة وغيرها ومن أعمال جيان ابذة وبياسة وقسطلة وغيرها ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب ولوشة وغيرها ومن أعمال المرية اندرش وغيرها ومن أعمال مالقة بلش والحامة وغيرهما وببلش من الفواكه منبع التين وبالحامة العين الحارة على ضفة واديها * واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الاعلى فمن أعمال مرسية اوريولة ولقنت ولورقة وغير ذلك ومن أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك واما دانية فهي شهيرة ولها أعمال واما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الاعلى ولها مدن وحصون ومن أعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهي أم ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة ومدينتها طرسونة وكورة وشقة ومدينتها تمريط وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايوب ومدينتها بليانة وكورة برطانية وكورة باروشة * واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية ومباردة واشبونة وشلب فمن أعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن اعمال ماردة بطليوس وباجة وغيرها ومن أعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن أعمال شلب شنت رية وغيرها (وأما الجزر البحرية بالاندلس) فمنها جزيرة قادس وهي من أعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاة لان شريشا من اعمال اشبيلية كما مر قال وبيد صنم قادس مفتاح ولما ثار بقادس ابن اخت القائد أبي عبد الله بن ميمون وهو علي بن عيسى قائد البحر ظن ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيأ انتهى وهي اعني جزيرة قادس في البحر المحيط وفي المحيط الجزائر الخالدات السبع وهي غربي مدينة سلا لوح للناظر في اليوم الصاحي الخالي الجو من الابخرة الغليظة وفيها سبعة اصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولها جزيرة برطانية وهي بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه (وقال ابن سعيد) وفيه جزيرة شلطيش وهي آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يحمل مملحا الى اشبيلية وهي من كورة لبلة مضافة الى عمل أونبه انتهى (وقال بعضهم) لما اجرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس ان الزرع في بعض أقطارها يكتفي بمطرة واحدة وبها أقواس

(قال المسعودي) ولقس اشعار كثيرة وحكم وأخبار مع قيصر في الطب والزجر والفال وانواع الحكم وقد ذكرنا ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط * ومن كان في الفترة زيد بن عمرو ابن نفيل ابو سعيد بن زيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وصار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا * ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها ... وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم في فتية بشرب اذ وقع

من الحجارة المقربصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن أعجب بنائها الدواميس وهي اربعة وعشرون على صف واحد من حجارة مصنعة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة وارتفاع كل واحد اكثر من مائتي ذراع بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها الى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة واحكام بديع انتهى (قلت) أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الاندلس والله أعلم (وقال صاحب مناهج الفكر) عند ماذكر قرطاجنة وهي على البحر الرومي مدينة قديمة بقي منها آثارها فحص طوله ستة أيام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى وذكر قبل ذلك في لورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتي ميورقة ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبانة

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه حلة ريشه الطاوس
فكانما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤس

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت

وغمرت بالاحسان ارض ميورقه * وبنيت ما لم يبنه الاسكندر

وجزيرة يابسة * واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ولو تتبع لكان تأليفا مستقلا وما أحسن قول ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
واذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقال بعضهم في طليطلة

زادت طليطلة على ما حدثوا * بلد عليه نضرة ونعيم
الله زينه فوشح خصره * نهر المجرة والغصون نجوم

ولا حرج ان أوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بحر صفوان بن ادريس الامير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانه مناسب (ونصه) مولاي امتع الله ببقائك الزمان وابناءه كما ضم على حبك احناءهم واحناءه وأوصل لك ما شئت من المنن والامن كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان فانك الملك الهمام والقمر التمام اياملك غرر وحجول وفرند بهائها في صفحات الدهر يجول الدست الرعية برود التأمين فتنافست فيك من نفيس ثمين وتلقت دعوات خلدك لها باليمين فكم للناس من امن بك وايناس وللايام من لوعة فيك وهيام وللاقطار من ابانات لديك واوطار وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويغتبقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون كل حزب بما لديهم فرحون محبة من الله ألقاها لك حتى على الجماد ونصرا مؤزرا تنطق به ألسنة السيوف على أفواه الاغماد ومن

اثنا شنه حتى يموت فقال القوم لنكذبن قوله ثم قال احسوا كاسكم فحسوه فلما انتهت النوبة اليه أغمي عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما
ها أناذا لديكما
أنا من حفت به النعمه
واجهد بالشكر
ان تغفر اللهم تغفر جما
واي عبد لك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد في الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا فمصاري أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من أهل العلم بايام الناس وأخبار من سلف كأبي ذئب والهيثم بن عدي وأبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد ابن السائب الكلبي ان السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم هو ان امية بن أبي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش في عيرلهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى

اسر سر برة ألبسه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجميل اعادتها وابداءها ومن قدم صالحا فلا بد ان يوازيه ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ولما تخاصمت فيك من الاندلس الامصار وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار كلها يفصح قولا ويقول انا احق واولى ويصيخ الى اجابة دعوته ويصغي ويتلو اذا بشر بك ذلك ما كنا نبغي تميزت حمص غيظا وكادت تفيظ فيظا وقالت مالهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويحرصون ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ألهم السهم الاسد والساعد الاشد والنهر الذي يتعاقب عليه الجزر والمد أنا مصر الاندلس والنيل نهري وسمائي التانس والنجوم زهري ان تجار يتم في ذلك الشرف فحسبي ان افيض في ذلك الشرف وان تجعتم باشرف اللبوس فاي ازار اشتملتموه كشنتبوس الى ما شئت من ابنية رحاب وروض يستغني بنضرته عن السحاب قد ملأت زهراتي وهادا ونجادا وتوشح سيف نهري بحدائقي نجادا فانا اولاكم بسيدنا الهمام واحق الآن حصحص الحق (فنظرتها قرطبة شزرا) وقالت لقد كثرت نزرا وبذرت في البحر الاسم بزرا كلام العدا ضرب من الهذيان واني للايضاح والبيان متى استحال المستقبح مستحسنا ومن اودع اجفان المهجور وسنا افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يا عجبا للراكز تقدم على الاسنة وللاثفار تفضل على الاعنة ان ادعيتم سبقا فما عند الله خير وابقى لي البيت المطهر الشريف والاسم الذي ضرب عليه رواقه التعريف في بقيعي محل الرجال الافاضل فليرغم انف المناضل وفي جامعي مشاهد ليلة القدر فحسبي من نباهة القدر فالاحداث يستأثر على بهذا السيد الاعلى ولا ارضى له ان يوطئ غير ترابي نعلا فاقروا لي بالابوة وانقادوا الى حكم البنوة ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة وكفوا عن تباريكم ذلكم خير لكم عند باريكم (فقالت غرناطة) لي المعقل الذي يمتنع ساكنه من النجوم ولا تجري الا تحته جياد الغيث السجوم فلا يلحقني من معاند ضر ولا حيف ولا يهتدي الى حيال طارق ولا طيف فاستسلموا قولا وفعلا فقد افلح اليوم من استعلى لي بطاح تقلدت من جداولها اسلاكا واطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكا ومياه تسيل على اعطافي كادمع العشاق وبرد نسيم يرد دماء المستمير بالانتشاق فحسبي لا يطمع فيه ولا يحتال فدعوني فكل ذات ذيل تختال فانا اولى بهذا السيد الاعدل ومالي به من عوض ولا بدل ولم لا يعطف على عنان مجده ويثني وان أنشد يوما فاياي يعني

بلاد بها عق الشباب تمائمي * واول ارض مس جلدي ترابها

فما لكم تعتزون لفخري وتنتمون وتتأخرون في ميداني وتتقدمون تبرؤا الى مما تزعمون ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * (فقالت مالقة) اتتركوني بينكم همـلا ولم تعطوني في سيدنا املا ولي البحر العجاج والسبل الفجاج والجنات الاثيرة والفواكه الكثيرة لدي من البهجة ما تستغني به الحمام عن الهديل ولا تجنح الانفس الرقاق الحواشي الى تعويض عنه ولا تبديل فما لي لا اعطى في ناديكم كلاما ولا أنشر في جيش فخاركم أعلاما فكأن الامصار رأت فخرتها ازدراء فلم تر لحديثها في ميدان الذكر اجراء لانها موطن لا يخلى منه

المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصاها فقالت ما منعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيه قالوا ومن أنت قالت أم العوام أودعت منذ أعوام أما ورب العباد لتفترقن في البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلي ايابهم وأنفري ركابهم فوثبت الابل وكان كل بعير منها على ذروة ما نملك منها شيأ حتى افترقت في البوادي فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها عادت الى مقالتها ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ألا أطيلي ايابهم وأنفري ركابهم فخرجت الابل ما نملك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل وأمسينا في ليلة مقمرة وقد يئسنا من ظهورنا فقلنا لأمية بن أبي الصلت أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فتوجه الى ذلك الكثيب الذي أتى منه العجوز حتى هبط منه من ناحية أخرى ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض

بطائل ونتس البلاد تأوات فيها قول القائل

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

(فقالت مرسية) أمامى تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تتفقون الصخر ان عدت المفاخر فلى منها الاول والآخر اين أوثالكم من بحرى وخرزكم من لؤلؤ نحرى وجمعتكم من نفثات سحرى فلى الروض النضير والمرأى الذى ماله من نظير ورتقاتى التى سارمثالها فى الآفاق وتبرقع وجه جمالها بغرة الاصفاق فمن دوحات كم لها من بكور وروحات ومن ارجاء اليها تمد أيدى الرجاء فابنائى فيه فى الجنة الدنيوية مودعون يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ولهم فيها ما تشتهى انفسهم ولهم فيها ما يدعون فانقادوا الامرى وحاذروا اصطلاء جمرى وخلوا بينى وبين سيدنا الى زيد والاضربتكم ضرب زيد فانا أولا كم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم وما يلقاها الاذو حظ عظيم *(فقالت بلنسية)* فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع والام التعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح أنا أحوزه من دونكم فأخمدوا نارى تحرككم وهدونكم فلى المحاسن الشامخة الاعلام والجنات التى تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام وبرصافتى وجسرى أعارض مدينة السلام فأجمعوا على الانقياد لى والسلام والافعن وابنانا واقرعوا أسنانا فانا حيث لاتدركون وأنى ومولانا لابهلكنا بما فعل السفهاء منا (فعند ذلك ارتمت جمرة تدمير بالشرار) واستدت أسهمها النحور الشرار وقالت عش رجبا ترعجبا أبعد العصيان والعقوق تتهيأن لرتب ذوى الحقوق هذه سماء الفخر فمن ضمك أن تعرجى ليس بعشك فادرجى لك الوصب والخبل آلآن وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة من ادراك أن نضرنى وما أنت فاعله ما الذى يجديك الروض والزهر أم ما يفيدك الجدول والنهر وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر هل أنت الامحط رحل النفاق ومنزل ما السوق الخصب فيه من نفاق ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع وقراك لا يسمن ولا يغنى من جوع فالام تبرز الاماء فى منصة العقائل ولكن اذكرى قول القائل

بلنسية بينى عن القلب سلوة * فانك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء دارا تقسمت * على صارمى جوع وفتنة مشرك

بيد أنى اسأل الله تعالى ان يوتدمن توفيقك ما خمد ويسيل من تسديدك ما جمد ولا يطيل عليك فى الجهالة الامد واياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا ومولانا الى أفضل عوائده ويجعل مصائب اعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب المشركين ويبقيه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصل له تأييدا وتأبيدا ويمهد له الايام حتى تكون الاحرار لعبيد عبيده عبيدا ويمد على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتأنق عبقا ونشرا ويتألق رونقا وبشرا على حضرتهم العلية ومطالع انوارهم السنية الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته (انتهى) ولما ألم الرحالة ابن بطوطة فى رحلته بدخوله بلاد الاندلس أعادها الله تعالى للاسلام قال فوصلت الى بلاد الاندلس

الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه ٨٣ رفع رأسه الى وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن أين يأتيك صاحبك قلت من أذنى اليسرى قال فبأى الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكلمك فى أذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فاجاءبك وما حاجتك فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى أمية قد برص فى عذاريه ورقبته وصدره واسودنى أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى أن جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها فى أخبار

حرسها

حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن الى ان قال عند ذكره غرناطة ما نصه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها انتهى (وقال الشقندي) غرناطة دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن بها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعية والركونية وغيرهما وناهيك بهما في الظرف والادب انتهى (ولبعضهم) يتشوق الى غرناطة فيما ذكره بعض المؤرخين والصواب أن الابيات قيلت في قرطبة كما مر والله أعلم

أغرناطة الغراء هل لي أوبة * اليك وهل يدنو لنا ذاك المعهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة * وقعقع في ساحات روضتك الرعد
ليالي أسحار وأرضك جنة * وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وقال ابن مالك الرعيني

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته * ذهبت به للانس والليل قد ذهب
ترى الارض منها فضة فاذا اكتست * بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

وهو القائل

لا تظنوا أن شوقي خمدا * بعدكم أو أن دمعي جمدا
كيف أسلو عن أناس مثلهم * قل ان تبصر عيني أحدا

(وغرناطة) من أحسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لانها أشبه شيء بها ويشقها نهر حدرة ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذي لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفا ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفي أعلاه الازاهر الكثيرة وأجناس الافاويه الرفيعة ونزل بها أهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور * وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرخين مائتان وسبعون قرية (وقال ابن جزي) مرتب رحلة ابن بطوطة بعد ذكر كلامه ما نصه قال ابن جزي لولا خشية أن انسب الى العصبية لأطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبي بكر ابن محمد بن شبرين السبتي نزيل غرناطة حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوأ * يسر حزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عندما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا
هي الثغر صان الله من أهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا

انتهى

وقال ابن سعيد عندما جرى ذكر قرية نارجة وهي قرية كبيرة تضاهي المدن قد أحدقت بها البساتين ولها نهر يفتن الناظرين وهي من أعمال مالقة أنه اجتمع في زمرة عليها مع والده أبي عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا في بطن الوادي بين

الزمان وغيره فيما سلف من كتبنا * ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اثبت على ما أنت عليه فوالذي نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولكن ان أدركت ذلك لانصرن الله نصرا يعلمه وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزى بسيئة * ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبي ربيعة وكان من أهل نينوى ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم * ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنيس

متقطعا به خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب وسألوا من يعرف ذلك الموضع فقالوا الطراز فقال والدي اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ثم قال أجز

بشارجة حيث الطراز المنمنم فقلت أقم فوق نهر ثغره يتبسم

فقال وسمعك نحو الهاتفات فانها فقلت لما أبصرت من بهجة تترنم

فقال أيا جنة الفردوس لست بآدم فقلت فلا يك حظي من جنانك التندم

فقال يعز علينا أن نزورك مثل ما فقلت يزور خيال من سليمي مسلم

فقال فلو أنني أعطى الخيار لما عدت فقلت محلك لي عين بمرآك تنعم

فقال بحيث الصبا والطل من نفثاتها فقلت وقت لسع روض فيه للنهر أرقم

فقال فوا أسفي ان لم تكن لي عودة فقلت فكن ما كان لي عليك متمم

فقال فأحسب هذا آخر العهد بيننا فقلت ونديلحظ الرحمن شوقي فيرحم

فقال سلام سلام لا يزال مرددا فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسجم انتهى

(وقال ابن سعيد) ان كورة بلنسية من شرق الاندلس ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب وبها كمثرى تسمى الارزة في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منارة ومسارح ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومنية ابن أبي عامر * وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها

هي الفردوس في الدنيا جمالا * لساكنها وكارهها البعوض

وقال بعضهم فيها

ضاقت بلنسية بي * وذادعني غموضي

رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وفيها لابن الزقاق البلنسي

بلنسية اذا فكرت فيها * وفي آياتها اسنى البلاد

وأعظم شاهدي منها عليها * وأن جمالها للعين بادي

كساها ربها ديباج حسن * لها علمان من بحر وواد

(وقال ابن سعيد أيضا) أنشدني والدي قال أنشدني مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله

كأن بلنسية كاعب * وملبسها سندس أخضر

اذا جئتها سترت نفسها * بأكمامها فهي لا تظهر

وأما قول أبي عبد الله بن عياش بلنسية بيني البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد بلنسية صارت ثغرا يصابحها العدو ويماسيها انتهى (وقال ابو الحسن) بن حريق بجلالة

بلنسية قرارة كل حسن * حديث صح في شرق وغرب

ان ذلك حيث لا دار ... واب ابن عياش

ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة

يذكر لا يلقى صديقا مؤاتيا

ومنهم أبو عامر الاوسي وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج في خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشأم * ومنهم عبد الله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بارض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فتحنا وصأصأتم يريد

فان قالوا محل غلاء سعر * وسقف ديمتي طعن وضرب
فقل هي جنة حفت رباها * بمكروهين من جوع وحرب

وقال الرصافي في رصافتها

ولا كالرصافة من منزل * سقته السحائب صوب الولي
احن اليها ومن لي بها * وأين السرى من الموصلي

(وقال ابن سعيد) و برصافة بلنسية مناظر و بساتين ومياه ولا نعلم في الاندلس ما يسمى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى * ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسبتة يزار رحمه الله تعالى ومن نظمه

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
فما ادخرت الزاد قلت اقصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

ومن عمل بلنسية قرية بطرنة وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسوني

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

ومن عمل بلنسية متيتة التي نسب اليها جماعة من العلماء والادباء * ومن عمل بلنسية مدينة اندة التي في جبلها معدن الحديد واما رندة بالراء فهي في متوسط الاندلس ولها حصن يعرف باندة أيضا * وفي اشبيلية أعادها الله من المتفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنزهاتها وكذلك تيطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل في المتفرجات (وقال ابو عمران) موسى بن سعيد في جوابه لابي يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصر بني عبد المؤمن وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الاندلس الى مراكش ما نص محل الحاجة منه وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الاندلس و بين الوصول الى حضرة مراكش فيكفي الفهم العالي من الاشارة قول القائل

والعز محمود وملتمس * وألذه ما كان في الوطن

فاذا نلت بك السماء في تلك الحضرة فعلى من أسود فيها ومن ذا اضاهي بها

لا رقت لي همة ان لم أكن * فيك قد أملت كل الامل

و بعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس

هي الارض لا ورد لديها مكدر * ولا ظل مقصور ولا روض مجدب

افق صقيل وبساط مدبج وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الاديب عن أرض على هذه الصفة فيا سموأل الوفاء ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفاء كمل لمن أملك النعمة بتركه في موطنه غير مكدر لخاطره بالتحرك من معدنه متلفتا الى قول القائل

وسوّل لي نفسي أن افارقها * والماء في المزن اصفى منه في الغدر

وإذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجها اياه النجاشي ومهرها عنه أربعمائة دينار * ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى في النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام في تجارة أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهما أبو بكر و بلال مر وا ببحيرى وهو في صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر و بلالا بقصته وما يكون من أمره وساله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة

اليه والوصول والفوز بالديه والحصول وعند ماردالله تعالى علينا ملكنا الرد الجميل وزنا لنا فضله الجزيل وكان لعثارنا المقيل خاطبنا كم بذلك لمكانكم من ودادنا ومحلكم من حسن اعتقادنا ووجهنا الى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا والله ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين وفضلكم المبين ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين وتعرفنا الآن عن له بأنبائكم اعتناء وعلى جلالكم حمدوثناء وبجناب ودكم اعتزاء وانتماء يتجاول عزمكم بين حج مبرور وترغبون من أجره في ازدياد وتجددون العهد منه باليف اعتياد وبين رباط في سبيل الله وجهاد وتوثيره هاد بين ربا اثيرة عند الله ووهاد يحشر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما آتاهم الله من فضله والله اصدق القائلين الصادقين حيث لاغارة لغير عدو الاسلام تتقى الا ابتغاء ما لدى الله ترتقى حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها وحور الجنان قد زينت أترابها دار الغرب الذين قرعوا باب الفتح وفازوا بجزيل المنح وخلدوا الآثار وأرغموا الكفار وأقالوا العثار وأخذوا الثار وأمنوا من لفح جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار فكتبنا اليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم الى احدى الحسنيين والصبح غير خاف على ذي عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين فانكم ان حججتم أعدتم فرضا اديتموه وفضلا ارتديتموه فائدته عليكم مقصورة وقضيته فيكم محصورة واذا اقمتم الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا واستأنفتم سعيا من الله قريبا وتعدت المنفعة الى الوف من النفوس المستشعرة لباس البوس ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لاطنبنا وأعنة الاستدلال أرسلنا هذا وقد نشأتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومن به لا يوجب لكم نزوع الانتدار فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الاوطار فان قوي عزمكم والله يقويه وبعثنا من بركم على ما تنويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها اخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجدوا الذكر الله في رباها حلاوة زائدة ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة وتكيف نفسكم فيها تكيفات تقصر عنها خلوات الملوك الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم وتروا أثر رحمته فيكم وتخلفوا بحر هذا الانقطاع الى الله في سبيلكم وبنيكم وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذي يعليكم ومن الله تعالى يدنيكم فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة والملاحم ومعمل الصوارم وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده والاعمال بالخواتم هذا على بعد بلادهم من بلاده وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده والاستباق الى آماده هذا ما عندنا حثثناكم عليه وندبناكم اليه وأنتم في ايثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدومكم من الاستبشار بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار وتصريف وتقليب القلوب واجالة الافكار واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للأبرار والآخرة دار القرار وخير الاعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار ولـ... أهل الكشف والاطلاع بهذه الارجاء والاصقاع قد اتفقت أخبارها وا... على البشارة بفتح قرب أوانه واظل زمانه فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر... عمل ... نسمه ومنها

وثلثمائة في برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب في بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الاقدم الذي عليه عملت الهند في تواريخ البردة وظهورها في أرض الهند دون سائر الممالك ولهم في البردة خطب طويل أعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك في الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل الماء وذب الحيوان وبقل العشب وخرق النسيم الهواء وأما أكثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبتدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك أجلا ضربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى وسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ستة وثلاثين ألف سنة مكررة في اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهازروان وان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط

ورنك

فيه من معاه و يسلف فيه العمل الذى يشكره الله ويرعاه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * ولما دخل الاندلس أمير المسلمين على ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى ملك المغرب والاندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالها قال انها تشبه عقابا مخالبه طليطلة وصدره قلعة رباح ورأسه جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى المشرق فى خبر طويل لم يحضرنى الآن اذ تركته مع كتبى بالمغرب جمعنى الله بها على أحسن الاحوال * ومع كون أهل الاندلس سباق حلبة الجهاد مهطعين الى داعيه من الجبال والوهاد فكان لهم فى الترف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد وسيأتى فى الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفى ويكفى ولكن سنح لى ان اذكر هنا حكاية أبى بكر المخزومى الهجاء المشهور الذى قال فيه لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة انه كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الاعراض سريع الجواب ذكى الذهن فطنا للمعاريض سابقا فى ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعره (والحكاية) هى ما حكاه أبو الحسن بن سعيد فى الطالع السعيد اذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن قدم المذكور يعنى المخزومى على غرناطة أيام ولاية أبى بكر بن سعيد ونزل فى ربانى وكنت اسمع به بنار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأيت ان ابدأه بالتانيس والاحسان فاستدعيته بهذه الابيات

يا ثانيا للمعرى * فى حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل * وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل حفيا * بكل بر وشكر
والبس الاحاديث * كأنها عقد در
وشادن يتغنى * على رباب وزمر
وما يساجح فيه الـ * ـمغفور من كاس خمر
وبيننا عهد حلف * ليا سر حلف كفر
نعم نجدده عهدا * يطيب شكرو يسر
والكاس مثل رضاع * ومن كذلك يدرى

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده فلما استقر به المجلس وأفعمته روائح الند والعود والازهار وهزت عطفه الاوتار قال

دارا السعيدى ذى ام دار رضوان * ما تشتهى النفس فيها حاضر دانى
سقت اباريقها للند سحب ندى * تحدى برعد لاوتار وعيدان
والبرق من كل دن ساكب مطرا * يحيى به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذى كنا نحدثه * ولا سبيل له الا باذان

فقال أبو بكر بن سعيد والى الآن لاسبيل له الا باذان فقال حتى يبعث الله ولدزنى كلما انشدت هذه الابيات قال انها الاعمى فقال اما انا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعى حاضرة فقالت وتراك يا استاذ قديم النعمة بمجمر ند وغناء

الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار الباترة للاعمار وذلك ان أقوى الاجسام وصفوها فى أول الكر يظهرو يسرح وان الصفو سابق الكدر والصافى يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواصل وتردالمواد فى الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطئ ذوى الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرناه علل وبراهين فى المبادى الاول وفيما استنباه من تفريقهم فى الدوائر الهازروانات ورموز واسرار فى النفوس واتصالها علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن فى بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة

الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى اجناسهم واشرفهم ولا يغتذون بشئ من الحيوان وفى رقاب الرجال

وشراب فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالعيان ولكن من يجيء من حصن المدور وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى ففالت له ذبحة فقال من هذه الفاضلة فقالت عجوز مقام أمك فقال كذبت ماهذا صوت عجوز انما هذه نغمة قحبة محترقة تشم روائحه هنا على فراسخ فقال له أبو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعى الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا اسمعها الله خيرا ولا أراها الا أيرا فقالت له ياشيخ سوء تناقضت وأى خير للمرأة مثل ماذكرت ففكر ساعة ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وان كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فاعملت فكرها ثم قالت

قل للوضيع مقالا * يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئت والخرامنه اعطر
حيث البداوة أمست * فى مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا * بكل شئ مدور
خلقت أعمى ولكن * تهيم فى كل اعور
جازيت شعرا بشعر * فقل لعمرى من اشعر
ان كنت فى الخلق انثى * فان شعرى مذكر

فقال لها الاعمى

الا قل لنزهونة مالها * تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت فيشة شمرت * كما عودتنى سربالها

فحلف أبو بكر بن سعيد ان لا يزيد أحدهما على الآخر فى هجو كلمة (فقال المخزومى) أكون هجاء الاندلس وأكف عنها دون شئ فقال انا اشترى منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذى ارسلته فقادنى الى منزلك فانه لين اليد رقيق المشى فقال أبو بكر لولا كونه صغيرا كنت أبلغك به مرادك واهبه لك ففهم قصده وقال أصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتنى به على نفسك فضحك أبو بكر وقال ان لم تهج نظما هجوت نثرا فقال أيها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومى بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى * وفى كتاب الدر المنضد فى وفيات اعيان أئمة محمد تاليف الامام صارم الدين ابراهيم بن دقاق قال أبو القاسم بن خلف كان يعنى المخزومى المذكور حيا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى * ونقلت من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربى ما ملخصه وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين ابن جعفر الحاجب وذكرته هنا لانه ملحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بل كان واحد عصره فى الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التى لا يلحق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى دهره فى اللهو واللعب والفكاهة والطرب وكان

والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم فى قديم الزمان فى ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم فى بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا مجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غنى من كل وجه عن ابقائنا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى احدا من الناس ادرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة فقال الحكيم الثانى لو تناهت حكمة البارئ عز وجل فى احد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة انفسنا التى هى أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهى أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا فقال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج

وكان اعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرا ما يقول المعانى اللطيفة فى الابيات الحسنة ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذقا وكانت له فى ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يزره أحد من اخوانه احضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه وكلهم يغنى فيجيد فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغنى لنفسه ولهم وكان بشارة الزامر الذى يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق وكان بعيد الهمة سمحا ماجدا تغل عليه ضياعه كل عام اموالا جليلة فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك ويستسلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق من الاسآل من يقصد بهذا الشان فيدل عليه من وصله منهم استقبله بصنوف البر والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه الى أحد من الناس فلا يزال معه فى صبوح وغبوق وهو مجدد له كل يوم كرامة حتى ياخذ جميع ما معه من صوت مطرب أوحكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا فى الغناء فارتج المجلس اذ دخل عليه بعض غلمانه فقال بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر انه ضيف فامر بادخاله فاذا رجل أسمر سناطرث الهيئة فسلم عليه قال اين بلد الرجل قال البصرة فرحب به وأمره بالجلوس فجلس مع الغلمان فى صفة وأتى بطعام فاكل وسقى اقداحا ودار الغناء فى المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغنى بصوت ندى وطبع حسن

الايادار ما الهجر ✻ لسكانك من شانى
سقيت الغيث من دار ✻ وان هيجت أشجانى
ولوشئت لما استسقيت غيثا غير اجفانى
بنفسى حل اهلوك ✻ وان بانوا بسلوانى
وما الدهر بمأمون ✻ على تشتيت خلان

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحذق فى اشارته والطيب فى طبعه وقال يا غلام خذ بيده الى الحمام وعجل على به فادخل الحمام ونظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فالقيت عليه ورفعه فأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له

قومى امزجى التبر باللجين ✻ واحملى الرطل باليدين
واغتنمى غفلة الليالى ✻ فربما أيقظت لحين
فقد لعمرى أقرمنا ✻ هلال شوّال كل عين
ذات الخلاخيل أبصروه ✻ كنصف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لى على رغم الحسود بقهوة ✻ بكر ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المذاب تضمه ✻ كاس كقشر الدرة البيضاء
والنجم فى افق السماء كانه ✻ عين تخالس غفلة الرقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدنى فغناه

وأنت الذى أشرقت عينى بمائها ✻ وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة ١٩ قال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام فى هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أما الأدرى ما تقولون غير انى اخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف فى آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم ويمم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك فى مذاهبهم وتنازعوا فى آرائهم والذى وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودى) وقد رأيت ابا القاسم البلخى ذكر فى كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن ابن موسى النوبختى فى كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التى من اجلها احرقوا أنفسهم فى النيران وقطعوا أجسادهم بانواع العذاب فما تعرضنا لشئ مما ذكرنا ولا يممنا نحو ما وصفنا وقد تنوزع فى البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا اشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت الى نصب ملك عليها

وأغرقتها بالدمع حتى جفونها * لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا

فى يوم من أحسن الايام وأطيبها ووصله وأحسن اليه ولم يزل عنده مقربا مكرما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ فخلاه وما أحب ثم وصف له الاندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب انتهى وغرضى من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقى الاندلس وطيبها وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسؤل فى حسن المتاب * ورأيت فى بعض كتب تاريخ الاندلس فى ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة مانصه وهو الذى اكمل ترتيب نصبة مالقة وكان افرس الناس وانبلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب فى قصيدته السينية المذكورة فى الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب فلتراجع ثمة * وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه واذا ادخله احد لم يتحرك ونظير هذا المعنى فى بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك برصد او طلسم وقد استطرد بعض علماء اصول الدين ذلك عند ما تكلموا على السحر حسبما قرر فى محله والله أعلم هكذا رأيت فى كلام بعض علماء المشارقة والذى رأيته لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية الا ماتت من ساعتها ويؤتى بالحيات والعقارب اليها حية فبنفس ماتدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلق من ستة أعوام والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والاجاص اليابسة من أربعة أعوام والفول والحمص من عشرين سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب كان صوفا او حريرا او كتانا وليس فى بلاد الاندلس اكثر فاكهة منها ولا اطيب طعما ولا أكبر جرما والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية اميال ولها اعمال كثيرة مدن وحصون وقرى مسافة اربعين ميلا وهى تضاهى مدن العراق فى كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرها عظيم وقد اسلفنا ذكرها * واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالبا فى غيرها فمن ذلك ماذكره الحجارى فى المسهب ان السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد فى البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى سرقسطة ويصنع بها ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال هذا السمور المذكور هنا لم اتحقق ماهو ولا ما عنى به ان كان هو نباتا عندهم او وبر الدابة المعروفة فان كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون فى البحر وتخرج الى البر وعندها قوة تمييز وقال حامد بن سمجون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون فى بحر الروم ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر فى البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقناصين مرة أخرى فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذيه ليرى موضع خصييه خاليا فاذا رآه القناصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضا الجندبادستر والدواء الذى يصنع من خصييه من الادوية الرفيعة ومنافعه

كثيرة

من اكبر ولده فكان ولى عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم وزاد فى بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد فى مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفى أيامه عمل النرد واحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وانها لا تنال بالكسب ولا بالحيل فى هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق وقد ذكر ان اردشير ابن بابك اول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثنى عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثلا للقدر ومثله باهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه مافى مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ماتأتى لغيره الا اذا اسعده القدر وان الارزاق والحظوظ فى هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة ولدامان سير واخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك اربعين ومائة سنة ثم

كثيرة وخاصيته فى العلل الباردة وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة والقفلية حيوان أدق من الارنب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرا وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد فى بر البربر الا ما جلب منها الى سبتة فنشأ فى جوانبها قال ابن سعيد وتدجلبت فى هذه المدة الى تونس حضرة أفريقية ويكون بالاندلس من الغزال والايل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد فى غيرها كثيرا وأما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون فى أقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب أكبر بقليل من الذئب فى نهاية من القحة وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو فى خيل البر الجنوبى ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط فى نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عاينت من ذلك العجب والمسافرون فى البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولها نفخ بالماء من فيها يقوم فى الجو ذا ارتفاع مفرط وقال ابن سعيد قال المسعودى فى مروج الذهب فى الاندلس من أنواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب أن المسعودى قال أصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان فى ارض الاندلس ويوجد العنبر فى ارض الشحر قال ابن سعيد وقد تكلموا فى اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع فى قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه قال الحجارى ومنهم من قال انه نبات فى قعر البحر وقد تقدم قول الرازى ان المحلب وهو المقدم فى الافاويه والمفضل فى انواع الاشنان لا يوجد فى شئ من الارض الا بالهند والاندلس قال ابن سعيد وفى الاندلس مواضع ذكروا أن النار اذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه وفى جبل شلير افاويه هندية قال واما الثمار واصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان فى الاقاليم الباردة ولا يعدم منها الا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم فى غيرها أو يقل كالتين القوطى والتين السفرى باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم تر عينى ولم اذق لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالقى والزبيب المنكبى والزبيب العسلى والرمان السفرى والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة وانها فى الاندلس التى هى بعض تلك الارض واعظم معدن للذهب بالاندلس فى جهة شنت ياقور قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفى جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس فى شمال الاندلس كثير والصفر الذى يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة فى اماكنها والعين التى يخرج منها الزاج فى لبلة مشهورة وهو كثير مفضل فى البلاد منسوب لجبال طليطلة جبل الطفل الذى يجهز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدة مقاطع للرخام وذكر الرازى أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الابيض الناصع اللون والخمرى وفى

ملك بعده (دستلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بثعلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى ابوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى ايامه الشطرنج فقضى بها على النرد وبين الظفر الذى يناله الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرقحكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القنائع واقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظروا من اين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر يسرونه فى تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلة الاولى واعداد اضعاف

باشرة بقطع عجيب للعمد وبباغه من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في
حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المرية
يمشى الى البلاد فانه كالدر في رونقه وله ألوان عجيبة ومن عادتهم ان يضعوه في كيزان الماء
وفي الاندلس من الامنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه
الناس من اشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الذي لا تفوقه حمرة قال ابن سعيد
والى مصنوعات الاندلس ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير فقد اختصت
المرية ومالقة ومرسية بالموشى المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا
منه شيأ وفي تنتالة من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالي في ثمنها بالمشرق ويصنع في غرناطة
وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد المختم ذو الالوان العجيبة
ويصنع في مرسية من الاسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من
السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يبهر العقل ومنها
تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب
العجيب والفخار المزجج المذهب ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق
بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة
يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما
يجري مجراه واما آلات الحرب من الترأس والرماح والسروج والالجم والدروع والمغافر
فـ كثرهمم أهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة الى هذا الشان ويصنع فيها في
بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد
الاندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذي باشبيلية اليه النهاية وفي اشبيلية من
دقائق الصنائع ما يطول ذكره وقد افرد ابن غالب في فرحة الانفس للآثار الاولية التي
بالاندلس من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحي التي
بطركونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك
ما صنعه الاول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التي في أقليم
الاصنام جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف ذكرا وأنثى وشقوا به الجبال فاذا وصلوا به
الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا
الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخة بني له رصيف وأجري عليه هكذا الى ان انتهى به
الى البحر ثم دخل به في البحر واخرج في جزيرة قادس والبنيان الذي دخل عليه الماء في البحر
ظاهر بين قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالاندلس قال في بعض اخبار
رومية انه لما ولي يوليش المعروف بجاشر وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه
بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش
المبلطة وأقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها أرض الاندلس وركزها شرقي
قرطبة ببابها المعظم من المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة
الى شقندة الى استجة الى قرمونة الى البحر واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من

مدينة

السدرج سابعة عشر ألف ألف ألف ألف ٩٤ ألف ألف وسبعمائة واربعون الف الف الف ألف ألف وتسعة آلاف
ألف ألف ألف وخمسمائة
ألف ألف ألف وأحد
وخمسون ألف ألف وستمائة
وخمسة عشر ألفا ومراتب
هذه الالوف الستة الاولى
ثم الخمسة التي هي ألف
ألف خمس مرات ثم الاربع
ثم الثلاث ثم الاثنتين ثم
الواحد فلها عندهم معان
يذكرونها في الدهور
والاعصار وما تقتضيه
سائر المؤثرات العلوية في
هذا العالم لارتباط نفوس
الناطقين بها وللبونانيين
والروم وغيرهم من الامم في
الشطرنج كلام ونوع من
اللعب بها قد ذكر ذلك
الشطرنجيون في كتبهم ممن
تقدم منهم الى الصولي
والعدلي واليهما كان
انتهاء اللعب بالشطرنج في
هذا العصر وكان ملك
بلهيت ملك الهند الى أن
هلك ثمانين سنة وفي بعض
النسخ انه ملك ثلاثين
ومائة سنة ثم ملك بعده
(كورس) فأحدث للهند
آراء في الديانات على حسب
ما رأى من صلاح الوقت
وما يحتمله من التكاليف
أهل العصر وخرج عن
مذاهب من سلف وكان في
مملكته وعصره سندباد ودون
له كتاب الوزراء السبعة
والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل

مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيفها فى بعض الايام لكن راحة للخاطرين من وهج الصيف
وهول الشتاء ثم توقع ان يكون ذلك فسادا فى الارض وتغيير الطرق عند انتشار اللصوص
وأهل الشر فيها فى المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ماهى عليه وذكر
فى هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير الا الصنم الذى بطرف جليقية وذكر قنطرة
طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مربيطر (قال ابن سعيد) وفى الاندلس
عجائب * منها الشجرة التى لولا كثرة ذكر العامة لها بالاندلس ماذكرتها فان خبرها عندهم
شائع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها وهم جم غفير وهى شجرة زيتون تصنع
الورق والنور والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسية * ومن العجائب
السارية التى بغرب الاندلس بزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان اذا أجدبوا المطر أقاموها
فيمطر الله جهتهم * ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب فى البحر المحيط
فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه فلما هدم فى أول دولة بنى عبد المؤمن صارت
السفن تجرى فيه * وبكورة قبرة مغارة ذكرها الرازى وحكى انه يقال انها باب من أبواب
الريح لا يدرك لها قعر * وذكر الرازى ان فى جهة دلعة وردجبلا فيه شق فى صخرة داخل
كهف فيه فاس حديد متعلق من الشق الذى فى الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام
اخراجه لم يطق ذلك واذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى شق الصخرة ثم يعود الى حالته * وأما
ما أورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار فى شان فضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها
ابن سعيد فى كتابه المغرب ولم اذكرها أنا والله أعلم بحقيقة أمرها وكذلك ماذكره ابن
بشكوال من ان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس قال وذكر سيف عن عثمان
ابن عفان رضى الله تعالى عنه والله أعلم بصحة ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم
قال سيف وذلك ان عثمان ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم أما بعد فان فتح
القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء فى الاجر
والسلام انتهى قلت عهدة هذه الامور على ناقلها وأنا برىء من عهدتها وان ذكرها ابن
بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها عندى لا أصل لها وأى وقت بعث عثمان الى
الاندلس مع أن فتحها بالاتفاق انما كان زمان الوليد وانما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير والله
أعلم (قال ابن سعيد) وميزان وصف الاندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فاكثرت فيها
الخصب والعمارة من كل جهة فمتى سافرت من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة
ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة ومما اختصت به أن قراها فى نهاية من
الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها فهى كما قال الوزير ابن
الحمارة فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها ويضيق
الصدر بضيق أوضاعها وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المصرة من مثلها
والمثال فى ذلك انك اذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهى

والادوية والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى أن مات عشرين ومائة سنة ولما
هلك هذا الملك اختلفت
الهند فى آرائها فتحزبت
الاحزاب وتحيلت الاجيال
وانفرد كل رئيس بناحية
فملك على أرض السند ملك
وملك على أرض القنوج
ملك وتملك على أرض
قشمير ملك وتملك على
مدينة الماملير وهى الحوزة
الكبرى ملك يسمى بالبلهرا
وهذا أول ملك سمى من
ملوكهم بالبلهرا فصارت
سمة لمن ادركه من الملوك
لهذه الحوزة الى وقتنا هذا
وهو سنة اثنين وثلاثين
وثلثمائة وأرض الهند
أرض واسعة فى البر والبحر
والجبال وملكهم متصل
بملك الزابج وهى دار مملكة
المهراج ملك الجزائر وهذه
المملكة قدر بين مملكة
الهند والصين وتضاف الى
الهند والهند متصلة مما يلى
الجبال بأرض خراسان
والسند الى أرض التبت
وبين هذه الممالك تباين
وحروب ولغاتهم مختلفة
وآراؤهم غير متفقة
والاكثر منهم يقول بالتناسخ
وتنقل الارواح على حسب
ما قدمناه آنفا والهند فى
عقولهم وسياساتهم وحكمهم
وألوانهم وصفاتهم وصحة
أمزجتهم وصفاء أذهانهم
ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت

في نهايه من الحضارة والنضارة ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها واكثرها أسوار من أجل الاستعداد للعدو فحصل لها بذلك التشييد والتزيين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة لامتناع معاقلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم مجاورة العدو بالطعن والضرب وكثرة ما تختزن الغلة في مطاميرها فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن وان كان العدو قد نقصها من أطرافها وشارك في أوساطها ففي البقية منعة عظيمة فأرض بني فيها مثل أشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المصرة الرجاء فيها قوي بحول الله وقوته انتهى قلت قد خاب ذلك الرجاء وصارت تلك الارجاء للكفر معرجا ونسأل الله تعالى الذي جعل لكل هم فرجا وللضيق مخرجا أن يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا امين (ومن غرائب الاندلس) البيلتان اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة ارين من أرض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف في جوف النهر الاعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما أنهما تمتلئان وتنحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك أن أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا أصبح كان فيهما سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا يزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكلف أحد حين نقصانهما أن يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائهما افراغهما ولم يبق فيهما شيأ ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين وهما أعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار أبدا وهاتان ليستا في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى دمرهم الله طليطلة فأراد اذفنش أن يعلم حركاتهما فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليها الماء وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودي الذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي أعلم اذفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فأراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له أيها الملك أنا أقلعهما وأردهما أحسن مما كانتا وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتنحسران في الليل فلما قلعت لم يقدر على ردها وقيل انه قلع واحدة لينظر صنعتها فبطلت ولم تزل الاخرى تعطي حركتها والله أعلم بحقيقة الحال (وقال بعضهم) في اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشان طيبة المكان لها البر المديد والبحر

الساكن

فيه ولم توجد في غيره تعقل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر جالينوس في طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون سائر السودان في الاكثر من الطرب امورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا أن أبا العباس الراضي بالله بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من يد اسود ويقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدري الذلك طاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا في كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها في أمور الرعية لان في نظر العوام عندهم الى ملوكهم خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالتدبير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودي) ورأيت في بلاد سرنديب

وهى جزيرة من جزائر البحران الملك من ملوكهم اذا مات صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة

السا كن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى أن قال ولو لم يكن لها من الشرف الا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ لكفى وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام أعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن معلى ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض أتم حسنا من هذا النهر يضاهى دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الاطيار أربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ فى عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكر ويجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى انتهى ملخصا

* ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال لا يتزود فيها أحد ما حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهى بطاح خضر وقصور بيض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الاندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة ثم طفت فى أفريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس فى مياهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحة أندلسية ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتصنيع الا ما شيد بمراكش فى دولة بنى عبد المؤمن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية افسح شوارع وابسط وابدع ومبانى حلب داخلة فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقان انتهى ومن احسن ما جاء من النظم فى الاندلس قول ابن سفر المرينى والاحسان له عادة

فى أرض أندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس فى غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن أرض تحض بها * على المدامة أمواه وأفياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها * وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا * ولا انتثار لآلى الطل أنداء
وانما أرج الند استثار بها * فى ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه * وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت * فريدة وتولى ميزها الماء

لهذا المعنى وشعره يجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمه وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذر رماده فى الرياح وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتيممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل والهند تتمنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه اذ كان

لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجوارى

دارت عليها نطاقا أبحر خفقت * وجدا بها اذ تبدّت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض * فهي الرياض وكل الارض صحراء

ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان للجنة بالاندلس * مجتلى مرأى وريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقد تقدمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذه الابيات وهو بالمغرب الاقصى في برّ العدوة ومنزله في شرق الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الثاقبة في الانصاف بين المشارقة والمغاربة اول ما نقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بأيدي عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار لسلطان اعانتها وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها في المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى أسباب التملك الفاشية فيها ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم أخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال في أثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة مائتا ألف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفا من السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم أر بدًّا من اثبات هذا الفصل وان كان على أهل بلدي فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعري اذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها بما التهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب واني لأعجب منه اذ كان في زمان قد دلفت فيه عباد الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام حيث

وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراى صاحب القشمير وملك الطافي وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من مملكه بر وبحر فأما البلهرا فان بين دار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدري كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بؤورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذى على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل وجه من هذه الوجوه يلقي ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد أسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله تعالى أعلم

الجمهور

الجمهور والقبة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما أدرك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور فى كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشده انهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التى يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء فى ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذى لا يطب وقد كانت جزيرة الاندلس فى ذلك الزمان بالعند من البلاد التى ترك وراء ظهره وذلك موجود فى تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة بعد ذلك الاعلام بينة والطريق واضح فلنرجع الى مانحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس فى صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية واختلاف الولاة داع الى الاضطراب وعدم تأثل الاحوال وتربية الفخامة فى الدولة ولما صارت الاندلس لبنى أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كل أبى فيها وأطاعهم كل عصى عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأبناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما ضخمت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكن الناموس من قلوب العالم ومراعاة أحوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم واحضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد الى الحق لهم أو عليهم وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل وكانت ألقاب الاول منهم الامراء أبناء الخلائف ثم الخلفاء أمراء المؤمنين الى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رتبت عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا بملوك الطوائف وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهون فى أحوال الملك حتى فى الالقاب فآل أمرهم الى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما فى جزيرتهم من أسباب الترفه والفخامة التى تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولاجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيروانى

مما يزهدنى فى أرض اندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسى أمير المؤمنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبنى عباد مملكة اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الاحيان على أبهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف الى أن كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوى الذين توثبوا على الخلافة فى أثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بنى العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح أو من

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها فى وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند الفلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر أوقيانوس الغربى وهى ستة اجزاء عامرة الى اقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنى عشر فعلموا ان الشمس اذا غابت فى اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر أوقيانوس الغربى واذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذى ذكروا انهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التى عملوا عليها فى مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهى الى جزيرة تولى التى فى برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين

يحتاج الى الكلام بين ايديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبونى أمام حاجب ادريس بن يحيى الحمودى الذى خطب له بالخلافة فى مالقة وأنشده قصيدته المشهورة النونية التى منها قوله

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وبلغ فيها الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر وأحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مباديه فى الرياسة ومذ وقعت الفتنة بالاندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار فى كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومرنوا على ذلك فصعب ضبطهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بتقبيح المنافسة والطمع الى أن انقادوا الى عبد المؤمن وبنيه وتلك القواعد فى رؤسهم كامنة والثوار فى المعاقل تثور وتروم الكرة الى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدوة مهيأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الرأى وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة يمشى فى الاسواق ويضحك فى وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه مالم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء وكان كما قيل

أمور يضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها الحليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وملك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابط فيما يقال فى شأن أهل الاندلس فى السلطان أنهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان او جوادا يبرع الاجواد تهافتوا فى نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير فى عاقبة الامر الام يؤل وبعد أن يكون الملك فى مملكة قد تورثت وندوولت ويكون فى تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع فى العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة ندموه ملكا فى حصن من الحصون ورفضوا عيالهم وأولادهم ان كان لهم ذلك بكرسى الملك ولم يزالوا فى جهاد وتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته وأهل المشرق أصوب رأيا منهم فى مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلا يدخل الخلل الذى يقضى باختلال القواعد وفساد الترتيبة وحل الاوضاع ونحن نمثل فى ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى أن طار اسمه فى الاندلس وآل ذلك الى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجى وملك جيان أحصن بلد بالاندلس وأجله قدرا

بين الجزائر العامرة واقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى قريبا من ستين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذى هو مقدار العرض فى النصف الذى هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر وأما الاقاليم السبعة فاولها أرض بابل تنه خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينهما له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وأفريقية والبربر والاندلس وما بينهما له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقاليم الخامس الشام والروم

والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة

له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الدبيل والصين له من البروج الميزان ومن

في الامتناع وملك غرناطة وما لقبه وسموه بامير المسلمين وهو الآن المشار اليه بالاندلس والمعتمد عليه * وأما قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة في البيوت المعلومة لذلك الى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية وأنه كان نائبا عن خليفتهم يسمى بالحاجب ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتوارثتهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلا في علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور الملك خاصة * وأما الكتابة فهي على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الاندلس وأشرف أسمائه الكاتب وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة وأهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الالسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس وبر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية في الاندلس أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه تمد الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأملت حاله واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر وهذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفية السلطان * وأما خطة القضاء بالاندلس فهي اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي هذا وصفها في زمان بني أمية ومن سلك مسلكهم ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة الا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصة وقاضي القضاة يقال له قاضي القضاة وقاضي الجماعة * وأما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي وكانت خطة القاضي أوقر وأتقى عندهم من ذلك * وأما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض والعادة فيه ان يمشي بنفسه راكبا على الاسواق وأعوانه معه وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبي الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الاوزان

الانجم السبعة الشمس ذكر حبش المنجم صاحب كتاب الزيج في النجوم عن خالد بن عبد الله المروروذي وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا ونصف بزيادة مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل وسانة وستين ميلا ثم ضربوا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا ثم قسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلثمائة ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالاسود وهي الذراع التي وضعها أمير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء

وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون أصبعا (قال المسعودي) وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا

وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار ان يبيع باكثر او دون ما حد له المحتسب في الوزن ولا يكاد يخفي خيانته فان المحتسب يدس عليه صبيا او جارية يبتاع احدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقي وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد ولهم في اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لانها عندهم تدخل في جميع المبايعات وتتفرع الى ما يطول ذكره * واما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب الارباع في المشرق فانهم يعرفون في الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واعيائهم في أمور التلصص الى ان يظهروا على المباني المشيدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف ان يقر عليهم أو يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد في الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة الوالي ولينه ومع افراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دما فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك ولم ينته اللصوص * واما قواعد أهل الاندلس في دياناتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك وانكاره ان تهاون فيه أصحاب السلطان وقد يلج السلطان في شئ من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبؤن بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير في اخبارهم وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم * وأما طريقة الفقراء على مذهب اهل الشرق في الدورة التي تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب في الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية واذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن ان يتصدقوا عليه فلا تجد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر * واما حال اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم احرص الناس على التميز فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس لان هذا عندهم في نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد بأجرة فهم يقرؤن لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه فان زل في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشان اذا وجدت

العمرة وان عددها أربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في اسم اقليم وذكر في هذا الكتاب الوان جبالها من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا ان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة ابحر وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما شهر من الجزائر دون ما لم يشتهر وذكر ان في البحر الحبشي جزائر متصلة نحوا من ألف جزيرة يقال لها الدبيجات عامرة كلها وذكر بطليموس في جغرافيا ان ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التي تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية في الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه في عدة الاقاليم وكل اقليم سعته تسعمائة فرسخ في مثلها وفي البحار ماهو معمور بالحيوان

ومنها ما ليس بمعمور وهو أوقيانوس البحر المحيط وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل وبذلك

وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجاري والله أعلم وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى أن المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات * وعلم الأصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبين أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بل لقيه من شدة التحريف الذي في لسانه والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يجري على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمخاطبات في الرسائل وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل * والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظوة ووظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم إلا أن يختل الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا الغالب وإذا كان الشخص بالأندلس نحويا أو شاعرا فإنه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها * وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لا سيما في شرق الأندلس فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقيها في ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم برسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من ترى بعمة في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيته في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم وأقبيتهم من الأشكرلاط وغيره كأقبيتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم * ومحاربتهم بالترسة والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسي العرب بل يعدون قسي الإفرنج للمحاصرات في البلاد أو تكون للرجالة عند المصافة للحرب وكثيرا ما تصير الخيل عليهم أو تمهلهم لأن يؤثروها ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ

البحار ووصفها وهذه البحار كلها في كتاب جغرافيا بأنواع من الأصباغ مع تلك المقادير في الصورة منها ما هو على صورة الطيلسان ومنها ما هو على صورة الشابورة ومنها مصراني الشكل ومنها مدور ومنها مثلث إلا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وأن قطر الأرض ألفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع والذي يحيط به باسفل دائرة النجوم هو فلك القمر فإنه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا وثمانية وستون فرسخا وأن قطر الأرض من حد رأس الحمل إلى الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الأفلاك تسعة فأولها وهو أصغرها وأقربها إلى الأرض للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الأفلاك هيئة الأكر بعضها في جوف بعض ففلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لأنه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين أحدهما مما يلي الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج

المعضون وعمائم الصوف كثيرا مايلبسونها حمرا وخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف انما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرقي داخل الى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستظراف ولا يأخذون أنفسهم بتعلمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب * وأهل الاندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة مايلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا مايقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها * وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروآت على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل فأوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال ان كان عندكم ما أشتري لكم فحما تسخنون به فاني أمضي في حوائجكم وأجعل على يتومون شأنكم فأعطيناه ما اشتري به فحما فأضرم نارا فجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي لم ضربته فقال تعلم استغنام أموال الناس والفجر للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الي ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروآت أهل الاندلس وهذا احتياطهم أعطاك الكساء ووقف لك على نفسه ثم أفكر في انك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشيء الحقير فقس الشيء الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير ولله دره فانه أبدع في هذا الكتاب ماشاء وقسمه الى أقسام منها كتاب وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى أربعة كتب الكتاب الاول كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس الكتاب الثاني كتاب الشفاة اللعس في حلى موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الانس في حلى شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب في ذكر ماحماه من الاندلس عباد الصليب والقسم الثاني كتاب الالحان المسلية في حلى جزيرة صقلية وهو أيضا ذو أنواع والقسم الثالث كتاب العاية الاخيرة في حلى الارض الكبيرة وهو أيضا ذو أقسام وصور رحمه الله تعالى أجزاء الاندلس في كتاب وشي الطرس وقال أيضا ان كلا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة وهذا دون مابقي بأيدي النصارى وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية واشبيلية التي ماقي الاندلس أجمل منها فيه وقسمه الى سبعة كتب كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة الكتاب الثاني كتاب

الذهبية

غير هذا الفلك وانما هي مواضع لقبت بهذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي فيجب أن تكون الفروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة واخط انقاطع للكرة نصفين واحد وانما سمي دائرة معدل النهار لان الشمس اذا دارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الارض والارض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك فاقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشتري وفوق ذلك فلك زحل وفي كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التي دونه مما سمينا وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ماتحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التي

قدمناذكرهافانهاتدورمن المغرب الى المشرق وللاوائل فيما ذكرناجيع يطول الخطب ٥٠ فيهاوالكواكب المرئية التى

الذهبية الاصيلية فى حلى المملكة الاشبيلية الكتاب الثالث كتاب خدع الممالقة فى حلى مملكة مالقة الكتاب الرابع كتاب الفردوس فى حلى مملكة بطليوس الكتاب الخامس كتاب الخلب فى حلى مملكة شلب الكتاب السادس كتاب الديباجة فى حلى مملكة باجة الكتاب السابع كتاب الرياض المصربة فى حلى مملكة أشبونة وتذكر رحمه الله تعالى فى كل قسم مايليق به وصوّر أجزاءه على ماينبغى فالله يجازيه خيرا والكلام فى الاندلس طويل عريض * وقال بعض المؤرخين طول الاندلس ثلاثون يوما وعرضها تسعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن مالايحصى وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة وفيها من الحصون والقرى والبروج مالايحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التى على نهر اشبيلية اثناعشر ألف قرية وليس فى معمور الارض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا من يومه الا بالاندلس ومن بركتها أن المسافر لايسافر بها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت فى الفلوات والصحارى والاودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الاطعمة * وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة أربعين يوما طولا فى ثمانية عشر يوما عرضا وهو مخالف لما سبق * وقال ابن سيده أخذت الاندلس فى عرض الاقليمين الخامس والسادس من الحد الشامى فى الجنوب الى البحر المحيط فى الشمال وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى ولبعضهم

لله اندلس وماجمعت بها * من كل ماضمت لها الاهواء
فكأنما تلك الديار كواكب * وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول فى جنة * واعت به الافياء والانداء

وقال غيره

فى أرض اندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس فى غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
واين يعدل عن ارض يحض بها * على الشهادة ازواج وابناء
واين يعدل عن أرض تحث بها * على المدامة نداماه وأفياء
وكيف لايبهج الابصار رؤيتها * وكل ارض بها فى الوشى صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف برقّ به * من لايرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا * ولا انتثار لآلى الطل أنداء
وانما أرج الندّ استثار بها * فى ماء ورد فطابت منه ارجاء
واين يبلغ منها ماأصنفه * وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض ثم بدت * فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا ابحر خفقت * وجدا بها اذ بدت وهى حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء

نشاهدها وسائر الكواكب فى الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبى الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثنى عشر يتلو بعضها بعضا فى مسيرها ولاتنتقل عن اماكنها ولاتتغير حركتها فى طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت فى حركتها فربما اسرع الكوكب فى حركته ومسيره وربما أخذ فى الجنوب وربما أخذ فى الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية ما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب فى افلاكها فمقام القمر فى كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك فى شهر ومقام الشمس فى كل برج شهر ومقام عطارد فى كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ فى كل برج خمسة وأربعون يوما ومقام المشترى فى كل برج سنة ومقام زحل

 فى كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطى ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها اربعة

فيها حلعت ... ى ماءها عوض * فهي ارياض وكل الارض صحراء

وقد تقدمت ... القصيدة قال آخر

حبذا اند ... من بلد * لم تزل تنتج لي كل سرور

طائر شاد وظل وارف * ومياه سائحات وقصور

وقال آخر

ياحسن اندلس وما جمعت لنا * فيها من الاوطار والاوطان

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان

نسج الربيع نباتها من سندس * موشية ببدائع الالوان

وغدا النسيم بها عليلا هاديا * بربوعها وتلاطم البحران

ياحسنها والطل ينثر فوقها * درر اخلال الورد والريحان

وسواعد الانهار قدمدت الى * ندمائها بشقائق النعمان

وتجاوبت فيها شوادي طيرها * والتفت الاغصان بالاغصان

مازرتها الا وحيانى بها * حدق البهار وأنمل السوسان

من بعدها ما أعجبتني بلدة * مع ماحللت به من البلدان

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة اشبيلية بلاط فيه جوائز مشوة من بعقه مستوية الاضراف طول الجائزة منها مائة شبر واحد عشر شبرا * وفي الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم ولنمسك العنان في هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض أولنقل صاحبه ما روى عنه او لاختلاف ما أو غير ذلك من غرض سديد

(الباب الثاني)

في الفاء الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحل الارتياد والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد وبما وصل اليه انتهام وتمت به اعتياد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلى الله عليه وسلم زويت لي مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لي منها ووقع الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة لدى على مجاز الزقاق فكان مايذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحمهم الله أجمعين * وذكر الحجارى وابن حيان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرى مولى موسى بن نصير الذى تنسب اليه جزيرة طريف التى على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصرانى المتحقد على لذريق صاحب الاندلس وكان فى مائة فارس وأربعمائة راجل جاز البحر فى اربعة مراكب فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع يليان صاحب سبتة انتهازا لفرصة لما عن في أمر طريف وغيره مما يخالف هذا السياق وهي اقوال * وقال ابن حيان ان الثانى كتب

لك بأنهم اخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينة ... على خط واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التى فى البرية بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب فى مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب فى مدينة تدمر اربعة وثمانين جزأ وثلث جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ لعلل ذكروها بعد علينا ايرادها فى هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد اقسمته البروج لانما عشرون الشمس تقطع كل برج فى شهر وتقطع البروج كلها فى ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محورى النجار والخراط الذى يخرط الاكرة والعقاع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين اعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى فاما اهل البلدان التى مالت الى ناحية

الاندلس كان أن ولى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير وولى جده عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين خرج فى نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك فى افريقية وجعل على مقدمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهى قصبة بلادهم وام مدائنهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلها ولم تكن فتحت قبله وقيل بل فتحت ثم استغلقت * وذكر ابن حيان ان الاستصحاب سببه على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصرانى وانه فى اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ما سرد ما يأتى ذكره * وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح واخبار ما افاء الله من الخير على موسى ابن نصير وكتب من جهاد لطارق بن زياد مولاه دصاص واوراق وحديث اشول واشراق وارتياد وابراق وبعض امتشاش وآلة معلقة فى دكان فتش انتهى * وقال فى المعرب طارق بن زياد من افريقية * وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو وفتح جزيرة الاندلس ودوّخها واليه ينسب جبل طارق الذى يعرفه العامة بجبل الفتح فى قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى * وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه واما عارف السلطانة فيكفيه ولايته سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير * ومن تاريخ ابن بشكوال احتل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين فى اثنى عشر الفا غير اثنى عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الا شئ يسير وانه لما ركب البحر راى وهو نائم النبى صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك فى الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن امير يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها ان فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكر فاستبشر بذلك ومن معه * ومن تاريخ ابن حيان للحارض يليان النصرانى صاحب سبتة للامر الذى وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس جهز لها مولاه طارقا المذكور فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر فى اربع سفن وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت فى شعبان سنة ٩٢ ولم تزل المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبر وان يليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا فى جهة البشكنس فبادر فى جموعه وهم نحو مائة الف ذوى عدة وعدد وكتب طارق الى موسى بأنه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدة فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين فكملوا بمن تقدم اثنى عشر الفا ومعهم يليان صاحب

الشمال فانهم يرون القطب الشمالى وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبى ولا الكواكب التى هى قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى فى العراق فى السنة اياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة فى ذلك فى موت هذا النوع من الحيوان وأما البلدان الجنوبية فانه يرى فى السنة كلها وقد تنازع طوائف الملكيين وأصحاب النجوم فى هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك أساكنان هما أم متحركان فذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم فى بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع فى شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شئ حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا أقبلت ايضا نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شئ وظهرت الاشجار والارض وهذا

سدمته في حشده يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار فاقبل نحوهم لذريق ومعه خيار
العجم وابناء ملوكها وفرسانها وقلوبهم عليه فتلاقوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على
سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من اتباعنا ولسنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا
وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم في ايطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من
الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلهم يكفوننا امره فاذا
هم انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه فاجمعوا على ذلك اه * وقال ابن خلدون بعد
ذكره ان القوطيين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق مانصه
وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ومن
زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال
غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملتهم وموسى بن نصير أمير الغرب اذ ذاك عامل
على افريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى لذلك العهد
عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأثخن في جبال طنجة هذه حتى وصل
خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة
وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلة فعلها زعموا بابنته الناشئة
في داره على عادتهم في بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق وأخذ ابنته منه ثم لحق
بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقا فيها الفرصة
فانتهزها لوقته وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو
ثلثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهما عسكرين أحدهما
على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمي جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل
بمكان مدينة طريف فسمي به وأداروا الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى لذريق
فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم واهل ملة النصرانية في زهاء اربعين ألفا وزحفوا اليه فالتقوا
بفحص شريش فهزمه الله ونفلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن
نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه ويأمره
ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب بن
منده الفهري ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه
العرب الموالي وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى
الاندلس وتلقاه طارق فانقاد واتبع وأتم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى برشلونة في
جهة الشرق وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ اقطارها وجمع غنائمها وأجمع
ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس
ويخوض اليه ما بينهما من أمم الاعاجم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار
الخلافة ونمى الخبر الى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به
موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين
ان لم يرجع وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل

جبل دباوند بين بلاد الري وطبرستان ٨٠ ؛ يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في أعاليه الدخان والثلوج مترادفة
عليه خالية أعاليه منها
ويخرج من اسفله نهر
كثير الماء نهر اصفر كبريتي
ذهبي اللون مسافة الصعود
عليه في نحو ثلاثة أيام
بلياليها وان من علاه وصار
في قلته وجد مساحة رأس
القلة نحو ألف ذراع في مثل
ذلك وهي ترى في رأى
العين من أسفل نحو القبة
المخروطة وان في هذه
المساحة في أعاليه رملا
تغوص فيه الاقدام أحمر
وان هذه القبة لا يلحقها
شئ من الوحش ولا من
الطير لشدة الرياح وسموها
في الهواء وشدة البرد وان
في أعاليه نحوا من ثلاثين
ثقبا يخرج منها الدخان
الكبريتي العظيم ويخرج
مع ذلك دوي عظيم كأشد
ما يكون من الرعد وذلك
صوت تلهب النيران وربما
تحمل من غرر بنفسه
وصعد الى أعاليه من أفواه
هذه الثقوب كبريتا أصفر
كأنه الذهب يقع في أنواع
الصنعة والكيمياء وغير
ذلك من الوجوه وان من
علاه يرى ما حوله من الجبال
الشامخة كأنها روابي وتلال
لعلوه عليها وبين هذا
الجبل وبحر طبرستان في
المسافة نحو من عشرين
فرسخا والمراكب اذا لججت في هذا البحر غاب عنها جبل دباوند ولم يره أحد فاذا صاروا في هذا البحر على

الرابطة والحامية بها ورددوا ثم ابنه عبد العزيز بن موسى فاوجه دعوة وارادوه رضيه فاتخذها دار امارة واحتمل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر يقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي وولى على أفريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثار عسكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح في ولايته مدائن كثيرة وولى من بعده أيوب ابن حبيب اللخمي وهو ابن اخت موسى بن نصير فولى ستة اشهر ثم تتابعت ولاة العرب على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله بالقيروان وأثخنوا في امم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وانقرضت امم القوط وأوى الجلالقة ومن بقي من امم العجم الى جبال قشتالة واربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجاز عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا البسائط وراءها وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصفت ريح الاسلام بامم الكفر من كل جهة وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع اوجد للعدو بعض الكرة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة من لدن فتحها واستمر الامر على ذلك وكان محمد ابن يزيد عامل افريقية لسليمان بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية أشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز الى الاندلس السمح بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة وأمره أن يخمس أرض الاندلس فخمسها وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة اثنتين ومائة فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل افريقية فقدمها في صفر سنة ثلاث ومائة فاستقام أمر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغل في بلادهم واستشهد سنة سبع ومائة لاربع سنين وأربعة أشهر ثم تتابعت ولاة الاندلس من قبل أمراء افريقية فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي أنفذه بشر بن صفوان الكلبي والى افريقية لما استدعى منه أهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة سبع وأقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز وقدم اليها عثمان بن أبي نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الاحوص القيسي فوافاها سنة عشر ونزل بها قليلا لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان ثم ولى بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم في المحرم سنة احدى عشرة وغزا أرض مقوشة فافتتحها وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله الاشجعي فولى شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ثم ولى عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في

نحو من مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل وكلما ازدادوا منه دنوا ازداد لهم ظهورا وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كروية الماء والهواء واستدارة الشكل وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلاد انطاكية والبلاد فيه وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن ابصارهم في المراكب ولا يخفى عنهم في المسير في البحر في الموضع الذي يرى منه وقد ذكر قوم بردم من هذا الكتاب جبل دنباوند وما قال الفرس في ذلك قال الضحاك ذو الافواه وهو من اعاليه بالحديد وعن النار التي في أعالي هذا الجبل اطم عظيمة من آطام الارض وعجائبها وقد تكلم الناس في بعد الارض فذكر الاكثر ان من مركز الارض الى ما ينتهي اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربع وأربعين مرة والارض كلها نصف عشر عشر من الشمس وعشر

مقدار سنة أربع عشرة فولي سنتين وقال الواقدي أربع سنين وكان ظلوما جائرا في حكومته
وغزا أرض البشكنس سنة خمس عشرة ومائة فأوقع بهم وغنم ثم عزل في رمضان سنة ست
عشرة وولي عقبة بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحبحاب فأقام خمس سنين محمود
السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة ثم وثب عليه
عبد الملك بن قطن الفهري سنة احدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال أخرجه من الاندلس
وولي مكانه الى أن دخل بلج بن بشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولي
الاندلس سنة أو نحوها وقال الرازي ثار أهل الاندلس بأميرهم عقبة في صفر سنة ثلاث
وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية
فكانت ولاية عقبة ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفي بقرقشونة في صفر سنة ثلاث وعشرين
واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القشيري بجند الشام ناجيا من وقعة كلثوم بن
عياض مع البربر بطلوية فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن سبعين سنة واستوسق له الامر بعد
مقتل عبد الملك وانحاز الفهريون الى جانب فامتنعوا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم من انكر
فعلته بابن قطن وقام بامرهم قطن وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على
الفهريين وهلك بلج من الجراح التي نالته في حربهم وذلك سنة اربع وعشرين لسنة أو
نحوها من امارته ثم ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج
واختاره الشاميون فلم يطيعوه وولي سنتين اظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة
اشهر الى ان ثارت به العصبية في يمانيته ففسد أمره وهاجت الفتنة وقدم أبو الخطار حسام
ابن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة
خمس وعشرين فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبي نسعة وابنا عبد الملك
فلقيهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما ذا رأي وحزم وكثر أهل الشام عنده
ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل
أهل حمص اشبيلية وسماها حمص وأهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الاردن رية
ومالقة وسماهما الاردن وأهل فلسطين شذونة وهي شريش وسماها فلسطين وأهل مصر
تدمير وسماها مصر ونقل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو
الخطار أعرابيا عصبيا أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية
وأسخط قيسا وأمر في بعض الايام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو
الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن ورأس على المضرية فأقيم من مجلسه وتقنع فقال له
بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا أبا الجوشن فقال ان كان لي قوم
فسيقيمونها فسار الصميل بن حاتم أميرهم يومئذ وزعيمهم وألب عليه قومه واستعان
بالمنحرفين عنه من اليمانية فخلعوا أبا الخطار سنة ثمان وعشرين لاربع سنين وتسعة اشهر من
ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك
عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس منسلخ رجب
سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بامره الصميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة من

الارض اثنان وأربعون ألف ميل والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل
ونصف ميل والمشتري مثل
الارض احدى وثمانين
مرة ونصف وربع ونصف
ثلاثة وثلاثون ألف ميل
وستة عشر ميلا وزحل أعظم
من الارض بتسعين وتسعين
مرة ونصفا وقطره اثنان
وثلاثون ألف ميل وسبعمائة
وستة وثلاثون ميلا وأما
اجرام الكواكب الثابتة
التي في المرصد الاول وهي
خمسة عشر كوكبا فكل
كوكب منها أعظم من
الارض بأربع وتسعين
مرة ونصف مرة وأما بعدها
من الارض فأقرب بعد
القمر منها مائة ألف
وثمانية وعشرون ألف
ميل وأبعد بعده من الارض
مائة ألف وأربعة وعشرون
ألف ميل وأبعد بعد
عطارد من الارض سبعمائة
ألف ألف وسبعمائة وثلاثة
وثلاثون ألف ميل وأبعد
بعد الزهرة من الارض
أربعة آلاف ومائة وسبعة
عشر ألف ميل وستمائة
ميل وأبعد بعد الشمس
من الارض أربعة آلاف
ألف ألف وثمانمائة ألف
وعشرون ألفا ونصف ميل
وأبعد بعد المريخ من
الارض ثلاثة وثلاثون
ألف ميل وستمائة ميل وثنى
وأبعد بعد المشتري من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الاشيا وأبعد بعد زحل

ولايته

ولايته ووقع الخلاف بافريقية والتاث أمر بني أمية بالمشرق وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج وعظم أمر المسوّدة بقي اهل الاندلس فوضى و نصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن ابن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية وادالتها بين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين واستتم سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وافتهم اليمانية لميعاد دالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واعتادهم فبيتهم يوسف بمكانهم من شقندة في قرى قرطبة بمالاة من الصميل بن حاتم والقيسية وسائر المضرية فاستلحموهم وثار أبو الخطار فقاتله الصميل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنية على أمرهم فاستكانوا لغلبه وتربصوا الدوائر الى أن جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولى الصميل سرقسطة فلما ظهر أمر المسوّدة بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده رجاء هلاكه لما كان يغص به وأمدته القيسية فأفرج عنه الحباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الصميل على طليطلة الى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولي الدين بن خلدون ببعض اختصار (وقال بعض المؤرخين) ان عبد الله بن مروان أخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد الخليفة يأمره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة ٨٧ للهجرة فامتثل أمره انتهى وقال الحميدي في جذوة المقتبس ان موسى بن نصير ولي افريقية والمغرب سنة ٧٧ فقدمها ومعه جماعة من الجند فبلغه أن بأطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة ألف رأس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة أخرى فأتاه بمائة ألف رأس وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين ألف رأس وقال الصدفي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن افريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألفا من البربر بالاسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عنده خلقا يسيرا من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر خلا اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢

من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشباه وبعد الكواكب الثابتة عن الارض نحو ذلك فيما ذكر بأمن القدماء ولاخذها قايس استدركت الامور التي عالجوها استخراجها والالات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها ولو ذهبنا الى ان شرعنا في ايراد المعنى منه لكثر واتسع الكلام وانما ذكرنا لمعا من هذه العقود لتدل على ما لم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كمائهم يسمى رأس كمر ورتبت بعده النصارى مراتب الكهنة في كنائسها على ما تقدمت به الصابئة في مذهبها وتسمى النصارى هذه المراتب العشرات فأولها الساط والثاني اغنسط والثالث يودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس يودوط والسابع حورا العيفطس وهو الذي يدعى الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرك وتفسيره ابو الآباء ممن تقدم ذكرهم من اصحاب المراتب وغيرهم من الاداني وعوامهم هذا عند خواص النصارى فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرناه وان ملكا ظهر واظهر امورا يذكرونها الاحاجة

وذكر عن طارق أنه كان نائماً في المركب وقت التعدية فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخره وعلم أن طارقاً ان فتح شيأ نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقاً فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلاً شجاعاً كريماً تقياً لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن أشركك بكفري من هو أولى بشكري منك فقال من هو فقال الله عز وجل فأطرق ملياً ثم قال أستغفر الله ورضي عنه ※ (رجع الى حديث طارق): قال بعض المؤرخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تدمير واليه تنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء هم أم من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض أعدائه رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقاً دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت واني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلاً استمتعتم بالارفه الالذ طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا انني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون

بنا الى وصفها وذا ترتب الملكية وهم عمد النصرانية وقطبها الان المشارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة من هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما أحدث النسطوري جملاً من هذه المراتب على ما ذكرنا من العابثة وأما نسطورس والشماس وغير ذلك من المراتب المتقدمة الا الأسقف والقسيس والشماس وكذا ما حدث بعد مضي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى مانى أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك الزردية وغيرها ممن سلك طريقة هذه الاثنين وقد تقدم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط جمل من نوادر هذه المذاهب وما أوردوه من الخبر في الحروف والشبه المرتبة عنه وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وما ذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب الابانة في أصول الديانة وانما نذكر في هذه الابواب ما يتنزه الكلام اليه ونعلل هذا الوصف بحروفه ورد منها على طريق الخبر والحكاية للمذهب لا على طريق النظر والجدل لئلا يخلو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة فلما

فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب وأصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غاية من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق فى أصحابه عليهم الزرد من فوق رؤسهم العمائم البيض وبايديهم القسى العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق خاف وقال ان هذه الصور هى التى رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم الرعب فلما رأى طارق لذريق قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ الى جليقية وهى ساحل البحر المحيط انتهى *(وقال الحافظ الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس) ان موسى بن نصير نقم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام انتهى * وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رأيناها فى بيت الحكمة الخ أشار به الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذ ذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولم تك عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخس أجزاء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى كان الاشتغال بها عندهم من أهم الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنان والكروم وشيدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها ان الطائر الذى صورت هذه العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله فى ذنبه (وحكى) ان الرشيد هرون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض اهل

اليه والى ذكره والله أعلم *

(ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجمل من أخبار الانهار الكبار)

* ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطول الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وأن جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كأنها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل بسبب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها أعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر أوقيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق

المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المؤمنين
وانه طاوس فضحك امير المؤمنين الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره
(رجع) قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتم اغتباط واتخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة
لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا
فاذا اهوانه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ
طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم العامرة فعزموا على ان يتخذوا لهذين الجنسين
من الناس طلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية
البحر ويردعليهم منهم طوائف محرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا
واكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة حتى ثبت ذلك فى طباعهم وصار بعضهم مركبا فى
غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجد
أندلسيا الا مبغضا بربريا وبالعكس الا أن البربر أحوج الى أهل الاندلس لوجود بعض
الاشياء عندهم وفقدها ببلاد البربر وكان بنواحى غرب الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال
لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة
الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبوها وخشى أبوها ان زوجها من واحد أسخط الباقين
فتحير وأحضر ابنته وكانت الحكمة مركبة فى طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل
ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة اعضاء من أهل الارض أدمغة اليونان وايدى اهل
الصين وألسنة العرب فقال لها يا بنية انى أصبحت على حيرة فى أمرك ممن يخطبك من الملوك
وما أرضيت واحدا الا أسخطت الباقين فقالت له اجعل الامر الى تخلص فقال وما تقترحين
فقالت أن يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب فى اجوبة الملوك الخطاب
انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان
فى الملوك الخاطبين حكيمان فكتب كل واحد منهما أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما
قال لها يا بنية بقى الامر على اشكال وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيت اسخطت
الآخر فقالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتى به فأيهما سبق الى الفراغ مما التمست
كنت زوجته قال وما الذى تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون
الى أرحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك
البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ لى طلسما تحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف
أبوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنته فأجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا
وشرع كل واحد منهما فى عمل ما أسند اليه من ذلك فأما صاحب الرحى فانه عمد الى أشكال
اتخذها من الحجارة نضد بعضها الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر
الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفرج التى بين الحجارة بما اقتضت حكمته
واوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبتة
والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها
ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أى القولين أصح غير أن الشائع الى الآن

فى البدن وقال آخرون حق الماء أن يكون ـلى سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالى والهابط انحاز الماء الى أعماق
الارض فاذا انحصرت المياه
فى اعماق الارض وقعورها
طلبت النفس حينئذ لعلة
الارض وضغطها اياها
من أسفل فينشق من ذلك
العيون والانهار وربما
تتولد فى باطن الارض من
الهواء الكائن هنالك وان
الماء ليس بناقص وانما
هو متولد من عفونات
الارض وبخارها وقالوا فى
ذلك كلاما كثيرا
أعرضنا عن ذكره طلبا
للايجاز وميلا للاختصار
وبسطنا ذلك فى غير كتاب
من كتبنا وأما مبادى
الانهار الكبار ومصارحها
ومقدار جريانها فنهر مهران
السند وجيحس وهو نهر
عظيم بأرض الهند ونهر
سامض وهو نهر عظيم ونهر
اطفاس الذى يصب الى
نهر نيطش وغيرها مما كبر
من الانهار قد تكلم الناس
فى مقدار جريانها على وجه
الارض فرأيت فى جغرافيا
(النيل) مصورا ظاهرا
من تحت جبل القمر
ومنبعه ومبدأ ظهوره من
اثنتى عشرة عينا فتنصب
تلك المياه الى بحرين هنالك
كالبطائح ثم تجتمع الماء
جاريا فيمر برمال هنالك
وجبال ويخرق أرض
السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهى جزيرة عامرة فيها قوم
عند

عند الناس هو الثانى فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال فى البر الكبير وسلطه من ساقية محكمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية ❊ وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير أنه عمل أمره واحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى وله لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة فى رأسه لجعودتها وهو متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه فى رجله نعل وهو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ستين أو سبعين ذراعا وهو محدودب الاعلى الى ان يدنى ماسعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابض عليه مشيرا الى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم يرقط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربر الا سقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذ بالسبق يستحق زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ أولا لكنه أخفى امره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم لتحظى المرأة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى أعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من اعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وجعلوا الطلسمات فى اوقات اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذرينى المذكور آنفا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما افتعد اريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته واهل الراى منهم قد وقع فى نفسى من امر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شئ واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت انه لم يصنع عبثا ولم يقفل سدى والراى والمصلحة أن تلقى انت ايضا عليه قفلا اسوة بمن تقدمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال لهم ان نفسى نازعنى الى فتحه ولا بد لى منه فقالوا له ان كنت تظن ان فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه

من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من ١٠٥ الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدا الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى اثارة الزيادة فيه السموسار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو ابن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد

ولم يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على
أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وهم
متقلدون السيوف المحلاة معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت
وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس
وذهب ملك من فيها من أيديهم وبطلت حكمتهم فلما سمع لذريق ما فى الرق ندم على ما فعل
وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك
العرب ليفتح بلاد الاندلس انتهى * فهذا هو بيت الحكمة الذى أشار اليه لذريق والله
أعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على أن فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات
مؤرخى الاندلس وغيرهم فى شأن المائدة وغيرها وما ذكر فى هذه القصة من جلب الماء
من بر العدوة الخ فيه بعد عندى لان بلاد الاندلس أكثر بلاد الله مياها وأنهارا فأنى تحتاج
الى جلب الماء اليها من العدوة الاخرى الا أن يقال ان المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك أو
اختبار حكمته حتى فعل هذا الامر الغريب وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل ذى علم
عليم ومنتهى العلم الى الله الحكيم (وقال ابن حيان فى المقتبس) ذكروا أن لذريق
لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب فى القوط وأنه انما نال الملك من طريق الغصب
والتسور عند ممات غيطشة الملك الذى كان قبله وكان أثيرا لديه مكينا فاستصغر أولاده
لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاد غيطشة واستبقاهم
فكانوا هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند ملتقى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من
تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم فى أن يودى ويخلص
اليهم ملك أبيهم فالتقوا بموضع يدعى وادى لكة من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل
الاندلس القبلى مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين
وتسعين من الهجرة فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على
الاندلس فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب ومصداق موعد نبيهم صلى الله عليه
وسلم المكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى اليه أنجزه لهم بفتح الاندلس
ولله القوة قال وقام بأمر العرب بالاندلس منذ فتحت الامراء المرسلون منهم عليها من قبل
أئمة المسلمين بالمشرق طوال دولة بنى أمية رضى الله تعالى عنهم الى أن طرأ اليها فلهم عند
غلبة بنى العباس عليهم ودخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها
وأعاد اليها الدولة الاموية التى أورثها عقبه حقبة فكانت عدة هؤلاء الامراء من لدن أولهم
طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى عشرين عاملا وعدة سنيهم
بالشمسى خمس وأربعون سنة وبالقمرى سبع وأربعون سنة غير أشهر انتهى (وقال
فى موضع آخر) نقلا عن الرازى وافتتحت الاندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها
من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملة الحنيفية وكان عمر بن عبد العزيز رضوان
الله عليه متهمما بها معتنيا بشأنها وقد حولها عن نظر والى افريقية وجرد اليها عاملا من قبله
اختاره لها دلالة على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن أمره بفضل رأيه انتهى (وفى

السند من أرض القنوج الى مملكة بووره وأرض قشمير والقندهار والطافر حتى ينتهى الى بلاد المولتان
ومن هنالك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارث من بعد منذ صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى أجواف هذا البحر وفى خليج ميداون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الزابج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاغباب وفى عب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى الماء العذب وما ذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذى ذكره الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها

الكتاب

الكتاب الخزائني وغيره) سياقة فتح الاندلس على أتم الوجوه مما تقدم ذكره ملخصه فاقول
استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز
ابن مروان ويقال بل هو بكري وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد
رضي الله تعالى عنه في عين التمر فادعوا انهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا
لعبد العزيز بن مروان فأعتقه فمن هنا يختلف فيه وقيل انه لخمي وعقد له على افريقية
وما خلفها في سنة ثمان وثمانين فخرج الى ذلك الوجه في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر
أخرج معه من جندها بعثا وأتى افريقية بعمله فأخرج من أهلها معه ذوي القوة والجلد وصير
على مقدمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل البربر ويفض جموعهم ويفتتح بلادهم ومدائنهم
حتى بلغ طنجة وهي قصبة ملك البربر وأم مدائنهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تكن
افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتجعت فأسلم أهلها وخطها قيروانا للمسلمين ثم ساروا الى
مدائن على شط البحر بها عمال لصاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ورأس تلك
المدائن سبتة وعليها علج يسمى يليان قاتله موسى فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يطقه فرجع
الى مدينة طنجة فأقام بمن معه وأخذ في الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن
تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل ملكها غيطشة فهم يذبون عن حريمهم ذبا
شديدا ويحمون بلادهم حماية تامة الى أن هلك غيطشة ملك الاندلس وترك أولادا لم يرضهم
أهلها للملك فاضطرب حبل اهل الاندلس ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب
شجاع بطل ليس من بيت أهل الملك الا أنه من قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم وكانت
طليطلة دار الملك بالاندلس حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الايام عليه عدة
من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح وقد عهد الاول في ذلك الى
الآخر فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه على
ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدمه فلما قعد لذريق هذا وكان شهما يقظا
ذا همة أتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب فقال لهم لا أفعل أو أعلم ما فيه ولا بد لي
من فتحه فقالوا له أيها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفت
اليهم ومشى الى البيت فأعظم ذلك العجم وضرع اليه أكابرهم في الكف فلم يفعل وظن
انه بيت مال ففض الاقفال عنه ودخل فأصابه فارغا لا شيء فيه الا تابوتا عليه قفل فأمر بفتحه
يحسب أن يضمنه يقنعه نفاسة فألفاه أيضا فارغا ليس فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها
صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي
الرايات على الرماح وفي أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية فقرئت فاذا فيها اذا كسرت الاقفال
عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فان هذه الامة المصورة
في هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم
غمه وغم العجم بذلك وأمر برد الاقفال واقرار الحراس على حالهم وأخذ في تدبير الملك وذهل
عما أنذر به وقد كان من سير أكابر العجم بالاندلس وقوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين
يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا

ويعرف هذا الموضع من
النيل بالجنادل والصخور
ثم يأتي النيل الفسطاط
وقد قطع الصعيد ومر بجبل
الطيلمون وبحر الاهواز
من بلاد الفيوم وهو الموضع
المعروف بالجزيرة التي
اتخذها يوسف النبي صلى
الله عليه وسلم وطنا فيقطعه
وسنذكر فيما يرد من هذا
الكتاب أخبار مصر والفيوم
وضياعها وكيفية فعل
يوسف عليه الصلاة والسلام
في مائها ثم يمضي جاريا
فتنقسم منه خلجانات الى بلاد
تنيس ودمياط ورشيد
والاسكندرية كل يصب
الى البحر الرومي وقد أحدث
فيه بحيرات في هذه المواضع
وقد كان النيل انقطع عن
بلاد الاسكندرية قبل هذه
الزيادة التي زادها في هذه
السنة وهي سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة وعلي الي
وأنا بمدينة انطاكية من الثغر
الشامي ان النيل زاد في
هذه السنة ثمانية عشر ذراعا
فلست أدري أفي هذه
الزيادة تحمل خليج
الاسكندرية أم لا وقد
كان الاسكندر بن الفيلقوس
المقدوني بنى الاسكندرية
على هذا الخليج من النيل
وكان يتفجر اليه عظيم ماء
النيل ويسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا في نهاية العمارة والجنان متصلة بارض برقة من بلاد المغرب

بلاده وبين لذريق أمور كراهية حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضا استئلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم
وتولى تجهيزهن الى أزواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكانت
يومئذ فى يد صاحب الاندلس وأهلها على النصرانية ركب الطريق بابنة له بارعة الجمال
تكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فأعجبته وأحبها حبا شديدا ولم يملك
نفسه حتى استكرهها وافتضها فاحتالت حتى أعلمت أباها بذلك سرا بمكاتبة خفية فأحفظه
شأنها جدا واشتدت حميته وقال ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ولأحفرن تحت قدميه
فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب فى فتح الاندلس بالذى سبق من قدر الله تعالى
ثم ان يليان ركب بحر الزقاق من سبتة فى أصعب الاوقات فى صنبر قلب الشتاء فصار
بالاندلس وأقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه فى مثل ذلك الوقت وسأله
عما لديه وما جاء فيه ولم جاء فى مثل وقته فذكر خيرا واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى
رؤية بنتها التى عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها عليه فى احضارها وأنه أحب
اسعافها ورجا بلوغها أمنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل
وأجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وأفضل على أبيها فانقلب عنه وذكروا أنه لما
ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات التى لم تزل تطرفنا بها فانها
أثر جوارحها لدينا فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل
عليك مثلها قط عرض له بالذى أضمره من السعى فى ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن
فلم يتهنه يليان عند ما استقر بسبتة عمله أن تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه
بافريقية وكلمه فى غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من أشتات المنافع
وأنواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثراوة المياه وعذوبتها وهوّن عليه مع ذلك
حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هنالك وأخذ بالحزم فيما
دعاه اليه يليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل
ملته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يليان
ذلك وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم فى مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار
وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا
بيليان واطمأنوا اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين وكتب موسى بن نصير الى أمير المؤمنين
الوليد بن عبد الملك يخبره بالذى دعاه اليه يليان من أمر الاندلس ويستأذنه فى اقتحامها
فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد
الاهوال فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان
كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من
البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زرعة فى أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم فى أربع مراكب
فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التى هى اليوم معبر سفائنهم ودار
صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التأم اليه أصحابه ثم مضى
حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وأمتعة

وذلك

وكانت السفن تجرى فى النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط أرض نيلها فى المدينة بالرخام والمرمر فانقطع
الماء لعوارض سدت خلجانها
وسدت الماء من دخوله
وقيل لعلل غير ذلك منع
من تنقيته وردت الماء الى
كنه لا يحتمل لها ...
هذا الاستعمال فيه
الاختصار وقصدنا ...
الآثار وصار اتصل عن نحو
يوم منها وسنذكر فيما يرد
من هذا الكتاب فى باب
ذكر أخبار الاسكندرية
جملا من أخبارها وأخبار
بانيها ونذكر ما من الماء
الجارى الى بحر ارتج ...
هو آخذ من معالى مصب
ارج ... بين بلاد ارتج
وبين أقاصى بلاد احماس
الاحابش ولولا ذلك الخليج
ومفاوز من رمل ودهاس
لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم
من أنواع الترك لكثرتهم
وبسطها (وأما نهر بلخ)
الذى يسمى جيحون فانه
يخرج من أعين تجرى حتى
تأتى بلاد خوارزم وقد
احتاز قبل ذلك ببلاد الرند
والترمذ وغيرها من بلاد
خراسان فاذا ورد الى بلاد
خوارزم تفرق فى مواضع
هنالك ويمضى باقيه
فيصب فى البحيرة التى
عليها القرية المعروفة
بالجرجانية أسفل خوارزم
وليس فى ذلك الصقع أكبر
من هذه البحيرة ويقال انه ليس فى العمران بحيرة أكبر منها لان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى

فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش يمر ببلاد العادات وبمدينة حبسه وتجرى فيه السفن

وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى التحول ودخل طريف فى ألف رجل فأصاب غنائم وسبيا ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة وليس بطريف فى ألف رجل منهم أيضا فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنها فضرم مواضعها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال الرازى هو أبو زرعة طريف بن مالك المغافرى الاسم طبو الكنية قالوا ثم عاود يليان القدوم على موسى بن نصير محركا فى الاقدام على أهل الاندلس وحدثه بما كان منه ومن طريف وأبى زرعة وما نالوه من أهلها وما باشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستعد للاقتحام فى اقتحام المسلمين فيها فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا همدانيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم وبعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة فعقد له موسى وبعثه فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالى ليس فيهم عرب الا قليل ووجه معه يليان فهيأ له يليان المراكب فركب فى أربع سفن لا صناعة له غيرها وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة اثنتين وتسعين فى شهر أغسطس ثم صرف المراكب الى من خلفه من أصحابه فركب من بقى من الناس ولم تزل السفائن تختلف اليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى اثنى عشر ألفا غير ستة عشر رجلا من البرابرة ولم يكن فيهم من العرب الا يسير أجازهم يليان الى ساحل الاندلس فى مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم أولا أولا وركب أميرهم طارق آخرهم قيل وأصاب طارق عجوزا من أهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل الى بلدهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنها أن فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه ٭ وذكر عن طارق أنه كان نائما فى المركب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة أصحابه عليه الصلاة والسلام يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ثقة ببشراه فقويت نفسه ولم يشك فى الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلاد شانا للغارة قالوا ووقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب ساحل الاندلس وتوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وان يليان السبب فيها وكان يومئذ غائبا بأرض بنبلونة فى غزاة له الى البشكنس لامر كان استصعب عليه بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذى منه أتى وأقبل مبادرا الفتق فى جموعه حتى احتل بمدينة قرطبة من المتوسطة ونزل القصر المدعو بها ببلاط لذريق المنسوب اليه وليس لانه بناه أواخترعه وهو بناء من تقدمه من الملوك اتخذوه لمنزلهم فى قرطبة اذا أتوها

الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع الغزية وهم بوادى الترك وحضرهم أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم أصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم أنكد الترك بأسا وأصغرهم عيونا وفى الترك أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغرانيق وسنذكر مبلغا من أخبار أجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر أعمالها وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم اوحارو بنت وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم الغار لم يخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر انغار زعم قوم من أهل الخبرة انه مبتدأ نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبدأ نهر الترك وهو الغار وقيل

اربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا نهر

الا أن العرب لما نزلوا لذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذلم يعرفوا من بناه ويزعم
العجم أن الذى بناه ملك منهم كان ساكنا بحصن المدور أسفل قرطبة وخرج يوما يتصيد حتى
انتهى الى مكان قرطبة وهى يومئذ خراب وكان فى موضع قصرها غيضة عليق ملتفة أشبة
فأرسل الملك بازيا له يكرم عليه على حجلة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى أبى عبيدة
فنشبت فى ذلك العليق ولج البازى فى الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على
مكانه ليخرجه وأمر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنانة به فقطعت وبدا له تحتها أساس قصر عظيم
راقه رصفه وقد كان دائمة فأمر بالكشف عنه وتقصى حدوده طولا وعرضا وتتبع أسه
وأصله فوجده مبنيا من وجه الماء بضم الحجارة فوق رجون ووضع بينها وبين الماء باحكام
صناعة فقال هذا أثر ملك كريم وأنا أولى من جدده فأمر باعادته الى هيأته واتخاذه منزلا من
منازل راحاته فكان اذا طاف بعمله أو مضى فى متصيده نزل فيه وصار السبب فى بناء قرطبة
الى جنبه ونزل الناس فيها وتوارث الملوك قصرها من بعده ونزله لذريق فى زحفه الى العرب
أياما والحشود من أعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شذونة يبغى لقاءهم فى حشوده
الكثيرة ، وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتهم العرب غيطشة وانه هلك عن أولاد
ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضمت أمهم عليهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف لذريق قائد
الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق
واستنفر اليه أجناد أهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل
واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذرهم من القعود عنه
ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدا وحشدوا وقدموا عليه
بقرطبة فنزلوا أكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنوا الى الدخول على
لذريق أخذا بالحزم الى أن استتب جهاز لذريق وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم
يرصدون المكر وهذا والاصح والله أعلم ماسبق ان ملك القوط اجتمع للذريق واختلف فى
اسمه فقيل رذريق بالراء أوله وقيل باللام لذريق وهو الاشهر وقيل ان أصله من اصبهان
ويسمى الاشبان والله اعلم قالوا وعسكر لذريق فى نحو مائة ألف ذوى عدد وعدة فكتب
طارق الى موسى يستمده ويعرفه ان فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس وملك المجاز اليها
واستولى على أعمالها الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا أن يشاء الله وكان
موسى منذ وجه طارقا لوجهه قد أخذ فى عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل
الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مددا كملت بهم عدة من معه اثنى عشر ألفا أقوياء
على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم فى رجاله واهل عمله يدلهم على
العورات ويتجسس الاخبار وأقبل نحوهم لذريق فى جموع العجم وملوكها وفرسانها
فتلاوموا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من
أهله وانما كان من أتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالا فى أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون
لاحاجة لهم فى استيطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم
فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا قعدنا فى ملكنا

جيحون وعلى هذين النهرين
الغزية من الترك وشذين
احدا لم يحط بها لمدانها
على وجه الارض فقد ذكر
ذلك (وكذلك جيحون نهر
الهند يبدؤه من جبل من
أعالى أرض الهند مما يلي
الصين من ناحية بلاد
الصغد يغرس البرك ومقدار
جريانه الى ان يصب فى
البحر الحبشى مما يلي جبل
الهند أربعمائة فرسخ
(واما الفرات) فيبدؤه من
بلاد قاليقلا من ثغور
أرمينية من جبل هناك
يدعى افردخس على نحو
يوم من قاليقلا ومقدار
جريانه من بلاد الروم الى
أن أتى بلاد ملطية وأخبرنى
بعض اخواننا من المسلمين
ممن كان أسيرا فى أرض
بلاد الروم انه ان الفرات
اذا توسط أرض الروم
تلقت اليه مياه كثيرة
من نهر يخرج مما يلي بحيرة
فادرموك وليس فى أرض
الروم بحيرة أكبر منها وهى
نحو من شهر وقيل أكثر
من ذلك طولا وعرضا تجرى
بها السفن وتنتهى الى
الفرات الى جسر منبج وقد
اجتاز تحت قلعة سميساط
وهى قلعة الطين ثم ينتهى
الى مالس وهى نصف

موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار من

من يستحقه فأجمعوا على ذلك والقضاء يبرم ما ارتأوه وكان لذريق ولى ميمنته أحد ابنى
غيطشة وميسرته الآخر فكانا رأسى الذين أداروا عليه الهزيمة وأداهما الى ذلك طمع
رجوع ملك والدهما اليهما * وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق
وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه
وأنهم غير تاركى حقهم لديه ويسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن
يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى
التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد
فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك أقوى أسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من
كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصر الاكفاء ورمى لذريق
نفسه فى وادى لكة وقد أثقلته الجراح فلم يعلم له خبر ولم يوجد * وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا
من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجه لذريق علجا من أصحابه قد عرف نجدته
ووثق بباسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم ويعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك
العلج حتى طلع على العسكر ثم شد فى وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفا
راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق أتتك الصور التى كشف لك عنها التابوت
فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم
ايا سا لانفسهم من التعلق بها وصفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات اذ ليس لهم
فى أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا
الى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما أبناء غيطشة وثبت القلب بعدهما قليلا
وفيه لذريق فغدر أهله بشئ من قتال ثم انهزموا ولذريق أمامهم فاستمرت هزيمتهم وأذرع
المسلمون القتل فيهم وخفى أثر لذريق فلا يدرى أمره الا أن المسلمين وجدوا فرسه الاشهب
الذى فقدوه وراكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد
خفيه وكان من ذهب مكلل بالدر والياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق
العلج فثبت أحد خفيه فى الطين فاخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيا ولا ميتا
والله أعلم بشأنه (وقال الرازى) كانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان
فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال بعده تتمة ثمانية أيام ثم هزم الله
المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الارض
قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم
الذهب يجدونها فى أصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضة ويميزون عبيدهم بخواتم
النحاس فجمع طارق الفئ وخمسه ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد
والاتباع وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها
فأقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا
بطارق وارتفع اهل الاندلس حينئذ ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا
بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل باهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشد الحصر عليهم حتى نهكهم

مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة وينتهى الفرات الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين واحمداباذ والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة فرسخ وقد قيل أكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر منه ينتهى الى بلاد الحيرة ونهرها بين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا الوقت وكانت تتقدم هنالك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكرنا قول عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى حين خاطب خالد ابن الوليد فى أيام أبى بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر برا فصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر مل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة فى هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن جوخى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دقوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية

وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي ١٢٢ من الضياع التي كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة باليسرية والموضع
المعروف بالعمر وغير ذلك
من ضياع قطربل وقد كان
لاهلها مطالبات مع أهل
الجانب الشرقي ممن ملك
رقة الشماسية في أيام المقتدر
بحضرة الوزير أبي الحسن
علي بن عيسى وما أجاب به
أهل العلم في ذلك وما
ذكرناه مشهور بمدينة
السلام فاذا كان الماء في
نحو من ثلاثين سنة قد
ذهب بنحو من تسعمائة ميل
فانه يسير ميلا في قدره في
سنة فاذا سار اليهم أربعة
آلاف ذراع من عرضه
الاول خربت بذلك السير
مواضع وعمرت مواضع واذا
وجد الماء سبيلا منخفضا
وانصبابا أوسع بالحركة وشدة
الجرية انعسه فاقتلع المواضع
من الارض من أبعد غاياتها
وكلما وجد موضعا متسعا
من الوهاد ملأه في طريقه
من شدة جريته حتى يعمل
بحيرات وبطائح ومستنقعات
وتخرب بذلك بلاد وتعمر
بذلك بلاد ولا يغيب فهم
ما وصفنا عن مرام ذي فكر
ولنبدأ بذكر (دجلة
ومبدأ جريانها ومصبها)
فنقول دجلة تخرج من
بلاد آمد من ديار بكر من
أعين بلاد خلاط من أرمينية
ويصب اليها نهر سريط وسائر
ما يخرج من بلاد أردن وميافارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دومنا والخابور الخارج من بلاد ارمينية

وأضرمهم فتهيأ له فتحها عنوة فحاز منها غنائم ثم مضى منها الى مدور ثم عطف على قرمونة فر
بعثه المنسوبة اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل استجة وهم في
قوة ومعهم فل عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان
الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها وأقاموا على
الامتناع الى أن ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغترا سيئ التدبير فخرج الى النهر لبعض
حاجاته وحده فصادف طارقا هنالك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه طارق في
الماء فأخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على
ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله فوفى بما عاهد عليه وقذف الله الرعب في قلوب
الكفرة لما رأوا طارقا يوغل في البلاد وكانوا يحسبونه راغبا في المغنم عاملا على القفول فسقط
في أيديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم الى دار مملكتهم طليطلة
قيل وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله أن تقدم الى أصحابه في تفصيل لحوم
القتلى بحضرة أسراهم وطبخها في القدور يرونهم أنهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى
يحدثون من وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا قالوا وقال يليان لطارق
قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاصمد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ففرق
جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد أنت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر
في أمرهم والاجتماع الى أولي رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجة فبعث مغيثا
الرومي مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم في سبعمائة فارس
لان المسلمين ركبوا جميع خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل وبعث جيشا
آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس الى كورة جيان يريد
طليطلة وقد قيل ان الذي سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فكمنوا بعدوة نهر شقندة
في غيضة أرز شامخة وارسلت الادلاء فأمسكوا راعي غنم فسئل عن قرطبة فقال رحل عنها
عظماء اهلها الى طليطلة وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء اهلها
وسئل عن سورها فأخبر انه حصين عال فوق أرضها الا أنه فيه ثغرة ووصفها لهم فلما اجنهم
الليل اقبلوا نحو المدينة ووطأ الله لهم أسباب الفتح بان أرسل السماء برذاذ أخفى دقدقة حوافر
الخيل وأقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد أغفل حرس المدينة احتراس
السور فلم يظهروا عليه ضيقا بالذي نالهم من المطر والبرد فترجل القوم حتى عبروا النهر وليس
بين النهر والسور الا مقدار ثلاثين ذراعا أو اقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقا
ورجعوا الى الراعي فدلاهم على الثغرة التي ذكرها فأراهم اياها فاذا بها غير متسهلة التسنم
الا انه كانت في اسفلها شجرة تين مكنت افنانها من التعلق بها فصعد رجل من اشداء المسلمين
في اعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على
السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس
ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة
عنوة فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلاؤه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادر بالفرار

عن البلاد في أصحابه وهم زهاء أربعمائة وخرج الى كنيسة بغربي المدينة وتحصن بها وكان الماء يأتيها تحت الارض من عين في سفح جبل ودافعوا عن أنفسهم وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح وأقام على محاصرة العلج بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدم الى أسود من عبيده اسمه رباح وكان ذا بأس ونجدة بالكمون في جنان الى جانب الكنيسة ملتفة الاشجار لعله أن يظفر له بعلج يقف به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعف عقله الى أن صعد في بعض تلك الاشجار وذلك أيام الثمر ليجني ما يأكله فبصر به أهل الكنيسة وشدوا عليه فأخذوه فملكوه وهم في ذلك هائبون له منكرون لخلقه اذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه مصبوغ أو مطلي ببعض الاشياء التي تسود فجردوه وبجماعتهم وأدنوه الى القناة التي منها كان يأتيهم الماء وأخذوا في غسله وتدليكه بالحبال الحرش حتى أدموه وأعنتوه فاستغاثهم وأشار الى أن الذي به خلقة من بارئهم عز وجل ففهموا اشارته وكفوا عنه وعن غسله واشتد فزعهم منه ومكث في اسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمع عليه والنظر اليه الى أن يسر الله له الخلاص ليلا ففر وأتى الامير مغيثا يخبره بشأنه وعرفه بالذي اطلع عليه من شأنهم وموضع الماء الذي ينتابونه ومن أي ناحية يأتيهم فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التي أشار اليها الاسود حتى أصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدوا منافذها فأيقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام أو الجزية فأبوا عليه فأوقد النار عليهم حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرقى والنصارى تعظمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدة البلاء غير أن العلج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عند ايقان الهلاك ففر عنهم وحده وقد استغفلهم ورام اللحاق بطليطلة فبلغ خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلحقه بقرب قرية تطليرة هاربا وحده وتحته فرس أصفر ذريع الخطو وحرك مغيث خلفه فالتفت العلج ودهش لما رأى مغيثا قد رهقه وزاد في حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندق عنقه فقعد على ترسه مستأسرا قد هاضته السقطة فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحه وحبسه عنده ليقدم به على أمير المؤمنين الوليد ولم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استأمن وبعضهم هرب الى جليقية وفي رواية ان مغيثا استنزل أهل الكنيسة بعد أسره لملكهم فضرب أعناقهم جميعا فمن أجل ذلك عرفت بكنيسة الاسرى وان مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم الى مدينتها استنامة اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه * وأما من وجه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضي معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صنعوا عند فتح كورة رية التي منها مالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت به واسم قصبتها

ومصبه في دجلة من بلاد ماسورين وسيلون من بلاد قردى وبازندى وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني حمدان وفي قردى وبازندى يقول الشاعر

بقردى وبازندى مصيف ومربع
وعذب يحاكي السلسبيل برود
وبغداد ما بغداد أما ترابها
فحمى وأما حرها فشديد

وليس هذا الخابور بخابور النهر الذي يخرج من مدينة راس العين من اعينها ويصب في الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية (وهو الزاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حديثته ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتي من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهي الى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهي الانهار التي ذكرنا أنها تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالي ونهربين والنهروان مما يلي بلاد جرجرايا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار هنالك الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودي وماء مي والمصب الذي ينتهي الى

اريولة ولها آثار فى المنعة وكان ملكها عالماداهية وقاتلهم مصحيا ثم استمرت عليه الهزيمة فى نحو بها فبلغ السيف فى أهلها مبلغا عظيما افنى اكثرهم ولجأ العلج الى اريولة فى يسير من أصحابه لا يغنون شيأ فأمر النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور فى زى القتال متشبهات بالرجال وتصدر قدامهن فى بقية أصحابه يغالط المسلمين فى قوته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على السور وعرضوا عليه الصلح فأظهر الميل اليه وتنكر زيه فنزل اليهم بأمان على انه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثق منهم فلما تم له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرية فندموا على الذى اعطوه من الامان واستنجحوه فيما احتال به ومضوا الى الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير من معرة المسلمين بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى أميرهم طارق بالفتح وخلفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى معظمهم الى أميرهم لفتح طليطلة قال ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فألفاها خالية قد فر عنها أهلها ولجؤا الى مدينة بها خلف الجبل فضم اليهود الى طليطلة وخلف بها رجالا من أصحابه ومضى خلف من فر من أهل طليطلة فسلك وادى الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمى به بعد فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهى المنسوبة لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهى خضراء من زبرجد حافاتها منها وارجلها وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلا فأحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التى تحصنوا بها خلف الجبل فأصاب بها حليا ومالا ورجع ولم يتجاوزها الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقة فدوخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله أعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير فالله أعلم قال بعضهم وكانت اقامته فى الفتوح وتدويخ البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير سنة وكان ماسيذكر وأنشد فى المسهب وابن اليسع فى المغرب لطارق من قصيدة قالها فى الفتح

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا * عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا واهلا بجنة * اذا ما اشتهينا الشئ فيها تيسرا
ولسنا نبالى كيف سالت نفوسنا * اذا نحن ادركنا الذى كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها انتهى * واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا سبب الفتح حسبما تقدم قالوا لطارق أنت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على رأسى امير وفوق ذلك الامير أمير عظيم فاستأذنوه فى اللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكدوا سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه فى انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ووقف على ما خاطبه به طارق فى ذمتهم وسابقتهم فأنفذهم الى امير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق فى ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل

القطر وفيه تجرى اكثر سفن البصرة وبغداد وواسط فمقدار مسافة جريان دجلة على وجه الارض نحو من ثلثمائة فرسخ وقيل اربعمائة وقد اعرضنا عن كثير من ذكر الانهار الا ما كبر واشتهر اذ كنا قد اتينا على ذكر ذلك على الاتساع فى الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك فى الكتاب الاوسط ونذكر فى هذا الكتاب لمعا مما سمينا من الانهار ومما لم نسمه وبالبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمر وكذلك ببلاد الاهواز وما بينها وبين بلاد البصرة اعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالجدارة وهى دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن اجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الجدارة انحدرت الاخشاب فى فم البحر مما يلى الابلة وعبادان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسى فى جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع فى تلك الجدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا ولهذه الديار عجيبة فى مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

لهم أن لا يقوموا الداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم اجمع واقتسموها
على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم ألمند ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها
اشبيلية مقتربا منها وصار لارطباش ألف ضيعة وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة
الاندلس فسكن من أجلها قرطبة وصار لثالثهم وثلة ألف ضيعة في شرقي الاندلس وجهة
الثغر فسكن من أجلها مدينة طليطلة فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية الى أن
هلك ألمند كبيرهم وخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش
على ضياعهم وضمها الى ضياعه وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فأنشأت
سارة بنت ألمند مركبا باشبيلية حصينا كامل العدة وركبت فيه مع اخويها الصغيرين تريد
الشام حتى نزلت بعسقلان من سواحلها ثم قصدت باب الخلافة هشام بدار دمشق فأنهت
خبرها وشكت ظلامتها من عمها وتعديه عليها واحتجت بالعهد المنعقد لابيها واخوته على
الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها وكتب الى حنظلة
ابن صفوان عامله بافريقية بانصافها من عمها ارطباش وامضائها واخويها على سنة الميراث
فيما كان في يد والدها مما قاسم فيه اخوته فأنفذها لكتاب بذلك الى عامله بالاندلس
أبي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وانكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام
ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارطباش عن ضياعها فمال بها نعمة عظيمة وولد له
منها ولداه ابراهيم واسحق فادركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة
الى أمهما سارة القوطية وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن
ابن معاوية الداخل بعد الى الاندلس وعرفها فتوسلت اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه
فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها
ولا يحجب عياله منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الاندلس
فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد وكان لها ولابيها ألمند وعمها ارطباش في صدر الدولة
العربية بالاندلس أخبار ملوكية فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد
ارطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن الطفيل وابو عبدة
وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على اثرهم ميمون العابد جد بني حزم
وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش
قام اليه دونهم اعظاما ورقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبسا صفائح الذهب
وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل
عليه قبلهم فقال له ياسيدي ما الذي جاء بك الى مثلي فقال له ما تسمعه انا قدمنا الى هذا البلد
غزاة نحسب ان مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العدة ثم حدثت بعدنا على
موالينا وفي اجنادنا ما قد ايسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسع الله عليك فأحب أن
تدفع الي ضياعا من ضياعك اعتمره بيدي وأؤدي اليك الحق منها وآخذ الفضل لي طيبا
اتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمساهمة بل اهب لك هبة مسوغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلم
اليه المجشر الذي لنا على وادي شوش بما فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه

قد زاد بحر الهند وهو الحبشي حتى امتد طوله من المغرب الى المشرق من أقصى الحبش الى اقصى الهند والصين وصار ثمانية آلاف ميل وعرضه الفان وتسعمائة ميل وعرضه في مواضع اخر الف وتسعمائة ميل وقد يتقارب في ذلك العرض في موضع دون موضع ويكثر كذلك وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة واعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند اهل هذه الصناعة وليس في المعمور اعظم من هذا البحر وله خليج متصل بارض الحبشة يمتد الى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربرى طوله خمسمائة ميل وعرض طرفيه مائة ميل وليست هذه بربرى التي ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من ارض افريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفي هذه الجزيرة مسلمون من الاكابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربرى وهم يعرفونه ببحر بربرى وبلاد جفوني أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه

الضيعة التى بجيان فتسلم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نسبت قلعة حزم فشكره ميمون
وأثنى عليه وقام عنه وقد أنف الصميل من قيامه اليه فأقبل على ارطباش وقال له كنت
أمنك أرجح وزنا أدخل عليك وأنا سيد العرب بالاندلس فى أصحابى هؤلاء وهم سادة الموالى
فلا تزيدنا من الكرامة على الاقعاد على أعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من
اكرامه الى حيث صرت فقال له يا أباجوشن ان أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يرهقك ولو
كان لم تنكر على ما فعلته انكم أكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما
أكرمته لله تعالى فقد روينا عن المسيح عليه السلام أنه قال من أكرمه الله تعالى من عباده
بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه فكأنما ألقمه حجرا وكان الصميل أميا فلذلك عرض
به فقال له القوم دعنا من هذا وانظر فيما قصدناك له فحاجتنا حاجة الرجل الذى قصدك
فأكرمته فانظر فى شأننا فقال له أنتم ملوك الناس وليس يرضيكم الا الكثير وها أنا أهب
لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان
القوم يرونها من أطيب املاكهم انتهى * قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير
ما صنعه طارق بن زياد وما اتيح له من الفتوح حسده وتهيأ للسير الى الاندلس فعسكر وأقبل
نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر فكان
دخوله الى الاندلس فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتنكب الجبل الذى حله طارق
ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتل الجزيرة الخضراء
قال ما كنت لاسلك طريق طارق ولا اقفو أثره فقال له العلوج الادلاء أصحاب يليان نحن
نسلكك طريقا هو أشرف من طريقه وندلك على مدائن هى أعظم خطرا وأعظم خطبا وأوسع
غنما من مدائنه لم تفتح بعد يفتحها الله عليك ان شاء الله تعالى فملئ سرورا وكان شغوف
طارق قد غمه فساروا به فى جانب ساحل شذونة فافتتحها عنوة وألقوا بايديهم اليه ثم سار الى
مدينة قرمونة وليس بالاندلس أحصن منها ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال فدخلها
بحيلة توجهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كأنهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم
الباب وأوقعوا بالاحراس فملكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهى
أعظم مدائن الاندلس شأنا وأعجبها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوطيين
فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطان الى طليطلة وبقى رؤساء الدين فيها
أعنى اشبيلية فامتنعت أشهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة
فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى القنت الى مدينة
ماردة وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر وهى ذات عز ومنعة
وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها أيضا وكان فى
أهلها منعة شديدة وباس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبابة دب
المسلمون تحتها الى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه فلما فلعوا الصخر أفضوا بعده
الى العمل المدعو بلسان العجم الاشه ماسه فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على
غفلة فاستشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمى ذلك الموضع برج الشهداء

ثم.

موج أعمى يريلون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كاخفض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا
يظهر من ذلك زبد كتكسر
أمواج سائر البحار ويزعمون
انه موج مجنون وهؤلاء
القوم الذين يركبون هذا
البحر من أهل عمان عرب
من الازد فاذا توسطوا هذا
البحر ودخلوا بين ما ذكرنا
من الامواج ترفعهم
وتخفضهم فيرتجزون
ويقولون

بربرى وجفونى
وموجك المجنون
جفونى وبربرى
وموجها كما ترى

وينتهى هؤلاء فى بحر الزنج
الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا
والى بلاد سفالة الواق واق
من أقاصى أرض الزنج
والاسافل من نحوهم ويقطع
هذا البحر السيرافيون وقد
ركبت أنا هذا البحر من
مدينة سنجار من بلاد
عمان (وسنجار قصبة بلاد
عمان) مع جماعة من نواخذة
السيرافيين وهم أرباب
المراكب مثل محمد بن
الزيدوم السيرافى وجوهر
ابن أحمد وهو المعروف
بابن نسوة وفى هذا البحر
تلف ومن كان معه فى
مركبه وآخر مرة ركبت
فيه فى سنة أربع وثلثمائة
من جزيرة قنبلو الى مدينة
عمان وذلك فى مركب أحمد
وعبد الصمد أخوى عبد الرحيم بن جعفر السيرافى بمكان وفيه غرقا فى مركبهما وجميع من كان معهما

ثم دعا القوم الى السلم فترسل اليه فى نفر يرهبوم من أماثلهم أعطاهم الامان واحتال فى توهيم بهم فى نفسه فدخلوا عليه أول يوم فاذا هو أبيض الرأس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق لهم معه أمر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا هو قد قنى لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سود لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاؤا و يتصورون فى كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى أن نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة فأذعنوا عند ذلك وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتى باجة ولبلة اليهم فأوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا وأتى فلهم الامير موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى فى جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل أهلها ونهض الى لبلة فقتلها واستقامت الامور فيها هنالك وعلا الاسلام وأقام عبد العزيز باشبيلية وتوجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة و بلغ طارقا خبره فاستقبله فى وجوه الناس فلقيه فى موضع من كورة طلبيرة وقيل ان موسى تقدم من ماردة فدخل جليقية من فج نسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة فغض منه علانية وأظهر ما بنفسه عليه من حقد والله أعلم وقيل لما وقعت عينه عليه نزل اليه اعظاما له فقنعه موسى بالسوط و وبخه على استبداده عليه ومخالفته لرأيه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك واستعجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلا وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال لا علم لى به وهكذا أصبتها فأمر موسى بعمل لها رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها يظهر عليه التعمل ولم يقدر على أحسن منه فأخل بها * وقال ابن الفرضى موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس لخمى يكنى أبا عبد الرحمن يروى عن تميم الدارى وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبى وقيل غزا موسى بن نصير فى المحرم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر على الاندلس فأخذها لا يأتى على مدينة الا فتحها ونزل أهلها على حكمه وسار الى قرطبة ثم قفل على الاندلس سنة أربع وتسعين فأتى افريقية وسار عنها سنة خمس وتسعين الى الشام يؤم الوليد بن عبد الملك بجر الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها على العجل والظهر ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك وولى سليمان فنكب موسى نكبا اداه الى الفقر به وهلك فى نكبته تلك بوادى القرى سنة سبع وتسعين (قال ابن حيان) وهذه المائدة المنوه باسمها المنسوبة الى سليمان النبى عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما أصلها ان العجم فى أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسى وأشباهها من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أبرزت فى أيام المناسك و يضعونها على

وكان ركوبى فيه أخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابنى فيهما من الاهوال ما لا أحصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر السند الذى قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالافال طول السمكة نحو من اربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهى ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه و ينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من ممر السهم والمراكب تفزع منه فى الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر باجنحته وذنبه السمك الى فيه وقد تقدم فاه وذلك السمك يهوى الى جوفه جرمه فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع يدعى السل فتلتصق باصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالسل بالمراكب فلا يدنو الافال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفة له وقاتلة وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون

امذابح فى الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ فى هذه السبيل
وتأنقت الاملاك فى تفخيمها يزيد الآخر منهم على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك
الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر
والياقوت والزبرجد لم تر الاعين مثلها وبولغ فى تفخيمها من أجل دار المملكة وانه لا ينبغى أن
تكون بموضع آلة جمال اومتاع مباهاة الادون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة
طليطلة فأصابها المسلمون هنالك وطار النبأ الافخم عنها وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل
الذى فعله من غيرته على ماتهيأ له ومطالبته له بتسليم ما فى يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من
أرجل هذه المائدة خبأها عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا
عنده بعد الاثر فى جهادهما ما هو مشهور انتهى * وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت
مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكلها
مكللة بالجواهر انتهى * وما ذكره ابن حيان من ان الذى نكب موسى بن نصير هو سليمان
ابن عبد الملك صواب وأما ما حكاه ابن خلكان من ان المنكب له الوليد فليس بصحيح والله
أعلم * (رجع الى كلام ابن حيان) قالوا ان موسى اصطلح مع طارق وأظهر الرضا عنه وأقره
على مقدمته على رسمه وأمره بالتقدم امامه فى اصحابه وسار موسى خلفه فى جيوشه فارتقى الى
الثغر الاعلى وافتتح سرقسطة واعمالها واوغل فى البلاد وطارق امامه لا يمران بموضع الا فتح
عليهما اوغنمهما الله تعالى ما فيه ونداى الله الرعب فى قلوب الكفرة فلم يعارضهما احد الا
بطلب صلح وموسى يجىء على اثر طارق فى ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس
ما عاهدوه عليه ثلمات فالقطر كله ووطأ من نفوس من اقام على سلمه ووطأ الاقدام المسلمين
فى الحلول به اوامر لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا
واوغلوا حتى انتهوا الى وادى ردونة فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض
العجم وتدوخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتى برشلونة واربونة وصخرة
ابنيون وحصن لودون على وادى ردونة فبعدوا عن الساحل الذى منه دخلوا جدا اوذكر ان
مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ثلثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخا وقيل
ثلثمائة فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارله ملك الافرنجة
بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم فى جمع عظيم فلما انتهى الى
حصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه واقبل حتى انتهى الى صخرة
ابنيون فلم يجد بها احدا وقد عسكر المسلمون قدامه فيما بين الاجبل المجاور لمدينة اربونة
وهم بحال غرة لا عيون لهم ولا طلائع فما شعروا حتى احاط بهم عدو الله قارله فاقتطعهم عن
اللجا الى مدينة اربونة وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل
جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها اياما واصيب
له فيها رجال وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد المسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد
نصب فى وجوه المسلمين حصونا على وادى ردونة شكها بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده
والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس (وقال الحجارى فى المسهب) ان موسى

ابن

فى ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لادبر له ومايا كله يكون فى بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى
البر فاستلقى على قفاه فاغرا
فاه فينقض اليه طير الماء
كالطيطوى والحصانى وغير
ذلك من أنواع الطيور وقد
اعتاد ذلك منه فيأكل ما
ظهر فى جوفه من ذلك
الدود وتكون تلك الدويبة
قد كمنت فى الرمل تراعيه
فتدب الى حلقه وتصير فى
جوفه فيخبط بنفسه فى
الارض فيطلب قعر النيل
حتى تأتى الدويبة على
حشوة جوفه ثم تخرق
جوفه وتخرج وربما
يقتل نفسه قبل ان تخرج
فتخرج بعد موته وهذه
الدويبة تكون نحو من
ذراع على صورة ابن عرس
ولها قوائم ومخالب وفى بحر
الزنج أنواع من السمك
بصور شتى ولولا ان النفوس
تنكر مالم تعرفه وتدفع
مالم تألفه لاخبرنا عن عجائب
هذه البحار وما فيها من
الحيات والدواب وغير
ذلك من عجائب الماء
والجماد فلنرجع الآن الى
ذكر تشعب مياه هذا
البحر وخلجانه ودخوله فى
البر ودخول البر فيه فنقول
ان خليجا آخر يمتد من هذا
البحر الحبشى فينتهى الى
مدينة القلزم من أعمال مصر
وبينها وبين فسطاط مصر
ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل

ابن نصير نصره الله نصراً ما عليه مزيد وأجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذي في الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم فارله وهذه سمة لملكهم فقالت له ما هذا الخزي الباقي في الاعقاب كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه الرأي عندي ان لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في اقبال أمرهم ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر فكان والله كذلك بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن جاورهم من الاعداء انتهى. وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل وقيل انما حاصر مالقة وكان ملكها ضعيف الرأي دليل النفس كان يخرج الى جنان له بجانب المدينة طلباً للراحة من غمه الكدر من غير تحصين ولا تقديم طليعة وعرف عبد الاعلى بأمره فاكمن له في جنبات الجنة التي كان يتنزه بها قوماً ووجوه فرسانه ذوي رأي وحزم ارصدوا له ليلاً فظفروا به وملكوه وأخذ المسلمون البلد عنوة وملؤوا ايديهم غنيمة. وقيل كانت نفس موسى بن نصير في ذلك كله تنزع الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل في ذلك ويفكر اذ اتاه مغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يأمره بالخروج عن الاندلس والانصراف عن الوغول فيها ويأخذه بالقفول اليه فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن في الاندلس بلد لم يدخله العرب الى وقته ذلك غير جليقية فكان شديد الحرص على اقتحامها فلاطف موسى مغيثاً رسول الخليفة وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه في الدخول اليها والمسير معه في البلاد اياماً ويكون شريكه في الاجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو وحصن لك فأقام هنالك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الاخضر فلم يبق كنيسة الا هدمت ولا ناقوس الا كسر ودانت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب المفاوز وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه فاتسع نطاق الاسلام بأرض الاندلس وخمد الشرك وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج والزم رسوله ازعاجه فانقلع حينئذ من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الاعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعاً ومر بهما من الناس من اختار القفول وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس وانزله بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر ونظر القرب من مكان المجاز وركب موسى البحر الى المشرق

وهو أقرب المواضع من عرضه وعرضه في الاصل سبعمائة ميل وهو أكثر ١٢٩ العرض فيه ويلاقي ما ذكرناه من الخلجان وبلاد اليمن غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العيذاب من أرض مصر أرض البجه ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى أن يتصل ذلك بأقاصي أرض الزنج وأسافلها تتصل الى بلاد سفالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهي الى بلاد الابلة وعبادان من أرض البصرة وعرضه في الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه الى بلاد الابلة وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهربان ومدينة حسان والبها تضاف الثياب الحسانية ومدينة أجمرة ببلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهي أرض الخوارج الشراة وهذه كلها أرض نحس ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهنالك مدينة الديبل ثم يكون مارا متصلا بساحل الهند الى بلاد بروص والبها يضاف الساج البروصي برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا

بذى الحجة سنة خمس وتسعين وطارق معه وكان مقدم طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنة وبعد دخوله سنتين وأربعة أشهر وحمل موسى الغنائم والسبي وهو ثلاثون الف رأس والمائدة متروداً بها ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة مالا يقدر قدره وهو مع ذلك متلهف على الجهاد الذى فاته أسف على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمل ان يخترق ما بقى عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ محزرته بتلك الارض طريقا مهيعا يسلكه اهل الاندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق واليه على البر لا يركبون بحرا وقيل انه أوغل فى ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فاذا هى يا بنى اسمعيل انتهيتم فارجعوا فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى كبير نئذ ورأى أصحابه فى الاعراض عنه وجوازه الى ماوراءه فاختلفوا عليه فاخذ برأى جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية (وحكى الرازى) ان موسى خرج من افريقية الى الاندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين واستخلف على افريقية ابن ولده عبد الله بن موسى وكان موسى فى عشرة آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو الذى أغزى موسى المغرب فى خلافته ففتح له فى اهله البرابرة فتوحا كبارا حتى لقد بعث الى عبد الملك فى الخمس بعشرين الف سبية ثم أردفها بعشرين الفا أخرى كل ذلك من البربر فعجب عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك * وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر الصحابة وهو المنيذر قال ودخلها من التابعين ثلاثة موسى الامير وعلى بن رباح اللخمى وحيوة بن رجاء التميمى وقيل ان ثالثهم انما هو حنش بن عبد الله الصنعانى صنعاء الشام وانهم هم لواءها بعقول موسى واهل سرقسطة يزعمون أن حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه فالله اعلم * وقيل ان التابعين اربعة بأبى عبد الرحمن الجيلى الانصارى واسمه عبد الله بن يزيد والله اعلم وخمسهم بعضهم بحيان بن ابى جبلة مولى بنى عبد الدار وكان فى ديوان مصر فبعثه عمر بن عبد العزيز الى افريقية فى جماعة من الفقهاء ليفقهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس وانتهى معه الى حصن من حصون العدو يقال له قرقشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفى بها بعد العشرين ومائة * وقال بعضهم ان بين قرقشونة هذه وبين برشلونة مسافة خمسة وعشرين يوما وفيها الكنيسة المعظمة عند الفرنج المسماة شنت مريه وقد حكى ابن حيان ان فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحيط الانسان بذراعيه على واحدة منها مع طول مفرط * وحنش الصنعانى المذكور تابعى جليل كان مع على رضى الله عنه بالكوفة وقدم مصر بعد قتله فصار عداده فى المصريين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان وعفا عنه وكفى الاندلس شرفا دخوله لها * وعلى بن رباح بصرى تابعى يكنى ابا عبد الله وهو لخمى ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين واهل العراق يقولونه بضمها وروى الليث عن ابنه موسى بن على وكانت لعلى بن رباح عند

عبد

و يقابل ما ذكرنا من مبدإ ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطر وسط بنى خزيمة و بلاد عمان وأرض مهرة الى رأس الجمجمة الى أرض الشحر والاحقاف وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك وهى بلاد جنابة لان خارك مسافة الى جنابة و بينها وبين البر فراسخ فيها مغاص اللؤلؤ المعروف بالخاركى وجزيرة ولى فيها بنو معن وابن مسمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحر نحو يوم بل اقل من ذلك وفى ذلك الساحل مدينة البرارة والعقل والقطيف من ساحل هجر ثم بعد جزيرة اولى جزائر كثيرة منها جزيرة لافت وتدعى جزيرة بنى كاوان وقد كان افتتحها عمرو بن العاص وفيها مسجد الى هذه الغاية وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة وتقرب هذه الجزيرة الى جزيرة هنبان ومنها يستقى ارباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث لبس فيه طير ثم الدردور المعروف بدردور مسندم وتكنيه البحريون بابى جهرة وهذه مواضع من البحر وجبال سود ذاهبة فى الهواء لانبات عليها ولا حيوان تحيط بها مياه من البحر عظيمة نعرة وامواج متلاطمة تجزع منها النفوس اذا اشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لابد للمراكب من الجواز

عبد العزيز بن مروان مكانه وهو الذي زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد ثم عتب عليه عبد العزيز فأغزاه أفريقية ❊ وأما المنيذر الصحابي فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد البر في الصحابة وقال انه المنيذر الافريقي وروى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي قال حدثنا المنيذر الافريقي وكان سكن أفريقية وكان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا الزعيم له فلا آخذن بيده فلأدخلنه الجنة ورواه عنه ابن عبد البر بسنده اليه وسيأتي ان شاء الله تعالى في حق المنيذر مزيد بيان ❊ ولما قفل موسى بن نصير الى المشرق وأصحابه سأل مغيثا أن يسلم اليه العلج صاحب قرطبة الذي كان في اساره فامتنع عليه وقال لا يؤديه للخليفة سواي وكان يدل بولائه من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرت به حيا معك ادعاه مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرب عنقه ففعل فاضطغنها عليه مغيث وصار الساعي طارق الساعي عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد كان كما مر استخلف بافريقية أكبر أولاده عبد الله فصار جميع الاندلس والمغرب بيد أولاده وابنه عبد الله الذي خلفه بافريقية هو الذي افتتح جزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد أو بعده فمن يقول بالثاني قال قدم على سليمان حين استخلف وكان منحرفا عليه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية منه ورمياه بالخيانة وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب قرطبة وقالا له انه تدغل جوهرا أعظم القدر أصابه ولم تحوه الملوك من بعد فتح فارس مثله فلما وافى سليمان وجده متغيظا عليه فأغلظ له واستقبله بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر له ببعض العذر وسأله عن المائدة فأحضرها فقال له زعم طارق انه الذي أصابها دونك قال لا وما رآها قط الا عندي فقال طارق فليسأله أمير المؤمنين عن الرجل التي تنقصها فسأله فقال هكذا أصبتها وعوضتها رجلا صنعتها لها فحول طارق يده الى قبائه فأخرج الرجل فعلم سليمان صدقه وكذب موسى فحنق جميع ما رمي به عنده وعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأمر بتقصي حسابه فأغرمه غرما عظيما كشفه فيه حتى اضطر الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لخما حملت عنه في أعطياتها تسعين ألفا ذهبا وقيل حمله سليمان غرم مائتي ألف فأدى مائة ألف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلب أسير سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية (وقال الرازي) ان الذي أزعج موسى عن الاندلس أبو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناه قافلا وقفل معه من أحب المشرق وكان اكثر الناس تضنوا ببلاد الاندلس لديهما فأقاموا فيها ❊ وذهب جماعة من أهل التاريخ الى أن موسى انما قدم على الوليد وأن سليمان ولي العهد لما سمع بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب أي سليمان الى موسى يأمره بالتربص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان في أول خلافته بتلك الغنائم الكثيرة التي ما رؤي ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فأبى موسى من ذلك ومنعه دينه منه وجد في السير حتى قدم والوليد حي فسلم له الاخماس والمغانم والتحف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفي واستخلف سليمان فحقد

عليها والدخول في وسطها تخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسي عليه ما وصفنا من البحرين وفارس والبصرة وعمان الى رأس الجمجمة وما بين هذا الخليج وخليج القلزم ايلة والحجاز واليمن ويكون بين الخليجين من المسافة الف وخمسمائة ميل وهي داخلة من البر في البحر والبحر يطيف بها من اكثر جهاتها على ما وصفنا بهذا البحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد احاط به من الامم الكثيرة التي لا يعلمون فهم ولا عددهم الا من خلقهم سبحانه وتعالى ولكل قطعة منه اسم يفردها من غيرها والماء واحد متصل غير منفصل وفي هذا البحر مغاصات الدر والياقوت وفيه العقيق والباديج وهو نوع من البجادي وانواع الياقوت والماس والسنباذج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان ونحاس بأرض عمان وفيه انواع الطيب والافاويه والعنبر والساج والخشب المعروف بالرداستجي والقنا والخيزران وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه ادركناها وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحرا

عليه وأمنه وأمر بإقامته في الشمس حتى كاد يهلك وأغرمه أموالا عظيمة ودس الى أهل الاندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولى الاندلس بعد سفر أبيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان تدبقي على أبيه موسى منها وكان من خير الولاة الا ان مدته لم تطل لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقب سنة خمس وتسعين في خلافة سليمان الموقع بابيه موسى لاشياء نقموها عليه منها زعموا تزوجه لزوجة لذريق المكناة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها واموالها وقت الفتح وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها في كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد لذريق زوجها الاول أهل مملكته فقال لها ان هذا حرام في ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها فتخذ بابا صغيرا لبيت مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وأفهمها ان ذلك الفعل منهم تحية له فرضيت بذلك فنمى الخبر الى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان لهم في قتله فقتلوه سامحه الله تعالى * وذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا في الحجر بعد ما تقدم من الكتابة التي هي ارجعوا يا بني اسمعيل الخ ما معناه وان لم ترجعوا فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى (قال ابن حيان) وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظما وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعدد الامراء فيها وأسماءهم فأجاد وتقصى وهي بايدي الناس موجودة انتهى وقد عرفت بما سبق تفصيل ما أجمله ابن خلدون والروايات في فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية وأشرنا الى بعض الاختلاف في ذلك ولو بسطنا العبارة في الفتح لكان وحده في مجلد أو اكثر ولنرجع لما ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قبل بني مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين أجمعين قبل تفرقهم الى ان انقرضت دولتهم العظيمة التي هي ألف شهر فاقتطع الاندلس عن بني العباس الدائلين على بني مروان الناسخين لهم فل المروانيين عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان واقتعدها دار مملكة مستقلة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بني أمية ومواليهم وأورثها بنيه حقبة من الدهر بعد ان قاسى في ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذريته من بعده اهل الاندلس اجمعون رضا بهم دون بني العباس بعد ان حاول بنو العباس تملكها بان ولوا بعض رؤساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بني مروان فلم يتيسر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب في ذلك وقتل منهم آلافا وذلك في مدة المنصور كما سيأتي ان شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع آخر ولنذكر هنا ولاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق في كلام ابن خلدون * وقال بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأجل السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى * وقال الحجاري في المسهب يحكى ان موسى بن نصير اتى بنفسه على يزيدين المهلب

كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر القلزم وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الرانج وبحر الصين فمختلفة فيها ما زيد من قعر البحر يتشعر فيه منه وبعضه موجه كالقدر تغور مما يلحقها من مواد حرارة النار ومنها ما يرتفع والبعض فيه من قعره ولنسيم ومنها ما يكون هيجه من النسيم دون ما يظهر من قعره وما وصفناه مما يثير من قعره من الرياح نسمات من الارض تنبهر الى بحره تنبهر في سحمه والله عز وجل اعلم بكيفية ذلك ولكل من مركب هذه البحار من الناس أرياح يعرفونها في اوقات يكون فيها هبابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه واحوال ركوبه وثوراته والروم والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب اوصافها واخبارها ان شاء الله تعالى (ذكر تنازع الناس في المد والجزر وجوامع مما قيل في ذلك) والمد مضي الماء في فيئته وسيحته وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف ماء مضى عليه في هيئته وذلك كبحر

المهلب لما كانه من امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وطلب منه ان يكلمه وان يجمع بينه فقال له يزيد اريد ان اسألك فاسمع الى قال سل عما بدا لك فقال له لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقل لي كيف حصلت في يد هذا الرجل بعد ما ملكت الاندلس والقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلادا انت اخترتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما القيت عنقك في يد من لا يرحمك ثم انك علمت ان سليمان ولي عهد وانه المولى بعد اخيه وقد اشرف على الهلاك لا محالة وبعد ذلك خالفته والقيت بيدك الى التهلكة واحقدت مالكك ومملوكك قال يعني سليمان وطارقا وما رسنا هذا الرجل عنك الا بعد والكن لا الو جهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد اما سمعت اذا جاء الحين غطى على العين فقال ما قصدت بما قلت لك تعديدا ولا تبكيتا انما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأي وان ارى ما عندك فقال موسى اما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بعد ويقع في الفخ وهو بمرأى عينيه ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد اشتمل رأسه على ما يمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والابشار على سلامة ما الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال الله قال وآلت حاله الى ان كان يطاف به ليسأل من احياء العرب ما يفك به نفسه وفي تلك الحال مات وهو من افقر الناس واذلهم بوادي القرى سائلا من كان نائله وقال احد غلمانه ممن رق له في حال الفقر والخمول لقد رأيتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على احياء العرب فواحد يعطينا وآخر يحتجب فتناول بما دفع البنا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه الى الموكلين به فيخففون عنه من العذاب ولقد رأيتنا ايام الفتوح العظام بالاندلس ناخذ السلوب من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغير ذلك ونرمي به ولا ناخذ الا الدر الفاخر فسبحان الذي بيده العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على ان يسلمه وهو بوادي القرى في اسوإ حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان اتسلمني في هذه الحالة فقال له المولى من شدة ما كان فيه من الضجر بدا اسلمك خالقك الى المالك الذي هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء خاشعا بهما فتسلم قلبه لك الليلة الا عن قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يترحم عليه وان فعل سليمان به وبولده وكونه طرح راس ابنه عبد العزيز الذي تركه نائبا عنه بالاندلس وقد جيء به من اقصى المغرب بين يديه من وصماته التي تعد عليه طول الدهر لا جرم ان الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه* وذكر ابن حيان ان موسى كان عربيا فصيحا وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ويكفي منها ما ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنها الحشر وقال الحجاري ان منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن اسيد بمحضر عبد الملك بن

الحبشي الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان البحار على ثلاثة انواع منها ما يتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها ما لا يجزر ولا يمد كالبحار التي لا يكون بها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهي على ثلاثة اصناف فاولها ما يبعد الماء فيه زمانا فيغلظ وتقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة وينقص في الصيف ويزيد في الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثاني الذي يبعد عن مدار القمر وسمته فانه بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على ارضها التخلخل لانه اذا كانت ارضها متخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلخل وانشفت الرياح الكائنة في ارضها اولا وغلبت الرياح عليها واكثر ما يكون هذا في ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس في علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه يجانس الماء وهو يسخنه فيبسطه وشبهوا ذلك بالنار اذا اسخنت ما في القدر واغلته وان الماء يكون فيها على قدر النصف او الثلثين وكلما انبسط في القدر ارتفع

مروان بجابه الى ان قال شعرا منه

حاربت غير سوم فى مطاولة ‡ لونازع الحقل لم ينزع الى حضر

و مذهم باذ كره غير واحد كابن حيان ان موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا ذكره الحجارى فى المسهب مع ام البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى مكنته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهر من كان فى صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وقد جرى ذكرهما فى كتابنا هذا بما اقتضاه الاختصار وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف فى ان موسى هل هو لخمى صريح او بالولاء وبربرى او مولى لعبد العزيز بن مروان ما صورته وكان فى عقبه نباهة فى السلطنة ولى ابنه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة افريقية وذكر الحجارى ان اصله من وادى القرى بالحجاز وانه خدم بنى مروان بدمشق وتنبه شانه وتصرف فى ممالكهم الى ان ولى افريقية وما وراءها من المغرب فى زمن الوليد بن عبد الملك ودوخ اقاصى المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوخ بلاد الاندلس ثم وفد الى الوليد الى الشام فوافق مرضه ثم موته وخلافة اخيه سليمان فعذبه واستنفد فى امواله وآل امره الى ان وجهه الى قومه بوادى القرى لعلهم يعطفون عليه ويؤدون عنه فمات بها وقد نص ابن بشكوال على انه مات بوادى القرى * اما معارفه السلطانية فيكفيه ولاية ما خلف مصر الى البحر المحيط بين برى البربر والاندلس * واما الادبية فقد جاءت عنه بلاغة فى النثر والنظم تدخله مع نزارتها فى اصحاب درر الكلام وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الدارى وذكره فى كتب الائمة من المصنفين ابيه واوجب من ان يخصص بذكره واحدا منهم وهو غرة التواريخ الاندلسية وذكره الى الآن جديد فى ألسن الخاصة والعامة من أهلها * ومن المسهب للحجارى كان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما اعانه الله سبحانه به على ما بنى له من المجد المشيد والذكر الشهير المخلد الذى لا يبليه الليل والنهار ولا يعفى جديده بلى الاعصار الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا تخلو من ذلك وأنشد بعض الرؤساء ‡ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا * فقابله الرئيس وقال من يترك الحقدا ثم قال ان السيد اذا ترك اضمار الخير والشر والمجازاة عليهما اجترئ عليه ونسب للضعف والغفلة وهل رأيت صفقة أخسر من غفلة رئيس احقده غيره فنسى ذلك او تناساه وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه عنده الا الراحة منه وهو فى واد آخر عنه ولله در القائل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا ‡ مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ولكن الاصوب أن يكون الرأى ميزانا لا يزن الوافى لناقص ولا يزن الناقص لواف ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ويقدر فيه حسن العاقبة * ونص ابن بشكوال على ان موسى بن نصير مات بوادى القرى سنة سبع وتسعين وغزا الاندلس سنة احدى وتسعين ودخلها سنة ثلاث وتسعين وقفل عنها الى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين وذكر ان ولايته على الاندلس بالمباشرة مذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة

وتدافع حتى يغور فيتضاعف عن كيته فى الحس و ينقص فى الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة ان تجمعها وذلك ان قعور البحار تحمى فيتولد فى ارضها سخونة وتستحيل وتحمى كما فى البلاليع والآبار فتحمى ذلك الماء فينمو ويزداد واذا زاد مع تدافع كثرة بعضه فطفا على بعضه وبان حين كثرة واحتاج الى اكثر من مجاريه وان القمر اذا امتلأ حمى الجو حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فسمى ذلك المد الشهرى وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب بدوران الكواكب المنيرة عليه مع الشامية من الكواكب الشامية اذا كانت المنيرة فى القدر مثل الميل على محاذاته واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعله فيه من اوله الى آخره فى كل يوم وليلة وهى مع ذلك فى الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون فى النهر الذى يعرف به المد من اطرافه وما يتصل اليه من سائر المياه وقالت طائفة اخرى لو كان الجزر والمد منزلة النار اذا اسخنت الماء الذى فى القدر وبسطته فطلب اوسع منها فيفيض حتى اذا خلا تعود الماء طلب الماء بعد خروجه منها قعر الارض لطعمه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلى من الماء فى المرجل والقمقم انتهى

انتهى، وقد تقدم شيء من ذلك. وذكر ابن بشكوال أيضاً أن ابن حبيب قال عن وهب عن
الناس كلهم يوم فتح الأندلس الأربعة نفر فقط كانوا من التابعين حنش الصنعاني وأبو
عبد الرحمن الحبلي وابن شماسة وعياض بن عقبة. انتهى. * قال ابن سعيد وممن دخل الأندلس
من غير هؤلاء الأربعة من التابعين علي بن رباح اللخمي وموسى بن نصير فاتح الأندلس وحبان
ابن أبي جبلة القرشي مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب الأندلس المذكور في
سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري وزيد بن قاصد السكسكي والمغيرة بن أبي بردة
الكناني وعبد الله بن المغيرة الـ[illegible]ي وحيوة بن رجاء التميمي وعبد الجبار بن أبي سلمة بن
عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامة وعلي بن عثمان بن خطاب. وذكر ابن حبيب أن
عدة من دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلاً وفي كتاب ابن
بشكوال أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلاً وهم أسسوا قبلة المسجد
الجامع بقرطبة وبنى المحاري في المسجد هؤلاء المتقدمين. وذكر ابن سعيد أنه لم يحو
المواضع التي تختص بهؤلاء التابعين من بلاد الأندلس مع جزمه بأنهم دخلوا الأندلس
وسكنوا بها وسيأتي ذكر التابعين الداخلين الأندلس بما هو أتم من هذا وقد تقدم غلول
من عد التابعين من الغنائم. وقال الليث بن سعد بلغني أنه لما فتحت الأندلس
معانم كثيرة من الذهب والفضة أن كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم
السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون
حملها حتى يأتوا بالفأس فيضربون به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها والآخر النصف الآخر
لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشغولون بغير ذلك. وعن يحيى بن سعيد لما فتحت
الأندلس أصاب الناس فيها غنائم فغلوا منها غلولاً كثيراً فحملوه في المراكب وركبوا البحر
فسمعوا منادياً يقول اللهم غرق بهم وتقلدوا المصاحف فما شعروا أن أصابتهم ريح عاصف
وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت وغرق بهم وأهل مصر ينكرون ذلك
ويقولون أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا وإنما هم أهل سردانية والله أعلم بحقيقة الحال
. وقد رأيت في بعض كتب التاريخ أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والأموال ما لا
يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة
ووجد فيها ألف سيف ملوكي ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ومن أواني الذهب
والفضة ما لا يحيط به وصف ومائدة سليمان وكانت فيما يذكر من زمردة خضراء وزعم بعض
العجم أنها لم تكن لسليمان وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسبة في دينهم إذا
مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فإذا اجتمع عندهم مال له قدر اتخذوا منه الآلات من
الموائد العجيبة والكراسي من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الأناجيل
في أيام المناسك ويضعونها في الأعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع في
هذا السبيل وتأنق الملوك في تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الأول حتى برزت على جميع
ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص
مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد وقيل إنها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها

اذا فاض وسابت اجزاء الماء عليه بالحمى لكان في الشمس اشد

... ولو كانت الشمس علة مده
لكان يمتد مع بدء طلوع
الشمس ويجزر مع غيبتها
فزعم هؤلاء أن علة الجزر
والمد في الأبحر تتولد من
الأبخرة التي تتولد من بطن
الأرض فإنها لا تزال تتولد
حتى تكثف وتكثر فتندفع
حينئذ بماء هذا البحر
لكثافتها فلا تزال كذلك
حتى تنقص موادها من
أسفل فإذا انقطعت موادها
رجع الماء حينئذ إلى قعر
البحر وكان الجزر من أجل
ذلك والمد ليلاً ونهاراً وشتاء
وصيفاً وفي غيبة القمر وفي
طلوعه وكذلك في غيبة
الشمس وطلوعها قالوا
وهذا يدرك بالحس لأنه
ليس يستكمل الجزر آخره
حتى يبدو أول المد ولا
ينقضي آخر المد حتى يبتدئ
أول الجزر لأنه لا يتغير توالد
تلك البخارات حتى إذا خرجت
من أسفلها رجع الماء إلى مكانها بدلك
أن البحر إذا غارت مياهه
ورجعت إلى قعره تولدت
تلك الأبخرة لمكان
ما تحصل منها من الأرض
بمائه وكلما غارت تولدت
وكلما فاض نقصت وذهب
آخرون من أهل الديانات
أن كل ما لم يعرف له من
الطبيعة مجرى ولا يوجد له
في القياس فهو فعل الإله
يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته فليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ولا في القياس وقال آخرون ماهية البحر

وكان فيها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا وكانت توضع في كنيسة طليطلة فأصابها طارق
ابن زياد وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان ما فيه نظيره وقد ذكرنا فيه ما مضى من أمر المائدة
... بعض تلف وما ذلك الا لانا ننقل كلام المؤرخين وان خالف بعضهم بعضا
... كثيرا فائدة ... فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلاف في صفتها وجنسها
وعدد أرجلها وهي من أجل ما غنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوعة
الاجناس التي ذكرها الى الآن شائع بين الناس واعلم أنه لما استقر قدم أهل الاسلام
بالاندلس وتأمن بها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها فنزل بها
من جراثيم العرب ... جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من امرهم ما كان فاما
العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة
الانفس بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن
علي بن أبي طالب ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الاندلس بعد انتثار سلك بني أمية واما بنو أمية
فمنهم خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الآن بالقرشيين وانما عموا انسابهم
الى أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم وذكروا افعالهم في الحسين رضي الله عنه وأما
بنو زهرة فمنهم باشبيلية اعيان مشهورون وأما المخزوميون فمنهم ابو بكر المخزومي الاعمى
الشاعر المشهور من اهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر ابو بكر بن
زيدون وابنه الذي هو اعظم منه ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عباد قال ابن
غالب ومن الاندلس من ينسب الى جمح والى بني عبد الدار وكثير من قريش المعروفين
بالفهريين من بني محارب بن فهر وهم من قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان
الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو ... الاعيان العلماء ومن بني محارب
ابن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الاندلس الذي غلبه عليها عبد الرحمن الاموي
الداخل وجده عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بافريقية قال ابن حزم ولهم
بالاندلس عدد وثروة وأما المنتسبون الى عدي ... كثير وجدا بها في طليطلة واعمالها ولهم
... الكنانيون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضي ابو الوليد والوزير ابو
جعفر ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه في محله واما هذيل بن
مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة اريولة من كورة تدمير واما تميم
ابن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس
ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزومية واما ضبة بن اد بن طابخة فذكرانهم قليلون
بالاندلس فهؤلاء عدد من العدنانية واما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية
فبالاندلس كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى بني سليم بن منصور بن
عكرمة بن خصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه صاحب الامام مالك رضي
الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة ومن بني سعد بن بكر ... ينتسب الى هوازن بن
منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن
هوازن قال ابن غالب ولهم منزل بجوفي بلنسية على ثلاثة اميال منها وباشبيلية وغيرها ومنهم

حتى يعود ... طائفة
أخرى الى ابتدائها ...
وصف ما تقول ...
... الهواء ... البحر
يستحيل ...
عنه ... ممدود ...
ذلك واذا ...
... وهو
... مترادف
... لان الماء ... بل
... والهواء ...
... يكون
ذلك ...
... الهواء ...
الاندلس ...
والمد والجزر في بحر فارس
يكونان في مطالع القمر
والاسلام من الاوقات وقد
ذهب كثير من نواحي هذا
البحر وهم ارباب المراكب
من السيرافيين والعمانيين
ممن يقطعون هذا البحر
... الى عمارة من
الامم التي في جزائره وحوله
الى ان المد والجزر يكون
في معظم هذا البحر ...
في السنة مرة يمد في شهور
الصيف شرقا بالشمال ستة
أشهر فاذا كان ذلك طغى الماء
في مشارق البحر ... ويمد في شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر فاذا

حاو كثير ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذي منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهري وهو
فارسي الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب ان منهم
بغرناطة كثيرا كبني جودي وقد رأس بعض بني جودي ومنهم من ينتسب الى سلول
امرأة نسب اليها ابنوها وابوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من
ينتسب الى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من
ينتسب الى غير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب وهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى
قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بلج بن بشر صاحب الاندلس وآله
وبنو رشيق ومنهم من ينتسب الى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن
قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى اشجع بن ريث بن غطفان ومن هؤلاء محمد بن عبد الله
الاشجعي سلطان الاندلس وفي ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها قيسية وان ثقيفا هو قسى
ابن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة واليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن
الثقفي صاحب الاندلس وقيل انهم من بقايا ثمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر * واما
ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب الى أسد بن ربيعة بن نزار قال في فرحة الانفس ان اقليم
هؤلاء مشهور باسمهم بحوفي مدينة وادي آش انتهى ولا اشهر بالنسبة الى أسد أبدا بنو أسد
ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى محارب بن عمرو بن وديعة
ابن بكير بن افصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة قال ابن غالب في فرحة الانفس
ومنهم بنو عطية اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن
دعمي بن جديلة بن اسد كبني عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر ومنهم من
ينتسب الى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبني حديد سر أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب
الى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أونبة وشلطيش الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب
التصانيف انتهت ربيعة * وأما اياد بن نزار وقد يقال انه ابن معد والصحيح الاول فينتسب
اليهم بنو زهر المشهورون باشبيلية وغيرهم انتهت العدنانية وهم الصريح من ولد اسمعيل
عليه السلام واختلف في القحطانية هل هم من ولد اسمعيل أو من ولد هود على ماهو معروف
وظاهر صنيع البخاري الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية
وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق
وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بني أمية فان القرشية جذمتهم
على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميزون بالعمائر والقبائل
والبطون والافخاذ الى ان ضيع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الاندلس
وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التدائهم وتعصبهم في الاعتزاء وقدم القواد على الاجناد فيكون
في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس الا
ما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب اليمن من جرم بن كهلان وحمير بن
يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان ابن
الهميسع بن تيمان بن نابت بن اسمعيل وقيل قحطان ابن هود بن عبد الله بن رباح بن جارف

كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت في
الجهة الجنوبية فكذلك تكون
البحار في جهة الجنوب في
الصيف فهبوب الشمال
طامية عالية وتقل المياه في
جهة البحار الشمالية وكذلك
اذا كانت الشمس في الجنوب
وسال الهواء من الجنوب في
جهة الشمال سال معه ماء
البحر من الجهة الجنوبية
الى الجهة الشمالية فقلت
المياه في الجهات الجنوبية
فهو ينتقل ماء البحر في
هذين الميلين أعني في جهتي
الشمال والجنوب فسمي
جزرا ومدا شتويا وذلك ان
مد الجنوب جزره الشمال
ومد الشمال جزره الجنوب
فان وافق القمر بعض
الكواكب السيارة في
أحد الميلين زائدا وى الحمى
واشتد لذلك سيلان
الهواء فاشتد لذلك انقلاب
ماء البحر الى الجهة المخالفة
للجهة التي ليس فيها الشمس
(قال المسعودي) فهذا رأي
يعقوب بن اسحق الكندي
واحمد بن الطيب السرخسي
فيما حكاه عنه ان البحر
يتحرك بالرياح ورأيت مثل
ذلك ببلاد كنباية من
أرض الهند وهي المدينة
التي تضاف اليها النعال
الكنباتية الصرارة وفيها
وفيما يليها مثل مدينة
سندارة وسريرة وكان دخولي اليها في سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهرا

ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام والخلف في ذلك مشهور فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان واليهم ينتسب محمد ابن هانئ الشاعر المشهور الالبيرى وهو من بنى المهلب ومن الازد من ينتسب الى غسان وهم بنو مازن بن الازد وغسان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بنى القسيمى من أعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجم الغفير بالاندلس * قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجده بالاندلس فى اكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ولقد أخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه الا شيخا من الخزرج وعجوزا من الاوس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس فى شرقها ومغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر ومن أهل الاندلس من ينتسب الى الاوس أخى الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عك بن عدنان بن ازان بن الازد وقد يقال عك بن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق أبو عبد الله بن أبى الخصال الكاتب واكثر جهات شقورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى همدان وهو اوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى ومن كهلان من ينتسب الى مذحج ومذحج اسم اكمة حمراء باليمن وقيل اسم أم مالك وطيئ ابنى ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب بنو سراج الاعيان من أهل قرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طيئ بقبلى مرسية ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن ادد وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن غالب وأعرف بمراد منهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عنس بن مالك بن ادد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب وقلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة ومن مذحج من ينتسب الى زبيد قال ابن غالب وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهى امرأة من قضاعة ولدت للحرث بن عدى بن الحرث مرة بن أدد فغلب ولدها منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قضاعة ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مرة وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة بن منهم المنصور بن أبى عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدى بن الحرث بن مرة منهم بنو عباد أصحاب أشبيلية وغيرها وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجى اعيان اشبيلية وبنو وافد

المال وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والثمار جيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذى يأخذ منه هذا الخليج يومان وأول من ذلك فيجزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذى ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد أقبل المد من نهاية الجزر كالخيل فى الحلبة فربما أحس الكلب بذلك فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذى لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوى وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مرزق من أرض فارس والله أعلم

(ذكر بحر الروم ووصف ماقيل فى طوله وابتدائه وانتهائه) اما بحر الروم وطرسوس وادرنة والمصيصة واطاكية واللاذقية

الاعيان ومنهم من ينتسب الى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الاندلس وبنى هود ملوك
شرق الاندلس ومنهم المتوكل بن هود الذى صحت له سلطنة الاندلس بعد الموحدين ومنهم
بنو مردنيش أصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام
عامر واسم لخم مالك وهما ابنا عدى ومن كهلان من ينتسب الى كندة وهو ثور بن عفير بن
عدى بن مرة بن ادد ومنهم يوسف بن هرون الرمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تجيب
وهى امرأة اشرس بن السكون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى خثعم بن أنمار
ابن اراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبى نسعة
سلطان الاندلس وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد بن عدنان انتهت كهلان * وأما حمير بن سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب الى ذى رعين قال ابن غالب وذو رعين هم ولد
عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم
ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير قال
ومنهم أبو عبد الله الحناط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين عريم
ابن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أصبح قال ابن حزم هو ذو أصبح بن
مالك بن زيد من ولد سبا الاصغر ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر
الحازمى أن ذا أصبح من كهلان وأخبر أن منهم مالك بن أنس الامام والمشهور أنهم من حمير
والاصبحيون من أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يحصب قال ابن حزم انه أخو ذى أصبح
وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من أجلهم فى التواريخ الاندلسية بقلعة يحصب ومنهم
من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم
بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان اشبيلية * ومنهم من ينتسب الى قضاعة بن مالك بن
حمير وقد قيل انه قضاعة بن معد بن عدنان وليس بمرضى ومن قضاعة من ينتسب الى مهرة
كالوزير أبى بكر بن عمار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف
ابن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خشين بن تنوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن عمر
ابن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة
ومنهم من ينتسب الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البلويون الاشبيلية * ومنهم
من ينتسب الى جهينة بن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة
منهم جماعة * ومنهم من ينتسب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبى عبدة الذين
منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها * ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن زيد
ابن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة * ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة
ومن أهل الاندلس من ينتسب الى حضر موت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية
وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضر موت
هو ابن قحطان وقيل هو حضر موت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن
الغوث بن حيدان بالحيم ابن قطن بن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهميسع بن حمير
كذا نسق النسب الحازمى * ومن أهل الاندلس من ينتسب الى سلامان ومنهم الوزير لسان

وطرابلس وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من اصحاب
الزيجات فى كتبهم منهم
محمد بن جابر البتانى وغيره ان
طوله خمسة آلاف ميل وعرضه
مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه
سبعمائة ميل ومنه ستمائة
ميل واقل من ذلك على حسب
مضايقة البر للبحر والبحر للبر
ومبدا هذا البحر من خليج
يخرج جاريا من بحر اوقيانوس
واضيق موضع من هذا
الخليج بين ساحل طنجة من
بلاد المغرب وبين ساحل
الاندلس وهذا الموضع
المعروف بنيطاء وعرضه فيما
بين الساحلين نحو من عشرة
اميال وهذا الموضع هو
المعبر لمن اراد العبور من
الغرب الى الاندلس ومن
الاندلس الى الغرب وعلى
الحد بين البحرين اعنى بحر
الروم وبحر اوقيانوس المنارة
النحاس والحجارة التى بناها
هرقل الجبار على اعلاها
الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها
ان لا طريق وراءى لجميع
الداخلين الى ذلك البحر
بحر الروم اذ كان بحرا
لا تجرى فيه جارية ولا
عمارة فيه ولا حيوان
ناطق يسكنه ولا يحاط
بمقداره ولا تدرى غايته ولا
يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات
والاخضر المحيط وقد ذهب
قوم ان هذا البحر أصل ماء
البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ومن نجا منهم

الدين بن الخطيب حسبما ذكر فى محله * وقد رأيت أن أسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن
الفتح الى آخر ملوك بنى أمية وان تقدم و يأتى ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول طارق
ابن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ سريرا للسلطنة ثم
عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمى وسريره قرطبة
وكل من يأتى بعده فسريره قرطبة والزهراء والزاهرة بجانبيها الى ان انقضت دولة بنى
مروان على ما ينبه عليه ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفى ثم السمح بن مالك الخولانى ثم
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ثم عنبسة بن سحيم الكلبى ثم عذرة بن عبد الله الفهرى ثم يحيى
ابن سلمة الكلبى ثم عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ثم حذيفة بن الاحوص القيسى ثم
الهيثم بن عبيد الكلابى ثم محمد بن عبد الله الاشجعى ثم عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بلج
ثم بشر بن عياض القشيرى ثم ثعلبة بن سلامة العاملى ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبى
ثم ثوابة بن سلامة الجذامى ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وههنا انتهى الولاة الذين
ملكوا الاندلس من غير موارثة أفرادا عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدّوا
فى السمة لفظ الامير * قال ابن حيان مدّتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الاندلس
النصرانى وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوّال سنة اثنتين وتسعين الى يوم الهزيمة على
يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المروانى على سرير الملك
قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ست وأربعون
سنة وخمسة أيام انتهى * ثم كانت دولة بنى امية أوّلهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن
عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم
ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن
الناصر بن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم
وفى أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبى عامر الزاهرة ثم المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار
ابن الناصر وهو أوّل خلفاء الفتنة وهدمت فى أيامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة
ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم تخللت دولة بنى حمود العلويين
وأولهم الناصر على بن حمود العلوى الادريسى ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود ثم كانت
دولة بنى أمية الثانية وأوّلها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ثم
المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر
وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خلع اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية
واستبدّت ملوك الطوائف كابن جهور فى قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام
الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثم من برّ العدوة وفتك فى ملوك
الطوائف وبعد ذلك ما خلصت له ولا لولده على بن يوسف لان بنى هود نازعوه فى شرقيها
بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المؤمن و بنيه فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذى
كان ينازعه فى شرق الاندلس ثم صفت ليوسف بن عبد المؤمن بموت ابن مردنيش ثم
لمن بعده من بنيه وحضرتهم مراكش وكانت ولاتهم تتردد على الاندلس ومما لكها ولم

ومن تلف وما شاهدوانه وبار أواوين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة فى طول
مصب هذا الخليج وجريانه
وذلك انما يجرى فى بحر
الروم والشام ومصر وهو
متصل بمدينة نحو من
خمسمائة ميل تسمى
بالرومية درس وعلى هذا
الخليج من جانب الغرب
قرية يقال لها بتة وهى
وطنجة من ساحل واحد
ومما يلى سبتة هذه من
ناحية الاندلس الجبل
المعروف بجبل طارق مولى
موسى بن نصير ويعبر
الناس من سبتة الى ساحل
الاندلس من غدوة الى
الظهر وفى هذا الخليج
موج عظيم والماء من
هنالك يخرج من بحر
اوقيانوس ويصب الى البحر
الرومى وفى هذا الخليج
مواضع تعلو أمواجها
ويعلو الماء من غير ريح
وهذا الخليج تسميه أهل
المغرب وأهل الاندلس
الزقاق اذ كان على هيئة
ذلك وفى بحر الروم جزائر
كثيرة منها جزيرة قبرس بين
ساحل الشام والروم وجزيرة
رودس فى مقابلة الاسكندرية
وجزيرة اقريطش وجزيرة
صقليه وسنذكر صقلية بعد
هذا الموضع فنذكر
جبل البركان الذى تظهر
منه النار فيها اجسام وجثث
عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندى وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسى فى طول هذا البحر وعرضه

يولوا على جميعها شخصا واحدا العظم ممالكها الى ان انقرضت منهاد واتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعه فيها الا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة في طبيرة من غرب الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته ولما قتله وزيره ابن الرميمي بالمرية زاد الامر الى أن ملك بنو الاحمر وكان غرب أهل الاندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ثم تناقصت تلك الظلال ودخل الجزيرة الاختلال الى أن استولى عليها حزب الضلال والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين *(وقد ذكرت) في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما سرحت طرف القلم في بعضهم وبنو جهور المشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين ثم انه لما انتثرت سلك الخلافة اقتدت قرطبة الوزير أبو الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة * قال في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد ابن جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات وأنجدهم في الملمات ركب متون الفتون فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها منبسط غير منكمش لا طائش اللسان ولا رعش وقد كان وزر في الدولة العامرية فشرفت بجلاله واعترفت باستقلاله فلما انقرضت وعاقت الفتن واعترضت تحيز عن التدبير مدتها وخلى للخلافة أبناء الخلافة وشدتها وجعل يتقبل مع اولئك الوزراء ويدبر ويدير الامر معهم ويدبر غير مظهر للانفراد ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد الى أن بلغت الفتنة مداها وسوغت ما شاءت رداها وذهب من كان يجد في الرياسة ويخب ويسعى في الفتنة ويدب ولما ارتفع الوبال وأدبر ذلك الاقبال رأى أهل الثوى مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تحيلا منه وتمويها ونداهيا على أهل الخلافة وذويها وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض منه لاهل قرطبة برق خلب نشام بعد سرعة انتقالها وتحيل انتكاثها فأنابوا الى الاجابة وأجابوا الى استرعائه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك الامام والموا بقرطبة أحسن المام فدخلوها بعد فتن كثيرة واضطرابا مستثيرة والبلد متفر والجلد مسفر فلم يبق غير يسير حتى حيد واضطرب أمره وخلع واختطف من الملك وانتزع وانقرضت الدولة الاموية وارتفعت الدولة العلوية واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ودبر أمرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا أمن خائفها ورفع طارق الفتنة وطائفها وخلا له الجو فطار وقضى اللبانات والاوطار فعادت له قرطبة الى أكمل حالتها وانجلى به نور جلالتها ولم تزل به مشرقة وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفي (سنة ٤٣٥) فانتقل الامر الى ابنه أبي الوليد واشتمل منه على طارف وتليد وكان لابي الحزم أدب ووقار وحلم سارت به الامثال وعدم فيها المثال وقد أثبت من شعره ما هو لائق وفي سماء الحسن رائق وذلك قوله في تفضيل الورد

الورد أحسن ما رأت عيني وأز * كى ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه * فتذللت تنقاد وهي شوارد

غير ما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه الاخبار على نظم من التأليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

*(ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية)

فاما بحر نيطش فانه يمتد من بلاد ملزقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف بطنانس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة بولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من اهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه انواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله الى آخره والقسطنطينية في الجانب الغربي من هذا الخليج وهو متصل ببر رومية والاندلس وغيرهما مما يصب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم في بحر البنطس

والروس وهو بحر نيطش وسيأتى ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم

وإذا تعدّى الغصن فى أغصانه * يزهو فذا ميت وهذا حاسد
وإذا أتى وفد الربيع مبشرا * بطلوع صفحته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه * خبر عليه من النبوة شاهد
وإذا تعرّى الورد من أوراقه * بقيت عوارفه فهن خوالد

انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الابيات فى تفضيل الورد قول ابن الرومى فى تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضل المبين وإن أبى * آب وحاد عن الحقيقة حائد

وهى مشهورة ورد على ابن الرومى بعضهم بقوله

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه إن فهمك فاسد الخ

وهى أيضا مشهورة * (رجع الى ما كنا فيه) وكانت لأهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع فى الكفار شفت الصدور من أمراضها ووفت النفوس بأغراضها واستولت على ما كان لله الكفر من جواهرها وأعراضها ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعيا العلاج حكماء الرجال فصار أهل الاندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق ومن بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق * وما أحسن ما أعرب الامام الكاتب القاضى أبو المطرف بن عميرة عما يشمل هذا المعنى وغيره فى كتاب بعث به الى الشيخ أبى جعفر بن أمية حين حل الرزء ببلنسية وهو

ألا أيها القلب المصرح بالوجد * أمالك من بادى الصبابة من بدّ
وهل من سلوّ يرتجى لمتيم * له لوعة الصادى وروعة ذى الصدّ
يحن الى نجد وهيهات حرّمت * صروف الليالى ان يعود الى نجد
فيا جبل الريان لا ريّ بعدما * عدت غير الايام عن ذلك الورد
ويا أهل ودى والحوادث تقتضى * خلوّى عن أهل يضاف الى الود
ألا متعة يوما بعارية المنى * فأنا أراها كل حين الى الرد
أمن بعد رزء فى بلنسية ثوى * بأحنائنا كالنار مضمرة الوقد
يرجى أناس جنة من مصائب * تطاعن فيهم بالمثقفة الملد
ألا ليت شعرى هل لها من مطالع * معادا الى ما كان فيها من السعد
وهل أذنب الابناء ذنب أبيهم * فصاروا الى الاخراج من جنة الخلد

مرحبا بالسحاءة وما أعارت افقى من الاضاءة وردت تسحر النهى وتسحب ذيلا على السها وتهز من المسرة أعطافا وترد من نجوم المجرة نطافا عامت من الظلمة فى موجها ثم غلبت الشهب على أوجها فقلب العقرب يجب وسهيل بداره يحتجب والطرف غضيض وجناح الطائر بهيض وصاحب الاخبية يقرض والذابح عن ذبيحته يعرض ورامح السماكين تخونه السلاح وواقع النسرين يود لو أنه يخفيه الصباح بلاغة تفتن كل لبيب وترعى روض كل أديب وتغض على رغم العدو من حبيب ان من

البيان

فى ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

* (ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار) *

وأما بحر الاعاجم الذى عليه دورها ومساكنها وهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجيل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك وينتهى فى احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وعلى ساحله انطاكية ورشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب نهر سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى

البيان لسحرا ويا أيها الجواد وجدناك بحرا أدريت أي برى بريت وبأي قمر اهتديت ليلة سريت افتتحت بأبياتك الحسان ونظمتها انظم الجمان فعوذت سنها بالسبع وعززت منها براعة ذلك الطبع ثم نثرت على القرطاس شذو والمنثور بل من جواهر البحور ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ورايتك استمددت ولك الباع الامد وأعرت محاسنك والعاريةترد وجئت باللآلاء تروق أربعنها وتحرس بها قعقعة الاشعار وجمعتها فأدت من حسنها ما يسر واجتمع لمن روى القطعتين ما نظم فيهما وهو الدر واجريت خبر الحادثة التي محقت بدر التمام وذهبت بنضارة الايام فيا من حضر يوم البطشة وعزى في أنسه بعد تلك الوحشة احقا انه دكت الارض ونزف المعين والبرض وصوح روض المنى وصرح الخطب وما كنى أبن لي كيف فقدت رجاحة الاحلام وعقدت مناحة الاسلام وجاء اليوم العسر وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر حلم ماترى بل ما رأى ذا سالم طوفان يقال عنده لاعاصم من ينصفنا من الزمان الظالم الله بما يلقى الفوائد عالم بالله اي نحو تنحو ومسطور تثبت وتمحو وقد حذف الاصلي والزائد وذهب الصلة والعائد وباب التعجب طال وحال البائس لا تخشى الانتقال وذهبت علامة الرفع وفقدت سلامة الجمع والمعتل اعدى الصحيح والمثلث اردى الفصيح وامتنعت الحكمة من الصرف وامنت زيادتها من الحذف ومالت قواعد الملة وصرنا الى جمع القلة وللشرك صيال وتخمط ولقرنه في شركه تخبط وقد عاد الدين الى غربته وشرق الاسلام بكربته كأن لم يسمع بنصر بن نصير وطرق طارق بكل خير ونهشات حنش وكيف اعيت الرقى واذالت بليل السليم يوم الملتقى ولم تخبر عن المروانية وصوائفها وفي معافر وتعفيره للاوثان وطوائفها لله ذاك السلف لقد طال الاسى عليهم والاسف وبقي الحكم العدل والرب الذي قوله الفصل وبيده الفضل ربنا امرتنا فعصينا ونهيت فما انتهينا وما كان ذلك جزاء احسانك الينا انت العليم بما اعلنا وما اخفينا والمحيط بما نأت وما اتينا لو أنا فيك احببنا وقلينا لم ترنا من الفرقة ما رأينا ولم تسلط عدوك وعدونا علينا لكن انت أرحم من ان تؤخذنا بما جنينا واكرم من ان لا تهب حقوقك الينا واشرت ايها الاخ الكريم الى استراحة الى وتنسم بالدى لتبرد كما زعمت حر نفس وتقدح زناد نبس وهيهات حل الزند وذوى العرار والرند واقشع الشؤبوب وركد ما كان يظن به الهبوب فالقلم دفين لا يحشر وميت لا ينشر والطبع قد نكص القهقرى وقل منزاد ان يدعى له النقرى فهاه ولا يملك مينا ولا يجد لقلمه تثبيتا وانت ابقاك الله عز وجل بمقتبل الآداب طائر هيعة الشباب وابن سن السمو من سن الانحطاط ووقت الكسل من وقت النشاط وقد راجعتك لا داخلا في حلبتك بل قاضيا حق رغبتك والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقيا وبجنة الطاعة متوقيا ولهاء الانفس مستقبلا ومتلقيا بمنه والسلام انتهى * (وكتب) رحمه الله الى سلطان افريقية الوارث ملك بني عبد المؤمن بتلك النواحي المستولي على البلدان والضواحي وقد كان لاهل الاندلس امل في أخذه بثارهم وضم انتشارهم ماصورته

من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلي مدينة مكمنة الى قريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذي يصب في هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر انهار كثيرة بارض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذي قدمنا ذكره وهو الخليج الذي عليه طنجة متصلة بساحل المغرب وبلاد أفريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى ان ينتهي الى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ماذكرنا لا تنقطع من هذا البركله العمائر التي وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو ستين ميلا وخلجانات أخر داخلة في البر لا منفذ لها فجميع ماذكرنا على شاطئ هذا البحر اروى متصلو الديار غير منفصلين لا يقطعهم أو يمنعهم الا ماذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومي ومثال ماذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهي الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اوقيانوس الذي عليه اعلام النحاس ويلي الاعلام طنجة

ثناءه عذب الجنان الوارد * بارق هاج غرام الماجد
صدق وعد التلاقي ثم ما * طرفا الا يخلف الواعد
وكلا الزورين من طيف ومن * وافد تحت الدياجي وارد
لم يكن بعد السرى مستمتع * فيه للرائي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم * يشتكيه عند ربع هامد
بالامير المرتضى عز الهدى * وثنى عطف المنى الواجد
وبه أصحب ما كان يرى * جامحا لأنف الابى الشارد
انما الفخر لمولانا أبي * زكرياء بن عبد الواحد
ملك لولا حلاه العز لم * يجر بالحمد لسان الحامد
ولو ان العذب أبدى رغبة * عنه لم يشف غليل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل * لسنى الشمس يرى من جاحد
قهر البغي بجد صادع * ما تعداه وجد صاعد
انما آل أبي حفص هدى * للورى من غائب أو شاهد
صعدوا فوق النجوم الزهر عن * همم تنهض عزم القاعد
وعن الاسلام ذادوا عندما * فل طول العهد غرب الذائد
أي فخر عمري المنتمى * ورثوه ماجدا عن ماجد
ما الفتوح الغر الا هم * بين ماض بادئ أو عائد
نحيا اللاحق من سابق * وعلى المولود سيما الوالد
ولدى راجح الحلم الذي * نزل الطود بعطف مائد
عقد أحسابهم تم به * مثل ما تم حساب العاقد
أيها الجامع ما قد أحرزوا * جمع من همته في الرائد
هذه الامة قد أوسعتها * نظرا يكلأ ليل الراقد
لم تزل منك بخير طارف * ربيته نال تالد دامي نالد
ولهم منك ليوم حاضر * وغد رأى البصير الناقد
أرشد الله لاولى نظر * بالورى رأى الامام الراشد
وتولاه بتوفيق الا لى * سعدوا من عاقد أو عاهد
وله في الله أوفى كافل * بالذي يبغي وأزكى عاضد

نصر الله تعالى مولانا وأيده وشد ملكه وشيده وأبقى للفضل أيامه وللفصل أحكامه وأظفر بأعناق الاشقياء حسامه ووفر من اسباق النعم والالاء حظوظه وأقسامه والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الامة آمنا ووهج الفتنة ساكنا وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف الاوصاد لا أواذنا وتلافى فل الاسلام منه بقية الله التي منها يتدارون الذكر وبها يوعدون الفتح الاعز والنصر الاغر فهم بين جدة تقتبضوها وعدة رضوها وارتقاب للفتح أكبرهم همهم دنه درك النار واشتياق لاهل الجنة من أهل النار فأما

فساحل الاندلس شمال الزقاق وفيه ... الحاجز والزقاق على صفة البحر الا انه ليس بدور الشكل لما ذكرناه من طوله ولا يعرف التنين في البحر الحبشي ولا في شئ من جانبه من حيث وصفنا في نهايته واكثر ما يظهر فيما يلي بحر اقيانوس وتنازع الناس في التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحب كزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس انها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تتكون في قعر البحر فتعظم وتؤذي دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمر بمدينة الا أتت على ما تقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل وربما تنفس فيحرق الشجر الكبير فيلقونها في سد ياجوج وماجوج وتمطر السحب عليهم فيقتل ذلك التنين منه يتغذى ياجوج وماجوج وهذا القول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذي وصل الى النيل فأدرك غايته الاوطان

الاوطان فقد اسلتهم عنها جهة تنبت العز فيما تنبته وتنفي من الصيم ما تلك تثبته وما ذكر الساخط على المحل الساقط منازل عادت على مبانيها اطلالا ومعانيها محالا وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم أدامه الله تعالى ما أعين الآمال اليه صور ورجاء الجميع عليه مقصور انتهى * والغاية في هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب لبعض ذوي الالباب ونص محل الحاجة منه نخص الجهة البعيدة الصيت والاسم الشهيرة العمل والعلم درة تاجنا وضوء سراجنا ونكتة احتياجنا أبقاها الله تعالى في أعيننا منارا وللاندلس افتخارا على انه وان بقيت المفاخر فقد أودى المفاخر وان أضاء الطالع فقد درجت المطالع وغلب عليها عداة زوواعنها وجوهنا وأروا فيها مكروهنا حتى اني أتيت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار فقلت

زدنا على النائين عن اوطانهم * وان اشتركنا في الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استسقوا لها * من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا * مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا * لعدونا أفنستقيم لها الهوى

انتهى (قلت) وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الابيات في معناها العالية في مبناها فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار مع ادماج حبه لها الذي لا يشك فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن التي هي بغية الرائد ونجعة المنتاب ولكل أجل كتاب واذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب (ومما يستولي على الخواطر ويروي رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر قوله رحمه الله تعالى يخاطب أبا الحسن الرعيني سنة ٦٣٤)

ياصاحبي والدهر لولا كرة * منه على حفظ الذمام ذميم
امنازعي أنت الحديث فانه * ما فيه لا لغو ولا تأثيم
ومروض مرعى مناي فنبته * من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما * داء الزمان كما علمت قديم
مجفو حظ لا ينادى ثم لا * ينفك عنه الحذف والترخيم
وأرى امالته تدوم وقصره * فعلام يلغى المد والتفخيم
وعلام أدعو والجواب كانما * فيه بنص قد أتى التحريم
لم ألق الا مقعدا غير الاسى * والذي منه مقعد ومقيم
وشرائي الهم المعتق خالصا * فتى يساعدني عليه نديم
غارات أيام على جوارح * فعديها في طبعه التحكيم
ولواعج يحتاج صالي حرها * امرا به قد خص ابراهيم
ولقد أقول لصاحب هو بالذي * أدركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست * يوما قلوب الخلق فهو رحيم

و يهزني ويستفزني ما كتبه رحمه الله تعالى من رسالة * كتبته الى سيدي وهو السيد

من قوائمها تغادي قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال نزولها فعبر على ما وصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طالبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ووصف له كيف يفعل في وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبر ابليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية عن اصحاب الحديث ومنها ما روى أن قبة من الذهب وأنواع الجوهر في وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر يتحدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشحه فيقسم الى جهات أربع في ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا مماس به ثم ينتهي الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيغور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه و يطلب قعره فيكون الجزر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء في مقدار

حقيقة وأحى وقد كتب الدهر بذلك وثيقه أبقى الله تعالى جلاله محروسا وربع وفائه لايخشى دروسا من رباط الفتح وأنا بحقه عليم وعلى عهده مقيم وشأنى توقيره وتعظيم وحب فيه خالص كريم ووصلنى خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رأى الهلال والهائم عاين ماء الزلال علق ليس يوازيه علق وسحر لكنه حلال طلق وتظم لذكر الطائى طاو وصنعة لم يرها ولم يروها راء ولا راو رمت ابن الرومى بالخمول وبشرت اسم بشار من الفحول وحكمت باب النمرى فى غرة الهوان مدرج والسرى عن سراوة الاحسان مخرج فاما النثر فهيل لايجاويه الرغاء وطراز لايحسنه البلغاء ونقد تزيف معه النقود ومدى تنقطع دونه الضمر القود غادر الصابى وصباه غير ذات هبوب والصاحب وهو من الحجز مع شره محجوب والميكالى وميكاله مرفوض والحريرى وحريره فى سوق الكساد معروض فأما بحر رئيس أرجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأبقاه فى ضحضاح بل تركه يمشى باذرح ضاح فمن ذا يجارى فارس الصفين وامام الصنفين أبلغ من خط بقلم وأشهر من نار على علم وماذا يقال فى أنامل تطرز بها الصحف وخمائل تفغر بها الروضة الانف واسم فى شرق البلاد وغرب بها ظاهر ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبنى وهب وآل طاهر فالزمان يأثر ماينثر ويعظم ماينظم ولو أن الازمنة قبله غمرت المحاضر بكل ناجم ونشرت المقابر عن الصنوبرى وكشاجم وجاءت بالكتاب من كل جيل والشعراء رعيلا بعد رعيل لطال هذا العصر بواحده آلافها وأنسى بخلفه أسلافها انتهى * وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له فى معنى ما ألمعنا به آنفا ماصورته

تحية منكما أتتنى * طابت كما طاب مرسلاها
ويالها اذكرت عهودا * قلبى والله ماسلاها
حللتما فى البلاد أرضا * ريح صباها عنى سلاها
لم يصب قلبى الى سواها * يوما ولم يسل فى سلاها

كتابى أيها الاخوان اللذان بودهما أقول وعن عهدهما لاأحول أنزلكما الله تعالى خير منزل وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل من رباط الفتح ولى قديما ملكتما رقه وقلبى تعلما وتعليما عرفتما صدقه كيف حالكما من سفر طويتماه بره حين تخشمتما غمره وكيف سمحت نفوسكما بأم الحصون وذات الظلال والعيون تربة الآباء ومنزلة الجعيين النجباء حتى صرمتما حبلها وهجرتما حزنها وسهلها وخضتما غبر الفجاج وخضر الامواج وماذاك الا لتغلب الحادث النكر وتألب المعشر الغدر ومن أجل الداهية النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد أزعجتكم حين أزعجتنا وأخرجتكم كما أخرجتنا وطوحت بنا طوائحها واجتاحت ثمرنا وشجرنا جوائحها فنشكر الله تعالى على قضائه ونضرع اليه فيما نرفعه من دعائه وهنيأ لنا ولكم معشر الشرداء المنطوين من الشجن على شرداء ذلك الطود الذى اليه أويتما وفى ظله ثويتما وعن رأيه تريان وبسعيه تسعيان فوجهه المبارك لايعدم رأيه نجحا ولايعدو لصبحه اذا دجا ليل الهم صبحا انتهى وكان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء

النصف منه فيضع الانسان يده أورجله فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى أن الملك يضع ابهامه من كفه اليمنى فى البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وماذكرناه غير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل فى حيز الممكن والجائز لان طريقه فى النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر فى النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عزوجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها لقوله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ماذكرنا فقد وصفنا آنفا ماقال الناس فى ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب انا قد اجتهدنا فيما أوردناه فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنا فهم ماقاله الناس فى سائر ماذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة فى المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشى ثم الرومى ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزرى ثم أوقيانوس الذى لايعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل وصدر

وصدر الجلة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ونكتة البلاغة التي قد
أحرزها وأودعها وشمسها التي أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها مبدع البدائع التي
لم يحظ بها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة
وروية بدرر العلم فصيحة ذلت له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم وهو الذي أوتي جوامع الكلم في يديه الاقلام وأصل سلفه من جزيرة
شقر وولد بمدينة بلنسية وروى عن أبي الخطاب بن واجب وأبي الربيع بن سالم وابن نوح
والشلوبين النحوي وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ وأجازه من أهل المشرق
جماعة وكان شديد العناية بشان الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ
أهله ثم تفنن في العلوم ونظر في المعقولات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة عد فيها
من مجيدي النظم فأما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجارى وصاحب عينها الذي لا يبارى
وله وعظ على طريقة ابن الجوزي ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين
والحفصيين وله تأليف في كائنة ميورقة وتغلب الروم عليها نحا في الخبر عنها منحى
الامام الاصبهاني في الفتح القدسي وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازي في كتاب المعالم
وله كتاب رد به على كمال الدين الانصاري في كتابه المسمى بالتبيان في علم البيان المطلع على
اعجاز القرآن وسماه بالتنبيهات على ما في البيان من التمويهات وله اختصار وتذييل من
تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك ❊ وورد رحمه الله حضرة الامامة مراكش صحبة أمير
المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة
وقلده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد
سبتة وأخذ ماله في قافلة بني مرين ثم توجه الى بلاد افريقية ووصف حاله في رسالة خاطب بها
ابن السلطان أبا زكريا الحفصي وهو أبو زكريا ابن السلطان أبي زكريا وكان صاحب
بجاية لابيه ولم يزل رحمه الله تعالى مذ فارق الاندلس متطلعا لسكنى افريقية معمور القلب
بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمان ثم
استقضى بالاريس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر
بالله الحفصي وأحضره مجالس أنسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره
ومولده بجزائر شقر في شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ وتوفي ليلة الجمعة الموفية عشرين من
ذي الحجة سنة ٦٥٨ ألحفه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه ❊ قال ابن الابار في تحفة القادم
في حق أبي المطرف المذكور فائدة هذه المائة والواحد يفي بالفئة الذي اعترف باتحاده
الجميع واتصف بالابداع فما ذا يتصف به البديع ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم لماله
من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الياقوت والجوهر تحلت به الصحائف
والمهارق وما تخلت عنه المغارب والمشارق فحسبي أن أجهد في أوصافه ثم اشهد بعدم
انصافه هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره وتناوب المنثور والمنظوم على شكره
ثم أورد له جملة منها قوله

وأجلت فكري في وشاحك فانثنى ❊ شوقا اليك يجول في جوال

بحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ماذكرنا والرومي بدؤه من بحر اوقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس أن يكون ماوصفنا بحرا واحد الاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر في بعض المواضع بينهما أو صار بين الماءين كالخليج وليست تسميته بما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغي أن تجمعهما في اسم مانطش أو نيطش فاذا عبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو نيطاش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودي) وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزري يتصل ببحر مانطش ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر ممن اتصل اليها ببحر من هذه البحار أو بشئ من مائها او من خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا الجبل القبخ ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس في المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون في كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدري

وسمت اليه نواظرهم واشترك فيه باديهم وحاضرهم فجناب أملهم فسيح ومتجر خدمتهم
ربيح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبسنى النظر العلى اهتداؤهم وفى الباب الكريم
رجاؤهم وبصدق العبودية اعتزازهم واليها اعتزاؤهم والله تعالى ينهضهم بوظائف
المثابة العلية ويحملهم على المناهج السويه ووصل الكتاب الكريم متدليا برواء الحق
ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق فلا
بيان أعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان أو تادى خبره فى أخبار
الزمان نشرت فيه الخلع العباسية فى اعلى الصور وبرز منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه
فى ذيل الحصر ويهدى سواده سواد القلب والبصر فيا لمشهده اما أعجب ما كان ومرآها
الذى راع الكفر وراق الايمان وأشبه يومه بالاندلس يوم خرجت الرايات السود من
خراسان وكفى بهذا الفخار الايحتاج ثابته مثبتا أن باشرت بردا باشر البدن الذى طاب حيا
وميتا فهو علو فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى وفخار ضلت عن مثله العصور الخوالى
وجلت بهجته أن تخلق جدتها الايام والليالى ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة
من الجهاد والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد وخير
الاوصاف ما صدقه الموصوف والكريم النسب نسبته يباهى بها الدين وتزهى السيوف

فان نحن سميناك خلنا سيوفنا * من التيه فى أغمادها تتبسم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه
فانها تضمنت صفة لله عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب أهل السنة فى خلق
الله عز وجل الاعمال وأشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدى المتوكلى
أحسن الله تعالى اليه حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانه لما شايعه بعزيمة
مساعدة ونية فى مشارع الصفاء والاخلاص واردة ألهم زيادة فى العلامة شاركت الامامة
فى صفة واحدة فهذه كرامة فى العلامة هى علامة الكرامة وهبة من مواهب الكشف
يجدها من امتثل قوله فاستقم كما أمرت فكان من أهل الاستقامة وتضمن الكتاب الكريم
بيعة اهل جيان وما معها وان هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا الاصل الصحيح
وأقيسة من هذا النص الصريح بادلة الخلاف قد استقلت وشبهة الخلاف قد بطلت
واضمحلت والحمد لله على أن منح جزيل النعماء وشرح باليقين صدور الاولياء وشرف
هذه الامة بامامة نجل الائمة الخلفاء وابن عم سيد الرسل وخاتم الانبياء والعبيد يهنؤن بهذه
النعم التى لا يستقل بذكرها قلم ولا يقطع علم من وصفها الابدا علم وبهم من الاشواق الى
مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العلية ما اكده نو الدار وجدده ما تجدد للمقام
العالى المتوكلى من نعم الله تعالى الجليلة المقدار والشاهدة له باسعاد الايام واسعاف الاقدار
فلو أمكنهم الاقدام لا قدموا ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا وهم يستلمون البساط
الاشرف توهما ومن أملهم انهم فى الحقيقة قد استلموا انتهى وبه تعلم ان الدولة العباسية
خطب لها ببلاد الاندلس أعادها الله للاسلام ولا يخفاك أن ما جلبناه من ذلك وغيره
مناسب للقام فلا انتقاد ولا ملام (وقد رأيت) أن اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله

ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل يعود
بالاستحالة ماء اذا صار
بارتفاعه الى الموضع الذى
يحصره البرد فيه ويكثفه
ومنهم من ذكر ان الماء الذى
هو اسطقس ما كان منه
عن الهواء وما يعرض منه
من البرد يكون حلوا وما
كان منه فى الارض لما يناله
من الاحتراق والحرارة
يكون مرا ومن اهل البحث
من قال ان جميع الماء الذى
يفيض الى البحر من جميع ظهور
الارض وبطونها اذا صار
الى تلك الحفرة العظيمة
فهو مضاض من مصاص
والارض تقذف اليه ما فيها
من الملوحة والاذان فى الماء
من اجزاء النار التى تخرج
اليه من بطون الارض
ومن اجزاء النيران المختلطة
يرفعان لطائف الماء
بارتفاعهما وتبخرهما فاذا
رفعا اللطائف صار منها
ما يشبه المطر وكان ذلك
دابها وعادتها ثم يعود ذلك الماء
ماء الى الارض اذن كانت
تعطيه الملوحة ولذلك يكون
ماء البحر على كيل واحد
ووزن واحد لان البحر يرفع
اللطيف فيصير طلا وماء ثم
تعود تلك الانديه سيولا
وتطلب الحدور والفرار
وتجرى فى اعماق الارض
حتى تصير الى ذلك الغور
فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كنجنون غرف من نهر وصب الى

صاحب

صاحب الاندلس الى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من احوال الاندلس ونصها الابواب التى تفتح لنصرها أبواب السماء وتستدر من آفاقها سحاب النعماء وتجلى بانوار سعدها دياجى الظلماء وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالايماء وتحمل لها التحية ذوات الدسر والالواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر الاوحد الاسعد الاصعد الامجد الاعلى العادل العالم الفاضل الكامل سلطان الاسلام والمسلمين عماد الدنيا والدين رافع ظلال العدل على العالمين جمال الاسلام علم الاعلام فخر الليالى والايام ملك البرين والبحرين امام الحرمين مؤمن الامصار والاقطار عاصب تاج الفخار هازم الفرنج والترك والتتار الملك المنصور ابن الامير الرفيع الجادة الكريم الولادة الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم الممجد الاسمى الموقر الاعلى فخر الجلة سيف الملة تاج الامارة عز الاسلام مستظل الانام قمر الميدان أسد الحرب العوان المقدس المطهر الامير احمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة الله على العالمين وولى المؤمنين سلطان الجهاد والحج ومقيم رسم العج والثج محيي معالم الدين قامع المعتدين قاهر الخوارج والمتمردين ناصر السنة محيي الملة ملك البرين والبحرين سلطان الحرمين الملك العادل العالم العامل المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل المجاهد المرابط المغازى الممجد المكمل المطهر الكبير الشهير المقدس الملك الناصر أبى عبد الله محمد بن قلاوون الصالحى جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح وحركات عزمه مبنية على الفتح ومجمل سعادته غنيا عن الشرح وجياد أوصافه متبارية فى ميدان المدح وزناد رأيه وارية على القدح من موجب حقه ووجوب الشعائر الخمس المرحب لاجل أفقه الشرقية بوفادة الشمس المجدد فى اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالامس أمير المسلمين بالاندلس عبد الله الغنى بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجه زهير الادواح ويحاسن طرر الوجوه الملاح يخص أبوتكم التى رتب العز فصولها وعضدت نصوص النصر نصولها ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعله فاتحة القرآن وخاتمة دعاء أهل الجنان وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان ملكتى القلب واللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الاكوان وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان الذى أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان وغطى بدينه الحق على الاديان وزويت له الارض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان والرضا عمن له من الاصحاب والاحباب والاعمام والاخوال والاخوان صلاة يجددها الجديدان ويمليها الملوان وتتزاحم على تربته المقدسة مع الاحيان ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الافنان والتفتت

حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة فى غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول مرا زائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود مأكل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولاسيما ان صعدت مرتين واسخنت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وأنه اذا أخذ شئ من الشمع فعمل منه اناء ثم سد رأسه وصير فى ماء مالح وجد ذلك الماء الذى وصل الى الاناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكل ما يجرى فهو نهر

عيون المعانى مابين أجفان البيان والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم بها وظيفتى الحجابة والاستئذان وضرب بدعوتها التى هى لذة الاقامة والاذان على الآذان واستخدم بروج الفلك الدوّار فى أمرها العزيز استخدام الانصار والاعوان حتى يعلم مافى المدافعة عن حماها مخالب السرحان وفى الاشادة بعدلها كفتى الميزان ويهدى لها من الزهرة كرة الميدان ومن الهلال عوض الصولجان وأبقى فى عواملها ضمير الامر والشان الى يوم تعنو وجوه الملوك الى الملك الديان فانا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله لعتبتها النصرة الداخلة كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة وجعل مفارق مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة من دار ملك الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها وشد بأيدى اليقين عرا أملها فى الله ورجائها حيث المصاف المعقود وثمن النفوس المنقود ونار الحرب ذات الوقود حيث الافق قد تردى بالقتام وتعمم والسيف قد تجرد وتيمم وغبار الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير والثمرة من أوسق العير حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها والابطال يملؤا بالتكبير مسمع ندائها حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها وان هذا القطر الذى مهدت لسياستنا اكوار مطاياه وجعلت بيدنا والمنة لله عياب عطاياه قطر مستقل بنفسه مربوه فى البر على امسه زكى المنابت عذب المشارب متمم المآمل مكمل المآرب فاره الحيوان معتدل السحن والالوان وسيطة فى الاقاليم السبعة شاهدة لله باحكام الصنعة أما خيله ففارهة والى الركض شارهة وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة وأما اسله فمتداركة الحطف وأما عوامله فبينة الحذف وأما نباله فمحذورة القذف الا أن الاسلام به فى سفط مع الحيات وذريعة للمنيات الوحيات وهدف للنبال واكلة للشبال تنوشهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة وتجوس خلالهم العيون المراقبة وتريب من أشكال مختطهم الا أن يتفضل الله بحسن العاقبة فليس الا الصبر والضرب الهبر والهمز والنبر والمقابلة والجبر وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملتهم وأساة علتهم يقومون بهذا الفرض عن أهل الارض ويقرضون ملك يوم العرض أحسن القرض فلولا بعد المدى وغول الردى ولغط العدا وما عدا مما بدا لسمعتم تكبير الحملات وزئير تلك الفلات ودوى الحوافر وصليل السيوف من فوق المغافر وصراخ الثكالى وارتفاع الادعية الى الله تعالى ولو ارتفع هذا المكان وهو للاولياء مثلكم من حيز الامكان لقلتم مقل الاسنة الزرق حالة من أطراف قصب الرماح محال الورق وأبصرتم القنا الخطار قد عاد أخلة والسيوف قد صارت فوق بدور الخود أهلة وعقود الشهادة عند قاضى السعادة مستقلة وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور الفتح وآخر ولاء ذلك المنح عرض على الفاروق فاحتاط وأغرى به من بعده فاشتاط وسرحت خيل ابن أبى سرح فى خبر يدعو الى شرح حتى اذا ولد مروان تقلدوا كرتها التى هوت وقضوا ما انتحت ورثة الحق وشوت ويدهم على الامر احتوت وفازت منه بما نوت

وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودى) وقد تكلم الناس فى المياه واشباهها واكثروا وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين فى مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة فى ملوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولاية علة كان الجزر والمد فى البحر الحبشى أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشى فى أغلب الامور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لا غاية له وفى مواضع منه شاهدت ارباب المراكب فى البحر الرومى من الحربية والعمالة وهم النواتى وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلى تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوى المكنى بأبى الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومى وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

نفل

نفل ولانده الوليد وجلب له الطريف والتليد وطرقت خيل طارق وضاقت عن اخباره المهارق وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التى منها المائدة ثم استرسل المهب ونصر الرب ويكثر الطيرحين ينثر الحب وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خسيره وطارت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ففتحت الاقفال ونفلت الانفال ونجح القال وسمت الاغفال وافتتحت البلاد الشهيرة وانتقيت العذارى الخيرة واقتنيت الذخيرة وتجاوز الاسلام الدروب وتخطى وخضد الارطى وأركب وأمطى واستوثق واستوطا وتثاءب وتمطى حتى تعددت مراحل البريد وسخنت عين الشيطان المريد واستوسق للاسلام ملك ضخم السرادق مرهوب البوارق رفيع العمد بعيد الامد تشهد بذلك الآثار والاخبار والوقائع الكبار والاوداق والامطار وهل يخفى النهار ولكل هبوب ركود والدهر حسود لمن يسود فراجعت الفرنج كرتها واستدركت معرتها فدوخت جوارحها وحلقت وأومضت بوارقها وتألقت وتشبثت وتعلقت وأرسلت الاعنة وأطلقت وراجعت العقائل التى طلقت حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية ولا من الليل الا الناشية وسقطت الغاشية وأخلدت الفئة المتلاشية وتقلصت الظلال الفاشية الا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا أثبتوا فى مستنقع الحرب أقدامهم وأخلصوا لله بأسهم واقدامهم ووصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز واشتد بالمدافعة وتميز وعادت الحروب سجالا وعلم الروم أن لله رجالا وقد أوفد جدنا رضى الله عنه على ابواب سلفكم من وقائعه فى العدو كل مبشرة ووجوديه منتشرة ضحكت لها ثغور الثغور وسرت بها فى الاعطاف حميا السرور وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور وتمائم فى درر النحور وخفرا فى وجوه البدور فان ذمام الاسلام موصول وفروعه تجمعها فى الله أصول وما أقرب الحزن ممن داره صول والملة والمنة لله واحدة والنفوس لامنكرة للحق ولا جاحدة والاقدار معروفة والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة فاد الم يكن الاستدعاء أمكن الدعاء والخواطر فعالة والكل على الله عالة والدين غريب والغريب يحن الى أهله والمرء كثير بأخيه على بعد محله انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الثالث)

فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامى العماد والقهر للعدو فى الرواح والغدو والتحرك والهدو والارتياح البالغ غاية الآماد واعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد فى الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المسلة من الاغماد

(اقول) قد قدمنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجىء الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية كما نسرده هنا ان شاء الله تعالى (وذكر غير واحد) منهم ابن حزم ان دولة بنى أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام وانكاها فى العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه كما

انظر مثله فى البحر الرومى ولا آنس منه وليس فى بركته من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقر له بالنصر والحذق مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم فى علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى فى المواضع التى فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن اراد الحفر وان ماعدا ذلك فعلى البعد ووجدت فى كتاب الفلاحة ان من اراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحفر فى الارض ثلاثة أذرع او أربعة ثم يأخذ قدرا من نحاس أو سحابية خذف فيدهنها بشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف بذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها فى أسفل ذلك القدر الذى قد دهنته بدهن او بشحم ثم القها فى أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا او الموم يمسكه و يصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب

ستري به ضه (واصل هذه الدولة) كما قال ابن خلدون وغير واحد أن بني أمية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتتبع بني مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يأثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمغيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له في الاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافق قدومه ما كان من الاحن بين اليمنية والمضرية فاصفقت اليمنية على أمره لكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب وأتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم الى شذونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مورور فبايعه ابن الصباح ونهد الى قرطبة فاجتمعت اليه اليمنية ونمي خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازيا بجليقية فانفض عسكره ورجع الى قرطبة وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف له والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما أراده وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتفل بمالقة وبايعه جندها ثم برندة ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافت اليه جنود الامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة ثم أقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة احدى واربعين ومائة ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين ألفا من البربر وقدم الامير عبد الرحمن لقتاله عبد الملك بن عمر المرواني وكان وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة اربعين فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان فكانت الدائرة على يوسف وأبعد المفر واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وثبت قدمه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها

قدر ذراعين اوذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر متفرقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس في ذلك الموضع ماء فلا تتعنى في حفره ووجدت في بعض النسخ من كتب الفلاحة هذا المعنى ان من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشي فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشي لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثاني ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من أخبار البحار وغيرها فلنقل في أخبار

الملك

الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلحم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسد المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى انه فعل بالاندلس ما فعل وما ركب اليها من الاخطار وانه نهد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب أهلها على أمرهم وتناول الملك من ايديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره وأورثه عقبه *وكان يسمى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بامير المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بني أمية بالاندلس فتسمى بأمير المؤمنين على ما سنذكره لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد (قال ابن حيان) وكان لبني عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعندما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم فملك مدينة لك وبرتقال وسمورة وقشتالة وشقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابي عامر آخر الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها حسبما يذكر والله سبحانه الامر اه وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الافرنج وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة قال ابن حيان ولما ألفى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية وآخذهم بالآداب فاكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة وبدا فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض الاعطية وعقد الالوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فاقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث أن دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها فلذلك ما ظل عدوه ابو جعفر المنصور بصدق حده وبعد غوره وسعة اطاقته يسترجح عبد الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة اسبابه فالشان في أمر فتى قريش الاحوذي الفذ في جميع شؤنه وعدمه لاهله ونشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرة شاسعة المحل نائية المطمع عصبية الجند ضرب بين جندها بخصوصيته وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهرا لاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ان ذلك لهو الفتى كل الفتى

ملوك الصين وغيرها وأهلها وغير ذلك مما لحق به ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور وأخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابور وارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة في الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجبل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع اللكريم واللان والخزر والابخاز والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة في ذلك الصقع والارمن الى بلاد طوابريدة الى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويمم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار فمنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسية والصغد وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واسبجار وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي فمنهم الترك الخرخ والطغرغر ومنهم أصحاب مدينة كوسان وهي مملكة بين خراسان و بلاد الصين

لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبد الرحمن هذا لابى جعفر المنصور فى الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة فان أم كل واحد منهما بربرية وكان الداخل يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل اليه من أراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقة وكان من عادته ان يأكل معه من اصحابه من أدرك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه *(وفى كتاب ابن زيدون) انه كان أصهب خفيف العارضين بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور أخشم والاخشم الذى لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر وأقام ملكا قد أدبر وحده ولما ذكر الحجارى انه أعور قال ما أنشد فيه الا قول امرئ القيس

لكن عوير وفى بذمته * لا عور شانه ولا قصر

(وقال ابن خلدون) وفى سنة ست وأربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبى من افريقية الى الاندلس ونزل بباجة الاندلس داعيا لابى جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ولقيه بنواحى اشبيلية فقاتله أياما ثم انهزم العلاء وقتل فى سبعة آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثير منهم الى القيروان ومكة فألقيت فى أسواقها سرا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ماهذا الا شيطان والحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر أو كلاما هذا معناه وقد مر ذكر ذلك وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ولقى منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واستراب فى آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالى ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنس ومن وراءهم ورجع بالظفر وكان فى نيته ان يجدد دولة بنى مروان بالمشرق فحات دون ذلك الامل وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر اذ دخل الاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات سنة اثنتين وسبعين وقيل احدى وسبعين ومائة فى خلافة الرشيد وأمه أم ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعليا من تدمير ومات ابوه فى ايام ابيه هشام سنة ثمان عشرة عن احدى وعشرين سنة وكفله واخوته جدهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميع الاخماس التى اجتمعت للخلفاء بالاندلس وأقطعه اياها ووجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبى ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة بدر مولى أبيه وابو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا لحقه ولم يخرج معه فالله أعلم وخلف من الولد عشرين منهم احد عشر رجلا وتسع اناث *(وحكى غير واحد) انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدا الاندلس نزل بمغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى أبا قرة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدر مولى أبيه بجوهر وذهب أنفذته أخته اليه فلما دخل الاندلس واستتب أمره به سار اليه أبو قرة وانسوس البربرى فاحسن اليه وحظى عنده وأكرم زوجته تكفات البربرية التى خبأته تحت ثيابها عند ما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله فى الاندلس لقد عذبتنى بريح ابطيك

يا تكفات

وليس فى أجناس الترك وأنواعهم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم باسا ولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازجان ومذهبهم مذهب المانية وليس فى الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرسخانية واليدية والحقوبية واشدهم باسا الحقوبية وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الحوجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش مما يلى ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركى الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانة) ولخاقان الترك فى وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمان وهى فى مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بالوان الهند ولهم حضر وبواد وسكن فريق منهم ببلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ماقد بينا وسمى اهل التبت مليكهم بخاقان

يا تكفات على ما كان بي من الخوف وسطعتني بأنتن من ريح الجيف فكان جوابها له مسرعة
بل ذلك كان والله يا سيدي منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك فاستظرف جوابها
وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح * ومن محاسنه انه أدار السور
بقرطبة رحمه الله (وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه اليه) وأمه أم ولد اسمها حلل وأفضى
اليه الملك وهو بماردة وال عليها وكان أبوه يوليه في صباه ويرشحه للامر وكان الداخل كثيرا
ما يسأل عن ابنيه سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا احضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا
وذكر الامور الحرب ومواقف الابطال وما أشبه ذلك واذا احضر سليمان مجلسا امتلأ سخفا
وهذيانا فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا مع بر ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال له يا سيدي لامرئ القيس ملك كندة وكأنه قاله في الامير أعزه الله فضمه اليه استحسانا
بما سمع منه وأمر له باحسان كثير وزاد في عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر
وأنشده البيتين فقال لعلهما لاحد أجلاف العرب أما لي شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب
فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية * ولما ولي هشام أشخص المنجم
المعروف بالضبي من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان في علم النجوم والمعرفة بالحركات
العلوية بطليموس زمانه حذقا واصابة فلما أتاه خلا به وقال له يا ضبي لست أشك انه قد عناك
من أمرنا اذ بلغك ما لم ندع تحديد النظر فيه فانشدك الله الا ما انبأتنا بما ظهر لك فيه فلجلج
وقال اعفني أيها الامير فاني ألممت به ولم أحقق النظر فيه لجلالته في نفسي فقال له قد أجلتك
لذلك فتفرغ للنظر فيما بقي عليك منه ثم احضره بعد أيام فقال ان الذي سألتك عنه حدثني
مع أني والله ما أثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذي استأثر به ولكني أحب أن أسمع
ما عندك فيه فالنفس طلعة وألزمه الصلة أو العقوبة فقال اعلم أيها الامير انه سوف يستقر
ملكك سعيدا جدك قاهرا لمن عاداك الا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية
أعوام أو نحوها فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ضبي ما أخوفني ان يكون النذير كلمني
بلسانك والله لو أن هذه المدة كانت في سجدة لله تعالى لقلت طاعة له ووصله وخلع عليه وزهد
في الدنيا ولزم افعال الخير والبر (ومن حكاياته في الجود) انه كان قاعدا لراحته في علية على
النهر في حياة والده فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيان قد اقبل بوضع السير
في الهاجرة فانكر ذلك وقدر شرا وقع به من قبل اخيه سليمان وكان واليا على جيان فامر بادخاله
عليه فقال له مهيم يا كناني فلأمر ما احسبك الامر عجالشئ دهمك فقال نعم يا سيدي قتل
رجل من قومي رجلا خطأ فحملت الدية على العاقلة فاخذ بها من كنانة عامة وحملنا على من
بينهم خاصة وقصدني أخوك بالاعتداء اذ عرف مكاني منك فمد هشام يده الى جارية كانت
وراء الستر وقطع قلادة عقد نفيس كان في نحرها وقال له دونك هذا العقد يا كناني وشراؤه
على ثلاثة آلاف دينار فلا تخدعن عنه وبعه وأد عن نفسك وعن قومك ولا تمكن الرجل
من اهتضامك فقال يا سيدي لم آتك مستجديا ولا لضيق المال عما حملته ولكني لما اعتمدت

تشبيها عمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى قاه يه من بلاد الصين فتفرقوا في
تلك البقاع والبلاد وقطنوا
الديار وكوروا الكور
ومصروا المدن واتخذوا
لملكتهم مدينة عظيمة
وسموها انموا وبينها وبين
ساحل البحر الحبشي وهو
بحر الصين مسافة ثلاثة
أشهر مدن وعمائر متصلة وكان
أول ملك تملك عليهم في هذه
الديار وهي انموا (اسطرماس)
ابن فاعور بن بريح بن
عابور بن يافث بن نوح
فكان ملكه ثلثمائة سنة
ونيفا وفرق أهله في تلك
الديار وشق الانهار وقتل
السباع وغرس الاشجار
وأطعم الثمار وهلك فملك
ولده يقال له (عرون)
فجعل جسد أبيه في تمثال
من الذهب الاحمر جزعا عليه
وتعظيما له وأجلسه على
سرير من الذهب الاحمر
مرصع بالجواهر وجعل
مجلسه دونه وأقبل يسجد
لابيه وهو في جوف تلك
الصورة هو وأهل مملكته
في طرفي النهار اجلالا له
وعاش مائتي سنة وخمسين
سنة وهلك فملك ولده
يقال له (عبرون) فجعل
جسد أبيه عرون في تمثال
من الذهب الاحمر وجعله
دون مرتبة جده على سرير
من الذهب ورصعه بانواع
الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسواهم في جميع امورهم

ظلم صراح أحببت ان يظهر على عز نصرك وأثر ذنبك وامتعاضك فاتهيد بذلك عند من يحسدني على الانتماء اليك فقال هشام فاوجه ذلك فقال أن تكتب الى أخيك في الامساك عني والقيام بذمتك لي فقال امسك العقد وركب من حينه الى والده الداخل واستأذن عليه في وقت أنكره فانزعج وقال ما اتى بأبي الوليد في هذا الوقت الا امر مقلق ائذنوا له فلما دخل سلم عليه ومثل قائما بين يديه فقال له اجلس ياهشام فقال اصلح الله الامير سيدي وكيف جلوسي بهم وذل مزعج وحق لمن قام مقامي أن لا يجلس الا مطمئنا ولن يقعدني الا طيب نفسي باسعاف الامير لحاجتي والا رجعت على عقبي فقال له حاشاك من انقلابك خائبا فاقعد مجابا مشفعا فجلس فقال له أبوه فما الحدث المقلق فأعلمه فأمر بحمل الدية عنه وعن عشيرته من بيت المال فسر هشام واطنب في الشكر وكتب الامير الى ولده سليمان في ترك التعرض لهذا الكناني بما لم يدر في خلده * ولما دخل الكناني لوداع هشام قال له ياسيدي قد تجاوزت بك حد الامنية وبلغت غاية الذم وقد اغنى الله عن العقد المبذول بين يدي العناية الكريمة فتعيده الى صاحبته فأبى من ذلك وقال لا سبيل الى رجوعه الينا * وكان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال نسأل الله تعالى ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي أيامه فتحت أربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت منه فضلة بقيت مكتومة وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد ألبة والقلاع فلقي العدو وظفر بهم وفتح الله عليه سنة خمس وسبعين وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بخت فلقي ملكها ابن منده وهزمه وأثخن في العدو وفي سنة ست وسبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو فبلغ ألبة والقلاع فأثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين الى أربونة وجريدة فأثخن فيها ووطئ أرض برطانية وتوغل عبد الملك في بلاد الكفار وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع سنة ثمان وسبعين ومع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى استرقه فجمع له ملك الجلالقة واستمد بملك البشكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجه واتبعه عبد الملك وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فالتقوا بعبد الملك واثخنوا في البلاد واعترضتهم عساكر الفرنج فنالوا منهم بعض الشئ ثم خرجوا سالمين ظافرين * ومن محاسنه انه جدد القنطرة التي يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السمح الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لأحد وزرائه ما يقول أهل قرطبة فقال يقولون ما بناها الامير الا ليمضي عليها الى صيده وقنصه فآلى هشام على نفسه أن لا يسلك عليها فلم يمر عليها بعد ووفى بما حلف عليه ثم توفي سنة ثمانين ومائة لسبع سنين

ولده (عيميان) فجعل اباه في تمثال من الذهب الاحمر وجرى على ما سلف من افعالهم في السجود والتعظيم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه فعاش اربعمائة سنة واتخذ في ايامه كثير من المهن مما لطف في الدور من الصنائع وملك بعده ولده (حرامان) فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال وحمل لطائف بلاد الصين وصيرها نحو بلاد السند والهند الى اقليم بابل والى سائر الممالك مما قرب منها او بعد في البحر وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة الى الملوك وأمرهم ان يجلبوا اليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المآكل والمشارب والملابس وسائر الفرش وان يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة وشريعتها ونهجها التي هي عليه وان يرغبوا الناس فيما في بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات فتفرقت المراكب في البلاد ووردوا الممالك بما أمروا به فلم يردوا على اهل مملكة الا واعجبوا بهم واستظرفوا ما أوردوه من ارضهم فبنت الملوك المطيفة بالبحار المراكب وجهزت نحوهم السفن وحملوا اليهم ما ليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافئوه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت وتسعة

وتسعة أشهر من امارته وقيل لثمان وكان من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد ومن محاسنه أيضا اكمال بناء الجامع بقرطبة وكان أبوه شرع فيه * ومن محاسنه انه أخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر وولد في شوال سنة ١٣٧ (وولي بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه) فاستكثر من المماليك وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشر الامور بنفسه وفي خلال فتنة كانت بينه وبين عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين وقصد برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين وتأخرت عساكر المسلمين الى مادونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخنوا فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع على التعبية وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع أهل الربض من قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطا عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا بقصره فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة وبالاسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى أن ملكها الافرنج من أيديهم بعد مدة * وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار المخالفين له من أهل طليطلة وغيرهم (وفي سنة ثنتين وتسعين) جمع لذريق بن قارله ملك الفرنج جموعه وسار الى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا ولما كثر عيث الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه الى الفرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرب النواحي وأثخن في القتل والسبي والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا * (وفي سنة مائتين) بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الفرنج فخرب وهدم عدة حصون وأقبل عليه ألبط ملك الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كسرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين وهو أول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان أفحل بني أمية بالاندلس وأشدهم اقداما ونجدة وكان يشبه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده وقد غضب فيه على خادم له لايصاله اليه كتابا كره وصوله فأمر بقطع يده فقال له زياد أصلح الله الامير فان مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا وايمانا يوم القيامة فأمر أن يمسك عن الخادم ويعفى عنه فسكن غضبه وقال آلله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثني بهذا وكانت المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين ومائة فأكثر فيها مواساة أهل الحاجات وفي ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه

نكد الزمان فآمنت أيامه * من أن يكون بعصره عسر

له الامور فكان عمره نحوا من مائتي سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله في فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (توماان) واستقامت له الامور واحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لايثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة في الاحسان مع الزيادة في العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس في رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا يبني فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا بالنبات حسن الاعتمام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها خارج للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب في أعلاها تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوي النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية

خلع الزمان بأزمة جلت له * تلك الكريهة جوده الغمر

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم و يعتصم * وذكور ولده عشرون واناثهم عشرون وامه جارية اسمها زخرف وكان أسمر طوالا أشم نحيفا ومدة ملكه ست وعشرون سنة سامحه الله * وقال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أبهة واستعد بالمماليك حتى بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ * وقال ابن خلدون وغير واحد انه أول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وحكى في عدتهم ما تقدم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى وكان له فيما حكى غير واحد ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلي قصره يجمعها داران وهو القائل لما قتل أهل الربض وهدم ديارهم وحرثها

رأبت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة * أبادرها مستنضي السيف دارعا
تنبيك أني لم أكن في قراعهم * بوان وقدما كنت بالسيف قارعا
وهل زدت اذ وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا
فهذي بلادي انني قد تركتها * مهادا ولم أترك عليها منازعا

وقال ابن حزم في حقه انه كان من المجاهرين بالمعاصي السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غير واحد انه تنصل أخيرا وتاب سامحه الله ومن نظمه قوله متغزلا

قضب من البان ماست فوق كثبان * ولين عني وقد أزمعن هجراني

ومنها

من لي بمغتضبات الروح من بدني * يغصبنني في الهوى عزي وسلطاني

وقيل انه كان يمسك أولاد الناس ويخصيهم ونقلت عنه أمور ولعله تاب منها كما قدمنا والله أعلم بحقيقة أمره * (ومن بديع أخبار الحكم) أن العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التي أولها

تململت في وادي الحجارة مسندا * اراعي نجوما ما يرون تغيرا
اليك أبا العاصي نضيت مطيتي * تسير بهم ساريا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي اغارت من اي ارض العدو كانت فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها وفتح

الحصون

وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا في الانفس والاعضاء ومستعملات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقربا بالمعبود منهم منها ايماء لا ركوع فيها ولا سجود في اوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود في أوقات من السنين في شهور محدودة ورسم لهم أعيادا وجعل على الزناة منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستبحن النكاح في وقت من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فلأمهاتهن ويلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير وأحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه في تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا سقفه سبعة الوان

الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فأمر باحضار المرأة وجميع من أسر له احد فى تلك البلاد فاحضر فأمر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعباس .. أهاهل أغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدو وأغاث الملهوف فأغاثه الله وأعز نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تر يا عباس انى اجبتها * على البعد أقتاد الخميس المضفرا
فادركت اوطارا وبردت غلة * ونفست مكروبا واغنيت معسرا

فقال عباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده * (ومما عيب به) انه قتل الفقيه ابا زكريا يحيى بن مطر الغسانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفيان ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدثنا يحيى بن مطر عن سفيان الثورى ان الطلح المنضود هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم * (وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهده منه اليه ثم لاخيه المغيرة بعده) فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وأبعد وأطال الغيب وأثخن فى أمم النصرانية هنالك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين زرياب المغنى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلم ابراهيم الموصلى واسمه على بن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ماحكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولادا خلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته * وفى سنة ثمان أغزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا * وفى سنة أربع وعشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو ألبة والقلاع فساروا ولقى العدو فهزمهم وأكثر القتل والسبى ثم خرج لذريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل والسبى فى العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه أهل ألبة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال فى أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم * وفى سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة وانتهوا الى أرض برطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو فصبر حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود * وفى سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمدا بالعساكر وتقدم الى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها وهو من أكبر ملوك النصارى وفى أيامه ظهر المجوس ودخلوا اشبيلية فأرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فأقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشئ ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فأقلع المجوس الى لبلة وأغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم اشبونة ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن باصلاح

من الجوهر على انواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب واكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انموا وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر واكثر من ذلك على حسب ماقدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من ارضهم مغرب الشمس يقال لها مدو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت واهل المد سجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة واحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل

الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ماذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغرغر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال

ما خربوه من البلاد واكتنف حاميتها * (وفى سنة احدى وثلاثين بعث العساكر الى جليقية فدوخوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وهرب أهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوه وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم فى العساكر الى بلاد برشلونة فعاث فى نواحيها وأجاز الدروب التى تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوخها قتلا وأسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث فى نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم توفلس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته ويرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق به المأمون والمعتصم حتى انه ذكرهما له فى كتابه وعبر عنهما بابنى مراجل ومازدة فكافأه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فأحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند ما غيره من بنى العباس ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر ثم توفى عبد الرحمن الاوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة فى شعبان سنة ست وسبعين ومائة وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدوء وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لفضله مصنعا اتخذه الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت فى أيامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة رواقين ومات قبل أن يستتمه فاتمه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة * وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من الاناث ونقش خاتمه عابد الرحمن بقضاء الله راض * وفى ذلك قيل

خاتم للملك أضحى * حكمه فى الناس ماضى
عابد الرحمن فيه * بقضاء الله راضى

وهو أول من أحدث هذا النقش وبقى وراثة لمن بعده من ولده (قال ابن سعيد) وفى أيامه انتهى مال الجباية الى ألف ألف دينار فى السنة وكان قبل لا يزيد على سمائة ألف وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ما يخالف هذا فليراجع والله أعلم ومن توقيعاته من لم يعرف وجه طلبه فالحرمان أولى به ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض أوجه لاوامر * فيقودها التوفيق نحو صوابها
والشيخ ان يحو النهى بتجارب * فشباب رأى القوم عند شبابها

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى

بنيت لله خير بيت * يخرس عن وصفه الانام
حج اليه بكل أوب * كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما * حف به الركن والمقام

وقال آخر

بنى مسجد الله لم يك مثله * ولا مثله لله فى الارض مسجد
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى * بناه نبى المسلمين محمد
له عمد حمر وخضر كأنما * تلوح يواقيت بها وزبرجد
ألا يا أمين الله لا زلت سالما * ولا زلت فى كل الامور تسدد
فيا ليتنا نفديك من كل حادث * وأنك للدنيا وللدين تخلد

وكان كثير الميل للنساء وولع بجاريته طروب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها الباب ببدر المال حين تجنت عليه وأعطاها حليا قيمته مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا واكرم جوهرا وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لى شمس النهار * طالعة ذكرتنى طروبا
انا ابن الميامين من غالب * أشب حروبا واطفى حروبا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبته فكتب اليها

عدانى عنك مزار العدا * وقودى اليهم سهاما مصيبا
فكم قد تخطيت من سبسب * ولاقيت بعد دروب دروبا
ألاقى بوجهى سموم الهجير * اذ كاد منه الحصى أن يذوبا
تدارك بى الله دين الهدى * فأحييته وأمت الصليبا
وسرت الى الشرك فى جحفل * ملأت الحزون به والسهوبا

(وساق) بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور أغضبها فهجرته وصدت عنه وأبت أن تأتيه ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك فأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول اليه فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلت أن لا تخرج اليهم طائعة ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه وأعلموه بقولها واستأذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سد به الباب فأجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فأكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا يرد شيأ أبرمته * وأحب أخرى اسمها مدثرة فاعتقها وتزوجها وأخرى كذلك اسمها الشفاء وأما جاريته قلم فكانت أديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسماع مؤثرا له على جميع لذاته وله اخبار كثيرة رحمه الله (ولما مات ولى مكانه ابنه محمد) فبعث لاول ولايته عساكر مع موسى بن موسى صاحب طليطلة فعاث فى نواحى ألبة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر أخرى الى نواحى برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا * ولما استمد أهل طليطلة المخالفون من أهل بلاد الامير محمد عليه بملكى جليقية والبشكنس لقيهم الامير محمد على وادى سليط وقد أكمن لهم فأوقع بهم وبلغت عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين

الفاضل فى فعله وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ارخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافى المذهب كان الامر بينهم بتنافى الملل مشاعا وملوك الصين ذوو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة ومن ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير ومن حمير فلا يتزوج فى كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه اصح للبقاء واتم للعمر

واسباب ذكرناها نحو ما ذكرنا فلم تزل امور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة اربع

عشرين ألفا * (وفى سنة خمس وأربعين) ظهرت مراكب المجوس وعاثوا فى الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين * (وفى سنة سبع وأربعين) أغزى محمد الى نواحى بنبلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن ونقة وكان بظاهر اردن بن أدفونش فعاث فى نواحى بنبلونة ورجع وقد دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقى أسيرا بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة احدى وخمسين أخاه المنذر فى العساكر الى نواحى ألبة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم وأثخن المسلمون فى المشركين بالقتل والاسر وكان فتحا لا كفاء له * ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرب * وفى سنة ثلاث وستين اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفى السنة التى بعدها الى بلاد بنبلونة فدوخها ورجع * وفى سنة ثمان وستين أغزاه أيضا الى دار الحرب فعاث فى نواحيها وفتح حصونا * وفى أيام الامير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبق لها أثر * وذكر بعضهم انه رأى بالمشرق هذه الابيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

ويل لماردة التى مردت * وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لهم بها زهر * خلت من الزهرات كالقفر
فالويل ثم الويح حين غزا * بجميعهم من صاحب الامر

ثم توفى الامير محمد فى شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين لخمس وثلاثين سنة من امارته ومولده سنة سبع ومائتين * وولى بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته وأقام فى الملك سنتين الا نصف شهر وتوفى منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وفيه قيل

بالمنذر بن محمد * صلحت بلاد الاندلس

ثم ولى أخوه عبد الله قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة ألف للجيوش ومائة ألف للنفقة فى النوائب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووفر فأنفق الوفر حين اضطربت عليه نواحى الاندلس بالثوار المتغلبين فى تلك السنين وقل الخراج انتهى
ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجة المشتاق ما أوجعك * ويا أسير الحب ما أخشعك
ويا رسول العين من لحظها * بالرد والتبليغ ما أسرعك
تذهب بالسر فتأتى به * فى مجلس يخفى على من معك
كم حاجة أنجزت ابرازها * تبارك الرحمن ما أطوعك

وهذه الابيات عنوان فضله وبراعة استهلال نبله * وكان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة فى بطاقة فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه فى امر فى ورقة فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأى فكتب

انت يا نضر آبده * ليس ترجى لفائده
انما انت عدة * لكنيف ومائده

وتوفى الامير عبد الله سنة ثلثمائة ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة * (وولى حافده

عبد

وستين ومائتين فانه حدث فى الملك امر زال به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وهو ان نابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان فى بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه اهل الدعارة والشر فلحق الملك وارباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع اهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصور وهى مدينة عظيمة على نهر عظيم اكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة ايام او سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزانج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينه فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من اهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق

عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف) وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان واستقامت له الاندلس فى سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بنى أمية بتلك الناحية وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بأمير المؤمنين عندما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبد موالى الترك على بنى العباس وبلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين ومحص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الطوائف فى كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج مالم يطؤه قبل فى أيام سلفه ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن فى مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة ونقل الفرضة من أيدى اهلها سنة سبع عشرة وثلثمائة وأطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر وأجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخباره وبدأ امره اول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون وفيه يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدى * ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر * فانت للدهر عيد

واراد بأول الابيات انه ولى مستهل ربيع الاول كما علم * وما أشار اليه ابن خلدون فى غزوة الخندق فصله المسعودى فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة أمية بن اسحق على الناصر ودخوله أرض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما ملخصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس مسمورة دار الجلالقة وكان عبد الرحمن فى مائة الف او يزيدون وكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد ان حوصروا والجؤا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين الفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان فى عسكر المسلمين من الاموال والعدة والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان امية استأمن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير وقبله عبد الرحمن أحسن قبول * وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكره مع عدة من قواده الى الجلالقة فكانت لهم بهم عدة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى

خوف السيف فكان مائتى ألف وانما أحصى ماذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها فى دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذى يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصينى وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حمدان وهى دار الملك فتحصن بها فى مائتى ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وامعن الخارجى فى طلبه فانحاز الملك الى مدينة فى اطراف ارضه واستولى الخارجى على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات فى سائر العمارات وافتتح المدن وعلم أن لا قوام له بالملك اذ كان ليس من اهله فامعن فى خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب

هذه الغاية وورد ميرملك الجلالقة الى هذا الوقت) ٣ وهو سنة ٣٢٦ انتهى * وقال فى موضع آخر ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا فى أزيد من مائة ألف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة وبين الاسوار فصلات وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثابوا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه ٣ وممن غرق أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودى

*(رجع الى أخبار الناصر) فنقول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لا يضر الصغير حدثان سنّ * انما الشان فى سعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغنم * لم تنله بالركض كف مغير

هكذا ألفيت البيتين منسوبين اليه بخط بعض الاكابر ثم كتب باثره ما نصه الصحيح أنهما لغيره والله أعلم انتهى وكان الناصر رحمه الله قد استحجب موسى بن محمد بن حدير واستوزر عبد الملك بن جهور وأحمد بن عبد الملك بن شهيد وأهدى له ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين قال ابن خلدون وهى مما يدل على فخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهى هدية عظيمة الشان اشتهر ذكرها الى الآن واتفق على انه لم يهد احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا وأقروا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها من يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها فاستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار اندلسية وبلغ معروفه الى ألف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من تسمى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بنى العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه فى البيت وتقديم اسمه فى دفتر الارتزاق اول التسمية فعظم مقداره فى الدولة جدا وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت فى كتاب ابن خلدون على ما يفسر خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من التبر ومصارفة خمسة واربعون ألف دينار من سبائك الفضة فى مائتى بدرة واقتصر ابن الفرضى على خمسمائة ألف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندى الذى يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المتخير ومائة رطل من العود الشبه المنتقى هكذا ذكره ابن خلدون وقال ابن الفرضى مستندا الى الكتاب الذى وجهه ابن شهيد مع الهدية ان العود العالى من ذلك أربعمائة رطل منها قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا * وقال ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكى المفضل فى جنسه انتهى * وقال ابن الفرضى نقلا عن الكتاب المصحوب مع الهدية ان المسك مائتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الاشهب الباقى على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية منها قطعة عجيبة ململمة الشكل وزن

واعلمه ما نزل به واعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن

٣ بياض بالاصل

خاقان بولد له بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من اصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الاخص لملوك الصين والذى يخاطبون به جميعا (طمغاج خان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدونى لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضى ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك

٣ قوله وهو سنة ٣٢٦ لعله سنة ٣٢٩ اذ تاريخ الوقعة الاولى كان سنة ٣٢٧ وليحرر اه مصححه

ماثة أوقية هكذا فى تاريخ ابن خلدون وفى ابن الفرضى ان الكل مائة اوقية وان هذه
القطعة أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقى الذكى ثلثمائة أوقية * قال ابن خلدون
ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المخـتم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان
والصـنائع وعشرة افرية من عالى جلود الفنك الخراسانيـة * وخالفـه ابن الفرضى اذ قال
ومن انواع الثياب ثلاثون شقة وخبج خاصـية للباسـه بيضاء وملوّنة وخمس ظهائر شعيبية
خاصية له وعشر فراء من عالى الفنك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملوّنة وستة مطارف
عراقيـة خاصـية له وثمان وأربعون ملحفة زهرية لكسوته ومائة ملحفة زهرية لرفاده ولم
يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضى أعرف لاسـيما وقـد استنـد الى كتاب المهـدى
وصاحب البيت أدرى * قال ابن خلدن وعشرة قناطير شـدّ فيها مائة جلـد سمور وقاله ابن
الفرضى ايضا وزاد ابن خلـدون وسـتة من السرادقات العراقية وثمانيـة وأربعون من
الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثم قالا معا واربعـة آلاف رطل من
الحرير المغزول وألف رطـل من لون الحرير المنتقى للاسـتغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون
شقة من الفربون لسروج الهبات وزاد ابن الفرضى فى الحرير المـذكور قيل انه قبضه منه
صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية وانما دفعـه لصاحب الطراز وأثبتـه فى الدفـتر قالا
وثلاثون بساطا من الصوف مختلفـة الصـناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا وقال
ابن خلدون منتقاة مختلفـة الالوان قالا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة
زاد ابن الفرضى الصـناعات من جنس البسط قالا وخمسـة عشر نوحا من عمل الخز المقطوع
شطرها قال ابن الفرضى وسائرها من جنس البسـط قال ابن خلـدون ومن السـلاح
والعدّة ثمانمائة من التجافيف المزينـة أيام البروز والمواكب وقال ابن الفرضى مائة
تجفاف بأبدع الصناعات وأغربها وأكملها قالا وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم زاد
ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا من
الخيـل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضى ومن الخيل مائة
فرس منها من الخيـل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس من عرض هذه الخيل
مسرجة ملجمة لمراكب الخـلافة مجالس سروجها خز عراقى وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء
والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيـل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات
وقال ابن الفرضى وخمسة أبغـل عالية الركـاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغـال
الركاب مسرجـة ملجـمة بمراكب خـلافية مجالس سروجها خز جعفرى عراقى قال ومن
الرقيق اربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهـم وقال
ابن خلدون فى الجوارى متخيرات بكسوتهن وزينتهن وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف
[illegible]ية تغل آلافا من امداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف
[illegible]نار وعشرون ألف عود من الخشب من أجل الخشب واصيله واقومه قيمتها خمسون الف
[illegible]نار انتهى وقال ابن الفرضى نقـلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهـدية عند ما ذكر
الرقيق ما صورته وكان قدارى ايده الله بابتياعهم من مال الاخماس فابتعتهم من نعمته عندى

ولم يتوجـه منه المسير الى سائر اعماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال
اليه فتاركهم مسالمهم وعدا
كل فريق منهم على ما يليه
على حسب قوته وتمكنه
فعدم انتظام الملك واستقامته
على حسب ماسلف من
ملوكهم وقد كان لمن سلف
من ملوكهم سير وسياسات
للملك وانقياد للعدل على
حسب ماتوجبه قضية
العقل (وحكى) ان رجلا من
التجار من أهل مدينة سمرقند
من بلاد خراسان خرج من
بلاده ومعه متاع كثير حتى
انتهى الى العراق فحمل
من جهازه وانحدر الى
البصرة وركب البحر حتى
أتى الى بلاد عمان وركب الى
بلاد كلة وهى النصف من
طريق الصين أو نحو ذلك
واليها تنتهى مراكب
الاسلام من السيرافيين
والعمانيين فى هذا الوقت
فيجتمعون مع من يرد من
أرض الصين فى مراكبهم
وقد كانوا فى بدء الزمان
بخلاف ذلك وذلك ان
مراكب الصين كانت تأتى
بلاد عمان وسيراف من
ساحل فارس وساحل البحرين
والابلة والبصرة فلذلك كانت
المراكب تختلف فى المواضع
التى ذكرنا الى ما هنالك ولما
عدم العدل وفسدت النيات
وكان من امر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا فى هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة فى مراكب

وصيرنهم من بعثي ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لاستحقاق فيه وفي آخر الكتاب ولما
علمت تطلع مولاي ايده الله تعالى الى قرية كذا بالقينانية المنقطعة الغريس شرفها وتردداه
أيده الله تعالى لذكرها لم اهنأ بعيش حتى اعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها واكتبت
وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت في قرية شيرة من نظر
جيان عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه اليها فما زلت اتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها
الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية وصار في يده
له ابقاه الله سبحانه وارجو انه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله
تعالى ولما علمت نافذ عزمه ابقاه الله تعالى في البنيان وكلفه به وفكرت في عدد الاماكن التي
تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره في بنيانها مد الله تعالى في عمره وأوفى بها على اقصى أمله
علمت ان اسه وقوامه الصخر والاستكثار منه فأثارت لي همتي ونصيحتي حكمة حيلة احكمها
سعدك وجدك اللذان يعثان مالا يتوهم عليه حيلة اقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان
يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاما وينتهي تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين
الفا أعجل شانه في عام سوى التوفير العظيم الذي يسديه العيان قبل ان شاء الله تعالى
وكذلك ما تأتى الي في أمر الخشب لهذه المنية المكرمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤب
انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج اليه ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود على انه
لا يدخل منه في السنة الا نحو الالفي عود ففتح لي سعدك رأيا اقيم له بتمامه جميع هذا الخشب في
العام على كماله بورود الجلية لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا والستين ألفا
انتهى * ومن غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور انه أراد الفصد فقعد بالبهو
في المجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب
الآلة وجس يد الناصر فبينما هو اذ أطل زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقا * بأمير المؤمنينا
انما تفصد عرقا * فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف
وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبرى
مرجانة ام ولده ولي عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها
ما ينيف على ثلاثين ألف دينار * وذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك
الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد أنى
لك هذا فقال هو من عند الله فقال له الناصر تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر
واحتفل في هدية بعثها مع الغلام وقال يا بني كن مع جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت
بك نفسي وكتب معه بهذه الابيات

أمولاي هذا البدر سار لأفقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أر قبلي من بمهجته يرضي

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده منزلته ثم انه بعد ذلك اهديت
اليه

الصينيين الى مدينة خانقو وهي مر[سى] ١٦٨ المراكب على حسب ما ذكرنا آنفا وبلغ ملكهم ما بين خبر المراكب وما فيها من الجهاز
والامتعة فسرح خصيا من
خواص خدمه ممن يثق به
في أسبابه وذلك ان أهل
الصين يستعملون الخصيان
من الخدم في الخراج وغيره
من العمالات والمهمات
وفيهم من يخصي ولده طالبا
للرياسة واعتقاد النعمة
فسار الخصي حتى أتى مدينة
خانقو فاحضر التجار ومعهم
التاجر الخراساني فعرضوا
عليه ما احتاج اليه من
المتاع وما يصلح له فسأل
الخراساني ان يحضر ما عنده
فاحضره وجرت بينهم محادثة
ودار الامر بينهم في التثمين
للمتاع فأم الخصي بحبس
الخراساني واكراهه وذلك
انه راده ثقة منه بعدل
الملك فمضى الخراساني من
فوره حتى أتى الى مدينة
انمو وهي دار الملك فوقف
موقف المتظلم اذا أتى من
البلد الشاسع قد تقمص
نوعا من الحرير الاحمر
ووقف موضعا قد رسم
للظلامة وقد رتب بعض
الملوك ملوك النواحي للقبض
على من يرد من المتظلمين
ويقف ذلك الموقف فيحمل
مسيرة شهر من أرضهم على
البريد ففعل ذلك بالتاجر
الخراساني ووقف بين
يدي صاحب تلك الناحية
المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم وخاطرت بنفسك أما نظرت كيف

اليه جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينتهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة العلام فاحتفل فى هدية اعظم من الاولى و بعثها معها و كتب له

أمولاى هذى الشمس والبدر اوّلا * تقدم كيما يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة قد أتى * فدم منهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث * وملك فى ملك البرية ثانى

فتضاعفت مكانته عنده ثم ان احد الوشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول و يقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشى لا تحرك به لسانك والا طار راسك وأعمل الناصر حيلة فى أن كتب على لسان الغلام رقعة منها يا مولاى تعلم انك كنت لى على انفرادى ولم أزل معك فى نعيم وانى وان كنت عند الخليفة مشارك فى المنزلة محاذر ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه وبعثها مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام وما تكلم به فى مجالس المدام فكتب على ظهر الرقعة ولم يردحوا

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدى سقوط الطير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب قلبه * ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * و كيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك فقال لان عقلى بالهوى غير مشترك فأنعم عليه وزادت محبته عنده وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور فى منازل السرور * واخبار الناصر طويلة جدا وقد منح الظفر على الثوار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفا له الوقت وكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء فمن غزواته انه غزا سنة ثمان وثلثمائة الى جليقية وملكها اردون بن ادفونش فاستنجد بالبشكنس والافرنجة وظاهر شانجة بن فرويلة صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثنتى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وأفسد العمائر وجال فيها وتوغل فى فاحيتها والعدو يحاذيه فى الجبال والاوعار ولم يظفر منه بشئ ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه وكان استمد بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى أهل ألبة وفتح ثلاثين من حصونهم وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها فى بنبلونة ودوخ أرضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقية فانهزم وأصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردد البعوث والطوائف الى الجهاد و بعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطارصيته وانتشر ذكره كما سبق ولما هلك شانجة بن فرويلة ملك البشكنس قام بامرهم بعده امه طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحى بنبلونة وردد عليها اكابر الغزوات وكان قبل ذلك

صادقا فيما الخبر والا فانا نقتلك ونردك قتيلا من حيث جئت وكان هذا حضانه لم تظلم فان رآه قد جزع وشرع فى القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ماهو عليه حمل الى حضرة الملك واوقف بين يديه وسمع كلامه فعمم الخراسانى فى المطالبة والظلامة ورآه قويا غير ضرع ولا نجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان ادى الترجمان اليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع واحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فامرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة فى كل ناحية فكتبوا الى اصحابهم بخانقو أن يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها فى سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مسرجة محذوة الالات للاخبار والخرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه

سنة ثنتين وعشرين غزا الى خشتمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألبة وبسائطها فدوخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية وملكها يومئذ ردمير بن أردون فخام عن لقائه ودخل خشتمة فنازله الناصر فيها وهدم برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة وهابته أمم النصرانية ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومهم في يوم مشهود قال ابن خلدون ركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور وجمل السرير الخلافي بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الاعلام ان يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا من أمر الاسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا وشرعوا في القول فارتج عليهم وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق كان في جملة الحكم ولي العهد وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد بشيء من ذلك فخطب واستضر وجلي في ذلك القصد وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع وأعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات العالم وأخباره مشهورة وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان وغيره ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة وهو يومئذ دوقوة ورسول آخر من ملك الالمان ورسول آخر من ملك الافرنجة وراء البرت وهو يومئذ اوقة ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة واحتفل الناصر لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعا الاسقف الى ملكهم دوقوة ورجع بعد سنتين *(وفي سنة أربع وأربعين) جاء رسول أردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك وأدخل في عهده وكان غرسية بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة ثم انتقض عليه أهل جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال الى اردون بن ردمير وكان غرسية بن شانجة حافد الطوطة ملكة البشكنس فامتعضت لحافدها غرسية ووفدت على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير الملك واعانة حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء الملكان معها فاحتفل الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجة وامه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فرد عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة أردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب الى الامم في النواحي بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكثه ووثوبه ويعيره بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى أن هلك ولما وصل رسول كلدة ملك

سلبه ما كان انعم به عليه ثم قال له نجدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك واجتاز ملوكا في بر وبحر فلم يتعرض لها يؤمل الوصول الى مملكتي ثقة منه بعدلي ففعلت به ما فعلت وكان ينصرف عن ملكي ويقبح الاحدوثة عن سيرتي أما لولا تقديم حرمتك بنا لقتلتك لكن أعاقبك بعقوبة ان عقلت فانها اكبر من القتل وهو ان اوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة أن عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت واحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اختير من متاعك بالثمن الجزيل والا فانت المحكم في مالك اقم اذا شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت وصرف الخادم الى مقابر الملوك (قال المسعودي) ومن طرائف اخبار ملوك الصين ان رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من امر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة وارباب النعم بها وذوي الاحوال الحسنة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته

الافرنجة

الافرنجة باشرف كما تقدم ووصل معه رسول ملك برشلونة وطركونة راغبا فى الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولنفصل بعض ما أجمله فنقول ذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك الناصر بالاندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشان وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب فى موادعته وكان وصول ارساله فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وتقدم فى كلام ابن خلدون انها ست وثلاثون فالله أعلم أيهما أصح وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه وأحسن قبول وأكرمه وأخرج الى لقائهم بجاية يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج الى لقائهم القواد فى العدد والعدة والتعبية فتلقوهم قائدا بعد قائد وكمل اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج اليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا وتماما بلاغا فى الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسط الناصر واكرامه لان الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة لانهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطانى وأنزلوا بمنية ولى العهد الحكم المنسوبة الى نصير بعدوة قرطبة فى الربض ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرا ورتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالى ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلا لاربع دول لكل دولة أربعة منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة المذكورة فى بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه ولى العهد من بنيه الحكم ثم عبد الله ثم عبد العزيز ثم الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتخلف عبد الملك لانه كان عليلا لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بسط صحن الدار أجمع بعتاق البسط وكرائم الدرانك وظللت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو فى رق مصبوغ لونا سماويا مكتوب بالذهب بالخط الاغريقى وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضا مكتوبة بفضة بخط اغريقى أيضا فيها وصف هديته التى ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه قسطنطين ورومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفى سطر آخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف

الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهى من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من أهل بيت نبوة العرب فأمر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة عما يحتاج اليه من جميع أموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبى العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه واذن له فى الوصول اليه ووصله بمال واسع واعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبر أنه لما وصل اليه ورأى ما هو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على اجل الممالك وأنفسها واوسعها ريعا وأكثرها أموالا واعقلها رجالا واهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالى بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذى يملك العراق لانه فى وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك أسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك

ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لانه أصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض أتم خلقا منهم رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما أردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان اره صاحبه فرأيت في الدرج صور الانبياء فحرك شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألني فقلت أصلي على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما أمر الله عز وجل الماء فعم الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان

المستنصر عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ماتهيأ من توطيد الخلافة في دولته وتقدم الى الامير الحكم ابنه وولي عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه أمام نشيد الشعراء فأمر الحكم صنيعه الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني بالتأهب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ماليس في وسع غيره وحضر المجلس السلطاني فلما قام يحاول التكلم بما رأى هاله وبهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يهتد الى لفظة بل غشي عليه وسقط الى الارض فقيل لابي علي البغدادي اسمعيل بن القاسم القالي صاحب الامالي والنوادر وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة قم فارقع هذا الوهي فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولا والمعد لذلك ونحوه في المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالي فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به الى ذكر ما أريد منه وقال في المطمح ان أبا علي القالي انقطع وبهت وما وصل الا قطع ووقف ساكتا متفكرا لاناسيا ولا متذكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبي علي لاول خطبته بكلام عجيب ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب يسحه سحا كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة وبدأ من المكان الذي انتهى اليه أبو علي البغدادي فقال أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال واني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فاصغوا الي معشر الملا بأسماعكم وأتقنوا عني بأفئدتكم ان من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت وان الجليل تعالى في سمائه وتقدس بصفاته وأسمائه أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة واني أذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم وأمنت سربكم ورفعت قوتكم بعد أن كنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاه الله رعايتكم وأسند اليه امامتكم ايام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء أنشدكم بالله معاشر الملا ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فأمنها والاموال منتهبة فاحرزها وحصنها ألم تكن البلاد خرابا فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم فانشدكم الله ألم تكن خلافته

خبر لم يجدوا عن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم

فقل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ألم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها ولم يكل ذلك الى القواد والاجناد حتى باشره بالقوة والمهجة والاولاد واعتزل النسوان وهجر الاوطان ورفض الدعة وهى محبوبة وترك الركون الى الراحة وهى مطلوبة بطوية صحيحة وعزيمة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثاقبة وريح هابة غالبة ونصرة من الله واقعة واجبة وسلطان قاهر وجد ظاهر وسيف منصور تحت عدل مشهور متحملا للنصب مستقلا لما ناله فى جانب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها غارب الاجبه ولا نجم لاهلها قرن الاجذه فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلم أمير المؤمنين لشعثكم على اعدائه أعوانا حتى تواترت لديكم الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليه واليكم يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولن يخلف الله وعده ولهذا الامر ما بعده وتلك أسباب ظاهرة بادية تدل على امور باطنة خافية دليلها قائم وجفنها غير نائم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل نبإ مستقر ولكل أجل كتاب فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه واسألوه المزيد من نعمائه فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد وألهمه خالص التوفيق الى سبيل الرشاد أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا وأعزهم قرارا وأمنعهم دارا وأكثفهم جمعا وأجملهم صنعا لاتهاجون ولاتذادون وأنتم بحمد الله على اعدائكم ظاهرون فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فان من نزع يدا من الطاعة وسعى فى تفريق الجماعة ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم أن فى التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الاموال وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء وأن بقوام الطاعة تقام الحدود وتوفى العهود وبها وصلت الارحام ووضحت الاحكام وبها سد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الاكناف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار واطمأنت بكم الدار فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية وقد علمتم ما أحاط بكم فى جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين فى شق عصاكم وتفريق ملاكم الآخذين فى مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين أقول قولى هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين مستغفرا الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين * وساق ابن سعيد فى المغرب هذه الحكاية فقال ما صورته منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة خطيب مقتدر وله كتب مؤلفة فى القرآن والسنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع شاعر بليغ ولد سنة خمس وستين ومائتين واول سببه فى التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول

لا تعرف ما ذكرتم ولا تقبل البناء الا فناء او صفتم وماذكرتم من ركوب الماء الارض فهذا من الكواكب العظام التى تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم بما قلنا له قال القرشى فعجبت الردنا به واقامة الحجة لعلمى بصحة ذلك ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذى كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهرا شيأ يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء مما اقتصرت على ذكر بعضه ويزعم هذا القرشى وهو المعروف بابن وهبان انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد زيد فيها ذكر اسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير اعمارهم واسباب نبواتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به فى ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفى اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه اجل الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه ورأيت صور الانبياء كثيرة منهم من قد اشار بيده جامعا بين

رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذى اشتهر ذكره أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة ورمى ملوك الامم بسهام بأسه ونجدته وتقدمه الى الامير الحكم ابنه وولى عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه أمام انشاد الشعراء فتقدم الحكم الى ابى على البغدادى ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فما وصل ولا قطع ووقف ساكتا مفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجة من مرقاة أبى على ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة ثم ذكر الخطبة كما سبق وقال بعد ايرادها ما صورته فصلب العلج وغلب على قلبه وقال هذا كبير القوم أو كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر اشدهم تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطى فقال والله لقد احسن ما شاء ولئن اخرنى الله بعد لارفعن من ذكره فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكرنى بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه ثم ولاه الصلاة والخطابة فى المسجد الجامع بالزهراء ثم توفى محمد بن عيسى القاضى فولاه قضاء الجماعة بقرطبة واقره على الصلاة بالزهراء * ومن شعره فى هذه الواقعة قوله

مقالى كحد السيف وسط المحافل * فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكى ترتمى جمراته * كبارق رعد عند رعش الانامل
فما دحضت رجلى ولا زل مقولى * ولا طاش عقلى يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولى عيون احالها * كمثل سهام اثبتت فى المقاتل
لخير امام كان اوهو كائن * لمقتبل اوفى العصور الاوائل
ترى الناس افواجا يؤمون بابه * وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه * مخافة باس اورجاء لنائل
فعش سالما اقصى حياة مؤملا * فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب * الى درب قسطنطين اوارض بابل

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون ان المأمور بالخطبة هو القالى وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان حبر خطبته هذه واعدها مخافة ان يدور ما دار فيتلافى الوهى فانه لبديع من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لأعجب واغرب قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

هذا المقام الذى ما عابه فند * لكن قائله ازرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا * لكننى منهم فاغتالنى النكد

ويروى بدل هذا الشطر * ولا دهانى لهم بغى ولا حسد *

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها * ما كنت أرضى بارض ما بها أحد

انتهى قلت كأنه عرض بابى على القالى وتقديمهم اياه فى هذا المقام والله أعلم ومن

سبابته وابهامه كالحلقة كأنه يصف ان الخليقة فى مقدار الحلقة ومنهم من قد اشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألنى عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع فى ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره ايضا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما احسبت نبيكم قال هذا فزللت فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار فى وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل أما زعمت انكم تختلفون فى ذلك فانكم انما اختلفتم فى قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عنى لطول المدة ثم قال لى لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ومنسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعى الى سيراف ونزعت بى همتى الى ملكك أيها الملك لما بلغنى من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فأحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع عنها الى بلادى وملك ابن عمى ومخبر بما شاهدت من جلالة هذا نظم

نظم منذر بن سعيد قوله

المـوت حوض وكلنا نرد ❊ لم ينج مما يخافه أحد

فلا تكن مغرما برزق غد ❊ فلست تدرى بما يجيء غد

وخذ من الدهر ما أتاك به ❊ ويسلم الروح منك والجسد

والخير والشر لا تذعه فما ❊ فى الناس الا التشنيع والحسد

وله وقد آذاه شخص يخاطبه بالكنية فقيل له ايؤذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبن من أن كنيته ❊ من بعد ما قد سبنا وأذانا

فالله قد كنى أبا لهب وما ❊ كناه الا خزية وهوانا

وقال فى المطمح منذر بن سعيد البلوطى آية حركة وسكون وبركة لم تكن معدة ولا تكون وآية سفاهة فى تحلم وجهامة ورع فى طى تبسم اذا جد وجد واذا هزل نزل وفى كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرقب ولا اكتسب اثما ولا احتقب ولى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر ومن جور قبض ومن حق رفع ومن باطل خفض وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله فى استخراج حق ورفع ظلم واستمر فى القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فأقره وفى خلافته استعفى مرارا فما أعفى وتوفى بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه فى حكومته زلة وكان غزير العلم كثير الادب متكلما بالحق متدينا بالصدق له كتب مؤلفة فى السنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفى سنة ٣٥٥ ومن شعره فى الزهد قوله

كم تصابى وقد علاك المشيب ❊ وتعامى عمدا وأنت اللبيب

كيف تلهو وقد أتاك نذير ❊ أن سيأتى الحمام منك قريب

يا سفيها قد حان منه رحيل ❊ بعد ذاك الرحيل يوم عصيب

ان للموت سكرة فارتقبها ❊ لا يداوى اذا أتتك طبيب

كم توانى حتى تصير رهينا ❊ ثم تأتيك دعوة فتجيب

بأمور المعاد أنت عليم ❊ فاعملن جاهدا لها يا لبيب

وتذكر يوما تحاسب فيه ❊ ان من يذكر فسوف ينيب

ليس من ساعة من الدهر الا ❊ للمنايا بها عليك رقيب

ولعلنا نذكر شيأ من أحوال منذر فى غير هذا الموضع (رجع لاخبار الناصر لدين الله) حكى أنه لما اعتذر لولاية ابنه أبى مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن يندر لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتقدم من بينهم المشاور أبو ابراهيم وافتقد مكانه لارتفاع منزلته فسأل فى ذلك الخليفة الناصر اذ أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على أبى ابراهيم وأمر ابنه ولى العهد الحكم بالكتاب اليه

الملك وسعة هذه البلاد وشيمك أيها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن واثنى بكل جميل فسره ذلك وامر لى بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملى على البريد الى مدينة خانفو وكتب الى ملكها باكرامى وقدومى على من فى ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجى عنه فكنت فى اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين (قال المسعودى) واخبرنى ابو زيد الحسن ابن يزيد السيرافى بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك فى سنة ثلاث وثلثمائة وابو زيد هذا هو ابن عم بن زيد بن محمد بن مرد بن ساسياد السيرافى وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز انه سأل ابن وهبان القرشى عن مدينة حمدان التى بها الملك ووصفها وقد كر سعتها وكثرة اهلها وانها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه وجميع اسبابه فى الشق الايمن منه مما يلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامه وليس فيه شئ من الاسواق بل انهار فى سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفى الشق الايسر مما يلى المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رايت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان

وأنفذ الحكم إليه رقعة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولاك وسددك
ورعاك لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله الاولياء الذين يستعين بهم وجدك
متقدما في الولاية متأخرا عن الصلة على انه قد أدرك أبقاه الله خصوص المشاركة في السرور
الذي كان عنده لا أعدمه الله توالي المسرة ثم اندرت من قبل ابلاغي التكرمة وكان منك
على ذلك كله من التخلف ما نافت عليك فيه المعذرة واستبلغ أمير المؤمنين في انكاره
وما نديك عليه فاعتمت على ذلك عنك الحجة وعرفني أكرمك الله ما العذر الذي أوجب توقفك
عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه لنعرفه أبقاه الله بذلك
[illegible] العزيز به اليه ان شاء الله تعالى فأجابه أبو ابراهيم سلام على الامير سيدي ورحمة
الله وبركاته أبقى الله الامير سيدي هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفي لنفسي انما كان لامير
المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه لعلمي بمذهبه وسكوني الى تقواه واقتفائه لاثر سلفه الطيب
رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض
منها او يطرق الى تنقيصها يتجملون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم
من بعد ادهم فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه توقفت ان شاء الله تعالى فلما أقرأ الحكم أباه
الناصر لدين الله جواب أبي ابراهيم استحق أدبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه
وكان الفقيه أبو ابراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم وحق لهما أن يعظماه وقد
حكى الفقيه ابو القاسم بن مفرج قال كنت اختلف الى الفقيه أبي ابراهيم رحمه الله تعالى
فيمن يختلف اليه للفقه والرواية فاني لعنده في بعض الايام في مجلسه بالمسجد المنسوب لابي
عثمان الذي كان يصلي به قرب داره بحومة قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك
بين الصلاتين اذ دخل عليه خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف
وسلم وقال له يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك
وقد أمرت بإعجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لامر المؤمنين ولا عجلة فارجع اليه وعرفه
وفقه الله عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلاب العلم أسمعهم حديث ابن
عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عني وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم
المجلس المعهود لهم في رضا الله وطاعته فذلك أوكد من مسيري اليه الساعة فاذا انقضى
أمر من اجتمع الي من هؤلاء المحتسبين في ذات الله الساعين لمرضاته مشيت اليه ان شاء الله
تعالى ثم أقبل على شأنه ومضى الخصي يهمهم متذمرا من توقفه فلم يك الا ريثما أدى جوابه
وانصرف سريعا كن الطيش فقال له يا فقيه أنهيت قولك على نصه الى أمير المؤمنين
أبقاه الله فأصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن امير المؤمنين وجماعة
المسلمين وأمتعهم بك واذا أنت أوعيت فامض اليه راشدا ان شاء الله تعالى وقد أمرت أن أبقى
معك حتى ينقضي شغلك وتمضي معي فقال له حسن جميل ولكني أضعف عن المشي الى باب
السدة ويصعب علي ركوب دابة لشيخوختي وضعف أعضائي وباب الصناعة الذي يقرب الي
من أبواب القصر المكرم أحوط لي وأقرب وأرفق بي فان رأى أمير المؤمنين أيده الله تعالى
أن يأمر بفتحه لادخل اليه منه خفة علي المشي ووداعة لجسمي وأحب أن تعود وتنهي اليه

ذلك

وراءه وثلاثة [illegible] الى السوق الذي فيه العامة والتجار فأخذوا بضائعهم
وحوائجهم ثم انصرفوا ولم
يعودوا اليه بعد ذلك فهذا
السوق الآن اليوم خالي
وان هذه المدينة [illegible]
[illegible]
مطرده لا [illegible]
معدوم [illegible] واهل
الصين [illegible] الله
له ستر وصندوق وكل
[illegible] احد
من سائر الامم وان جعل
[illegible]
أن غيره [illegible]
باب الملك [illegible] الجزاء
على [illegible]
الملك [illegible] على بابه [illegible]
ذلك الى [illegible] لم يخرج
أحد فيه [illegible] صاحبه
وادخله في [illegible] وان
اخرج احد [illegible] الطريق
ولم يجره وان رجلا منهم
[illegible] سقط [illegible]
عصفور في ثوب [illegible] لم
يشك الناظر الا انها [illegible]
[illegible] عصفورة في
الثوب مدة وانه اجتاز به
احد [illegible] صاحب العمل
فادخل الى الملك واحضر
صاحب العمل وسأل
الاحدب [illegible] فقال
المعارف [illegible]
[illegible] لا يقع عصفور
على [illegible] الامر [illegible]
هذا [illegible]
قائمة لا [illegible] وانثى العصفور [illegible] فوقها منتصبا فاخطأ وصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ

ذلك عنى حتى تعرف رأيه فيه وكذلك تعود الى فانى أراك ذتى شديدا فكن على الخير معنا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يافقيه قد أجابك أمير المؤمنين الى ما سألت وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت اليك وأمرنى بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك وقال افعل راشدا وجلس الخصى جانبا حتى أكمل أبو ابراهيم مجلسه بأكمل وأوسع ماجرت به عادته غير منزعج ولا قلق فلما انقضى ناعنه قام الى داره فأصلح من شأنه ثم مضى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأعيد اغلاقه على اثر خروجه قال مفرج ولقد تعمدنا فى تلك العشية اثر قيامنا عن الشيخ ابى ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود اغلاقه بدبر القصر الذى تجشم الخليفة له فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصى وقد حفه الخدم والاعوان منزعجين ما بين كناس وفراش متأهبين لانتظار أبى ابراهيم فاشتد عجبنا لذلك وطال تحدثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء قدس الله تلك الارواح * ثم توفى الناصر لدين الله ثانى أو ثالث شهر رمضان من عام خمسين وثلثمائه اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الاسلام بملكه (قال ابن خلدون) خلف الناصر فى بيوت الاموال خمسه آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات انتهى وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان وحكى انه وجد بخط الناصر رحمه الله أيام السرور التى صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدت تلك الايام فكانت أربعة عشر يوما فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الاحوال لاوليائها هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل فى الارتقاء فى الدنيا والسعود ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف له الا أربعة عشر يوما فسبحان ذى العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا هو ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شئ فقدت الا * عوضنى الله منه شيا
انى اذا ما منعت خيرى * تباعد الخير من يديا
من كان لى نعمة عليه * فانها نعمة عليا

وممن أعز الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد قال فى المطمح أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة وزهرة تلك الكمامة وصاحب الناصر عبد الرحمن وحامل الوزارتين على سموهما فى ذلك الزمان استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها والتفات مقلها فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة النظراء وكانت امارة عبد الرحمن اسعد امارة بعدتها كل نفس بالسوء أمارة فلم يطرقها صرف ولم يرمقها محذور بطرف وقرع الناس فيها هضاب الامانى ورباها ورتعت ظباؤها فى ظلال ظباها وهو اسد على براثنه رابض وبطل ابدا على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس

وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الاشياء لمنظرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم اخبار ظريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب ملاوان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك فى كتابنا اخبار الزمان فى الامم الماضية والممالك الداثرة وذكرنا فى الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها فى كتاب أخبار الزمان وذكرنا فى هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره فى ذينك الكتابين والله اعلم

*(ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد انواعه):

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة ولنذكر الآن فى هذا الباب جملا من اخبار ما اتصل بما من البحر الحبشى والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من انواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الا أن هيجانها وركودها يختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب

خلال تلك الديار رحيبه ويروى بل يحسم كل آونة سيفه وابن شهيد يتبع الآراء ويلقحها ويعد تلك الأنحاء ويلقحها والدولة مشتملة بغنائه متجملة بثنائه وكرمه منتشر على الآمال ويكسو الأولياء بذلك الإجمال وكان له أدب تزهر لججه وتبهر حججه وشعره رقيق لا ينتقد ويكاد من اللطافة يعتقد فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعا فكأنما * يجول وشاحاها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى * ومفعمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاء لم يرحلن فوق رواحل * ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
ولا أبرزتهن المدام لنشوة * وشدو كما تشدو القيان على الشرب

وكان بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولي الأمر معه ومشاركه في التدبير إذا حضر مجتمعه منافسة لم تتصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة وكلاهما يتربص بصاحبه دائرة السوء ويغص فيه غصص الأفق بالنوء فاجتاز يوما إلى ربضه ومال إلى زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تأخر خروج الإذن إليه فثنى عنانه حنقا من حجابه ونجرا من احتجابه وكتب إليه معرضا وكان يلقب بالحمار

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * إليك ولا قلب إليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * فكيف تلاقى برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور يعرض به بما كان يشيع عنه بأن جده أبا هشام كان بيطارا بالشام بقوله

حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان بيطار الشآم بموضع * يباشر فيه برنا بحقيق

ومن شعره قوله يتغزل

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
فقيد وهو موجود بقلبي * فوا عجبا لموجود فقيد

انتهى

وقد تقدم الكلام على هدية ابن شهيد وبعض أخباره رحمة الله عليه ولما توفي الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولي عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يفقد من ترتيبه إلا شخصه وولي حجابته جعفر الصقلبي وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الأصناف ما ذكره ابن حيان في المقتبس وهي مائة مملوك من الإفرنج ناشبة على خيول صافنة كاملو الشكة والأسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندية وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الأجناس وثلثمائة خوذة كذلك ومائة بيضة هندية وخمسون هندية خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطشطانة وثلثمائة حربة إفرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهبة وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس انتهى * قال ابن خلدون ولأول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه وافتتح بلد فرذلند بن غندشلب فنازل شنت اشتبين وفتحها عنوة واستباحها ونفل فبادروا إلى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقية

وسار

عند ارتجاج بحر الهند
واضطراب أمواجه وظلمته
وصعوبة ركوبه ولم تبتدئ
صعوبة بحر فارس عند
دخول الشمس السنبلة
وقرب الاستواء الخريفي
ولا يزال في كل يوم تكثر
أمواجه الى ان تصير
الشمس الى برج الحوت
فأشد ما يكون ذلك في
آخر الخريف عند كون
الشمس في القوس ثم يلين
الى أن تعود الشمس الى
السنبلة وآخر ما يكون
ذلك في آخر الربيع عند
كون الشمس في الجوزاء
وبحر الهند لا يزال كذلك
الى أن تصير الشمس الى
السنبلة فيركب حينئذ
وأهدأ ما يكون عند كون
الشمس في القوس وبحر فارس
يركب في سائر السنة من
عمان الى سيراف وهو
ستون ومائة فرسخ ومن
سيراف الى البصرة وهو
أربعون ومائة فرسخ ولا
يتجاوز في ركوبه غير
ما ذكرنا من هذين الموضعين
ونحوهما وقد حكى أبو
معشر المنجم في كتابه المترجم
بالمدخل الكبير الى علوم
النجوم ما ذكرنا من اضطراب
هذه البحار وهدوءها عند
كون الشمس فيما ذكرنا
من البروج وليس يكاد يصح من ثمار نحو الهند في انتهائه الأمر لكبر معزر وجمولته يسيرة سيما

وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباح عسكرهم وأوطأ العساكر بلد فردلند ودوّخها وكان شانجة بن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها وقفل ثم أغزى الحكم أحمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة وعاثت العساكر في نواحيها وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القومس فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقوّاد الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتح قلهرية من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبية على يد قائد وشقة وغنم فيه من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى (وفي سنة أربع وخمسين) سار غالب الى بلد ألبة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فافتتح حصن غرماج ودوّخ بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا بسائط اشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم وأخرج الحكم القوّاد لاحتراس السواحل وأمر قائد البحر عبد الرحمن رماحس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وفادة اردون بن أذفونش ملك الجلالقة وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو الملك من قبل اردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله ووصل الى الحكم وأجلسه ووعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله ملقيا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس وأعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات والحملان له ولاصحابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير ببيعته وطاعته مع وافد من أهل جليقية وسمورة واساقفتهم يرغب في قبوله ويحتج بما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين ثم بعث ملكا برشلونة وطركونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشرة أدرع صقلبية ومائتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على أن يهدموا الحصون التي تضر بالثغور وأن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد أن كان توقف وأظهر المكر فعقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا ثم وفدت على الحكم أم لذريق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية وهو القومس الاكبر فأخرج الحكم لتلقيها أهل دولته واحتفل لقدومها في يوم مشهود مشهور فوصلت وأسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودفع لها مالا تقسمه بين وفدها دون ما وصلت به هي

المراكب التي بعمان فانها اذا قطعت الى ارض الهند تحتاج الى النباهة بذلك بلاد الهند في هذا الوقت الذي تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى اقاصي هذا البحر ومن شتى في صيفنا بارض الهند قيل فلان شتى في أرض الهند أي شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس وانما يكون في أول نيسان الى آخر أيلول وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص في هذا البحر اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكونه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى أن ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحار والمعروف بالبلبل واللحم والشحم في الصدف وهو حيوان يفزع مما فيه من اللؤلؤ والدر خوف الغاصة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر

وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم
الوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت ثم اوطأ عساكره أرض العدوة من المغرب
الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها في اعمالهم وخطبوا
بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بني الخرز وبني أبي
العافية وأجزل صلاتهم واكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بني ادريس من ملكهم
بالعدوة في ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية ※ وكان محبا
للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب في انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال أبو
محمد بن حزم اخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ان عدد
الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع واربعون فهرسة وفي كل فهرسة عشرون ورقة
ليس فيها الاذكر اسماء الدواوين لاغير واقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليه بضائعه
من كل قطر ※ قال ابو محمد بن خلدون ولما وفد على ابيه أبو علي القالي صاحب كتاب
الامالي من بغداد أكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه
واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالا من
التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه وبعث
في كتاب الاغاني الى مصنفه أبي الفرج الاصبهاني وكان نسبه في بني أمية وارسل اليه
فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق
وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم
وأمثال ذلك وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد
فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من
بعده الاما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة
الى أن بيع اكثرها في حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي
المنصور بن أبي عامر ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة انتهى
كلام ابن خلدون ببعض اختصار ※ (ولنبسط الكلام على الحكم فنقول) ان الحكم
المستنصر اعتلى سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعباء الملك اتم قيام وانفذ
الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر في تمهيد
سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما اخذ البيعة على
صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر لجعفر صاحب الخيل والطراز
وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم
وأوصل الى نفسه في الميل دون هؤلاء الاكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء
فبايعوه فلما كملت بيعة اهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض
في أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة
وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض ايضا عن أبي الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني
فمضى اليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند واتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء وقعد

كيفيه الغوص وأن الغاصة لا يكادون يتناولون شيأ الا السمك من الحيتان والتمر لا غيرهما من
الاقوات وما يلحقهم وذكر
شئ أصول آذانهم لخروج
النفس من هنالك بدلا من
المنخرين يجعل عليهما شئ
من الذبل أو من شئ من
يضغطهما كالمقاص
لا من الخشب ومما يجعل
في آذانهم من القطن فيه
شئ من الدهن يعصر من
ذلك الدهن اليسير في الماء
في قعره يضئ لهم بذلك في
البحر ضياء بينا وما يطلون
به أقدامهم وسوقهم من
السواد خوفا من بلع دواب
البحر اياهم ولنفورها من
السواد وصياح الغاصة
في البحر كالكلاب وخرق
الصوت الماء فيسمع بعضهم
صياح بعض وللغواص
واللؤلؤ وحيوانه اخبار
عجيبة وقد أتينا على جميع
أوصاف ذلك وصفات
اللؤلؤ وعلاماته واثمانه
ومقادير أوقاته فيما سلف
من كتبنا فاول هذا البحر مما
يلي البصرة والابلة والبحرين
من خشاب البصرة ثم بحر
لاروي وعليه بلاد صيمور
وسوبارة وتانه وسندان
وكنبايه وغيرها من السند
والهند ثم بحر كيد ثم بحر
كلاه بار وهو بحر كله والجزائر
ثم بحر كردنج ثم بحر
الصنف واليه يضاف
العود الصنفي الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صنجي وليس بعده بحر فاول بحار فارس على ما ذكرنا خشاب

غيرهما

غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لاتيان غيرهم من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء فى الليل فنزلوا فى مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا فى المجلسين الشرقى والغربى وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البهو الاوسط من الابهاء المذهبة القبلية التى فى السطح الممرد فاول من وصل اليه الاخوة فبايعوه وأنصتوا الصحيفة البيعة والتزموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الاعيسى بن فطيس فانه كان قائما بأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف فى المجلس الذى قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره فى المنزلة عليهم الظهائر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين فى السطح وفى الفصلان المتصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين فى الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة وقامت التعبية فى دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والاقبية البيض وعلى رؤسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونة والاسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الاعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة مواكبا اثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الله الى قصر قرطبة للدفن هنالك فى تربة الخلفاء (وفى ذى الحجة من سنة خمسين) تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصلوا الى مجلس الخليفة بحضرة جمع الوزراء والقاضى منذر بن سعيد والملأ فأخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات فى نسخها (وفى آخر صفر من سنة احدى وخمسين) اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مولييه محمد او زياد ابنى أفلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى الذى خرجوا اليه صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث فى الدولة المتملك على طوائف من الامم الجلالقة والمنازع لابن عمه المملك قبله شانجة بن ردمير وتبرع هذا اللعين اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذن ولا مستظهر بعهد وذلك عندما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه وأخذه فى التأهب له فاحتال فى تاميل المستنصر بالله والارتماء عليه وخرج قبل أمان يعقد له أو ذمة تعصمه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه تكنفهم غالب الناصرى الذى خرجوا اليه فجاء به نحو مولاه الحكم وتلقاهما بنا أفلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر بالله اليهم هشاما المصحفى فى جيش عظيم كامل

الى عمان مسافة ثلثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها مزون الى المسقط وهى قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هنالك عدته خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا التحديد النواتى وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل ومنه تمت البحر لا يدرى أين تنتهى غايته فى الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثانى وهو المعروف بلاروى لا يدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما تقطع فى الشهرين والثلاثة وفى الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس فى هذه البحار أعتى مما احتوى عليه البحر الحبشى أكبر من هذا البحر بحر لاروى ولا أشد وفى عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة

وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا اهل لش

التعبية وتعدوا الى باب قرطبة فروا بباب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدة وباب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فاشير الى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم رد قلنسوته الى رأسه وأمر المنتصر بانزال أردون في دار الناعورة وقد كان تقدم في فرشها بضروب الغطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسع له في الكرامة ولاصحابه واقام بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفا في المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد والحكام والفقهاء فاتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك اردون وأصحابه وعالي لبوسه ثوب ديباج رومي أبيض وبليوان من جنسه وفي لونه وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالاندلس يؤنسونه ويبصرونه فيهم وليد بن خيزون قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف ويجيل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها وراثق حليتها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم وتاملوا ناكسي رؤسهم غاضين من اجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الاقباء أول باب قصر الزهراء فترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدم الملك اردون وخاصة قوامه على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشي على الاقدام فترجلوا ودخل الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طملس فانزل في بطن البهو الاوسط من الابهاء القبلية التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الاوصال بالفضة وفي هذا المكان بعينه نزل قبله عدوه وسميه شانجة بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى فقعد اردون على الكرسي وقعد أصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه فتقدم يمشي وأصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح فلما قابل المجلس الشرقي الذي فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسرا اعظاما لما بان له من الدنو الى السرير واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قائما ثم نهض خطوات وعاد الى السجود والى ذلك مرارا الى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله اياها وكر راجعا متقهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه وانهض خلفه من استدني من قوامه واتباعه فدنوا ممتثلين في تكرير الخضوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها وانصرفوا متقهقرين فوقفوا على رأس ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزون قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك اردون ذلك اليوم فأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثر قعوده أمامه وقتا كيما يفرخ روعه فلما رأى أن قد خفض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرك اقبالك ويغبطك تاميلك فلدينا لك من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما

والسهم لعلف لغة العرب فيما قال لي وقال لش ان يجعلي لبت مي في الذي معش مر بلده ذلك فيه مسلي وقلت لك ان تجعلي الذي مي لدنك معك وغير ذلك من خدايتهم ونوادر كلامهم وهم ذو وعرود فهو فهم عجب مركبوهم وله على معرف بالعجب لهم به تشبه في البرعة بعجب ابن ساويه بل عند جماعة انها أسرع منها يسيرون عليها على الخيل بجريهم فيها أحدث هده اسماء بالعنبر قد قذفه البحر مركب عليه قدر ما لذلك واعتدنه فيتة وله راكب وأجود العنبر وقع في هذه الناحية والى جزائر الرانج وساحله وهو المدور والازرق البارز كبيض النعام أو دون ذلك ومنه ما يلعه الحوت المعروف بالاول المتقدم ذكره وذلك أن البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال وأصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه فما كان من بطنه يكون سمكا ويعرفه العطارون بالعراق ترجم

ترجم له كلامه اياه تطاول وجه اردون وانحط عن رتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير المومنين مولاى المتورك على فضله القاصد الى مجده المحكم فى نفسه ورجاله حيث وضعنى من فضله وعوضنى من خدمته رجوت ان اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا اياك على أهل ملتك ما يغبطك وتتعرف به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظل سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شانجة ابن عمى تقدم الى الخليفة الماضى مستجيرا به منى فكان من اعزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم وأملهم وكان قصده قصد مضطر قد شنأته رعيته وأنكرت سيرته واختارتنى لمكانه من غير سعى منى علم الله ذلك ولا دعاء اليه فخلعته واخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا وتطول عليه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه وقوى سلطانه وأعز نصره ومع ذلك لم يقم بفرض النعمة التى اسديت اليه وقصر فى أداء المفروض عليه وحقه وحق مولاى أمير المؤمنين من بعده وانا قد قصدت باب امير المؤمنين لغير ضرورة من قلة رجالى وسلطانى وموضع احكامى محكماله فى نفسى ورجالى ومعاقلى ومن تحويه من رعيتى فشتان ما بيننا بقوة النية ومطرح الهمة فقال الخليفة قد سمعنا قولك ووهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شأنه ويترادف من احساننا اليك اضعاف ما كان من أبينا رضى الله تعالى عنه الى نذلك وان كان له فضل التقدم بالجنوح الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يؤثرك عنه ولا ينقصك مما أملناك وسنصرفك مغبوطا الى بلادك ونشد أواخى ملكك ونملكك جميع ما انحاش اليك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك وتقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرفه من البلاد الى يدك وسنرادف عليك من افضالنا فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر أردون الخضوع وأسهب فى الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولى الخليفة ظهره وقد تلقفه الفتيان من جلة الفتيان وأخرجوه الى المجلس الغربى فى السطح وقد علاه البهر وأدهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى النهو الذى يحوى هذا المجلس فاجلس هنالك على وساد مثقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر فلما بصر به قام اليه وخضع له وأوما الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فغبطه ووعده من انجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره ثم أمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التى أمر له بها الخليفة وكانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنس مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العلج فخلع فخر ساجدا وأعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب أصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم وكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم وخرج جميعهم خاضعين شاكرين ثم انطلق الملك اردون وأصحابه وقدم لركابه فى آخر النهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج حلى ولجام حلى مفرغ وانصرف مع ابن طملس الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أعدله فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون واستمر

وفارس والهند وما بقى على ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه فى بطن الحوت وبين البحر الثالث والرابع مركبه والبحر الثانى وهو لاورى على ما ذكرنا جزائر كثيرة وهى فرق بين هذين البحرين ويقال انهم يحرز من الحى جزيرة ونحو قول المحوى ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس ومالكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم فى قديم الزمان لا يملكهم رجل والعنبر يوجد فى هذه الجزائر أيضا يقذفه البحر ويوجد فى بحرها كأكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرنى غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت فى قعر هذا البحر ويكون كما يكون أنواع الفطر من الابيض والاسود والكمأة والمعاريد ونحو ذلك أو نحوها فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر منفقون وكلمتهم واحدة لا يحصرهم العدد لكثرتهم ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم نخل النارجيل لا يتعفن من النخله الا التمر وقد زعم اناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل

أسخى به دنياه الا كما امن سعة التصريف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه ما أفاضوا من التبجح به والتحدث عنه أياما وكانت للخطباء والشعراء بمجالس الخلافة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة متان يطول القول في اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول

ملك الخليفة آية الاقبال * وسعوده موصولة بنوال
والمسلمون بعزة وبرفعة * والمشركون بذلة وسفال
ألقت بأيديها الاعاجم نحوه * متوقعين لصولة الريبال
هذا أميرهم أتاه آخذا * منه أواصر ذمة وحبال
متواضعا لجلاله متخشعا * متبرعا لما يرى بقتال
يسمو بالتأميل للملك الرضا * عزا يعم عداه بالاذلال
لا يوم أعظم للولاة مسرة * وأشد غيظا على الاقيال
من يوم اردون الذي اقباله * أمل المدى ونهاية الاقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها * والى الرعاة الى الاعاجم والي
ان كان جاء ضرورة فلقد أتى * عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل امامنا * حط الملوك بقدره المتعالي
هو يوم حشر الناس الا انهم * لم يسئلوا فيه عن الاعمال
أضحى الفضاء مخيما بجيوشه * والافق أقتم أغبر السربال
لا يهتدي الساري لليل قتامه * الا بضوء صوارم وعوالي
وكأن اجسام الكماة تسربلت * مذعورة عنه جسوم ضلال
وكأنما العقبان عقبان الملا * منقضة لتخطف الضلال
وكأن مقتضب القنا بهزة * اشطان نازحة بعيدة جال
وكأنما قبل الأحاجيف اكتست * نارا تؤججها بلا اشعال

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن فتى تليد صاحب خزانته العلمية فيما حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة * وقال بعض المؤرخين في حق الحكم انه كان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان عالما نبيها صافي السريرة وسمع من قاسم بن أصبغ وأحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب وأكثر عنه وأجاز له ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوذيا نسيج وحده وكان ثقة فيما

ينقله

حين غرس فيها قصارا رجلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا

وانما أثرت فيه نزبة أهله المتوجهة بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهو تعالى جعل في كل من الخالقين وغيرهم مما تؤثر البقاع في النامي من النبات وفيما يمس الاجسام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلك في جمالهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وابيض وبرها وأرض يأجوج ومأجوج في صدورهم وغير ذلك مما اذا تتبعه ذوو المعرفة في أماكن الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرناه وليس يوجد في جزائر البحر ألطف صنعة من هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع في الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه المملكة الودع وذلك ان هذا الودع هو نوع من الحيوان واذا قل ما بها أمرت أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخوصه ويطرحوه على وجه الماء فيصعد عليه ذلك الحيوان فيجمع ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فتملأ من ذلك بيوت الاموال وهذه الجزائر تعرف بيعها بالذيبجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل

ينقله بهذا وصفه ابن الابار وباضعافه وقال عجبا لابن الفرضي وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن ومما ينسب اليه من النظم قوله

الى الله أشكو من شمائل مسرف * عن ظلوم لا يدين بما دنت
نأت عنه داري فاستزادت دوده * واني على وجدي القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ * من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وقوله

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت * وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي
فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دما * ويا كبدي الحرى عليها تقطعي

وتوفي رحمه الله تعالى بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه الله تعالى وكان قد شدد في ابطال الخمر في مملكته تشديدا عظيما (وولي بعده ابنه) هشام صغيرا سنه تسع سنين ولا ينافيه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ونقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل قال ابن خلدون وترقت حال ابن أبي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتئذ المغيرة أخو الحكم المرشح لامره تناول القتل به محمد بن أبي عامر هذا بممالأة من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر بومئذ ورؤساؤهم فائق وجوذر فقتل ابن أبي عامر المغيرة بممالأة من ذكر وتمت البيعة لهشام ثم سما لابن أبي عامر أمل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنية من معافر دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما في قومه وكان له في الفتح أثر وعظم ابن أبي عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون وأرضخ للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصلهم وفرق جموعهم وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوح ابن هانئ بالقافية المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم أول الدولة وبمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفرا بممالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من

وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف جزيرة تعرف بالرامين معمورة وبها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد قيصور واليها يضاف الكافور القيصوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا قل ذلك كان نقصانا في وجوده وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب ويليها كثيرة ومنها ما يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالجابوس وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في الزوارق عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل يتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لي جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علاه البحر وارتفعت منه زوابع شديدة

رحل زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرّف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو في جوف بيته من تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدّم رجال البرابرة وزناتة وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز وأغفل ديوانه مما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاول اليها من العلية فظفر من ذلك بما أراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا ستا وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر ولما سخط زيرى بن عطية ملكهم لما بلغه ما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتأفف لحجر الخليفة هشام أوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها وعقد للملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها وشرد زيرى بن عطية الى تاهرت فأبعد المفر وهلك في مفره ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا وأشد استيلاء سنة أربع وتسعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا بأس أن نزيد عليه فنقول مما حكي انه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله * ابدا ولا يحمي الثغور سواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى أدفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره وامرأته متكئة الى جانبه فقال لي يا شجاع اما تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني الغيرة أن قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت امرأته بيني وبينه وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا * وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد قال رحمه الله ترجمة الملك الاعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش وعبد الملك جده هو الوافد على الاندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وأما المنصور فقد ذكره ابن حيان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية والفتح في المطمح والحجاري في المسهب والقشندي في الطرف

لا يروبعة منها شيء الا القليل ـه ويطرون عقيب ذلك مطرا يسهل كافيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كالاول على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحر كله وهو قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد محنا وهو كثير الجزائر والصخور واحد هادي وذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الخليجين اذا كثر يرهم فيه الصرو وفي هذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة واعترضنا التلويح بلمع من الاخبار عنها لا اليسه وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكرع فيه كثير الجبال والجزائر وفيه الكدور وهو قليل الماء كثير الضر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من الامم منهم جنس يقال لهم الفنت شعورهم طويلة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون في قوارب لهم الى الاف للمراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد نفيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كله جبال معادن الرصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب ورصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على ما رتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر وملكه لا ينضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد وذكر

وذكر جميع أن أصله من قرية تركش وأنه رحل الى قرطبة وتأدب بها ثم اقعد كاتبا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافع بين السلطان الى أن طلبت السيدة صبح ام المؤيد من يكتب عنها فعرفها به من كان يأنس اليه بالحضور من فتيان القصر فترقى الى أن كتب عنها فاستحسنته ونبهت عليه الحكم ورغبت فى تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى الى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكن فى قلب السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة ما لم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك فى خدمة المصحفى الحاجب الى أن توفى الحكم وولى ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتى عشرة سنة فخاشت الروم فجهز المصحفى ابن أبى عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفى على الصقالبة ثم بغالب على المصحفى وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن أبى عامر ابنته اسماء وكان أعظم عرس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسى ممدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبى على جعفر وله فى الحزم والكيد والجلد ما أفرد له ابن حيان تأليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم يهزم له راية وقبره بمدينة سالم فى أقصى شرق الاندلس ومن شعره

رميت بنفسى هول كل عظيمة * وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وما صاحبى الا جنان مشيع * وأسمر خطى وأبيض باتر
فسدت بنفسى أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من افاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا العوالى بالعوالى مثلها * وأورثناها فى القديم معافر

وجوده مع صاعد البغدادى اللغوى مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك ابن شهيد وكان قد تخلف عنه

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا * يا بنفسى اقيك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم فى الفى * ء لمن لم يخب فيه المطايا

فبعث اليه بثلاث جوار من أجمل السبى وكتب معهن وكانت واحدة أجملهن قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار * فى ثلاث من المها أبكار
وامتحنا بعذرة البكر ان كنت ترجى بوادر الاعذار
فاجتهد وابتدر فانك شيخ * قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها * ومن العار انه المسمار

فافتضهن من ليلته وكتب له بكرة

قد فضضنا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من النجيع الجارى
وصبرنا على دفاع وحرب * فلعبنا بالدر أو بالدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذى مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذه خلا على الكفار

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح فى النهر وترك الكيس وكان

لاحد من الملوك مالديه مما يحمل من بلاده ويشتهر من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل بجزر لاتدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلى بحر الصين وفى أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع البراس مطرقة يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الرق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها فى الجو تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التى يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات

والعيدان وسائر أنواع الملاهى المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع

أجرت لي ... فرشة ... أتى بها تجري تابعا لها وقد دهل فتغلغلت في البساتين واستعصت عن عينه ورجع متحيرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صف حالك لابن أبي عامر متلطفا في وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله تعالى في شأنك وجعل يستدعي أصحاب تلك البساتين ويسأل حدامها عمن ظهر عليه تبديل حال فاخبروه ان شخصا يتقل الزبل اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فأمر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أحضر الكيس الاحمر فتملك الرعب قلبه وارتعش وقال دعني آتي به من منزلي فوكل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح في مسرة صاحبه بخبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لا حدثن في مشارق الارض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على الطيور وينصف منها والتفت ابن أبي عامر الى الزبال فقال له لو أتيت به أغنيناك لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا وتوفي رحمه الله في غزاته للافرنج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائه وحمل في سريره على أعناق الرجال وعسكره يحف به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء واخرى في الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون * وقال الفتح في المطمح في حق المصحفي الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ما صورته تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى ووصل الى المنتهى وحصل على ما اشتهى دون مجد تفرع من دوحته ولا تخرش أبين مغداه وروحته فسما دون سابقة ورمى الى رتبة لم تكن لنفسه مطابقة فبلغ بنفسه ونزع عن جنسه ولم يزل يستقل ويطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى التاح في افق الخلافة وارتاح اليه معظمها كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه قد كان يسمع وبه يبصر وحجب الامام وأسكب برأيه ذلك الغمام فادرك لذلك ما أدرك ونصب لامانيه الحبائل والشرك فاقتنى اقتناء مدخر وأزرى بمن سواه وسخر واستعطفه ابن أبي عامر ونجمه غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف وأقام في تدبير الاندلس ما أقام وبرهانه مستقيم ومن الفتن عقيم وهو يجري من السعد في ميدان رحب ويباع من العز في مشرب عذب ويفض ختام السرور وينهض من الملك على لبنة مرور وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فن محاسنه التي بعثها بناس دهره واسعاده وقاله حين ألهته سلماه وسعاده قوله

لعينيك في قلبي عليك شجون * وبين ضلوعي للشجون فنون

نصيبي من الدنيا هواك وانه * غذائي ولكني عليه ضنين

وستأتي هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة ونقصان في الباب الرابع * وقال في المطمح في حق ابن أبي عامر انه غرس ببلاد الشرك أعظم غرس ومحا من طواغيتها كل تجرف وتغطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وتد بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وسدد الى أكبادهم سهام الفجائع وأغص بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ومن أوضح الامور هنالك وأفصح الاخبار في ذلك أن أحد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب فسار في بعض مسيراته الى غرسية

من أصوات الملاهي وغيره مركة لمهران جزيرة سرية ومسافتها في البحر نحو من أربعمائة ... متصلة به جزيرة الر... والرامي وغير ذلك مما لا يؤتي على ذكره من جزائره وملكه ... هو صاحب (البحر السادس) وهو بحر ... ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما ... يعرف ببحر صنجي وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر وانما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة لا بد للمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فعانى ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهدوا المعانى منهم في أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره في البحر الحبشي الدولي وتسميه الرجال في البحر الرومي الصاري) شيأ

صاحب الشكس ذوالى بى اكرامه وتناهى فى بره واحترامه فطالت مدته ولا تنزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسار عليه معرجا فخل في ذلك أكثر الكنائس هنالك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى مساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر نويه على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها واعلمته وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بنعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نفضت لبوسها وزعمت أن لها مدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسة وناشدته الله فى انهاء قصتها وابراء غصتها واستحلفته باغلظ الايمان وأخذت عليه فى ذلك أوكد مواثيق الرحمن فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور وهل وقفت هنالك على أمر أنكرته أم لم تقف على غير ما ذكرته فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه وبالمواثيق الذى أخذت عليه فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ثم أخذ للجهاد من فوره وعرض من اجناد فى نجده وغوره وأصبح غازيا على سرجه مباهيا مروان يوم مرجه حتى وافى ابن شنجة فى جمعه فأخذت مهابته ببصره وسمعه فبادر بالكتاب اليه يتعرف ما الجلية ويحلف له باعظم ألية انه ماجنى ذنبا ولاجفا عن مضجع الطاعة جنبا فعنف ارساله وقال لهم كان قد عاقدنى أن لا يبقى ببلاده ماسورة ولا ماسور ولو حملته فى حواصلها النسور وقد بلغنى بعد بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة ووالله لا انتهى عن أرضه حتى اكتسحها فأرسل اليه المرأة فى اثنتين معها وأقسم انه ما أبصرهن ولا سمع بهن وأعلمه ان الكنيسة التى أشار بعلمها قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ فيه بطوله فاستحيا منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة الى نفسه وألحق توحشها بأنسه وغير من حالها وعاد بسوابغ نعماه على جدبها وامحالها وحملها الى قومها وكحلها بما كان شرد من نومها انتهى ::

وقال فى المطمح أيضا فى حقه ما نصه فزدنا به على من تقدمه وصوبه واستخزمه فانه كان أمضاهم سنانا واذكاهم جنانا وأعمهم جلالا وأعظمهم استقلالا فآل أمره الى ما آل وأوهم العقول بذلك المآل فانه كان آية الله فى اتفاق سعده وقربه من الملك بعد بعده بهر برفعة القدر واستظهر بالاناة وسعة الصدر وتحرك فلاح نجم الهدى وتملك فاخفق بارضه لواء عدو بعد تجول كابد منه غصصا وشرقا وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وأرقا حتى أنجزله الموعود وفرخت أمام تلك السعود فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها انافة وساس الامور أحسن سياسة وداس الخطوب باخشن دياسة فانتظمت له الممالك وانفتحت به المسالك وانتشر الامن فى كل طريق واستشعر اليمن بكل فريق وملك الاندلس بضعا وعشرين حجة لم تدحض لسعادتها حجة ولم تزحزح لمكروه بها لجة لبست فيه البلاد الاشراق وتنفست عن مثل أنفاس العراق وكانت أيامه أحمد أيام وسهام بأسه أشد سهام غزا الروم شاتيا وصائفا ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا فما رام غير سنيح ولا فاز الا بالمعلى لا بالمنيح فتوغل فى تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب ومشى تحت ألويته صيد القبائل واشتجرت فى ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل وهو يقتضى الارواح بغير سوم وينتضى الصفاح على

على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ولا ادراكه كنه هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم ان ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكرنا تنا كر فيه عند أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم ممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا فى مقدور البارئ جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفى هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر ارجع حجارة وزالت عنه الحيوانية ويدخل تلك الحجارة فى اكحال العين وأدويتها وأمره مستفيض أيضا ولبحر الصين أيضا وهو السابع المعروف بصنجى أخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من اخباره وأخبار ما اتصل به من البحار فيما سلف من كتبنا وأسلفنا من تصنيفنا فى هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع و...
من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء

كروم ريتلف من ينساق للخلافة وينقاد ويخف منهم كل كوكب وقاد حتى استبد
بالامر وأنس ابيه من الطاعة ما نفر وشرد وانتظمت له الاندلس بالعدوة واجتمعت فى
ملكه اجتماع قريش بدار الندوة ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة ولم يدع السمع لخليفته والاجابة
ظاهر بخلافه الباطن واسم تنافره مواقع الحكم والمواطن وأذل قبائل الاندلس باجازة
البرابر واخمل بهم أولئك الاعلام الاكابر فانه قاومهم بأضدادهم واستكثر من اعدادهم
حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذى اعاد
أكثر الاندلس قفرا يبابا وملأها وحشا وذئابا واعراها من الامان برهة من الزمان
وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الاندلس وحد السرور بها والتأنس
وغزواته فيها شائعة الاثر رائعة كالسيف ذى الاثر وحسبه وافر ونسبه معافر ولذا قال
يعفر رميت بنفسى الابيات وزاد هنا بعد قوله وابيض باتر بيتا وهو

والى لزجاء الجيوش الى الوغى * اسود تلاقيها اسود خوادر

وكانت امه تميمية فحاز الشرف بطرفيه والتحف بطرفيه ولذا قال القسطلى فيه

تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلالا فى العلا وبدور
من الحميريين الذين اكفهم * سحائب تهمى بالندى وبحور

وتصرف قبل ولايته فى شتى الولايات وجاء من التعدد بمعنى أمره بآيات حتى صح زجره
وجاء بصحه خبره تؤثر عنه فى ذلك أخبار وبدائع واعتبار وكان أديبا محسنا وعالما
متفننا من ذلك قوله يعنى نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعى صدور تلك الاعجاز

منع العين ان تذوق المناما * حبها ان ترى الصفا والمقاما
لى ديون بالشرق عند اناس * قد احلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الامانى والا * جعلوا دونها رقابا وهاما
عن قريب ترى خيول هشام * يبلغ النيل خطوها والشآما

انتهى ما نقله من المطمح * وفى المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرخى المغرب مازجا كلامه
ببعض كلام الفتح بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن
عثمان فقال بعد ما صورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادى هل من مبارز فلما لم يجده حمل
الدهر على حكمه وانقاد له وساعده فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف له فيها ومن أوضح
الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط فى حرب شهدها وما توجهت عليه هزيمة وما انصرف عن
موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الاعداء وواجه من الامم وانها
لخاصة ما حسب احدا من الملوك الاسلامية شاركه فيها ومن أعظم ما اعين به مع قوة سعده
وتمكن جده سعة جوده وكثرة بذله فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان وأول ما اتكأ على
أرائك الملوك وارتفق وانتشر عليه لواء السعد وخفق حط صاحبه المصحفى وأثاره
كامن حقده الخفى حتى اصاره للهموم لبيسا وفى غيابات السجن حبيسا فكتب اليه
يستعطفه بقوله

هبنى أسأت فاين العفو والكرم * اذ قادنى نحوك الاذعان والندم

أحد من العراق ولا غيره خرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر
من الناس وأهلها مهادنون
أهل الصين وملوكها
والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع
وقد قيل انهم من عمران
ولد عابر و... واغلب ذلك
على حد ما ذكرناه من
سكنى أهل الصين فى بلادهم
ولا عبرة ... انهار كبار مثل
دجلة والفرات تجرى من
بلاد الترك وانما ت والصغد
وهى بين بخارى وسمرقند
وهنالك جبل النوشادر
فاذا كان فى الصيف رؤيت
فى الليل نيران قد ارتفعت
من تلك الجبال من نحو مائة
فرسخ وبالنهار يظهر منها
الدخان على شعاع الشمس
ومن ذلك الموضع ... هنالك
يحمل النوشادر فاذا كان
فى أول الشتاء من أراد من
بلاد خراسان ان يسلك الى
بلاد الصين صار الى ما
هنالك وهنالك واد بين
تلك الجبال طوله أربعون
ميلا أو خمسون فيأتى الى
أناس هنالك على فم الوادى
فيرغبهم فى الاجرة النفيسة
فيحملون ما معه على اكتافهم
وبأيديهم العصى يضربون
جنبتيه خوف أن يقف
فيموت من كرب الوادى
وهوله حتى يخرجون الى
ذلك الرأس من الوادى
وهنالك غياض ومستنقعات
الماء فيطرحون أنفسهم فى ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك

با

يا خير من مدت الايدى اليه أما * ترثى لشيخ رماه عندك القلم
بالغت فى الحط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك الا حنقا وحقدا وما أفادته الابيات الا تصرما ووقدا فراجعه بما أيأسه وأرام مسه وأطبق عليه محبسه وضيق تروحه من المحنة وتنفسه

الآن يا جاهلا زلت بك القدم * تبغى التكرم لما فاتك الكرم
أغريت بى ملكا لولا تثبته * ما جاز لى عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت فى طبق * ان الملوك اذا ما استنقموا انتقموا
نفسى اذا سخطت ليست براضية * ولو تشفع فيك العرب والعجم

وكان من أخباره الداخلة فى أبواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع الى أن قال ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وفرغ منها فى النصف من سنة تسع وسبعين وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا فى مناقبه الجليلة وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فأمر المنصور أمناءه بارضائه فيها فحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وأن المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهبا كانت عنده أقصى الامنية وشرطها صحاحا فاغتنم الامناء غفلته ونقدوه الثمن وأشهدوا عليه ثم أخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وأنف من غبنه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد أن يخرج من عقله وان يجن عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا فى شكر المنصور وصارت قصته خبرا سائرا (ومن ذلك أيضا) بناء قنطرة على نهر أستجة وهو نهر شنيل وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل الطريق الوعرة والشعاب الصعبة (ومن ذلك أيضا) انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه فى أسفاره وغزواته يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره فى حنوطه وكان يحملها حيث سار مع أكفانه توقعا لحلول منيته وقد كان اتخذ الاكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه فى طريق الجهاد فكان كذلك وكان متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ولم يزل متنزها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين وكان عدله فى الخاصة والعامة وبسط الحق على الاقرب فالاقرب من خاصته وحاشيته أمرا مضروبا به المثل * (ومن عدله) انه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه فنادى يا ناصر الحق ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوته الى الحاكم فلم يأت فقال له المنصور أو عبد الرحمن بن الفطيس بهذا العجز والمهانة وكنا ظننا أمضى من ذلك اذكر مظلمتك يا هذا فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما

الطريق شئ من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا فى الصيف فلا يسلك ذلك الوادى داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع فى ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر لهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادى والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب وفعل بالماضى والسالك من بلاد خراسان على الموضع الذى ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما بين عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفى غير هذه الطريق ممر تسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا أن ذلك فى خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جميلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين ببلاد خراسان والسند يلى بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهى بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس فى أنسابهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى فى نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب

مشيعها من غير نصف فقال المنصور ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبي وقد ذهل عقله فقال له ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاص به خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفت أنت اذهب لسبيلك وبقي انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي فتناول الصقلبي بأنواع من المذلة وأبعده عن الخدمة ❊ (ومن ذلك) قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقي مع التاجر المغربي فانهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور وهو يومئذ أكبر خدم المنصور واليه أمر داره وحرمه فدافع الحاكم وظن أن جاهه يمنع من احلافه فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلما من الفتى فوكل به في الوقت من حمله الى الحاكم فأنصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه ❊ (ومن ذلك) قصة محمد فصاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه فان المنصور احتاجه يوما الى الفصد وكان كثير التعهد له فأنفذ رسوله الى محمد فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته قدر أن سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته أمر باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه الى أن يفرغ من عمله عنده ثم يرده الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب الفصاد الى شكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضي وهو في عدله ولو أخذني الحق ما أطقت الامتناع منه عد الى محبسك واعترف بالحق فهو الذي يطلقك فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبعث قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد القاضي شدة في أحكامه ❊ وقال ابن حيان انه كان جالسا في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا بأحد الفرسان وقال له انهض الآن الى فج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه الي قال فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى أين تريد يا شيخ فقال وراء حطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فماذا عسى أن يريد المنصور منه قال فتركته فسار عني قليلا ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال له وماذا عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله أن تتركني أذهب لطلب معيشتي فقال له الفارس لا أفعل ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك فقال المنصور للصقالبة فتشوه ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا فقال فتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى ليقدموا ويحملوا الى احدى النواحي الموطوءة فلما انبلج الصبح أمر باخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت أعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم ثم ذكر هذا المؤرخ قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا رأينا اعادتها بلفظ هذا المؤرخ لانه أتم سياقا ادفال عطفا على دهائه ومن ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك ان رجلا

جوهريا

التابعة على حسب ما ذكرنا من اخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب وذلك

ملكهم حمير وفيهم بعض موجود في أخبار التبابعة ولهم حصون وقصور ومواضع لهم تركنا ذكرها لكثرتها وليس يخلو منهم أحد من قصد الى بلاد ... وهذه ... أجناس النوبة لان الملك كان منهم في ... وعند ... أجناس النوبة أن الملك ... ويرجع فيهم ... خواص عجيبة في هوائها وسهلها وجبلها ولا ... أبدا بها ... ولا يعرض له الاحزان ولا الهموم والافكار ولا يحصى عجائب عطرها وزهرها ومروجها وهوائها وانهارها في بلاد تقرى ... طبيعة الدم على ... الطبع وغيره ولا يكاد يرى في هذا البلد شيخ ... ولا يجوز ... في ... والشباب ... وفي ... طرب وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع ... الرقص حتى ان الميت ... أهله عليه كثير من الحزن عما يلحق غيرهم من سائر الناس ... مطلوب ... من كثير من بعضهم على بعض والتهذيب ... كذلك ذهب في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى ... ثبت فيها ورتب

جوهريا من تجار المشرق فقصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهري صرته وكانت قطعة يمانية فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها واليوم قائظ وعرق دعته نفسه الى التبرد في النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط فمرت حدأة فاختطفت الصرة تحسبها لحما وصاعدت في الافق بها ذاهبة فقطعت الافق الذي ينظر اليه عين التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة فأسرع الحزن في نفسه وكبره لاجل ذلك عقله اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه واستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة فسأله المنصور عن شانه فأعلمه بقصته فقال له هلا أتيت الينا بحدثان وقوع الامر فكنا نستظهر على الحيلة فهل هديت الى الناحية التي أخذ الطائر اليها قال مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك يعني الرملة فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة فمضى وجاءبهم سريعا فأمرهم بالبحث عمن غير حاله الاقلال منهم سريعا وانتقل عن الاضاقة دون تدريج فتناظروا في ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجزا عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة فأمر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به قال هو ذا يا مولاي وضرب بيده الى حجزة سراويله فأخرج الصرة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صف لي حديثها فقال بينما أنا أعمل في جناني تحت نخلة اذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاحترزت بها ودعتني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلت أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك وانظرها واصدقني عن عددها ففعل وقال وحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا ننغص عليك فرحك ولولا جمعه بين الاصرار والاقرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجناني بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لاوسعناه جزاء قال فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال والله لأبثن في الاقطار عظيم ملكك ولأبينن أنك تملك طير أعمالك كما تملك أنسها فلا تعتصم منك ولا تمتنع ولا تؤذي جارك فضحك المنصور وقال اقصد في قولك يغفر الله لك ويعجب الناس من تلطف المنصور في أمره وحيلته في تعرف كربه ❊ (ومن ذلك) غزوة المنصور لمدينة شنت ياقب [٣] قاصية غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ولله الكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحواري أحد الاثني عشر وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمونه

ورد الشعر دعبل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند
وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب اخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمن يسمون ملوكهم تبعا لاتباع اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر حدث حدثانه وتغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد عمن جاورهم من الامم وسموا ملوكهم بخاقان وفي بلادهم الارض التي بها ظباء المسك التبتي الذي يفضل على الصيني بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وانواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من انواع حشائش الطيب التي ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان اهل التبت لا يتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ما هو به واهل الصين يخرجونه عن النوافج

٣ قوله ياقب الذي في تقويم البلدان لابي الفداء يادو اهـ مصححه

اخاه للزومه اياه و ياقب بلسانهم يعقوب وكان أسقفا ببيت المقدس فجعل يستقرى الارضين
داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى أرض الشام فمات بها وله مائة وعشرون
سنة شمسية فاحتمل أصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره ولم يطمع أحد
من ملوك الاسلام فى قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها
فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة
سنة سبع وثمانين وثلثمائة وهى غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قورية فلما
وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة فى رجالهم وعلى
أتم احتفالهم فصاروا فى عسكر المسلمين وركبوا فى المغاورة سبيلهم وكان المنصور تقدم فى انشاء
اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر أبى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله
البحريين وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحة استظهارا على نفوذ
العزيمة الى أن خرج بموضع برتقال على نهر دويرة فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل
المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذا الاسطول جسرا بقرب الحصن الذى هنالك
ووجه المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى أرض العدو ثم نهض
منه يريد شنت ياقب فقطع أرضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلجان
يمدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل
بها ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدم
المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبروا بعده وادى
منية وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وأرضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشان
وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلايه وغنموه وعبروا سباحة الى جزيرة
من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى
العسكر الى جبل مراسية المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا أقطاره واستخرجوا من
كان فيه وحازوا غنائمه ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين أرشد الادلاء اليهما ثم نهر
أيلة ثم أفضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب
صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصده نساكهم من أقاصى بلادهم
ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت
ياقب البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من
أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل
المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت
هشيما كأن لم تغن بالامس وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة
شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير
أهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقب
وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن اردون يستقربه عائثا
ومفسدا حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى

وكثرة الانداء واختلاف
الاهويه وان عدم من اهل
الصين الغش فى مسكهم
وأودع برانى الزجاج واحكم
وأورد الى بلاد الاسلام
من عمان وفارس والعراق
وسائرها من الامصار كان
كالتبتى واجود المسك
وصفيه ما خرج من الظباء
بعد بلوغه النهايه فى النضج
وذلك انه لا فرق بين
غزلاننا هذه وبين غزلان
المسك فى الصورة والشكل
واللون والقرن وانما تتبين
تلك بأنياب لها كأنياب
الفيله لكل ظبى نابان
خارجان من الفكين قائمان
منتصبان نحو الشبر وأقل
وأكثر فتنصب لها فى بلاد
التبت والصين الحبائل
والاشراك والشباك
فيصطادونها وربما رموها
بالسهام فيصرعونها
فيقطعون عنها نوافجها
والدم فى سررها خام لم ينضج
وطرى لم يدرك فيكون
لرائحته سهوكة فيبقى زمانا
حتى تزول عنه تلك الرائحة
الكريهة ويستحيل بمواد
من الهواء فيصير مسكا
وسبيل ذلك سبيل الثمار
اذا أبينت عن الاشجار
وقطعت قبل استحكام
نضجها فى شجرها واستحكام
موادها فيه وخير المسك ما نضج فى وعائه وأدرك فى سرته واستحكم فى حيوانه وتمام مواده فى ذلك أن

خرج

خرج على حصن بليقية من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم على أقدارهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه فى غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازى واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكساءين عنبريين واحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريشا وسبعة انماط ديباج وثوبى ديباج رومى وفروى فنك ووافى جميع العسكر قرطبة غانما وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب وامر بالكف عنه قال وحدث شعلة قال قلت للمنصور ليلة اطال سهره فيها قد أفرط مولانا فى السهر وبدنه يحتاج الى أكثر من هذا النوم وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب فقال يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعية ولو استوفيت نومى لما كان فى دور هذا البلد العظيم عين نائمة انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور * وقد رأيت أن أذكر هنا أخبارا نقلتها من كتاب الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة (قال فى الزهرة التاسعة والعشرين) تقدم الى المنصور واترمار بن أبى بكر البربرى والى أحد جنود المغاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاص بالناس فقال له بكلام يضحك الثكلى يا مولاى مالى ولك أسكنى فانى فى القصص فقال وما دارك يا واترمار وأين دارك الواسعة الاقطار فقال أخرجتنى عنها والله نعمتك اعطيتنى من الضياع ما انصب على منها من الاطعمة ما ملأ بيوتى وأخرجنى عنها وأنا بربرى مجوع حديث عهد بالبؤس اترانى أبعد القمح عنى ليس ذلك من رأيى فتطلق المنصور وقال لله درك من فذعى لعيك فى شكر النعمة ابلغ عندنا وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبليغ متفنن وأقبل على من حوله من أهل الاندلس فقال يا أصحابنا هكذا فلتشكر الايادى وتستدام النعم لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكى المبرح وأمر له بأفضل المنازل الخالية * (وفى الموفية ثلاثين) ما نصه أصبح المنصور صبيحة أحد وكان يوم راحة للخدمة الذى أعفوا فيه من قصد الخدمة فى مطر وابل غب أيام مثله فقال هذا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة للواظبين لقصدنا فى مكابدته فليت شعرى هل شذ أحدهم عن التقرير فاغرب فى البكور واخرج وتأمل يقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاى على الباب ثلاثة من البرابرة ابو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البلل انما توصف بالمشاهدة فقال أوصلهم الى وعجل يدخلوا عليه فى حال الملاح بللا ونداوة فضحك اليهم وادنى مجلسهم وقال خبرونى كيف جئتم وعلى أى حال وصلتم وقد استكان كل ذى روح فى كنه ولاذ كل طائر بوكره فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كل التجار قعد عن سوقه واذا عذر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أعذر بادرا كما بالبدر ومن غير رؤس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على أقدامهم ويذيلون فى قصدها ثيابهم ونحن نأتيك على خيلك ونذيل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل فى قصدك مضمونا اذ جعله أولئك طمعا ورجاء فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكسا والصلات فدفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم * (وفى الزهرة الرابعة والاربعين) ما نصه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر فتى من أهل الادب قد رقت

الطبيعة تدفع مواد الدم الى السر فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيتحكك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ ما فى نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم وتجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وانضجته الطبيعة فى حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها معدة معهم فذلك الذى تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار فى النادر من بلادهم والتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر فى الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأثبتهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا

حدثني لسلب وعلق بكتاب العمل واختلف الى الخزانه مدة حتى دلله بعض الاعمال فاستهلك كثيرا من المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى المنصور فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ولزم الاقرار بما ابرز عليه قال له يافاسق ما الذى جرأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاء غلب الرأى وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لاجعلنك نكالا لغيرك ليحضر كبل وحداد فاحضر فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وأمر الضابط بامتحانه والشدة عليه فلما قام أنشأ يقول

اوّاه أوّاه وكم ذا ارى * أكثر من تكرار اوّاه
مالامرئ حول ولا قوة * الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أتمثلت أم قلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبله فلما حل عنه أنشأ يقول

أماترى عفو أبى عامر * لابد ان يتبعه منه
كذلك الله اذا ماعفا * عن عبده أدخله الجنه

وأمر باطلاقه وسوّغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه *(وفى الخامسة والاربعين) عرض على المنصور بن أبى عامر اسم أحد خدمه فى جملة من طال سجنه وكان شديد الحقد عليه فوقع على اسمه بان لاسبيل الى اطلاقه حتى يلحق بامه الهاويه وعرف الرجل بتوقيعه فاهتم واغتم وأجهد نفسه فى الدعاء والمناجاة فأرق المنصور اثر ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص عنيف الاخذ يأمره باطلاق الرجل ويتوعده على حبسه فاستدفع شأنه مرارا الى أن علم انه نذير من ربه فانقاد لامره ودعا بالدواة فى مرقده فكتب باطلاقه وقال فى كتابه هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبى عامر وتحدث الناس زمانا بما كان منه *(وفى السادسة والاربعين) مانصه انتهت هيبة المنصور بن ابى عامر وضبطه للجند واستخدامه ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يحط لها ملك قبله فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلا فى الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لاينا له فقال على بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ماحملك على أن شهرت سيفك فى مكان لايشهر فيه الا عن اذن فقال انى أشرت به الى صاحبى مغمدا فدلق من غمده فقال ان مثل هذا لايسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودى عليه بذنبه *(وفى السابعة والاربعين) ان المنصور كان به داء فى رجله واحتاج الى الكى فأمر الذى يكويه بذلك وهو قاعد فى موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويفرى الفرى فى أموره ورجله تكوى والناس لايشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث *(وأخباره رحمه الله تعالى) تحتمل مجلدات فلنمسك العنان على أنا ذكرنا فى الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره رحمه الله تعالى فلتراجع الى آخره *(وفى الثامنة والاربعين) وكان مما أعين به المنصور على المصحفى ميل الوزراء اليه وايثارهم اياه عليه وسعيهم فى

أنوشت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته فى العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم تلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكابر أن الحكمة من الهند بدؤها ثم تلوه فى المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس فى ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلوه ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس فى ملوك العالم أشد باسا من رجاله ولا أشد استشفاء منهم على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته فرز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم أبرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى مملكته الا أنه ليس فيها من يدانى ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس فى ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية بأخبار

ترقيه وأخذهم بالعصبية فيه فانها وان لم تدر حمية أعرابية فقد كانت سلفهم طائية يقتفي القوم فيها سبيل سلفهم ويحفلون بها ابتذال شرفهم غادروها سيرة وتخذوها عادة أثيرة تشاح الخلف فيها تشاح سلفهم أهل الديانة وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة ورأوا ان أحدا لا يلحق فيها غاية ولا يتعاقد لها راية فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من أثرته حيث وضعه وهو نزيع بينهم ونابغ فيهم حسدوه وذموه وخصوه بالمطالبة وعموه وكان أسرع صنف الناقمين أعالي الوزراء وأعاظم الدولة على معاودة المنصور عليه والانحراف عنه آل أبي عبيدة وآل شهيد وآل وصدر من الخلفاء وأصحاب السدانة من أولى الشرف والامانة وكانوا في الوقت ازمة الملك وقوام الخدمة ومصابيح الامة وأغير الخلق على جاه وحرمة فأحظوا محمد بن أبي عامر متابعة وبعض أسبابه الجامعة متابعة وشادوا بناءه وقادوا الى عنصره سناءه حتى بلغ الامل والتحف بغناه واكتحل وعند انتظام هذه الامور لابن أبي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثة وأيقن بالنكبة وزوال الحال وانحلال الرتبة وكف عن اعتراض محمد وشركته في التدبير وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير وانثالوا على ابن أبي عامر فخف موكبه وغار من سماء العز كوكبه وتوالى عليه سعي ابن أبي عامر وطلبه الى أن صار يغدو الى قرطبة ويروح ولبس بيده من الحجابة الا مجرد اسمها وابن ابي عامر مشتمل على رسمها حتى محاه وهتك ظله وأضحاه قال ابن اسمعيل ورأيته يساق الى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فأقبل يدرم وجوارحه باللواعج تضطرم وواثق الحادثة يبهره والزمع يقهره والنفس قد هاضه وقصر اخطاه فسمعته يقول رفقا بي فستدرك ما تحبه وتشتهيه وترى ما كنت ترتجيه وياليت أن الموت يباع فأغلى سومه حتى يرده من اطال عليه حومه

لا تأمنن من الزمان تقلبا * ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني والليوث تخافني * فأخافني من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ومهانة * أن لا يزال الى لئيم يطلب

فلما بلغ المجلس جلس في آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ اليه بعين أو يد فلما أخذ مجلسه تسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنفه واستجهله وأنكر عليه ترك السلام وجعفر معرض عنه الى أن كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت المبرة فاستجهلت معلمها وكفرت النعم فقصدت بالاذى ولم ترهب معدمها ولو أتيت نكرا لكان غيرك أدرى وقد وقعت في أمر ما أظنك تخلص منه ولا يسعك السكوت عنه ونسيت الايادي الجميلة والمبرات الجليلة فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه وأي أياديك الغر التي منتت بها وعيت اداء واجبها أيد كذا أم يد كذا وعين أشياء أنكرها منه أيام امارته وتصرفا لدهر طوع اشارته فقال جعفر هذا ما لا يعرف والحق الذي لا يرد ولا يصرف رفعي القطع عن يمناك وتبليغي لك الى مناك فأصر محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أنشد الله من له علم بما أذكره الا اعترف به فلا ينكره وأنا أحوج الى السكوت ولا تحجب دعوتي فيه عن الملكوت فقال الوزير أحمد بن عباس قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن

العالم وملوكهم في شعر له يصف جملا من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم

اندار داران ابوان وعمدان
والملك ملك آل ساسان
وقحطان
والارض فارس والاقليم
بابل وال
اسلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العليان الذ
حسنا
منها بخارى وبلخ الشاه
اران
والبيقان وطبرستان
مادرها
والسين سروانها والجيل
جيلان
قد رتب الناس فيهم في
مراتبهم
دربان وبطريق وطرخان
للفرس كسرى وللروم
القياصر وال
حبش النجاشي وللاتراك
خاقان
وصاحب صقلية وافريقية
من بلاد المغرب قبل ظهور
الاسلام كان يدعى جرجير
وصاحب الاندلس كان
يدعى لرذريق هذا كان اسم
ملوك الاندلس وقد قيل
انهم كانوا من الاسبان
وهم أمة من ولد يافث بن
نوح واتصلت هنالك
والاشهر عند من سكن
الاندلس من المسلمين أن
لزريق كان من ملوك
الاندلس الجلالقة وهم نوع
من الافرنجة وأخو لرذريق
الذي كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت

وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبتك فقال أحرجني الرجل فتكلمت وأحوجني الى ما به أعلمت فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال أسأت الى الحاجب وأوجبت عليه غير الواجب أوما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لانه ان رد عليه أكسبهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها فان فعلوا طاف بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف وان تركوا الرد أسخطوا الله فصار الامساك أحسن ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن فانكسر ابن حفص وخجل مما أتى به من النقص وبلغه أن قوما نقموا جعواله وتقبحوا ما أوصله فكتب اليهم

أحن الى أنفاسكم فأظنها * بواعث أنفاس الحياة الى نفسي
وان زمانا صرت فيه مقيدا * لأثقل من رضوى وأضيق من أمس

انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر والمرجع فنقول ولما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه أعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا الى أن مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكاتبه المعز بن زيري ملك مغراوة بعد أن استرجع فاسا والمغرب اثر موت أبيه فكتب اليه العهد على المغرب وثارت الطوائف في ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم (قال ابن خلدون) ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل بالمأمون وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا وكتب عهده من انشاء أبي حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الامة علما تأوي اليه وملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن أداء الحق اليها ونقص عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند هذه الامر اليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحري للحق والزلفى الى الله جل جلاله بما يرضيه وبعد أن قطع الاواصر وأسخط الاقارب فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب الناصح الجيب أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه الله اذ كان أمير المؤمنين أيده الله تعالى قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعا في الخيرات سابقا في الحلبات مستوليا على الغايات جامعا للمأثرات ومن كان المنصور

قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى تاجة يخرج من بلاد الجلالقة والوسقيد وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة وبين هذا النهر في الجنوب ... وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عجيبة يدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهي من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سجة من الثغر الجزري مما يلي سميساط من بلاد سرحة ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها أسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للامويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثيرا من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو

اباه

أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوى من خلال الخير ماحواه مع أن امير المؤمنين أيده الله بما اطلع من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر يرى أن يكون ولى عهده القحطانى الذى حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصى وأبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختيار وتقابلت عنده فيه الآثار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنفذه ولم يشترط فيه مثنوية ولا خيارا واعطى على الوفاء به فى سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه أن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا وأشهد وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بمحضر من ولى عهده المأمون أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى وقبوله ما قلده والزامه نفسه ما ألزمه وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم وتسمى بعدها بولى العهد * ونقم عليه أهل الدولة ذلك فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهة لذلك الامويين والقرشيين نفعه والرجاء وأسفوا من تحويل الامر جملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم وعشت من بعض الى بعض رجالاتهم واجمعوا أمرهم فى غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة فى غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وخلعوا هشاما المؤيد * وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن امير المؤمنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء ولقبوه المهدى بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة سال عنه الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدى القائم بالامر وأغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهترا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدى والى الجماعة وذهبت دولة العامريين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور وفى المهدى يقول بعضهم

قد قام مهديا ولكن : عدله الفسق والمجون
وشارك الناس فى حريم * لولاه مازال بالمصون
من كان من قبل ذا أجا * فاليوم قد صار ذا قرون

وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدى لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض أمره وكانت الاموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا ما لهم من العصبية لاستأصلهم الناس ولفظت ألسنة الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وأمر المهدى أن لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم فى بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم وشكا

من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بامير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن ابن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس فى سنة سبع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام ابن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت وسماه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمها الملوك السالفة بين الاسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء

بعض هم الى المهدي ما أصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة في أمرهم وهو مع ذلك مظهر لبعضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم وبلغهم أنه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وأسروا نجواهم وتشوروا في تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثار وابهم وأزعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام واخيه أبي بكر واحضرا بين يدي المهدي فضرب أعناقهما ولحق سليمان ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوامروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدي في كافة أهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة ولحق المهدي بطليطلة واستجاش بابن أدفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة أعني المهدي وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرقوا في البسائط ينهبون ولا يبقون على احد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدي ومعه ابن أدفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدي وابن ادفونش ومن معه من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فأخرج المهدي هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بأمر حجابته طنا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصرهم المستعين والبربر فخشي أهل قرطبة من اقتحامهم عليهم فاغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدي وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العامري فقتلوا المهدي واجتمع الكافة على المؤيد وقام واضح بحجابته واستمر الحصار ولم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيأ الى أن هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق وجهدهم الحصار وبعث المستعين الى أهل ادفونش يستقدمهم لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتاله التي كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرتهم عزم ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة وقتل هشام سرا ولحق بيوتات قرطبة معرة في نسائهم وابنائهم وظن المستعين أن قد استحكم امره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة مثل باديس بن حبوس في غرناطة والبرزالي في قرمونة واليفرني في رندة وهرزون في شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف في آخرين من اهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذي النون بطليطلة وابن أبي عامر ببلنسية وابن هود بسرقسطة ومجاهد العامري بدانية والجزائر قال ابن خلدون وكان ما تلا لبني حمود بعد سليمان المستعين

لا رحم الله سليمانكم * فانه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها * وحل هذا كل شيطان
فباسمه ساحت على أرضنا * لهلك سكان واوطان

وثمن عشرين أربعين ألفا وفيه لخمس ألفا وكانت للبلاقة والوسكية على المسلمين وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلي لاورجه مدينة اربونة وخرجت من أيدي المسلمين مع ثغور الاندلس وثغورهم سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقي الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذا الى الشمال افراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم بالعكس من هذه الثغور أن الذي اسم رغبة وهي أسفين واسع الاندلس وقد كان قبل الثلثمائة ورد الى الاندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم في هذا البحر في كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر ماطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين تقدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البلاد المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب في البحر الرومي فيما *(وكان

*(وكان من أعظم الاسباب) في فساد دولة المستعين أنه قال هذه الابيات مستريحا بها الى خواصه وهي قوله

حلفت عن صلى وصام وكبرا * لاغمدها في من طغى وتجبرا
وأبصر دين الله تحيا رسومه * فيبدل ما قد كان منه وغيرا
فواعجبا من عبشمي مملك * برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو أن أمري بالخيار نبذتهم * وحاكمتهم للسيف حكما محررا
فاما حياة تستلذ بفقدهم * واما حمام لا نرى فيه ما نرى

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني فقال

قد بلغ البربر فينا بنا * ما أفسد الاحوال والنعما
كالسهم للطائر لولا الذي * فيه من الريش لما اصمى
قوموا بنا في شأنهم قومة * تزيل عنا العار والرغما
اما بها نملك أولا نرى * ما يرجع الطرف به أعمى

وكان علي بن حمود الحسني واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وبابيها قد أجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا الى انفسهم واعصوصب عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحوا ملك بني أمية واتصل ذلك في خلف منهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بني أمية وكان المستعين المذكور أديبا بليغا ومن شعره يعارض هرون الرشيد في قوله * ملك الثلاث الآنسات عناني * الابيات قوله

عجبا يهاب الليث حد سناني * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري * من فوق أغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الهوى * فقضى بسلطان على سلطاني
هذى الهلال وتلك بنت المشترى * حسنا وهذي اخت غصن البان
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني * في عزملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل في الهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر أني عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبداني
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى * كلفا بهن فلست من مروان

(وولي) الامر بعده ابن حمود الحسني تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى أخا المهدي ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلي بن حمود نحو عامين الى أن قتلته صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة فولي مكانه أخوه القاسم وتلقب بالمأمون ونازعه الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ثنتي عشرة وأربعمائة وتلقب المعتلي وفر عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له

بها الامواج في مياه البحار وهذا لا يكون الا في البحر الحبشي لان مراكب بحر الرومي والغرب تثبت بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء البحر يذيب الحديد فتدق المسامير في الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة فهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وأن البحر مما يلي الصين وبلاد السيلي يدور على بلاد الترك ويفضي الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر وهذا من المستنكر في البحر الرومي الذي لم يعهد فيه في قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من الواح مراكب البحر الصيني والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية باخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء

واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض

لقي بني ابن عباد واستجاش ببعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة وملكها ثم لحق المعتلي بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة من وراء البحر ودون المأمون يعتدها حصنا لنفسه وفيها ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج فحاصرهم فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه اليه وضبطوا البلد واستبد ابن عباد بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيى المعتلي ابن اخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف الى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه ادريس بمالقة الى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين وقيل انه خنق كما سيأتي واستقل المعتلي بالامر واعتقل بني عمه القاسم وكان المستكفي من الامويين استولى على قرطبة في هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبة المستكفي الاموي سنة ست عشرة وصاروا الى طاعة المعتلي واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله ثم نقضوا سنة سبع عشرة وصرفوا عاملهم وبايعوا المعتلي الاموي أخا المرتضى وبقي المعتلي يردد لحصارهم العساكر الى ان اتفقت الكلمة على اسلام الحصون والمدائن له فعلا سلطانه واشتد أمره الى أن هلك سنة تسع وعشرين اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر باشبيلية فاستدعى أصحابه أخاه ادريس بن علي من سبتة وملكوه ولقبوه المتأيد وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابي القاسم اسمعيل بن عباد والد المعتضد بن عباد فجاؤه برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة احدى وثلاثين وبويع ابنه يحيى ولم يتم له أمر وبويع حسن المستنصر بن المعتلي وفر يحيى الى قمارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين ويقال انه قتله نجا وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه ادريس ثأرت منه بأخيها وكان ادريس بن يحيى المعتلي معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها فأطاعته غرناطة وقرمونة ولقب العالي وهو الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التي قالها فيه ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا الفنداقي الاشبوني من شعراء الذخيرة وهي

البرق لائح من أندرين	ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت أسيافه عارية	كمخاريق بأيدي اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين	ولقلبي زفرات وانين
وأناجي في الدجى عاذلتي	ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتني بسقام وضنى	ان هذين لدين العاشقين
قد بدا لي وضح الصبح المبين	فاسقنيها قبل تكبير الاذين
اسقنيها مزة مشمولة	لبثت في دنها بضع سنين
ثم المزج على مفرقها	دررا عامت فعادت كالبرين
مع فتيان كرام نجب	يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا	نور الورد به والياسمين
وجلت آياته عامرة	سبج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه	ضمة اللام على عطفة نون

العراق بآخر بلاد ولد ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهي بلاد تنس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عمائر متصلة الى أن تتصل بوادي الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو أباضي المذهب وهو الذي انشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفي هذا الصقع

فترى غصناً على دعص نقا * وترى ليلاً على صبح مبين
وسيسقون اذا ما شربوا * بأباريق وكأس من معين
ومصابيح الدجى قد طفئت * في بقايا من سواد الليل جون
وكأن الطل مسك في الثرى * وكأن الطل در في الغصون
والندى يقطر من نرجسه * كدموع أسكبتهن الجفون
والثريا قد هوت من أفقها * كقضيب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى عن صبحه * كغراب طار عن بيض كنين
وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علي * بن حمود أمير المؤمنين
ملك ذو هيبة لكنه * خاشع لله رب العالمين
خط بالمسك على أبوابه * ادخلوها بسلام آمنين
فاذا ما رفعت راياته * خفقت بين جناحي جبرئين
واذا أشكل خطب معضل * صدع الشك بمصباح اليقين
فبيسراه يسار المعسرين * وبيمناه لواء السابقين
يابني أحمد ياخير الورى * لأبيكم كان وفد المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبى * في الدجا فوقهم الروح الامين
خلقوا من ماء عدل وتقى * وجميع الناس من ماء وطين
انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

قيل انه أنشده اياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بني العباس فلما بلغ الى قوله
انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين أمر حاجبه أن يرفع الحجاب
وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له باحسان جزيل فكان هذا من أنبل ما يحكى
عنه وخلع العالي سنة ثمان وثلاثين وولى ابن عمه محمد بن ادريس بن علي وتلقب بالمهدي
وتوفي سنة أربع وأربعين وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ولقب الموفق ولم يخطب له
بالخلافة وزحف العالي ادريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش
فدخل عليه مالقة وأطلق ايدى عبيده عليها بحقده عليهم وفر كثير منهم وتوفي العالي سنة
ست أو سبع وأربعين وبويع محمد بن ادريس ولقب المستعلي ثم سار اليه باديس بن
حبوس سنة تسع وأربعين وأربعمائة فتغلب على مالقة وسار محمد الى المرية مخلوعا ثم
استدعاه أهل المغرب الى مليلة وبايعوه سنة ست وخمسين وتوفي سنة ستين وكان محمد بن
القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فر من الاعتقال ولحق
بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتصم الى أن هلك سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه
القاسم الواثق الى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس
مزاحما لابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الحموديين من الاندلس بعد أن كانوا ادعوا
الخلافة وأما قرطبة فان أهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد سبع سنين من ملكهم وزحف

من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة بدعية
وفيها معدن كبير من فضة
وهو مما يلي الجنوب ويتصل
ببلاد الحبشة والحرب بينهم
سجال وقد ذكرنا في كتابنا
أخبار الزمان خبر المغرب
ومدنه ومن سكنها من
الخوارج الاباضية والصفرية
ومن سكن المغرب من
المعتزلة وما بينهم وبين
الخوارج من الحروب
وذكرنا خبر الاغلب التميمي
وتوليه المنصور له على
المغرب ومقامه ببلاد
افريقية وغيرها من أرض
المغرب وما كان من أمره في
أيام الرشيد وتداول ولده
ببلاد أفريقية وغيرها الى
أن انتهى الامر الى أبي
منصور زيادة الله بن عبد الله
ابن ابراهيم بن أحمد بن
محمد بن الاغلب بن ابراهيم
ابن محمد بن الاغلب بن سالم بن
سوادة فأخرجه عنها أبو عبد
الله المحتسب الصوفي
الداعية لصاحب المهدية
حين ظهر من كتامة وغيرها
من أجيال البربر وذلك في
سنة سبع وتسعين ومائتين
في أيام المقتدر ومسيره الى
الرافقة والرقة وكان هذا
المحتسب من مدينة
رام هرمز من كور الاهواز
ونعود الى ذكر مراتب
الملوك ونسق ما بقي من
الممالك على البحر الحبشي
الذي شرعنا في وصفه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداج ملك الحسيرة من بني نصير النعمانية

اليه القاسم بن حمود فى البربر فهزمهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على رد الامر لبنى أمية
واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة أربع
عشرة وأربعمائة ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ومن شعره قوله

طال عمر الليل عندى * قد تولعت بصدى
يا غزالا نقض العهد ولم يوف بوعد
انسيت العهد اذ بتنا على مفرش ورد
واجتمعنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تحكى * ذهبا فى لازورد

قال الحجارى لو قال لؤلؤا فى لازورد لكان أحسن تشبيها وأنشد متمثلا

اما عصابتك الالى * كما تكايد ما تكابد
هذا أوان غنائك السعمى وانجاز المواعد

وكان حسن بن أبى عبيدة من وزراء المستظهر ولما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب
اليه بقوله

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

يشير الى قول الاول

ويقضى الامر حين تغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وعاتبه أيضا بقوله

اذا كان مثلى لا يجازى بصبره * فمن ذا الذى بعدى يجازى على الصبر
وكم مشهد جاريت فيه عدوكم * وأعملت فى حربى له راحة الدهر
أخوض الى أعدائكم لجج الوغى * وأسرى اليهم حيث لا أحد يسرى
وقدامهم عنهم كل مستبطن الحشى * أكول الى الممسى نؤوم الى الظهر
فما بال هذا الامر أصبح ضائعا * وأنت أمين الله تحكم فى الامر

وسيأتى ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره وهنالك نذكر
تحلية الفتح له ثم ثار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير
المؤمنين الناصر لدين الله فاتبعه الغوغاء وقتل بالمستظهر وتلقب بالمستكفى واستقل بأمر
قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة ولادة ولعلنا نلم ببعض أخبارها ان شاء الله تعالى فيما بعد
وكان أبو عبد الرحمن قتله المنصور بن أبى عامر لسعيه فى الخلافة ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعة
المستكفى رجع الامر الى المعتلى يحيى بن على بن حمود سنة ست عشرة وخلع أهل قرطبة المستكفى
وولى عليهم المعتلى من قبله وفر المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى فره ثم بدا لاهل قرطبة
فخلعوا المعتلى بن حمود سنة سبع عشرة وبايع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة
وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود وذلك سنة ثمان
عشرة وتلقب المعتمد بالله وأقام مترددا فى الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء

الطوائف

والمنادرة ملك جبال طبرستان كان يدعى ... فارز والجبل معروف به وبولده فى هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج
من ملوك السند فوروة
وهو اسم بلد باسم ملوكهم
وقد صارت اليوم فى حيز
الاسلام وهى من أعمال
المولتان ومن هذه المدينة
يخرج أحد الانهار التى
اذا اجتمعت كان نهر
(مهران السند) لدى زعم
الجاحظ أنه من النيل وزعم
غيره أنه من جيحون خراسان
وفوروة هذا الذى هو ملك
القنوج هو ضد البلهرا
ملك القندهار من ملوك
السند وجبالها ويدعى ججج
وهذا اسمه الاعم ومن
بلاده يخرج النهر المعروف
(بزايد) وهو احد الانهار
الخمسة التى منها مهران
السند وانقندهار ببلاد
الدهبوط ونهر من الخمسة
يخرج من بلاد السند
وجبالها يعرف (بنهاطل)
ويجتاز ببلاد الدهبوط وهى
بلاد القندهار والنهر
الرابع يخرج من بلاد
كابل وجبالها وهى تخوم
الهند مما يلى بلاد بسينه
وعرس ونفس والرحج
وبلاد الدوار مما يلى بلاد
سجستان ونهر من الخمسة
يخرج من بلاد قشمير
وملك قشمير يعرف بالراى
هذا الاسم الاعم لسائر
ملوكهم وقشمير هذه من
ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوى ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين ألفا

الطوائف واتفقوا على أن تنزل دار الخلافة بقرطبة فاستنفذه ابن جهور والجماعة ونزل آخر
سنة عشرين وأقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة ثنتين وعشرين وفر الى لاردة فهلك بها سنة
ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام
الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالى
بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل
أمرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم وأقاموا على
ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف
ابن تاشفين اللمتونى فخلعهم وأخلى منهم الارض فمن أشهرهم بنو عباد ملوك اشبيلية في غرب
الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفي الدهر والقلائد
من أخباره ما هو كاف شاف ومنهم بنو جهور كانوا بقرطبة في صورة الوزارة حتى استولى
عليهم المعتمد بن عباد وأخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب
وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل أمره بغرب الاندلس وعلت يده على من
هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح
بالمرية وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون في مرضاته وكلهم يداري الطاغية ويتقونه
بالجزى الى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعلقت آمال الاندلس باعانته
وضايقهم الطاغية في طلب الجزية فقتل المعتمد اليهودى الذى جاء في طلب الجزية
للطاغية بسبب كلمة قالها أسفه بها ثم أجاز البحر صريخا الى يوسف بن تاشفين فاجاز
معه البحر والتقوا مع الطاغية في الزلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله
تعالى الاسلام نصرا لا كفاء له حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصارى ثلثمائة
ألف ولم ينج منهم الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين
الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين
رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتثال حتى
اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد ثم أجاز اليهم
وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميع بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس
وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الاندلس في قبضته أسيرا بعد حروب
ونقله الى أغمات قرب مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى ان مات
سنة ثمان وثمانين وسلم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لما زار قبره وللمعتمد
هذا أخبار مأثورة خصوصا مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روى أنها
رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين
فقالت له يا سيدى اشتهى ان أفعل أنا وجوارى مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك
والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا في القصر وجعل لها قربا وحبالا من ابريسم وخرجت
هي وجواريها تخوض في ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة تجرى بينهما
ما يجرى بين الزوجين فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها

الى سبعين ألفا الا سبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ماذكرناه من ملكه باب واحد
لان ذلك في جبال شوامخ
منيعة لا سبيل للرجال
أن يتسلقوا عليها ولا للوحش
أن يلحق بعلوها ولا يتخطاها
الا الطير وما الاجبل فيه
أودية وعرة وأشجار
وغياض وأنهار ذات
منعة من شدة الانصباب
والجريان وما ذكرنا من
منعة ذلك البلد مشهور
في أرض خراسان وغيرها
من البلاد وذلك أحد
عجائب الدنيا فاما ملك فرورة
وهو ملك القنوج فان
مساحة مملكته تكون نحوا
من عشرين ومائة فرسخ
في مثلها فراسخ سندية
الفرسخ ثمانية أميال بهذا
الميل وهو الملك الذى قدمنا
في ذكره فيما سلف أن له
من الجيوش أربعة على
مهاب الرياح الاربع كل
جيش منها سبعمائة ألف
وقيل تسعمائة ألف وقيل
تسعة آلاف ألف فيحارب
بجيش الشمال صاحب
المولتان ومن معه في تلك
الثغور من المسلمين
ويحارب بجيش الجنوب
البلهرا ملك المانكير
وبالجيوش الباقية من
يلقاه في كل وجه من الملوك
ويقال ان مدنه يحيط
في مقدار ماذكرناه من
المسافه من المدن والقرى والضياع مما لا يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائه ألف قرية بين أنهار وشجر

بهذا اليوم الذى أباد فيه من الاموال مالا يعلمه الا الله تعالى فاستحيت وسكتت وولى بعده
غيرمن تقدم بنو رزين أصحاب السهلة و بنوا الفهرى أصحاب البونت وتغلب عليهما أخيرا
يوسف بن تاشفين * ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى
وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا فى البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذى يقال له
الاعذار الدنونى وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل
المشرق والمأمون من بنى ذى النون هو صاحب ذلك وهو الذى عظم بين ملوك الطوائف
سلطانه وكان بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد
المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو وغلب أيضا على بلنسية وأخذها من يد بنى ابن أبى عامر * وفى أيام
حافد المامون وهو القادر بن ذى النون كان الطاغية بن أذفونش قد استفحل أمره لما
خلا الجو من مكانة الدولة الخلافية وخف ما كان على كاهله من أصر العرب فاكتسح البسائط
وضيق ابن ذى النون حتى أخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ثمان وسبعين
وأربعمائة كما سبق وشرط عليه أن يظاهره على أهل بلنسية فقبل شرطه وتسلمها الفونش
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم زحف على الموالى العامريين مثل خيران وزهير
وأشباههما وأخبار الجميع تطول * ومن ملوك الطوائف بالاندلس بنو هود ملوك سرقسطة
وما اليها ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وكان المؤتمن قائما على الامور الرياضية
وله فيها تآليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر وولى بعده ابنه المستعين أحمد سنة أخذ
طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة وكان زحف سنة تسع وثمانين فى آلاف لا تحصى من
المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين
نحو عشرة آلاف وهلك هو شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية
اليها وولى ابنه عبد الملك عماد الدولة وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتى عشرة وتولى
ابنه سيف الدولة وبالغ فى النكاية بالطاغية ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها
حمامه * ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله فى مبانيه

قصر السرور ومجلس الذهب * بكما بلغت نهاية الارب
لو لم يحز ملكى خلافكما * كانت لدى كفاية الطلب

ومن مشاهير ملوك بنى الافطس أصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم هو صاحب التأليف
المسمى بالمظفرى فى نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين
وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهى من غرر القصائد الاندلسية وأزالوا ملوك الطوائف منها وبقيت عمالهم تتردد اليها
وبنوهم حتى فشلت ريحهم وهبت ريح الموحدين أعنى عبد المؤمن بن على وبنيه فحاربوا
لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم جازوا البحر الى الاندلس وملكوا
أكثر بلاد الاندلس وملك بنو مردنيش شرق الاندلس * وملخص ذلك أن الاندلس كان ملكها
بجموع المتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة فى العدوة بحرب الموحدين

اضطربت

وجبال ومروج وهو قليل الفيلة من بين الملوك ورسمه الفافيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل اذا كان فارها ممارسا شجاعا
وكان راكبه فارسا وفى
خرطومه القرطل وهو نوع
من السيوف وخرطومه
مغشى بالزرد والحديد
وعليه تجافيف قد أحاطت
بسائر جسده من الفرق
والحديد وكان حوله
خمسمائة رجل يمنعونه
ويحرزونه من ورائه
حارب ستة آلاف فارس
وقام بها وأتاها اذا كان
معه خمسمائة رجل كر فى
خمسة آلاف فارس ودخل
وخرج وصال عليها كالرجل
على الفرس وهذا رسم
فيلتها فى سائر حروبها فأما
صاحب المولتان فقد قلنا
انه من ولد سامة بن لؤى
ابن غالب وجنود وجيوش
ومنعة وهو ثغر من ثغور
المسلمين الكبار وحول
ثغر المسلمين المولتان من
ضياعه وقراه عشرون
ومائة ألف قرية مما يقع
عليه الاحصاء والعدو فيه
على ما ذكرنا الصنم
المعروف بالمولتان يقصده
السند والهند من أقاصى
بلاده بالنذور والاموال
والجواهر والعود وأنواع
الطيب ويحج اليه الالوف
من الناس وأكثر أموال
صاحب المولتان مما يحمل
الى هذا الصنم من العود
القمارى الخالص الذى يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر فى الشمع وغير ذلك

اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشئ ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد الرحمن وقتلهم أبرح قتلة واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش * وولى الامر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف وأجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو * وولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن أعظمها غزوة الارك التى تضاهى وقعة الزلاقة أو تزيد والارك موضع بنواحى بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره وكان عدة من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة واربعين ألفا وعدة الاسارى ثلاثين ألفا وعدة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة والخيل ثمانين ألفا والبغال مائة ألف والحمير أربعمائة ألف جاء بها الكفار تحمل أثقالهم لانهم لا ابل لهم وأما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجى الفنش ملك النصارى الى طليطلة فى أسوأ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش و بناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة وعاد الى قرطبة فأقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وأمن الناس مدته وفيه يقول بعض شعراء عصره

أهل بأن يسعى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بأمير المؤمنين فلم يجبه الى ما طلبه وكان ذلك فى سنة ٥٨٧ ومدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان نداك العمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلا فبلغتها * وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدتها أربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيناك لفضلك ولبيتك وكان

هذا الصنم وتعويره فيرحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولى الى بلاد المولتان بعد الثلثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه ابن أسد القرشى وكذلك كان دخولى الى بلاد المنصورة فى هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم من ولد عمر ابن على وولد محمد بن على وبين ملوك المنصورة وبين أبى الشوارب القاضى قرابة ووصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك بهم فى وقتنا هذا من ولد هبار ابن الاسود ويعرفون ببنى عمر بن عبد العزيز القرشى وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموى واذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة فى الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الروذ من غربيها وهى من أعمال المنصورة تسمى ماهنالك مهران ثم ينقسم قسمين

عنوان لكتاب الذى أرسله صلاح الدين الى أمير المسلمين وفى أوّله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجرى من أجرى على يده النافلة والفرض وزين سماء الملة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض وهو كتاب طويل أمله فيه أن يقطع عنه مادة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هدية حقيرة وأما ابن منقذ فانه أحسن اليه وأغناه لالاجل صلاح الدين بل لبيته وفضله كما مر وما وقع من يعقوب فى صلاح الدين انما هو لاجل انه لم يوفه حقه فى الخطاب * (رجع) ولما استفحل أمر الموحدين بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها بينهم ولهم مواقف فى جهاد العدو مذكورة وكان صاحب الامر بمراكش يأتى الاندلس للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمة الشنعاء وأجاز ابنه الناصر الوالى بعده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستمائة ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكى بعض الثقات من مؤرخى المغرب انه اجتمع معه من أهل الاندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره وأما الاندلس فبطلب العدو عليها لانه لما التاث أمر الموحدين بعد الناصر ابن المنصور انتزى السادة بنواحى الاندلس كل فى عمله وضعف ملكهم بمراكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه فى ذلك فمشت رجالات الاندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الاموية وأجمعوا على اخراجهم فثاروا به لحين واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامى الثائر بالاندلس وابن مردنيش وثوار آخرون * وقال ابن خلدون ثم خرج على ابن هود فى دولته من اعقاب دولة العرب أيضا وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمد هذا بالشيخ فخاذبه الحبل وكانت لكل واحد منهما دولة أورثها بنيه انتهى * وكان ابن هود يخطب للعباسى صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود وأعقابه حروب وخطوب الى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل فضايقه الفنش والرشلونى فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلم مرسية منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فأوقع به النصارى فى طريقه ثم رجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى ان ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين وستمائة وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقى فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود والله وارث الارض ومن عليها (رجع) الى ذكر دولة اولاد الاحمر لان لسان الدين وزير أحدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره وقيل أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف من أبناء الجند ويعرفون ببنى نصر وينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين نصر بن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت له وجاهة فى ناحيتهم * ولما فشلت ريح الموحدين

وينصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند فى مدينة شاكرة من أعمال المنصورة فى البحر الهندى وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من المولتان الى المنصورة خمسة وسبعون فرسخا [illegible] والفرسخ ثمانية آلاف ذراع وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم الميد وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك المولتان من ثغور السند وما أضيف اليها من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بنى أمية وللملك المنصورة فيلة حربية وهى ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وانه يحارب الوفا من الخيل على ما ذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والنجدة والاقدام على تقحم الجيوش كان اسم أحدهما (منفرقلس) والآخر (حيدرة) ولمنفرقلس هذا اخبار عجيبة وأفعال حسنة وهى مشهورة فى تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب يبدى الحنين ويظهر

الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس وأعطى السادة حصونهم للطاغية واستقل بامر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فتصدى الشيخ هذا للثورة عليه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ودعا لابي زكريا صاحب افريقية وأطاعه جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها واستظهر على أمره بقرابته من بني نصر وأصهاره بني اشقيلولة ثم بايع لبني هود سنة احدى وثلاثين عندما بلغوا خطاب الخليفة من بغداد ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين ثم فتك بابن الباجي فقتله وتناول البطش به على بن اشقيلولة ثم راجع أهل اشبيلية بعدها بشهر دعوة ابن هود واخرج ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين عند اجاة أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ووصلته بيعتها وهو بجيان وقدم اليها على بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزوله ثم تغلب على مالقة ثم تناول المرية من يد ابن الرميمي وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهارا على أمره فعضده وأعطاه ابن هود ثلاثين حصنا في كف غربه بسبب ابن الاحمر وليعينه على ملك قرطبة فتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أعادها الله ثم نازل اشبيلية سنة ست وأربعين وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحا وملك أعمالهم ثم ملك مرسية سنة خمس وستين ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة كورة وثغرا ثغرا الى أن ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من المغرب الى شرق الاندلس نحو عشر مراحل ثم سخط ابن الاحمر وطمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة آلاف منهم فأجاروا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا ثم تناسلوا اليه بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة وولي بعده ابنه محمد الفقيه وأوصاه باستصراخ بني مرين ملوك المغرب بعد الموحدين ان طرقه أمر أن يعتضد بهم فأجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة ثنتين وسبعين فاجاب صريخه وأرسل ابنه وعساكره معه ثم أجاز على اثره وتسلم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وخطها ركابا للجهاده ونزل اليه ابن الاحمر عن طريف وما اليها من الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيم النصرانية دننة وفرق جمعه وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبث سراياه و بعوثه في أرض النصرانية ثم خاف ابن الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصا وثبتت عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين ونعدمدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة وجاءهم الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا وكان من خبر هذه الوقعة أن الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له الباباو سجد له وتضرع وطلب منه

الاثنين كالرجل الحزين ودموعه تجري من عينيه لا تنقطع (ومنها) انه خرج ذات يوم من حائرة وهي دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقي الثمانين تبع لهما فاذا منعر فلس في سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة فما جاء الى مسير امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشف عنها أطمارها في وسط الطريق فلما رأى ذلك منعر فلس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجسمه الاعين من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد اليها روحها فاستقام الفيل في طريقه واتبعه الفيلة وللفيلة أخبار عجيبة الحربية منها والعمالة لان منها ما لا يحارب فيجر العجل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل في دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر في البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها في بلادها وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج وهي وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك

ط ل السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهي دار مملكة البلهرا أكثرها

استئصال ما بقي من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فعلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا
على الاستنجاد بالمريني أبي سعيد صاحب فاس وأنفذوا اليه رسلا فلم يجح ذلك الدواء
فرجعوا الى أعظم الادوية وهو اللجأ الى الله تعالى واخلصوا النيات وأقبل الافرنج في جموع
لا تحصى فهدى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن
معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا وكان السلطان اذ ذاك بالاندلس الغالب بالله
أبو الوليد اسمعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر ورغب أن يحصن
البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان
ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك طلبوا الى طليطلة وعزموا على
استئصال المسلمين وبلادهم وتأهبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات
الحصار والاقوات في المراكب ووصل العدو الى غرناطة وامتلأت الارض بهم فتقدم
السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العالم أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني بالخروج الى
لقائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفي عشرين لربيع الاول ولما
كان ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من
فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم الى جهة سلطانهم
فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم وكان هذا أول النصر ولما كان يوم الاحد ركب
الشيخ أبو سعيد لقتال العدو في خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم
الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم في تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم
فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة
أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من
الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبي
سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة
الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر
حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على
خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق واما الذين
هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمر البيع في
الاسرى والاسباب والدواب ستة أشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد
ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة أنفس وقيل
كان عسكر الاسلام نحو ألف وخمسمائة فارس والرجالة نحو من أربعة آلاف راجل وقيل دون
ذلك وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطره وحشي جلده قطنا وعلق على باب
غرناطة وبقي معلقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم وبعد أن ملكوا جبل الفتح
الذي كان من أعمال فاس والمغرب وهو جبل طارق لم يزل بأيديهم الى أن ارتجعه أمير المسلمين
أبو الحسن المريني صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود
والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا عليه الى أن استرجعوه ليد المسلمين واهتم

مضافة الى الصقع وهي كبيرة ولعة ... اهله مثل صيمور وسوباره وتانه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروى وبلادهم
مضافة الى البحر الذي يهم عليه وهو لاروي وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهر عظيمة منها تجري من الجنوب ... من أنهار العالم وليس في أنهار العالم ما يجري من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجري من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في مملكته الا البلهرا فالاسلام في مملكته عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون أنه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم وله دراهم طاطرية وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف
بكتابة بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لا تحصى كثرة وتدعى بلاده أيضا بلاد الكمكر ويجاريهم ملك الخزر

ببنائه وتحصينه وأنفق عليه اجمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامعه ودوره
ومحاربه وما كاد يتم ذلك نازله العدو براً وبحراً فصبر المسلمون وخيب الله سعى الكافر ثم
فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع
عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق
الاموال وأنصف العمال فاحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل
بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد فى تحصينه ابنه
السلطان أبو عنان ولما اجاز السلطان أبو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع عليه ابن
الاحمر وقاتلهم الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيض الله
من بنى الاحمر الغنى بالله محمدا الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملة بلاد
كجيان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتد ملكه حتى عادوا له سلاطين فاس
بما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما ستقف عليه فى بعض مكاتبات
لسان الدين رحمه الله فى مواضع من هذا الكتاب وسعد هذا الغنى بالله من العجائب وبقى
ملك الاندلس فى عقبه الى أن اخذ ما بقى من الاندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك
غرناطة أعادها الله للاسلام كما نبين ذلك ان شاء الله وخلت جزيرة الاندلس من اهل الاسلام
فابدلت من النور بالظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والاحكام والله وارث الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين قال ابن خلدون واتفق بنو الاحمر سلاطين غرناطة ان يجعلوا
مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم أول من ولى الاندلس
عند استيلاء بنى عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف
مشهورة ومنها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء لتستدل بذلك على ما ذكرناه
بحمد الله تعالى هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال والكماة واحد الجلالة ليث الاقدام
والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام صاحب الكتائب المنصورة والافعال
المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف
سيف الجهاد وقاصم الاعاد واسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد
الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل
الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق
كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور
سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة
الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار مصادما بين جموعهم تدفق التيار وصنع
الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره فى الاقطار أشهر من المثل السيار
حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طى أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على
ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه
على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على
نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده اتحفه الله تعالى رحمة من عنده

من احدى جهات مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الا صاحب
قليم بابل وهو الاقليم الرابع
وذلك ان هذا الملك ذو
نخوة وصولة على سائر
الملوك وهو مع ذلك مبغض
للمسلمين وهو كثير العدة
وملكه على لسان من
الارض وفى أرضه معادن
الذهب والفضة ومبايعاتهم
بهما ثم يلى هذا الملك
ملك الطافى موادع لمن
حوله من الملوك وهو مكرم
للمسلمين وليست جيوشه
كجيوش من ذكرنا من
الملوك وليس فى نساء الهند
أحسن من نسائهم ولا
أكثر منهن جمالا وبياضا
وهن موصوفات الخلوات
مذكورات فى كتب الباه
وأهل البحر يتنافسون فى
شرائهن يعرفن بالطافيات
ثم يلى هذا الملك مملكة
رهمى وهذه سمة لملوكهم
وهو الاعم من أسمائهم
ويقاتلهم ملك الخزر وملكه
متاخم لملكهم ورهمى
يحارب البلهرا أيتنامس
احدى جهات مملكته وهو
أكثر جيوشا وفيلة
وخيولا من البلهرا ومن
ملك الخزر ومن ملك
الطافى واذا خرج فى حروبه
فرسمه أن يكون فى خمسين
ألف فيل ولا يكون حروبه
الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة
على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره

تؤرخ به الاحداث في الدين بحجة من عام ثلاثين وسبعمائة انتهى * ومنها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب رحمه الله في تولية علي بن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصه هذا شيخ الغزاة الذي فتح على الاسلام أبواب السراء وراق طرازا مذهبا على عاتق الدولة الغراء واعمل تواملن الجهاد في طاعة رب العباد شارعة لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاعراء فرمه لان صدور دوراوداته وحسامه المشهور على اعدائه ووليه الذي جبر صدق وفائه وجلى في مضمار الخلوص له مغبرا في وجوه اكفائه شيخ شيوخ المجاهدين وقائد كتائبه المنصورة الى غزو الكافرين والمعتدين وعترته التي يدافع بها عن الدين وسابق وده المبرور في الميادين الشيخ الاجل الى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله والله ولي التوفيق

(الباب الرابع)

في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموي ذي البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرة الملك الناصرية الناصرة والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقتضي بحسن ادائها القرائح الوقادة والافكار الماهرة *قال ابن سعيد رحمه الله مملكة قرطبة في الاقليم الرابع واياته للشمس وفي هذه المملكة معدن الفضة الخالصة في قرية كرتش ومعدن الزئبق والزنجفر في بلد بسطاسة ولاجزائها خواص في كورة في متفرقاتها وأرضها أرض كريمة النبات انتهى وقدم رحمه الله في المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الاندلس وقال انما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسية لكون سلاطين الاندلس الاول اتخذوها سرير السلطنة الاندلس ولم يعدلوا عن حضرتها ثم سلاطين بني أمية وخلفاؤهم ولم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلبوا منها في ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتخذوها لهذا الشان لما رأوها لذلك أهلا وقرطبة أعظم علما وأكثر فضلا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة المذهبة في حلى ممالك قرطبة بالنظر الى الكور الى أحد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلى الذهبية في حلى الكورة القرطبية الكتاب الثاني كتاب الدرر المصونة في حلى كورة بلكونة الكتاب الثالث كتاب محادثة السير في حلى كورة القصير الكتاب الرابع كتاب الوشي المصوّر في حلى كورة المدوّر الكتاب الخامس كتاب نيل المراد في حلى كورة مراد الكتاب السادس كتاب المزنة في حلى كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدر النافق في حلى كورة غافق الكتاب الثامن كتاب النفحة الارجة في حلى كورة استجة الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدرية في حلى الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة المحبة في حلى كورة استبة الكتاب الحادي عشر كتاب السوسانة في حلى كورة البسانة انتهى قال رحمه الله تعالى ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشي فيها الضوء السرج الممتدة عشرة أميال حسبما ذكره الشقندي في رسالته ثم قال ولكل

من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمى تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفي بلده العود والذهب والفضة والثياب التي ليست لغيره رقة ودقة ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذي تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة تقوم بها الخدم على رؤس الملوك في مجالسها وفي بلده الحيوان المعروف بالنشيان المعلم وهو الذي تسميه العوام الكركدن وله في مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل في الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس في أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل في قوائمه ولا يبرك فينام انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من في بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بارض السند والهند كثيرة وهذا النوع من النشيان يكون في أكثر غابات الهند الا أنه في مملكة رهمى أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفي وسطه صورة سوداء في ذلك البياض اما صورة

مدينة من مدن قرطبة وأعمالها ذكر مختص به ثم ذكر المسافات التي بين عمالات قرطبة المذكورة فقال بين المدور وقرطبة ستة عشر ميلا وبين قرطبة وبلدة خمسة وعشرون ميلا وبين قرطبة والقصير ثمانية عشر ميلا وبين قرطبة وغافق مرحلتان وبين قرطبة واستجة ستة وثلاثون ميلا وبين قرطبة وملكونة مرحلتان وبين قرطبة والبيرة أربعون ميلا وبين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلا وبين قرطبة وباغة مرحلة وبين قرطبة واستبة ثلاثون ميلا وكورة رندة كانت في القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهي أقرب وأدخل في المملكة الاشبيلية انتهى (ثم قسم رحمه الله كتاب الذهبية في حلى الكورة القرطبية الى خمسة كتب)* الكتاب الاول كتاب النعم المطربة في حلى حضرة قرطبة الكتاب الثاني كتاب الصبحة الغراء في حلى حضرة الزهراء الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة في حلى حضرة الزاهرة الكتاب الرابع كتاب الوردة في حلى مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب الجرعة السيغة في حلى كورة رية قال رحمه الله تعالى في كتاب النعم المطربة في حلى حضرة قرطبة الحضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفي اصطلاح الكتاب ان العروس الكاملة التي منصة وهي مختصة بما يعلى بذكر المدينة في نفسها وتاجها وهو مختص بالاياله السلطانية وسلكها وهو مختص باصحاب دور الكلام من الشعراء والنظام وحلتها وهي مختصة باعلام العلماء المصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم وأهدابها وهي مختصة بأصحاب فنون الهزل وما يحو منحاه انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تعددت منه الاجزاء وقد لخصت منه هنا بعض ما ذكر ثم أردفته بكلام غيره فأقول قال في كتاب اخبار قرطبة بالنباء المحكمة ومعناه أخرسا كنها لغة عربت بالطاء ثم قال ودور مدينة قرطبة ثلاثون ألف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التي دار السور عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف ألف وستمائة ذراع واتصلت العمارة بها أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال أربعة وعشرون في الطول والعرض ستة وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الاسلامي الى سنة أربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها في ثاني وعشري شوال سنة ستمائة وثلاث وعشرين* ثم قال هذا القائل ودور قرطبة المسورة بها دون الارباض ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ودور قصر امارتها ألف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد أرباضها احد وعشرون في كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القلنس منهم على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال بلدهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة أيام ابن أبي عامر الى ثلاثة آلاف ألف دينار بالانصاف

انسان أوصورة طاوس بتخطيطه وشكله أوصورة سمكة أوصورته في نفسه أوصورة ٢١٣ [illegible] من الحيران مما يوجد في تلك البلاد وينشر هذا القرن [illegible] المناطق والسيور [illegible] الحلية من الذهب والفضة يتلبسها ملوك الصين ووجوهها يتنافسون في لبسها [illegible] في أثمانها فيتبع منها [illegible] ألف دينار الى أربعة آلاف فيها معاليق الذهب وهي في نهاية الحسن والاتقان وربما ترصع بأنواع من الجواهر على مسمار الذهب ووجوه تلك الصور مكتتبة بسواد في بياض وربما يوجد في قرونه بياض في سواد وليس في كل بلد يوجد في قرون الدبان ما ذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها وهذا القول أورده في كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثني هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار وكل تعجب من قولي اذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه ويخبرونني أن حمله ووضعه كالبقر والجواميس ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقلها أم مخبر خبره

وقد ذكر في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا فالله أعلم وما أحسن قول بعضهم

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين

فما على الأرض قط مثل قرطبة * وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

(قال بعضهم) قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التي يجبى لها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية واسطة بين الكور موفية على النهر زاهرة مشرقة أحدقت بها المنى فحسن مرآها وطاب جناها وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب أما قرطبة فانها لفظ ينحو الى لفظ اليونانيين وتأويله القلوب المشككة وقال أبو عبيد البكري انها في لغة القوط بالطاء المعجمة وقال الحجاري الضبط فيها باهمال الطاء وضمها وقد يكسرها المشرقيون في الضبط كما يعجمها آخرون انتهى (وقال بعض العلماء) أما قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها وقطب رحاها الاعظم وأم مدائنها ومساكنها ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومستقر السنة والجماعة نزلها جملة من التابعين وتابع التابعين ويقال نزلها بعض الصحابة وفيه كلام * وهي مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب وبها المحرث العظيم الذي ليس له في بلاد الاندلس نظير ولا أعظم منه بركة * وقال الرازي قرطبة أم المدائن وسرة الاندلس وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها أعظم أنهار الاندلس وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنعة والاحكام والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام أكبر منه * وقال بعضهم هي أعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها شبيه في كثرة أهل وسعة محل وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم من أهلها انها كأحد جانبي بغداد وان لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها وأكثر أبواب القصر السلطاني من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه بائنة عن مساكن ارباضها ظاهرة ودرت بها في غير يوم في قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا * وقال وكانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع علماء الانام الاعلام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ولم تبرح ساحاتها مجر عوالي ومجرى سوابق ومحط معالي وحمى حقائق وهي من بلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده فلا يزال مسرحا وهو من تردد النظر طليح * وقال الحجاري حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة وهي كانت الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة أولي الفضل والتقى ووطن أولي العلم والنهى وقلب الاقاليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر

وفرسان

الا... هم فيل وابل و... حسن وجمال الرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك ال... ثم وا... مرو بحر وهو على ... البرقي البحر ... كثير وفي بلد ... وهو ... كثيرة ... ذو ... وبحر وخيره ... ثم يلي ... المرجه ... وجانبه ... الاذان ... كثيرة وعدد ... والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ... فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الامة تشبه بأهل الصين في ... وبلادهم منيعة ... لا يعلم بأرض السند والهند ولا ... من هذه الممالك ... أطول منها ولا أمنع وملوكهم موصوف مصاف في بلدهم يتعارفه البحريون ممن عني بحمل ذلك وتجهيزه وهو المسك المعروف بالموجهي ثم يلي ملك الموجه مملكة المابد ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجيوش عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان في عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم

فرسان النظم والنثر وبها أنشئت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة والسبب في تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقههم القرطبي لم يشتمل قط الا على البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى * (وقال علي بن سعيد) أخبرني والدي أن السلطان الاعظم أبا يعقوب بن عبد المؤمن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك في قرطبة قال فقلت له ما كان لي أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتسعة والمباني الفخمة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج النضر والحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها * قال فقلت ما أبقى لي أمير المؤمنين ما أقول * ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدي في شأنها هي من أحسن بلاد الاندلس مباني وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهرا وباطنا وتفضل اشبيلية بسلامتها في فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سمة العلم وارثة فيهم الا أن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشنيعا وتشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد أبا يحيى بن يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدت أهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان أثقلته به صاح ما ندري أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندي ولاية واني ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين * (قال والدي) ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم أهلها لجامعها الاعظم وكسر أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها والتستر بأنواع المنكرات والتفاخر باصالة البيت وبالجندية وبالعلم وهي أكثر بلاد الاندلس كتبا وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لأن يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به * (قال الحضرمي) أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتسفير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة علي الى أن بلغ فوق حده فقلت له يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوي قال فأراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده فقال لي لست بفقيه ولا أدري ما فيه ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين أعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمي فأحرجني وحملني على أن قلت له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطى الجوز من لا له أسنان وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب واطلب

والمالبد مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمالبد من عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المالبد لمملكة الصين وكل ملك الصين بهم من يحفظهم يتنشرون في بلادهم حوفا أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم لكثرة المالبد في نفوسهم ولمن ذكرنا من الهند والصين في بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم في المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكي بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون في اشهارها في سائر أحوالهم وكذلك فعل حكماؤهم ورأيهم ان حبسها داء يؤذي وان ارسالها شفاء وان في ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والخصور وأن فيه دواء للسقم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم في صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا الخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء في وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة

الامتاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني و بينه *(قال ابن سعيد) وجرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت الى اشبيلية *(وسئل ابن بشكوال) عن قصر قرطبة فقال هو قصر أولى تداولته ملوك الامم من لدن عهد موسى النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه من المباني الاولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها في قصرها البدائع الحسان وأثروا فيه الآثار العجيبة والرياض الانيقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وموّنوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها الى القصر الكريم وأجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها الى المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه الى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا القصر القصاب العالية السمو المنيفة العلو التي لم ير الراؤن مثلها في مشارق الارض ومغاربها *(قال) ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرستق وقصر السرور والتاج والبديع (قال) ومن أبوابه التي فتحها الله لعمر المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذى عليه السطح المشرف الذى لا نظير له في الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد أثبتت في قواعدها وقد صورت صورة انسان فتح فاه وهى حلق باب مدينة أربونة من بلد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلي أيضا وهو المعروف بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضى يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادى وله باب بشماليه يعرف بباب قورية وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدد أبوابا بعد هذا طمست أيام فتنة المهدى بن عبد الجبار *(وذكر ابن بشكوال رحمه الله) أن أبواب قرطبة سبعة أبواب باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادى وبباب جزيرة الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة أرصفة التى تشق دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة سائرة فى الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو أيضا باب ليون ثم باب عامر القرشي وقدامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الحوز ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى وذكر أيضا أن عدد أرباض قرطبة عند انتهائها فى التوسع والعمارة احد وعشرون ربضا منها القبلية بعدوة النهر ربض شقندة وربض منية عجب وأما الغربية فتسعة ربض حوانيت

فرون في ذلك في كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ما ذكر في الارجوزة المعروفة بذات الحلل وهي قد قال ذو العلم الفصيح الهندى مقالة فيها بيان عندى لا تحبس الضرطة ان حصرت وخلها واوقتها ما نفذت فان أدوا الداء في امساكها والروح والراحة في اخراجها والقيح في السعال والمخاط والشوم في امساك لا الضراط اما الحشاء فساء صاعد وتلته على الفساء زائد وأن الريح واحد في الجوف دائما تختلف أسماؤها باختلاف مخرجها فما يذهب صعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة واللطمة لا أن اللطمة فى الوجه والصفعة فى مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق اذا كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض تحبس الداء في جوفه وتركه اظهاره فى حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر

الريحاني وربض الرقاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد الشفاء وربض حمام الابيري وربض مسجد السرور وربض مسجد الروضة وربض السجن القديم وأما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد أم سلمة وربض الرصافة وأما الشرقية فسبعة ربض سبلار وربض فرن بريل وربض البرج وربض منية عبد الله وربض منية المغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارباض قصبة قرطبة التي تختص بالسور دونها وكانت هذه الارباض بدون سور فلما كانت أيام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع *(وذكر ابن غالب) انه كان دور هذا الحائط أربعة وعشرين ميلا وشقندة معدودة في المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة *(قال ابن سعيد) في المغرب ولنذكر الآن من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة في الالسن نظما ونثرا ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل في غير المشهور منها والاهم ونوشي ذلك بجميع ما يحضرني من مختار النظم في قرطبة وما يحتوي عليه نطاقها المذكور فأول ما نذكر من المنتزهات منتزهات الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة فنقول كان هذا القصر مما ابتناه عبد الرحمن ابن معاوية في أول ايامه لتنزهه وسكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التي اتخذها بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا ودحا جنانا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة حتى نمت بيمن الجد وحسن التربية في المدة القريبة أشجارا معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بارض الاندلس فاعترف بفضلها على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بارض الشام الاثيرة لديه ولميله في اختيار هذه وكلفه بها وكثرة تردده عليها وسكناه أكثر أوقاته بها طار لها الذكر في أيامه واتصل من بعده في ايثارها قال وكلهم فضلها وزاد في عمارتها وانبرى أوصاف الشعراء لها فتنازعوا في ذلك فيما هو الى الآن مشهور مأثور عنهم مستعاد منهم *وقال ابن سعيد والرمان السفري الذي فاض على أرجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيان شأنه وأفرد له فصلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ودقة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام في توصيل اخته منها الى الاندلس تدجلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان فيمن حضره منهم سفر ابن زيد الكلاعي من جند الاردن ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدي الخلفاء من بني أمية فاعطاه من ذلك الرمان جزأ فراقه حسنه وخبره فسار به الى قرية بكورة رية فعالج عجمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا أثمر وأينع فنزع الى عرقه وأغرب في حسنه فجاء به عما قليل الى عبد الرحمن فاذا هو أشبه شئ بذلك الرصافي فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همته وشكر صنعه وأجزل صلته واغترس منه بمنية الرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوعه واستوسع الناس في غراسه ولزمه النسب اليه فصار

مايعرض ويثور من الادواء في أجوافها وعدم احتباسها في وعائها وأن الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورث وسقراط وروحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرون حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته ويؤول اليه من متعقباته وان ذلك يجده في نفسه كل ذي حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من اصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك في عاداتهم (قال المسعودي) وقد اتينا على أخبارهم وما احكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قارونا جرى لملك قمار مع المهراج واخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندري وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الرانج وغيرها وكل ملك يملك بلاد مندري يسمى القايدي وسنأتي بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين

يعرف الى الآن بالرمان السفرى قال وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر فى أبيات كتب بها الى بعض من أهداه له فقال

ولابسة صدفا أحمرا * أتتك وقد ملئت جوهرا
كأنك فاتح حق لطيف * تضمن مرجانه الاحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب * رضابا اذا شئت أو منظرا
وللسفر تعزى وما سافرت * فتشكو النوى أو تقاسى السرى
بلى فارقت أيكها ناعما * رطيبا وأغصانها نضرا
وجاءتك معتاضة اذ أتتك * با كرم من عودها عنصرا
بعود ترى فيه ماء الندى * ويورق من قبل أن يثمرا
هدية من لو غدت نفسه * هدية ظنه قصرا

(وقال ابن سعيد) وأخبرنى والدى قال أخبرنى الوشاح المبرز المحسن أبو الحسن المرينى قال بينما أنا أشرب مع ندمانى بازاء الرصافة اذا بانسان رث الهيئة مجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة فقال لا تعجلوا على ثم فكر قليلا ورفع رأسه فأنشدنا

اسقنيها ازاء قصر الرصافه * واعتبر فى مآل أمر الخلافه
وانظر الافق كيف بدل ارضا * كى يطيل اللبيب فيه اعترافه
و يرى أن كل ماهو فيه * من نعيم وعز أمر سخافه
كل شئ رأيته غير شئ * ماخلا لذة الهوى والسلافه

قال المرينى فقبلت رأسه وقلت له بالله من تكون فقال قاسم بن عبود الرياحى الذى يزعم الناس انه موسوس أحمق قال فقلت له ما هذا شعر أحمق وان العقلاء لتعجز عنه فبالله الا ما نعمت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك ومناشدة طرف أشعارك فنادم وأنشد ومازلنا معه فى طيبة عيش الى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ويقول اللهم غفرا انتهى (قال) ومن قصور خارج قرطبة قصر السيد أبى يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس وقيل للسيد كيف تأنقت فى بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقى فى رؤسهم من الخلافة المروانية فاحببت أن يبقى لى فى بلادهم أثر أذكر به على رغمهم * قال ابن سعيد وأخبرنى والدى أن ناهض بن ادريس شاعر وادى آش فى عصره أنشد لنفسه فى هذا القصر

ألا حبذا القصر الذى ارتفعت به * على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذى انف الثرى * و رفعه عن لثمه المجد والناس
فأركب متن النهر عزا و رفعة * وفى موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمور الجناب و بابه * يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

وقال الفتح فى قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى فى اتقانه الى غير أمد وأبدع بناؤه وتمقت ساحاته وفناؤه واتخذوه

(ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم)

أما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفى هذا الجبل اثنان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى انوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا فى أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهى ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذى جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من انواع الكفار وجبل الفتح يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا

واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم وحكوا به قصرهم بالشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندى * عنبر أشهب ومسك أحم

وهى منسوبة للحاجب ابى عثمان جعفر بن عثمان المصحفى * وذكر الحجارى فى المسهب أن الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصحفى اجتاز بالمنية المصحفية التى كانت لجده أيام حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل اليه حال جده مع المنصور بن أبى عامر واستيلائه على ملكه وأملاكه فقال

قف قليلا بالمصحفية واندب * معقلا أصبحت بلا انسان
واسألنها عن جعفر وسطاه * ونداه فى سالف الازمان
جعفر مثل جعفر حكم الدهر عليه بعزة وهوان
واكم حذر الردى فصمنا * لا أمان لصاحب السلطان
بينما يعتلى غدا خافضا منه اكتئاب ككفة الميزان

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير ابن عم المثم ملك قرطبة (قال ابن سعيد) أخبرنى والدى عن أبيه قال خرج معى الى هذه المنيه فى زمان فتح النوار ابو بكر بن بقى الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز قد نورت فقال ابن بقى

سطر من اللوز فى البستان قابلنى * مازاد شئ على شئ ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا

ثم قال شعرا منه

عجبت لمن ابقى على خمر دنه * غداة رأى لون الحديقة نورا

ولا اذكر بقية الابيات قال جدى ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة فذكرته باجتماعه فى منية الزبير فتنهد وفكر ساعة وقال اكتبوا عنى فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام فى * ذراه مسيل النهر ماغنت الورق
فكائن لنا من نعمة فى جنابه * كبزته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهى على كل موضع * أما ظله ضاف أما ماؤه دفق
أهيم به فى حالة القرب والنوى * وحق له منى التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده * بقلبى ماغيبت عن وجهه خفق

قال فقلت له جمع الله بينك و بينه على الحالة التى تشتهى قال ذلك لك قلت وكيف ذلك قال تدفع لى هذا السيف الذى تقلدت به أتزود به اليه وأنفق الباقى فيه على ماتعلم قال فقلت له هذا السيف شرفنى به السلطان أبو زكريا بن غانية وما العطائه سبيل ولكن اعطيك قيمته فخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره فى عينه فيزيد فى قيمته ثم قبض ماقدر به وأنشد ارتجالا

شعابه يلى بحر الخزر مما يلى الباب والابواب على ماذكرنا ومن شعابه ما يلى بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذى ينتهى اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهى مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق فى السنة يأتى اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والارمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور فى البر والبحر والجبل أسكن هناك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان فمن رتب أنوشروان من الملوك فى بعض هذه البقاع والمواضع مما يلى الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان وعملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل ملك يلى هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رسمها له أنوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور

أطال الله عمر فتى سعيد * وبقاه ورقته السعود
غدا الى جوده سببا لعودى * الى وطنى فها أنا ذا اعود
وألثم كفه شكرا ويتلو * طريقى آى نعماه النشيد
حبانى من ذخائره بسيف * به لم يبق للاحزان جيد

والقصر الفارسى من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير ابو الوليد ابن زيدون فى قصيد ضمنه من متنزهات قرطبة ما تقف عليه وكان قد فر من قرطبة أيام بنى جهور وحضره فى فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الانسية مع ولادة التى كان يهواها ويتغزل فيها فقال

خليلى لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

وستأتى هذه القصيدة فى هذا الباب كما ستأتى قصيدة أبى القاسم بن هشام القرطبى التى أولها
* ياهبة باكرت من نحو دارين * وفيها كثير من متنزهات قرطبة * قال ابن سعيد كان والدى كثيرا ما يأمرنى بقراءتها عليه ويقول والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل قال وكان أبو يحيى الحضرمى يحفظها ويزين بها مجالسه ويحلف أن لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم وحاسد لا ينصف فى الاهتزاز لها وانه لجدير بذلك وانها لمن كنوز الادب ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز اخبرنى والدى انه حضر فى زمان الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى والمسن ابن دويدة المشهور بخفة الروح قال فسبحت أمامنا أوز فجعلت تمرح وتنشر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد أحدق به الوادى والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لى أبو الحسين بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا أصفه أو تصفه أنت ولا بد من ذلك فافكر كل منا على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثرا فقال أبو الحسين الوقشى

لله يوم بمرج الخز طاب لنا * فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللاوز على أرجائه لعب * اذا جرت بددت ما بيننا الدرر
والشمس تجنح نحو البين مائلة * كأن عاشقها فى الغرب ينتظر
والكأس جائلة باللب حائرة * وكلنا غفلات الدهر يبتدر

قال فقلت

الا حبذا يوم ظفرنا بضمنه * بأكناف مرج الخز والنهر يبسم
وقد مرحت فيه الاوز وأرسلت * على سندس درا به يتنظم
ومدت للشمس فهو كأنه * لثام لها ملقى من النور معصم
ادرنا عليها كؤسا بعثت به * من الانس ميتا عاد وهو يكلم
غدونا اليه صامتين سكينة * فرحنا وكل بالهوى يترنم

فأظهر كل منا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطا وتتميما للمسرة ثم قلنا للمسن ما عندك أنت تعارض به هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقة فرفعت منها أرجاؤه فقال له أبو الحسين ما هذا يا شيخ السوء فقال الطلاق يلزمه ان لم تكن أوزن من شعركما وأطيب رائحة

ولد اسمعيل بن أحمد واسمعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيه اذ كرنا من شهرة انساب من ذكرنا وقد غلب محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك ابن هشام وكان رجلا من الانصار وكان بيده امرة الباب والابواب وقد كانوا قد تداولت تدبيرها منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبخ يقال لها الاران وملكها يدعى الاران شاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموفانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لا تحصى كثرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار طريفة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره واحجاره وغلب هذا الرجل المعروف

وأغن صوتا وأطرب معنى وضحكنا منه أشد ضحك وجعلنا نهز غاية الاهتزاز لموقع نادرته فقال والدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر مما طربتم من شعركم * ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس أخبرني والدي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبج بالنوار فلما حركنا حسن المكان وتشوقنا الى الاركان قال الشريف لقد ذكرني هذا البسيط بسيط فحص السرادق فقلت له فهل ثار في خاطرك نظم فيه قال نعم ثم أنشد

ألا فدعواذكر العذيب وبارق * ولا تسأموا من ذكر فحص السرادق
مجر ذيول السكر من كل مترف * ومجرى الكؤس المترعات السوابق
قصرت عليه اللحظ مادمت حاضرا * وفكري في غيب لمرآه شائق
أيا طيب أيام تقضت بروضة * على لمع غدران وشم حدائق
اذا غردت فيها حمائم دوحها * تخيلتها الكتاب بين المهارق
وما باختيار الطرف فارقت حسنها * ولكن بكيد من زمان مناقق

قال أبو جعفر فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار وحركني ذلك الى أن قلت في حور مؤمل سيد منتزهات غرناطة ولم يذكرها ماقاله فيه وذكره في موضع آخر لم يحضرني الآن حتى أورده هنا والله أعلم ومن منتزهات قرطبة السد قال ابن سعيد أخبرني والدي ان الشاعر المبرز أبا شهاب المالقي انشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد

ويوم لنا بالسد لو رد عيشه * بعيشة أيام الزمان رددناه
بكرناه والشمس في خدر شرقها * الى أن اجابت اذ دعا الغرب دعواه
قطعناه شدوا واغتباقا ونشوة * ورجع حديث لورقى الميت أحياه
على مثله من منزه تبتغى المنى * فلله ما احلى وابدع مرآه
شد تنابه الارحاء وألقت نثارها * علينا فأصغينا له وقبلناه
لئن بان أنا بالانين لفقده * وبالدمع في اثر الفراق حكيناه

وأنشدني والدي موشحة لابي الحسن المريني معاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السد وهي

(مطلع)

في نغمة العود والسلافه * والروض والنهر والنديم
اطال من لامني خلافه * فظل في نصحه مليم

(دور)

دعني على منهج التصابي * ماقام لي العذر بالشباب
ولا تطل في المنى عتابي * فلست اصغى الى عتاب
لا ترج ردي الى جواب * والكاس تفتر عن حباب
والغصن يبدي لنا انعطافه * اذا هفا فوقه النسيم
والروض أهدى لنا قطافه * واختال في برده الرقيم

بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنوشروان اغيره ممن رتب هناك فاضافها محمد بن يزيد الى مملكته منها خراسان شاه وزادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الاران هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلى مملكة شروان في جبل القبق مملكة طبرستان وملكها في هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب وهي أول الامم المتصلة بالباب والابواب ويسادي أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة في جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في بدء الزمان افتتحها سليمان ابن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب في بحر مانطس وهذه المدينة جانبان وفي وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة

خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر في خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان في ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم وهو أرمينوس ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرض الخزر على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم في احدى جانبي هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم وآلاته والحلى واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفا الا أن الهند

(دور)

ياحبذا عهدي القديم * ومن به همت مسعدي
ريم عن الوصل لا يريم * مولــــع بالتودد
ما تم الا به النعــيم * طوعا على رغم حسدي
معتدل القد ذو نحافه * اسقمني طرفه السقيم
ورام طرفي به انتصافه * فخد في خده الـكليم

(دور)

غصن الصبا عاطر المقبل * أحلى من الامن والامل
طاوي الحشا مفعم المخلخل * حلو اللمى ساحر المقــل
لكل مـن رامـه توصـل * لم يخش ردا بما فعـل
اشكو فيبدي لي اعترافه * ان حاد عن نهجه القويم
لا أعدم الدهر فيـه رافه * فحق لي فيـه أن أهيم

(دور)

لله عصرلنا تقـضى * بالسد والمنبر البهـيج
أرى ادكاري اليه فرضا * وشـوقه دائما يهـيج
فكم خـلعنا عليه غمضا * وللصبا مسرح أريج
وردأطال المنى ارتشافه * حتى انقضى شربه الكريم
لله ما أسرع انحرافـه * وهكذا الدهـر لا يديم

(دور)

يا من يحث المطي غــربا * عـرج عـلى حضرة الملوك
وانثر بها ان سفحت غربا * مـن مـدمـع عاطل سـلوك
واسمع الى من أقام صـبا * واحـلل صـداه لافض فـوك
بلغ سـلامي قصر الرصافه * وذكـره عهـدي القـديم
وحي عني دار الخـلافه * وقف بها وقفة الغـريم

قال ابن سعيد والمنبر المذكور في هذه الموشحة من متنزهات قرطبة والسد هو الارحاء التي ذكرها في زجله قاسم بن عبود الرياحي رويته عن والدي عن قائله وهو

(مطلع)

بالله أي نصـيب * من ليس لي فيه نصيب
محبوبا مخالف * ومعـــو رقيب

(دور)

حين نقصـد مكانو * يقـم في المقام
و يخـل علينا * برد السـلام
أدخـلت يا قلبي * وحك في زحام

سلامتك عندى * هى شئ عجيب
و كيف بالله يسلم * من هو فى لهيب
(دور)
يا لله يا حبيبى * اترك ذا النفار
واعد أن نطيب * فى هذا النهار
واخرج معى للوادى * لشرب العقار
تتم نهارنا * فى لذة وطيب
فى الارحا والا * فى المرج الخصيب
(دور)
أو عند النواعير * والروض الشريق
أو قصر الرصافه * أو وادى العقيق
حق والله دونك * هو عندى الحريق
وفى حبك امسيت * فى أهلى غريب
وما الموت عندى * الا حين تغيب
(دور)
اتكل على الله * و كن فظ جسور
وان ريت فضولى * فقل أى غرور
كش عنى وجهك * فان رآك نفور
يهرب عنك خائف * ويبقى مريب
وامش انت موقر * كانك خطيب
(دور)
ما أعجب حديثى * ايش هذا الجنون
نطلب وندبر * امرا لا يكون
وكم ذا تهون * شيأ لا يهون
وايش مقدار ما نصبر * لبعد الحبيب
رب اجمعنى معو * عاجلا قريب

قال ابن سعيد وأما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها فى نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازى قرطبة قال ونهرها الساكن فى جريه اللين فى انصبابه الذى تؤمن مغبة ضرره فى حمله وقال هذا لانه يعظم عند اشبيلية فاذا حان حمله فى ايام الامطار أشفت اشبيلية على الغرق وتوقع اهلها الهلاك والقنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها اقواسها سبعة عشرة قوسا وبانيها على ما ذكره ابن حيان وغيره السمح بن مالك الخولانى صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد

يعرفون فى هذا البلد باللارشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وتع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو باس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه وأقاموا فى بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان للملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكر منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية

وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهى قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل

العزيز رضى الله عنه وشيدها بنو أمية بعد ذلك وحسنوها قال ابن حيان وقيل انه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنة أثرت فيها الازمنة بمكابدة المد حتى سقطت حناياها ومحيت أعاليها وبقيت أرجلها وأسافلها وعليها بنى السمح فى سنة احدى ومائة انتهى وقال فى مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى أعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى وطولها ثمانمائة ذراع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حناياها ثمان عشرة حنية وعدد أبراجها تسعة عشر برجا انتهى *(رجع الى قرطبة)* ذكر ابن حيان والرازى والحجارى أن اكتبيان ثانى قياصرة الروم الذى ملك أكثر الدنيا وصفح نهر رومية بالصفر فأرخت الروم من ذلك العهد وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة أمر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت فى مدته قرطبة واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجارى بأن اكتبيان المذكور وجه أربعة من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى ولاه عليها وسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت أسماء لاولئك الملوك وغير الحجارى جعل أن هذه المدن مشتقة مما تقتضيه اوضاعها كما مر وذكروا انه قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الاندلس الى أن اخذها منهم المسلمون ولم تكن فى الجاهلية سرير السلطنة الاندلس بل كرسيا لخاص مملكتها وسعدت فى الاسلام فصارت سرير السلطنة العظمى الشاملة وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعا لها بعدما كان الامر بالعكس والله يفعل ما يشاء بيده الملك والتدبير وهو على كل شئ قدير لا اله الا هو العلى الكبير وقال صاحب نشق الازهار عندما تعرض لذكر قرطبة هى مدينة مشهورة دار خلافة واهلها أعيان ناس فى العلم والفضل وبها جامع ليس فى الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب فى سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها فى دخولهم مع سليمان المستعين الاموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمان على بن حمود من بنى على بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم أجمعين وجده ادريس هرب من هرون الرشيد الى البربر فقبر بولده وبنى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على أن دولة بنى امية تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم على بن حمود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطرى يحدثنى أن هذا الرجل يقتلنى يعنى سليمان فان فعل فخذ بثارى وكان هذا الامر هو الذى قوى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد أحد من اخذ بثاره بعد موته وتولى بعد ذلك على بن حمود وبويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قتل فيه سليمان المستعين واخذ الناس بالارهاب والسطوة واذل رؤس البربر وبرقت للعدل فى ايامه بارقة خلب لم تكد

تعظام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ما توجبه شريعة الاسلام وليس فى ملوك الشرق فى هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسم هؤلاء القوم اللارسية والروس والصقالبة الذين ذكرنا انهم جاهلية من جند الملك وعبيده وفى بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارسية فى طرف باسمه لعدله وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد أخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن واذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودى) وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان وذلك ان للخزر ملكا يقال له خاقان ورسمه أن يكون فى يدى ملك آخر هو وغيره فخاقان فى جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه ومعه حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا بخاقان يكون عنده فى دار مملكته ومعه فى حيزه واذا أجدبت ارض الخزر أو نابت بلادهم نائبة أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أو فاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى

تقدحتى خبت وجلس للمظالم وقدمت له جماعة من البربر في اجرام فضرب رقابهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حمل عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل وطيف به في البلد واستمر على هذا مع اهل قرطبة في أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر حتى بلغه قيام الاندلسيين بالمرتضى المرواني في شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم على اخلاء قرطبة وابادة أهلها فلا يعود لأعتهم بها سلطان آخر الدهر وأعطى للبربر عن ظنهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع أهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من أعيانهم وألزمهم مالا فلما غرموه سرحهم فلما جيء اليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب وتركهم ينزلون الى منازلهم على أرجلهم وكان منهم أبو الحزم الذى ملك قرطبة بعد وصارت دولته بوراثة ولده معدودة في دول الطوائف فانجمعت عن على النفوس وتوالى عليه الدعاء فقتله صبيان أغمار من صقالبة بنى مروان في الحمام وكان قتله غرة ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا في اماكن يعرفونها وصح عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كما نحو عامين وحققها بعض فقال أحد وعشرون شهرا وستة أيام وكان الناصر على بن حمود على عجمته وبعده من الفضائل يصغي الى الامداح ويثيب عليها ويظهر في ذلك آثار النسب العربي والكرم الهاشمي ومن شعرائه المختصين به ابن الخياط القرطبي ومن شعره قوله

راحت تذكر بالنسيم الراحا ❊ وطفاء تكسر للجنوح جناحا
أخفى مسالكها الظلام فأوقدت ❊ من برقها كى تهتدى مصباحا

وعبادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

أبوكم على كان بالشرق بدءما ❊ ورثتم وذا بالغرب أيضا سميه
فصلوا عليه أجمعون وسلموا ❊ له الامر اذ ولاه فيكم وليه

ومدحه ابن دراج القسطلي بقوله

لعلك يا شمس عند الاصيل ❊ شجيت لشجو الغريب الذليل
فكوني شفيعي لابن الشفيع ❊ وكوني رسولي لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن حمود أكبر منه بعشر سنين وامهما واحدة وهى علوية ولما قتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن على واليا على سبتة فاختلف هؤلاء البربر فمال أكثرهم الى القاسم لكونه عين أولا وقدم عليه اخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر فلما وصلت رسلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون حيلة من أخيه عليه فتقهقر الى أن اتضح له الحق فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ستة أيام من قتل أخيه واحسن السيرة وأحس من البربر الميل الى يحيى ابن أخيه على صاحب سبتة فتمالك في اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقودهم على أعماله فأنفت البربر من ذلك وانحرفوا عنه وفى سنة تسع وأربعمائة قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن من اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صعب عليهم ملك بنى حمود العلويين بسبب البربر فأرادوا

ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا به فاقتله أو سلمه

اليها نقتله عن ماسلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له ودافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه هذا رسم الخزر في هذا الوقت فلست أدرى في قديم الزمان كان ذلك أم حدث وانما ينسب خاقان هذا لاهل بيت واعيانهم ارى ان الملك كان فيهم قديما والله اعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار في نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من اعاليها يقال له برطاس عليه امم من الترك حاضرة داخلة في جملة ممالك الخزر وعمائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس امة من الترك على ماذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك من السود والحمر اخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس في لبسه وهو اغلى عندهم من السمور والفنك وماشاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس

والخفاف ويتعذر في الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود في اعالي

رجوع الامامة الى بنى مروان واجتمع له أكثر ملوك الطوائف وكان معه حين أقبل لقرطبة منذر التجيبى صاحب سرقسطة وخيران العامرى الصقلبى صاحب المرية وانضاف اليهم جمع من الفرنج وتأهب القاسم والبرابرة للقائهم فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران على المرتضى وقالا أرانا في أول وجه اليسر بارجه الذى نراه حين اجتمع اليه أنجم لغيه وهذا ما كرغير ما في النية فكتب خيران الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب على غرناطة وهو داهية البربر وصمم له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذل عن نصرته الموالى العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فأصغى ابن زيرى الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيرى يدعوه لطاعته فقلب الكتاب وكتب فى ظهره قل يا أيها الكافرون السورة فأرسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه جئتك بجميع أبطال الاندلس وبالفرنج فاذا تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منا أشر بخير * أولا فأيقن بكل شر

فلم الكاتب ان يحول الكتاب ويكتب فى ظهره ألهاكم التكاثر السورة فازداد حنقه وحمله الغيظ على أن ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى أن يبطلمه فى ساعة من نهار ودامت الحرب أياما وأرسل ابن زيرى الى خيران يستنجزه وعده فاجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ولو كنا بيوا طنناء معك لما ثبت جعل لنا ونحن ننهزم عنه ونخذله فى غد ولما كان من الغد أى أعلام خيران وأعلام منذر وأصحاب الثغور قد ولت عنه فسقط فى يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحر القتل وصرع كثير من أصحابه ولما خاف القبض عليه ولى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادى آش وقد جاوز بلاد البربر وأمن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاؤا برأسه الى المرية وقد حل بها خيران ومنذر فتحدث الناس انهما اصطنعا عليه سرورا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن أهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب القاسم ابن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تتقطع حسرات وأنشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التى أولها

لك الخير خيران مضى لسبيله * وأصبح أمر الله فى ابن رسوله

وتمكنت امور القاسم وولى وعزل وقال وفعل الى أن كشف وجهه فى خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن على وكتب من سبتة الى أكابر البرابر بقرطبة ان عمى أخذ ميراثى من أبى ثم انه تقدم فى ولايتكم التى أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان وأنا اطلب ميراثى وأوليكم مناصبكم واجعل العبيد والسودان كما هو عند الناس فاجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب وأعانه أخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع أخيه وكتب اليه خيران صاحب المرية مذكرا بما أسلفه فى اعانة أبيه وأكد المودة فقال له أخوه ادريس ان خيران رجل خداع فقال يحيى ونحن نخدعون فيما لا يضرنا ثم ان يحيى أقبل الى قرطبة واتفقا بان البرابر معه ففر القاسم الى اشبيلية فى خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٩ شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ وحل يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم

السبت

من سواحلهم وهى امة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى مدينة بحر البلغر والروس فى ارضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذى بجبل بنجهير من أرض خراسان ومدينة البلغر على ساحل بحر نيطس وأرى انهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من ارض خراسان ومن خوارزم اليهم الا أن ذلك بين بوادى غيرهم من الترك والقوافل تخفرهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه المقتدر لواء وسوادا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية فى نحو ألف فارس فصاعدا فشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر من البحر الرومى لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد

السبت مستهل جمادى الآخرة وكان يحيى من الجبابرة وأمه قرطبية وانما كانت آفته العجب واصطناع السفلة واشتط أكابر البرابر عليه وطلبوا امارة عدهم من استقدم مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويرعيت المال وفر السودان الى عمه باشبيلية ومن البرابر ومن جند الاندلس من احتجب عنهم يحيى وتكبر عليهم ولم يمل اليه ملوك الطوائف وبقي منهم كثير على الخطبة لعمه القاسم الى أن اختلت الحال بحضرة قرطبة وأيقن يحيى انه متى أقام بها قبض عليه وكان قد ولى على سبتة أخاه ادريس وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفر يحيى في خواصه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فراره ركب من اشبيلية الى قرطبة فخطب له بها يوم الثلاثاء ١٢ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ ولم يصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هوى السودان معه وهوى كثير من البرابرة مع يحيى وهوى أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره ولا يظهرو كثر الارجاف بذلك ووقع الطلب على بني أمية فتفرقوا في البلاد ودخلوا في أغمار الناس وأخفوا ربهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر وأهل قرطبة وتكاثر البلديون وأخرجوا القاسم وبرابرته فضرب خيمة بغربيها وقاتلهم مدة خمسين يوما قتالا شديدا وبنى القرطبيون أبواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى أن طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصبروا فمنحهم الله تعالى الظفر وفر السودان مع القاسم الى اشبيلية وفر البرابرة الى شريش وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس ١٢ ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد ابن القاسم واليا على اشبيلية وثقته المدبر لامره محمد بن زيري من أكابر البرابرة وقاضيها محمد ابن عباد فعمل القاضي لنفسه وهو جد المعتمد بن عباد وأطمع ابن زيري في التملك فأغلق الابواب في وجه مصطنعه وحاربه فقتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس القاسم وقنع أن يخرجوا اليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم فأخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش وعندما استقر بها وصل اليه يحيى ابن أخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره في المدينة عشرين يوما كان فيها حروب صعاب وقتل من الفريقين خلق كثير وأجلت الحرب عن ظهور يحيى لعمه واسلام أهل شريش له وفر سودانه وحصل القاسم وابنه في يد يحيى وكان قد أقسم أنه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلي الامامة بقرطبة مرة ثالثة فرأى التربص في قتله حتى يرى رأيه فيه فحدث عنه بعض أصحابه انه حمله بقيد الى مالقة وحبسه عنده وكان كلما سكر وأراد قتله رغبه ندماؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على الخلاص وكان كلما نام رأى والده علي في النوم ينهاه عن قتله ويقول له أخي أكبر مني وكان محسنا الى في صغري ومسلما الى عند ما ربي الله فيه وامتدت الحال على ذلك الى أن قتله خنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه قد كان حبسه في حصن من حصون مالقة فنمي اليه أنه قد تحدث مع أهل الحصن في القيام والعصيان فقال أو بقي في رأسه حديث بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبقي أهل قرطبة بعد فرار القاسم نيفا عن عشرين يرون رأيهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أحضر المستظهر وسليمان بن المرتضى وأموي

ومنها أن البلغر تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الترسوسيين وأتوا بهم الى بلاد ترسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد لها من جاورها من الامم والفارس ممن قد أسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم الا هذا الاسوار وكذلك من في هذا الصقع لا يمتنع منهم الا بالحصون والجدران والليل في بلاد البلغر في نهاية من القصر في بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك الوجه من الفلك وعلة الموضع الذي يكون الليل فيه ستة أشهر لا نهار فيه والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدي وقد ذكر أصحاب الزيجات في النجوم علة ذلك من الوجه الفلكي والروس امم كثيرة وانواع شتى ومنهم من يقال لهم الموذعانة وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل ببحر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية

آخر بعد فبايعوا المستظهر وتبلا يده بعدما كان قبل البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما ارتضاه الاماثل فبشر اسمه وكتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنى عمه المذكور بن لحبسهما وكان قد رفع جماعة من الاتباع ذهب بهم العجب كل مذهب كأبى عامر بن شهيد المنهمك فى بطالته وأبى محمد بن حزم المشهور بالرد على العلماء فى مقالته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف فى حالته فأحقد بذلك مشايخ الوزراء والاكابر وبادر المستظهر باصطناع البرابر وأكرم مثواهم وأحسن مأواهم واشتغل مع ابن شهيد وابنى حزم بالمباحثة فى الآداب ونظم الشعر والتمسك بتلك الاهداب والناس فى ذلك الوقت أجهل ما يكون وكان جماعة من أهل الشر فى السجون يتعين أن لا يخرج منهم انسان فأخرج منهم شخصا يقال له أبو عمران وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فأخرجه وخالفه فى ذلك ولم يقبل النصيحة وفعل ما أداه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس على افساد دولته وابدال فرحه بالبوس لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس وسعوا فى خلعه مع البرابر وقتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمس الدابر بعد سبعة وأربعين يوما من يوم بويع بالخلافة واذا أراد الله أمرا فلا يقدر أحد أن يأتى خلافه وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة ومن شعر المستظهر المذكور وهو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور

طال عمر الليل عندى * مذ تولعت بصدّى

يا غزالا نقض العهـ * ـد ولم يوف بوعدى

أنسيت العهد اذ بتـ * ـنا على مفرش ورد

واعتنقنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد

ونجوم الليل تسرى * ذهبا فى لازورد

وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط السطر مبشورو فيه بشارة ببقاء الامام الفاضل المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه * وكذا يكون به طوال الاعصر

فاجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بشر الكتاب * لما أحكمت فى فصل الخطاب

وقد قدمنا فى الباب الثالث شيأ من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى أن تولى الامر ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد حسبما ذكر فى أخباره ثم آل الامر بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثمين والموحدين على قرطبة الى أن تسلمها النصارى أعادها الله تعالى للاسلام كما ذكر فى الباب الثامن * وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخصه فاما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة من البلاد الخطيرة فمنها قرطبة وكانت مقر الملك ودار الامارة وأم ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك الى أن خرجت عن ايديهم وتنقلت فى أيدى ملوك المسلمين الى أن وصلت الى الناصر عبد الرحمن فبنى فى تجاهها مدينة سماها الزهراء يجرى بينهما نهر عظيم انتهى * واعلم أن المبانى دالة على عظم قدر بانيها كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له

يصعدون من برد من ذلك البحر ومن برد من ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر وتتصل بنهر نيطش وذلك ان بوادى الغزاة برد الى ذلك اكثر وشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج نيطش فتعبر الغزاة عليه بخيولها وهو ماء عظيم يخسف من تحتهم لشدة استحجاره فتغير على بلاد الخزر وربما خرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر على ان يجتازوا البلاد وينحدروا فى نهره فيدخلوا بحر الخزر الذى هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هنالك من الامم على ذلك البحر فأباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه وصاروا مصعدين فى تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس فى هذا البحر وطرحت سراياها الى الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهى بلاد ساحل جرجان وبلاد من

من الزهراء محاسنها ولم يزل البلغاء يصفون المباني باحسن الالفاظ والمعاني ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك زيادة في توسيع المسالك فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلي في دار بناها المعتمد على الله

وياحبذا دار قضى الله أنها * يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه * مشى قدما في أرضها خلع النعلا
وما هي الا خطة الملك الذي * يخط اليه كل ذي أمل رحلا
اذا فتحت أبوابها خلت انها * تقول بترحيب لداخلها أهلا
وقد نقلت صناعها من صفاته * اليها افانينا فأحسنت النقلا
فمن صدره رحبا ومن نوره سنى * ومن صيته فرعا ومن حلمه أصلا
فأعلت به في رتبة الملك ناديا * وقل له فوق السماكين أن يعلى
نسيت به ايوان كسرى لانني * اراه له مولى من الحسن لا مثلا
كأن سليمان بن داود لم يجد * مخافته للجن في صنعه مهلا
ترى الشمس فيه ليقة تستمدها * أكف أقامت من تصاويرها شكلا
لها حركات أودعت في سكونها * فما تبعت في نقلهن يد رجلا
ولما عشينا من توقد نورها * تخذنا سناه في نواظرنا كحلا

وقال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس ببجاية

أعمر بقصر الملك ناديك الذي * أضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره * أعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه * فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسي الصبيح مع الفصيح بذكره * وسما ففاق خورنقا وسديرا
لو أن بالايوان قوبل حسنه * ما كان شيأ عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى * رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا * لملوكهم شبهاله ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا * غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم * ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت * حسناتهم ذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا أنه * حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظر * ثم انثنيت بناظري محسورا
فظننت أني حالم في جنة * لما رأيت الملك فيه كبيرا
واذا الولائد فتحت أبوابه * جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم * فغرت بها أفواهها تكبيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها * من لم يكن بدخولها مأمورا
تجري الخواطر مطلقات أعنة * فيه فتكبو عن مداه قصورا

النفاطة ونحو بلاد اذربيجان وذلك أن من مدينة أردشير من بلاد أذربيجان الى هذا البحر نحو من ثلاثة ايام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات واخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون في قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجبل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل مودعه واران والسفلان وأذربيجان مع قائد لابن أبي الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوي وكانت الروس تاوي عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ علي بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا في القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألف وأقام الروس شهورا كثيرة في البحر على ما وصفنا لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس متأهبون لهم حذرون منهم لانه بحر غامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه

... مراكب وليس لهم بها عادة ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم آفة عظيمة

بمرحم الساحات تحسب أنه * فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه * مسكا تضوع نشره وعبيرا
تستلف الابصار منه اذا اتى * صبحا على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركة فيها عليها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه وتمثيل كراسود على حافتها قاذفة المياه ايضا فقال

وضراغم سكنت عرين رياسة * تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما تغشى النضار جسومها * وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما * أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * درعا فقدر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناى بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى * سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد سرحت أغصانها فكأنما * قنصت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لوقع طيورها * أن تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما * جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الابواب تبرا نضروا * بالنقش فوق شكوله تنضيرا
تبدو مسامير النضار كأنها * تلك النهود من الجنان صدورا
خلعت عليه غلائلا ورسية * شمس ترد الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفه * أبصرت روضا في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي * حامت لتبنى في ذراه وكورا
وضعت به صناعها أقلامها * فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة * مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما اللازورد مخرم * بالخط في ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة * تركوا مكان وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذى أضحى له * ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت * واستوجبت بقصورك التأخيرا

من ثلاثين ألفا ولم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا (قال المسعودي) واما ماذكرنا

فعمرتها

هذه القصة دفعا القول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر مانطش وخليج

فعمرتها وملكت كل رياسة * منها ودمرت العدا تدميرا

قلت لم أر لهذه القصيدة من نظير في معناها البالغ التحبير ولفظها العذب النمير الذي شمر فيه قائلها عن ساعد الاجادة أي تشمير غير أن فيها عندي بيتا واحدا وهو ختمها بلفظ التدمير وعلى كل حال فالحسن والاحسان يتعادان في أرجاء لعبد الجبار بن حمديس المذكور ذي المقاصد الحسان وخصوصا في وصف المباني والبرك مما أبو نسواه في ذلك حسنا ولا ترك *(ومن ذلك) قوله في وصف بركة تجري الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود وكل ذلك في قصر أطنب في وصفه في قصيدة طويلة

والماء منه سبائك من فضة * ذابت على درجات شاذروان

وكأنما سيف هناك مشطب * ألقته يوم الحرب كف جبان

كم شاخص فيه يطيل تعجبا * من دوحة نبتت من العقيان

عجبا لها تسقي الرياض ينابعا * نبعت من الثمرات والاغصان

خصت بطائرة على فنن لها * حسنت فأفرد حسنها من ثاني

قس الطيور الخاشعات بلاغة * وفصاحة من منطق وبيان

فاذا أتيح لها الكلام تكلمت * بخرير ماء دائم الهملان

وكأن صانعها استبد بصنعة * فخر الجماد بها على الحيوان

أوفت على حوض لها فكأنها * منها على العجب العجاب روانى

فكأنها ظنت حلاوة مائها * شهدا فذاقته بكل لسان

وزرافة في الجوف من أنبوبها * ماء يريك الجري في الطيران

مركوزة كالرمح حيث ترى له * من طعنة الحلو اعتناق سنان

وكأنها ترمي السماء بمندق * مستنبط من لؤلؤ وجمان

لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت * في الجو منه قميص كل عنان

في بركة قامت على حافاتها * أسد تدل لعزة السلطان

نزعت الى ظلم النفوس نفوسها * فلذاك انتزعت من الابدان

وكأن برد الماء منها مطفئ * نارا مضرمة من العدوان

وكأنما الحيات من أفواهها * يطرحن أنفسهن في الغدران

وكأنما الحيتان اذ لم تخشها * أخذت من المنصور عقد أمان

وهاتان القصيدتان لابن حمديس كما في المناهج مع طولهما تدلان على الابداع الذي ابتكره والاختراع الذي ساوغ سمع أحد من الفضلاء الا شكره لما أسكره وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي يصف قصرا بمصر يسمى منزل العز بناه حسن بن علي بن تميم بن المعز العبيدي

منزل العز كاسمه معناه * لا عدا العز من به سماه

منزل ودت المنازل في اعلى دراه لو صيرت اياه

فاجل فيه لحظ عينيك تبصر * أي حسن دون القصور حواه

اليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات مع المواضع التي سميناها من ساحله الى باكوى وهي معدن النفط الابيض

سال في سقفه النضار ولكن * جمدت في قراره الامواه
وبأرجائه مجال طراد * ليس تنفك من وغى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه * ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنز * ع بعيدا من قرنه مرماه
وصفوفا من الوحوش وطير الـ * ـجو كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات * واختلاف كأنه أشباه
كحيا الحبيب حرفا بحرف * ماتعدى صفاته اذ حكاه
ورده وجنتاه نرجسه الفتان عيناه آسه عارضاه
وكأن الكافور والمسك في الطيب وفي اللون صبحه ومساه
منظر يبعث السرور ومرأى * يذكر المرء طيب عصر صباه

وقال أبو الصلت أمية الاندلسي المذكور يذكر بناء بناه علي بن تميم بن المعز العبيدي

لله مجلس الملك قبابه * بحوطه فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقي * فيه الجواري بالجواري الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه * عطف الاهلة والحواجب والقسي
واستشرفت عمد الرخام وظوهرت * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل قد أهيف * وقراره من كل خد أملس
فلك تحير فيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مهندس
فبدا للحظ العين أحسن منظر * وغدا لطيب العيش طيب معرس
فاطلع به قمرا اذا ما أطلعت * شمس الخدود عليك شمس الاكؤس
فالناس أجمع دون قدرك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس

ويعجبني من قول أبي الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منها اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
اذا زاد يحكي الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذي بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التي قد اشتملت * من كل شيء حلا في جانب الوادي
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادي

وهو مأخوذ من قول الاول يصف قصر أنس بالبصرة

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شيء يشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادي
تلقى به السفن والظلمان حاضرة * والضب والنون والملاح والحادي

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرمين

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا * على طول ما عاينت من هرمي مصر

وليس في الدنيا والله أعلم نفط أبيض الا في هذا الموضع وهي على ساحل مملكة شروان وفي هذه النفاطة أطمة وهي
عين من عيون النار لاتهدأ
على سائر الاوقات تضطرم
الصعداء ويقابل هذا
الساحل في البحر جزائر منها
جزيرة على نحو ثلاثة أيام
من الساحل فيها أطمة
عظيمة تزفر في أوقات من
فصول السنة فيظهر منها
نار تذهب في الهواء كأشمخ
مايكون من الجبال العالية
تضيء الاكثر من هذا
البحر ويرى ذلك من نحو
مائة فرسخ من البر وهذه
الاطمة تشبه أطمة جبل
البركان من بلاد صقلية من
أرض الافرنجة ومن بلاد
أفريقية من أرض المغرب
وليس في آطام الارض أشد
صوتا ولا أسود دخانا ولا
أكثر تلهبا من الاطمة
التي في أعمال المهراج
وبعدها أطمة وادي برهوت
وهي نحو بلاد سبا وحضرموت
من بلاد الشحر وذلك من
بلاد اليمن وبلاد عمان
وصوتها يسمع كالرعد من
أميال كثيرة ثم ينعكس
سفلا يهوي الى قعرها
وحولها الجمر الذي يظهر
منها حجارة وقد احمرت مما
قد أحاله من سواد حرارة
النار وقد أتينا على علة
تكون عيون النيران في
الارض وما سبب موادها في كتابنا أخبار الزمان وفي هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها أنافا

أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا انشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وستأتى ترجمته ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس * وعلى ذكر الانهار والبرك فما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف بركة عليها عدة فوارات

غضبت مجاريها فأظهر غيظها * ما فى حشاها من خفى مضمر
وكأن نبع الماء من جنباتها * والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فرعها * لما انتهت باللؤلؤ المتحدر

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بازرقة والصفا يجرى على الصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وما أحسن قول بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر يكسو غلالة فضة * فاذا جرى سيلا فثوب نضار
واذا استقام رأيت صفحة منصل * واذا استدار رأيت عطف سوار

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء

ومطرد الامواج يصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح باطراف الحصى كلما جرى * عليها شكا أوجاعه بخريره

وهذا النهج متسع ولم نطل السير فى هذه المهامه وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليتنبه به منتقصهم من سنه أوهامه ولان فى أمرها عبرة لمن عقل اذ أصبحت أمرآة حسنها ولطالما كان لمثلها صقل وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا وهو وألحق بذكر المنازل التى راق منظرها وفاق مخبرها وارتفع بناؤها واتسع فناؤها طرفا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها وصف أعرابى محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثر الارتحلت عنها ربات الخدور وأقامت بها أثافى القدور ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم والعهد قريب واللقاء بعيد وقال عمر بن أبى ربيعة فأحسن

يا دار امسى دارسا رسمها * وحشا قفارا ما بها أهل
قد جرت الريح بها ذيلها * واستن فى أطلالها الوابل

ومن كلام الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع وأطال به التوجع والقصور تختال فى أدواحها والازاهر تحيى ميت الصبابة شذا أرواحها وأطيار الرياض كثكالى ينحن على خرابها وانقراض أترابها والوهى بمشيدها لاعب وعلى كل جدار منها غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها ولطالما أشرقت بالخلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث فى آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فصبحت ولها تلفع واعتجار ولم يبق

نوع من البزاة البيض أسرع اجابة وأقلها معاشرة الأن فى هذا النوع من البزاة شيأ من الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما وأجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السمو فى الجو وأذهبها صعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وأن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء الى العصاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فانزلت دواب تسكن هناك فتغذيها فى أوكارها من تلك الدواب أضراها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأو ساكن وعن بليناس انه قال

من آثارها الانوى وأحجار قد دهوت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد * وقال ابو صخر القرطبي يذكر ذلك من أبيات ينعاهم بها

ديار عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا * برودا وحلاها من النور جوهرا
تسرك طورا ثم تشجيك تارة * فترتاح تأنيسا وتشجى تذكرا

(ومن كلام أبى الحسن القاشانى) يصف نادى رئيس خلا من ازدحام الملا وعوضه الزمان عن تواصل أحبابه هجرا وبلا قد كان منزله مألف الاضياف ومأنس الاشراف ومنتجع الركب ومقصد الوفد فاستبدل بالانس وحشة وبالضياء ظلمة واعتاض من تزاحم المواكب تلاطم النوادب ومن ضجيج النداء والصهيل عجيج البكاء والعويل *(ومن رسالة لابن الاثير الجزرى يصف دمنة لعبت بها أيدى الزمن وفرقت بين المسكن والسكن كانت مقاصير جنة فأصبحت وهى ملاعب جنة وقد عميت اخبار قطانها وآثار أوطانها حتى شابهت احداهما فى الخفاء الاخرى فى العفاء وكنت أظن انها لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فأجرى بها هوامع دموعه والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه) *وقد لمع فى بعض كلامه قول الشريف من أبيات يصف فيها ما كان فى الحيرة من منازل النعمان ابن المنذر

ما زلت أطرق للمنازل باللوى * حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت * شم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها * ويبين بالبنيان فضل البانى
ما ينفع الماضين أن بقيت لهم * خطط معمرة بعمر فانى

يقول فيها

ولقد رأيت بدير هند منزلا * ألما من الضراء والحدثان
يغضى كمستمع الهوان تغيبت * أنصاره وخلا من الاعوان
بالى المعالم أطرقت شرفاته * اطراق منجذب القرينة عانى
أمقاصر الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مرابض الغزلان
وملاعب الانس الجميع طوى الردى * منهم فصرت ملاعب الجنان

ومنها

مسكية النفحات تحسب تربها * برد الخليع معطر الاردان
وكأنما سقى التجار لطيمة * جرت الرياح بها على العقيان
ماء يجيب الدرع يصقله الصبا * ويقى بدوحته النسيم الوانى
زفر الزمان عليهم فتفرقوا * وجلوا عن الاقطار والاوطان

وقال أبو اسحق الصابى وتوارد مع الشريف الرضى فى المعنى والقافية يصف قصر روح بالبصرة

واجب اذا كان لهذين الاستقصين يعنى الارض والماء خلق وساكن أن يكون للاستقصين يعنى الهواء والنار خلق وساكن ووجدت فى بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده بازأبيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب فى الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيأ فهوى به يشبه الحية والسمكة وله ريش كاجنحة السمك فأمر الرشيد فوضع فى طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم هل تعلمون للهواء ساكنا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله ابن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان أدربها مناد وابيض فى الهواء تفرخ فيه يرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ فى هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بارمينية فأخرج الطست اليهم فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرنى غير واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا الجوحيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنها ربما تقع على الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها فى الليل وحركتها فى الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يتول من

احبب

أحب الى بقصر روح منزلا * شهدت بنيته بفضل البانى
سور علا وتمنعت شرفاته * فكأن احدهن هضب أبان
وكأنما يشكو الى زواره * بين الخليط وفرقة الجيران
وكأنما يبدى لهم من نفسه * اطراق محزون الحشا حران

ولاحمد بن فرج الالبيرى من أبيات

سألت بها فاردت جوابا * عليك وكيف تخبرك الطلول
ومن سفه سؤالك رسم دار * مضى لعفائه زمن طويل
فان تك أصبحت قفرا خلاء * لعينك فى مغانيها همول
فقدما قد نعمت قرير عين * بها وبربعها الرشأ الكحيل

وقال أبو عبد الله بن الخياط الاندلسى الاعمى

لو كنت تعلم ما بالقلب من نار * لم توقد النار بالهندى والغار
يادار علوة قد هيجت لى شجنا * وزدتنى حرقا حييت من دار
لم بت فيك على اللذات معتكفا * والليل مدرع ثوبا من القار
كأنه راهب فى المسح ملتحف * شد الجدل له وسطا بزنار
يدير فيه كؤس الراح ذو حور * يدير من لحظه ألحاظ سحار

ولا بد فى التفجع على الديار والتوجع للدمن والآثار على قول البحترى من قصيدة رثى بها المتوكل

محل على القاطول أخلق داثره * وعادت صروف الدهر جيشا تغادره
كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت * تراوحه أذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده * ترق حواشيه ويونق ناضره
تغير حسن الجعفرى وأنسه * وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة * فعادت سواء دوره ومقاصره
اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى * وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه * واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستائره
وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبن فيه الخلافة طلقة * بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها * وبهجتها والعيش غض مكاسره
فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت * بهيبتها أبوابه ومقاصره
واين عميد الناس فى كل نوبة * تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وعلى قول أبى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبع حططت الرحل فيه * بحيث الظل والماء القراح
تخرم حسن منظره مليك * تخرم ملكه القدر المتاح

كلام كثير فيما ذكر واستدلالهم على هذا انما هو عما يحدث فى استقص الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القصة أن يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودى) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت فى الوصف وأطنبت فى المدح فقال خاقان ملك الترك البازى شجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازى رقيق يحسن الاشارة لايؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازى ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت العلماء سنة حسبك من البازى نزعه فى المطالب والرزق فى السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لسرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد فى غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازى لقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا تؤتى الجوارح الامن قصر القوادم الا ترى الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسيجاس البازى طير عارى الجناب وما

خبر به ماجد وله بكاء * عليه وشد وطائره نواح

وهذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على ما فعلت بها أيدي الزمن كثير جدا لا يعرف البحث عنه له حدا وذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها وحنينها إلى أماكنها التي هي مواضع أمرائها وهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة وجعلناه تبعة يشفي المشوق بها غليله وقد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم أنه لا يجدي ولا يدفع عادية الدهر الخؤون ولا يعدي ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب المجرع لصاحبه الصاب والأوصاب قال أبو عمر بن عبد البر

عفت المنازل غير أرسم دمنة * حييتها من دمنة ورسوم

كم ذا الوقوف ولم تقف في منسك * كم ذا الطواف ولم تطف بحريم

فكل الديار إلى الجنائب والصبا * ودع القفار إلى الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار * (رجع إلى قرطبة فنقول) وقد ألم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة وبعض أوصافها في كتاب له كتبه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملته في الباب الخامس من القسم الثاني فليراجع ثمة ونص محل الحاجة منه هنا ثم كان الغزو إلى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل والكرسي الذي بعصاه موسى الهمل والمصر المعمور الذي في خطه الناقة والجمل والأفق الذي هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل تخيم الإسلام في عفرتها المستباحة وأجاز نهرها المغني عن السباحة وعم دوحها الأشب بوارا وأدار أعلات بسورها سوارا وأخذ مخنقها حصارا وأعمل الصبر بشجرة أصلها اجتثاثا واهتصارا وجدل من أبطالها من لم يرض انحجارا فأعمل إلى المسلمين إصحارا حتى قرع بعض جهاتها غلابا جهارا ورفعت الأعلام إعلاما بعز الإسلام وإظهارا فلولا استهلال الغوادي وأن آتي الوادي لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادي ولقضى تفثه العاكف والبادي انتهى * (ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى في وصف هذه الغزوة لسلطان بني مرين على لسان صاحب الأندلس ما صورته) * المقام الذي نطالعه بأخبار الجهاد ونهدي إليه عوالي العوالي صحيحة الإسناد ونبشره بأخبار افتتح البعيد الآماد ونسأل الله تعالى دوام الإسعاد والإمداد ونرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد وامتدادا يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحداد وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والأجداد مقام محل أخينا الذي نستفتح له بالفتح الظهور ونهدي إلى مجده لما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ونستظهر بملكه المؤيد المؤمل ومجده المشهور وننوع منهما العدو والحبيب المذخور والولي المنصور السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى عالي القدر قرير العين منشرح الصدر ولا زال حديث فخره سائرا مسير الشمس والبدر معظم سلطانه الخليق بالتعظيم الواثق منه بالدرج الكريم المثني على مجده الصميم وفضله العميم أمير المسلمين عبد الله

الغني

يفوته في كسوره بزيد في أجنحته ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير في الجزء الذي فيه من الحرارة التي ليست في شيء منها وجد باصعد ربما منسوجة بالعصب لا لحم عليها وفي حبوس مرتبا سدهب إليه أرسطاطاليس أن النبازي لا تتخذ وكرا إلا في شجرة بعيدة مشتبكة بالشوك مختلفة الحجر بين شجر عني ضد لذلك ودفعا لأذى الحر والبرد فإذا أراد أن يفرخ بني لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل إليه منه مضرة ولا ثلج ولا شيء فأعلى نفسه وفراخه من البرد وذكر الأدهم بن محرز أن أول من لعب بالعصفور الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندي وهو ابن كندة وأنه وقف يوما بقانص وقد نصب حبالة للعصافير فانقض أكدر على عصفور منها قد علق فعلقه الأكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الأجدل يحمل العصفور وقد علق وحمل الملك فأتي به وهو يأكل العصفور فرمي به في كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر وإذا رمي إليه طعاما أكله وإذا رأى لحما نهض إلى يد صاحبه ثم دعي فأجاب فطعم على المدو وكانوا يتباهون بحمله إذ رأى يوما حمامة فطار إليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها فبينما الملك يسير يوما إذ

الغني بالله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم برعميم يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد وملهم الرشاد ومكيف الاسعاف والاسعاد الولي النصير الذي نلجأ الى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ونمد الى انجاده وامداده أيدي الاعتداد ونرفع اليه أكف الاستمداد ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد فنعرف عوارف الفضل المزداد ونجتني ثمار النصر من أغصان القنا المناد ونجتلي وجوه الصنع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الاشهاد ونتفيأ ظلال الجنة من تحت اوراق السيوف الحداد والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبي الهاد رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ونبي الرحمة الهامية العهاد أكرم الخلق بين الرائح والغاد ذي اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة في يوم التناد الذي بجاهه نجدع انوف الآساد يوم الجلاد وببركته ننال أقصى الامل والمراد وفي مرضاته نتصل أسباب الوداد فنعود بالتجر الرابح من مرضاة رب العباد ونستولي في ميدان السعادة المعادة على الآماد والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الامجاد دعائم الدين من بعده وهداة العباد انجاد الانجاد وآساد الآساد الذين ظاهروه في حياته بالحلوم الراجحة الاطواد والبسالة التي لم تنل بالاعداد في سبيل الله والاعداد حتى تبوأ الاسلام في القواعد الشهيرة والبلاد وأرغموا أنوف اهل الجحد والالحاد فأصبح الدين رفيع العماد منصور العساكر والاجناد مستصحب العز في الاصدار والايراد والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذي يغني عن اختيار الطوالع وتقويم الميلاد والنصر الذي تشرق أنباؤه في جنح ليل المداد والصنع الذي تشرع له أبواب التوفيق والسداد من حمراء غرناطة حرسها الله واليسر يدوط المهاد والخير واضح الاشهاد والحمد لله في المبدا والمعاد والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ومقامكم الذخر الكافي العتاد والمرد المتكفل بالانجاد والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ووالى نصركم وعضدكم وعددكم وعددكم وبلغكم من فضله العميم أملكم وقصدكم فانا نؤثر تعريفكم بنافه المتزيدات ونورد عليكم اشتات الاحوال المتجددات اقامة لرسم الخلوص في التعريف بما قل ومودة خالصة في الله عز وجل وكيف اذا كان التعريف بما تهتز له منابر الاسلام ارتياحا لوروده وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده والمكرمات البديعة الصفات في وجوده وهو أننا قدمنا اعلامكم بما نويناه من غزو مدينة قرطبة ام البلاد الكافرة ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة والقطر الذي عهده بالمام الاسلام متقادم والركن الذي لا يتوقع صدمة صادم وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب على كل رئيس بئيس وهزبر خيس وذي مكر وتلبيس ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه وأتباع على المنشط والمكره تطيعه فاستدعينا المسلمين من أقاصي البلاد واذعنا في الجهات نفير الجهاد وتقدمنا الى الناس بسعة الازواد وأعطينا الحركة التي يخلف المساون فيها وراءهم جمهور الكفر من الاقطار والاعداد حقها من الاستعداد واقتضينا العطاء والاستلحاق والاستركاب في أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد فحشر الخلق في صعيد

نفحت أرنب فطار الصقر اليها فاخذها فطاب بها الطير فقتلها واتخذها العرب بعده حتى استفاضت في أيدي الناس فأما الشواهين فان ارجداس الحكيم ذكر في كتاب كان وجهه الى المهدي حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه الملك أن ملكا من ملوك الروم يقال له سنان نظر يوما الى شاهين يهوي متحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعا في الهواء حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة انحدار على الطير في الماء وارتفاع ويدل لما سرعة انحداره وارتفاعه في جو السماء على انه طير أليف فلما رأى حسن ذلك اراده أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد ابن عفير عن هشام بن محمد قال خرج قسطنطين ملك عمورية متصيدا بالمراة حتى انتهى الى خليج قسطنطين الجاري الى بحر الروم وعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد فنظر الى شاهين ينكدر على طير الماء وعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ولم يدر الحيلة في صيده وامر ان يصطاد له فضراه وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروشا بالوان الزهر فقال هذا موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك

وأعدوا لاهبة وازينة فى عيد سعيد وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعيد
او زحلنا وفضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل وخيمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى
الناس آربهم واستكملوا أسرابهم ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد
ونماه وأبعد فى التماس ما عنده من الاجر مستماها وعندما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون
بغرة مزملى نصرنا وانجادنا ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ومقتضى دين كدحه باعانتنا
اياه وانجادنا قد نزل بظاهرها فى محلات ممن استقر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله
حكم جماعته فكان لقاؤنا اياه على حال اقرت عيون المسلمين وتكفلت باعزاز الدين ومجملها
يغنى عن التعيين والشرح والتبيين ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم وأشك
فى حال اليقظة خيالهم من جموع تسد الفضا وأبطال تقارع أسد الغضى وكتائب منصورة
ورايات منشورة وأمم محشورة تفضل عن مرأى العين وتردى العدو فى مهاوى الحين فاعترفوا
بما لم يكن فى حسابهم واعتبر فى عزة الله سبحانه أولوا ألبابهم واذا كثر الله تعالى العدد
تعاون كا واد أزاح العلل ما اعتذر عار ولا اشتكى وسالت من الغد الاباطح بالاعتراف
وسمت الهوادى الى الاستشراف وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهادية والاطراف
وأحكمت التعبية التى لا ترى العين فيها خللا ولا يجد الاعتبار عندها دخلا وكان النزول
على فرسخ من عدوة النهر الاعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعده فيها وأعادها
الى عهدها فى الاسلام وشعارها ومحا ظلام الكفر من آفاقها بأهله الاسلام وأنوارها وقد
برزت من حاميها شوكة سابغة الدروع وافرة الجموع واستمت من اسوار القنطرة
العظمى بحمى لا يخفر وأخذ عقابها من الحماة والكماة العدد الاوفر فبادر اليهم سرعان
خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع والمصال والمصاع وخالطوهم هبرا بالسيوف
ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيدا واذاقوهم وبالا شديدا وجدلوا منهم جملة وافرة
وأمة كافرة وملكوا بعض تلك الاسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عزماتهم
الصادقة واقتحم المسلمون الوادى سيما فى عمره واستهانة فى سبيل الله بأمره وخالطوا
حامية العدو فى ضفته فاقتلعوها وتعلقوا بأوائل الاسوار ففرعوها فلو كنا فى ذلك اليوم
على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل البلد وملك الاهل والولد
لكن أجار الكفار من الليل كافر وقد هلك منهم عدد وافر ورجع المسلمون الى محلاتهم
ونصر الله سافر والعزم ظافر ومن الغد خضنا البحر الذى جعلنا العزم فيه سفينا والتوكل
على الله للبلاغ ضمينا ونزلنا من ضفة القوى العزيز منزلا عزيزا مكينا بحيث يجاوز سورها
طنب القباب وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب وبرزت حاميتها على متعددات
الابواب مقيمة أسواق الطعان والضراب فآبت بصفقة الخسر والتباب والمباشر عنا فى
قتالها ورتبنا اشتات النكايات لنكالها وان كنا لم نبق على مطاولة نزالها أنزل الله المطر
الذى قدم بعهاده العهد وساوى النجد من طوفانه الوهد وعظم به الجهد ووقع
الابقاء على السلاح والكف بالضرورة عن الكفاح وبلغ المقام عليها والاخذ بمخنقها
والثواء لديها خمسة أيام لم تخل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب من دفاع عليها وقراع

اروم سفين بزهلانى هذا وما كان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ما ذكر
من السبب ابتداء بناء القسطنطينية وقد ذكرنا بمروج الذهب الزبد الجوهرى انه
كان من رسم ملوك الاندلس الارازقة انه اذا ركب
الملك منهم صارت الشواهين
فى الهواء مظلة عليه مرفرفة
على موكبه ... بسيره
وترجع أخرى معدة لذلك
... موضعنا فى حال
سيره حتى ... حوله
الى أن ركب يوما ملك منهم
وصارت الشواهين معه على
موضعها ... صارت طائرا
فنهض عليه شاهين واحده
فعجب بذلك الملك وصيرها
على الصيد فكان أول من
تصيد بها بالمغرب وبلاد
الاندلس (من المسعودى)
وكذلك ذكر جماعة من
أهل العلم بهذا الشان انه
كان أول من لعب بالعقبان
أهل المغرب لما نظر الروم
الى شدة شرها وادراك
سلاحها وانما حكمها هم هذه
التى لا يقوم خيرها بشرها
وذكر أن قيصر أهدى الى
كسرى عقابا وكتب اليه
يعلمه أنها تعمل أكثر من
عمل الصقر الذى أعجبه
صيده فارسلها كسرى
وسلت على ظبى عرض
فدققته وعجبه ما رأى منها
فانصرف مسرورا بخوعها
الصيد بها فوثبت على صبي له فقتلته وقتل كسرى وترنا قيصر فى أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى وانفذ

وأنفذت مقاتل التماثر أنقابا وارتقب الفتح الموعود ارتقابا وفشت في أهلها الجراح والعيث الصراح وساءهم المساء بعزة الله والصباح ولولا عائق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتاح وصرفت الوجوه الى تخريب العمران وتسليط النيران وعقر الاشجار وتعفية الآثار وأتى منها العفاء على المسر الشهير فى الامصار وتركت زروعها المائحة عبرة للابصار ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حدادا ونكس من طغاتها احيادا فاعتادت الذل اعتيادا وألفت الهون قيادا وكادت أن تستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعادا وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها ممن يبارز ويناضح ويماسى بالناس ويصابح على عدد جم اخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم ونبهت علاماتهم على نباهاتهم وظهر اقدام المسلمين فى المعتركات وبروزهم بالحدود المشتركات وتنفيلهم الاسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب وكان القفول وقد شمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول وراع الكفر العز الذى يهول والاقدام الذى شهدت به الرماح والخيول وخاض المسلمون من ذرع الطرق التى ركبوها والمنازل التى استباحوها وانتهبوها بحورا بعد منها الساحل وفلاة موركة تتعدد فيها المراحل فصيروها اصرما وسلطوا عليها النار غرما وحلوا بظاهر حصن اندجر وقد أصبح مالف ادمار عير أوشاب ووكر طير نشاب فلم يلوموا راسه صعبا وابراجه ملئت حرسا شديدا وشهبا ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه فسلطنا العفاء على ساحه وأغرينا الغارات باستيعاب ما بأحوازه واكتساحه وسلطنا النار على حرثه وبطاحه والصقنا بالرغام ذوائب أدواحه وانصرفنا بفضل الله والمناصل دامية والاجور نامية وقد وطئنا المواطئ التى كانت على الملوك مبلنا بسلا ولم نترك بها حرفا برفد ولا نسلا ولا ضرعا برسل رسلا والحمد لله الذى يتم النعم بحمده ونسأله حلة النصر فما النصر الا من عنده عرفنا كم بهذه الكيفيات الزكية الصفات والصنائع الروائع التى بعد العهد بمثلها فى هذه الاوقات علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات فانكم سلالة الجهاد المقبول والرفد المبذول ووعد النصر المفعول ونرجو الله عز وجل أن ينتقل خيالكم للمعاهد الجهادية الى المعاينة ونصر الملة المحمدية وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة الاصنام ويتم النعمة على الانام وودنا لكم ما علمتم يزيد على ممر الايام والله يجعله فى ذاته لكم متصل الدوام مبلغا الى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن هذا المنحى) ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ونصه المقام الذى أحاديث سعادته لا تمل على الاعادة والتكرار وسبيل مجادته الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار وأخبار صنائع الله لملكه ونظم فرائد الآمال فى سلكه تخلدها أقلام الاقدار بمداد الليل فى قرطاس النهار وترسمها بتذهيب الاسفار فى صفحات الافطار وتجعلها هجيرى جلاء الاسفار وحداة القطار فى مسالك الاقطار مقام محل اخينا الذى نلذ اعادة هنائه مع الاعادة ونتلقى أنباء علائه بالاذاعة والاشادة ونطرز بأعلام ثنائه صحائف المجادة ونشكر الله أن

قيصر غرا وكتب انه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش وكتب ما صنعت العقاب فاعجب قيصر حسن النمر وطابق صفته وصف من العهد وعمل عنه تماثيل بعد حين فهذا ما كان بين ... كسرى فان كما قد حصرناه فلا باس هذا وقد تعلق بنا الكلام عند ذكرنا جرجان وجزائره الى الكلام فى انواع الجوارح واشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يليه السور والامم وجبل الفتح وقد قلنا ان شر الملوك ممن جاورها من الامم مملكة حيزان وملكهم رجل مسلم يزعم انه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وليس فى مملكته مسلم غيره وولده واهله وارى ان هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة حيزان وبين الباب والابواب اناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية فى آجام هناك وغياض واودية وانهار كبار من قرى قد سكنوها واقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذى افتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من وادى العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيزان الا انهم ممتنعون بتلك الاشجار والانهار وهم على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والابواب واهل

وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة ما رجح فى ميزان الاعتبار أخوة الولادة وعرفنا
بيمن ولايته عوارف السعادة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
أبقاه الله تعالى فى أعلام الملك السعيد بيت القصيد ووسطى القلادة ومجلى الكمال الذى
بارى عيدار بأسه وجوده جندا الابادة والافادة ولازالت آماله القاصية تنثال طوع
الارادة وعن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح والعز الممنوح بين الحسنى والزيادة معظم
سلطانه العالى المثنى على مجده المرفوع اساده فى عوالى المعالى المسرور بما يسنيه الله له
من الصنع المتوالى والفخر المقدم والتالى أمير المسلمين عبد الله الغنى بالله محمد بن أمير
المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر أيد الله أمره وأسعد نصره
سلام كريم يتأرج فى الآفاق شذا طيبه ونسيم فى ذروة الود بلاغة خطيبه ويتضمن نوره
سواد المداد عند مراسلة الوداد فيكاد يذهب بعبوسة المجهول وتقطيبه ورحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله فاتح الابواب بعد ما سد الاسباب مهما استصعبت ومسير الامور بحكم المقدور
اذا أجهدت الحيل وأتعبت محمد نيران الفتن ما التهبت وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت
وتشعبت ومسكن رجفان الارض بعد ما اضطربت ومحييها بعهاد الرحمة مهما اهتزت
وربت اللطيف الخبير الذى قدرت حكمته الامور ورتبت منهى كل نفس الى ماخطت
الاقلام عليها وكتبت ونفت وأوجبت وشاءت وأبت ومجازيها يوم العرض بما كسبت
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما تألفت وتألبت وجالب
الحتف اليها عند ما أجلبت رسول الملحمة اذا الليوث وثبت ونبى الرحمة التى هيأت النجاة
وسببت وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت ومداوى القلوب المريضة وقد
انكبت وانقلبت بلطائفه التى راضت وهذبت وقادت الى الجنة العليا واستجلبت وادت
عن الله وأدبت الذى بجاهه نستكشف الغماء اذا طنبت ونستوكف النعماء اذا
أخلفت البروق وكذبت ونتعادى فى طاعته ابتغاء الوسيلة الى شفاعته فنقول وجبت حسبما
ثبت والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه التى استحقت المزية المرضية واستوجبت
لما انتمت الى كماله وانتسبت وببذل نفوسها فى الله ومرضاته تقربت والى نصرته وحمايته
انتدبت والمناصل قد رويت من دماء الاعداء وأخضبت وخلفته فى أمته بعد مماته بالهمم
التى عن صدق اليقين اعربت فتداعت لمجاهدة الكفار وانتدبت وابعدت المغار
وادربت حتى بلغ ملك أمته أقاصى البلاد التى نبت فكسرت الصلب التى نصبت ونعلت
التيجان التى عصبت ماهمت السحب وانسحبت وطلعت الشمس وغربت والدعاء
لمقامكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت الكتائب وتكتبت والفتح المبين كلما ركبت
عقائل المواعد اذا خطبت والصنائع التى مهما احدقت فيها العيون تعجبت أوجالت فى
لطائفها الافكار واستطابت مذاق الشكر واستعذبت حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد
اقتربت فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم أغيا ما سألت الالسن السائلة واستوعبت من
حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وجنود الله بفضل الله تعالى ونعمته قد غلبت وفتحت
وسلبت وأسود جهاده قد أردت الاعداء بعد ما كلبت ومراعى الآمال قد أخصبت

والحمد

بلده بالكرخ وهم اصحاب
الاعمدة وكل ملك يلى هذه
المملكة يدعى مدرمان
ثم يلى مملكة مدرمان مملكة
يقال لها غميق واهلها اناس
نصارى لا ينقادون الى
ملك ولهم رؤساء وهم
مهادنون لمملكة اللان
ثم يليهم مما يلى السور
والجبل مملكة يقال لها
زريكران وتفسير ذلك عمال
الزرد لان أكثرهم يعمل
الزرد واللجم والسيوف
وغير ذلك من أنواع الحديد
وهم ذوو ديانات مختلفة
مسلمون ويهود ونصارى
وبلدهم بلد خشن قد
امتنعوا لخشونته على من
جاورهم من الامم ثم يلى هؤلاء
مملكة السرير وملكها يدعى
فيلان شاه يدين بدين
النصرانية وقد ذكرنا فيما
سلف من هذا الكتاب انه
من ولد بهرام جور وسمى
صاحب السرير لان يزدجرد
وهو الآخر من ملوك ساسان
حين ولى منهزما قدم سرير
الذهب وخزائنه وأمواله
مع رجل من ولد بهرام
ليسير بها الى هذه المملكة
فيحرزها له الى وقت
موافاته ومضى يزدجرد الى
خراسان فقتل هناك وذلك
فى خلافة عمر رضى الله عنه
على ما ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ممن تقدم انقضى ذلك الرجل فى هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك

والحمد لله حمدا يجلو وجوه الرضا بعدما احتجبت ويفتح أبواب المزيد كلما استقبلها الامل رحبت والشكر لله شكرا يقيد شوارد النعم مما أبقت وما هربت والى هذا وصل الله لمقامكم أسباب الظهور والاعتلاء وعرفكم عوارف الآلاء على الولاء فانه لما ورد علينا كتابكم البر الوفادة الجم الافادة الجامع بين الحسنى والزيادة جالى غرة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة وواهب المنن المتاحة وواصف النعم المعادة وأوفدتم من رقه المنشور على تحف سنية وأماني هنيئة ولطائف للنصر جنية ضمنت سكون البلاد وقرارها وأن الله قد أذهب الفتن وأوارها وأخمد نارها ونضح عن وجه الاسلام عارها وجمع الاهواء على من هويته السعادة بعد أن أجهد اختيارها فأصبح الشتيت مجمعا وجمع الجماح مرتفعا والجبل المخالف خاشعا متصدعا وأصبح فى العباد من كان ممتنعا واسترفقت الطاعة ونجحت السنة والجماعة وارتفعت الشناعة وسكنت البلاد المكرهة بأديان وليها لما رأته وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعدما أنكرته أجلنا جياد الاسلام فى ملعب الهناء وميدانه لاول أوقات امكانه على بعد مكانه وجهدنا عبارة الكلام فى اجلال هذا الصنع وتعظيم شأنه وأغرينا الثناء بتسنيم مجدكم فى شرحه لما أو بيانه رأينا أن لا نكل ذلك الى اليراع ونفرده فيه بالاجتماع وما يتعاطاه من مد الذراع وأن نشد بردء من المشافهة أزره ونقصد تبيين من اللسان أمره فعيننا لذلك من يقوم مقامه أكمل ويعهد المقصد المعمل حتى يجمع بين اغراض البر والعلن منه والسر ويقيم شتى الادلة على الوداد المستمر ووجهنا فى عرض الرسالة به اليكم والخبر بالشرح بين يديكم خطيب الوفود وبركة المشايخ فى هذا المقام المحمود الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج وصل الله حفظه وأجزل من الحمد واللطف حظه وهو البطل الذى لا يعلم الاجالة فى الميدان ولا يضرب طائف ذلك الشأن ومراد نامنه أن يطيل ويطنب ويحمل فى وصف تحاسنكم اللسان الرطب ويقرر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذى قام على الحب المتوارث أساسه واطراد حكمه وانتج قياسه وليجعل تلو مقصد الهناء بحلكم الباهر السناء الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والغناء وجه الهمم والاعتناء على مر الآناء ما تجدد لدينا من الانباء فى جهاد الاعداء وان كان رسولكم أعزه الله تعالى قد شارك فى السرى والسير وبين الطير وأغنى فى الحكاية عن العير ولا سيرى فى الخير وهو أنه لما اسر فنا من منازلة قرطبة نظر اللحشود التى نفذت معدات أزوادها وشابت بهشيم الغلة المستغلة مفارق بلادها واشفقنا من افساد أدوانها بفوات أوقاتها رحلنا عنها وقد انطوينا من اعفاء أكثر تلك الزروع الهائلة الفروع الهائلة الروع على هم ممض وأسف للمضاجع مقض اذ كان عادل المطر يكف ألسنة النار من المبالغة فى التهابها وحلاق اهابها ونفض أغوارها ونهب شوارها واذاعة أسرارها وهى البحور المتلاطمة اذا خطمتها الرياح الحاطمة واللجج الزاخرة اذا حركتها السوافى الماخرة تود العيون أن تحدى حدودها القاصية ولا تطيق والركائب الرازحة أن تشرف على غاياتها فينقطع عن مراحلها الطريق قد جللها الربيع أرزاقا تغص بها الخزائن والاطباق وحبونا مفضله

فى عقبة فسمى صاحب السرير ودار مملكته تعرف بخرج وله اثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من شاء وله بلد حشر مسيح شرقيه وهو شعب من جبل الفتح وهو يغير على الخزر فيستظهر عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم تلى هذه المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكذلك فيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة ينتقل فى السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما أخت الآخر وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية قد اعتقدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم وبين ملك اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس

 ط ل الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب ورتب فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان من الوصول

لا يررؤها الانعاد والانفاق ولو اعتصمت على انتسافها الآفاق خففا في سبيل الله لتعقيب غزو تلك الاقطار الخافقة بمحق الصائفة واعانة تلك الطائفة بكلوم الجماع الجائفة حتوفا فلم تقنع فيه بالاستنابة حرصا على استئصال الصبابة وأعفينا الرحل من اتصال الكد وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد وأطللنا على قرطبة بمحلاتنا تنسف الجبال نسفا وتعم الارض زلزالا وخسفا ونستقري مواقع البذر احتراقا ونخترق أجوابها المخترقة بحب الحصيد اختراقا ونسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مدت من الشواظ أعناقا ونوسع القرى الواسعة دكا واستغراقا وندير على مستديرها كؤوس الحتوف دهاقا وأحدقت النيران واديها الاعظم من كلا جانبيه حتى كأن العيون أحدقت بسكته فتشكلت واذابت صفحته فسالت وأتت الكفار سماؤهم بالدخان المبين ودار الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منقبة الخيام معصبة الجبين وخضنا أحشاء الغريرة بعد أن أشبت النعم انتسافا وأقوات أهلها اتلافا وآمال سكانها اخلافا وقد بهتوا لسرعة الرجوع ودهشوا لوقوع الجوع وتسبيب تخريب الربوع فمن المنكر البعيد أن يتأتى بعد عمرانها المعهود وقد اصطلم الزرع واجتث العود وصار الى العدم منها الوجود وراوا من عزائم الاسلام خوارق تشذ عن نطاق العوائد وعجائب تستريب فيها عين المشاهد اذ اشتمل هذا العام المتعرف فيه من الله تعالى الانعام على غزوات أربع دمرت فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مرافيها الاذان عزا جهيرا وضويقت كراسي الملك تضييقا كبيرا وأديلت وبالا سيرا ورياح الادالة ان شاء الله تعالى تستأنف هبوبا وبأسا مشبوبا والثقة بالله قد ملأت نفوسا مؤمنة وقلوبا والله سبحانه المسؤل أن يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الاكباد وأبهظت الطوق المعتاد وابهجت المشيم والمرتاد فبالشكر يستدر فريدها ويتوالى تجديدها وقطعنا في محوجة تلك العمالة المستبحرة العمارة والفلج المعي وصفها عن الشرح والعبارة مراحل ختمنا بالتعريج على حرب جيان حزبها ففللنا ثانية غربها وجددنا كربها واستوعبنا حروقها وخربها ونظمنا البلاد في سلك البلاء وحثثنا في أنجادها وأغوارها ركائب الاستيلاء فلم نترك بها ملتقط طير فضلا عن معاف عير ولا أسأرنا لعلها المحروب الا لاخير وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى التي منها الكباد المدد والعدد والعدد وفيها الخصام واللدد قد لبست الحداد حريقا وسلكت الى الجلاء والجلاء طريقا ولم نترك لها مضغة تخالط ريقا ولا نعمة تصون من الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله تعالى من عنصري النار والهواء بجنود كونه الواسع ومدركه البعيد الشاسع لتولى الايدي البشرية تغريبها ولا ترزأ كثيرها الا الاستمتاع بالاعتراف غديرها بل لله القدرة جميعا فقدرته لا تحامى ربعا ولا تحمي مربعا مبعا وعدنا والعود في مثله أحمد وقد بعد من شفاء النفوس الامد ونسخ بالسرور الكمد ورفعت من عز الاسلام العمد والحمد لله حمد الشاكرين ومنه نلتمس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين عرفناكم به ليسر دينكم المتين ومجدكم الذي راق منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويبلغكم أملكم من فضله وقصدكم

ثم الاعلى هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل الى جبل الفتح ولا طريق الى فتحها والوصول اليها الا باذن من ديهيا وهذه القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تنبع في وسطها من اعلى هذه الصخرة وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد ذكرتها الفرس في أشعارها وما كان لاسفنديار بن كشتاسب في بنائها ولاسفنديار في الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الامم وهو السائر الى بلاد الترك وخرب مدينة الصفر وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذي لا يرام وبها ضرب الفرس الامثال وما كان من أفعال اسفنديار وما وصفنا قد ذكر في الكتاب المعروف بكتاب السيكسن نقله ابن المقفع الى لسان العرب وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل الى هذا الصقع ووطئ اهله أسكن في هذه القلعة أناسا من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع وربما يحمل اليهم الرزق وأقوات من البر من ثغر تفليس وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام كبار ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادي وصاحب

عنه وطوله والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (رجع الى ما كنا بسبيله) من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها البديع الاتقان والوصف فنقول قد شاع وذاع على ألسنة الجم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلثمائة ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وهذا شئ لم أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له لانه من أعجب ما يستفرع مع أنهم ذكروا ما هو دونه فالله أعلم بحقيقة الحال في ذلك وستأتى في الباب السابع رسالة الشقندى الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الطم والرم وقد ذكرنا في الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فاغنى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندى تكرر فيها بعض ما ذكرناه لانا لم نرد أن نخل منها بحرف فاتينا بها بلفظها وان تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح للمنصف المغضى والله نسأل سلوك السبيل الذى يرضى بمنه وكرمه * وقال صاحب نشق الازهار ان في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وبه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون قيل أوحكم عمله في سبع سنين وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققى المؤرخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلة اطلاعى وهو عندى بعيد لانه لو كان لذكره الائمة * وقد حكى عياض في الشفاء أشياء وجد فيها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هذا ويستبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره والله تعالى اعلم بحقيقة الامر * وقال في موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وهى على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامى وبها الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن الشاذنج وهو حجر من شانه أن يقطع الدم وكان يجلب منها البغال التى تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوها الزائد انتهى * (رجع الى أخبار البنيان) ولا خفاء أنه يدل على عظم قدر بانيه ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المروانى بانى الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض ينسبهما لغيره وسيأتيان في ترجمة نور الدين بن على منسوبين

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان

ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين مما يكتب على أبراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت الكبير الحى والميت القاضى عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقى وضمنها بيتى الناصر المذكورين

زر مجلسا أضحى اعز مكان * ومحل أهل العلم والعرفان

المجد خيم في ذرى أبراجه * والسعد عبد الباب طول زمان

اللان يركب في ثلاثين ألف فارس وهو ذو منعة وبأس شديد ودو سياسة بين الملوك ومملكته عمائرها متصلة غير منفصلة اذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العمائر واتصالها ثم يلى مملكة اللان أمة يقال لها كشك وهم بين جبل الفتح وبحر الروم وهى أمة مطيعة منقادة الى دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم في هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا ولا أحسن نساء ولا أقوم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وأردافا ولا أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ولباسهم البياض والديباج الرومى والسقلاطونى وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبياضهم أنواع من الثياب يصنع من العسب فيها نوع يقال له الطلى أرق من الدبيقى وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما يليهم من الاسلام وقد تشمل هذه الثياب من جاورهم من الامم الا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع في البحر الذى هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر نيطش الا أنهم يقربون في البحر من بلاد

منها فى المراكب وتتجهز من قبلهم أيضا والعلة فى ضعفهم عن الالات ترهم

كأنه لم فوق البناء وأرضه * مفروشة بالدر والعقيان
بيت به فخر البيوت لانه * بيت القصيد ومنزل الضيفان
مغنى فسيح فيه معنى مفرح * عن قدر بانيه بغير لسان
تدعو لبعض ذوى الفضائل قبلنا * قولا بديعا واضح التبيان
هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان
قد شاده من ساد أهل زمانه * بالاصل والافضال والرجحان
ورث السيادة كابرا عن كابر * وسما برفعته على كيوان
قاضى القضاة ومفخر العصر الذى * قد جاء فيه سابق الاقران
فى العلم بحر لا ينال قراره * فى الحكم مثل مهند وسنان
يروى عطاء عن يديه قد اقتفى * آثار آباء ذوى احسان
لازال يبقى شائدا بيت العلا * وعدوه فى الوهن والنقصان
يا أيها المولى الذى يجرى مع الاقبال والاسعاد طلق عنان
دم شامخ المقدار مرتفع البنا * والناس تحت رضاك كالغلمان
متمتعا ببنيك سادات الورى * فى عز رب دائم السلطان
ما رجع القمرى فى تغريده * فى الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضى عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالى الهمة تضيق يده عما بيده فلذلك كان كثيرا ما يبث شكواه فى الطروس والدفاتر و يعتب على الزمان الذى أخنى على أهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر و يرحم الله القائل

هذا زمان دريهمى لا غيره * فدع الدفاتر للزمان الفاتر

فمن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا وأدمج شكوى الزمان الذى كان من شماتة الاعداء به حذرا

ابطأت فى ذا الجزء يا سيدى * كتابة من جور دهر بغيض
صابرته فالجسم منى لقى * تجلدا والقلب منى مريض
فاذا أبى الاتلاف وقد * أحلنى منه محل النقيض
واقتادنى قسرا الى مصرع * قد رق منه اللحم والعظم هيض
سلمت للاقدار مستسرعا * لباب مولى ذى عطاء عريض
جوم صبر كنت أسطو به * على رزايا الدهر بالهم غيض
فلا تلم يا صاح من بعد ذا * اذا تمثلت بحال الجريض

ورأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبه جده القطب الخيضرى الحافظ لابراهيم بن نصر الحموى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه

يا زمانا كلما جا * وات امرا يمتنع
ان تعصبت فانى * باصطبارى أقتنع

دار بندة والعادة تتصل أن يملكوا عليهم ملكا يجمع كلمتهم ويراجعت كلمتهم لم يطقهم الملك ولا غيرها من الامم وتفسير هذا الاسم وهو فارسى الى العربية العنف وذلك أن الفرس اذا كان الانسان ناتهاء لما فاتوا تمشك وتلى هذه الامة التى على هذا البحر امة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان وهى أمة كثيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ولا نعى الى خبرها فى دينها وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب الى بحر الروم وقيل الى بحر مانطش ويقال لدار مملكة هذه الامة ارم ذات العماد وهم ذوو خلق عجيب وآراؤهما جاهلية ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك أن سمكة عظيمة تأتيهم فى كل سنة فيتناولون منها ثم توجد نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها وقد عاد اللحم على الموضع الذى أخذ منه اولا وخبر هذه الامة مستفيض فى تلك الديار من الكفار ويلى هذه الامة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب فى الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء فى وسط تلك الصحراء دارة مقورة كأنها قد خطت وهذه

وهذه توريه بديعه للغاية فى التعصب والتقنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن والله سبحانه يروح تلك الارواح فى الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان ويكفينا شجون دهر جرى بنا طلق العنان (رجع الى ما كنا فيه) وكنت وقفت فى كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى أمير المؤمنين الناصر المروانى رحمه الله تعالى قالهما فى الزهراء التى بناها وسيأتى ذكرها قريبا وقال الشيخ سيدى محيي الدين بن العربى فى المسامرات قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها مأوى الطير والوحش وبناؤها عجيب فى بلاد الاندلس وهى قريبة من قرطبة ابياتا تذكر العاقل وتنبه الغافل وهى

ديار بأكناف الملاعب تلمع * وما ان بها من ساكن وهى بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب * فيصمت احيانا وحينا يرجع
فخاطبت منها طائرا متغردا * له شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى * فقال على دهر مضى ليس يرجع

(ثم قال) وأخبرنى بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر ماتت له سرية وتركت مالا كثيرا فأمر أن يفك بذلك المال اسرى المسلمين وطلب فى بلاد الافرنج أسيرا فلم يوجد فشكر الله تعالى على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبها حبا شديدا اشتهيت لو بنيت لى به مدينة تسميها باسمى وتكون خاصة لى فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال أو نحو ذلك واتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء فى مجلسها نظرت الى بياض المدينة وحسنها فى حجر ذلك الجبل الاسود فقالت ياسيدى الاترى الى حسن هذه الجارية الحسناء فى حجر ذلك الزنجى فأمر بزوال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه أعيذ أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه لو اجتمع الخلق ما أزالوه حفرا ولا قطعا ولا يزيله الا من خلقه فأمر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر أحسن منها ولا سيما فى زمان الازهار وتفتح الاشجار وهى بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار وقال ابن خلكان فى ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته الزهراء بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الراء بعدها همزة ممدودة وهى من عجائب أبنية الدنيا انشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بنى أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة فى أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التى فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يقسم جبايته البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق المستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار وهى من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا واعظمه شأنا

ميلا دطع قديم يرى سعلا كما تضيبى من سفل الى علو كون قعره على نحو ميل طريق لا يدل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة فى مواضع مختلفة وبالنهار يرى قرى وعمائر وأنهار تجرى من تلك القرى وناس وبهائم الا أنهم يرون لطاف الاجسام لبعد محل الموضع لا ندرى من أى الامم هم ولا سبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الاربعة على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر بها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا أنهم ذوو شعور بما وقع فى النادر الفرد منهم اذا احتيل فى اصطياده فيكون فى نهاية الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالاشارة وربما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هنالك فيعلمه القيام على رؤسها بالمذاب

على موائدها ويلقى الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه وكذلك الى كثير من

ذكر ذلك كله ابن بشكوال في تاريخ الاندلس انتهى كلامه * وحكى في المطمح أن الوزير الكبير الشهير بالحزم بن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين التي تقوضت أبنيتها وعوّضت من أنيسها بالوحش اقطنها

قلت يوما لدار قوم تفانوا * أين سكانك العزاز علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا * ثم ساروا ولست أعلم أينا

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس وعرشت بسرور واتئناس وقرع النواقيس يبهج سمعه وبرق الحميا يسرج لمعه والقس قد برز في عبدة المسيح متوشحا بالزنار أبدع توشيح قد هجروا الافراح واطرحوا النعم كل اطراح لا يعمدون الى ماء بأيديهم الا اغترافا من الغدران بالراح وأقام بينهم يعملها حميا كأنما يرشف من كأسها شفتي لمياء وهي تنفح له بأطيب عرف كلما رشفها أعذب رشف ثم ارتحل بعد ما ارتحل فقال

ولرب حان قد شممت بديره * خمر الصبا مزجت بصرف عصيره
في فتية جعلوا السرور شعارهم * متصاغرين تخشعا لكبيره
والقس مما شاء طول مقامنا * يدعو بعود حولنا بزبوره
يهدي لنا بالراح كل مصفر * كالخشف خفره التماح خفيره
يتناول الظرفاء فيه وشربهم * لسلافه والاكل من خنزيره

انتهى * (رجع الى أنباء الزهراء) قال بعض من أرخ الاندلس كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل انتهى وسيأتي في الزهراء مزيد كلام وقال ابن حيان ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب ألفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة ألف ذراع وتسعون ألف ذراع كذا نقله بعضهم وللنظر فيه مجال فانه وكان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومؤنة حملها وجلب اليها الرخام الابيض من المرية والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية من اسفاقس وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلبه أحمد الفيلسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثنى عشر تمثالا وبنى في قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافي لونه المتلونة أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه اليتيمة التي اتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام

من القرد في مواضع سلوكهم به عند الطعام وقد ذكر جماعة القرود باليمن والنوع الحديد الذي لم يمض ابان ابن داود نحو هذا للقرود بالسيروسا تكن من أمرهم مع عامل معاوية وكتب به في أمره ووصف القرد العظيم الذي كان في وقفته اللارح الحديد وليس في قرود العالم أوصف من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون في بقاع الارض الحارة فمنها أرض النوبة وأعلى بلاد الاحابش مما يلي أعالي مصب النيل القرود المعروفة بالنوبية وهي صغير الكف صغيرة الوجوه ذات سواد شعرها كأنه نوبي وهو الذي يكون مع القرادين ويصعد على رمح فيصير الى أعلاه ومنها ما يكون في ناحية الشام في آجام وغياض نحو أرض الصنابلة ويبرها من هناك من الامم كثير وما وصفناه من هذا النوع من القرود وقرب شكله من صورة الانسان ومنها بخليجات بلاد الزانج وبحر الصين في مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن مملكته يوازي ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين وهذه القرود مشهورة في الصقع معروفة

الملون

الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيصير شعاعها في صدر
المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار وكان الناصر اذا أراد أن يفزع أحدا من
أهل مجلسه أومأ الى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من
النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس ان المحل قد طار بهم ما دام الزئبق
يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا
الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لأحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانما تهيأ لكثرة
الزئبق عندهم وكان بناء الزهراء في غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعمد كثير وأجرى
فيها المياه وأحدق بها البساتين وفيها يقول الشاعر السميسر

وقفت بالزهراء مستعبرا * معتبرا أندب أشتاتا
فقلت يا زهرا ألا فارجعي * قالت وهل يرجع من ماتا
فلم أزل أبكي وأبكي بها * هيهات يغني الدمع هيهاتا
كأنما آثار من قد مضى * نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا وبعضه يوافق ما قبله ويخالفه والله سبحانه أعلم بالامر
كله وربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد في بعض الاخبار تكرارا فيحمل ذلك على الغلط
وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعباراتهم والناقد البصير لا
يخفاه مثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من أجل ما ذكروا والله أعلم . وذكر غير واحد نحوه من
مجلس الناصر غير واحد مما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طليطلة المأمون
ابن ذي النون بها وذلك أنه أنفق فيه الى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة وصنع في وسطه بحيرة
وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة
بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل
بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري
والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع
عجيب وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة اذ سمع منشدا ينشد

أتبني بناء الخالدين وانما * مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الأراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فنغص عليه حاله وقال انا لله وانا اليه راجعون أظن أن الأجل قد قرب فلم يلبث بعدها غير شهر
وتوفي ولم يجلس في تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٢ تجاوز الله تعالى عنه هكذا حكاه
بعض مؤرخي المغرب ، وقد ذكرت في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة لفظ
ابن بدرون شارح العبدونية فليراجع ونذكر هنا قول أبي محمد المصري في صفة قصر طليطلة

قصر يقصر عن مداه الفرقد * عذبت مصادره وطاب المورد
نشر الصباح عليه ثوب مكارم * فعليه ألوية السعادة تعقد
وكأنما المأمون في أرجائه * بدر تمام قابلته أسعد
وكأنما الأقداح في راحاته * درجات داب فيه العسجد

بالكثرة في هذه الحجابات وهي ذات صور نامية وقد كان حمل الى المعتمد منها

وجاءت في ... عصام
وكان في البرود ...
و ... الكرام مع أنواع ...
الهدايا ...
حمل ذلك أحمد بن أبي ...
أمير عمان يوسف ...
البرود أمرها ...
... من أهل ...
وكان من ...
كله وارائح وكـ ...
بالحلة اصبعد ...
حوف الماء على أن الحا...
... كر أن ...
لا يكون الا ... مصر
وبها ...
...
الكتاب عن أصحاب ذلك
...
الماء فاما ...
... أن البرود
... واضح ...
لا ... ها ... الأمر في
وادي ... من ...
...
أميرها في هذا الوقت وهو
...
ابراهيم بن زياد صاحب
الحرملي ... هذا الرأس
... يوم ... الحمد
يوم أو أكثر من ذلك وهذا
الوادي كثير العماء .
ومصاب المياه اليه كثيرة
و... الموز فيه كثير
والبرود فيه كثير وهو
بين جبلين والبرود قطع ...

كل قصير مهابة وقهقهة والهدير كالرعد كالفحل العظيم المقدم بها وهذه البردة في بطن واحد منه ... من ...

وله في صفة البركة والقبة عليها

شمسية الانساب بدرية * يحار في تشبيهها الخاطر
كأنه المأمون بدر الدجى * وهي عليه الفلك الدائر

وكان ملوك الاندلس في غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيري رحمه الله تعالى في وصف مجلس للمنصور بن أبي عامر ما يشهد لذلك وهو قوله

وتوسطتها الجنة في قعرها * ثبت السلاحف ماتزال تنقنق
تنساب من فلكي هزبران يكن * ثبت الجنان فان فاه أخرق
صاغوه من ند وخالص فضة * هاديه محض الدر فهو مخلق
للياسمين تطلع في عرشه * مثل المليك غداة وهو مطوق
ونضائد من نرجس وبنفسج * وجني خيري وورد يعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من * طرب اليك بلا لسان تنطق
وعلى يمينك سوسنات أطلعت * زهر الربيع فهن حسنا تشرق
فكأنها هي في اختلاف رقومها * رايات نصرك يوم بأسك تخفق
في مجلس جمع السرور لأهله * ملك اذا جمعت قناه يفرق
حازت بدولته المغارب رفعة * فغدا يحسدها عليه المشرق

ومن هذه القصيدة

أما الغمام فشاهد لك انه * لا شك صنوك أو أخوك الاوثق
وافى الصنيع فحين تم تمامه * في الصحو أنشأ ودقه يتدفق
وأظنه يحكيك جودا اذ رأى * في اليوم بحرك زاخرا يتفهق

وكان السبب في هذه الابيات أن المنصور صنع في ذلك الاوان صنيع التطهير لابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق الى دينارين فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت في السماء سحابة عمت الافق ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر المنصور بن أبي عامر فقال الجزيري بديهة أما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامرية

حييتك يا قمر العلا والمجلس * أزكى تحيتها عيون النرجس
زهر تريك بحسنها وبلونها * زهر النجوم الجاريات الكنس
ملكن أفئدة الندامى كلما * دارت بمجلسهم مدار الاكؤس
ملك الهمام العامري محمد * للمكرمات وللنهى والانفس

قال ابن بسام ومن شعر الجزيري ما اندرج له أثناء مدحه الذي ملح فيه مخاطبة المنصور على ألسنة أسماء كرائمه بزهر رياضه فمن ذلك عن بهار العامرية

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في صفتي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون تمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شيء بي اذا شبهتني * درر تنطق سلكها دينار

العشرة والاثنى عشر كما تلد الخنزير خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ويحمل الذكر باقيهن ولهن مجالس يجتمع فيها حلق منهن فيسمع لهن حديث وتخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار المورقة بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح وهم جم للذكور والاناث قد سرحت سود كأسود ما يكون من الشعر واذا طلعوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ويتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء وقلعة كحلان ما يكون في برار وجبال هنالك كأنها السحب في تلك البرارى والجبال لكثرتها وكحلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن في هذا الوقت محتجب عن الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف مرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ويدعى وقت القبض البركة

أهدى له قضب الزمرد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حتى ابهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقل بهار

ومن أخرى عن بنفسج العامرية اذا تدافعت الخصوم أيد الله مولانا المنصور في مذاهبها وتعاقرت في مفاخرها فاليه مفزعها وهو المقنع في فصل القضية بينهما لاستيلائه على المفاخر باسرها وعلمه سرها وجهرها وقد ذهب البهار والنرجس في وصف محاسنها والفخر بمناقبها كل مذهب ومامنهما الاذو فضيلة غير ان فضلى عليهما أوضح من الشمس التي تعلوها وأعذب من الغمام الذي يسقينا وان كانا قد تشبها في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهي من الموات الصامت فاني أتشبه بأحسن ما زين الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع أني أعطر منهما عطرا وأجمد خبرا وأكرم امتاعا شاهدا وغائبا وبائعا وذابلا وكلاهما لا يمتع الا ريثما ينمع ثم اذا ذبل تستكرهه النفوس شمه وتستدفع الاكف ضمه وأنا أمتع يابسا ورطبا وتدخرني الملوك في خزائنها وسائر الاطباء وأصرف في منافع الاعضاء فان فخرا بانتقالهما على ساق هي أقوى من ساقي فلا غرو أن الوني ضعيف والهوى لطيف والمسك خفيف وليس الحديد رك بالصراع وقد أودعت ايد الله مولانا وافرا في الشعر من وصف مشابهي ما أوعاه وحضرت بنفسي لئلا أغيب عن حضرتهما فقد ما قد فضل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الدالطع مما حضر لوقته وأشعر الناس من أنت في شعره فلمولانا أتم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل وأقول

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه
لمشابه الشعر الاعم أعاره الـ * ـقمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جمع الحجى من الطلى * من صارم المتنور يوم قراعه
حكاه غير مخالف في لونه * لاقى روائحه وطيب طباعه
ملك جهلنا قبله سبل العلا * حتى وضحن بنهجه وشراعه
في سيفه تصر اطول نجاده * وعام ساعده وفسحة باعه
ذو همة كالبرق في اسراعه * وعزيمة كالحين في ايقاعه
تلقى الزمان له مطيعا سامعا * وترى الملوك الشم من أتباعه

وما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرة أثوابها * في قدها الطير كل مغرد
مادمت فيها يبه صحابهم * مثل البدور تسير بين الاسعد
والجدول الذي يخلل ماؤه * فكأنه في العين صفح مهند
واذا تجعد بالنسيم حسبته * لما نراه مشبها للمبرد
والماثرت نقط على حافاته * كالعقد بين مجمع ومبدد
وتدحرجت للناظرين كأنها * درنثير في بساط زبرجد

وكان بحمام النطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل وصفها بعض أهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر تزهو بجيد * تناهى في التورد والبياض

حروب باليمن مع القرامطة وصاحب المدبخرة وهو على ابن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلي باليمن شأن عظيم حين قتل وتوطأت اليمن لهذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة وكذلك في سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الارض وأخبار النسناس في كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العرابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيهم زعرا واحدها عربد وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل جبير بن اسحاق ان يأتي له بحمل اشخاص من النسناس والعربد فلم يصل منهم الى سر من رأى الا اثنان من النسناس ولم أر له الحيلة في حمل العربد من اليمامة وذلك أن العربد هذا اذا اخرج عن اليمامة وصار الى موضع مهامه معروف المسافة عدم من الوعاء الذي حمل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقارب وسائر الهوام كمنفعة أهل

سجستان بالقنافذ ولذلك كان في عهد سجستان العجم لا يقتل قنفذ ببلادهم لانه بلد كثير

هلا ولو لم تعرف حليـلا * ولا ألمت بأو جاع انحاص
وبعلم أنها خمر ولكن * تقمصنا بالحماظ مراص

وكان يسميه في القصر المسمى بدار السرور ومجلس الذهب أحد قصور المقتدر بن هود وفيه يقول ذو الوزارتين بن عبد شلب حيوو زيرا كان ينبز بحقون

دع من قصون بيت الذهب * ودعا مما به واحرني
رب طهر لي فقد دنسني * عارق يقون ألوف الدسب

(وكتب) بعض كبرا الاندلس الى اخوانه كتابي هذا من وادي الزيتون ونحن فيه نتلهون بمعاها كتب من السندس الاخضر وتحاك بانواع الزهر وتحايلت بأنهار تخللها وأشجار تظلها تحجب أدواحها الشمس لالتفافها وأذن للنسيم في لمس أعطافها فمن شئم من محاسن تروق وعجب واطيار تتجاوب بالحان تلهي وتطرب في مثلها يعود الزمان كله صبا وتجري الحياة على الامل والمنى وأنا فيها أبقاكم الله سبحانه بحال من طاب غداؤه وحسن استمراؤه وصحا من جفون العقار واستراح من مص الخمار وزايلته وساوسه وحانت من الحماظ هواجسه ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف الخمار والدعاء الى العقار فراجعه أبو الفضل بن حسداي برقعة قال في صدرها الى سيدنا الذي ألزمنا بإنعامه الشكر وكبيرنا الذي علمنا بديانه السحر وعميدنا الذي عقد بحرمه الحلى ورمانا بدائه ونسل أبقاك الله تعالى لتوبة تسوح عمرها وعين تحرس نبرها وردا أبقاك الله تعالى كتابك الذي اعتدته من معرسك بوادي الزيتون ووقفنا على ما ألفت في أوصافه من حسنه المفتون واعجابك بالعاف شجره ودوحاته واهتزازك بلطيف بواكره وروحاته وسرورك به وبجو تلاعه مرودة هضابه وأجراعه وكل المشارب ما حلاه دمهم ومزوه الدهر حصرر ليامحهم وتلك عادة تلويك وسجية تحصرمك ونشاكله ملالك وسآمتك وأشعر الناس عندك من أنت في شعره وأحب البلاد اليك ما أنت في عمره وأين منك بساتين جلق وجنانه ورياضه المونقة وجنانه وربابه البيض في حدائقه الخضر وجون العضر في جنابه النضر وما ترسمه حيطانه وتمجه أجياده وعطانه من أمهات الراح التي هجرتها رعمك ومورد الشمول التي طلقتها رعمك وهيهات فوالله ما فارقتك تلك الاجارع والمجاني ولا شاقتك تلك المنازل والمغاني الا تذكرا لما لديها من طيب المعاهد وحنينا لما عهدنا من جميل المشاهد وأين من مشتاق عنقاء مغرب * ثم ذكر كلاما في جوابه ما مر من الخمار لم يتعلق لي به غرض * (وما أحلى) قوما كتبه أبو نصر بن خاقان من رسالة في ذكر متنزه ولما أتت العام كتابا لم اجد منه أسبابا واتصل المطر اتصالا لم ألف منه انفصالا الا اذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته وينشر صحيفته فتقشعت ارث السحاب كما طوى السجل الكتاب وطفقت السماء تخلع جلبابها والشمس تميط نقابها وطلعة الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت وقد تحلت ذهبت في لمة من الاخوان نستنفق الى الراحة ركضا ونطوي المرج أرضا فلا أندفع الا الى غدير نمير قد استدار منه في كل قرارة سماء سحابة عماء واقتاب في تلعة حباب

الرمال به ذو القرنين في الافاعي والحيات بهذا ولولا كثرة المعاقد لتلف من هنالك من الناس وكذلك هي مصر في صعيدها بعيدة منه دونه يقال لها العرس أكثر من اخر وصغير ابن عرس نحو العرس لولا هسده الدوبه اعات الى أهل مصر الثعابين وهي نوع من الحيات عظيمه في طوي الثعبان على الدويبه ديا فيها فترحي عليه ريحه فتقطع الثعبان من رنحها هذه خاصية هذه الدابة وفي الشرق أنواع من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته وحجره وكذلك في العرب واليمن وهو الجنوب والخزري وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع في ذكره في هذا الباب خروج من الغرض الذي نحن نحوه فلنرجع الآن الى من كما به آنفا من الامم المحيطة بالباب والابواب والسور وجبل الفتح والاد الخزر واللان ودخول الله في الاد الخزر ريحا بينهم وبين المعز ثم ترك نرجع الى أب واحد وبه أنسابهم حصروبه دووه...ة وبأس شديد لكل امه ملكها

مساحته وحوله جبال كثيرة من الرمل قد كسرت بالخشب والقصب والبلد كثير

مساحته ... امام ... بعضها ... وتتصل بدارها بعد ... فترددنا

وتردد بتلك الاباطح تهادى أغصانه . وتتصاحك تضاحك اقحوانها وللنسيم أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل مشى على بساط وشى فاذا مر بغدير نسجه درعا واحكمه صنعا وان عثر بجدول شطب منه نصلا وأخلصه صقلا فلا ترى الا بطاحا مملوءة سلاحا كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بالسيف من درع مصقول وصفيح مصقول . ومن فصل منها فاحتللنا قبة خضراء ممدودة اشطان الاغصان سندسية رواق الاوراق وما زلنا نلتحف منها ببرد ظل ظليل ونشتمل عليه برداء نسيم عليل ونجيل الطرف في نهر صقيل ماثل لجين الماء كأنه مجرة السماء مؤتلق جوهر الحباب كأنه من ثغور الاحباب وقد حضرنا مسمع يجرى مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها وهواها ويغني لها مقترحها ومناها فصيح لسان النقر يشفي من الوقر كأنه كاتب حاسب يمشق بيمناه ويعقد بيسراه

يحرك حين يشدو ساكنات * وتنبعث الطبائع للسكون

انتهى * (وكانت) بين أبي اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق أن ولى ذلك الصديق خطة فخاطبه أبو اسحق بن خفاجة برقعة منها أطال الله بقاء سيدى النبيه أوصافه الربيه (؟) عن الاستثناء المرفوعة أمارته الكريمة بالابتداء ما انحدرت بالتجزم وانتقلت وان عزوا وضع النسب كتبت عن ود قديم هو الحال لم يلحقها انتقال وعهد كريم هو الفعل لم يدخله الاعتلال والله يجعل هاتيك من الاحوال الثابتة اللازمة ويعصم هذا بعدم الحروف الجازمة وانما استنهض طولك الى تجديد عهدك بمطالعة ألف الوصل وتعديه فعل الفصل وعدولك عن باب ألف القطع الى باب الوصل والجمع حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الانفتاح حال الصمت فلا تخل أعزك الله ان رسم اخائك عندى دوحه قد درس عفاء ولا أن صدرى دارمية أمسى من وده خلاء وانما أنا فعل اذا انثنى ظهر من ضميرودك ما بطن وبدا منه ما كمن وهنيئا أعزك الله أن فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير وأن فعل سيفك ماض ماله للعوامل تأثير وأنت بحمدك جماع أبواب الظرف تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف العطف وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك وتوجب بعد النفى ما سلف من عهدك وتدع ألف الالفة أن تكون بعدم حروف اللين وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين وتسوم ساكن الوداد يحرك ومعتل الاخاء أن يصح وكتابى هذا حرف صلة فلا تحذفه حتى تعود الحال الاولى صفة وتصير هذه النكرة معرفة فأنت أعزك الله مصدر فعل السرور والنبل ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل وان تأخر العصر بك كالفاعل وقع مؤخرا وبذوك وان تكبر كالكميت لم يقع الا مصغرا وللايام حال تبسط وتقبض وعوامل ترفع وتخفض فلا دخل عروضك قبض ولا عاقب رفعك خفض ولا زلت مرتبطا بالفصل شرطك وجزاؤك جاريا على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى يخفض الفعل وتبنى على الكسر قبل ان شاء الله * وكتب رحمه الله تعالى يستدعى عود غناء * انتظم من اخوانك أعزك الله تعالى عقد شرب يتساقون فى ودك ويتعاطون ريحانة شكرك وحمدك وسامهم الاشره المسامع الى رنة حمامة ناد لا حمامة بطن واد والطول لك فى

ويما يلي بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ما هنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة وكذلك مع صاحب اللان وديارهم تتصل ببلاد الخزر فأول جيل أنواحد منهم يقال له بجني ثم تليها أمة ثانية يقال لها جعرد ثم تليها أمة يقال لها بجناك وهي أشد هذه الامم الاربعة بأسا ثم تليها أمة ثانية يقال لها نوكرده وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلثمائة أو نحوها وقد كان للروم فى تخوم أرضهم مما يلي من ذكرنا من هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها ولندر فيها خلق من الناس ومنعة بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى أرض الروم لمنع الجبال والبحر اياهم ومن فى هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس حروب بخلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض أردبيل كان نازلا على أرض بعضهم فاستضافه ناس من الجيل الآخر فاختلفت الكلمة وأغار من فى ولندر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من الذرية وساقوا كثيرا من الاموال ووفى ذلك اليهم وهم مشاغيل فى حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد القوم جميعا نحو

ولم أر انجم اذ ناطق قد استعار من بنان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجمانا وهو على الاساءة والاحسان لا ينفك من ايقاع به من غير ايجاع له فان هفا عركت أذنه وأدب وان تأبى واستوى بعج بطنه وضرب لازالت منتظم الجذل ملتئم الأمل انتهى *(ومن نظمه رحمه الله تعالى يتفجع ويتوجع)

شراب الاماني لو علمت سراب * وعتبي الليالي لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
يخب بها في كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يغيض الدمع أو يبرد الحشا * وقد باد أقران وفات شباب
أواب سرى في لا أوى غير ليله * وقد حط عن وجه الصباح نقاب
كأني وقد طار الصباح حمامة * يمد جناحيه على غراب
دعا بهم داعي الردى فكأنما * تبارت بهم خيل هناك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما * جنا بينهم طعن لهم وضراب
همود ولا غير التراب حشية * لجنب ولا غير القبور قباب
ولست بناس صاحبا من ربيعة * اذا نسيت رسم الوفاء صحاب
ومما شجاني أن نضى حتف أنفه * وما اندق رمح دونه وكعاب
وأنا تجارينا ثلاثين حقبة * فمات سباقا والحمام قصاب
كأن لم يبت في منزل القصف ليله * يجيب بها داعي الصبا ويجاب
اذا قام منا قائم هز عطفه * شباب أرقناه بها وشراب
ولما تراءت للمشيب بريقة * وأقشع من ظل الشباب سحاب
نهضنا بأعباء الليالي جرالة * وأرست بها في النائبات هضاب
فيا طاعنا قد حط في ساحة البلى * بمنزل بين ليس عنه مآب
كفى حزنا أن لم يرد على النوى * رسول ولم ينفذ اليك كتاب
وأني اذا يممت قبرك زائرا * وقفت ودوني للتراب حجاب
ولو أن حيا كان حاور ميتا * لطال كلام بيننا وخطاب
وأعرب عما عنده من جلية * فأقشع عن شمس هناك ضباب

ولنذ أبعدنا كما بعد ... من ذكر قرطبة أعادها الله للاسلام فنقول * قال بعض من أرخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل الى اربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتي ذكره * وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأم المدائن ودار الملك وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلثمائة وكانت عدة الدور في القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت في السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار حاشا دور الوزراء وأكابر الناس والبياض * ورأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين قال وكانت ديار أهل الدولة اذ ذاك ستة آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد أرباضها ثمانية

في نحو مائة ألف فارس فلما انتهى خبرهم الى أرمانوس ملك الروم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قسم اليهم اثنى عشر ألف فارس من المتنصرة على الخيل بالفرس لحرب العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر في ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفي هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا في أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض

الاسلام فأبوا ذلك وتواقف الفريقان في ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا في

وعشرون وقيل أحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام وقيل ثلثمائة حمام وقال ابن حيان ان عدة المساجد عند تناهيها في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد والحمامات تسعمائة حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما وسائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا وربما نصف العدد أو أكثر لارباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المغرب وهو أعلم بما يأتي ويذر رحمه الله تعالى * وقال بعض المؤرخين بعد ذكره نحو ما تقدم ووسط الارباض قبة قرطبة التي تحيط بالسور دونها وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى ونحوه لابن الفرضي وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد وأحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دور قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع * وتفسيرها بالليسان القوطي القلوب المختلفة وهي بالقوطية بالظاء المشالة وقيل ان معنى قرطبة أجر ساكنها قال وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور جليلة * وكانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار وعشرين دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح أربعة آلاف مدي وستمائة مدي ومن الشعير سبعة آلاف مدي وستمائة مدي وسبعة وأربعين مديا وقال بعض العلماء أحصيت دور قرطبة التي بها وأرباضها أيام ابن أبي عامر فكان مائتي ألف دار وسبعة وسبعين دارا وهذه دور الرعية وأما دور الاكابر والوزراء والكتاب والاجناد وخاصة الملك فستون ألف دار وثلثمائة دار سوى مصاري الكراء والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمائة وخمسة وخمسون ولما كانت الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ومحيت آثار تلك القرى والبلدان انتهى ملخصا * وسيأتي في رسالة الشقندي ما هو أشمل من هذا * ولما رقت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين مراكش قال وذكر المنتزهات القرطبية

يا هبة باكرت من نحو دارين * وافت الى على بعد تحييني
مرت على صفحات النهر ناشرة * جناحها بين خيري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما * خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر أرضكم * ما أصبحت من أليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة * من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله * لما تنسم في تلك الميادين
نروت من طربي لما هفا سحرا * وظل ينشر في طوراو يطويني
خلت الشمال شمالا اذ سكرت بها * سكرا بما لست أرجوه يميني

الكثرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة فقال لهم بيّنك بحيالك قلدوني التدبير في غداة غد فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك في جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة واتصل الرمي واتصلت الكراديس كأنها رحى والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها في ألف ألف وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدئ فيرمي في جناح ميسرة الروم ويمر بميمنتهم فيرمي وينتهي الى القلب وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينتهي الى الميسرة فيرمي وينتهي الى القلب فيرمي فيكون ما في الكراديس في القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم وصادفوا صفوف الترك ثابتة فأخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم و ...

أهدت الى أرض يجانس شمائلكم * ففات قربي من كان يقصدني
وحلت من طمع أن اللقاء على * اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
عطلت ألثم من تعظيم حقكم * مجرّ أذيالها والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كبد * قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما * يزال مثل اسم ما ان بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النضير فوا * دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لباب عدسقته السحب وابلها * فلم يزل بكؤس الانس يسقيني
لا باعد الله عيني عن منازهه * ولا يقرب لها أبواب جيرون
حاشا لها من محلات مفارقة * من شيق دونها في الترب مخزون
أين المسير وزق الله أدركه * من دون جهد وتأمين يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي * كم ذا تحاول نسلا عند عنين
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة * من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
وطرفسيح ونهر ما به كدر * حفت بشطيه ألفاف البساتين
باليت لي خمر نوح في اقامتها * وأن مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت أفنيه على نشوا * ت الراح فيها ووصل الحور والعين
واعا أسفي أني أهيم بها * وأن حظي منها حظ مغبون
أرى بعيني ما لا تستطيل يدي * له وقد حازه من قدره دوني
وأنكد الناس عيشا من تكون له * نفس الملوك وحالات المساكين
بعض طرف التصابي حين يهته * قضبان نعمان في كثبان يبرين
قالوا الكماة مقيم قلت ذلك لمن * لا يستخف الى بيت الزراجين
ولا يلذ له هب الصبا سحرا * ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمان الصدور وترجيع التلاحين
لا تقتني راحة الاعلى تعب * ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر * وانما الصفو فيها للمجانين
يا آمري أن أحث العيس عن وطني * لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
يحث لكن لي نفسا يزعني * فلو رحلت عنه حاله دوني
لا الزمن وطني طورا تطاوعني * تود الاماني وطورا فيه تعصيني
مذللا بين عرفاني وأضرب عن * سير الارض بها من ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع * وذاك حين أريد البر يجفوني
اليك عني آمالي فبعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
بالحظ كل غزال لست أملكه * يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة دير لا ألم به * لولا كما كان ما أعطيت يكفيني
لا صبرن على ما كان من كدر * لمن عطاياه بين الكاف والنون

من اليمين والشمال وأخذ القوم السيف ... الأمن وكان صاحب الخيل ... من الروم ... خرج من ... كان يصعد الى سور المدينة على جسر ... ففتحت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أياما ... وخرج منها الترك بعد ثلاث يوم من القسطنطينية ثم نوعوا العساكر والمروج والضياع قتلا وأسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية فقاموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة منهم والصبي منهم بالخرقة من الثوب من ديباج والحرير ويبذلوا السيف فلم يبقوا على أحد منهم ورجعوا فقتلوا النساء والولدان وشنوا الغارات في تلك الاقطار فاتصلت غاراتهم أرض الصقالبة ووصلت غاراتهم الى نحو بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وما ذكرنا من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والأبواب اذ كنا قد ذكرنا جملا من أخبار الامم الساكنة في هذا الصقع من ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين

وتسمى

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الاندلس كنز الادب وقد أشرنا فى الفصل الاوّل الى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى الى الاسلام فاغنى عن اعادته وان كان ذكره هنا أنسب لان ما تقدم انما هو فى ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وأنشد أبو العاصى غالب بن أمية المروزى لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهة

ياقصر كم حويت من نعم * عادت التى بعوارض الـكك
يا قصر كم حويت من ملك * دارت عليه دوائر الفلك
ما شئت فابق فكل متخذ * يوما يعود بحال منترك

وقال القاضى أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

أقول وقد جد ارتحالى وغردت * حداتى وزمت للفراق ركائبى
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتى * وصارت هواء من فؤادى ترائبى
ولم يبق الا وقفة يستحثها * وداعى للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وجاد رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق المحيا مستلان الجوانب
أاخواننا بالله فيها تذكروا * مودة جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفالهم * كأنى فى أهلى وبين أقاربى

(وأما) مسجد قرطبة فشهرته تغنى عن كثرة الكلام فيه ولكن نذكر من أوصافه وننشر من أحواله ما لا بد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس فى بلاد الاسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد فى أعلاه وأسفله انتهى وكان الذى ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل فى زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بنى أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذى ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء * وقال بعض المؤرخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره وعظم بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار وبنى بقرطبة الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض انه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار واشترى موضعه اذ كان كنيسة بمائة الف دينار فالله تعالى أعلم * وقال بعض المؤرخين فى ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى وكانت أخته أم الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذى أرسلته اليه من دمشق الشام كما مر وسيأتى كلام ابن سعيد بما هو أتم من هذا * ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبى عامر فى جامع

موضع يعرف بمجذى القرنين وكانت الابخاز والخزرية تؤدى الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون فى أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره على من هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على نهر تفليس وأقام عليها حصارا حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسمعيل لان اسحق بن اسمعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهى مشهورة فى أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عنى بأخبار العالم وأراه رجلا من قريش من بنى أمية أو مولى لاحقا فاخربت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذو قوة وباس شديد وان كان ما ذكرنا من الممالك تحيط بهم

يقال لها الصمحية نصارى وفيهم جاهلية لاملك لهم ثم تلى مملكة

قرطبة قال ومن أحسن ما عاينه الناس فى بنيان هذه الزيادة العامرية اعلاج النصارى مصفدين فى الحديد من أرض قشتالة وغيرها وهم كانوا ينصرفون فى البنيان عوضا من رجالة المسلمين اذلالا للشرك وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور التى نقل أصحابها عنها بنفسه وكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التى لك يا هذا أريد أن ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم وفيئهم لازيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب ما شئت فاذا ذكر أقصى الثمن أمر أن يضاعف له وأن تشترى له بعد ذلك دار عوضا منها حتى أتى امرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت لا أقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ فى الثمن وحكى ذلك ابن حيان أيضا ❊ وقيل ان انفاق الحكم فى زيادة الجامع كان مائة ألف وواحدا وستين ألف دينار ونيفا وكله من الاخماس ❊ وقال صاحب كتاب مجموع المفترق وكان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسا وعشرين ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم فى طوله مائة ذراع وخمسة أذرع فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراع وزاد محمد بن أبى عامر بأمر هشام بن الحكم فى عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتى ذراع وثلاثين ذراعا وكان عدد بلاطه أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ستة عشر ذراعا وعرض كل واحد من اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية احدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبى عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة أذرع وكان العمل فى زيادة المنصور سنتين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس أذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد أبوابه تسعة ثلاثة فى صحنه غربا وشرقا وجوفا وأربعة فى بلاطاته اثنان شرقيان واثنان غربيان وفى مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليوم وهى من بناء عبد الرحمن ابن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى أعلى القبة المفتحة التى يستدير بها المؤذن وفى رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزج وهى احدى غرائب الارض ❊ وكان بالجامع المذكور فى بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الذى خطه بيده وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وهو على كرسى العود الرطب بمسامير الذهب (رجع الى المنارة) وارتفاع المنارة الى مجلس الاذان أربع وخمسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارض ثمان عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة

ثم تلى مملكة حران مملكة هؤلاء الصمحية بين ثغر عليس وقلعة عبار اللاتى المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنبار به ومليكهم يقال له كرنكوس هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم ويعادون الى دين النصرانية وهؤلاء الصنبارية يزعمون أنهم من العرب من نزار ابن معد بن مضر وانهم فخذ من عقيل سكنوا هنالك فى قديم الزمان وهم هنالك مستظهرون على كثير من الامم ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناسا من عقيل مخالفة لمذحج لافرق بينهم وبين أحلافهم لاستقامة كانهم فيهم خيل كثيرة ومنعة وليس فى اليمن كلها أخيل من نزار ابن معد غير هذا الفخذ من عقيل الاماد كرمن ولد أنمار بن نزار بن معد وقد دخلوا فى اليمن نسبهم وورد به الخبر وما كان من خبر جرير بن عبد الله البجلى مع النبى صلى الله عليه وسلم وما كان من خبر بجيلة والصنبار يزعمون انهم انفردوا الى قديم الزمان وهم من سميناه من عقيل بلاد مأرب فى خبر طويل ثم تلى مملكة الصنبارية مملكة تكين وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغيرهم من ذلك ويقال لملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا لما

لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقرب بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى آخره وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم وأول ما عمله ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه وهو أعني ابن أبي عامر هو الذي رتب احراق الشمع بالجامع زيادة للزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة ببنائه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤس سبعة آلاف كاس وأربعمائة كاس وخمسة وعشرون كاسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤس وربما شاكى ابن أحاص الكؤس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها ورفة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقصن لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي توقد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها ليلة الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصا ويوقد من البخور ليلة الختمة أربعة أواق من العنبر الاشهب وثمان أواق من العود الرطب انتهى * وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل ليلة جمعة رطل عود ورطل عنبر يبخر به انتهى * وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ثلثمائة وثلاثون ذراعا الصحن المكشوف منه ثمانون ذراعا وغير ذلك مسقف وعرضه من الغرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد أبهائه سبعة عشر بهوا وتسمى البلاطات وعدد أبوابه الكبار والصغار احد وعشرون بابا بالجانب الغربي تسعة أبواب منها واحد كبير للنساء يشرع الى مقاصيرهن وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها لدخول الرجال ثمانية أبواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر

حوله من العمائر والضياع بصاري ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدعار ثم تلي هذه المملكة مملكة الموقان وهي التي قدمنا ذكرها وانها متعلقة عليها وانها مضافة الى مملكة شروان شاه ورئيس هذا البلد المعروف بالموقانية هو الذي على ساحل بحر الخزر وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك الاران ومن سلف من آبائه وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم فلما هلك علي تغلب محمد بن شروان شاه على جميع ما ذكرنا بعد أن قتل عمومته واحتوى على ما ذكرنا من الممالك وله قلعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبق قال انها في الموضع المعروف بالسعط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التي بناها بلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك

فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر فيبتدي من بلاد خزران من مملكة جرجيرو ويمر ببلاد الحان حتى يأتي

الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب ملبسة بالنحاس الاصفر بالغريب صنعة وعدد ... رأى هذا المسجد الجامع الحامل لسماته واللاصقة عمانية وقبابه ومناره وغير ذلك من أجمله بين كبار وصغار ألف وأربع مائة سارية وتسع سواري منها داخل المقصورة مائة وتسع عشرة سارية ... ذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال ... الحضر بها الى خمس بلاطات من الزيادة الحكمية وأطلق جناحيها على السقيفة الباقية ثلاثة من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار الخشب الى ... المسجد بالقبلة اثنين وعشرين ذراعا وارتفاعها الى السماء الى ... اثنا عشر ... أدرع ... كل ... ثلاث ... ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة ... النقش ... الى الجامع شرقي وغربي وشمالي ثم قال ... في الطول من القبلة الى الجوف ثمانية أذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع أذرع ... وارتفاعه في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف من أ... كارم الخشب ماس آبنوس وصندل و... وبقم وشوحط وما أشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درج ... تسع درجات ... الحكم المستنصر رحمه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصة سوى ما منها على الابواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون مختلفة الصنعة منها أربع ثريات ... في البلاط الاوسط أكبرها الثريا المعلقة في القبة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة ... من السرج فيما زعموا ألف وأربعمائة وأربعة وخمسون ... تستوقد هذه الثريات ... في العشر الاخير من شهر رمضان تسقى كل ثريا منها ... في الليلة وكان مبلغ ما يحتاج من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في السنة أيام عام ... ابن أبي عامر مكملة بالزيادة المنسوبة ألف وربع ... في شهر رمضان ... عمائة وخمسون ... قال وفي بعض التواريخ ... كان عدد ... بالمسجد الجامع بقرطبة في زمن الحكم ... وفي زمن ابن أبي عامر ثلاثمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما ... ذكر بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال والمعرفة ابن سعيد نقل هذا وغيره فيه ... أكثر من غيره والله سبحانه أعلم ... ألف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان خمسمائة وربع وفي الثريات التي من الفضة وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية عشر في ليلة وقدها وقال في المنبر انه مركب من ستة وثلاثين ألف وصل قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير الذهب والفضة وفي بعضها نفيس الاحجار واتصل العمل فيه سبعة ... ثم قال ودور الثريا العظيمة ... ون شبرا وتحتوي على ألف كاس وأربعة وثمانين كاسا وشأنه بالذهب الى غير ذلك من العرائب ؛ وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد ابراهيم بن صاحب الصلاة الوليد ... صف جامع قرطبة ... عمر الله سبحانه بشمول السعادة ... من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت سحائب الانعام تهمي على ... وبأمل الايام تهدى اليك كل مسرة انك كان أعزك الله طريق الوادي بينما عامرا وسبيل الخدمة عامرا لوجب أن يعض ... ويروض ... لا سيما فيما ندر احد ... الفضائل ويتر

وتجري الى وادي ثم يصب فيه من ماء ... الرس ويشهر من أناسي بلاد الروم من نحو مدينة طرابزنده حتى يجيء الى الكر ... ونهر ... وهي بلاد ... من أرض آذربيجان ... بلاد ... ويمر ببيلقان ... وينتهي الى ... وقد أتينا على وصف هذه الانهار أيضا ونهر ... جريانه في أرض الديلم نحو ... وهو ... سوار بعض ملوك الديلم ونهر هذا النهر من الديلم الى الجيل ويصب فيه نهر آخر في بلاد الديلم يقال له ... يصب ... الى بحر الجيل وهو ... وعليهم ... على مدن ... على هذا النهر كثير من دور الاعاجم ومن هنالك من ملوكهم في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ... أحوم داوان صاحب مدينة الري وطبرستان وغيرهم من الجيل لما ذكر الآن ملوك السريانيين وهم أول من بعد في كتب ... البحار والنجوم ...

أعطاف الشمائل وإني شخصت إلى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى منشرح الصدر لحضور ليلة القدر والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكانه وثبت أساسه وأركانه قد كسي ببردة الازدهاء وحل في معرض البهاء كأن شرفاته فلول سنان أو أشرف أسنان وكأنما ضربت على سمائه كلل أو خلعت على أرجائه حلل وكأن الشمس حلت في ضيائها وسحبت على أقطاره أفياءها فترى نهارا قد أحدق به ليل كما أحدق بربوة سيل ليل دامس ونهار شامس وللذبال تألق كنضنضة الحيات أو إشارة السبابات في التحيات قد أترعت من السليط كؤوسها ووصلت بمحاجن الحديد رؤوسها ونيطت بسلاسل كأنها جذوع القائمة أو كالثعابين العائمة عقدت بها تفاح من الصفر كالأباريق الصفر يولع في حملها وجد انها حتى يهرب بحسنها ولا أنها كأنها جليت بالذهب وأشربت ماء اللهب ان مددتها طولا رأيت منها سبائك عسجد أو قلائد زبرجد وان أتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى وتبسط شعاعها بسط الأديم حين يفرى والشمع قد رفعت على المنابر رفع البنود وعرضت عليها عرض الجنود ليجتلي طلاقة روائها القريب والبعيد ويستوي في هدايتها الشقي والسعيد وقد قويت بلهيبها بيض محمرة وعورض مخضر بمصفر تحرك بسكناتها وتمكن بتمكنها وتهلك بحياتها وتحيا بهلكها والطيب تعم أفواحه وتتنسم أرواحه وتنام الأنجم والبدر يسترجع من روح الحياة ما نفد وكلما تصاعد وهو خاسر أطال من العمر ما كان تقاصر في صفوف مجامر ككعوب مقام وظهور القباب مؤللة وبطونها مهللة كأنها تيجان رصع فيها ياقوت ومرجان قد قوس محرابها أحكم تقويس ووشي مثل ريش الطواويس حتى كأنه باخرة مقرطق وبقوس قزح ممنطق وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه سقف من قوادم الحمام أو كسف من ظلل الغمام والناس أخياف في دواعيهم وأوزاع في اختلافهم ومراميهم بين ركع وسجد وأيقاظ وهجد ومزدحم على الرقاب يتخطاها ومقتحم على الظهور يتمطاها كأنهم برد جلال قطر أو جراد في عرض سطر حتى إذا قرعت أسماعهم روعة التسليم تبادروا بالتكليم وتجاذبوا بالأثواب وتساقوا بالأكواب كأنهم حضور طال عليهم غياب أو سفر أتيح لهم إياب وصعدت مع إخوان صدق نسكب العلوم بينهم انسكاب الودق في ذكاء كوكب الصحو أو أشعر الله أو كالناس المغمور كأن اقليدس قد قسم بينهم احتياطه بالموازين وأرسطاطاليس ناطه بالبراهين حتى صار عندنا لا نحل وحدنا لا نفل بحيث تسمع سور التنزيل كيف تتلى وتطلع نور التفسير كيف تجلى والعومة حوالينا يجهدون في دفع الضرر ويعمدون إلى قرع العمد بالدرر فإذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين وسرت نحوهم سرى القين وتوهموا انها إلى أعطافهم واصلة وفي أقفائهم حاصلة فروا بين الأساطين كما تفر من النجوم الشياطين كأنما ضربهم أبو جهم بعصاه أو حصبهم عيين بن صاف بحصاه فأكرم بها من مساع تسوق إلى جنة الخلد وتهون في السعي إليها الطوارف والتلد تعظيما لشعائر الله وتنبيها لكل ساه ولاه حكمة تشهد لله تعالى بالربوبية وطاعة تدل بها كل نفس أبية فلم أر أدام الله سبحانه عزك منظرا منها

وعمروا الارض وشقوا الانهار وغرسوا الاشجار وطعموا الثمار والوعروا وسلوا الطريق ثم تبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالجدان الى أفريدون ثم الاشكان الى دارا بن دارا وهم الساكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيون ثم الروم وتذكر من تلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفي النبط فمن الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة نوبه ماش بن نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوان وكان اول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا في الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولد له يقال له بربدس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك مماسير بن اول سبع سنين ثم ملك بعده اهريون عشر سنين فخط الخطوط وكور الكور وجد في امره واتعب الملوك وعمر عمارة ارضه فلما ان هلك ملك له

انتهى ولا خبرا أشهى واذا لم تتأمله عيانا فتخيله بيانا وان كان حظ منطقى من الكلام حظ الفتيح من الازلام لكن ما بيننا من مودة أكدنا وسائلها وذمة تقلدنا حمائلها توجب القول انها فى سمياوغة ولبس الطائى جديدا ووثنا لازالت لزناد النبل مورنا والى آماد الفضل مجريا والتحية العبقة الريا المشرقة المحيا عليك ما طلع فجر وايفع ثمر ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (وذكر ابن بشكوال) ان الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التى كانت بفناء الجامع الذى يستقى لها الماء من بئر السانية وبنى موضعها أربع ميضآت فى كل جانب من جانبى المسجد الشرقى والغربى منها ثنتان كبرى للرجال وصغرى للنساء اجرى فى جميعها الماء من قناة اجلبها من سفح جبل قرطبة الى أن صبت ماءها فى احواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار واجرى فضل هذا الماء العذب الى سقايات اتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية اجراها الى ثلاث حواض من الرخام استقطعها بمقطع المستنير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والفاه الرخاميون هنالك واحتفروا أجوافها عنادهم فى المدة الطويلة حتى استوت فى صورها البديعة لاعين الناس فخف ذلك من ثقلها وأمكن من اهباطها الى امكن نصبها بأكناف المسجد الجامع وأمد الله تعالى على ذلك بمعونته فحمل الواحدة منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على قلل موثقة بالحديد المثقف محفوفة بوثائق الحبال قرن لجرها سبعون دابة من أشد الدواب وسهلت قدامها الطرق والمسالك وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة فى مدة اثنى عشر يوما ونصبت فى الاماكن المعقودة لها قال وابتنى المستنصر غربى الجامع دار الصدقة واتخذها معهدا لتفريق صدقاته المتواليه وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربى انتهى * واعلم انه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى انهم يعنون فى الاحكام هذا مما جرى به عمل قرطبة وفى هذه المسئلة نزاع كثير ولا بأس أن نذكر ما لابد منه من ذلك قال الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى فى اشتراط الامام على القاضى الحكم بمذهب معين وان خالف معتقد المشترط اجتهادا وتقليدا ثلاثة أقوال * الصحة للباجى ولعمل أهل قرطبة ولظاهر شرط سحنون على من ولاه الحكم بمذهب أهل المدينة قال المازرى مع احتمال كون الرجل مجتهدا * الثانى البطلان للطرطوشى اذ قال فى شرط أهل قرطبة هذا جهل عظيم * الثالث تصح التولية ويبطل الشرط تخريجا على أحد الاقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا * قال ابن غازى ان ابن عرفة نسب للطرطوشى البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له التفصيل انتهى * ولما ذكر مولاى الجد الامام قاضى القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب بفاس سيدى أبو عبد الله المقرى التلمسانى فى كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور قال بعده ما نصه * وعلى هذا الشرط ترتب عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فيما نحن ننازع الناس فى عمل المدينة ونصيح بأهل الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الامة كعلى وابن مسعود ومن كان معهما

ليس التكحل فى العينين كالكحل * سخ لى بعض الجود ومعدن التقليد

الله أخرمدنى فتأخرت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

الاحوال وانتظم له الملك يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند عالما على ما حوله من ممالك الهند ونفاذ الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان مملكته كان مما يلى السند والهند فسار نحو بلاد الدسط وعرين ونميروز وبلاد الداور وعلى النهر المعروف بنهر هيدمند وهو نهر سجستان يدهى جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه اهل سجستان ودنياهم ونخلهم وجبالهم ومنتزهاتهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط ويجرى فيه السفن من هنالك الى سجستان فيها الاقوات وغير ذلك ومن بسط الى سجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال وهو البلد الموصوف بان الريح به تدير الارحية وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوزع فى مبدأ هذا النهر المعروف بنهر هيدمند فمن الناس من رأى ان مبدأه من مبدأ نهر الكنك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر حاد

بالله وللمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها ولم يبرح من الناس جهلها ما دام الا لان الشيطان يسعى في محو الحق فينسيه والباطل لا زال يلقنه ويلقيه الا ترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتفضيل والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك وأسماؤها كالعتمة ويثرب وكذا التنابز بالالقاب وغيره مما نهى عنه وحذر منه كيف لم تزل من أهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسر امرها حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأسا بل يجعلون العادات القديمة أسا وكذلك محبة الشعر والتلحين والنسب وما انخرط في هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرع فينا منذ سبعمائة وسبع وستين سنة لا تحفظه الا قولا ولا تحمله الا كلا انتهى * وقال الحافظ ابن غازي بعد ذكر كلام مولاي الجد ما نصه وحدثني ثقة ممن لقيت انه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وأمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما ألقاه اليهم مشرع المقري هذا فبالغوا في انكاره ورأوا انه لا معدل عما عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالمتيطي من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن في معناهم انتهى * (وقال بعض المؤرخين) حين ذكر قرطبة ما ملخصه هي قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس في حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاد الغزاة وأنجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفي أهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد وهي في سفح جبل مطل عليها وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين وفيه من السواري الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قاقلي ويذكر في تاريخ بني أمية انه احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثماني وللجامع عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر ويبهرهم وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربانية

عنه وذلك انهم يقصدون موضعا في أعالي هذا النهر المعروف بالكنك وهناك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون في زهدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويسيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكرناه موصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهنالك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب مما به فيظهر من الارض أغصان متشابكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستتم في الجو كأبعد ما يكون من طوال النخل ثم ينثني جميع ذلك منعكسا فيعود في الارض مندسا ويهوي في قعرها سفلا على المقدار الذي ارتفع به في الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا في الاول فتذهب صعدا ثم تنعطف معكسة ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت

واما المنار الذي بصومعته فهي بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدة قسيه المسماة تسعة عشر دو ساعة كل قوس منها خمسون شبرا وبين كل قوسين خمسون شبرا وبالجملة فعاس برومية افصل انحاس واعظم من ان نحيطها وصفا انتهى ملخصا وهو وان تكرر بعضه مع ما سبق ففيه بعض فوائد زائدة والله الموفق ﴿ وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ويمكن الجواب بان هذا الذراع أكبر من ذلك كما أشار اليه هو في أمر الصومعة وكذا ما ذكره في عدد السواري الا أن يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره هنا اعباه للكبار وهذا كما صرح به والله تعالى أعلم ﴿ وأما الثريات فقد خالف في عدها ما تقدم مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت طرقه وسيأتي ودونه وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه اعتمدت فيما نقلته في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشأن أتم اعتناء واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره عن الرازي انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله تعالى عنه من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها بشنت بجنت وابتنوا في ذلك الشطر مسجدا جامعا وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واقنع المسلمون بما في أيديهم الى أن كثروا وتزيدت عمارة قرطبة ونزلها أمراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس ينالون في الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها وتطامن سقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض ولم يزل المسجد على هذه الصفة الى أن دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وعنت به فنظر في أمر الجامع وذهب الى توسعته واتقان بنيانه فاحضر أعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه فأبوا من بيع ما بأيديهم وسألوا بعد الجهد بهم أن يباحوا بناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يسلموا اليه ما بقي من هذا الشطر الذي طولبوا به فتم الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان وسبعين ومائة ثم ابتدأ عبد الرحمن المسجد الجامع على ما قد ذكرها لاحاجة الى تفسير الزيادة ه وانما أتى به في وصفه لكماله وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي من قصيدة

وأنفق في دين الاله ووجهه ❊ ثمانين ألفا من لجين وعسجد
وتوزعها في مسجد اسه التقى ❊ ومنهجه دين النبي محمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه ❊ يلوح كبرق العارض المتوقد

قال وكمل سنة سبعين ثم كرر مادة ابنه هشام الرضا وما جدده فيه وانه بناه من خمس في اربعة ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل أن يتم الزخرفة واتمها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رم المنذر بن محمد ما وهى منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه للصومعة

تلي بيت الـ لاد ولعـدى تلك الارض بهذا النوع من الادم أحـار على ذكرها بعـ ... الى تلك ... ودون آهالو عن اليـه ... بهـ ... بأنواع ... الامم ... الهامر ... مستقبل موجلا ... بغير ... تعذيب ... الدار معجلا ... من ... الى باب ... في اجرامه ... وفي الاسواق ... عليها من ... ماش ... قيادها ... في الاسواق وقدامه ... والسوج وعلى ... أنواع من خرق الحرير ... على نفسه وحوله اهله ... وعلى رأسه ... وقد تشر ... وهو ... ببلادهم ... كاسعر ... بجمع هذا الورق بالدرة المملوكة ... الفوصل وهو الذي ... على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت ... بدلا من الطيب

للصومعة الأولى وبداية للصومعة العظيمة قال ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر و... اتسع
نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيئاً على النظر في الزيادة فبلغ الجهد
وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وقد رغب حين عزم على الزيادة فيه
وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة إلى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر في
قبلة جامع الزهراء لأن أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة إلى نحو الغرب
فقال له الفقيه أبو إبراهيم يا أمير المؤمنين إنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجدادك
الأئمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت متأسين بأول من نصبها
من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعاني وأمثالهم رحمهم الله تعالى وإنما الفضل في
الاتباع وهلك من هلك بالابتداع فأخذ الخليفة برأيه وقال نعم ما قلت وإن مذهبنا الاتباع
قال ابن بشكوال ونقلت من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في هذه الزيادة وما اتصل
بها انتهت إلى مائتي ألف دينار وأحد وستين ألف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين دينارا
ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة نقلا عن ابن بشكوال فقال أمر الناصر عبد الرحمن بهدم
الصومعة الأولى سنة ٣٤ وأقام هذه الصومعة البديعة فحفر في أساسها حتى بلغ الماء مدة
ثلاثة وأربعين يوما ولما كملت ركب الناصر إليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من
أحد درجيها ونزل من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت
الأولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين فصل بينهما البناء فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها
تربيع راقي كل مطلع منها على مائة سبع ؛ قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الأرض وليس في
مساجد المسلمين صومعة تعدلها . قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لأنه لم ير صومعة
مراكش ولا صومعة إشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما أعظم وأطول لأنه
ذكر أن طول صومعة قرطبة إلى مكان موقف المؤذن أربعة وخمسون ذراعا وإلى أعلى الرمانة
الأخيرة بأعلى الزج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل ربع ثمانية عشر ذراعا فذلك
اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشرة أذرع ، وذكر أن
صومعة قرطبة بفخام الحجارة العظيمة منجدة غاية التنجيد وفي على ذروتها ثلاث شمسات
يسمونها رمانة ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس اثنتان منها من ذهب إبريز والثالثة
منها وسطى بينهما من فضة إكسير وفوقها سوسنة من ذهب مسدسة وفوقها رمانة ذهب
صغيرة في طرف الزج البارز بأعلى الجو . وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا . وذكر
ابن بشكوال في رواية أن موضع الجامع الأعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها أهل
قرطبة قماماتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم عليهما ودخل قرطبة قال للجن
اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما أمرهم به وبني فيه
بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن عجائبه أن الدارات المائة في إزارين سمائه مكتوبة
كلها بالذكر والدعاء إلى غيره بأحكم صنعة انتهى ؛ وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار إلى بني عبد المؤمن فقال هو مصحف أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضي الله تعالى عنه بخط يمينه وله عند أهل الأندلس شأن عظيم ... وقد ذكر

وأوردنا ... الأ...
... الأ...
السكة ...
المودة ...
ويعتمد على ...
الاستفادة حتى يكون ...
...
...
... وقرى ...
...
...
...
...
لا ...
هذا ...
الأسواق ... إلى ...
الدار وهو ...
ولا ...
...
من ... على ...
صار ... العظيم
...
الحرمين ...
...
صيمور من بلاد الهند من
اللازم ...
وذلك في سنة ...
وثلثمائة والملك ...
على صيمور المعروف ...
وبها ... من المسلمين
نحو من عشرة آلاف قاطنين
بياسرة وسيرافيين و...
وبغداديين ...
سائر الأمصار ...
وبعض تلك البلاد ... من وجوه ...

فيه زيادة على هذا انتهى وأما الزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلثمائة بناء وماتنا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية وأربعين يوما وجاء في غاية الاتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من أبهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشر ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثنا عشرة ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب احدى وأربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء وطول هذا المسجد أجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعا وعرضها عشرة أذرع في مثلها وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع في نهاية من الحسن ووضع في مكانه منه وحصرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند كماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة قال وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التي أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجه في تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منه وكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو أبراجها التي يرقى الماء منها ويتصوب من أعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى أن وصلت أعني القناة الى هذه البركة أربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخيرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته ووصل المهندسين والقوام بالعمل بصلات حسنة جليلة جزيلة وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من أربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة وأول من خطب به القاضي المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على انه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد ورسول

بربر كرياز بعد البراهمة يراد به رآسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة اليه ومعنى دولتنا البيلمرة يراد به من ولد واسن المسلمين بأرض الهند يعرفون بهذا الاسم وأحدهم بيسر وجمعهم بياسرة فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر ووضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار واذا مات الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلانحرية واحدهم بلانحري وتفسير ذلك انهم ادق أن يموتوا فيموت بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التي لم يعهد ذكرها الابدان ويقصر من ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان ولنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان وقصده مملكة السربانيين ونعدل عن الحديث عن أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال

ورسول وافد وتاجر وجهيد وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة الا وكلهم قطع انه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى انه كان أعجب ما يؤمله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا يتسع جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدي الاوهام الى مثلها ان فصحاء التعبير عنها فسبحان الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها واختراعها من أجزاء الارض المنحلة ليري الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعده لاهل السعادة في دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرم لا اله الا هو المنفرد بالكرم (وذكر المؤرخ) أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مباني الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف وعلى ثلثمائة سارية وست عشرة قال منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية وان مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه والله سبحانه أعلم فانها كانت من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا وأعظمه شأنا انتهى قلت عبر بعضهم ذلك النيف في كلامه بثلاث عشرة والله أعلم (وقال بعض من أرخ الاندلس) كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم كل يوم حاشا أنواع الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة انتهى وبين ان عدد الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل بعض مكان الخمسين سبعة وثمانين (وقال آخر) ستة آلاف صقلبي وسبعة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم وينقع لها من الحمص الاسود ستة أقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل تقسم من عشرة أرطال للشخص الى ما دون سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى (وقال ابن حيان) ألفيت بخط ابن دحون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستة آلاف صخرة سوى الصخر المصرف في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دواب الاكرية الراتبة للخدمة ألف بغل لكل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الايام ألف ومائة حمل وكان فيها حمامان واحدة للقصر وثانية للعامة * وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء انه قدر النفقة فيها في كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها لانه توفي سنة خمسين فحصل جميع

اه زنبيل وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما دونه فسار اليه بعض ملوك العرب فأتى عليه وملك العراق ورد ملك السريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له (سير) وكان ولد المقتول وكان ملكه الى أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده (أهربوس) وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له (هوربا) فزاد في العمارة وأحسن في الرعاية وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (سارث) واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده (أزور) و(حلكاس) ويقال انهما كانا أخوين فأحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ويقال ان أحد هذين الملكين كان بالساذان يوم اذ نظر في أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هنالك واذا هو يضرب بجناحيه ويصيح وتأمل الملك ذلك ونظر الى حية تنساب الى الوكر قاصدة لاكل فراخ الطائر فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها ولم

لان [illegible] كان مبلغه خمسة عشر بيت مال. قال وجلب اليها الرخام من قرطاجنة وافريقية وتونس وكان الذين جلبوه عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن وعلي بن جعفر الاسكندراني وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنانير انتهى وقال بعض ثقات المؤرخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير قيل وكان عدد السواري المجلوبة من افريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية ومن بلاد الافرنج تسع عشرة سارية واهدى اليه ملك الروم مائة واربعين سارية وسائرها من مقاطع الاندلس طركونة وغيرها فالرخام الابيض من ريه والوردي والاخضر من افريقية من كنيسة اسفاقس واما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبه اليه احمد اليوناني من القسطنطينية مع ربيع الاسقف القادم من ايلياء واما الحوض الصغير الاخضر المنقوش بتماثيل الانسان فجلبه احمد من الشام وقيل من القسطنطينية مع ربيع الاسقف ايضا وقالوا انه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله وحمل من مكان الى مكان حتى وصل في البحر ونصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره وكان يخبز في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبعه. وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان وذكر بعض هذا كله وانما ذكرته لقول بعضهم اثر حكايته له ما صورته وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدى من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مدبا وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا فسبحان الباقي بعد فناء الخلق لا اله الا هو انتهى (وقال ابن البديع الهمداني رحمه الله في المطمح) كان الناصر كلفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط مجاهلها واستجلاب مياهها من أبعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فافضى به الاغراق في ذلك الى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره الذائع المنتشر صيته في الارض واستفرغ جهده في تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فاراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير بالانابة والرجوع فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون الى قوله من المعتدين ثم وصله بقوله

مكان في منقاره وبخلابيه والملك برمقه ووضع الحب بين يديه ثم [illegible] الطائر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نصراني [illegible] المدن في الحب بها الملك فينبغي ان يودع [illegible] الارحام لاوض [illegible] [illegible] [illegible] في العالم [illegible] [illegible] بالاكرام وامرهم بزرع الحب ومراعاته بما يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهم يرمقونه والملك يراعيه الى ان انتهى في النمو [illegible] لا يقدرون على ذوقه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثمرته وان يودع [illegible] [illegible] على حاله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الملك على [illegible] [illegible] [illegible] ذلك في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشيخ فسار بالشيخ الى مكان وارخى من [illegible] رداءه القصير وحرك رأسه ووضع يديه على الارض

فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء ومضى في ذم تشييد
البنيان والاستغراق في زخرفته والاسراف في الانفاق عليه بكلام جزل وقول فصل
جرى فيه طلقا وانتزع فيه قوله تعالى أفمن أسس بنيانه الى آخر الآية وأتى بما يشاكل المعنى
من التخويف بالموت والتحذير من فجأته والدعاء الى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على
اعتزالها والرفض لها والندب الى الاعراض عنها والاقصار عن طلب اللذات ونهي النفس
عن اتباع هواها فاسهب في ذلك كله وأضاف اليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من
الحديث والأثر ما يشاكله حتى أذكر من حضره من الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا
وضجوا ودعوا وأعلنوا التضرع الى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة وأخذ خليفتهم
من ذلك بأوفر حظ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما سلف من فرطه واستعاذ بالله من
سخطه الا انه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال
والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري فأسرف علي وأفرط في تقريعي وفي
تحسين السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غيظا عليه فأقسم أن لا
يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة
ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك
والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره وانتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره
وعلمه لا أم لك يعزل لارضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون واني
لأستحيي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه
ولكنه أحرجني فأقسمت ولوددت اني أجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس
حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا وقيل ان الحكم اعتذر بما قال
منذر وقال يا أمير المؤمنين انه رجل صالح وما أراد الا خيرا ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية
لعذرك فأمر حينئذ الناصر بالقصور ففرشت وفرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديباج
وأمر بالأطعمة وقد أحضر العلماء وغص بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فأومأ اليه الناصر
أن يقعد بقربه فقال يا أمير المؤمنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب
فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة [illegible] الناس بعد هذا كلاما من كلام المنذر
[illegible] الناس آخر [illegible] منذر [illegible] الى لا [illegible]
بالناس فأهله لذلك وصام بين يديه أياما ثلاثة [illegible] وأنابه ورهبه واجتمع الناس في
مصلى الربض بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر في أعلى
مصانعه المرتفعة من القصر ليشارف الناس ويشاركهم في الخروج الى الله تعالى
والضراعة له وأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم
ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بدار الناس الى ارتقائه واستكانتهم من
خيفة الله واخباتهم له وابتهالهم اليه رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح
خطبته بأن قال يا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر
الناس بعضهم الى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع تاليا قوله تعالى كتب

ان يكون فاذا الامر الى
[illegible] كيف عاد في حال
السرور وسلطان الدم
وقوة الشباب ثم أمر الملك
به فغرس فكثر الشجر فأمر
فسأل الملك هل ثمر
الشجر أبان وطلب الزيادة
من الشراب وقال نعم
بقيته ويكشف عني الهموم
وأراك من ساعتي الأحزان
[illegible] وما أراد الطائر
الا مكافأتهم بهذا الشراب
الشريف فسأل الملك [illegible]
أشرف شراب أهل الأرض
وذلك أنه رأى [illegible]
حسن وقوي جسمه [illegible]
في [illegible] وشرب في حال
[illegible] الحزن و[illegible]
الدائم وطابت نفسه وطاب
النوم وصار لونه [illegible]
[illegible] الملك أن يمنع
العامة من ذلك فقال هذا
شراب الملوك وأما السوقة
فيه فمن كان فلا يشربه
[illegible] فاستعمله الملك [illegible]
أنه ثم دار أيدي الناس
وتعلموه [illegible] قيل ان
[illegible] من زرعها
ذكر [illegible] حين زرعها
ابليس [illegible] خرج من
السفينة واستوى على
الجودي في كتاب المبتدا
وغيره من الكتب
(ذكر ملوك الموصل
ونينوى ولمع من أخبارهم)
ونينوى هي مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهي من [illegible] كور الموصل ونينوى في [illegible] وهو [illegible]

ربكم على نفسه الرحمة الى قوله رحيم ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه وتزلفوا بالاعمال الصالحة لديه قال الحاكي فضج الناس بالبكاء وجأروا
بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه وانبعث الاخلاص بتذكيره فلم
ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن الازل والله
لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه أن قال يوما وقد سرح
طرفه في ملا الناس عند ما شخصوا اليه بابصارهم فهتف بهم كالمنادي يا أيها الناس وكررها
عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء الى الله الى قوله بعزيز فاشتد وجد الناس وانطلقت
أعينهم بالبكاء ومضى في خطبته وقيل ان الخليفة الناصر حرج مرة للاستسقاء وأسرع
عزمه عليه فسابق الناس للمصلى فقال للرسول وكان من خواص الناس ليت شعري ما الذي
يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رأيناه قط أخشع منه في يومنا هذا انه منتبذ حائر منفرد بنفسه
لابس أخس الثياب مفترش التراب وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه
وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن
يفوتك شيء مني قال الحاكي فتهلل وجه القاضي منذر عند ما سمع قوله وقال يا غلام احمل المطر
معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم
ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته
وقوة الحكومة والقيام بالحق في جميع ما يجري على يده لا يهاب في ذلك الامير الاعظم فمن
دونه (وقال ابن الحسن النباهي) وأصله في المطمح وغيره ومن أخبار منذر المحفوظة له مع
الخليفة الناصر في انكاره عليه الاسراف في البناء ان الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة
المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء
قراميد ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما وقرمد سقفها به وجعل سقفها صفراء فاقعة الى
بيضاء ناصعة تستلب الابصار بأشعة نورها وجلس فيها اثر تمامها يوما لاهل مملكته فقال
لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به
من البدائع الفتانة هل رأيتم أو سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله
يا أمير المؤمنين وانك لاوحد في شأنك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى
الينا خبره فأبهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما
ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره
على ابداعه فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن
الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك
الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد
الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلتني منزلتهم قال نعم أليس الله تعالى يقول ولولا
أن يكون الناس أمة واحدة الآية فوجم الخليفة وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله
تعالى ثم أقبل على منذر وقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين
أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر

الله

والثلاثين وثلثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لاهلها والى أهلها أرسل يونس بن متى وآثار الصور
فيها من أصنام في حجارة
مكتوبة على وجوهها
وظاهر المدينة تل عليه
مسجد وهناك عين تعرف
بعين يونس النبي عليه
السلام ويأوي الى هذا
المسجد النساك والعباد
والزهاد وكان أول ملك بنى
هذه المدينة وسورها
ملك عظيم قد دانت له
الملوك ودانت له البلاد
ويقال له سيموس بن
بالوس فكانت مدة ملكه
اثنتين وخمسين سنة وكان
بالموصل رجل آخر محاربا
لهذا الملك وكانت بينهما
حروب ووقائع ويقال ان
ملك الموصل كان في ذلك
العصر سابق بن مالك رجل
من اليمن ثم ملك أهل
نينوى عليهم بعده امرأة
يقال لها سيموس فأقامت
عليهم أربعين سنة
تحارب ملوك الموصل
بممالكها من شاطئ دجلة
الى بلاد أرمينية ومن بلاد
اذربيجان الى حد الجزيرة
والجودي وجبل الثلج
الى بلاد الزوزان وغيرها
من أرمينية وكان أهل
نينوى ممن سميناه نبيطا
وسريانيين والجنس
واحد واللغة واحدة وانما
بان النبط عنها بأحرف
يسيرة في لغتهم والمقالة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسيس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه ثلاثا

الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاده قرمدا على صفة غيرها انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهي واذكر هذه الحكاية وغيرها وان خالف السياق ما سبق وهذا منقول من كلام الحجاري في المسهب في أخبار المغرب فانه أتم فائدة اذ قال رحمه الله دخل منذر بن سعيد يوما على الناصر باني الزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبنيان فوعظه فأنشده عبد الرحمن الناصر

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان

ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

قال فما أدري أهذا شعره أم تمثل به فان كان شعره فقد بلغ به غاية الاحسان وان كان تمثل به فقد أحسنه بالتمثل به في هذا المكان وكان منذر يكثر تعنيفه على البنيان ودخل عليه مرة وهو في قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها الحفلة الاظن أن أحدا من الملوك لم يصل اليه فقام خطيبا والمجلس قد غص بأرباب الدولة فتلا قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية وأتبعها بما يليق بذلك فوجم الملك وأظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال لمنذر بن سعيد لعظم قدره في علمه ودينه * وحضر معه يوما في الزهراء فقام الرئيس أبو عثمان بن ادريس فأنشد للناصر قصيدة منها

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن * مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا

فبالجامع المعمور للعلم والتقى * وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا

يا باني الزهراء مستغرقا * أوقاته فيها أما تمهل

لله ما أحسنها رونقا * لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر اذا هب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى فقال منذر اللهم اشهد أني قد بثثت ما عندي ولم آل نصحا انتهى ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله تعالى فيما قال فانها ذبلت بعد ذلك في الفتنة وقلما كان بينها وبين الفتنة ... وذلك عندما ولي الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب شنجول وتصرف في الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور ساء التدبير ولم يعبر عن القتل والتغيير ودس الى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه نفسه حتى ولاه عهده كما ... العهد فيما سبق فاطبق الخاصة والعامة على بغضه واضمار السوء له وذلك سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدي وخلع المؤيد وحبسه وأسلمت الجيوش شنجول فأخذ وأسر وقتل (قال ابن الرقيق) ومن أعجب ما روي انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الاخيرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع خليفة وهو المؤيد وولي خليفة وهو المهدي وزالت دولة بني عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن عسلاجة وأسيف جيوش من

ما له ثم غلبوا على أهل نينوى وكانت الحروب بين أهل أرميه وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدي الضريبة الى ملك أرمينيه وهؤلاء الملوك أخبارهم وحروبهم قد أتينا على جمعها في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط

(ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم)* ذكر جماعة من أهل التنجيم والعشوم من ذوي العناية بأخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وان الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمرود) الجبار وكان ملكه نحوا من ستين سنة وهو الذي احتفر أنهارا بالعراق آخذة من الفرات ويقال ان من ذلك نهر كوثى بطريق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد لاحفاء بحيره وشهر به ونسند كر ما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق عند ذكرنا لملوك الفرس الاولى

والنائية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض في هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من

ابنه [illegible] ثم خلع من الوزارة وولي الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال خابين وجزارين وزبالين وهم جند المهدي انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدي [illegible] وقال بعض الشعراء لما قام على الدولة

قد قام مهدينا ولكن ✻ بملة الفسق والمجون
وشارك الناس في حريم ✻ لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجما ✻ فاليوم قد صار ذا قرون

ومن شعر المهدي هذا وقد حياه في مجلس شرابه غلام بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المياس ✻ غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما يحكيك في حركاته ✻ وكأنما يحكيه في الأنفاس

وقد ذكرنا فيما سبق في الفصل الثالث خبر المهدي هذا وقتله ولقد كان قيامه مشؤوما على الدين والدنيا فإنه فتح أبواب الفتنة بالاندلس ومحى معالمها حتى تفرقت الدولة وانتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو اليها وأخذها شيأ فشيأ حتى محى اسم الاسلام منها أعاده الله تعالى وقد ألم الولي بن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في جملة مباني الناصر فقال ما نصه ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمباني وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط وجده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتقان والفخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المتنزهات فاتخذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها لنزله وكرسيا لملكه وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما عفا على مبانيهم الاولى واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك واتخذ فيها دور الصناعة آلات من آلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فهي من مباني المنصور محمد بن أبي عامر (قال ابن خلدون) أثناء كلامه على المنصور ما صورته وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة انتهى (وقال غيره) وأطنب صاحب المطمح وفي سنة ثمان وستين وثلثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما استفحل أمره واتقد جمره وظهر استبداده وكثر حساده وأضداده وأنداده وخاف على نفسه في الدخول الى قصر السلطان وخشي أن يقع في أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما يتوقعه في أمره من الاعتراء عليه ورفع الاستناد اليه وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله بأهله وذويه ويضم اليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه فتيانه وغلمانه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم

[illegible] بعده ([illegible]موس) نحوا من [illegible] ثانيا في الارض [illegible] أهلها ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]ورش) نحوا من [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] ([illegible]) نحو [illegible] وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]روس) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده (ايلاوس) خمس عشرة سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا من أربعين سنة ثم ملك بعده ([illegible]نوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده ([illegible]كاوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده ([illegible]مروس) نحو أربعين سنة وقيل دون ذلك ثم ملك بعده ([illegible]) نحو الاثنين [illegible] ([illegible]) [illegible] (أسيرطوس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده (العداس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو [illegible] وأربعين سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو

وشرع

وشرع فى بنائها فى هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والفعلة وجلب اليها الآلات الجليلة وسربلها بهاء يرد الاعين كليلة وتوسع فى اختطاطها وتولع بانتشارها فى البسيطة وانبساطها وبالغ فى رفع أسوارها وثابر على تسوية انجادها وأغوارها فاتسعت هذه المدينة فى المدة القريبة وصار بناؤها من الانباء الغريبة وبنى معظمها فى عامين* وفى سنة سبعين وثلثمائة انتقل المنصور اليها ونزلها بخاصته وعامته فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ فيها الدواوين والاعمال وعمل فى داخلها الاهراء وأطلق بساحتها الارحاء ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه فابتنوا بأرجائها كبار الدور وجليلات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة والمنازه المشيدة وقامت بها الاسواق وكثرت فيها الارفاق وتنافس الناس فى النزول بأكنافها والحلول بأطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهى الغلو فى البناء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة واستقرت فى بحبوحتها الامارة وأفرد الخليفة من كل شئ الا من الاسم الخلافى وصير ذلك هو الرسم العافى ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤس أمرائه وندب اليها كل ذى خطة بخطته ونصب ببابها كرسى شرطته وأجلس عليها واليا على رسم كرسى الخليفة وفى صفة تلك المرتبة المنيفة وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة بأن تحمل الى مدينته تلك أموال الجبايات ويقصدها أصحاب الولايات وينتابها طلاب الحوائج وحذر أن يعوج عنها الى دار الخليفة عائج فاقتضيت لديها اللبانات والاوطار وانثال الناس اليها من جميع الاقطار وتم لمحمد بن أبى عامر ما أراد وانتظمت بأمانيه المراد وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه وسد باب قصره عليه وجد فى خبر لا يصل اليه وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهى والامر ويشرف منه على كل داخل ويمنع ما يحذره من الدواخل ورتب عليه الحراس والبوابين والسمار والمنتابين يلازمون حراسة من فيه ليلا ونهارا ويراقبون حركاتهم سرا وجهارا وقد حجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملك قبيل أو دبير وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء محجوز الغناء خفى الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الاحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف منه بأس ولا يرجى منه انعام ولا يعهد منه الا الاسم السلطانى فى السكة والدعوة وقد نسخه ولبس أبهته وطمس بهجته وأغنى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه واشتد ملك محمد ابن أبى عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الايام فى تشييد مبانيها حتى كملت أحسن كمال وجاءت فى نهاية الجمال نقاوة بناء وسعة فناء واعتدال هواء يرق أديمه وصفاء جو يسرى نسيمه ونضرة بستان وبهجة للنفوس بها افتتان وفيها يقول صاعد اللغوى

يا أيها الملك المنصور من يمن * والمبتنى نسبا غير الذى انتسبا
بغزوة فى قلوب الشرك رائعة * بين المنايا تناغى السمر والقضبا
أما ترى العين تجرى فوق مرمرها * هوى فيجرى على أحفافها الطربا
أجريتها فطما الزاهى بجريتها * كما طموت فسدت العجم والعربا

نحو ... سنة ثم ملك
بعده (بطارس) نحو ...
سنة ثم ملك بعده (صاطرس)
نحو أربعين سنة ثم ملك
بعده (أفس...) نحو
أربعين سنة ثم ملك بعده
(...) نحو ...
[illegible]
... بعده (...)
نحو ... سنة ثم
بعده (مروطاوس) نحو
عشرين سنة ثم ملك بعده
(أوريرس) نحو ستين سنة
ثم ملك بعده (...طوروس)
نحو ... سنة ثم ملك
بعده (دولام ...) نحو
... سنة ثم ملك بعده
(سعلس) ...
[illegible]
[illegible]
من ملوك ... كذلك
... كتاب التاريخ
العدة ثم ملك بعده (سمو...)
نحو ... سنة ثم ملك
بعده (مردوخ) أربعين
سنة وقيل أقل من ذلك ثم
ملك بعده (...)
... وهو الذى ...
... المقدس ثم ملك بعده
(...) ... سنة وقيل
أقل من ذلك ثم ملك بعده
(بختنصر) الجبار نحوا
من أربعين سنة ثم ملك بعده
(قرمودوس) نحو ... ثم
ملك بعده (بيطسعر) نحو ستين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (...) نحو ... ثم ملك بعده

تجال فيه جنود الماء راقلة * مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفها من غصون الأيك زاهرة * قد أورقت فضة إذ أورقت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها * يتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر أن ينشي لها مثلا * ولو تعنت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية والروض قد تفتحت أنواره وتوشحت أنجاده وأغواره وتصرف فيها الدهر متواضعا ووقف بها السعد خاضعا فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الأول * بالعامرية ذات الما والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وإن حل فصل غير معتدل
ما إن يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس بالحمل

وما زالت هذه المنية رائقة والسعود بلبتها متناسقة تراوحها الفتوح وتغاديها وتجلب إليها منكسرة أعاديها لا يرجف عنها راية إلا إلى فتح ولا يصدر عنها تدبير إلا إلى نجح إلى أن حان يومها العصيب وقيض لها من المكروه أوفر نصيب فتولت فقيدة وحلت من بهجتها كل عقيدة انتهى (وقد حكى الحميدي في جذوة المقتبس) هذه الحكاية الواقعة لابن أبي الحباب بزيادة فقال بعد أن ذكر هذه المنية العامرية وهي إلى جانب الزهراء إن أبا المطرف بن أبي الحباب الشاعر دخل إلى المنصور في هذه المنية فوقف على روضة فيها ثلاث سوسنات ثنتان منها قد تفتحتا وواحدة لم تتفتح فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الأول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وإن حل فصل غير معتدل
ما إن يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس في الحمل
كأنما غرست في ساعة وبدا السوسان من حينه فيها على عجل
أبدت ثلاثا من السوسان مائلة * أعناقهن من الإعياء والكسل
فبعض نوارها للبعض منفتح * والبعض منغلق عنهن في شغل
كأنها راحة ضمت أناملها * من بعد ما ملئت من جودك الخضل
وأخرى باسطت منها أناملها * ترجو نداك كما عودتها فصل

وذكر ابن سعيد أن ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد اللغوي البغدادي فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من أبيات

فالعامرية تزهى * على جميع المباني
وأنت فيها كسيف * قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقضا له فقال أسعد الله تعالى الحاجب الأجل ومكن سلطانه هذا الشعر الذي قد أعده وتروى فيه وأقدر أن أقول أحسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دعواك فجعل يقول من غير فكرة كثيرة

يا أيها الحاجب المعتلي على كيوان

([illegible]) سنة وقيل أول من [illegible] ثم ملك بعده (دارنوس) اثنتي وثلاثين سنة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده (كيرحوس) عشرين سنة ثم ملك بعده (فخشمت) احدى وأربعين سنة ثم ملك بعده (اخرشت) ثلاث سنين وقيل ستين وشهرين ثم ملك بعده (شعثا) سنة وقيل سبعة أشهر ثم ملك بعده (اربوس) عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (اطحسس) سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (دار التسع) خمس عشرة سنة وقيل عشرين سنة (قال المسعودي) فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم وأيامهم ومدد ملكهم وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الأنهار وغرسوا الأشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الأرضين واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكايد وصففوا صفوفا للحرب بالقلب والميمنة والميسرة والأجنحة وجعلوا ذلك مثالا لأعضاء جسد الإنسان وعقدوا لكل جزء علاما الأمة لا يواريها غيرها فعملوا [illegible] لأم [illegible] على صورة الفيل وما عظم من أجناس الحيوان وجعلوا أعلام [illegible] ومن

ومن به قد تناهى * فخار كل يمان
العامرية أضحت * بجسمه الرحمن
فريدة لفريد * ما بين أهل الزمان

ثم مر في الشعر الى ان قال في وصفها

انظر الى النهر فيها * ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا * على ذرا الاغصان
والقضب تلتف سكرا * على العنصر ان
والروض يفتر زهوا * عن مبسم الاقحوان
والنرجس الغض يرنو * بوجنة النعمان
وراحة الريح تهدي * روح الريحان
فدم مدى الدهر فيها * في غبطة وأمان

فأمر المنصور لابن العريف بالف دينار... فيه من هذا... وكيف يكون ذو نسب... ابن العريف... عليه المآخذ... احسانك فقال له صاعد ويخرج من هذا أن لله احسانه لك وبعدت عليك المآخذ فضحك المنصور وقال غيره هذه المنزعة أليق أدبكما (قلت) وقد ذكر مؤرخو الاندلس منى كثيرة بها منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة (قال أبو الحسن) بن سعيد حدثني أبي عن أبيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان نوار اللوز أبو بكر بن بقي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نور فقال ابن بقي

سطر من اللوز في البستان قابلني * ما زاد شيء على شيء ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى أعطافه رقصا

ثم قال

عجبت لمن أبقى على خمر دنه * غداة رأى لوز الحديقة نورا

(وذكر) بعض مؤرخي الاندلس أن المنصور بن أبي عامر كان يزرع كل سنة ألف مدي من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به وانه كان اذا قدم من سفرة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحب الابنية لما وهي من أسواره ومبانيه ودوره قال وكان له كل يوم اثنا عشر ألف رطل من اللحم ما عدا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع في كل عام اثني عشر ألف ترس عامرية للقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق الزاهرة والزهراء مدينة العامرية بعدان المصور والمرجات المخترمة كنية السرو ونظيرها من منتشئه البديعة ومن المصنع ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الايغال وغاب بها من عظماء الروم من غال وحل من أرضهم ما لم يطرق ودوخ منهم ما لم يرع ولم يفرق وصدر بدراسمائه على كل حسناء عقيلة وجلابه كل صعبة للحسن صقيلة ودخل قرطبة دخولا لم يعهد وشهدله

وجعلوا في الاكاسرة صور مالا بد من السباع كالنمر والاسد وجعلوا صور أعلام الملكية في صور الحيات والعقبان وما حفي فعله من هوام الارض وجعلوا الرأس لكل نوع منها من السواد الا انهم وان اعتمدوا تصويره بان الماء ودم كردوس ان الالوان مثانية على حسب موضع المستدق له ومنعوا أن تكون الحمرة شرب ... أما ذلك الامالند من أجزائها داخلا في جملة الاكثر من أسماء الحيوان من تلك الاعلام ورعموا ان قضية القياس توجب ان يكون اكثر أعلام الحمرة حمرا اذ كانت ألوان واشكل لون الدم وأ كثر ملازمه ... نزهوا واحد ... لكن منع من ذلك استعمالها في حال لريبة ونظر وأوفاق السرو واستعمال الالوان والصديان ... المعرس بها وأوجب ترك ذلك وأن حسن الاعتبار منها كل لون الحمرة اذا كان من شانه انه اذا ادركها الشمس نوره في ادراكها واذا وقع البدر على اللون الاسود احتج نوره ولم ينبسط في اذرايه

انبساطه في الحمرة وان السبعة الواقعة من هذه الاساطر وبين لون الحمرة والانوار ... لا ...

وبها يوم مثله لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده وحداه منعه وراتده وابن شهيد هذا احد حجاب الناصر وله على ابن ابى عامر أياد محكمة الاواصر وهو الذى نهض به أول انبعاثه وشق أمره زمن التياثه وخاصم المصحفى عنه بلسان من انجابه اند وتوجاه باحسان قلده من الرعاية ماقلد واسمى رتبته وحلى باعظام جاهه لبته وكان كثيرا ما يتحفه ويصله ويلطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقفل نسى راحة وهو على ذلك كتب اليه ابن شهيد

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا ... يعنى أقيك كل الروايا
ورسول الاله أسهم فى الفى ... لمن لم يحضر به المطايا
فاجعلني فديت انت كردعرو ... ذلك وابعث بها عذاب الثنايا

فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كانهن نجوم سوار وكتب اليه

قد بعثنا بها كشمس النهار ... فى ثلاث من المها أبكار
فاتئد واجتهد فانك شيخ ... سلخ الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها ... فمن العار كلة المسمار

فكتب اليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار ... واصطبغنا من النجيع الجارى
ونعمنا فى ظل أنعم ليل ... ولهونا بالبدر ثم الدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ... ذى مضاء عضب الظبا بتار
واصنعه فليس يجزيك كفرا ... واتخذه سيفا على الكفار انتهى

وقد قدمنا هذه الحكاية فى أخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العدو به والفائدة الزائدة * وممن كان فى أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن ادريس الخولانى فان فى المطمح علم من الاعلام بريد الرسائل وعين من أعيان البيان باهر الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحبير أيام المنصور والانشاء وأشعر بدولته الافراح والانشاء ولبس العزة مدة ضافية البرود وورد بها النعمة صافية الورود وامتطى من جياد التوجيه وأعلى من لاحق والوجيه وتمادى طلقه ولا أحد يلحقه الى أيام المظفر وهو على سننه وتمادى السعد يترنم على فننه الى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع وكان أبو مروان نديم الاصطناع له والانقطاع فاتهم معه وكاد أن يذوق حمامه ومصرعه الا أن احسانه شفع وبيانه نفع ودفع خطبه عن تلك الريب وحمل الى طرطوشة على القتب وبقى هنالك معتقلا فى برج من أبراجها نائى المنهى كالماء ينادى السها قد بعد سناكنه عن الانس وقعد من الحصم بمنزلة الجليس تمر الطيور دونه ولا تجوزه ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه وبقى فيه دهرا لا يرتقى اليه راق ولا يرجى لبشه راق الى أن أخرج منه الى ثراه واستراح مما عراه فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل الذى به اعتقل

بين نور البصر ونور السواد ومراتب الانوار وماوجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نور به حس البصر ونور الحمرة والبياض والسواد المباين بين النور ونور البصر دون الالوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وعلل القوم فى هذه المعانى الى غير ذلك من الاجسام السماوية من السيرين والخمسة واختلافهما فى أنواعها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية وقد أتينا على ما قالوه من ذلك مما سلف من كتبنا وأبنا على سير هؤلاء الملوك وآرائهم واختلافهم فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرؤس بعضهم بعضا من ملوك الفرس ممن كان مقيما ببلخ والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم

(ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم)* الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها فى ديارها وما الى غير ذلك ان أنسابها تنقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير ان (أول

يأوي اليه كل أعور ناعق * وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرقى اليه مرة * من عمره يشكو انقطاع الابهر

ودخل ليلة على المنصور والمنصور قد اتكأ وارتفق وتجلى بمجلسه ذلك الافق حكم امانيا بمجلسه ذلك مسوقة وأحاديث الامانى به منسوقة واماره بالدخول عنده منزل فى حلة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب والافق يسدو به أغر ثم يعود مبهما والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما وأبو مروان قد انتشى وجال فى ميدان الانس ومشى وبرد خاطره قد دبجه السرور ووشى فاقلقه ذلك المغيب والاتياح وانصه ذلك السرور والارتياح فقال

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

فقال لو نمى عندي اليه * لراجعني بذا حقا جوابا

وله فى شدة اعتلاله وتردده فى قيله وقاله

شحط المزار فلا مزار ونافرت * عيني الهجوع ولا خيال يعتري
أزرى بصبري وهو مشدود العرى * والآن عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كله وتلذذي * بالعيش طي صحيفة لم تنشر
ها انما ألفى الحبيب توهما * بضمير فكري وعين تذكري
عجبا لقلبي يوم راعتني النوى * ودنا وداع كيف لم يتفطر

(رجع الى المنصور) وكان المنصور اذا اراد امرا استشار ارباب الدولة والاكابر من خدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذي عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج الذي ابتدعه فيتحدثون فى انفسهم بالهلاك فى الطريق الذي سلكه والمهيع الذي اخترعه فتسفر العاقبة عن السلامة التامة التي اقتضاها سعده فيكثرون التعجب من موارد أموره ومصادرها * وقيل له مرة ان فلانا مشؤوم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يعفي على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذي جرت به العادة شيء * وحكى عنه انه كان فى قصره الذي بالزاهرة فتأمل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة وانصت لاطياره المغردة وملأ عينه من الذي حواه من حسن وجمال والتفت فى الزاهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه وتجهم وقال ويل لك يا زاهرة فليت شعري من الخائن الذي يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض خاصته ما هذا الكلام الذي ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردىء الذي لا يليق بمثله شغل البال فقال والله لترون ما قلت وكاني بمحاسن الزاهرة قد محيت وبرسومها قد غيرت وبمبانيها قد هدمت ومحيت وبخزائنها قد نهبت وبساحاتها قد أضرمت بنار الفتنة والهبت (قال الحاكي) فلم يكن الا ان توفى المنصور وتولى المظفر فلم تطل مدته فقام بالامرة أخوه عبد الرحمن الملقب بسنجول فقام عليه المهدي والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة آل عامر ولم يبق منهم آمر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

ملوكهم كيومرث) ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم انه ابن آدم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم الاولون عددا انه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح لانه أول من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا فى مسكن واحد والله أعلم بذلك وكان كيومرث اكبر اهل عصره والمقدم فيهم وكان اول ملك نصب فى الارض فيما يزعمون وكان السبب الذي دعا اهل ذلك العصر الى اقامة ملك ونصب رئيس لهم رأوا اكثر الناس قد جبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا أحوال الخليقة وتدبروا أن الجسم وصورة الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم فى بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدي الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما يورده اليه من احلاقها ثم مداركها وهو معنى فى القلب فرأوا اصلاح الجسم بتدبيره وانه متى فسد تدبيره فسد سائره ولم تظهر افعاله المتقنة المحكمة فلما رأوا هذا العالم الصغير

وخربت الزاهرة ومضت كأمس الدابر وحلت منها الدسوت الملوكية والدساكر
واستولى النهب على ما فيهما من العدة والذخائر والسلاح وتلاشى أمرها فلم يرج لفسادها
صلاح وصارت قاعا صفصفا وتبدلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا (ويروى) أن
بعض من تأمل ذلك الزمان مر بها ونظر الى مصانعها السامية الفائقة ومبانيها العالية الرائقة
فقال يا دار فيك من كل دار فجعل الله منك في كل دار (قال الحاكي) فلم تكن بعد دعوة
ذلك الرجل بمضي الأيام يسيرة حتى نهبت ذخائرها وعم بالخراب سائرها فلم تبق دار
في الاندلس الا ودخلها من فيئها حصة كثيرة أو قليلة وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل
الذي هو منه بمعزل بجملته (ولقد حكي) أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد
المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضي ملكه لا اله الا هو (وتذكرت) هنا ما رآه في
المنام بعض أهل المغرب بالمهدية التي انقرض فيها ملك الموحدين أن شخصا ينشده

ملك بني مؤمن تولى : وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا واسمعوا وقولوا : سبحان من لا يبيد ملكه   لا اله الا هو

وكان المهدي الذي قام على العامري بين ندمائه فاتكا قال وقد حياه في مجلس شرابه غلام
بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المياس : غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما يحكيك في حركاته : وكأنما يحكيه في الأنفاس

وكان للمنصور بن أبي عامر حين تغلب على ملك الامويين تدبير مكترث مثل المهدي المذكور
وسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه وأخر كل ما قدمه ولم ينفع في ذلك
احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء ولا تكن متعرضا
وقد قدمنا شيئا من أخبار المنصور ولا بأس أن نلم هنا ببعضها وإن حصل منه نوع تكرار
في بعضها لارتباط الكلام بعضه ببعض (قال بعض المحققين من المؤرخين) حجر المنصور
بن أبي عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولي الحجابة وربما أركبه بعض سنين وجعل
عليه برنسا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يعرف منهن ويأمر من ينحي الناس من طريقه حتى
ينتهي المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود وغير أنه أركبه بأبهة الخلافة في بعض الأيام لغرض له
كما لعله فيما سبق وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك وكان هذا من
فعله سدا لاتساع ملك بني أمية من الأندلس وأخذ مع ذلك في قتل من يخشى منه من بني أمية
خوفا أن تثور رؤوسهم ويظهر أنه فعل ذلك شفقة على المؤيد حتى أفنى من يصلح منهم للولاية ثم
فرق باقيهم في البلاد وأدخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد وربما سكن بعضهم
البادية وترك مجالس الأبهة والنادية حتى قال بعض من نقم على المنصور ذلك الفعل من
قصيدة

بني أمية أين أقمار الدجى : منكم وأين نجومها والكوكب
غابت أسود منكم عن غابها : فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

مع أن للمنصور مفاخر تدين لها الاوائل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الذهاب

الذي هو جد الانسان المشرقي لا تستقيم اموره ولا تنتظم احواله الا باستقامة الرئيس الذي قدمنا ذكره علموا ان
الناس لا يستقيمون الا
بشخص هو يوجه العدل
عليهم ويعقد الاحكام على
من يرجعه العدل بينهم
فبادروا الى كيومرث بن
آدم ورفعوا حاجتهم الى
منصبه وقالوا أنت
أفضلنا وشريفنا وكبيرنا
وبقية أبينا وليس في العصر
من يوازيك فرد امرنا اليك
وكن القائم فينا فانا تحت
طاعتك وصابرون لك والقابلون
لما تراه فأجابهم الى ما
دعوه اليه واستوثق منهم
بما أكد العهود والمواثيق
على السمع والطاعة وترك
الخلاف عليه فلما وضع
التاج على رأسه وكان أول
من ركب التاج على رأسه
من أهل الارض قال ان
النعم لا تدوم الا بالشكر
وانا نحمد الله ونشكره على
نعمه ونرغب اليه في مزيده
ونسأله المعونة على ما دفعنا
اليه ونحسن اهتدانا الى
العدل الذي به تجتمع
الألفة ويصفو العيش
فثقوا بالعدل منا وأنصفونا
من أنفسكم بورودكم
الى افضل ما في همتكم
والسلام لم يزل كيومرث
قائما بالامر حسن السيرة
في الناس والحسن آمنة
والامة ساكنة الى أن مات
ولهم في وضع التاج على الرأس اسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا

اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وذكروا ان كيومرث اول من امر بالسكوت عند الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بما يرد اليه من الغذاء وتسكن النفس عند ذلك فتدبر كل عضو من الاعضاء تدبيرا يؤدي الى ما فيه صلاحه من اخذ صفو الطعام فيكون الذي يرد الى الكبد وغيره من الاعضاء القابلة للغذاء ما فيه نماؤها وما فيه صلاحها فان الانسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وحرم التدبير الى حيث انصار المهمة وتروع الى ... فاضر ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الانسانية واذا كان ذلك ادى الى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئي وفي ذلك ترك الحكمة وخروج عن الصواب ولهم في هذا الباب مراتب من اسرار السبب الذي بين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد اتينا على ذكره في الكتاب المترجم بسر الحياة وفي كتاب الزلف عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والخيالية والنزاعية وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة وقيل دون ذلك وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه مبدأ النسل

بنفسه في الرواح والغدو وله مع المصحفي وغيره أخبار مرت ويأتي بعضها ولا بأس أن نلخص ترجمة المصحفي فنقول (قال الفتح في المطمح) الحاجب جعفر المصحفي تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى فسما دون سابقة وارتمى الى رتبة لم تكن لبيته مطابقة والتاح في آفاق الخلافة وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه كان يسمع وبه يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لاعاديه الحبائل والشرك واقتنى وادخر وازرى بمن سوّاه وسخر واستعطفه المنصور بن ابي عامر ونجمه بعد غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى من روضه دنا ولا قطف فقام في تدبير الاندلس ما قام والاندلس متغيرة والاذهان في تكيف سعده متحيرة ... من ذكر خالد ومن فخر تغلب ومن صعب راض وجناح تنفض ولم يزل بادا تلك الخلافة معتقلا وفي مطالعها متنقلا الى ان توفي الحكم فانتقض عقد الحكم وانبرت اليه النوائب وتسددت اليه سهام صوائب واتصل بالمنصور ذلك الامر واحتجن به كما مال بيزيد اخوة الغمر وأناف في تلك الخلافة كما شب قبل اليوم عن طوقه عمرو وانتدب للمصحفي بصدر كان أوغره وساءه وصغره فاقتص من تلك الاساءة وأغص حلقه بأي اشاءة فاحله نكبة وأرجله عما كان الدهر أركبه وألهب حر ارجه تربا ونهب له مدخرا ومخترنا ودس عليه ما كان حاط وأحاط به من مكروهه ما أحاط وتبرسخن في مهوى تلك النكبة وحرائي تلك الكربة ينقله المنصور معه في غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق ولهواته الى أن تكورت شمسه وفاظت بين أثنائها نفسه ومن بديع ما حفظ له في نكبته قوله يسترجع من كربته

صبرت على الايام لما تولت ✽ وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ✽ فان طمعت تاقت والا تسلت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه ✽ وللنفس بعد العز كيف استذلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة ✽ فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمة ✽ فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض يسارع فمن محاسن نظامه وانشاده التي بعثها ايناس دهره باسعاده قوله

لعينيك في قلبي علي عيون ✽ وبين ضلوعي للشجون فنون
لئن كان جسمي مخلصا في يد الهوى ✽ فحبك عندي في الفؤاد مصون

(وله) وقد أصبح عاكفا على حمياه هاتفا باجابة دنياه مرتشفا ثغر الانس متنسما رياه والملك يغازله بطرف كليل والسعد قد عقد عليه منه اكليل يصف لون مدامه وما تعرف له ممن هاداه ونادمه

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت ✽ في الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما ✽ يجدون ريا من اناء فارغ

ومن شعره الذي قاله في السفرجل مشبها وغدا به لمأثم البديع منبها قوله يصف سفرجلة

كان من ... مع ابليس

وتصفرة ... في ثوب نرجس * وتعبق عن مسك ذكي التنفس

ولون محب ... السقم مكتسي

وكان لها ثوب ... الرغب أغبر * على جسم مصفر من التبر املس

فلما استتمت في التقضيب شبابها * وحاكت لها الاوراق اثواب سندس

... بالالطاف ابغي اجتماعها * لاجعلها ريحانتي وسط مجلسي

... بدي نسبا لها ثوب جسمها * وأعريتها بالالطف من كل ملبس

وللماء ... يدي من بردها * ولم تبق الا في ... نرجس

ذكرت بها من لا ابوح بذكره * وأذبلها في الكف حر التنفس

وله وقد اعاد المنصور الى المطبق والسجون ... والدموع ... بالمدامع ...

احازي الزمان ... على حاله * مجاراة نفسي لانفاسها

اذا نفس صاعد شفها * توارت به دون جلاسها

وان عكفت نكبة للزمان * عطفت بنفسي على راسها

... له في استعطافه ... المنصور واستلطافه قوله

عفا الله عنك الا رحمة * تجود بعفوك أن ابعدا

... ولم اعتمد * فانت اجل واعلى يدا

الم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى

ومفسد أمر تلافيته * فعاد فاصلح ما افسدا

اقلني اقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

(عود وانعطاف الى اخبار المنصور بن أبي عامر) رحمه الله تعالى وجاراه عن جهاده افضل الجزاء ... وكان له في كل غزوة من غزواته الميمنة على الحسنين ... من المفاخر الاسلامية ... أن بعض الاجناد ... رايته مركوزة على جبل ... احدى مدائن الروم وأقامت عدة ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر ... اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشرب قلوبهم خوف ... المنصور وحربه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجؤوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع (ومن مفاخر المنصور) في بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين في طريق عرض بوسط بلاد الافرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى ... البلاد ... ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد استجاشوا من وراءهم ... ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار ... بلادهم اماكن ... من العساكر وتقدم بنناء

... ذلك مما ... من حد الاختصار والايجاز

الدور والمنازل وجمع آلات الحرث ونحوها وبث سراياه فسبت وغنمت فاسترق الصغار
وضرب أعناق الكبار وألقى جثثهم حتى سد بها المدخل الذي من جهته وصارت سراياه
تخرج فلا تجد الا بلدا خرابا ولما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه في طلب الصلح وان يخرج
بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ولم يزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه
وأسراه فأجابهم ان أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا انا لا نكاد نصل بلادنا الا وقد جاءت
الغزوة الاخرى فنقعد هنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عدنا فازال الامر ... ألزمه لي ...
عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وان ... الى بلاده
وان يحوا جيف القتلى عن طريقه ...
لعز ماوراءه طمع ونصر لا يكاد ... يحود بمثله ...
من الطريق وغصصهم في شرب ذلك الريق ومن مآثره التي في جبين ... دهره قرة انه لما ختن أولاده ختن معهم من أولاد اهل دولته خمسمائة صبي ومن أولاد
الضعفاء عددا لا يحصر فبلغت النفقة عليهم في هذا الاعذار خمسمائة ألف دينار وهذه
مكرمة مخلدة ومنقبة مقلدة فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء ويجعل للمسلمين في
فقد مثله أحسن العزاء ومن مناقبه التي لم تتفق لغيره من الملوك في غالب الظن أن أكثر
جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين وذلك غاية اليمن من الله تعالى ومن أخبار ... انه
على اقبال أمره وخيبة عدوه وادباره انه ما عاد قط من غزوة الا استعد لاخرى ولم تهزم له
راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذلك فخرا ... عادم في بعض
غزواته امرأة تعصت عليه ... وقالت له يا منصور استمع ندائي ... في
طيب عيشك وأنا في بكائي ... فذكرت له أن لها ابنا
أسيرا في بلاد ... ولا يخمد ضرام قلبها ...
حالها ذلك الملك العلي ... من الحلي فرحب المنصور بها وأظهر الرقة لها
وخرج من القابلة الى تلك المدينة التي فيها ابنها وجاس أقطارها وتخللها حتى دوخها واباد
أناخ عليها بكلكله وذللها وأعراها من حماتها ... الاسلام المنصورة ضفتها وخلص
جميع من فيها من الاسرى وجلبت عوامله الى قلوب الكفرة كسرا ...
الاعداء خسرى وتلا لسان حال المرأة فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فهكذا
تكون الهمة السلطانية والنخوة الايمانية فالله سبحانه يرقي تلك الارواح في الجنان
ويرفع درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان وقد ذكرتنا هذه والحديث شجون
وبذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون ... كتبه الاديب الكاتب أبو محمد ابن الامام
الحافظ محدث الاندلس أبي عمر بن عبد البر النمري الى المنصور بن أبي عامر وهو من ذرية
المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في أخباره يمت اليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من آبائه
بتعظيم قدره واكباره وهو عمر الله ببقاء سيدي ذكرى السامعين ... أوطانه ...
عمان زمانه ومد عليه ظلال أمانه الى أبي الله الملك الكريم والسيد الرحيم ما أضفت
لي أهله مفاخركم في سماء الفخار وأشرقت شموس مكارمكم على مفارق الاحرار وأسفرت

من اظهر آراء اصحاب ... لخرابين ... وهذا ... الى ... في ... واسط والبصرة من ... العراق ... ابن ابو ... ابن الا ... عن ... المعروف بالبصرة ... كسرى ... الى ... ستمائة ... الازمنة ... ابن طاح بن ... ابن ساهر ...

من العرب الضحاك وسماه قوم بهراسب ولدس هو كذلك ...

ثم تبث لرهر يهدي اليك من الهمه محامدها ومحاسنك الغر توقظ الثمر الآمال رواميها ايمت أنه نحوا عادت لك القلوب اعتها وعادت اليك النفوس بارمتها
وثبت ان لاالم الاحتمالك ولا أحد رحلا الا عندك علما بانك نثرة الفخر وغرة الدهر
ممت ساريا في ساطع نورك ميمما يمن طائرك محققا للربح موقنا بالفلح والنجح حتى
حططت في دوحة المجد وأنخت بدولة السعد واستشعرت لذة الشكر والحمد وجعلت
أنظم من جواهر الكلام ما تربى على جواهر النظام و أنثر من عطر الثناء ما تزري
بأرجه العطار وحاشا الله وهم أن يعطل لي من أنصارك أو تخلي أوفى من أنوارك فاراني
مهرطا في برك ومحطا الى غيرما كله لا حرم انه من استضاءة الهلال عن غير الدال
ومن استنارة الصبح الى الصباح والله ماهزت ا مالي دوائها الى سواك ولا حدت
أوطاري ركائبها الى من عداك ليكون في أثر الرسمي في الماحل وعلى جمال الحلي على
العاطل لسيادتك السنية ورياستك الاولية التي عدم عنها الساري افصاحي و بعيافي
نعتها امساني وافصاحي فالرأي عندنا مناقبك تهي والاقلام في رسم مآثرك
تحي وما أملي الحدب في حدة الخصب ولا جذل المدنب برضا المعتب كأملي في التعرر
بودك و لتجمل بخدمتك والترمع بخدمتك فالسعيد من ثاني دولتك وطهرني
اليك واستصفاء مرمك القدار بالسبق من لحظه عين رعايتك وكنفه حوزة حمايتك
في التي أمنت بعدله نوائب الايام ودونت بسلطانه دعائم الاسلام تختال بك المعالي
اختيال العروس وتخضع لجلالك أعز النفوس ساعة أشهر من الفجر ووضعه أنور من
البدر وهمه اعلى من الدهر

لعمري لقد أضحى بكم متمسكا ⁂ يشد على تأميل عزكم يدا
ملكت سعد العمر حكام كذا ⁂ وغيرك لا يأتيه الا تجلدا
وسيم لواء الدين لاراك ميمما ⁂ بآرائكم في ظلمة الخطب يهتدي
ألم تكم محمد تليد اسمكم ⁂ أعاد معاد في البلاد وأبعدا

ومثله أدام الله سعادته يستثمرآرائه بمراده ويستمطر ارفاقه ممطرجداه لاسيما وفي
ذا أحمد هما الحسان أو تلك الصاهرين وأنهما أعلم بآثارك الاحرار الطيبين وحديث
بعهودك والعامات وبرك واجمال الذي من اصله ثابت في أهل محبتكم وفرعه نابت في
خاصتكم

وما رغبتي في عسجد استفيده ⁂ ولكنها في مفخر أستجده
فكل نوال كان أو هو كائن ⁂ فلحظة طرف منك عندي نده
فكن في اصطناعي محسنا كمجرب ⁂ يبن لك تقريب الجواد وبعده
اذا كنت في شك من السيف فابله ⁂ فاما تنفيه واما تعده
وما الصارم الهندي الا كغيره ⁂ اذا لم يفارقه النجاد وغمده

ولا بد من أن يطول مولاي بعرس الصنيعة في أرضى الترب ووضع الهناء موضع النوب والله
سبحانه يبقي مولاي آخذا بزمام الفخر ناهضا بأعباء البر مالكا لاعنة الدهر وصنع الله

كان الفرس وبقي في الارض
وللفرس فيه حديث طويل
وانه ملك نصف من
نهاوند الى الري وطبرستان
وقد ذكره شعراء العرب
من قديم ومحدث وقد افتخر
ابو نواس بذلك زعم أنه من
الفرس لان ولاءه في
بني الحكم
وكان اصحابه الجن
والوحش في مساكنها
(ثم ملك بعده الذين يدعون)
ان كان من جنسه
المالك الاقاليم الارض
يورأسب وملك من
نهاوند على حسب ما ذكرنا
وقد ذكر من الفرس
ومن مر بارهم مثل
عمر بن كيري وغيرهم أن
الذين يدعون ان هذا اليوم
الذي قد ذكره في الشعر
ان علماء المهرجان على حسب
ما نوره عندهم الموضع
من هذا الكتاب وما قيل
في ذلك وكانت دار مملكة
افريدون بابل وهذا الاقليم
في بابل من قرية من قراه
يقال لها بابل على شاطئ
نهر من انهار الفرات أرض
العراق على نحو من
المدينة المعروفة بحمر بابل
ونهر الفرس قرية بالعراق

سبحانه لسيدى أتم الصنع وأجمله وأفضله وأكمله بمنه لا رب سواه انتهى (رجع الى أخبار المنصور الكبير) محمد بن أبى عامر رحمه الله وكما قد ذكرنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان أحد أتباعه (قال) صاحب كتاب روضة الازهار وبهجة النفوس ونزهة الابصار ولما أمر المنصور بن أبى عامر بسجن المصحفى فى المطبق بالزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفرقة وقال لهم لستم ترونى بعدها حيا فقد أتى وقت اجابة الدعوة وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك انى أشركت فى سفك دم رجل فى عهد الناصر وما أطلقته الا رؤيا رأيتها بأن قيل لى أطلق فلانا فقد أجيبت فيك دعوته فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته على فقال دعوت على من شارك فى أمرى أن يميته الله فى أضيق السجون فقلت انها قد أجيبت فانى كنت ممن شارك فى أمرك وندمت حين لا ينفع الندم ويروى انه كتب للمنصور بن أبى عامر بهذه الابيات

هبنى أسأت فأين العفو والكرم * اذ قادنى نحوك الاذعان والندم
يا خير من مدت الايدى اليه أما * ترثى لشيخ نعاه عندك القلم
بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيرى

يا جاهلا بعدما زلت به القدم * تبغى التكرم لما فاتك الكرم
ندمت اذ لم تعد منى بطائلة * وقلما ينفع الاذعان والندم
نفسى اذا جمحت ليست براجعة * ولو تشفع فيك العرب والعجم

فبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم انتهى * وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادة حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل فان هذه الابيات للمنصور وهذا المورخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيرى وقد يقال لا منافاة بينهما فان المنصور أجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامر أعم فيبين هنا والله أعلم (وقال بعض مؤرخى المغرب) ان الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن أبى عامر يطلب منه أن يقعد فى دهليزه معلما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحذقه ان هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه خادما ومتعلما وكيف يرونه الآن فى دهليزى معلما وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصحفى فى ليلة نهى المنصور فيها الناس عن ايقاد النيران تعمية على العدو الكافر وهو ينفخ فحما فى كانون صغير ويخفيه تحت ثيابه أو كما قال فسبحان مبدل الدول لا اله الا هو فان هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظم والتحكم فى الدولة المدة المديدة ما لا مزيد عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولقد ذكر بعض علماء المغاربة) أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ولم يزل أعداء المنصور بن أبى عامر يتربصون به الدوائر فغلب سعده الذى هو المثل السائر وربما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا فقال

اقترب الوعد وحان الهلاك * وكل ما تحذره قد أتاك

عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كالتلال ... وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران فى القرآن على حسب ما قص الله تعالى من ... الغربية بابل وكان ملك افريدون خمسمائة ... وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام يذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا فى دهرنا * قسمة اللحم على ظهر وضم
وجعلنا الشام والروم الى * مغرب الشمس الى العطرى سلم

وأطوج جعل الترك له * فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة * فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وأن بلاد بابل أضيف الى ولد افريدون وهو ايرج وقبله أخواه فى حياة افريدون وهلك ولم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايرج

واسقاطهم الجيم وجعلهم اياه بدلا منه فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعد افريدون

خليفة يلعب فى مكتب * أمه حبلى وقاض ينالُ

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا وأمه صبح البشكنية كان الاعداء يتهمون بها المنصور وذلك بهتان وزور وأفظع منه رميهم القاضى بالفجور والله عالم بسرائر الامور ونعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين لا يراعون الاولا ذمة ويطلقون ألسنتهم فى العلماء والائمة وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب جدير بأن لا يدرك ما يؤمل ويتطلب لانه يعترض على الله سبحانه فى أحكامه نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن شر كل ذى شر بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه وقد قدمنا أن المنصور بن أبى عامر كان يخدم أولا جعفر بن عثمان المصحفى مدبر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وأنه ما زال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصحفى ينفرها ببخله وسوء خلقه الى أن كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفى وفى ذلك يقول المصحفى

غرست قضيبا خلته عود كرمة * وكنت عليه فى الحوادث قيما
واكرمه دهرى فيزداد خبثه * ولو كان من أصل كريم تكرما

ولما يئس المصحفى من عفو المنصور قال

لى مدة لا بد أبلغها * فاذا انقضت أيامها مت
لو قابلتنى الاسد ضارية * والموت لم يقرب لما خفت
فانظر الى وكن على حذر * فى مثل حالك أمس قد كنت

ومن أحسن ما نعى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وأنشد له الفتح فى المطمح ونسبهما غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلمتنى فقلت در سقيط * فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فأرتنى * نظم در من التبسم آخر

وله كما مر

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

وله

ياذا الذى أودعنى سره * لا ترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى * كأنه مامر فى اذنى

وأنشد له صاحب بدائع التشبيهات

سالت نجوم الليل هل ينقضى الدجى * فخطت جوابا بالثريا كخط لا

افريدون على حسب ماذكرنا من التنازع فى نسبه والحاقه بايران بن

منوجهر) بن ايران بن أفريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل ببابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا أباه وهما أطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد منوجهر سهم ابن ابان) بن أثقبان ابن بود بن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) ابن أطوج بن ياسر بن رامى ابن آرس بن بورك بن ساساس بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن أفريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات فى التاريخ وغيره فزعم انه تركى وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنى عشر سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتى عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن

هاست بن كجهور بن عداست بن دابريج بن راع بن ماسر بن بود بن منوجهر الملك فهزمه وقتل أصحابه وكنت

وكنت أرى انى ما آخر ليلتى * وأطرف حتى خلته عن أولا

وما عن هوى سامرتها غير اننى * أنافسها المجرى الى طرق العلا

انتهى (رجع) وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثمانى وهو متداول بين أهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحدين ثم الى بنى مرين قال الخطيب بن مرزوق فى كتاب المسند الصحيح الحسن ما ملخصه وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر موضعا الا ومعه المصحف الكريم العثمانى وله عند أهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا وقد قيل ان ابن بشكوال اخرج هذا المصحف منها أى قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت ١١ شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فى أيام أبى محمد عبد المؤمن بن على وبامره وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمان رضى الله تعالى عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمان بعيد وان يكن أحدها فلعله الشامى قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبى السبتى أما الشامى فهو باق بمقصورة جامع بنى أمية بدمشق المحروسة وعاينته هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينت المكى بقبة اليهودية وهى قبة التراب قلت عاينتهما مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها قال النخعى لعله الكوفى أو البصرى وأقول اختبرت الذى بالمدينة والذى نقل من الاندلس فالفيت خطهما سواء وما توهموه انه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدنى ونص ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصى وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المؤمن بن على ولم يزل الموحدون يحملونه فى أسفارهم متبركين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد على بن المأمون أبى العلاء ادريس ابن المنصور حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقتل قريبا من تلمسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب فى الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ونهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه فى خزانة ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف فى الخزانة الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى أن أصيب فى وقعة طريف وحصل فى بلاد برتقال وأعمل الحيلة فى استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمور واستمر بقاؤه فى الخزانة انتهى باختصار واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء كما ذكره ابن رشيد فى رحلته ولا بأس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة فى شأن المصحف لما فيها من الفائدة ونص محل الحاجة منه أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برطله من لفظه وكتبته من خطه قال انشدنى الشيخ الفقيه القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبى عبد الله بن عياش لابيه رحمهما الله تعالى مما نظمه وقد أمر امير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف

ونفلته من كل ملك ذخيرة * كأنهم كانوا برسم مكاسبه

فان ورث الاملاك شرقا ومغربا * فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه

وكيف يفوت النصر جيشا جعلته * أمام قناه فى الوغى وقواضبه

بعد حروب كثيرة وعمر ما خربه فراسياب وقد تنوزع فى المقدار الذى ملك فيه فقيل ثلاث سنين وقيل أكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويل فى قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم ابن دستان هذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وخبر اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب وقتل رستم ابن دستان وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى وأخبارها بهذا الكتاب عند الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان أول من رحل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاوس وقد كان سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق تمرد على الله وبنيان بناه لحرب السماء وكان ملك اليمن الذى سار اليه كيكاوس فى ذلك الوقت شمر بن يرعش فخرج اليه شمر فأسره وحبسه فى أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه فى خفية من أبيها الى

وألبسته الياقوت والدر حلية * وغيرك قد رواه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الامر في وصوله الى الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن وما أبدى في ذلك من الامور الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر حسبما أطرفنا به الوزير الاجل ابو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي حفظه الله تعالى وشكره فاستفاده وافاده لما لم نسمع به قبل عن كتاب جده الوزير ابي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور مما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم قمرا الاندلس النيران واميراها المتخيران السيدان الاجلان ابو سعيد وابو يعقوب أيدهما الله وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف ومازال ينقله خلف عن سالف وقد حفظ شخصه على كثرة المتداولين وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين وله من غرائب الانباء ومتقدم الاشعار بما آل اليه امره من الاغمار ماملئت به الطروس وتحفظه من أهل الاندلس الرائس والمرؤس فتلقى عند وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وعكف عليه اطول العكوف والتزم أشد الالتزام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ماهو معتبر لاولي الالباب وبلاغ في الاغراب والاعجاب وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المؤمنين أدام الله له عوائد النصر والتمكين كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره في خاطره الكريم وحركته اليه دواعي خلقه العظيم وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية وسجاياه الحسنة الرضية في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ووطنه الموصل بحرمته للتقديم فتوقع ان يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا لفقدان اضاءته في أفقهم واشراقه فوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه فاوصله الله اليه تحفة سنية وهدية هنية وتحية من عنده مباركة زكية دون ان يكدرها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقه والتبرع به الى القائم الى الله تعالى بحقه ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سوابق ودقه وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى أمره الذي هو أمر الله مردودا وجمع عند ذلك بحضرته مراكش حرسها الله تعالى سائر الابناء الكرام والسادة الاعلام بدور الآفاق وكواكب الاشراق وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة والاستحقاق فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا الى اجتماع هذه الدراري الزاهرة والتئام خطوطها على مركز الدائرة ووصول المتقدم ذكره المشهور في جميع المعمور امره وهو هذا

دراري من نور الهدى تتوقد * مطالعها فوق المجرة أسعد
وانهار جود كلما امسك الحيا * يمد بها طامي الغوارب مزبد
وآساد حرب غابها شجر القنا * ولا لبد الا العجاج الملبد
مساعير في الهيجا مساعير للندى * بايديهم يحمى الهجير ويبرد

من معه من أصحابه وملك في محبسه أربع سنين حتى اسره رستم بن دستان من بلاد سجستان في سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاوس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه واغرته بولده سياوخش حتى كان من امره مع فراسياب التركي واستشهاده اليه وتزوجه بابنته حتى جاءت منه بكيخسرو ما كان من قتل فراسياب بسياوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى واخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على مافي كتاب السكيك ان كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم من هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك في لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون باسمهم كالف وكذلك يسميه كثير من اعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن صار الملك الى جماى ابنة بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب فانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب) بن قنوج بن كيمس بن كيناسين بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة

تشب

تشب بهم نار ان الحرب والقرى * ويجرى بهم سيلان جيش وعسجد
ويستمطرون البرق والبرق عندهم * سيوف على افق العداة تجرد
اذا من سجف السائرات مضاؤها * فماذا الذى يغنى الحديد المسرد
ويسترشدون النجم والنجم عندهم * نصول الى حب القلوب تسدد
تزاحم فى جو السماء كأنما * عواملها فى الافق صرح ممرد
تجاوز ألحاظ الكواكب دونها * ويفرق منها المرزمان وفرقد
ألم ترها فى الافق خافقة الحشا * كما تطرف العينان والقلب يرأد
وليس احمرار الفجر من أثر السنى * ولكنه ذاك النجيع المورد
وما انبسطت كف الثريا فداوعت * ولكنها فى الحرب شلو مقدد
وحط سهيلا ذعره عن سميه * فاضحى على افق البسيطة يرعد
ولما رأى نسر وقوع أليفه * تطاير من خوف فما زال يجهد
مواقع أمر الله فى كل حالة * يكاد لها رأس الثرى يتميد
اهاب بأقصى الخافقين فنظمت * وهيب جميع الخافقين فبددوا
واضفى على الدنيا ملابس رحمة * نضارتها فى كل حين تجدد
وأخضل أرجاء الربا فكأنما * عليها من النبت النضير زبرجد
فمن طرب ما أصبح البرق باسما * ومن فرح ما أضحت المزن ترعد
وغنى على أفنان كل أراكة * نداها حيا النعما حمام مغرد
وكبر دونطق وسبح صامت * وكاد به المعدوم يحيا ويوجد
وابرز للاذهان ما كان غائبا * فسيان فيها مطلق ومقيد
سلام على المهدى أما ضياؤه * فحسم وأما أمره فمؤكد
امام الورى عم البسيطة عدله * على حين وجه الارض بالجور اربد
بصير رأى الدنيا بعين جلية * فلم يعنه الا المقام الممجد
ولما مضى والامر لله وحده * وبايع مأمول وانجز موعد
تردى امير المؤمنين رداءه * وقام بامر الله والناس هجد
بعزمة شجعان الفؤاد مصمم * يقوم به اقصى الوجود ويقعد
مشيئته ما شاءه الله انه * اذا هم فالحكم الالهى يسعد
كتائبه مشفوعة بملائك * تزاد بها فى كل حال وترصد
وما ذاك الا نية خلصت له * فليس له فيما سوى الله مقصد
اذا خطبت راياته وسط محفل * ترى هام الاعداء فى الترب تسجد
وان نطقت بالفصل فيهم سيوفه * اقر بامر الله من كان يجحد
معيد علوم الدين بعد ارتفاعها * ومبدى علوم لم تكن قبل تعهد
وباسط انوار الهداية فى الورى * وقد ضم قرص الشمس فى الغرب ملحد
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها * يغار بها كناف الضلال ويغمد

لرعيته وشملهم عدله ولسنين خلت من ملكه نال بنى اسرائيل منه محن وشتتهم فى البلاد وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها وذكر فى بعض الروايات من أخبار الفرس انه بنى بلخ الحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر حروبه مع الترك وما كان منهم فى حصاره وقد اخذ بثاره بعد ذلك فى كتب قدماء الفرس وقد ذكر كثير من أخبار الفرس أن بختنصر مرزبان العراق والمغرب كان من قبل هذا الملك وهو الذى وطئ الشأم وفتح بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل وكان من أمره بالشأم والمغرب ما قد اشتهر والعامة تسميه بخت ناصر وأكثر الاخباريين والقصاص يغالون فى أخباره ويبالغون فى وصفه والمنجمون فى زيجاتهم وأهل التواريخ فى كتبهم يجعلونه ملكا وانما كان مرزبان على ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة وصاحب ناحية وواليها وقد كان حمل سبايا بنى اسرائيل الى الشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها دينارزاد فكانت سبب رد بنى اسرائيل الى بيت المقدس وقيل ان دينارزاد أولدها لهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان حماى من نسل بنى اسرائيل

دارا يجلو من مطالعها الصدا * ويبرزها نصا والجو أسود
جزى الله من هذا الأنام خليفة * به شربوا ماء الحياة فخلدوا
ودامت محاسن ذكره * على مدرج الأيام تتلى وتنشد
لمصحف عثمان الشهيد وجمعه * تبين أن الحق بالحق يعضد
تحامته أيدي الروم بعد اتساقه * وقد كاد لولا سعده يتبدد
فما هو إلا أن ترس صارخ * بدعوته العليا فصين المسدد
وجاء ولي الثار يرتب نصره * فلما ... عزمه المتجرد
رأى أثر المسفوح في صفحاته * فقام لأخذ الثار منه مؤيد
وشهد بالغدر قبل حسوفه * لله شديه الشرع يشهد
زمان ربيع العلم كان حسوفه * وقد عاد بالمهدي والعود أحمد
أتتك أمير المؤمنين ألوكة * من الحرم الأقصى لأمرك تعهد
سيوف بني عجلان قامت شهيرة * لدعوتك العلياء تهدي وترشد
وساعدت بيت الله فاشتد شوقه * إليك ولي منه حجر ومسجد
وحج إليك الركن والمروة والصفا * فأنت لذاك الحج حج ومقصد
فيا ... هذا الأجسام وأرواح أمركم * ومسكم ... المقام المخلد
فلله ... الأعصار ... زوره * انتشار لم يبرحك بالعرب مشهد
ولله ... ثمرات تحدرت * بهاشمة الإسلام تحيا وتسعد
إذا لم يكن إلا أولئك عصمة * فما الذي يرجو العصي المعتد
فدم للورى ... وعراو رحمة * فقرب لك في الدارين ... ومسعد
وزادت لك الأعياد حسنا وبهجة * كأنك للأعياد زي مجدد
ولازالت للأيام ... يدها * وحرزك في ربعانه ليس ينفد

ثم إنهم أدام الله سبحانه تأييدهم ووصل سعودهم لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يحمله من التوقير والتعزير شرعوا في انتخاب كسوته وأخذوا في اختيار حليته وتأنقوا في استعمال أحفظته وبالغوا في استجادة أصونته فحشروا الصناع المعتبرين ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والقصية فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والصانعين والحلايين والنقاشين والمرصعين والنجارين والرواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة لا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة وأشكال مبتدعة وضمنوها من غرائب الحركات وخفي إمداد الأسباب للمسببات ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم واستفرغوا فيه جهد قوتهم والهمة العلية أدام الله سموها تترقى فوق معارجهم وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء مواجهم وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مداركهم فسلكوا في عمل هذه الأمثلة كل شعب وأبوا من منتشرها

من ... يعقب بعده بالمنتصر وقيل في المنتصر ... هذا الموضع ... كأسات ... وقد أوجه ... المنتصر ... زمان العرب ... ماحب كتاب القانون ... يوم من علامة ... محمد بن أيبش المهدي (ثم مات بعده ... وزاد ... ووصل ... زوراء ... أرحم ... أن ... الملك ... كان من أهل أرمينيا والأحوال ... قوراء ... وهو من الحوت ... بالكتاب المعروف بالرومية ... عزاء ... وأبي ... وزاد شرح ... بالمجريات ... عن الكائنات من المعينات قبل حدوثها من الكليات

والجزئيات والكليات هي الأشياء العامة والجزئيات هي الأشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا أو مرض ... كل

كل شعب وأشرفوا عند تحقيقها وابرازدقيقها على كل صعب فكانت منهم وقفة كادت
لها النفس تيأس عن مطلبها والخواطر تكر راجعة عن خفى مذهبها حتى أطلع الله خليفته
فى خلقه وأمينه المرتضى لاقامة حقه على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها
وتخلصت اشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها فلما ألقوا ذلك امدهم الله بنصره
وامدهم بمعونته وبسره الى المهندسين والصناع فقبلوه احسن القبول وتصوروه بأذهانهم
فراوه على مطابقة المأمول فوقفهم حسن تنبيهه على ما جهلوه على طور غريب من موجبات
التعظيم وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وتمادى بعد ذلك الاشارة
الى تفصيل تلك الحركات المستغربة والاشكال الموثقة المعجبة ان شاء الله تعالى [illegible]
للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة والاحفظة العجيبة انه كسى كله صوانا واحدا من
الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا [illegible]
الوان الزجاج الرومى ما لم يعهد له فى العصر الاول مثال ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال وله
مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه وتلتئم وتتناسق عندها جوانبه وتنتظم [illegible] للحرك
أعطافها واحكم انشاؤها على النغمة وانعطافها وتمم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت
ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس فى ادخاره
وتتوارثه على مرور الزمن وترداده وتقتنى العز الاقعس والملك الانفس فى ادخاره واعداده
وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه فى جنسه وانفراده فانتظم عليه منها
ما شاء كله زهر الكواكب فى تلألئه واتقاده واشبه الروض المزخرف غب سماء الملث عن
امداده وانى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر آخذ بمجامع القلوب والبصر مستوليا
بصورته الغريبة على جميع الصور يدهش العقول بهاء وتحير الالباب رواء ويكاد يعشى
الناظر تألقا وضياء فحين تمت خصاله واستركبت اوصاله وحان ارتباطه بالمصحف العظيم
واتصاله رأوا ادام الله تأييدهم واعلى كلمتهم بما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات
والاشراف على جميع الثنيات ان يتلطف فى وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا
متصلا وطورا منفصلا ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز بارة للخصوص متبذلا
وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس فى الاستبصار تختلف وكل له مقام اليه ينتهى وعنده
يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا المقصد وتلطف فى تتميم هذا الغرض المعتمد وكسى
المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر ذى حلية عظيمة خفيفة تلازمه فى
المغيب والمحضر ورتب ترتيبا يأتى معه أن يكسى بالصوان الاكبر فيلتئم به التئاما يغطى
على العين من هذا الاثر وكمل ذلك كله على اجل الصفات واحسنها وابدع المذاهب
وأتقنها وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة ذو مفاصل ينبو عن دقتها
الادراك ويشهد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك معشى كله بضروب من
الترصيع وفنون من النقش البديع فى قطع من الابنوس والخشب الرفيع لم تعمل قط فى
زمان من الازمان ولا انتهت قط الى ايسره تواقد الاذهان مدار بصفائح قد أجريت فى
صفائح الذهب وامتدت امتداد ذوائب الشهب وصنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند

فلان فى وقت كذا وولد لفلان فى وقت كذا وأشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب [illegible] على [illegible] من حروف احرف
المعجم وليس فى سائر اللغات
أ كثر حروفا من هذه اللغة
خط طويل [illegible] أتينا
على ذكره فى كتابنا أخبار
الزمان والكتاب الاوسط
وأتى زرادشت بكتابهم
هذا بلغة يعجزون عن ايراد
مثلها ولا يدركون كنه
مرادها وسنذكر بعد هذا
الموضع من هذا الكتاب
ما [illegible] زرادشت [illegible]
[illegible] التفسير [illegible]
التفسير [illegible] هذا الكتاب
فى اثنى عشر الف مجلد
بالذهب [illegible]
وأمر [illegible]
من الشرائع والعبادات [illegible]
تزل الملوك تعمل بما فى هذا
الكتاب الى [illegible]
وما كان من قتله [illegible]
دارا واحرق الاسكندر
بعض هذا الكتاب ثم
صار الملك بعد ملوك الطوائف
الى أردشير بن بابك فجمع
الفرس على قراءة سورة
منه يقال لها [illegible]
فى هذا الوقت لا يعرفون
غيرها من الكتاب الاول
[illegible] ثم عمل زرادشت
تفسيرا عند عجزهم عن فهمه
وسموا التفسير زند ثم عمل
للتفسير تفسيرا وسماه
بازند ثم عمل علماؤهم
بعد وفاة زرادشت تفسيرا
لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير يارده والمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم [illegible]

لانتقال وبشارته فى أكثر الاحوال موضع مثل ترصيعه الغريب ومثال كل له فى جودة التقسيم وحسن الترتيب وصنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواء المشكاة على أنوارها والصدور على محفوظ أسرارها مكعب الشكل سام فى الطول حسن الجملة والتفصيل بالغ ما شاء من التتميم فى اوصافه والتكميل جار مجرى المحمل فى التزيين والتجميل وله فى أحد جوانبه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتجاجهما ويسر بعد الاحكام انفراجهما ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسى من تلقائه وتركب المحمل عليه ما درت الحركات الهندسية وتلميت التنبيهات القدسية وانتظمت العجائب المعنوية والحسية والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية وذلك أن باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه وادير به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسى من ذاته بما عليه الى أقصى غايته وفى خلال خروج الكرسى يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتى بها من مؤخر الكرسى زحفا الى مقدمه فاذا كمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما احد وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شىء آخر فاذا أدير المفتاح الى خلف الجهة التى ادير اليها اولا انفتح اولا الباب وأخذ الكرسى فى الدخول والمحمل فى التأخر عن مقدم الكرسى الى مؤخره فاذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه كل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذى كان فى حال خروجه وصحة هذه الحركات اللطيفة على اسباب وسببيات غائبة عن الحس فى باطن الكرسى وهى مما يدق وصفها ويصعب ذكرها اظهرته بركات هذا الامر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله تعالى امرهم وأعز نصرهم وفى خلال الاشتغال بهذه الاعمال التى هى غرر الدهر وفرائد العمر أمروا أدام الله تعالى تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى فبدئ ببنائه وتأسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والنجارة وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة ما لو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف فى هذا الامد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهضوا أدام الله سبحانه تأييدهم عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة والروضة المعظمة بمدينة تينملل أدام الله رفعها فأقاموا بها بقية شعبان المكرم وأكثر شهر رمضان المعظم وحملوا فى صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدى المعلوم رضى الله تعالى عنه فى التابوت الموصوف اذ كان قد صنع له غروة فى أعلاه وأحكمت فيه احكاما كمل به معناه واجتمع فى مشكاته فعاد النور الى مبتداه وختم القرآن العزيز فى مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد ايراد ما تقدم ما صورته نجزت الرسالة فى المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى محل الحاجة

فصار عاد وثمود وادرهم باحد دين [illegible] عامن هذا الكتاب وار باعا واثلاثا فيبتدئ كل واحد بما حفظ من جزء فيتلوه ويبتدئ الثانى منه فيتلو جزآ آخر والثالث كذلك الى أن يأتى الجميع على [illegible] الواحد منهم [illegible] على الكمال [illegible] ان [illegible] ان بعد ثلثمائة سنة [illegible] هذا الكتاب على الكمال وكان ملك كشتاسب الى أن [illegible] عشرين ومائة سنة وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمسة وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة ولما هلك زرادشت (ولى [illegible] جاماسب العالم) وكان من اهل اذربيجان وهذا اول موبذ قام فيهم بعد زرادشت نسبة الى كشتاسب الملك ثم ملك بعده بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكان له حروب كثيرة مع رستم صاحب سجستان الى أن قتل رستم ووالده دستان وقيل ان أم بهمن كانت من بنى اسرائيل من ولد طالوت الملك وانه هو الذى بعث بالبخت نصر مرزبان العراق الى بنى اسرائيل وكان من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن الى أن هلك مائة واثنى عشرة سنة وقيل انه فى [illegible] بنى اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى

الحاجة منه * وما أحسن قول الشيخ الامام أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة

أستودع الله أهل قرطبة * حيث وجدت الحياء والكرما
والجامع الاعظم العتيق ولا * زال مدى الدهر مامنا حرما

وقال أبو الربيع بن سالم حدثنى بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى قال أنشدنى أبو محمد بن عطية لنفسه فذكرهما بعد أن قال انه لما أزمع القاضى أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وأنشدنى البيتين انتهى * وقال ابن عطية أيضا رحمه الله تعالى

بأربع فاقت الامصار قرطبة * وهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم أكبر شئ وهو رابعها

وقد تقدم انشادنا لهذين البيتين من غير نسبتهما لأحد * ومما يدخل فى أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم قال نادمت يوما المنصور ابن أبى عامر فى منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير وهى جامعة بين روضة وغدير فلما تصمغ النهار بعفران العشى ورفرف غراب الليل الدجوجى وأسبل الليل جناحه وتقلد السماك رمحه وهم النسر بالطيران وعام فى الافق زورق الزبرقان أوقدنا مصابيح الراح واشتملنا ملاءة الارتياح وللشجن فوقنا رواق مضروب نعنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب وقالت

قدم الليل عند سير النهار * وبدا البدر مثل نصف السوار
فكأن النهار صفحة خد * وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤس جامد ماء * وكأن المدام ذائب نار
نظرى قد جنى على ذنوبا * كيف مما جنته عينى اعتذارى
يا لقومى تعجبوا من غزال * جائر فى محبتى وهو جارى
ليت لو كان لى اليه سبيل * فأقضى من الهوى أوطارى

قال فلما أكملت الغنا أحسست بالمعنى فقلت

كيف كيف الوصول للاقمار * بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق * لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام همو بشئ * خاطروا بالنفوس فى الاخطار

قال فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ فى كلامه وقال لها قولى واصدقى الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت الا نظرة ولدت فى القلب فكرة فتكلم الحب على لسانى وبرح الشوق بكتمانى والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكأن دمعها درتناثر من عقد أو طل تساقط من ورد وأنشدت

أذنبت ذنبا عظيما * فكيف منه اعتذارى
والله قدر هذا * ولم يكن باختيارى

العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بنى اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثا وعشرين سنة وفى وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لا من قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما فى كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذى استخرج العلم وما يحدث فى الازمان الى أن تنقضى الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث فى السنين والشهور من الحوادث ودلائل ذلك فى الافلاك ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التى خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت جماى) بنت بهمن بن اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بامها شهر زاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك

والعمر أحسن شئ * يكون عند اقتدار

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الي وسل سيف السخط علي فقلت أيدك الله تعالى انما كانت هفوة جرها الفكر وصبوة أيدها النظر وليس للمرء الا ما قدر له لا ما اختاره وأمله فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح وتجاوز عنا وسمح وخلى سبيلي فسكن وجيب قلبي وغليلي ووهب الجارية لي فبتنا بأنعم ليلة وسحبنا فيها للصبا ذيله فلما شمر الليل غدائره وسل الصباح بواتره وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان في أعالي الاغصان انصرفت بالجارية الى منزلي وتكامل سروري * قال بعضهم ذكرتني حكاية أبي المغيرة هذه حكاية قرأتها في النوادر لابي علي القالي البغدادي حذت في الظرف حذوها وزهت في الاغراب زهوها وهي ما أسنده عن منصور البرمكي انه كانت للرشيد جارية علامية وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك أمرد فوقفت تصب على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون خلف الرشيد فأشار اليها يقبلها فأنكرت ذلك بعينها وأبطأت في الصب على قدر نظرها للمأمون واشارتها اليه فقال الرشيد ما هذا ضعي الابريق من يدك ففعلت فقال لها والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك فقالت يا سيدي أشار الي كأنه يقبلني فأنكرت ذلك عليه فالتفت الى المأمون فنظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل فرحمه وضمه اليه وقال يا عبد الله أتحبها قال نعم يا أمير المؤمنين قال هي لك فادخل بها في تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلت في هذا الامر شيئا فقال نعم يا سيدي وأنشد

ظبي كنيت بطرفي * من الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء اللحظ يعرب عن اللفظ (وقال آخر) رب كناية تغني عن ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا * دقائق لحظ هن أمضى من السحر
فأعرف منها الوصل في لين لحظها * وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

(وفي هذا قال بعض الحكماء) العين باب القلب فما في القلب يظهر في العين (وقال الشاعر)

العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى (وأبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه) الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه مجد وحسب وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد لا ينعت ولا يحد وهو فارس المضمار حامي ذلك الذمار وبطل الرعيل وأسد ذلك الغيل نسق المعجزات وسبق في المعضلات الموجزات اذا كتب وشى المهارق ودبج وركب من بحر البلاغة الثبج وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء وحليفي وفاء لا ينفصلان في رواد ولا مقيل ولا يفترقان كمالك وعقيل وكانا بقرطبة رافعي ألوية الصبوة وعامري

أندية

ابن بهمن بن اسفنديار وكان ملكه اثنتي عشرة سنة وكان ينزل ببابل (ثم بعدها أخ لهما يقال له دارا) ملك دارا) بن دارا بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذي قتله الاسكندر بن فيلبس المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر أن منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى أخوين) وقيل بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب أحدهما (بهماست) بن كيجهر بن دوزدف بن هوست بن دابدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) ابن غار بن طهماسب بن آسك بن آبرنس بن أدج ابن دوس بن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر وهو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرهما في

اندية السلوة الى أن اتخذ أبو عامر فى حبالة الردى وعلق وغدا رهنه فيها وغلق فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان واسترد من سبقه مافاته منذ زمان فلم تذكر له مع أبى عامر حسنة ولا سرت له فقرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشفوف أبى عامر وامتداد باعه وأما شعر أبى المغيرة فمرتبط بنثره ومختلط زهره ببدره وقد أثبت له منه فنونا تجن بها الافهام جنونا فمن ذلك قوله

ظعنت وفى أحداجها من شكلها * عين فضحن بحسنهن العينا
ما أنصفت فى جنب توضح اذ قرت * ضيف الوداد بلابلا وشجونا
أضحى الغرام قطين ربع فؤاده * اذ لم يجد بالرقتين قطينا

(وله)

لما رأيت الهلال منطويا * فى غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لى * بصولجان انثنى لضرب كره

انتهى (وأبو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقه ما صورته) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد الاشجعى عالم باقسام البلاغة ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه أحد من أهل زمانه ولا ينسق ما نسق من درر البيان وجمانه توغل فى شعاب البلاغة وطرقها وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف الامن بحر مع انطباع مشى فى طريقه بأمد باع وله الحسب المشهور والمكان الذى لم يعده ظهور وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والاوضاح والضحاك صاحب يوم المرج وراكب ذلك الهرج وأبو عامر حفيده هذا من ذلك النسب ونبع لا براش الامن ذلك الزغب وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ولنور المحاسن ماحق (فمن ذلك) قوله

ان الكريم اذا نابته مخمصة * أبدى الى الناس ريا وهو ظمآن
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمر بماء البشر ريان

وهو مأخوذ من قول الرضى

ما ان رأيت كمعشر صبروا * عزا على الازلات والازم
بسطوا الوجوه وبين اضلعهم * حر الجوى ومآلم الكلم

(وله أيضا)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
كلا الندى والهوى قدما ولعت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

(وأخبرنى) الوزير أبو الحسن بن سراج الدين وهو بمنزلة ابن شهيد وكان من البلاغة فى مدى غاية البيان ومن الفصاحة فى أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا نغيب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ولا يخليه من نثر درره وازهاره فقعد فيه ليلة ٢٧ من رمضان فى لمة من اخوانه وأئمة سلوانه وقد حفوا به ليقطعوا انحت ادبه وهو يخلط لهم الجد بهزل ولا يفرط فى انبساط مشتهر ولا انقباض جزل واذا بجارية من أعيان اهل قرطبة معها من جواريها من يسترها ويواريها وهى ترتاد

والحديثة والآخر ببلاد الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طساسيم من الضياع والعمائر وأسماها الزوابى وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية وان مملكتها كانت ثلاثين سنين وان كيخسرو ابن سياخوش بن كيكاووس ابن كتيفة بن كيقباذ لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن سيمك ابن نبت بن ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد لمش بن ريسب بن أطوح بن أفريدون وقد قدمنا وجها من الرواية فى نسبه فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو فى البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسماها كنكدر وقد نزلها خلق من ملوك الصين كثير ولهم اغوى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كنكدر هى اغوى بعينها وقد قيل ان كيكاووس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بارض السغد وان سياخوش بنى فى حياة أبيه كيكاووس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ولمن ذكرنا من هؤلاء

وضع المماجاه ربها وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها وهي متنقبة خائفة ممن يرقبها مترقبة وأمامها طفل لها كأنه غصن آس أو ظبي يمرح في كناس فلما وقعت عينها على ابي عامر ولت مسرعة وتولت مروعة خيفة أن يشبب بها أو يشهرها باسمها فلما نظرها قال قولا فضحها به وشهرها

وناظرة تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعي غزالا بروض البقاع
وجالت بموضعنا جولة * فحل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تبختر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع
وريعت حذارا على طفلها * فناديت ياهذه لا تراعي
غزالك تفرق منه الليوث * وتفزع منه كماة المصاع
فولت وللمسك في ذيلها * على الارض خط كظهر الشجاع

انتهى المقصود منه (رجع) ومما ينخرط في سلك أخبار الزهراء ماحكاه الفتح في ترجمة المعتمد ابن عباد قال واخبرني الوزير احمد بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يصرفه بصرف أرحت به المسرات عهدها وأبرزت له الاماني خدها ونهدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون بجنى وهصر ويتنقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكئوس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ماقضوا من تلك الآثار أوطارا ووقروا بالاعتبار فضارا فحلوا منها في درانك ربيع محفوفة بالازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في أكف ارواحها وآثار الديار قد اشرفت عليهم كالثكالى ينحن على خرابها وانقراض اترابها واطرابها والوهي بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها واخجلوا الغيوث في انسجامها فاضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الا نؤى وأحجار قد وهت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها انسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد فيه اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ماعراهم نوم ولا عداهم

الملوك أخبار وسير قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع ننبي بها على ماسلف من مبسوطها ومانذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ماقالوه فيما وصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانه

(ذكر ملوك الطوائف)

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عني باخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فيلبس دارا بن دارا تغلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم الاسكندر وفيهم فرس ونبط وعرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشغانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمذان وماسندان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشغان فقيل لسائر ملوك الطوائف

عن

عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى امله وكان روم أمرها أشهى عمله ومازال يخطبها بمداخلة اهليها ومواصلة واليها اذلم يكن فى منازلتها طائل ولم يكن لها الاحيل ومكايد الاستمساكهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها وحين اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل فى قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها قال

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الاول

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فاصبحت فى سرى الحلى والحلل

عرس الملوك لنا فى قصرها عرس * كل الملوك لها فى مأتم الوجل

فراقبوا عن قريب لا أبالكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت فى سلكه واتسمت بملكه اعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها فانماض فيها نداه وزاد على امده ومداه وجلها بكثرة حبائه واستقل باعبائها على فتائه ولم يزل فيها آمر اوناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن باهلها اعتقده واغترار ابهم ماروّاه ولاانتقده وهيهات كم من ملك كفنوه فى دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش فلوه وكم من عز برملك أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجر اليها حربا وويلا فبرز الظافر منفردا عن كماته عاريا من حماته وسيفه فى يمينه وهاديه فى الظلماء نور جبينه فانه كان غلاما قد بلله الشباب بانداته وألحفه الحسن برداته فدافعهم اكثر ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقال منها ولا سعى فترك ملتحفا فى الظلماء تحت نجوم السماء معفرا فى وسط اكماء تحرسه الكواكب بعد المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمر بمصرعه سحرا احد أئمة الجامع المغلسين فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه ونضاه وستره به سترا أقنع الجدب وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف فتشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الحزن لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بالم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة والانصار رموا أسلحتهم وسووا الفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة للوعته شافية الاشارته اليه فى تابين اخويه المامون والراضى المقتولين فى أول النائرة والفتنة الثائرة انتهى (وقد رايت) ان ازيد على ما تقدم مما قصدت جلبه فى هذا الموضع نبذة من كلام الفتح فى ذكر متنزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس ووصف مجالس الانس التى كانت بها مما تنشرح له الانفس ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لهما تبعا ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل فى اللهو مصيفا ومرتبعا ثم طواه الدهر طى السجل ومحا

وغيره من علماء العرب انهم قالوا أول ملوك الدنيا الكيانان وهم من سمينا من ملوك من سلف من الفرس الاولى الى دارا بن دارا ثم الاردوان وهم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف وكانوا بارض العراق مما يلى قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين وسوراو أحمد آباد والنرس الى جبلا وتل فاحر والطفوف وسائر ذلك الصقع وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار واعار بن نزار والنصرية من بنى نضر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك وقد نصبت كل طائفة لها ملكا لعدم ملك يجمع كلمتهم وذلك أن الاسكندر أشار عليه معلمه وهو ارسطاطاليس فى بعض رسائله اليه بذلك وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية وملكه على ناحيته وتوجه وحياه فاستبد كل واحد منهم بناحيته فصار ملكه من بعده فى عقبه ممانعا عما فى يده وطالبا للازدياد من غيره وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عنى باخبار الماضين

ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب

آثاره التي كانت تسمو وتجل وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الاخبار لا الحث على الحرام وتسهيل القصد اليه والمرام والاعمال بالنيات والله سبحانه كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيات وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات بالنعم الباقيات السنيات * (قال الفتح رحمه الله تعالى) في ترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون ما صورته وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى انه في وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت لعينيه تلك الظباء الاوانس والآرام وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى أعفاه فلما عاده منهما ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها في العيد ويتفرج بها مع أولئك الغيد فقال

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل * أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفي الرصافة مسعري * دواعي بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسي صبابة * لقلبي لا يألو زناد الاسى قدحا
وليس ذميما عهد مجلس ناصح * فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأني لم أشهد لدى عين شهدة * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فان لم يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو في مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى في الاماني بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبة نازح * تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصر ملك شرفت جنباتها * فخلنا العشايا الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطبها الى الوهم جهرة * فقبتها فالكوكب الجون فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هناك الجمام الزرق تبدي حفافها * ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شرق القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا
ومن حملي الكاس المفدى مديرها * تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلى فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلى بيانة فالبطحا

وهذه معاهد بني أمية قطعوا بها ليالي وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يبدو من نقاب ونعموا بالجو في الرصافة وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وابعدوا نصح الناصح وجدوا انس مجلس ناصح وعمروا الزهراء وصحوا من نبا صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم عنها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكباء وغدت تلك المعاهد تصافحها

على ملوك الطوائف وقتل اردوان الملك بالعراق ووضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم بعد مه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف وتمهدت له البلاد واستقامت دعائم المملكة من ملوك الطوائف من قتله أردشير [illegible] ملك ومنهم من قاده الى ملكه وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى ممن سمينا وبين الفرس الثانية وهي الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وحطبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) ابن أسك بن أردان بن أشغان بن آش الجبار بن ساوس بن كيكاوس الملك عشرين سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفي احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايلياء ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن ادراد بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك

أيدي الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للبوم وملعبا للصدى يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب ومآلها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود انتهى *(وقال الفتح بعد كلام ماصورته) ولما عضته ناب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومرحه بين الصفا والعقيق وحن الى سعد زورت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتاسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد فقال

الهوى في طلوع تلك النجوم * والمنى في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذني بظلم الليالي * ليس يومي بواحد من ظلوم
ماترى البدر ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

(وقال الفتح أيضا في شان ابن زيدون ماصورته) ولما تعذر انفكاكه وعمر فرقده وسماكه وعادته الاوهام والفكر وخانه من أبي الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع سعده وغروبه ويشكو لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى بانحناء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على ارقه وسهده

ماجال بعدك لحظي في سنى القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
في نشوة من شباب الوصل موهفة * الا مسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
يا للرزايا لقد شافهت منهلها * غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * أني معنى الاماني ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضري فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتنزل

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أراني * تكذيب ما كنت تدعيه

المسيح بأربعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرب ثم ملك بعده نيرو بن سابور (ابنه جودرز) بن نيرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده أخوه (هرمز) بن نيرو عشرين سنة ثم ملك (أرداوان) بن مرداوان أربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) بن ايلاووس بن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن ارداوان ابن ايلاووس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودي) فهذا وجه آخر غير ما قدمنا وقد قيل في تاريخ سني ملوك الطوائف غير ما وصفنا وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول أشهر وأصح في مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضاد ما فيها غير أن الذي حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا ينقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

(ذكر أنساب فارس وما قاله الناس في ذلك) تنازع الناس في الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسور

من قبل أن يهزم التسلى * ويغلب الشوق ما يليه   انتهى

وما أحسن قول ابن زيدون المذكور فى قصيدته النونية الشهيرة

غص العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون وهى

غدا منادينا محكما فينا يقضى علينا الاسى لولا تناسينا

بحر الهوى يغرق * من فيه جهده عام

ونار ه تحرق * من هم او قد هام

ورب ما تقلق * فتى عليه نام

قد غير الاجسام وصير الايام سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

يا صاحب النجوى * قف واستمع منى

اياك أن تهوى * ان الهوى يضنى

لا تقرب البلوى * اسمع وقل عنى

بحاره مره خضنا على غره حين انام بها الذى ناعينا

من هام بالغيد * لاقى بهم هما

بذلت مجهودى * لاحور ألمى

يهم بالجود * وورد ماهما

وعند ما قد جاد بالوصل أو قد كاد أضحى التنائى بديلا من تدانينا

بحق ما بينى * وبينكم الا

أقررتم عينى * فتجمعوا الشملا

فالعين بالبين * بفقدكم أبلى

جديد ما قد كان بالاهل والاخوان وموردا للهوصاف من تصافينا

يا جيرة بانت * عن مغرم صب

لعهده خانت * من غير ما ذنب

ما هكذا كانت * عوائد العرب

لا تحسبوا البعدا يغير العهدا اذ طالما غير النأى المحبينا

يا نازلا بالبان * بالشفع والوتر

والنمل والفرقان * والليل اذا يسر

وسورة الرحمن * والنحل والحجر

هل حل فى الاديان أن يقتل الظمآن من كان صرف الهوى والود يسقينا

يا سائل القطر * عرج على الوادى

من ساكنى بدر * وقف بهم نادى

عسى صبا تسرى * لمغرم صادى

ان شئت تحيينا بلغ تحيينا من لو على البعد حيا كان يحيينا

ان سام بن نوح وكذلك النبط ولد نبيط بن ناسور بن سام بن نوح وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه

وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد ارم بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفى ذلك يقول خطان بن المعلى الفارسى

وبنا سمى الفوارس فرسا * نا ومنا مناجب الفرسان

وكهول طواهم الركض والكر * كمثل الكران يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنته وهى دعوى ولاصحاب التواريخ فى هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان ابن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذى ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة فى العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان ذار الراهب * ثم تلقى راحة النوائب

ومنهم من راى أن الفرس من ولد ايران بن افريدون وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب أخبار ولد افريدون حين وافت

وافت لنا أيام * كأنها أعوام
وكان لي أعوام * كأنها أيام
عمر كالاحلام * بالوصل لي ندام
والكاس مترعه حثت مشعشعه فيها الشمول وغنانا مغنينا

*(رجع الى ما يتعلق بقرطبة) قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة يخاطب الوزير أبا الحسن ابن سراج ويذكر له اخوانه بقرطبة

يا سيدي وأبي هوى وجلالة * ورسول ودي ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة ولذ ان جئتها * بابي الحسين وباده تقبيلا
فاذا اسعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شكري وشوقي مجملا * ولو استطعت سردته تفصيلا
بتحية تهدي اليه كأنما * جرت على زهر الرياض ذيولا
وأشم منها المصحفي على النوى * نفسا يذيب السوس المبلولا
والى أبي مروان منه نفحة * تهدي اليه نوراً ما مطلولا
واذا لقيت الاخطبي فسقه * من صفو ودي قرقفا وشمولا
وأثر على سبق منهار بعده * مسكا عليه غمامة محلولا
واذكرهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولى ومولى نعمة وكرامة * وأخا اخاء خالصا وخليلا
بالحير ما عبست هناك غمامة * الا اضاحك اذخرا وجليلا
يوما وليلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

قال أبو نصر الحير الذي ذكرناه وحير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه ابو عامر بن شهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهود * شمسا الى الحسن ان تكسها
تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوشعا

وهذا الحير من ابدع المواضع واجملها واعمها احسانا واكملها تخترقه مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض به جابية كل جنبها كابية قد قربصت بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وارجاؤه والروض قد اعتدلت اسطاره وابتسمت من كمائمها ازهاره ومنع الشمس ان ترمق ثراه وعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالي واياما كأنما انصورت من لمحات الاحباب اوقدت من صفحات ايام الشباب وكانت لابي عامر بن شهيد به فرج وراحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليه صبوة وحليفي نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحيات وتقلدت عنهما اوراقات تلك الفيات والى

قسم الارض بينهم وما قاله الشاعر في ذلك من قوله ولايران جعلنا عنوة * فارس الروم وزنا بالعم
فأضيف الفرس الى ذلك وايران تسميه الفرس ايراج اذ عرثوا اسمه ولا
تنا كرين الفرس جميعا في أنهم من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايراج بن افريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر اجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولا خلاف بين الفرس في ان الجميع منهم من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قبل ايراج بن افريدون وايراج ابن افريدون هو الذى ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانية وهم الساسانية دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى أن منوجهر هو ابن منشخر بن أفريرس بن ونرك ووترك هو اسحق بن ابراهيم الخليل وسار منشخر الى ارض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده وملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية وورثت الفرس الاولى كذ ثر الامم الماضية والعرب العاديه (قال المسعودى) وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا و يعمل عليه في بدء النسب و بغداد الـه

ذلك العهد أشار ابن شهيد وبه عرض وبشوقه صحّ ومرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه أن يدفن بازائه ويكتب على قبره

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي ان نقوم منها * مادام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
ياويلنا ان تنكبنا * رحمة من بطشه شديد
يارب عفوا فأنت مولى * قصر في أمرك العبيد انتهى

ثم قال بعد كلام وركب أبو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبي الحكم بن حزم غلاما كأنما عقي تمائمه وهو بروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه فارتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذلك مالبس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذا أشب على الطوق انتهى

وكان بنو القبطرنة بالاندلس أشهر من نار على علم وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المشكورة ولذا قال أبو نصر في حقهم ماصورته هم للمجد كالاثافي ومامنهم الاموفور القوادم والخوافي ان ظهروا ازهروا وان تجمعوا تضوّعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم ارواحها ونفوسها ولهم النظام الصافي الزجاجة المضمحل المجاجة انتهى ثم قال وبات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويوقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره ويديرحمياه على صفحة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه اخوه فطاردوا اللذات حتى أنضوها وابسوابرود السرور ومانضوها حتى صرعتهم العقار وصلحتهم تلك الاوقار فلما هم رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح أن يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال

ياشقيقي وافي الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم * لست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ اخوه أبو بكر فقال

ياأخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا
لاتنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا
في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ماعانق الخليل الخليلا

بالفرس وانها من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال في ذلك اسحق بن سويد العدوي عدي قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد * أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحق عمنا * وصاروا لنا عونا الى الدهر أعبدا
فان كان منهم تبع وابن تبع * فاملاكهم كانوا الاملاك أعبدا
ويجمعنا والغر ابناء سارة * أب لا يبالي بعده من تفردا
هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم * وهم منحو هم بعد ذلك سوددا

وفي ذلك أيضا يقول جرير ابن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بان الفرس والروم من أولاد اسحق والانبياء من ولد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصهبيد منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا

ثم

ثم استيقظ اخوهما أبو الحسن وقد همّ من غفلة الوسن فقال

ياصاحبي ذرا لومي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خير ماذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وساق صاحب البدائع هذه القصة فقال وذكر أبو الفتح ما هذا معناه انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بالطل عيون ازهاره وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وانمحت مقل الحوادث عنه مطرقة خيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت عن الارض العيون فما تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن الافطس يعده غاية الارب مشهد الطرب ومدفع الكرب فما توافيه لباتهم يديرون لمع لهب يمنون فيه الخلود ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما في بطونهم والجلود حتى تركتهم ابنة الخابية كأنهم أعجاز نخل خاوية فلما هزم روم الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حي على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وانشد مرتجلا ياشقيقي الخ فانتبه اخوه أبو بكر لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وأنبه اخاهما أبا الحسن وهو يرتجل يا أخي قم ترى النسيم الى آخره فانتبه أخوه لكلامه داعيا اذ منامه للذة قيامه وارتجل ياصاحبي ذرا الخ انتهى (قال الفتح) ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين بن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع القائد والمشي اليه والنزول عليه تنويها بمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فصارا الى بابه فوجداه مقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهما حجلا ومشى بين أيديهما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلال السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهما منه فكتبا اليه

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصدقنا ولم نقطع * وكذبنا ولم نشف
وأنصبنا لاجلالك عن اكرومة الظرف
ولم ننصف وقد جئنا * لك مانهض من ضعف
وكان الحكم ان تحمل أوتردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها

أيا أسفي على حالي * سلبت بها من الظرف
ويالهفي على جهل * بنصف كان من نصف

انتهى

ولاهل الاندلس في معاني الانس الحسان مالا يفي به لسان وقال الفتح في ترجمة الوزير أبي الفضل بن حسداي بعد كلام ماصورته فنها هذه القطعة التي أطلعها نيرة وترك الالباب

ومنهم سليمان النبي الذي دعا * أعطي نبيا ناوملكا معدرا * أبونا أبو اسحق يجمع بيننا * أب كان مهديا وملكا معمرا
وموسى وعيسى والذي خر ساجدا
وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمة
وكان أبو يعقوب نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر أبناء فارس
أب لا ابالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا
رضينا بما أعطى الاله وقدرا
وفي ذلك يقول بشار بن برد
نمتني الكرام بنو فارس
قريش وقومي قريش العجم
وقال أحد شعراء الفرس
يذكر أنه من ولد اسحق
وأن اسحق هو المسمى
وترك على حسب ما قدمنا
قبل من كلمة له
أبونا وترك وبه أحاجي
اذا فخر المفاخر بالولاده
أبونا وترك عبد رسول
له شرف الرسالة والزهاده
ومن مثلي اذا افتخرت قروم
وبيتي مثل واسطة القلاده
ومن الفرس من يزعم أن
وترك هو ابن أبريك وابن
أبريك ابن سبع نسوة تولدن
من غير ذكر الى أن يلحق
نسبهن بايراج بن أفريدون
وهذا مما يدفعه العقل ويأباه
الحس ويخرج عن العادة
وتنبو عنه المشاهدة الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدي آياته ودلائله الخارجة عن العادة

بها مخبره في يوم كان عند المقتدر بالله مع عليه قد اتخذوا الجد حليه والامل قد سفر لهم عن محياه وعبق لهم عرف رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الافراح والملك ينشر فضله وينثر وابله وطله يسدى العلاء ويهب الغنى والغناء فصدحت الغوانى وافصحت المثالث والمثانى بما استنزل من مرقب الوقار وسرى فى النفوس مسرى العقار

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان فى كأسها من قبلها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد لليلى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها لبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفى الاوهام راحات
تهدى عدات اذا هب الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعلل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت فى النفس حاجات
لعل عتب الليالى أن يعود الى * عتبى فيبلغ أوطار ولذات
حتى يفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

ولما أعرس المستعين بالله ببنت الوزير الاجل أبى بكر عبد العزيز احتفل ابو المؤتمن فى ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع بذكائه دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدبر تلك الآراء ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه فى ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظاهر أبا عبد الله بن طاهر محلك أعزك الله فى طى الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك فى احناء الضلوع باد وان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بنظر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك بالعوق الى ما يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وانا أعزك الله على شرف سوددك حائم وعلى مشرع سنائك حائم وحسبى ما تحققه من تراعى وتشوقى وتتيقنه من تطلعى وتتوقى وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعترض الاقتراح باستجباب الصلة وانت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للمؤانسة عهدا وتورى بالمكارمة زندا وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لا زلت مضيئا بالسعود المقبلة مسوغا اجتلاء غرر الامانى المتهللة عنه انتهى (ثم قال) بعد هذا بيسير ما نصه وركب المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادا لذنه وارتيادا نزهته واقتياد احد حصونه المنتظمة بلبته

واجتمع

ونحو طه أفريدون لبنت ايراج ووطئه بنت البنت الى السبع من تزوج وقد كان بين ملك منوجهر بن منشجر ابن افرس بن ونرك على ماذكرناه وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك تتحرب كان باقليم بابل وعدم ذى همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحق فان هذا ان ما ذكرناه هو المعول عليه من قول هذه الطائفة يجب على ما يوجبه الحساب أن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحق ألفا وتسعمائة واثنتين وعشرين سنة كذلك وجدت فى كتب تواريخ هذه الطائفة بارض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودى) وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده اسحق بن ابراهيم الخليل على ولد اسمعيل بان الذبيح كان اسحق دون اسمعيل فقال من كلمة له

قل لبنى هاجر ما بنت لكم * ما هذه الكبرياء والعظمه
ألم تكن فى القديم أمكم * لامنا سارة الجمال امه
والملك فينا والانبياء لنا * ان تنكروا ذاك توجدوا ظلمه

واجتمع له من اختصه لاستصحابه من أصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الانفراجهم سالكا منهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك وأجناسه ما راق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تشيرها المكايد وتغوص اليها المصايد فتبرز منها اللعين قضبان در أو سبائك لجين والراح لا يطمس لها لمع ولا يحس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من نكره معروفه فقال

لله يوم أنيـق واضح الغـرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهـر لما ساء أعتبنا * فيـه بعتبي وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيـه بمنظـوم ومنتشر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائـل في أيامـه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن عن هـدى مقتـدر
تحوي السفينة منـه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهـر
تصادمن قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كاريق يعذب في وردوفي صدر
والشرب في مدح مولى خلقه زهر * يذكو وغـرته أبهى من القمر

انتهى (وقال) في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي شارح أدب الكاتب وسقط الزند وغيرهما ماصورته أخبرني انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمع اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمنى والمامون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كالشمس في أفقه والبدر في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد رشته أنداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد
تربته مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت * فيه اللآلي فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ * ـمامون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد
كأنما السد حذائه * ما حازمن شيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد
لازال في رفعة مضاعفة * متمم الوفد واري الزند

(وقال) في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي أفرده لترجمة ابن السيد ماصورته في

[Margin:]
نلم قريش الاحساب مفخرة أصل لنا ان كنتم بنوه فه اما سوى يعرب فلسوا كمن أسكنه الله آمنا حرمه ولا كابناء فارس وهم في الارض مثل الاسود في الاجمه

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله ابن المعتز وكان قائل هذه القصيدة في عصره وعمر الى أن مضت الثلثمائة بيناقصه في أبيات منها من ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا من ذا الشقي الذي أباح دمه
حاش لاسحق أن يكون لكم أبا وان كنتم بنوه فه
قولا لكلب يرى لبنشته قد قعد الليث للفراس فه
والفرس لا تنقاد الى القول بان الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون في عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما له

ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذي النون بمجلس الناعورة بطليطلة في المنية المتناهية البهاء والاشراق المباهية لزوراء العراق التي ينفح شذاها العطر ويكاد من الغضارة يقطر والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتداه وحكم العقار في جوده ونداه والمجلس يشرق كالشمس في الحمل ومن حواه يبتهج كالنفس عند منال الامل والزهر عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر حوار الى آخر ما سبق (وقال الفتح) في وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورته حضر الاستاذ أبو محمد بن السيد عند المأمون ابن ذي النون في بعض متنزهاته في وقت طاب نعيمه وسرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه راقمه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقمه وثم بركة مملوة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا فكأنها آساد عين ادلعت ألسنة من لجين وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلي الحباب بعد ما تنثر فامره بوصف ذلك الموضع الذي تجد اليه ركائب القلوب وتوضع فقال بديهيا يا منظرا الخ انتهى (ثم قال الفتح) في هذا التصنيف بعد كلام في المذكور ما نصه ومما أبدع قوله في وصف الراح والحض على النبذ للهموم والاطراح بمعاطاة كاسها وموالاة ايناسها ومعاقرة دنانها واهتصار ثمار الفتوة من افنانها والاعراض عن الايام وانكادها والجري في ميدان الصبوة الى أبعد آمادها

سل الهموم اذا نبا زمن * بمدامة صفراء كالذهب
مزجت فمن در على ذهب * طاف ومن حبب على لهب
وكأن ساقيها يثير شذى * مسك لدى الاقوام منتهب

ولله هو فقد ندب الى المندوب وذهب الى مداواة القلوب من الندوب وابرائها من الآلام واهدائها كل تحية وسلام وابهاجها بآصال وبكر وعلاجها من هموم وفكر في زمن حلى عاطله وجلي في أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه وسماءه واستحالاته فليثه كاسد وذئبه مستاسد واضغانه تنسر وبغاثه قد استنسر فلا استراحة الا في معاطاة حميا ومواخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه وفضضه بالابداع وذهبه حين دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلا وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا فاقبل على راحه يتعاطاها وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نقموا معاقرته العقار وجالت ألسنتهم في توبيخه مجال ذي الفقار فقال

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى راح وليس فتى مجد
ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى * سواي ومن أعطى كثيرا ولم يكد
فديتكمو لم تفهموا السر انما * قليتكم جهدي فابعدتكم جهدي

ودعي ابن السيد ليلة الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب وقرع السرور نبعه بالغرب ولاحت نجوم أكواسه وفاح نسيم رنده وآسه وأبدت صدور اباريقه اسرارها وضمت عليه المجالس أزرارها والراح يديرها أهيف أوطف والاماني تجنى وتقطف فقال

وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذي يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية الى مروان ابن الحكم وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب ولم يزل الفرس الثانية أحد الامن ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

ومازلنا نحج البيت قدما * ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى * أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر * لاسمعيل تروي الشاربينا

وكانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالا في صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه في زمزم وقد ذهب قوم من مصنفي الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم

يارب ليل قد هتكت حجابه * بمدامة وقادة كالكوكب
يسعى بها أحوى الجفون كأنها * من خده ورضابه في الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر غارب * فانعم برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مشرب
والليل منهزم يطير غرابه * والصبح يطرده ببازٍ أشهب

(ثم قال الفتح) بعد كلام كثير ما صورته ودخل يعني ابن السيد سرقسطة أيام المستعين وهي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملك عمر الدشاشة كثير البشاشة وملك أبهج الفناء أرج الارجاء بروق المجتلى ويروق النجم المعتلى وحضيرة مفسابة الماء منجابة السماء يبتسم زهرها ويسناب نهرها وتتفتح خمائلها وتتضوع صباها وشمائلها والحوادث لا تعترضها والكوارث لا تفترضها ومازالها من عرس الى موسم وآمالها متصل بالامانى ومتسم فنزل منها في مثل الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يخف على المستعين احتلاله ولم تخف لديه خلاله فذكره معلما به ومعرفا وأحضره منوها به ومشرفا وقد كان نزر من ابن رزين زار السرور من نفس الحزين وخلص من اعتقاله خلوص السيف من صقاله فقال يمدحه

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة اظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها نهر من الدمع هتان
أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان
ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤادي الى لقياكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب الوان
أناخت بنا في أرض شنتمرية * هواجس ظن خان والظن خوان
وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت * نواظرنا دهرا ولم يهم هتان
فسرنا وما نلوى على متعذر * اذا وطن أقصاك آوتك أوطان
ولا زاد الا ما انتشته من الصبا * أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الحمد منها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حرب والمقادير أعوان
جفتنا بلا جرم كأن مودة * ثنى نحونا منها الاعنة شنآن
ولو لم تفدنا سوى الشعر وحده * لحسن لنا بر عليه واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا * فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خطة * وان قصرت عن شأونا فيه أعيان
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه * فثم مجال للمقال وميدان

وغيرها مما أودع في زمزم وللناس في الاسياف تنازع في بدئها وتشعبها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفي ذو المعرفة بالاشراف عليها عن كثير من مبسوطها

(ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم)

كان اول من تنسب الساسانية ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهافريد بن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ولا خلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما أتاه ونشكره شكر الدارى بما منحه واصطفاه الا وانا ساعون في اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة ورد ما انخرم في سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فاني أعم بالعدل القوى والضعيف والدنىء والشريف وأجعل العدل سنة

حليلي من بعدي على زمن له * اذا ما قضى حيف علي وعدوان
وهل ريء من قبلي غريق مدامع * يفيض بعينيه الحيا وهو حران
وهل طرفت عين لمجد ولم يكن * لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد في برديه بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان
من الغر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى * هزبر يمناه من السمر ثعبان
وهل فوق ما قد شاد مقتدر لهم * ومؤتمن بالله لفياه ايمان
ألا ليس فخر في الورى غير فخرهم * والا فان الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستغاثا لمن نبا * به وطن يوما وعضته أزمان
كسوتك من نظمي قلادة مفخر * يباهي بها جيد المعالي ويزدان
وان قصرت عما استحقت فربما * تجاور در في النظام ومرجان
معان حكت غنج الحسان كأنني * بهن حبيب أو بطليوس بغدان
اذا غرست كفاك غرس مكارم * بأرضي أجتنيك الثنا منه اغصان

(وقال) في وصف مجلس لابي عيسى بن لبون أحضر اليه ابن السيد منوّها بقدره ما صورته وأحضره الى مجلس نام عنه الدهر وغفل وقام افرط أنسه واحتفل قد بانت صروفه ودنت من الزائر قطوفه وقال هلم بنا الى الاجتماع بمذهبك والاستمتاع بمشاهدة من براعة أدبك فأقاموا يعملون كاسهم ويصلون ايناسهم وباتوا ليلتهم ما طرفهم نوم ولا عداهم عن طيب اللذات سوم ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذي النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها وخلعت عليه اضواءها وزفت اليه المسرات أبكارها وفارقت اليه الطير أوكارها فقال يصف

لم تر عيني مثله ولا ترى * أنفس في نفسي وأبهى منظرا
اذا تردى وشيه المصورا * من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا * خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الابريق حين قرقرا * قد أم لثم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تناغي جؤذرا * ترضعه الدر ويرنو حذرا
كأنما مج عقيقا أحمرا * أوفت من رياه مسكا أذفرا
أو عابد الرحمن يوما ذكرا * فنم مسكا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذي من ظفرا * بقربه نال العلاء الاكبرا
لو أن كسرى راءه أو قيصرا * هلل اكبارا له وكبرا
تبدي سماء الملك منه قمرا * اذا حجاب المجد عنه سفرا
يا أيها المضني المطايا بالسرى * تبغي غمام المكرمات الممطرا

انتهى (وقال الفتح) في ترجمة الاديب أبي القاسم بن العطار ما صورته هو أحد أدباء اشبيلية ونحاتها

شهوده وشريعة مقصودة وسيردون في سيرنا الى ما تحمدوننا عليه وتصدق أفعالنا أقوالنا ان شاء الله تعالى والسلام

(قال المسعودي) واردشير ابن بابك المتقدم في ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى ان ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقات خاصته ثلاثا * الاولى الاساورة وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة اذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكور والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهبذية ممن كانت مملكة الكور في أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مأوف ولا مرمي بأبنة ولا ابن ذي صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا وكان أردشير يقول ما شيء أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة

ومحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصلة راحاته ونعطيل بكره وروحاته ومواالاته للفرج ومماالاته في عرف الانس والارج لا يعرج الا على عدة نهر ولا يبتهج الا بقطعه زهر لم يحفل بلام ولم يشتغل الا في طاعة غلام ماهيك من رجل محلوع العنان في ميدان الصبابة مغرم بالحسان غرام يريد بحبابه لا تراه الا ردمه انهماك ولا تلقاه الا في لمة انهتاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لا يقمر فؤاده من كلف ولا يبيت الا رهن لف أكثر خلق الله تعالى علاقه واحضرهم لمشهد حلاقة مع جرالة تحرك السكون وتضحك الطير في الوكون وقد أثبت له ما ارتحله في أوقات انسه وساعاته و مما به أنبا ودراته ووعاته فمن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه النهر على عادات ادكار امه وارتضاه لنعم والالذات وارتشافه

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه

مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله

هبت الريح بالعشي فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدا فحاكت * كف الله لمثله أسنه

وقوله

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح منه حسام

وله

لله كالعشيه في رواء جمالها * وبلوغ نفسي منى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنى * والشمس قد شدت مطى رحالها
في حيث تنساب المياه أراقما * وتعيرك الافياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

انتهى (وقال الفتح) في ترجمة ابن عمار أخبرني ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز انه حضر معه عند المؤتمن في يوم حادت فيه السماء بهطلها وأسعدت وبلها طلها وارتقب رعد بارقها وانسكب درا كاودقها والازهار قد تجلت من اكمامها وتحلت بدر غمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها واكؤس الراح كأنها كواكب تتوقد تدبرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذ ابقي من فتيان المؤتمن أخرس لا يفصح ومستعجم لا يبين ولا يوضح متنمر تنمر الليث متشمر كالبطل الفارس عند العيث وقد أفاض على

كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضائلها ويتفيها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيي به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن حملته فالمته النفس وأضر بأخلاقها اضرارا ناما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معاشرة الخسيس الوضعاء شهرا فسادا لا يصلحه دهرا وكان اردشير يقول يجب على الملك أن يكون فائض العدل فان العدل جامع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتحرمه وان اول مخايل الادبار في الملك ذهاب العدل منه واذا متى حققت رايات الجور في ديار قوم كافحتها عقاب العدل وردها على العقب وليس أحد من يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفة

النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها في

نفسه درعا تضيق بها الاسنة درعا وهو يريد استشارة المؤمن فى التوجه الى موضع بعثه اليه ووجهه وكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء آساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه تبناه وأراد أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى والمدير فأمره المؤمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وثبت عراهمه بهجة ذلك المحيا واستنزله سورة العقار من مرقب الوقار قال

وهو يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بالنفس
يسعى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يرمح فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا الليث الغاب ظبي المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وأورد هذه القصيدة صاحب البدائع بقوله حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والرياح قد اشرفت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا وكاد يسيل من اعطافه وأخجل خدها حسنا وتظلل بعرف حبابه اذا بفتى من فتيان المؤمن قد أقبل متدرعا كالبدر احتاب سحابا والنهر قد اكتسى حبابا وقد جاء يريد استشارة المؤمن فى الخروج الى موضع قد كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وبث سراياه فى ضواحى قلبه جد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يكون هو الساقى فأمره المؤمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كميت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار وهو يتهادى الابيات الا أنه قال اثر قوله اياك بادرة الوغى من فارس ماصورته * يضع السنان على العذار الاملس * انتهى

ولابن عمار الرائية المشهورة فى مدح المعتضد والد المعتمد وهى

أدر المدامة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زها بورد خدوده * خجلا وتاه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا

مال لا يحسن أن يجلب غيرها والى أن يجتمع له مع ذكوه الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يأتيه من حلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعتمد على شهوته ولا يكون نديما حتى يكون له جمال ومروءة مجالسه وفضائله وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأمانته وكتمه لما يقع اطلاعه الى شىء وقوى فى مجالسه مع صلاته وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أزواج فأولها الوزراء ثم الموبذان وهو القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها الملتزم بأمور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للأحكام وجعل الاصبهذين أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الاربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الاربعة ورتب أردشير الصفات الاربعة من أصحاب التدبير ومن البهم اوهم الملك وحدد ور المشورة فى ايراد الامور واصدارها ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وتهزه

ونزهه ريح الصبا فتخاله * سبعا ابن عباد بدا مسكرا
عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ فى الاجفان من سنة الكرى
يختار اذ يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قداح زند المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق أقرأ من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت أنى من دراه بجنة * لما سقانى من نداه الكوثرا
وعلمت حقا أن ربعى مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبى * من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدى الخيل تعثر فى الثرى
فاذا الكتائب كالكواكب فوقهم * من لامهم مثل السحاب كنهورا
من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته فى بردتيه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته فى راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الغنى من كفه * وجنت به روض السرور منورا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أو أموت فأعذرا
يا أيها الملك الذى حاز العلا * وحباه منه بمثل حمدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا
ما زلت تغنى من عناك راجيا * نيلا وتغنى من عتا وتجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا ينافسنى وذكرك مندل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم مدحى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا

انتهى

*(وقال فى ترجمة عبد الجليل بن وهبون المرسى) ركب باشبيلية زورقا فى نهرها الذى لا تدانيه الصراة ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت فى ظلمتها ولم يبد وضح فى دهمتها

وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من ظهر بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر مراتب الاشراف وأبناء الملوك ورتب البيوتات والنساك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة ونواحى المهن العلمية على منازلها وغير طبقات المغنين ورفع من كان بالطبقة الوسطى الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى ورتب المراتب على حسب الحظوة بالطرب له منهم وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك فى طبقات المغنين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك حتى ورد كسرى أنوشروان فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك

*وقد كانت ملوك الاعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء وكان بين الملك وبين أول الطبقات عشرون ذراعا الى الستارة التى على الملك تكون منه على عشرة أذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء الاساورة يقال له خرم باش فاذا غاب هذا الرجل وكل به آخر من ابناء الاساورة وذوى التحصيل وسمى بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب فى هذه المرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه أمر رجلا أن يرتفع على أعلى

وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة وزاد في تلك البهجة فقال

كأنما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدي

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح وجاريا في ميدان ذلك المراح فأماجاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال

أعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجنى بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهو بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج تحت الماء أضوأ منهما * كالبرق يخفق في غمام سماء

*(وقال الفتح رحمه الله) دعيت يوما الى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية وهي منتهى الجمال ومزدهى الصبا والشمال على وهي بنائها وسكنى الحوادث برهة بفنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازر الذهبية أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم في الطول وضفاته بالادواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول علي بن أحمد أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزرائها

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
والنهر مثل المجرة حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت ذلك المجلس وفيهم أحداث كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كأن الصبح منها مقدود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجو زهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث الى أن أفضى بنا الى ذكر متنزهنا بالامس وما لقينا فيه من الانس فقال لي ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب وسلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمه عهدي به عندما فرغ من تشييده وتنوهي في تنسيقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في وقت حلت فيه الشمس برج شرفها واكتست فيه الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع به وتغرب وقد حل به قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كأسها درا وعقيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكأن الافلاك منازلنا ووهب المنصور في

ستيره ويعرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول يا لسان احفظ رأسك

وكان في دار الملك فبرفع ذلك تجالس في هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك نعلمهم في يوم جلوس الملك للهو وطربه في أخذ الندماء مراتبهم فانفقه أصواتها غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس *وكور أردشير ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وبين عوارها وما هي عليه من الغرور والعناء وقلة الملك وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة بائدة ما عذب منها جانب لامرئ ولا أمر منها عليه جانب ورأى أن من بنى قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عديدا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك ذلك

ذلك اليوم مايزيد على عشرين الفا من صلات متصلات وأقطع ضياعا ثم توجع لذلك العهد
وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد وقال

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها * اذ لا أرى زمنا كأزماني بها انتهى

(وما أحسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك) يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس المونقة
ويذكر استضافته فيها بشموس المسرة المشرقة وهو أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة ومحيي
الملة الذي حسن بلقياه العيش وزين بمحياه الجيش وراق نسيمه الملك وجرت بسعده
الفلك وأنار به الليل الدامس ولاح له الاثر الطامس وجرى الدهر بسطوته خاضعا
وغدا السعد بعقوته طائعا والزمان يبرود علياه ملتحف ولثغور نداه مرتشف ولازال
للمجد بتملكه والسعد بحمله وفلكه أما وقد وافقني أيامه أيده الله سبحانه وفاقا ورأيت
للبيان عنده نفاقا فلا بدّ أن أرسل كتائبه أفواجا وأفيض من بحره أمواجا وأصف ما شاهدته
من اقتداره وعاينته من حسن ايراده واصداره عندما أفصح من شكوى المحزون وأملح
من رياض الحزون وقد كنت أيدكم الله تعالى كلفا بالدول وبهاتها لهجا بالبلوغ الى
انتهائها لاجد دولة أرتضيها وحظوة علياء أقتضيها فكل ملك فاوضته سرا وجهرا
وكل ملك قليته بطنا وظهرا والنفس تصدعنه صدود الجبان عن الحرب والملائكة الكرام
عن الشرب الى أن حللت لديه ووصلت بين يديه فقلت الآن أمكن من راح البغية
الانتشاء وتمثلت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء ومازلت أسايره حيث سار وآخذ اليمين تارة وتارة اليسار وكل ناحية تسفر لي عن خد
روض ازهر وعذار نبت أخضر وتبسم عن ثغر حباب في نهر كالحباب وترفل من الربيع
في ملابس سندسيات وتهدي النفوس نوافح مسكيات ونزهى ببهجتها بأحسن منظر
وتتيه بجلباب أينع من برد الشباب الانضر فجلنا فيها يمينا وشمالا واستخبرنا عن أسرارها
صبا وشمالا ثم مال بنا أيده الله تعالى عن هذه المسارح السنية والمنازل الهنية الى
احدى ضياعه الحالية وبقاعه العالية فحللناها والايم قد عرى من جلبابه واليوم قد
اكتهل بعد شبابه فنزلنا في قصور يقصر عنها جعفري جعفر وقصور بني الاصفر تهدي
من لباتها بردا محبرا وتبدي من شذاها مسكا وعنبرا وقد لاحت من حوانيها نجوم أكواس
لو رآها أبو نواس لجعلها شعاره ووقف على نعتها أشعاره ولم يحد سواها خمرة ولا نبه
خماره بعد هجعة فتعاطيناها والسعد لنا خادم ومانير السرور علينا قادم وخدود سقاتها
قد اكتست من سناها وقدودهم تميل عليها بجناها ونحن بين سكر وصحو واثبات
ومحو واصاخة الى بم وزير والتفاتة الى ملك ووزير الى أن ولى النهار فحثنا وأقبل
الليل المميت فأحيانا فوصلنا لهوا وقصف وعيش يتجاوز كل وصف فكأن يومنا مقيم
أو كأن ليلنا من الظلام عقيم ولما سل الفجر حسامه وأبدى لعروس الليل ابتسامه وجاء
يختال اختيالا ويعوم من بقايا الليل نبالا قمنا نتناوب للمسير وكلنا في يد النشوة أسير
فسرنا والملك الاجل يقدمنا والايام تخدمنا ولازالت الايام به زاهية وعن سواه لاهية
ما غمر وكر اعقاب وكان للشهور غرر وأعقاب انتهى * (وقال الفتح في ترجمة الراضي

باجه في حياته لما رآه أرجح
ولده حلما وأكثرهم علما
وأشدهم بأسا وأجزلهم
مراسا فعاش بعد ذلك في
حال تزهده وخلوته بربه
وكونه في بيوت النيران
سنة وقيل شهرا وقيل
أكثر مما ذكرنا * وأقام
أردشير اثنتي عشرة سنة
محاربا ملوك الطوائف
* ومنهم من كان متنسكا الى
الكهف رهبة من صولته
ومنهم من عمم عليه بالمسير
الى داره وبايعه وكان
آخرهم قتلا ملكها
للنبط ناحية سواد العراق
اسمه بابا بن برياصاحب
قصر ابن هبيرة ثم أردوان
الملك وفي هذا اليوم سمي
شاهنشاه وهو ملك الملوك
* وأم ساسان الاكبر من سبايا
بني اسرائيل وهي بنت
ساسان * ولاردشير بن
بابك أخبار في بدء مملكته
مع زاهد من زهادهم وأنبأه
ملوكهم يقال له تنسر وكان
افلاطونيا في المذهب على
رأي سقراط وافلاطون
أعرضنا عن ذكرها اذ كنا
قد أتينا على جميع ذلك
في كتابنا أخبار الزمان
وفي الكتاب الاوسط
مع ذكر سيره وفتوحه وما
كان من أمره * ولاردشير

ابن بابك كتاب يعرف بكتاب الكارنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره في الارض وسيره * وكان مما حفظ من وصية أردشير

بالله أبي خالد يزيد بن المعتمد بن عباد) بعد كلام ما صورته وأخبرني المعتمد بالله ان أبا المعتمد وجهه يعني الراضي الى شلب والياً وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التي عمر نجودها غلاما وتذكر عهودها أحلاما وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها

الاحي أوطاني بشلب أبابكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر الشراجيب من فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراق مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكره وروحاته أيام لم تحل عنه تمائمه ولا خلت من أزاهير الشباب كمائمه وكان يعتقدها منتهى آماله ومنتهى أعماله الى ما بها من جنباتها وطيب نفحاتها وهباتها والتفاف خمائلها وتقلدها بنهرها مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة

أما علم المعتمد بالله انني * بحضرته في جنة شقها نهر
وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

فلما اصدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل المعتمد عليه مشرفا لاوبته ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضي فخلت الحميا أفقه ومحت غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوة وذكرته بعده فجنح الى دنوه وبين ما استدعى وأوفى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى وألفاه صريعا في مبتداه طريحا في منتهى مداه فقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده

ألا ليت تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل
ويورق للعز غصن ذوي * ويطلع للسعد نجم أفل
فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل
دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل
كما يستطير لحب الوغى * اليها وفيها الظبا والاسل
أبا ملك أمره نافذ * فمن شاء أعز ومن شاء أذل
فلا غرو ان كان منك اغتفار * وان كان مناجي عاز لل
فذلك هو والذي لم تجد * ه عاد بحلم على من جهل انتهى

(وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الافطس ما صورته) واخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون أن الارض توالى عليها الجدب بحضرته حتى جفت سذاهبا واغبرت جوانبها وغرد المكاء في غير روضه وخاض اليأس بالناس أعظم خوضه وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فادلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى ان غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام وترنمت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجود والاغوار واتفق ان وصل ابو يوسف المغني والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتتوجت الغيطان والربا وارجت

وماهم يكن له أس فهو مهدوم ومالم يكن له حارس فضائع وكان في جملته ...ية أعني أردشير الى ... خواص من ترع رعيته وعماله من أردشير بن بهمن ملك الملوك الى الكتاب الدين بهم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والى الحراث الذين هم عمرة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا اتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصيه فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم عدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تردوا غدا في المعاد وتزوجوا في الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا للدنيا فانها لا تدوم لاحد ولا تهتموا فما لم يكن الا ماشاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها * وكتب أردشير الى بعض عماله بلغني أنك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجراءة فلا تبعد أولئك وليلي آخرك ولا تخلين قلبا من هيبة ولا تعطه من مودة ولا يبعد عليك ما أقول فانهما نفعات

نفحات الصبا والمتوكل مافض اتوبته ختاما ولا قوّض عن قلبه منها خياما فكتب اليه

الم ابو يوسف والمطر * فياليت شعري ما ينتظر
ولست بآب وانت الشهيد * حضور بديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السما * ء بين النجوم وبين القمر
وركضي فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ملك من نتاج البروق * وفي ظل من [illegible] الشجر
فحسبي ممن نأى من دنا * ومن غاب كان فدا من حضر

فوصل القبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فاقام معها حيث قال عدي بن زيد

يد في مصنعا

في قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومرّ لهم من السرور يوم ما مرّ لدى رعين ولا تصوّر قبل عيونهم لعين وأخبرني انه سايره الى شنترين قاصية أرض الاسلام السامية الذرا والاعلام التي لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقي معورة للراقي متمكنة الرواسي والقواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقتطعت من الجو أكثر من حصتها يرويانها من قطرسالت به جداوله واختالت فيه خمائله فما يحول الطرف منها الا في حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مقانا قاضي حضرته وأنزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعندما طعموا قعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقي ابن خيرون منتظرا له وقد أعد لحلوله منزله فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره وخجلت خدود ورده من زواره وأبدت صدور أباريقه أسرارها وحمت عليه المحاسن أزرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وأرجت له رياحينه وجه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحشه لا أنيسه فأقام رسوله وهو كاتبه لا يريمه قد لازمه كأنه غريمه فما انفصل حتى ظن أن عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل قطيع راح وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد جاحتي الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها منه رحمه الله تعالى وعفا عنه وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهب حتى سنرد ذاهبا * من انسنا ان استرد ذاهب

وذاب له حوب مع كثير من ملوك العالم في كورا ومصر مدنا مدنا [illegible] ونسب من الكور والمدن الى آبائه والعرب تسمه سابور الجنود وفي زمنه ظهر ماني وقال بالاثنين ثم رجع سابور عن المجوسية الى مذهب ماني والقول بالنور والظلمة ثم عاد بعد ذلك الى المجوسية ولحق ماني بارض الهند لاسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكتب ملك الروم الى سابور بن أردشير أما بعد فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك مالك يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم اخلف وعدا ولا وعيدا قط وحاربت للغنى لا للهوى واجتذبت قلوب الناس ثقة بلا كره وخوفا بلا مقت وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا [illegible] رجلا رأس رزقه ونقد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان ثقل وطأته على اهل العناد [illegible]

فركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما الا بريمان السهر ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر (ثم قال) بعد كلام وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية انه مر في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمام السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم بنفحه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن عامر أحد ندمائه ونجوم سمائه

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى * ما لم تكن حاضرا لدينا

(وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ما صورته) وأخبرني الوزير أبو خالد بن بشتغير انه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويلتوي في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كأنه أرقم قد جد في هربه

فاستبدعوه وتموهوه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأعرب بما ظهر من بشره وأبداه ثم قال بعد كلام وخرج الى برجة ودلاية وهما منظران لم يجل في مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدي الارج والعرف ومناظر تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج في مسارحها ويتصرف في منازهها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأنافت عليها أي انافة (وقال في ترجمة بن رزين ما ملخصه) أخبرني الوزير أبو عامر أنه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافههم وتوافيهم والراح تشعشع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا

فلو تسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقالت لها أنا

فان حالت الايام بيني وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

ولما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول فقال أحد الحاضرين اني لاعجب من قعود ابن عمار عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يعاني قوله ويعلله ويروّيه ولا يرتجله ويغوله في المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اخلال لادبه واخلال لمنازله في الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو

هصرت لي الآمال طيبة الجنى * وسوغتني الاحوال مقبلة الدنى

وأنبتني النعما أغض من الندى * وأجمل من وشي الربيع وأحسنا

وفي اطلاقه بالتدبير ما أساءه عواقب الامور ثم قفه من أمره على ماله قدمته ليمثله أماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما سرك فاوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان خاص عن امرك عاقبته بجنث واصفت بالعفو بعد غلبة يدك والسلام * وعهد سابور الى ابنه هرمز وصى الملك بعده فقال اجعلوا ابلاؤا أجلادكم كعلو أخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعد سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها وشجاعة لا ينقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تدبير الاموال في حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد كربا وكم

وكم ليلة أحظتني بحضورها * متى سمير الاسماء والسنى
أعلل نفسي بالمكارم والعلا * وأدني وكفى بالعفو بالغنى
سأغرين بالتحويل دركك كلما * تعاورت الاسماء غيرك والكنى
لاوسعتني قولا وطولا كلاهما * يطوق اعناقا ويخرس ألسنا
وشرفتني من قطعة الروض بالتي * تناثر بها الطبع وردا وسوسنا
روقت حدالملك عقد امرصعا * وزهو على عطفيه بردا مرغنا
فدم هكذا يافارس الدست والوغى * لتطعن طورا بالكلام وبالقنا

(وأخبرني الوزير ابن سعدون) انه اصطبح يوما بحضرته والازدياد رش والربيع على وجه الارض ترش وقد صفا على العمام الازهار في أدهش بها حسناها فاروى عنها ذكر ما ما

حديث الذي لا يستطيع الناظم والنثر * هات مليك الارض وأجل الامر
مريضا اندك العمر فانهل صدها * كما سكبت وطفاء أو سكب البحر
وجاء الربيع الطلق يبدي غضارة * لحييتك منه الشمس والروض والزهر

الى أن قال ثم وجهه الى روضة قد أرحت بمعاهدها وبدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأفصحت حمامها وجرت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها كاعيون الفواتر وأقاموا يعملون أكوابهم ويشتملون ابتسامهم فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطل وشيا مجددا * فاضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص في خضر من العصب ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكنت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا صافي المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء فنسيك الغريض ومعبدا
لانحمون الدهر مادام مسعدا * ومد الى ما قد حبا كك يدا
وخذها مداما من غزال كأنه * اداما سعى بدر تحمل فرقدا

الى أن قال وأخبرني الوزير ابن سعدون انه كان معه في منية العيون في يوم مطرز الاديم ومجلس معزز النديم والانس يعازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر احد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب وسهل عليه مستوعر الطعن والضرب فطلب مجالس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين

نفس الدليل تعز بالجريال * فيقاتل الاقران دون قتال
كم من جبان ذي افتخار باطل * بالراح تحسبه من الابطال

(وقال في ترجمة ابن طاهر ماصورته) وجئته يوما وقد وقفت بباب الحنش هل لي من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لي كنت أخرج اليه في أكثر الليالي مع الوزير الاجل أبي بكر يعني ابن عبد العزيز الى روضته التي ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وعين المسك أن تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام

وقال الزؤ ... اصحابه وفي ايام رأى هذ بهرام الزندقة الذي ابتدعها الزنادقة ودونت أن الله ... حين اتاهم رداد ... الاسماء على حسب ... قدمناه من سبب تسمية ... من هذا الكتاب ... المعروف بالمسماة بالاعمة الاولى من الفرس ... هو ... وهو الزند ... على حسب ما قدمنا وكان الزند بالتأويل لسبر المتقدم المنزل وكانه اورد في شرح ... خلاف المنزل الذي هو المستا وعدل الى التأويل الذي هو الزند فالواهذا زندى فاضافوه الى التأويل وانه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو خلاف التنزيل فلما أن جاءت العرب اخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة ... وقيل غير ذلك وأدمن في اول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكر في ملكه ولا يستبرئ

امور رعيته واقطع الضياع لخواصه ومن لا بد له من خدمته وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارة

والناس قد انتشروا فى جوانبه وقعدوا على مذانبه وفى سافيته الكبرى دولاب يئن كناقة ترجو حوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت عليه ليلة والمتنبى الجزيرى واقف وامامه ظبى آنس تهيم به المكانس وفى أذنيه قرطان كانهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبى يقول

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالع فى غبش
على القرط على مسمعه * من عليه آفة العين خشى

فلما رآنى أمسك ومر كأنه تنسك * (وقال فى ترجمة ابن عمار ما صورته) وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا من اتقانه الى غاية وأمد وأبدعوا بناءه وعمقوا ساحته وفناءه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار انشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله ابو بكر بن عمار على اثر بوسه وابتسم له دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتفيئ رباعه وكلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل باس فطابت له ليلته فى مشيده وأطربه الانس ببسيطه ونشيده فقال

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندى * عنبر أشهب ومسك أحم

انتهى

وعبر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه ورصفوه وأجروه على ارادتهم وصرفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه وروضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع آبنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ انتهى * (وقال فى ترجمة ذى الوزارتين أبى عيسى بن لبون) أخبرنى الوزير ابو عامر بن الطويل انه كان بقصر مربيطر بالمجلس الشرقى منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها حدائق تزنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء وراع أفئدة الندماء فقال

قم يا نديم أدر على القرقفا * أوما ترى زهر الرياض مفوفا
فتخال محبوبا مدلا وردها * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

الى أن قال وشرب مع الوزراء الكتاب ببطحاء لورقة فى عشية تجود بدمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن تسكب أحيانا وتحدر

سكنوا الضياع المعمورة فقلت العمارة الا ما قطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بمحاباة وزراء خواص الملك وكان تدبير الملك مفوضا الى وزرائه فخربت البلاد وقلت العمارة وقل ما فى بيوت الاموال وضعف الجنود وهلك الضعيف منهم فلما كان فى بعض الايام ركب الملك الى بعض متنزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء فدعا بالموبذان لامر خطر بباله فلحق به وسايره واقبل على محادثته مستخبرا له عن سير اسلافه فتوسطوا فى مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت فى مملكته ولا انيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك للموبذان أترى أحدا من الناس أعطى فهم منطق هذا الطير المصوت فى هذا الليل الهادى فقال له الموبذان انا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما قال وعلمه ان قوله صحيح فقال له ما يقول هذا الطائر وما الذى يقول الآخر قال الموبذان هذا بوم ذكر يخاطب بومة ويقول لها أمتعينى من نفسك حتى يخرج منا اولادا يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذى

والارض

والارض مصفرة بالشمس كاسية * أبصرت تبر اعليه الدر ينتثر

*(وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي بكر بن رحيم ماصورته) ووصل هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جال الخلافة صاحب صقلية الى احدى جنات مرسية فخلوا منها في قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد فأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون في المؤانسة طريقهم اذا بالجناني قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع وما منها نظرة الا ومعها سهم واقع فاستدعي فحما وكتب في احدى زوايا القبة

قادناود نا الليث فخشنا * بنفوس تفديك من كل بوس

فنزلنا منازلا لبدور * وحللنا مطالعا لشموس

*(وقال في ترجمة الوزير الكاتب أبي محمد بن عبدون ماصورته) حللت بابرة فازاني والهابتصرها ومكنني من جنى الاماني وهصرها فأوت ليلي أجر على المجرة ذيلي وتتطارد في ميدان السرور خيلي فلما كان من الغد باكرني الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبي عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه في كوني لديه ثم انصرف وقد أخذني بين يديه فحللت عنده في رحب وهمت على من البر اهمى سحب في مجلس كأن الدراري فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافي وكثر الى مالي واستشرافي ركب معي الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فانخنا لديها أيدي عيسنا ونلنا منها ماشئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمي وسددت الى غرض الرحلة سهمي أنشدني

سلام يناجي منه زهر الربا عرف * فلا سمع الاودلو أنه أنف

حنيني الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعي التي أقفو

ثم سرد القصيدة الى أن قال وله رحمه الله تعالى

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لي بها من معان فصاح

وحلى أكاليل تلك الربا * ووشي معاطيف تلك البطاح

فلم أنس لم أنس عهدي بها * وجري فيها ذيول المراح

ونومي على حبرات الرياض * يجاذب بردي مر الرياح

ولم اعط امر النهى طاعة * ولم أصغ سمعي الى قول لاح

وليل كرجعة طرف المريب * لم ادر له شفقا من صباح

(وقال) في ترجمة الوزير أبي محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده بيتيه البديعين اللذين هما

لا تلمني بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الشان أن تشق القلوب

ماصورته وخرجت باشبيلية مشيعا الاحد زعماء المرابطين فالفيته معه مسايرا له في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تعالى تأييده الذي ينزله عند حلوله باشبيلية وهو موضع مستبدع كأن الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كاوشت البرد يد الراقم وزهر يحسد الملك رياه ويتمنى الصبح أن

عليك حصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتني اليه فقال لها الذكر وما تلك الحصال قالت أولها ان أنا اتبعتني نفسي وصرت الى ما اليه دعوتني تضمن لي أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذي قال لها الذكر قال المو بذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك مما خرب من الضياع ألف قرية لها تصنعين بها قالت في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد فينقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه مني وقدمت لك الوعد وأنا ملي بذلك بها في ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من المو بذان عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وتخلى الناس وخلا بالمو بذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفله من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ماهذا الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا وبعثتني على علم ما كنت عنه غائبا فقال المو بذان صادفت من الملك السعيد

بمهجته ولا وصف الكلام وبسم من علمائه نوره ومد يده الى وهى فى كفه فعزم على أن أدنو منه فانى وصفه بقوله

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب

وقال أبو محمد

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

(وقال فى ترجمة الوزير أبى القاسم بن السقاط بعد كلام كثير ما صورته) وحملنا الوزير القاضى أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من اعيان تلك الممالك فحللنا بضيعة لم يحث المحل أثلها ولم ترمق العيون مثلها وحللنا بها فى أكناف جنات ألفاف قد نشئت من دوحة لفاء وغصن يميس كعطفى هيفاء ونسيم يتنفس فى جداوله ونهر ينضح بالمسك راحة متناوله ولما قعدنا من تلك الحدائق أربا واقتضينا منها أترابا وأربا ملنا الى موضع المقيل وبرلما ازرة تروى بغدره جديدة مع مالك وجميل وقد وصولنا الى من أحد الاصحاب تقصير فى المبرة عرض لى منه تكدير لتلك المبرة وأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدل بهم الى الاضطجاع والنوم والسماء قد نسخ صحوها وفهم دجنها والغمام منهمل والثرى من سقياه ثمل وسنى تحفيه وأهدى برليل تممه ويوفيه وأنشدنى

يوم تجهم فيه الافق وانتثرت * مدامع الغيث فى خد الثرى هملا
رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك فى الاخلاق ممتثلا

(وقال فى ترجمة الوزير القاضى أبى الحسن بن أضحى ما نصه) وكان لصاحب البلد الذى كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه مقصورة مع ما نشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا بقرية على ضفة نهر أحسن من سادمهر تشبها حداوتى كالعذار ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضر لنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد ويقصر عن بعضه العد وفى أثناء مقامنا بدا الى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتمده وملام أحدده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ما عهدته من الانابة فكتبت اليه مداعبا راجعا بهذه القطعة

أتتنى أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن أو عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات
تعرب بالنساك فى كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

ثم قال له الملك أيها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض الذى اليه رميت والمعنى الذى له قصدت وأردته والى من قولك له أو ...ب أيها الملك ان حكماء الملك قالوا ان عزة الملك بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا دوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك فقال الملك أما هذا فقد عرفته وأبن لى ما قصدت ووضح لى فى البيان فقال الموبذان نعم أيها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال وقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم فعمدوا الى ما تحصل من غلاتها وتعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج وعمار الضياع فجلوا عن ضياعهم وارتحلوا عن ديارهم وأووا الى ما تعزز من الضياع وكانت

وكانت لهجيان مثوى فأصبحت * صلوعك مثواه بكل فلاة
يعز علينا أن تهيم فتنطوى * كمدا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

*(وقال فى ترجمة اديب الاندلس وشاعرها أبى اسحق بن خفاجة بعد كلام ماصورته) وقال وقد شاهد الشباب وتفجع لوفاة الاخوان والاحباب فقد سيل أعاد الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا

ألا عرس الاخوان فى ساحة البلى * وما رفعوا غير القبور قبابا
بدمع كماسح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتنى فى الديار عشية * تلددت فيها جيأة وذهابا
أكر بطرفى فى معاهد فتية * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفى بين وجد وزفرة * أنادى رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أخط بها فى صفحتى كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما ويبابا
وحسبى شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلى بهذه الديار المدونة وهى كعهدها فى جودة مبناها وعودة سناها فى لبنها كتحلنا طلامها اتخذا وشجونها اوسنا كدا ولم يزل ذلك الانس يبسطه والسرور ينشطه حتى نشر لى ماطواه وبث مكتوم لوعته وجواه وأعلمنى بلياليه وبهامع اترابه وماقضى بها من أطرابه انتهى ماوقع عليه اختيارى من كلام أبى نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله تعالى فى وصف بعض متنزهات الاندلس البديعة ورياضها المونقة المريعة وماأحسن رسالته مختصرة كتبها مهنئا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذى أيده به ونصره وقد جوّد أوصافه واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عمرا الزهراء والرصافة ونصها أدام الله تعالى أيام الامير للارض يملكها ويستدير بسعده فلكها وقد استبشر الملك أيدك الله وحق له الاستبشار وقد أومأ اليه السعد وأشار بما أفوله من توليتك وحنق عليه من ألويتك فلندحى منك بملك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل ويتكرم اذا انحل الوابل ويحمى الحمى كربيعة بن مكدم ويسقى الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس فقد استردت عهد خلفائها واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها فما أن لم تمت أعاصرها ولم يمت حكمها ولاناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكحا عقائل الروم ومابذلا غير المشرفية مهرا والله سبحانه أسأله اظهار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أجمل من عصرهم ونصرك أغرب من نصرهم بمنه وكرمه ويمنه*(وقال رحمه الله تعالى فى ترجمة الفقيه القاضى الحافظ أبى محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ماصورته) ومررنا فى احدى نزهتنا بمكان متنفر وعن المحاسن مسفر وفيه بكير برجس كأنه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لاحس الا الالهام ولاأنس الا مايتعرض للاوهام فقال

بأربابه فسكنوه فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام فى موضعه ذلك ثلاثا وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه فى كل وقت من الزمان وينظر فى أمر خواصه وعوامه فحسنت أيامه وانتظم ملكه حتى كانت تدعى أيامه أعياد الناس لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام ابن الملك ابن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسى بن بهرام) على ماذكرنا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز) بن نرسى بن بهرام على ماذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى

نرجس باكرت فيه روضة * لذقطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا * رقص النبت لها ثم شرب
فعدا يسرع عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت لمع الشمس في مشرقه * لهبا يخمد منه في لهب
وبياض الطل في صفرته * نقط الفضة في خط الذهب

انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومنتزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن في كلام غير واحد ممن يجري ذكره في هذا الكتاب وخصوصا أديب زمانه غير مدافع من اعترف له أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالابداع المغرب النور أبو الحسن علي ابن سعيد العنسي فانه لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية الرائقة ووصفها بالقصائد والمقطوعات الفائقة وقد أسلفنا أيضا فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع في محله من هذا الكتاب قلت وما ذا عسى أن نذكر من محاسن قرطبة الزاهرة والزهرا ونصف من محاسن الاندلس التي تبسم بكل موضع منها طلا أضاء وانهر او زهرا ورحم الله تعالى اديبها المشهور الذي اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور أبا اسحق بن خفاجة اذ قال

يا أهل أندلس لله دركم * ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم * ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

ويروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت أختار ما مثاله وهذه كنت لو خيرت أختار ومكان لا تختشوا لا تحسبوا وكذا رأيت بخط الحافظ التنسي والاول رأيته بخط العلامة الونشريسي رحمهما الله تعالى * وحكي ان الخليل لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب أبي عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني انشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وأنه لو خير لاختارها على ما في الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا أقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك الاطلاق فقال الخليل يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد والنبي صلى الله عليه وسلم الرؤف الودود الرحيم العطوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف فاستحسن منه هذا الكلام ورفع عن قائل الابيات الملام وأجزل صلته ورفع منزلته ولعمري ان هذا الجواب لجدير بالصواب وهكذا ينبغي ان تكون رسل الملوك في الافتنان روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان وأبو اسحق بن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين وقد سبق بعض كلامه ويأتي أيضا منه بعض في أثناء الكتاب ومن ذلك قوله

وكمامة حدر الصباح قناعها * عن صفحة تندى من الازهار
في أبطح رضعت ثغور أقاحه * أخلاف كل غمامة مدرار

جند يسابور من بلاد خوزستان وقد كان يعقوب ابن الليث الصفار سكن جند يسابور وبها هلك ومضى من ملوك ساسان الى أن ملك نهاوند كر فيما أوردنا من هذا الكتاب أخبار المتقدمين سكناه أبوها ووديعه فيها (ثم ملك بعده هرمز بن نرسي ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وحمله والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بأمر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاعز الايادي فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد أساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو

سلام في الصحيفة من لقيط * على من في الجزيرة من اياد
بأن الليث يأتيكم دلافا * فلا يحبسكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم النوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت * حلى الحباب سوالف الانهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك * جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربا * والطل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
واراكة سجع الهديل بفرعها * والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة الانوار

ودونه

سقيا ليوم قد أنخت بسرحة * ريا تلاعبها الرياح فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني * طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فترفع للشبيبة راية * فيه ويطلع للبطالة كوكب
والروض وجه أزهر والظل فر * ع أسود والماء ثغر أشنب
في حيث أطربنا الحمام عشية * فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا * وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به * طوق على برد الغمامة مذهب
في فتية تسري فينصدع الدجى * عنها وتنزل بالجديب فيخصب
كرموا فلا غيث السماحة مخلف * يوما ولا برق اللطافة خلب
من كل أزهر للنعيم بوجهه * ماء يرقرقه الشباب فيسكب

وقال يمدح الامير أبا يحيى بن ابراهيم

سمح الخيال على النوى بمزار * والصبح يمسح عن جبين نهار
فرعت من بادي لصيف طارق * يعشو اليها من خيال طاري
ركب الدجى أحسن به من مركب * وطوى السرى أحسن به من ساري
وأناخ حيث دموع عيني منهل * يروي وحيث حشاي موقد نار
وسقى فأروى غلة من ناهل * أو رى بجانحتيه زند أوار
يلوي الضلوع من الولوع لخطرة * من شيم برق أو شميم عرار
والليل قد نضح الندى سرباله * فانهل دمع الطل فوق صدار
مترقب رسل الرياح عشية * بمساقط الانواء والانوار
ومجر ذيل غمامة لبست به * وشي الحباب معاطف الانهار
خفقت ظلال الايك فيه ذوائبا * وارتج ردفا مائل التيار
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعا * قد قبلته مباسم النوار
باكرته والغيم قطعة عنبر * مشبوبة والبرق لفحة نار
والريح تلطم فيه أرداف الربا * لعبا وتلثم أوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها * خطباء مفصحة من الاطيار

أوان هلاككم كهلاك عاد فلم يعبؤا بكتابه وسراياه تكر نحو العراق وتغير على السواد فلما تجهز القوم نحوهم أعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا وهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يا دار عبلة من مذكارها الجرعا * هجت لي الهم والاحزان والوجعا
ألم أبادا وخالي في سراتهم * أني أرى الرأي ان لم أعص قد صدعا
الا تخافون قوما لا أبا لكم * مشوا اليكم كأمثال الدبى سرعا
لو أن جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فأوقع بهم وعمهم القتل فما أفلت منهم الانفر لحقوا بأرض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب فسمي بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق من عمال ليثبوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل

ان خبا يرى الصلاح فسادا
أو يرى الغي في الامور رشادا * لقريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد ايادا

وقد كان سابور في مسيره

في فتية جنبوا العجاجة ليلة * ولربما سفروا عن الاقمار
ثار القتام بهم دخانا وارتمى * زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هيآتهم وهباتهم * اشراف أطواد وفيض بحار
من كل منتقب بوردة خجلة * كرما ومشتمل بثوب وقار
في عمة خلعت عليه للمة * وذؤابة قرنت بها لعذار
ضافي رداء المجد طماح العلا * طامي عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالي والقنا * حامي الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكل قيد طريدة * زجل الجناح مورد الاظفار
ماضيه أعطافه بخضيرة * مكحولة أجفانه بنضار
يرمي به الامل القصي فينثني * مخضوب ذرء الظفر والمنقار
وبكل نائي الشوط أشدق أحزر * طاوي الحشى حالي المقلد ضاري
يفترعن مثل النصال وانما * يمشي على مثل القنا الخطار
مستقريا أثر القنيص على الصفا * والليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه * يرميك مخمته بشعلة نار
ومورس السربال يخلع بدنه * عن نجم رجم في سماء غبار
يبني في سطر الطريق وقد عفا * قدما فتقرأ أحرف الآثار
عطف الضمور سراته فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
ولرب رواع هنالك أنبط * حلو المسامع أطلس الاطمار
يجري على حذر فيجمع بسطه * يهوي فيعطف انعطاف سوار
متعذر حبل الشأو يعسل رائعا * فيكاد يفلت أيدي الاقدار
متردد يرمي به جوب الردى * كرة تهاداها أكف قمار
ولرب طيار خفيف قد جرى * شلا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشي الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرعت على ظما بكاس عقار
ولو استجارت منهم بحمى أبي * يحيى لامنها أعز جوار
خدم القضاء مراده وكأنما * ملكت يداه أعنة الاقدار
وعنى الزمان لامره فكأنما * اصغى الزمان به الى أمار
وجلا الامارة في وفي نضارة * جلت الدجى في حلة الانوار
في حيث وشح لبه بقلادة * منها وحلى معصما بسوار
جذلان يملأ منحه وبشاشه * أيدي العفاة وأعين الزوار
أرج الندى بذكره فكأنه * متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه * واستل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله * ماشاء من نار ومن اعصار

ن البلاد أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن في قتلهم وفرت بنو تميم وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ ثلثمائة سنة وكان يعلق في عمود البيت في قفة قد اتخذت له فأراد اهله حمله فأبى عليهم الا أن يتركوه في ديارهم وقال أنا هالك اليوم أو غدا وما بقي لي من العمر لعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب فخلوا عمرو وتركوه على ما كان عليه فصبحت خيل سابور الديار فنظروا الى أهلها قد ارتحلوا ونظروا الى قفة معلقة في شجرة وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها وهمهمة الرجال فأقبل يصيح بصوت ضعيف فأخذوه وجاؤا به الى سابور فلما وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الايام عليه ظاهرة فقال له سابور من أنت أيها الشيخ الفاني قال أنا عمرو بن تميم بن مر وقد بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس منك لاسرافك في القتل وشدة عقوبتك اياهم وآثرت الفناء على يديك ليبقى من مضى من قومي ولعل الله ملك السموات والارض يجري على يديك فرجهم ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم وأنا سائلك عن أمر ان انت اذنت لي فيه فقال له سابور قل نسمع منك فقال له عمرو ما الذي يحملك على

والشمس

والشمس تجرى والجياد عرائس * والجو كاس والسيوف عوارى
والخيل تعثر فى شبا شوك القنا * وتصد وهى تسبح فى الدم الموار
والبيض تجرى فى الطلى وكأنما * تلوى غرامتها على أزرار
والنقع يكسر من سنا شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار
بحر الحمام النصر تحت ... * فى كف صنو ... سوار
لو أنه أوفى السماء بخطرة * وما الشار ولم يمكن ثار
وقضى وقد ملكته عرعره * تحت العجاج ... استشار

وقال رحمه الله تعالى

وراكة ضربت سماء فوقها * تهدى وأوفت لنا الكؤوس بدار
... فيها جدول * نثرت ... الأزهار
وكأنها وكأن جدول مائها * حسناء تبدى خصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة * تجلى ونور الغصون نثار
فى روضة حمى الدجى ظلالها * وتبسمت نوارها الأنوار
سماء يبشر ... المرارى * ... بسكبه الأقطار
قام الربيع بها وقد نشر الندى * وجه الثرى ... النوار
والماء فى حلى الحياة معاهد * زرت عليه جيوبها الأشجار

وقال ملتزما ما لا يلزم

حدها اليك وانها لعطيرة * ... اليك ... الصفراء
حملت وحسبك ... * عبق العروس وحمله العذراء
من كل وارسة القميص كأنما * نشأت ... الصفراء
نسمت ... * بالأيكة الحمراء من صفراء
وأتتك تسفر عن وجوه طالما * ... من لطف الشعراء
يدنى بها وجه الندى ولربما * سقطت هلالك أوجه السراء
فاستضحكت وجه الدجى معصوصة * حملت جنين العذر العذراء

وقال أيضا

وصدر ناد نصبنا * ... الهوا فى سعدا
فى منزل قد حبانا * بظله العز بردا
... كونه الذهب جمرا * ويعبق الليل ندا
وقد ... أرج نور * غص ... وردا
كأنه ... شعر * ... يقبل خدا

وقال من قصيدة يصف منبرها

يارب وضاح الجبين كأنما * رسم العذار بصفحتيه كتاب
تعرى بطلعته العيون مهابة * وتبيت تعشق عقله الألباب

قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلادى وأهل مملكتى فقال عمرو وعلو ذلك ولست تأمنهم بتهم ما فعلت به وإلى ما كانوا عليه من الشدة ... قال سابور أقتلهم لا بامالو العرس تجد فى شروره ... وما سلف من أخبار أراك ان العرب تعتاد على نار تكون لهم العاقبة على ما كراه الملك وهذا أمر ... أو تظنه قال بل أتحققه لابد يكون ذلك قال له فما وقال كنت تعلم ذلك وأنت تسىء إلى العرب والله انى سوى على العرب جميعا وتحسن اليهم ليكافؤك عند انتقال الدولة لهم على قومك بأحسن ما فعلت وان تم طال بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم يمنون عليك وعلى قومك ان كان الامر كما تقول فهو أحزم فى الرأى وأنفع فى العاقبة وان كان باطلا فلم تتحمل الاثم وتسفك دماء رعيتك فقال سابور الامر صحيح وهو كائن لكم والرأى ما قلت ولقد صدقت فى القول ونصحت فى الخطاب فنادى منادى سابور بأمان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال ان عمرا بقى فى هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل

٤١ ط ل من ذلك والله أعلم وسار سابور نحو بلاد الشام فافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه

خلعت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السماء نقاب
شرعت من ماء الصبا في منهل * قد شف عنه من القميص سراب
في حيث للريح الرخاء تنفس * أرج وللماء الفرات عباب
ولرب غض الجسم مد بحوضه * سبجا كماشق السماء شهاب
ولقد أنخت بشاطئيه يهزني * طرب باشباب راقني وشراب
وبكيت دجلته يضاحكني بها * مرحا حبيب شائقي وحباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا * حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللنهار ذؤابة * شمطاء تخضب والنهار خضاب
ملوي معاطف الصبابة والصبا * والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مر بنا وهو بدر تم * يسحب من ذيله سحابا
بقامة تنثني قضيبا * وغرة تلتظي شهابا
يقرأ والليل مدلهم * لنور اجلائه كتابا
ورب ليل سهرت فيه * أزجر من جنحه نكابا
حتى اذا الليل مال سكرا * وشق سربا له وجابا
وحام من سدفه غراب * طالت به سنه فشابا
ازددت من لوعتي خبالا * نفثت من غلتي شرابا
وما خطا قادما فوافى * حتى انثنى ناكصا فآبا
وبين جفني بحر شوق * يعب في وجنتي عبابا
قد شب في وجهه شعاع * وشب عن فاتي التهابا
وروضة طلقة حياء * غناء مخضرة جنابا
ينجاب عن نورها كمام * يحط عن وجهه نقابا
بات بها مبسم الاقاحي * يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها * ألوية حمرت خضابا
كأنها أنمل وراد * تحصر قطر الحيا حسابا

وله

رحلت عنكم ولي فؤاد * تنفض اضلاعه حنينا
أجود فيكم بعلق دمع * كنت به قبلكم ضنينا
يثور في وجنتي جيشا * وكان في جفنه كمينا
كأني بعدكم شمال * قد فارقت منكم يمينا

وقال

فيا لشجا قلب من الصبر فارغ * ويا لقذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة * وقلب الى أفق الجزيرة حنان

بالدخول الى أرض الروم متنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل في جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أن يصور سابور ويصوره له فلما جاء قيصر بالصورة امر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأناء من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فأخبره فامر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني فدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فأمر فجعل في جلد بقرة وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق واقتحم المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيدهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها فأغفل الموكلون أمر سابور وواحد الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس فخاطبهم ان يحل بعضهم بعضا

تعوضت من واها وآه ومن هوى * بهون ومن اخوان صدق بخوان
وما كل بيضاء بروق بشحمة * وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فيا ليت شعري هل لدهري عطفة * فتجمع أوطاري على وأوطاني
ميادين أوطاري ولذة لذتي * ومنشأ أهوائي وملعب غزلاني
كأن لم يصلني فيه ظبي يقوم لي * لماه وصدغاه براحي وريحاني
فسقيا لواديهم وإن كنت إنما * أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بأفقه * نجوم كؤوس بين أقمار ندمان
وللقضب والأطيار ملهى بجرعة * فما شئت من رقص على رجع ألحان
وبالخضرة الغراء غر علقته * فأحببت حبا فيه قضبان نعمان
رقيق الحواشي في محاسن وجهه * ومنطقه مسلي قلوب وآذان
أعار لخديه على الورد كلما * بدا ولعطفيه على أغصن البان
وهبني أجني ورد خد بناظري * فمن أين لي منه بتفاح لبنان
يعللني منه بموعد رشفة * خدال له يغري بمطل وليان
حبيب عليه لجة من صوارم * علاها حباب من أسنة مران
نراءى لنا في مثل صورة يوسف * نراءى لنا في مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة * قرأنا لها من وجهه سطر عنوان
محبته ديني ومثواه كعبتي * ورؤيته حجي وذكراه قرآني

وقال

وليل تعاطينا المدام وبيننا * حديث كما هب النسيم على الورد
نعاوده والكأس يعبق نفحه * وأطيب منها ما نعيد وما نبدي
وننقل أقاح الثغر أو سوسن الطلى * ونرجسة الأجفان أو وردة الخد
إلى أن سرت في جسمه الكأس والكرى * وما لا بعطفيه فمال على عضدي
فأقبلت أستهدي لما بين أضلعي * من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وشي برده * فعاينت منه السيف سل من الغمد
لبان مجس واستقامة قامة * وهز أعطاف ورونق افرند
أعانق منه الغصن في مغرس النقا * وألثم وجه الشمس في مطلع السعد
فإن لم يكنها أو تكنه فإنه * أخوها كما قد الشراك من الجلد
تسامر كلتا راحتي بجسمه * فطورا إلى خصر وطورا إلى نهد
وتهبط من كشحيه كفي تهامة * وتصعد من نهديه أخرى إلى نجد

وقال أيضا

ورداء ليل بات فيه معانقي * طيف ألم بظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه * وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة * شفقا هنالك لوجنة حمراء

وشجعهم وامرهم أن يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هنالك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص وأتى المدينة وهم يتبارزون على سورها فخاطبهم فعرفوه ورموه بالحبال وفتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم مفرقين نحو مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب النواقيس فأتوه بقيصر أسيرا فاستحياه وأبقى عليه وضم اليه من افلت من القتل من رجاله وغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل بها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وعمر ما خرب في اسفار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر في بعض الاخبار ان سابور زرنق قيصر وقطع اعصاب عقبيه اورهما وان الروم ترنق دوابها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفي ذلك يقول الحرث بن جندة المعروف بالمرمران شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا * وهم رسوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا اباقا بوس عصبا * وهم احدوا البسيطة من اياد

وفي فعل سابور في غرره بنفسه في دخوله الى ارض

والليل مشمط الذوائب كبرة * خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والصبح يسحب فرعه * ويجر من طرب فضول رداء
تبدى بفيه اقحوانة أجرع * قد غازلتها الشمس غب سماء
وتميس في اثوابه ريحانة * كرعت على ظما بجدول ماء
تفاحة الانفاس الا انها * حذر الندى خفاقة الافياء
فلويت معطفها اعتناقا حسبما * ثنيه بقطر الدمع من انواء

انتهى * (وكان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى) * كثيرا ما ينتاب وادي الطلح مع زملته وأولى أنسه ومسرته وهو واد بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائل بوادي الطلح ريح الصبا * هل سحرت لي من زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * لن نأمن الرسل ولن نكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا اما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا غيرهم مذهبا
يا قاتل الله الذي لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والبم لا يعرف ما طعمه * الا الذي وافى لأن يشربا
دعني من ذكر الوشاة الالى * لم ابرل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخانني من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكاس وحيابها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذي شئته * يا بدر تم مهد الكوكبا
لكنني آليت أسقى بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فمج لي في الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا
وقال ها لثمي نقلا ولا * تشم الا عرفي الاطيبا
واقطف بخدي الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أسقيته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهي وذا امرة * حتى تبدى فالتت الحبا
ولم أصن عرضي في حبه * ولم أطع فيه الذي أنبا
حتى اذا ما قال لي حاسد * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعري سحرا له * يسر المرغب والمطلبا
وقال عرفه بأني ساحتال فما أجتنب المكتبا
فزاد في شوقي له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا

مدونة ... يقول بعض المتقدمين من شعراء ... أبناء فارس وكان سابور صفو في أرومته * أحيدعها فاضحى غير مختار
... كان بالروم جاسوسا يجول به
حوم المنية من ذي كيد مكار
فاستأسروه وكانت نبوة عجبا
وزلة بعث من عبر عثار
وأصبح الملك الرومي معترضا أرض العراق على هول واخطار
راض الفرس بالابواب وافترقوا
كما تحارب أسد الغاب في الغار
خذ بالسيف ام الروم فاصطنعوا
لله درك من طلاب أوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا
من النخيل وما حفوا بعشار
وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرهما من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار في ذلك الوقت صار الديباج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين وسكث الى هذه الغاية وقد كان من قبله من ملوك الساسانية
وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بغربي المدائن من ارض العراق فسكن

سابور في الجانب الشرقي من المدائن وبنى هناك الايوان المعروف بايوان كسرى الى هذه الغاية

أمد طرفي ثم أثنيه من * خوف أخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحزن يكذبا
أي ومن صيره بعدما * أيأس قطعا كاد أن يغضبا
قبلت في الترب ولم أستطع * من حصر الفياسوى مرحبا
هنأت ربعي اذ غدا هالة * وقلت يا من لم يسع أشعبا
بالله ما يعتنقا لا نما * قال كالغصن ثنته الصبا
فقال مرغب قلت انثد * أدر كت اذ كانت المرتبا
فقس لام غب عن ذكرها * ترغبه قدت ادن مركبا
وكان ما كان نحو الله ما * ذكرته دهري أو أعلبا

وستأتي هذه القصيدة بكمالها في جملة من نظم ابن سعيد المذكور وقال يتشوق الى اشبيلية وهي حمص الاندلس

أن الخليج وغنت الورقاء * هل ربما اذ هاجت البرحاء
أأماسكا أولي بخلة عاشق * أني وسعت بي الاعداء
أخشى الوشاة هما أسوء بلفظه * والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوق أرض حمص ما جرى * دمعي ولا شمتت بي الاعداء
لم أستطع كتماله لكنني * ما كان لي كتم ولا اخفاء
والبدر مهما رام كتما من سرى * فيه ينم على سراه ضياء
بلد متى يخطر له ذكر هفا * قلبي وخان تصبر وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق نوره * عندي ولا تتبدل الظلماء
كلي به من ذي وفاء لم يخن * عهدي ويسمو بالوداد وفاء
فتراه ادمار دكري سائلا * عن حالتي ان قلت الانباء
يمسي ويصبح لي بذكر مدة * يرضى بها الاصباح والامساء
مع كل مبذول الوصال ممنع * من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبي كالشمس المنيرة كالقنا * كالغصن يثني معطفيه رخاء
يسعى براح كالشهاب براحة * كالبدر والوجه المنير كاء
مالان تحت الوصل حتى مال منه المجر وانتعلت به الـلواء
خير الحسنة ما تأتت عن قبلي * تدري بنوس العاقة النعماء
مازلت أرقى بالقريض جنونه * حتى استكان وكان منه اباء
فظفرت منه بمدة لو أنها * دامت لدامت لي بها السراء
صفو تكدر بالتحرك ليته * مازال لكن لا يرد قضاء
ان الفراق هو المنية انما * أهل النوى ماتوا وهم أحياء
لولا تذكر لذة طابت لنا * بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطرا * وتبددت في الدوحة الانداء

وما كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الايوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فامر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك نسبة والملوك اخوة وان الغيرة بعثتني عليه وعلى أدبه لسياسة الملك وما يلحق الملوك للملوك (وذكر) عن الرشيد بعد السخط على البرامكة انه بعث الى يحيى بن خالد بن برمك وهو في اعتقاله يشاوره في هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره في نفسه المجوسية والحنو عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع في هدمه ثم نظر فاذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تنضبط كثرة فامسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فاجابه بان ينفق في هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره فبعث اليه ليسأله عن ذلك فقال نعم أما ما أشرت به في الاول فاني أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد في الاعصار يطرأ من الامم

ما كابدت نفسي أليم تفكر * ألوى به عن جفني الاغفاء
يا منزلا رحمى لا عدتك مسرة * ما ءيسيل لديك أم صهباء
كل النفوس تهش فيك كأنما * جمعت عليك شتاتها الاهواء
ودي اليك مع الزمان مجدد * مالن يحول تذكر وعناء
ولو انني لم أحي ذكر الذي * أوليته ماكان في حياء
ما كنت أطمع في الحياة لو انني * أيقنت أن لا يستمر لقاء
غيري اذا ما بان حال وانما * أبقى حياتي حين بان رجاء

وسيأتي ان شاء الله تعالى لهذا النمط وغيره مزيد أثناء الكتاب بحسب ما اقتضته المناسبة والله تعالى المرجو في حسن المتاب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب

(الباب الخامس)

في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام ومدح جماعة من أولئك الاعلام ذوي العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وأرباب بيانها ذوي السودد والاحتشام ومخاطباتهم للفقير المؤلف حين حلها سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة وشاهد برق فضلها المبين وشام

*(اعلم جعلني الله تعالى واياك) ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب الشديد المحال ولو اطلقنا عنان الاقلام في تعرف من عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الاعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤد للاخلال فنقول مستمدين من واهب العقول (منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي) وقد عرف به القاضي عياض في المدارك وغير واحد ورأيت في بعض التواريخ أن تواليفه بلغت ألفا ومن أشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ومن نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا * واذكره لا زلت في التاريخ مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله * قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في انفاق موسمه * ان لا يزال بذاك العام ميسورا

وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدي به والله تعالى أعلم

*وقال الفتح في المطمح الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي اي شرف لاهل الاندلس واي مفخر واي بحر بالعلوم يزخر خلدت منه الاندلس فقيها عالما عاد به جاهل اهلها معالما واقام فيها للعلوم اسواقا نافقة ونشر منها الوية خافقة وجلا عن الالباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل وتصرف في فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار أعلم من بها وأفقه ولقي أنجاب مالك وسلك في مناظرتهم أوعر

في الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان أمة قهرت أمة هذا بنيانها فازالت رسومها واحتوت على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة وأما وان الثاني فاخبرت انه قد شرع في هدمه ثم عجز فارتدع ففي امر ذلك أنسا الى الامم السالفة ممن وصفت ممن برز في الاعصار ان هذه الامة عجزت عن هدم ما بنتها دون ملوك ... ذلك من كلامه وقال قاتله الله تعالى ما سمعته قال شيأ قط الا دون فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذي بني نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده أخوه اردشير بن هرمز) وكان ملكه الى ان خلع اربع سنين (ثم ملك بعده سابور ابن سابور خمس سنين) وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقال ان هذا الشعر قاله بعد ذلك وابا رض الروم حين وقع بهم سابور ذو الاكتاف على ماذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات في ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد في ذلك ما وصفنا وهم

المسالك حتى أجمع عليه الاتفاق ووقع على تفضيله الإصفاق ويتدين به إلى مالك آخر عمره وروى عنه عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم كان يركب إلى بيت المقدس فيتغدى به ثم يعود فيتعشى بإصطخر وله في الفقه كتاب الواضحة ومن أحاديثه غرائب قد تحلت بها للزمان نحور وترائب (وقال محمد بن لبابة) فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والإعراب وتصرف في فنون الآداب وكان له شعر يتكلم به متخيرا يسري سبوره بذلك شعرا وتوفي بالأندلس في رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعدما جال في الأرض وقطع طولها والعرض وجال في أكنافها وانتهى إلى أطرافها ومن شعره قوله

قد طاح أمري والذي أبتغي ... هين على الرحمن في قدرته
ألف من الحجر وأقلل بها ... لعالم أربى على بغيته
زرياب قد يأخذها قفلة ... وصنعتي أشرف من صنعته

وكتب إلى الرحالي رسالة وصلها بهذه الأبيات

كيف يطيق الشعر من أصبحت ... حالته باليوم كحال الغرق
والشعر لا يسلس إلا على ... فراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر ... يرضى من الحظ بأدنى العلق
وصلك قد بان عليه كما ... بان لأهل الأرض ضوء الشفق
أما مقام الود في قلبكم ... فهو من المختوم فيه السبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ويفرق مستقيمه من مختله وكان غرضه الإجازة وأكثر رواياته غير مستجازة قال ابن وضاح قال إبراهيم بن المنذر أتاني صاحبكم الأندلسي يعني عبد الملك هذا بغرارة مملوءة فقال لي هذا علمك تجيزه لي فقلت له نعم ما قرأ علي منه حرفا ولا قرأته عليه وحكي أنه قال في دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الأكابر فازدراه من رآه

لا تنظرن إلى جسمي وقلته ... وانظر لصدري وما يحوي من السنن
فرب ذي منظر من غير معرفة ... ورب من تزدريه العين ذو فطن
ورب لؤلؤة في عين مزبلة ... لم يلتفت بال لها إلا إلى زمن

انتهى ما في المطمح الصغير. قلت أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى إن في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم. وأما ما ذكره عنه من الإجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى الإجازة وهو مذهب مستفيض واعتراض من اعترض عليه إنما هو بناء على القول بمنع الإجازة فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق. (ومن الراحلين) من الأندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ عن مالك رضي الله تعالى عنه ويقال إن أصله من بربر مصمودة وذكر أنه لما ارتحل إلى مالك

داخلون في جملة ربيعة وقيل غير ذلك والله أعلم بالصحيح. (ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه عشر سنين وقيل إحدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور المعروف بالأثيم وكان ملكه إلى أن هلك إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر (ثم ملك بعده بهرام) بن يزدجرد وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل سبع عشرة سنة وملك وهو ابن عشرين سنة وعاش هو وقيل في حومة بنائه بعض أيامه فغلب عليه فرس لما بهامه عدله وأمنهم إحسانه ورأفته برعيته وإقامته الأمور في أيامه وقد كان خرج في أيامه خاقان ملك الترك إلى الصغد ثم أغار في بلاده وقيل إنه أتى إلى بلاد الري وإن بهرام كتب أجناده وتنكب الطريق في المسير من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان في جنوده وسار نحو العراق برأسه فهابته ملوك الأرض وهادنه قيصر وحمل إليه الأموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل إلى أرض الهند متنكرا ولا خبر لهم معرفا فاتصل بشرمة ملك من ملوك الهند فأبلى بين يديه في حرب من حروبه وأمكنه من عدوه فزوجه ابنته على أنه من أساورة فارس وكان نشوءه مع العرب بالحيرة وكان يقول

ولازمه فبينما هو عنده في مجلسه مع جماعة من أصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج أصحاب
مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك ما لك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما
جئت من الاندلس لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم أكن لانظر الى الفيل فأعجب
به مالك وقال هذا عاقل الاندلس ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار
فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راويها ومحدثها وتوفي يحيى بن يحيى سنة
٢٠٤ في رجب وقبره يستسقى به بقرطبة وقيل ان وفاته في السنة التي قبلها والله تعالى أعلم
وروايته الموطأ مشهورة حتى ان أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرا مع تعدد
رواة الموطا والله أعلم وكان يحيى بن يحيى روى الموطا بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي
المعروف بشبطون وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان
وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها
فأثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من
سفيان بن عيينة وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقي
وسمع منهما وهما من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرياسة
بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه
خلق كثير وأشهر رواة الموطا وأحسنهم رواية يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند
الامراء يكنى عندهم عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء وكان أعلى من القضاة
قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده في القضاء وامتناعه قال الحافظ ابن حزم مذهبان انتشرا
في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت
القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين
لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول
القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا
بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم
به على ان يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول
رأيه لديهم انتهى وذكرنا في غير هذا الموضع قولا آخر في سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس
والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر وقال ابن أبي الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء
في قصره وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ثم ندم أشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة
فقال يحيى تكفر بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا
فقال بعضهم له لم لم تفته بمذهب مالك بالتخيير فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل
يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على أصعب الامور لئلا يعود وقال بعض المالكية ان يحيى
ورى بهذا ورأى أنه لم يملك شيأ اذ هو مستغرق الذمة فلا عتق له ولا اطعام فلم يبق الا الصيام
انتهى ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك
فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحلة ثانية
وألفى مالكا عليلا فأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه

الشعر بالعربية وتكلم بسائر اللغات وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخطار وله أخبار في أخذه
الملك بعد أبيه وتناوله
التاج والراية من بين
[illegible] وأخبار [illegible]
و [illegible] ذكرناها ولأي
علة سمي بهرام جور
أحد من رمى بالنشاب في
أيامه ومن الصيد في داخل
القوس [illegible] وقد
أتينا على جميع ذلك في
كتابنا أخبار الزمان
والكتاب الاوسط وما قالت
الفرس والترك في بنية
القوس والسهام كبنية على
الطبائع الاربع كطبائع
الانسان وما قيل من
أنواع الرمي وكيفيته ومما
حفظ من شعر بهرام جور
قوله يوم ظفره بخاقان
له

أقول له لما فضضت
جموعه
كأنك لم تسمع بصولات
بهرام
فاني حامي ملك فارس كلها
وما خير ملك لا يكون له حامي
(وقوله أيضا)
لقد علم الانام بكل أرض
بأنهم قد أضحوا لي عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت
منهم
عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقفي حذاري
وترهب من مخافتي
الورودا
وكنت اذا تشاوس ملك أرض عبأت له الكتائب والجنودا فيعطيني المقادة أو أوافي به يشكو السلاسل والقيودا من

من مالك هكذا ذكره ابن الفرضي في تاريخه وهو مما يرد الحكاية المشهورة الآن بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التين فقال لا زكاة فيه فقال إنه يدخر عندنا ويدخر وإن وصل إلى الأندلس أن يرسل مالك سفينة مملوءة تينا فلم تصل وقيل أرسلها [illegible] انتهى * قال ابن الفرضي ولما انصرف يحيى إلى الأندلس كان إمام وقته وواحد بلده وكان ممن اتهم بالهيج في وقعة الربض المشهورة ففر إلى طليطلة ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم أمانا وانصرف إلى قرطبة وقيل لم يعط أحد من أهل الأندلس منذ دخلها الإسلام ما أعطي يحيى من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر وقال ابن بشكوال إن يحيى بن يحيى كان مجاب الدعوة وإنه أخذ في نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك وحكي عنه أنه قال أخذت بركاب الليث بن سعد فأراد غلامه أن يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك العلم فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك (ومنهم)

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي وهو عده ثقة علم وعمل وصحة ضبط ونقل كان علم الأندلس وعالمها المدرس ولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق وجمع فيها من الروايات والسماع كل مفترق وجال في آفاق ذلك الأفق لا يستقر في بلد ولا يستوطن في بلد ثم كر إلى الأندلس فسمت رتبته وشهد له بالإمامة وصرف في ولايات أحمد فيها امتحانه واتصلت بها أسبابه وولاه العاضد [illegible] قرطبة وولاه سيادة محمودة ورياسة في الدين مبرقة الهوى مشهودة المرهبة بالصرامة في تنفيذ الحقوق والجزالة في إقامة الحدود والكشف عن البينات في السر والصدع بالحق في الجهر لم يستمله خادع ولم يكده شادن ولم يهب حرمه ولا داهن ذا مرتبة ولا أغضى لأحد من أسباب السلطان وأهله حتى تحاموا حدة جانبه فلم يجسر أحد منهم عليه وكان له بعد وافر من الأدب وحظ من البلاغة إذا نظم أو كتب ومن مليح شعره ما قاله عند [illegible] من قرطبة

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة ... إذا كان من بعد الفراق تلاقي

كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي ... ولم تمر كف الشوق ماء مآقي

ولم أزر الأعراب في جنب أرضهم ... بذات اللوى من رامة وبراق

ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى ... وكأس سقاها في الأزاهر ساق

وله أيضا

ماذا أكابد من ورق مغردة ... على قضيب بذات الجزع مياس

رددن شجوا شجى قلب الخلي فهل ... في عبرة ذرفت في الحب من باس

ذكرنه الزمن الماضي بقرطبة ... بين الأحبة في أمن وإيناس

هم الصبابة لولا همة شرفت ... فصيرت قلبه كالجندل القاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق والتعدي لسائر الآفاق منها أنه خرج إلى حضور جنازة بمقابر قريش ورجل من بني جابر كان بواحيه له منزل فعزم عليه في الميل إليه وعلى أخيه فنزل عليه فأحضر لهما طعاما وأمر جارية له بالغناء فغنت

طابت بطيب لثاتك الأقداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح

وإذا الربيع تنسمت أرواحه ... طابت بطيب نسيمك الأرواح

طلبا للانحسار (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان بين [illegible] الآن والطين [illegible] الأبواب على [illegible] فيما [illegible] الأكابر [illegible] الأبواب والأبواب وجلل [illegible] وأحضر يزدجرد بن بهرام [illegible] حكماء عصره كان ذا [illegible] ملكته أحدا من [illegible] الرأي منهم [illegible] الحكم الفاصل [illegible] الملك [illegible] وأخذ الحق منهم [illegible] منفعة والمودة إليهم بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم من الظالم قال [illegible] صلاح أمر الملك [illegible] وأعوانه فإنهم إن صلحوا صلح وإن فسدوا فسد قال يزدجرد إن الناس [illegible] أكثروا في أسباب [illegible] فصف لي ما الذي ينشئها وما الذي يهلكها [illegible] قال ينشئها اصطناع [illegible] جزاء العامة [illegible] استخفاف بخاصة وأكدها انبساط الأنس [illegible] القلوب [illegible]

وله أشعار كثيرة بالعربية والفارسية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع

[illegible] أحد العدة [illegible] قبل [illegible] وإيثار [illegible]

وإذا الحنادس ألبست ظلماؤها * وضياء وجهك في الدجى مصباح

وكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على ظهر كفه وكان رحمه الله تعالى في غاية اللطف حكى بعض أصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأزقة سكران يتمايل فلما رأى القاضي هابه وأراد الانصراف فخانته رجلاه فاستند إلى الحائط وأطرق فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول

ألا أيها القاضي الذي عم عدله * فأضحى به بين الأنام فريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أر فيه للشراب حدودا
فإن شئت جلدا فدونك منكبا * صبورا على ريب الزمان جليدا
وإن شئت أن تعفو تكن لك منة * تروح بها في العالمين حميدا
وإن أنت تختار الحديد فإن لي * لسانا على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه ومضى لشأنه انتهى ملخصا من المطمح * ورأيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع عم أبيه عبيد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٣ ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الأعرابي ومعاني الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضي أحمد بن بقي واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجاية ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة ٣٢٤ وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج إلى الثغور ويتصرف في إصلاح ما وهى منها فاعتل في آخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى وأظن أني نقلته من كتاب ابن الأبار الحافظ والله أعلم * (ومنهم) عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي الدمشقي وفاة يكنى أبا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٦١٤ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا مائة سنة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله * (ومنهم) أبو إبراهيم إسمعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي الأبذي الملقب في البلاد المشرقية ببرهان الدين وأبذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالأندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ بن طبرزد وأم بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفي سنة ٦٥٦ وأخبر عن بعض الأولياء المجاورين ببيت المقدس أنه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس

إن يكن بالشام قل نصيري * ثم خربت واستمر هلوكي
فلقد أثبت الغداة خرابي * سمر العار في جباه الملوك

هكذا رأيته بخط الصفدي في حياه ويحتمل أن يكون في جباه جمع جبهة والله أعلم * (ومنهم) القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من أخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له في

الهزل والعمل بالحزم في الغضب والرضا (ثم ملك بعده هرمز) بن يزدجرد فنازعه أخوه فيروز فقتله وولي الملك وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز إلى أن هلك على يدي ملك الهياطلة بخراسان بمرو الروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة والهياطلة هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاش) بن فيروز الملك وكان ملكه أربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق وإليه تضاف المزدكية وله أخبار مع قباذ وما حدثه في العامة من النواميس والحيل إلى أن قتله أنوشروان في مملكته وكان ملك قباذ إلى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة (ثم ملك بعده ولده أنوشروان) بن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخ له يقال له جاماسب نحوا من سنتين لأمر كان من مزدك وأصحابه تظافر أنوشروان وابن زرجمهر بن بختك حتى أعيد قباذ إلى مملكته في خبر طويل ولما ملك أنوشروان وقتل مزدك وأتباعه ثمانين ألفا من أصحابه وذلك بين حازر والنهروان من أرض العراق يسمى من ذلك اليوم أنوشروان وتفسير ذلك جديد الملك وجمع أهل مملكته على دين المجوسية

ذلك قصته في أيتام أخي نجدة وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية وهي ان الخليفة
الناصر احتاج الى شراء دار من قرطبة لحظية من سائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار
كانت لاولاد زكريا أخي نجدة وكانت بقرب النشارين في الربض الشرقي متصلة عن دوره
ويتصل بها حمام له غلة واسعة وكان أولاد زكريا أخي نجدة أيتاما في حجر القاضي فارسل
الخليفة من قومها له بعدد ما طابت نفسه وأرسل ناسا أمرهم بداخله وصي الايتام في بيعها
عليهم فذكر انه لا يجوز الا بامر القاضي اذ لم يجز بيع الاصل الاعن رأيه ومشورته فارسل
الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه
منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فاما الحاجة فلا حاجة بهذه الايتام الى البيع
وأما الوهي فليس فيها وأما الغبطة فهذا مكانها فان اعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به
الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد في شراء الدار طمعا
أن يتوخى رغبته فيها وخاف القاضي ان تنبعث منه عزمة تلحق الايتام نزرتها فامر وصي
الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة اكثر مما
قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وامر بتوقيف الوصي على ما احدثه فيها فاحال
الوصي على القاضي انه أمره بذلك فارسل عند ذلك للقاضي منذر وقال له أنت أمرت بنقض دار
أخي نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك قال أخذت فيها بقول الله تعالى أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
مقوموك لم يقوموها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في أنقاضها اكثر من ذلك وبقيت
القاعة والحمام فضل ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك
وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا قالوا وكان على
متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة ربما ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من
دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضاري فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي
شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول أطعموني من عشائكم
أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضي ان استجيب لهذا
السائل فيكم فليس يصبح منا أحد وحكي عنه قاسم بن أحمد الجهني انه ركب يوما لحيازة أرض
محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي ونظراؤه قال فسرنا
نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت
القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشي فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مستوحمة والكلاب
تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه الينا وقال ترون يا أصحابنا امارة الكلاب ما الهن
الذي تلعقته وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من
هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة
وسط روضة نافحة في يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من
وهج الحر الجهد وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يطف
ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع

الفتح لما كان من غارات
من هنالك من الملوك على
بلاده بنى السور على
ازقاق البحر المنوخة
بالصخر والحديد والرصاص
فكلما ارتفع البناء نزلت
تلك الازقاق الى ان استقرت
في قرار البحر وقد ارتفع
السور على الماء وغاصت
الرجال حينئذ بالخناجر
والسكاكين الى تلك
الازقاق فشقتها وتمكن
السور على وجه الماء في قرار
البحر وهو باق الى وقتنا
هذا وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة ويسمى
هذا الموضع من السور في
البحر الصد مانعا للراكب
في البحر ان ورد من بعض
الاعداء ثم مد السور في
البحر ما بين جبل الفتح
والبحر وجعل فيه الابواب
مما يلي الكفار ثم مد السور
على جبل الفتح على ما قدمنا
فيما سلف من هذا الكتاب
عند ذكرنا الاخبار جبل
الفتح والباب وكان
لانوشروان حروب مع ملوك
الخزر الى ان أتى له هذا
البناء وقيل انه بنى ذلك
بالرهبة واذعن من هنالك
من الامم وانصرف أنوشروان
الى العراق ووفدت عليه
رسل الملوك وهداياها
والوفود من الممالك وكان
فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا والطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج من داره فقال

ان غيبة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم لا رابع لهم وكانه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا واقصر عنه اقصارا وأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا انقياد أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدريج ولم ينبسط في السباحة وجعفر عرضت عداوته بانده الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم وهو يعجزه في اخلاده الى القعود ويعابثه بالقاء الماء عليه والاشارة بالجذب اليه وهو لا ينبعث معه ولا يفارق موضعه الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتتقبل صنعه من أجلك نزل وسبيلك تبذل فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله تعالى لا هول جل معه واعا هذا الهول الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجاله يعني أن الحاجب خصي لا هول جل معه والهول الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه بجعفر وخجل جعفر من قوله وسبب الاشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما ؛ وحكي ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لاتخذ بدلا للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم فقال نعم وان أمكنهم ينلك أموالهم لم يعفوا عنهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست اجد غيرهم ولكن أحلني على اللؤلؤي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع لاحد او قال القاضي منذر انت وأبو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر يملي في اخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول

خليلي هل بالشام عين حزينة ؛ تبكي على نجد لعلي أعينها
قد اسلمها الباكون الا حمامة ؛ مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة ؛ يكاد يدنيها من الارض لينها

فقلت له يا أبا جعفر ماذا أعرك الله تعالى باتا يصنعان فقال لي وكيف تقول انت يا أندلسي فقلت له بانت وبان قرينها فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي أين انت من أبي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسألته الكتاب فأخرجه الى ثم ندم أبو جعفر لما بلغه باحتي أبي العباس الكتاب الي وعاد الى ما كنت أعرفه منه ؛ قال وكان أبو جعفر لئيم النفس شديد التقتير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم وكان يأتي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته الى وأبو جعفر هذا يقال ان تواليفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعاني القرآن وشرح أبيات الكتاب وغير ذلك ؛ (رجع) ؛ وقال منذر بن سعيد كتبت الى أبي علي البغدادي أستعير منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ريم مهفهف ؛ وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء ؛ من الغريب المصنف

كان يحتاج هذا الصحن ان أرادها على بيعه وارغبها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك الى ان نرى فضل الرومي هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء وسار أنوشروان في بلاده ودار في مملكته فاحكم المدن وشيد القلاع والحصون ورتب الرجال فعبر الى الشام وافتتح بها المدن وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وفامية وهي بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها وفتحها ... وفتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل انطاكية ورسومها بينة الى هذه الغاية واثرها قائم يدعى سلوقية وأقبل يفتح المدائن بالشام وأرض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال وبذل السيف وبث عساكره وسراياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية بعد ذلك ... ونقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والاحجار والفسيفساء هي شئ يطبع من الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبني

فقضى حاجتي وأجاب بقوله

وجود در تألف * بفيك أي تألف

لا بعثن بعاقد * يحوي الغريب المصنف

ولو بعثت بنفسي * اليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة * (وذكر) ابن اصبغ الهمداني عن منذر أنه خطب يوما وأراد التواضع فكان من فصول خطبته أن قال حتى متى والى متى أعظ ولا أتعظ وأزجر ولا أنزجر أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين كلا ان هذا لهو البلاء المبين ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء الآية اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به ولا تحرمني وأنا أسألك ولا تعذبني وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين * وسمع منذر بالاندلس من عبد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاجتمع بعدة أعلام وظهرت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق بمكة محمد بن المنذر النيسابوري سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى بالاشراف ٭ وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس بن ولاد * وروى عن أبي جعفر بن النحاس وكان منذر متفننا في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الاصبهاني المعروف بالظاهري فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به في نفسه ودوبه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك وأصحابه وهو الذي عليه العمل بالاندلس وحمل السلطان أهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى أن توفي رحمه الله تعالى عقب ذي القعدة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة فكانت ولايته القضاء الجماعة المعبر عنه في المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ولا قسم بغير سوية ولا ميل لهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله تعالى ورضي عنه ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة أعادها الله تعالى حوفي مسجد السيدة الكبرى بقرب داره * وله رحمه الله تعالى تواليف مفيدة منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك في الفقه والكلام في الرد على أهل المذاهب تغمده الله تعالى برضوانه وكتب بعض الادباء الى القاضي منذر بقوله

مسئلة جئتك مستفتيا * عنها وأنت العالم المستشار

علام تحمر وجوه الظبا * وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله

احمر وجه الظبي اذ لحظه * سيف على العشاق فيه احورار

واصفر وجه الصب لما نأى * والشمس تبقى للمغيب اصفرار

من أنواع الاحجار يحكى بذلك انطاكية وغيرها من المدن في الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بباذكرنا وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنته أخته وهادنه ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وجاءت اليه الهدايا ووفدت اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظيم ملكه ولما ظهر من فعله بالممالك وقتله الملوك وانه ادى الى العدل وكتب اليه ملك الصين من يعبور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور والذي توجد رائحته على فرسخين والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي في مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فرسا من در منضود عيناه الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من زبرجد منضد بالجوهر وثوب حرير صيني عليه صورة الملك جالسا في ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبأيديهم المذاب صورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازوردي في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالا

*(ومن رحل الى المشرق من الاندلس فشهد له بالسبق كل أهل المغرب والمشرق) الامام العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الامانى والعقيلة وغيرهما * وهو أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبي المقرى الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المشكورين خطب ببلده شاطبة مع صغر سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفى وابن برى وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى بالقاهرة يوم الاحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم * وحكى ان الامير عز الدين موسك الذى كان والد ابن الحاجب حاجباله بعث الى الشيخ الشاطبي يدعوه الى الحضور عنده فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه

قل للامير مقالة * من ناصح فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى * أبوابكم لاخير فيه

ومن نظمه رحمه الله تعالى

جالست أبناء الزمان فلم أجد * من لم أرم منه ارتيادى مخلصى
رد الشباب وقد مضى لسبيله * أهيا وأمكن من صديق مخلص

وكان رحمه الله تعالى قرأ بشاطبة القرا آت وأتقنها على النفزى ثم انتقل الى بلنسية فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحى وكان اماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع القرين رأسا فى القرا آت حافظا للحديث بصيرا بالعربية واسع العلم وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الامانى وعقيلة أتراب القصائد اللتين فى القرا آت والرسم وحفظهما خلق كثير لا يحصون وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أوجز وسهل الصعب * وممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجيب معجب وممن قرأ عليه بالروايات الامام الشهير محمد ابن عمر القرطبى وتصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للاقراء بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع * وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما أرجو قبوله وترك أولادا منهم أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة * وقال السبكى فى حق الامام الشاطبي انه كان قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا يتوقد ذكاء قال السخاوى أقطع انه كان مكاشفا وانه سأل الله كتمان حاله ما كان أحد يعلم أى شئ هو انتهى وترجمته واسعة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين * وقال ابن خلكان انه أبدع فى حرز الامانى وهى عمدة قراء هذا الزمان فى نقلهم فقل من يشتغل بالقرا آت الا ويقدم حفظها ومعرفتها وهى مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة وما أظنه سبق الى اسلوبها وقد روى عنه انه كان يقول لا يقرأ أحد قصيدتى هذه الا وينفعه الله عز وجل لانى نظمتها لله تعالى مخلصا وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرا وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخارى ومسلم والموطا يصحح النسخ

وعبر ماذكرنا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك الى أكفائها وكتب اليه ملك الهند من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر الى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى أنوشروان واهدى اليه ألف من من عود هندى يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فيتبين فيه الكتابة وجاما من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوأ درا وعشرة امنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أشبار تضرب أشفار عينيها خدها وكان بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الموشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه أرق من الورق الصينى يتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محاربا لبعض اعدائه كتاب ملك التبت من خاقان ملك تبتسان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه

من حفظه وعلى النكت على المواضع المحتاج اليها وكان أوحد فى علم النحو واللغة عارفا بتعبير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق فى سائر أوقاته الا عند عوا اليه الحاجة ولا يجلس للقراءة الا على طهارة فى هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى ولا يتأوه واذا سئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز فى النعش وهو لابى زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

أتعرف شيأ فى السماء نظيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة فى زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان نزيل القاضى الفاضل وتربه بمدرسته بالقاهره وقيل ان كنيته ابو محمد حسبما وجد فى بعض اجازاته رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس) الامام القاضى أبو بكر بن العربى قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضى الشهير فخر المغرب أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى قاضى قضاة كورة اشبيلية ذكره الحجارى فى المسهب طبق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق باوابده وهو امام فى الاصول والفروع وغير ذلك ومن شعره وقد ركب مع احد أمراء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهز عليه رمحا كان فى يده مداعبا له فقال

يهز على الرمح ظبى مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة فى لباس خشن

لبس الصوف لكى أنكره * وأتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا * جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شئ أنت فيه حسن * لا يبالى حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الابيات ليست له وانما تمثل بها فالله تعالى أعلم * وممن عرف بابن العربى وذكره ابن الامام فى سمط الجمان والشقندى فى الطرف وكان قد صحب المهدى محمد بن تومرت بالمشرق فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده وحكى أنه كتب كتابا فأشار عليه بعض من حضر أن يذر عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتب

لا تشنه عاتذر عليه * فكاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذى تذر عليه * جدرى بوجنة حسناء

وللى أبا بكر الطرطوشى ومابرح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك فى عيد اضحى فاحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره وخرج الى قرطبة وكان فى أحد ايام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام رومى وصىء قد جاء

اليه أنواعا من العجائب التى تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية ومائة قطعة نحاس ومائة برس تبتية وأربعة آلاف منّ من المسك فى نوافج غزلانه وقد كان أنوشروان سار الى ماوراء نهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل احشوان ملك الهياطلة وملك ملوكهم وأفضى الى ملكه وقد كان نقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندى وهو الخضاب الذى يلمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر ساعة كاملة بصبغة سوداء ولا ينصل منه شئ (ويحكى) أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها تهنئة طعامه من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجة من فضله فما كلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وإذا أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم أربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلى نقشه التأنى وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه الرجاء ووضع

يخترق الصفوف بشمعة فى يده وكتاب معتق فقال

وشمعة تحملها شمعة * يكاد يخفى نورها نارها
لولا هى نفس نهت غيها * لقبلته واتت عارها

ولما سمعها ابو عمران الزاهد قال انه لم يكن يفعل ولكنه هزته اريحية الادب ولو كنت انا قلت

لولا الحياء وخوف الله يمنعني * وأن يقال صبا موسى على كبره
اذا لمتعت لحظى فى نواظره * حتى أوفي جفوني الحق من نظره

(رجع) الى أخبار ابن العربي فنقول انه سمع بالاندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي وبغداية أبا عبد الله الكلاعي وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني وسمع بالاسكندرية من الانماطي وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره وبدمشق غير واحد كابى الفتح نصر المقدسي وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار وقرأ الادب على التبريزي وعمل رحمه الله تعالى على مدينة اشبيلية سورا بالحجارة والآجر بالنورة من ماله وكان كما فى الصلة حريصا على آدابها وسيرها ثاقب الذهن فى تمييز الصواب منها ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود وذكره ابن بشكوال فى الصلة وقال فيه الامام الحافظ ختام علماء الاندلس رحل الى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج فى سنة تسع وثمانين وعاد الى بغداد ثم صدر عنها وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعا الى مقره سنة ٤٩١ ولما غرب صحب عارضة الاحوذي ولقى بمصر والاسكندرية جملة من العلماء ثم عاد الى الاندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم اشبيلية بعلم كثير وكان موصوفا بالفضل والكمال وولي القضاء باشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفى بعدوة العدوة مقبرة من مدينة فاس ودفن بفاس فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصا وممن وافى ابن سعيد حافظ الاسلام أبا بكر بن العربي جمعه ثلاثة عشر ربيعا حضر بها من التعريف به فنقول انه لقى ببغداد الشاشي والامام أبا بكر والامام أبا حامد الطوسي الغزالي ونقل عنه انه قال كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم الا الباجي أو كلاما هذا معناه وكان من أهل التفنن فى العلوم متقدما فى المعارف كلها متكلما على أنواعها حريصا على نشرها وقام بأمر القضاء أحمد قيام مع الصرامة فى الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روى عنه انه أمر بثقب أشداق زامر ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال باشبيلية وقال ابن الابار ان الامام الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الاشبيلي لازم القاضي ابن العربي نحوا من ثلاثة أشهر ثم تخلف عنه فقيل له فى ذلك فقال كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب الى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير فى صلته وقال انه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاما الى أن قال وقيد الحديث وضبط ما روى واتسع فى الرواية وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام

أنوشروان على العراق وضائع الخراج فألزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز نصفا او ثلثا ولكل أربع نخلات فارسية درهما وكل ست نخلات دقل درهما وكل ست أصول زيتون درهما والكرم ثمانية دراهم والرطبة سبعة دراهم فهذه سبعة انواع من الغلات وترك ما عدا هذا كان الغلات السائرة والهائمة وكان انوشروان يدعى كسرى الخير ويذكره الشعراء فى أشعارها وفى ذلك يقول عدى بن زيد العبادي من كلمة

ان كسرى خير الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور
... الملك عنهم بابه مهجور
... ولوا كانهم ورق جف * فذرت به الصبا والدبور

وجلس انوشروان يوما للحكماء لأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم فى مجلسه دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصتي وعامة رعيتي فتكلم كل واحد بما حضره من الرأى وأنوشروان مطرق يتفكر فى أقاويلهم حتى انتهى القول الى بزرجمهر ابن البختكان فقال ايها الملك أنا أجمع لك ذلك فى اثنتي عشرة كلمة فقال هات فقال اولاهن تقوى الله فى الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والهوى فاجعلها من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق فى القول والعمل والوفاء

على أئمة هذا الشأن ومات أبوه رحمه الله تعالى بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فانصرف
حينئذ الى اشبيلية فسكنها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير
وصنف في غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولي القضاء مدة أولها في رجب من سنة
ثمان فنفع الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء
وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحا حافظا أديبا شاعرا كثير الملح مليح المجالس ثم قال قال
القاضي عياض بعد أن وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه وأخباره وغريب حكاياته ورواياته
أكثر الناس الكلام وطعنوا في حديثه وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه
فيها مع أهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام
ثم سرحوا فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضي عياض وأبو جعفر بن الباذش
وجماعة انتهى ملخصا * ووقع في عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة
بفاس والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك في أزهار الرياض وقد
زرته مرارا وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح بذلك بعض المتقدمين
الذين حضروا وفاته وقال انه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبة وصلى عليه صاحبه أبو
الحكم بن حجاج رحمه الله تعالى ومن بديع نظمه

أتتني تؤنبني بالبكاء * فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفي نفسها حسرة * أتبكي بعين تراني بها
فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت جفوني بتعذيبها

وقال رحمه الله تعالى دخل على الاديب ابن صارة وبين يدي نار علاها رماد فقلت له قل في
هذه فقال

شابت نواصي النار بعد سوادها * وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال لي أجز فقلت

شابت كما شبنا وزال شبابنا * فكأنما كنا على ميعاد

وقد اختلف حذاق الادباء في قوله ولكنه رمح وثان وثالث ما هو الثاني والثالث فقيل
القد واللحظ وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى في كتابه قانون التأويل ركوبه البحر
في رحلته من افريقية قال وقد سبق في علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا
في هوله فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بني
كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب ومن العري في أقبح زي قد قذف البحر
زقاق زيت مزقت الحجارة مبئتها ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمناها أزرا
واشتملناها لفافا تمجنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا
وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا بأمر حقير ضعيف وفن من
العلم طريف وشرحه انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه فعل السامد اللاه
فدنوت منه في تلك الاطمار وسمح لي بياذقته اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاغمار

يحدث من الامور والرابعة
اكرام العلماء والاشراف
وأهل الثغور والقواد
والكتاب والخول بقدر
منازلهم والخامسة التعهد
للقضاة والفحص عن العمال
ومحاسبة عادلة ومجازاة
المحسن منهم باحسانه
والمسيء على اساءته والسادسة
تعهد أهل السجون
بالعرض لهم بالايام تستوثق
منهم بالمسيء وتطلق البريء
والسابعة تعهد سبل
الناس وأسواقهم وأسعارهم
وتجاراتهم والثامنة حسن
تأديب الرعية في الجرائم
واقامة الحدود والتاسعة
اعداد السلاح وجميع آلات
الحرب والعاشرة اكرام الولد
والاهل والاقارب وتفقد
ما يصلحهم والحادية عشرة
اذكاء العيون في الثغور
ليعلم ما يتخوف فيتخذ
أهبته قبل هجومه والثانية
عشرة تفقد الوزراء والخول
والاستبدال بذي الغش
والعجز منهم فأمر أنوشروان
أن يكتب هذا الكلام
بالذهب وقال هذا كلام
فيه جوامع أنواع السياسات
الملوكية وكان مما حفظ
من كلام أنوشروان
وحكمته انه سئل ما أعظم
الكنوز قدرا وأنفعها
عند الاحتياج اليها فقال
معروف أودت به الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من

علمه ويتأدب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وأنوشروان الذي يقول الانعام لقاح والشكر

ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذي يقول لا تعدن الحر .. في الامناء ولا الـ .. الذين في الاحرار وقال أنوشروان لوسال بزرجمهر من يصلح .. ن ولدي لثلاث فأظهر .. والا .. اليه ... لا اعرف ذلك ولكني .. ك من يصلح لذلك أسماهم للمعالي واطلبهم للادب وأجزعهم من العامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودي) وقد ذكرنا في كتاب الزلف الخصال التي يستحق بها الملك من وجدت فيه وما ذكرناه عن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون وما ذكره في كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر انه قال رأيت من أنوشروان خصلتين متباينتين لم أر مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله ونحاه وزيره فامر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التي رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ثم رأيته يوما وخزن عنده في سر من تدبير شيء من الممالك وخدمه خلف فرشه وسرير ... وكنت

(و) وقفت بآرائهم وانظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القراءة في مجالس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعلم من صاحبه فاتبعوني شزرا وعظمت في أعينهم بعد أن كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدناني فدنوت منه وسألني هل لي بما هم فيه بصر فقلت لي فيه بعض نظر سيبدو لك ويظهر حرك تلك القطعة ففعل كما أشرت وعارضه صاحبه فأمرته ان يحرك اخرى وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا اما أنت بصغير وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدا

وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه ❊ وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال لعن الله أبا الطيب او يشك الرب فقلت له في الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما أراد بالرب ههنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله وتقاة لما يقطع به كما قال

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا ❊ فاين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نتضيف الى ذلك من الاغراض في طرفي ابرام وانتقاض ما حرك منهم الى جهتي دواعي الانتهاض واقبلوا يتعجبون مني ويسألوني كشني ويستكشفونني عني فبقرت لهم حديثي وذكرت لهم نجيثي وأعلمت الامير بان أبي معي فاستدعاه وآوانا الثلاثة الى مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه وجاء كل خوان بافنان وألوان ثم قال بعد المبالغة في وصف ما نالهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذي هو الى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذا من العطب وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب وسرنا حتى انتهينا الى بادرمصر انتهى مختصرا والزول العجب ونجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم اذا ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه قاله ما الجوهري وذكر رحمه الله تعالى في رحلته عجائب ❊ منها انه حكى في دخوله بدمشق بيوت بعض الا كابر انه رأى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية اخرى فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام في النهر المقبل الينا فاخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا فلما فرغنا ألقى الخدم الاواني وما معها في النهر الراجع فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يقرب الخدم تلك الناحية فعلمت السر وان هذا العجيب انتهى بمعناه وقال في قانون التأويل ورد علينا دانشمند يعني الغزالي فنزل برباط أبي سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا امنيتنا عليه وقلت له أنت ضالتنا التي كنا ننشد وامامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا ان الذي نقل الينا من ان الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ولو رآه علي بن العباس لما قال

اذا ما مدحت امرأ غائبا ❊ فلا تغل في مدحه واقصد

فانك ان تغل تغل الظنو ❊ ن فيه الى الامد الابعد

فيصغر من حيث عظمته ❊ لفضل المغيب على المشهد

انتهى

وكنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الطاهر الاثواب الباهر الابواب الذي انسى ذكاء اياس وترك التقليد للقياس وانتج الفرع من الاصل وغدا في الاسلام أمضى من النصل سقى الله تعالى به الاندلس بعدما أجدبت من المعارف ومد عليها منه ظله الوارف وكساها رونق نبله وسقاها ريق وبله وكان أبوه أبو محمد باشبيلية بدرا في فلكها وصدرا في مجلس ملكها واصطفاه معتمد بني عباد اصطفاء المأمون لابن أبي دواد وولاه الولايات الشريفة وبوأه المراتب المنيفة فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت والقتهم منها وتخلت رحل به الى المشرق وحل فيه محل الخائف الفرق فجال في آفاقه واجال قداح الرجاء في استقبال العز واستئنافه فلم يسترد ذاهبا ولم يجد كمعتمده باذلا له وواهبا فعاد الى الرواية والسماع وما استفاد من آمال تلك الاطماع وابو بكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوح وفي روض الشباب زهر ما صوح فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ولازمه سائقا اليها وحاديا حتى استقرت به مجالسه واطردت له مقاييسه فجد في طلبه واستجد به ابوه متمزق اربه ثم ادركه حمامه ووارته هنالك رجامه وبقي ابو بكر متفردا وللطلب متجردا حتى اصبح في العلم وحيدا ولم تجد عنه رياسته محيدا فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ولانبائه متسمعة فناهيك من حظوة لقي ومن عزة سقي ومن رفعة سما اليها ورقي وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن انس اثبتها فيها وخلدها وقد اثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا ويرده الاوهام نطافا فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد ويخاطب فيها أهل الوداد

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر * خيال حبيب قد حوى قصب الفخر

جلا ظلم الظلماء مشرق نوره * ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر

ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا * فسار على الجوزا الى فلك يجري

وحث مطايا قد مطاها بعزه * فأومأها قسرا على قنة النسر

فصارت ثقالا بالجلالة فوقها * وسارت عجالا تتقي ألم الزجر

وجرت على ذيل المجرة ذيلها * فمن ثم يبدو ما هنالك لمن يسري

ومرت على الجوزاء توضع فوقها * فآثار ما مرت به كلف البدر

وساقت أريج الخلد من جنة العلا * فدع عنك رملا بالانيعم يستذري

فما حذرت قيسا ولا خيل عامر * ولا أضمرت خوفا لقاء بني ضمر

سقى الله مصرا والعراق وأهلها * وبغداد والشامين منهمل القطر انتهى

ومن تآليف الحافظ أبي بكر بن العربي المذكور كتاب القبس في شرح موطا مالك بن أنس وكتاب ترتيب المسالك في شرح موطا مالك وكتاب أنوار الفجر وكتاب أحكام القرآن وكتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي والاحوذي بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة وكتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكلين مشكل الكتاب والسنة وكتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن وكتاب قانون التأويل وكتاب النيرين في الصحيحين وكتاب

ملك يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له واخبرته بتفاوت ما بين الحالين فقال لي لا تعجل فنحن ملوك على رعيتنا وخدم ملوك على أرواحنا ينالون منا في خلوتنا ما لا حيلة لنا معه في التحرز منهم وكان أنوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودي) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه في مسيره في سائر اسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة في الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن أنوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلي الباب والابواب فكان ملكه اثنتي عشرة سنة وكان متحاملا على خواص الناس مائلا الى عوامهم مقويا لهم موثرا للرعية وتوابع العوام مغريا لهم بخواص الناس وقيل انه قتل في مدة

سراج المهتدين وكتاب الأمد الاقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب فى الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح فى تعيين الذبيح وتعديل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافى فى أن لادليل على النافى وكتاب السباعيات وكتاب المسلسلات وكتاب التوسط فى معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوى البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصاف فى مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر فى الشفاعة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب ستر العورة وكتاب المحصول فى علم الاصول وكتاب أعيان الاعيان وكتاب ملجأة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد مالا يوصف * ومن فوائد القاضى أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى قوله قال علماء الحديث مامن رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفى بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة * لألاؤها كتألق البرق
ياليتنى معهم فيدركنى * ماأدركوه بها من السبق انتهى

(ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى) * فمنها قوله فى تصريف المحصنات يقال أحصن الرجل فهو محصن بفتح العين فى اسم الفاعل وأسهب فى الكلام فهو مسهب اذا أطال البحث فيه وألفج فهو ملفج اذا كان عديما لا رابع لها والله تعالى أعلم انتهى * ومنها قوله سمعت الشيخ فخر الاسلام أبا بكر الشاشى وهو ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر يقول يقال فى اللغة العربية لاتقرب كذا بفتح الراء أى لاتتلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لاتدن من الموضع وهذا الذى قاله صحيح مسموع انتهى * ومنها شاهدت المائدة بطور زيتا مرارا وأكلت عليها ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا وكان ارتفاعها أسفل من القامة بنحو الشبر وكان لها درجان قبلى وجنوبى وكانت صخرة صلداء لاتؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسخ أربابها قردة وخنازير والذى عندى انها كانت صخرة فى الاصل قطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من السماء وكل ماحولها حجارة مثلها وكان ماحولها محفوفا بقصور وقد نحتت فى ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحناياها فى جوانبها وبيوت خدمها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب فاذا دخلت فى قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثقل ثمن درهم لم يفتحه أهل الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منفرج الباب وقد بار بها قوم بهذه العلة وقد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس ولكنى كنت فى كل حين أكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيرى فيها وقد

ملكه من خواص فارس ثلاثة آلاف رجل مذكورو لاثنتى عشرة سنة من ملكه تخرم عليه الملك وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان أزال أحكام الموبذان وخرب بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم من ملوك الترك فى أربعمائة ألف حتى نزل نحو بلاد هراة وبلاد عيسى وبوشنج من أرض خراسان وسار اليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر فى جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الى ان قرب خيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينهما من الدماء مما يلى جبل الفتح وسار بطريق لقيصر فى ثمانين الفا مما يلى الجزيرة وسار مما يلى اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز امره واحضر الموبذ وذوى الرأى منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جود ابن مرزبان الرى وكان بهرام هذا من ولد جرجين بن ميلاد من نسل انوش المعروف بالران فسار

شرحت أمرها فى كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا انتهى * ومنها قوله رحمه الله تعالى تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا أبى بكر الفهرى الطرطوشى حديث ابى ثعلبة المرفوع ان من ورائكم أياما للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتى من الامة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه فى شرح الصحيح وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها احد ولا يدانيهم فيها بشر وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها فى الاجر من اخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه وقد كان قليلا فى ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفى آخر الزمان أيضا يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتى سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه وقال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى فى الدعاء اليه كان له من الاجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله يروى برفع الهاء ونصبها فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعرف ولا ناه عن منكر يقول أخاف الله وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى كنت مكانه انتهى وأنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية

امتحن الله بذا خلقه * فالنار والجنة فى قبضته
فهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

*(ومن فوائد ابن العربى) رحمه الله تعالى انه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبى منصور بن جهير على رتبة بيناها فى كتاب الرحلة للترغيب فى الملة فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه سلام وكنت فى الصف الثانى من الحلقة بظهر أبى الوفاء بن عقيل امام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزلى الاصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى هذه الآية دليل على رؤية الله فى الآخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا اذا رأته فصرف وجهه أبو الوفاء مسرعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال فى أن الله تعالى لا يرى فى الآخرة فقد قال الله

الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمودة بن شابة ولده تحصن فى بعض القلاع من بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برمودة على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام جلا من الغنائم وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان فى خزائن أفراسياب من الاموال والجواهر التى كان أخذها من سياوخش وما كان بأيدى الترك من تركات هوحاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ما وصفنا من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزيره هرمز ارتحسيس وقد نظر الى أصحاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال اعظم هذه زلته وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده بأكثر الجواهر والاموال والغنائم وأغراه به فعصاه بهرام ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار فأنفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت فى أيديهم وعلم بها هرمز فلم يشك أن

تعالى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة وقد شرحنا وجه الآية فى المشكلين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه ويحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل فى اعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزاء انتهى * ومنها ما نقله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسى الواعظ أنبأنا أبو الفضل الجوهرى سماعا منه كنا فى جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله تعالى فقال لا يقل أحدكم انصرفوا فان الله تعالى قال فى قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال فى قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى * ومنها وقد ذكر الخلاف فى شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال أبلغ من لسان المقال فى بعض الامور وقد تضيف العرب الكلام الى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن أحلاه قول بعضهم قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى ما يتركنى ورائى هذا الذى ورائى لكن قوله تعالى بعد ذلك من أهلها فى صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص وأما من قال انه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من أهلها يعطى اختصاصها من جهة القرابة انتهى * ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأى امام يعرف بابن عطاء فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال يا شيخ يا سيدنا فاذن يوسف هم وما تم فقال نعم لأن العناية من ثم فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامى فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه ولذا قال علماؤنا الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة انتهى * ومنها قوله كنت بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرا وكلما شربته نويت به العلم والايمان ففتح الله تعالى لى بركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ونسيت أن أشربه للعمل ويا ليتنى شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لى فيهما ولم يقدر فكان صغوى للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته * ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء على بن عقيل يقول انما تبع الولد الام فى المالية وصار بحكمها فى الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبثوثة عليه وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو أكل رجل تمرا فى أرض رجل وسقطت منه نواة فى الارض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الآكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى * ومنها قوله ومن نوادر أبى الفضل الجوهرى ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا أمسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة وارتفعت سائر الاصابع كان شكلها مقروا بقولك الله فكأنها اشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك

لك فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ولم يعلم أن الحيلة فى ذلك من بهرام ابنه أبرويز ومر بهما طلبا فهرب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان وحبس هرمز خالى أبرويز بسطام وبندويه فاحتالا الحيلة فى محبسهما وخرجا فانصرف اليهما خلق من الحشم فدخلا على هرمز فسملا عينيه وأعمياه فلما نمى ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له فى ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمى ذلك الى بهرام جور فسار فى عساكره يؤم الباب ودار الملك فخرج اليه أبرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتوادعا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز لتخلف أصحابه عنه وميلهم الى بهرام فنام تحته فرسه المعروف بشبداد وهو المصور فى الجبل وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور هو وأبرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من احدى عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة فى الصخر والفرس تذكر فى أشعارها وغيرها من الحرب هذا الفرس المعروف بشبداد وقد كان أبرويز على شبداد فى بعض

انتهى

انتهى * ومنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام فيسمع من الطور فلا يقدر أحد أن يصنع شيأ دون قراءته الا الاصغاء اليه انتهى * ومنها قوله في تفسير قوله تعالى في أيام نحسات قيل انها كانت آخر شوّال من الاربعاء الى الاربعاء والناس يزهدون السفر يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى انى لقيت يوما مع خالى الحسن بن أبى حفص رجلا من الكتاب فودعنا بنية السفر فلما فارقنا قال لى خالى انك لا تراه أبدا لانه سافر في يوم أربعاء لا يتكرر وكذا كان مات في سفره وهذا مالا أراه لان يوم الاربعاء يوم عجيب بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء النور وروى النون وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الاربعاء التقن وهو كل شئ تتقن به الاشياء يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فاليوم الذى خلق فيه المكروه لا تعافه الناس واليوم الذى خلق فيه النور أو التقن يعافونه ان هذا هو الجهل المبين وفي المغازى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم الاثنين الى يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له وهى ساعة فاضلة فالآثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم فكيف يدعى فيه التحذير والنحس بأحاديث لا أصل لها وقد صوّر قوم أياما من الاشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم أن ينظر اليها ولا يشغل بالا بها حسبهم الله انتهى * ومنها وكان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الامام دانشمند من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلنى الحياء عن سؤاله وبودى اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى * ومن شعر ابن العربي مما نسبه له الشيخ أبو حيان قوله

ليت شعرى هل دروا * أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى * أى شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى * في الهوى وارتبكوا

* (ومن فوائده) * أخبرنى المهرة من السحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سحرنا قال هكذا قالوا والله تعالى أعلم بما نقلوه * وقال رحمه الله تعالى حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بى أبى الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر محمد بن أبى عامر بن حجاج الغافقى الاشبيلى) ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

لم يبق لى سؤل ولا مطلب * مذ صرت جار الحبيب الحبيب
لا أبتغى شيأ سوى قربه * وها أنا منه قريب قريب
من غاب عن حضرة محبوبه * فلست عن طيبة ممن يغيب

الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب سرجه ولجمه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك مابقى شئ يحيد به ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجاره ولما ثلج هذا الفرس تحت أبرويز وقصر طلب الى النعمان في المعركة أن يحمل عليه فرسه المعروف باليحموم فأبى عليه وجعل ابنه بمعه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائى الى أبرويز وقد حاشته الرجال وأشرف على الهلاك فأعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك احمل على ربى فان حياتك للناس خير من حياتى وأعطاه أبرويز فرسه شديدا ففداه في جملة الناس ومضى أبرويز الى أبيه ففى ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائى

أعطيت كسرى ما أراد ولم أكن
لاتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الضبيب وقد بدت
مسوّمة من خيل ترك وأيلا

فكافأه ابرويز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار أبرويز من الهزيمة الى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت في مثل هذه الحالة انجدت فى خطب جرى بينه وبين أبيه فمضى أبرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام وبندويه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام

لا تسأل المغبوط عن حاله * جار كريم ومحل خصيب
العيش والموت هنا طيب * بطيبة لي كل شئ يطيب

وممن روى عنه هذه الابيات الاشرف بن الفاضل (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبي الحسن محمد بن أبي عبد الله بن عيسى بن محمد بن علي بن ذي النون الانصاري المالقي) من أشياخ ابي حيان لقيه ببلبيس من ديار مصر قال وأنشدني لشيخه أبي عبد الله الاستجي من قصيدة

ما للنسيم سرى يهب عليلا * أتراه يشكو لوعة وغليلا
جرّ الذيول على ديار أحبتي * فأتى يجرّر من السقام ذيولا

وانشد رحمه الله تعالى لرضوان المخزومي

ان كنت يوسف حسنا * وكنت عبد العزيز
فان يوسف من قبـ * ـل كان عبد العزيز

وأخذ ابن ذي النون المذكور عن أبي عبد الله بن صالح وقرأ السبعة على أبي جعفر الفحام وابي زيد القمارشي وعلى أبي جعفر السهيلي وولد ابن ذي النون سنة ٦١٨ بمالقة ومن تواليفه نفح المسك الاذفر في مدح المنصور بن المظفر وأزهار الخميلة في الآثار الجميلة واستطلاع البشير ومحض اليقين وروض المتقين * (ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون ٣) يكنى أبا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعي وأراده الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفى الرغبة في الدنيا وأرسل الى زياد فأمنه حتى رجع الى داره ويحكى انه لما اراده للقضاء كلمه الوزراء في ذلك عن الامير وعرفوه عزمه عليه فقال لهم اما ان أكرهتموني على القضاء فزوجتي فلانة طالق ثلاثا لئن أتاني مدع في شئ مما في أيديكم لاخرجنه منه ثم أجعلكم مدعين فيما بقي فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه فعملوا عند الامير في معافاته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثي عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل الى مالك ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه الا أبوابا في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفي سنة اربع ومائتين وقيل سنة ١٩٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة ١٩٩ والاول أولى بالقبول والله تعالى أعلم ورحل في ذلك العصر جماعة من امثال شبطون كفرغوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم ممن رحل الى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان رائد الجماعة في ذلك شبطون وهو أول من أدخل موطأ مالك الى الاندلس مكملا متقنا فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر وهو اذ ذاك حدث في طلب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حيا فرحل من بعد وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة الى يحيى ولقي أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقي أيضا عبد الله بن نافع المدني

السبب فقالا لسنا بآمنين أن يدخل بهرام الى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه وان كان أعمى ويصير هو الهرمزان وتفسير ذلك امير الامراء والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق فيكتب بهرام عن أبيك هرمز الى قيصر ان ابني ابرويز وجماعة انضافوا اليه وثبوا علي وسملوا عيني فاحمله الي يحملنا قيصر عليه فيأتي علينا بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى أبيك وقتله فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك واظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما فرجعا من فورهما ومن تسرع سعهما الى المدائن وقد صاروا على اميال منها فدخلا على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقتهم خيل بهرام وكانت منهم حيلة في بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل وسار أبرويز ففي هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شئ خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له

٣ قوله المعروف بشبطون تقدم انه في نسخة بسطون وفي أخرى بشطون فليحرر اهـ

صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلس أيام الحكم فانتشر به وبزياد وبعيسى بن دينار علم مالك بالاندلس رضى الله تعالى عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع فى الباب الثالث (ومنهم سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية) قرطبى حج ودخل البصرة ولقى الاصمعى ونظراءه وانصرف الى الاندلس وأدب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار حج أيضا ولقى أبا حاتم بالبصرة والرياشى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بقى بن مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التى لم يؤلف مثلها فى الاسلام ولقى مائتين وأربعة وثمانين شيخا وكانت له خاصة من الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وستأتى جملة مما يتعلق ببقى بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى الباب السابع وبقى على وزن على رحمه الله تعالى ورضى عنه وقد عرف ببقى بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب النبراس وغيره * (ومنهم قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البيانى) وبيانة من أعمال قرطبة وأصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغير واحد ورحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الاعلى سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلى بن عبد العزيز ودخل العراق فلقى من أهل الكوفة ابراهيم بن أبى العنبس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصار وسمع ببغداد من القاضى اسمعيل وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل والحرث بن أبى اسامة وكتب عن ابن أبى خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم فى آخرين وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمرى ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتى الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير فمال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا فى النحو والغريب والشعر وكان يشاور فى الاحكام وصنف على كتاب السنن لابى داود كتابا فى الحديث وسببه انه لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن وجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا فى السنن على أبواب كتاب أبى داود وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره فى المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وجعله باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا فى سبعة أجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وحكى القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ان قاسم بن أصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابى النمار فقال انما هو مجتابى النمار فقلت انما هو مجتابى

والجنّ والانس تجرى بينها البرد واسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك ولحق ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو موريقش مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسأله النصرة على عدوّه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من امواله والاحسان الى جنده وانه يؤدى اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط واهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم أقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ ومائدة من العنبر قطرها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بظلفه والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يمانى فاخر قطره شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أروع ما يكون فحمل اليه موريقش ملك الروم الى ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائنى المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس

الثمار هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أونحو هذا ثم قال لي قم بنا الى ذلك الشيخ كان في المسجد فان له عمل هذا علما فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتنى الثمار كالقات وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم والثمار جمع ثمرة فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه رغم أنفي للحق وانصرف انتهى وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ونفعنا بهما * (ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي) رحل مع أبيه فسمع بمصر من احمد بن شعيب النسائي وأحمد بن عمرو البزار وبمكة من عبد الله بن على بن الجارود ومحمد بن على الجوهري واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فادخلا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما أول من أدخل كتاب العين الى الاندلس وألف قاسم في شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية في الاتقان ومات قبل اكماله فاكمله ابن ثابت بعده وقد روى عن أبي على البغدادي انه كان يقول كتبت كتاب الدلائل وما أعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما في معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا واريد على القضاء بسرقسطة فأبى ذلك فأراد ابوه اكراهه عليه فسأله أن يتركه ينظر في امره ثلاثة أيام ويستخير الله تعالى فمات في هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا لنفسه بالموت وكان مجاب الدعوة توفي سنة ٣٠٣ بسرقسطة رحمه الله تعالى * (ومنهم علم الدين ابو محمد المرسي اللورقي وهو قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر) العلامة المقرى الاصولي النحوي ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبي جعفر الحصار وابي عبد الله المرادي وابي عبد الله بن نوح الغافقي وقدم مصر فقرأ بها على ابي الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندي وسمع ببغداد من ابي محمد بن الاخضر وأخذ العربية عن ابي البقاء ولقي الجزولي بالمغرب وسأله عن مسئلة مشكلة في مقدمته فاجابه وبرح في العربية وفي علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ ذلك ويحققه واقرأ بدمشق ودرس وشرح المفصل في النحو في اربع مجلدات فاجاد وافاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزة موطأ الاكناف قرأ عليه جماعة وتوفي سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمرا مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاول أصح * (ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار ابو محمد) من اهل قرطبة وجده مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزني والبرقي والحرث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به وبالمزني وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل الى مذهب الشافعي ولما قال له ابنه محمد بن القاسم يا ابت اوصني قال اوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك منه واقرأ منه كل يوم جزأ واجعل ذلك عليك واجبا وان اردت ان تأخذ من هذا الامر بحظ يعني الفقه فعليك برأي الشافعي فاني رأيته اقل خطأ قال ابو الوليد بن الفرضي ولم يكن بالاندلس مثله في حسن النظر والبصر بالحجة وقال احمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة ما رأينا افقه من قاسم بن محمد فيمن دخل الاندلس من اهل الرحلة وقال اسلم بن عبد العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا من الاندلس احد أعلم

سد وس واشترط ملك الروم على أبرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم ولا تزوجها لانهم أحرار وانجاد وللفرس في هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها فكانوا يقفون عزدلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسي ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد آذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر وانضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جور ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره والتقى الجيشان جميعا فوجهت على بهرام فانكشف في نفر من أصحابه وانتهى الى أطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن

ضمه معه من أصحابه وأخته كرديه وكانت في الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول في كثير من

من قاسم بن محمد ولقد عاتبته فى حين انصرافه الى الاندلس وقلت له اقم عندنا فانك تعتقد ههنا رياسة ويحتاج الناس اليك فقال لا بد من الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لى احمد بن صالح الكوفى قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرأيت رجلا فقيها وألف رحمه الله تعالى كتابا نبيلا فى الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبى يدل على علمه وله كتاب فى خبر الواحد وكان يلى وثائق الامير محمد طول ايامه روى عنه ابن لبابة وابن أيمن والاعناقى وابنه محمد بن قاسم فى آخرين توفى سنة ست او سبع او ثمان وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو بكر الغسانى وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود) من اهل المرية قدم الى مصر ولقى بها ابا بكر الطرطوشى ثم عاد الى بلده وشوور واستقضى بمرسيه مدة طويلة ثم صرف وسكن مراكش * قال ابن بشكوال توفى بمراكش فى رجب سنة ٦٣٦ وقال ابو جعفر بن الزبير ان له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون) من أهل وادى الحجارة قال ابن الفرضى سمع من ابن وضاح والخشنى ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق تردد هنالك نحوا من خمس عشرة سنة وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقى جماعة من اصحاب الامام أحمد بن حنبل منهم عبد الله بن أحمد وسمع بمصر من الخفاف النسابورى وابراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصيصة والقيروان وكان اماما فى الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله أبصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك وممن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد بن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق انسانا لكان ابن حيون وكان يزن بالتشيع لشئ كان يظهر منه فى حق معاوية رضى الله تعالى عنه وكان شاعرا وتوفى بقرطبه سنه ٣٠٥ سامحه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن غالب المالقى) قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من أبى الحسن بن المقدسى وكان فاضلا رأيت بخطه اجازة بمصر لبعض المصريين فى رجب سنة ٦٠٤ وسمع بمصر شيأ من الخلعيات قال ابن فرتون الفاسى فى ذيل تاريخ الاندلس روى بمالقة ورحل الى المشرق وحج ولقى أبا الحسن على بن المفضل المقدسى وأخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عمن أجيزله مافاته من الكتاب من تأليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفى فى أقصى بلاد السوس فى حدود سنة ٦٤٥ رحمه الله تعالى *(ومنهم اليقورى وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) مصنف كتاب اكمال الاكمال للقاضى عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب الشهاب القرافى فى الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد زرت قبره مرارا قال الحافظ المقريزى واليقورى نسبة الى يقورة بياء آخر الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس انتهى (ومنهم أبو عبد الله الانصارى وهو محمد بن ابراهيم بن موسى ابن عبد السلام) ويعرف بابن شق الليل من أهل طليطلة سمع بمصر أبا الفرج الصوفى وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد بن النحاس وأبا القاسم بن ميسرة وأبا الحسن بن بشر وغيرهم

والمراكب والكساوى وكان أهم شئ لى ما كان مهم فى معونته وحمل اليه الفى ألف دينار وزين ذلك بهدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز فى قتل بهرام فى أرض الترك فقتل هنالك غيلة وذكر أن رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذى كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسى فنصب على باب ابرويز فى رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار فى الطريق مع ابن لخاقان وكاتبها ابرويز فى قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد فى أخبار بهرام جوبين وما كان من مكائده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جواريها وعلا بها وقد

خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز الغالب عليه والمدبر لامره كبم

وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة * قال ابن بشكوال وكان فقيها عالما واماما متكلما حافظا للفقه والحديث قائما بهما متقنا لهما الا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان أغلب عليه وكان مليح الخط جيد الضبط من أهل الرواية والدراية والمشاركة فى العلوم وكان أديبا شاعرا مجيدا لغويا دينا فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام فى تأليفه وله عناية باصول الديانات واظهار الكرامات توفى بطلبيرة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٥٥ رحمه الله تعالى ؛ (ومنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولى العارف بالله سيدى أبو عبد الله القرشى الهاشمى الاندلسى) شيخ السالكين وامام العارفين وقدوة المحققين قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من اعلام الزهاد وكان يقول صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم باربعة الشيخ أبو الربيع والشيخ أبو الحسن بن طريف والشيخ أبو زيد القرطبى والشيخ أبو العباس الجوزى وسلك على يده جماعة منهم الشيخ أبو العباس القسطلانى فانه أخذ عنه كلامه وجمعه فى جزء وخرج سيدى أبو عبد الله القرشى من مصر الى بيت المقدس فأقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذى الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ودفن هنالك وقبره ظاهر يقصد للزيارة زرته أول قدماتى على بيت المقدس سنة ١٠٣٨ ومن كلامه من لم يدخل فى الامور بلطف الادب لم يدرك مطلوبه منها وقوله العاقل ياخذ ما صفا و يدع التكلف فانه تعالى يقول وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة وقال سمعت الشيخ أبا اسحق ابراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها الى فانه بلغنى انها فداء كل مؤمن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له ثم حكى عن شيخه أبى زيد القرطبى ما حكاه السنوسى عنه فى أواخر شرح صغراه وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كونه ذكر حديثا ولعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف ونحوه والله تعالى أعلم وقال رحمه الله تعالى دخلت على الشيخ أبى محمد عبد الله المغاورى فقال لى أعلمك شيأ تستعين به اذا احتجت لشئ فقل يا واحد يا أحد يا واجد يا جواد انفعنا منك بنفحة خير انك على كل شئ قدير قال فأنا انفق منها منذ سمعتها وقال رحمه الله تعالى ما من حال ذكر فى رسالة القشيرى الا وقد شاهدته نفسى وتزوج رحمه الله تعالى بنساء حدثن عنه بكرامات ومنهن أم القطب القسطلانى وحكت انها خرجت عنه يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده فى طبقته حس رجل فتوقفت وتفقدت الباب فوجدته مغلقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحده كما تركته وسألته عن ذلك فقال هو الخضر دخل على وفى يده حية فقال هذه حيتك جئتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك فقلت لا أريد اذهب أنت وحيتك لا حاجة لى بها ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدته بصيرا نقى الجسم من الجذام فلما نظرته قال لها أتريدين أبقى لك هكذا فقالت له يا سيدى كن كيف شئت انما مقصودى خدمتك وبركتك وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشياء واخباره بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال كلى أعين بأى عضو

أردت

من حكماء الفرس وهو بزرجمهر بن البختكان فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية فامر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما ادالك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر أما اذا كان معى الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلى فالآن اذ لا جد معى فقد أنتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر واغرى ابرويز ببزرجمهر فدعا به وامر بكسر انفه وفيه فقال بزرجمهر فى لأهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم يا عدو الله المخالف فقال لانى كنت اصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك وأقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه اسمع منى يا شر الملوك نفسا واخبثهم فعلا وأسواهم عشرة لا تقتلنى بالشك وترفع به اليقين الذى قد علمته منى بالتمسك بالشريعة من ذا الذى يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وامر به فضرب عنقه ولبزرجمهر فى ايدى الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير فى الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بخبرادنوس الوزير الثانى وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما راى بزرجمهر

اردت ان انظر به نظرت وقال همت ان أدعو برفع الغلاء فقيل لي لا تدع فما نسمع لاحد
منكم في هذا الامر دعاء فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقاني
رسول الله الخليل حين وردت عليه فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك أهل مصر فدعا
لهم ففرج عنهم ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لا يفي بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكره
البركة وكفارة ما وقع في هذا الكتاب من الاجحاض والله المرجو في العفو * ومن فوائده
ما نقله عن شيخه أبي الربيع المالقي انه قال ألا اعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال
قل يا ألله يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول
يا غني يا مغني يا فتاح يا رزاق يا عليم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع
السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حنان يا منان انفحني منك بنفحة خير تغنيني
بها عمن سواك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب
اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما
يريد اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك واحفظني بما حفظت به
الذكر الحكيم وانصرني بما نصرت به الرسل انك على كل شيء قدير فمن داوم على قراءته
بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه
ورزقه من حيث لا يحتسب ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال
دينا بكرمه واحسانه انتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلوري الاندلسي ومن خطه نقلت
رحم الله تعالى الجميع ونقله اليافعي كما ذكر رحمه الله تعالى الا انه لم يقل فيه يا ودود واتفقا
فيما عدا ذلك والله سبحانه أعلم * وقال ابن خلكان في حقه محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي
الهاشمي العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت
أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم يثني عليه من بركته
وذكروا عنه أنه وعد جماعة الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها
صحت كلها وكان من السادات الاكابر والطراز الاول وهو مغربي صحب بالمغرب اعلام
الزهاد وانتفع بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه او شاهده ثم سافر الى الشام قاصدا
زيارة بيت المقدس وأقام بها الى ان مات وصلي عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين
سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك * والجزيرة الخضراء في بلاد الاندلس مدينة تقابل
سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير فان
انتظار الصحة بطالة انتهى ببعض اختصار * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن
أبي الحسين القرطبي) سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد
وابن أبي الموال والباوردي وابن السكن في آخرين وسمع بالرملة وبيت المقدس
وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولي الشرطة ببلاد المغرب توفي
سنة ٣٧٣ * (ومنهم أبو بكر الجياني محمد بن علي بن خلف التجيبي الاشبيلي الحافظ الكاتب)
روى عن ابن الجد وغيره ومر بمصر حاجا فلقي بمكة أبا حفص الميانشي وأبا الحسن المكناسي
ولقي بالاسكندرية السلفي وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقه فقيها جليلا متقدما

قتيلا اسف عليه وعلم انه لا ينجو فأغلظ لابرويز في الكلام فأمر به فقتل واغرق في دجلة فلما عدم هذين
الرجلين وما كانا عليه من
الكفالة وتدبير الملك
استوحش من شريعة
العدل وواضحة الحق فعدل
الى الجور والعسف بخواص
رعيته وعوامها وحملها على
ما لم تكن تعهدوا وردهم
الى ما لم يكونوا يعرفونه من
الظلم ووثب بطريق من
بطارقة الروم يقال له فاقوس
فيمن اتبعه على موريقش
ملك الروم حم ابرويز ومنجده
فقتلوه وملكوا موادس
ونمى ذلك الى ابرويز فغضب
لحموه وسير الى الروم الجيوش
وكانت له في ذلك اخبار
يطول ذكرها وسير
شهريار مرزبان المغرب الى
حرب الروم فنزل انطاكية
فكانت له مع الروم وابرويز
اخبار ومكاتبات وحمل
الى ان خرج ملك الروم
الى حرب شهريار وقدم
خزائنه في البحر في الف
مركب فالقتها الريح الى
ساحل انطاكية فغنمها
شهريار وحملها الى ابرويز
فسميت خزائن الريح ثم
فسدت الحال بين ابرويز
وشهريار ومايل شهريار
ملك الروم فسير شهريار
نحو العراق الى ان انتهى
الى النهروان فاحتال
ابرويز في كتب كتبها مع
بعض اساقفة النصرانية ممن كان في ذمته حتى رده الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قد اتينا

فيه عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ وذلك انه وشي به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث *(ومنهم أبو بكر الاندلسي الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري) سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقي أئمتها وتفقه ببخارى حتى تمهر في المذهب والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدة وعاد الى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فحج ورجع الى الشام واستوطن حلب الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا صدوقا حافظا عالما بالحديث وفيه فضل ولد بجيان سنة ٤٩٢ ومات بحلب سنة ٥٦٣ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي) كان حسن السمت بارع الخط والخلق والخلق رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود سنة ست وستمائة فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان عدلا فاضلا على خير ودين وكان محترفا بالتجارة بغرناطة ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص بعدما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الاندلسي الاشبيلي النحوي ولد سنة ٦١٧ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها وكان اماما عالما بالنحو بارعا فاضلا كتب عنه أبو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم وناهيك بهما علما *(ومنهم أبو بكر بن عبد الله محمد بن محمد بن علي بن علي بن هذيل البلنسي) رحل وسمع من السلفي وحج قال أبو الربيع بن سالم هو شيخ صدوق متيقظ سمع أباه وأبا الوليد ابن الدباغ وأبا الحسن بن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة وأخذ بمكة سنة ٥٣٩ عن ابي علي الحسن المقري وقفل الى الاندلس سنة ٥٤٦ فاخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال ابن الابار وكان غاية في الصلاح وأعمال البر والورع توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٤٨ ومولده سنة سبع او تسع عشرة وخمسمائة وله حظ من علم التعبير واللغة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي الانصاري ناصر الدين) روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات بها سنة ٧٠٣ وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب الظاهرية وانتفع به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الشامي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر حاجا وأقام بمكة والمدينة وكان اماما فاضلا عالما متفننا في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقراآت ونظم ونثر ومع معرفته بمذهب المالكية نقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطا بتونس من أبي محمد بن هرون القرطبي ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن شعره رضي الله تعالى عنه

اذا كنت جار النبي وصحبه * ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني أن فاتني رغد عيشة * وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي

وقوله

نزيل الكرام عزيز الجوار * واني نزيل عليكم وجار

على ذكره في الكتاب الاوسط وفي ملك ابرويز كانت حرب ذي قار وهو اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا وكانت وقعة ذي قار لتمام أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان هاجر وفي رواية اخرى انها كانت بعد وقعة بدر باشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهامرز صاحب كسرى ابرويز وقد اتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح في الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الموضع وفي ايام ابرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة وانفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغساني الى سطيح الكاهن فاخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من اخبار فيض وادي السماوة وما كان من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور في امر الملك منها خاتم فصه ياقوت احمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس دكر يختم به الرسائل والسجلات والخاتم الثاني فصه عقيق نقشه خراسان خره حلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس حالت

حللت ذراك وأنت الكريم ❊ ومن حل مثوى كريم يجار

❊(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي) قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها وكان عالماوله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها منها قوله

وطاعة من اليه الامر فالزم ❊ وان جاروا وكانوا مسلمينا

فان كفروا ككفر بني عبيد ❊ فلا تسكن ديار الكافرينا

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة ٤١٥ ووصفه بالعلم وعمار بالراء ❊(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي الحافظ) روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وأبي جعفر التميمي وأبي محمد الباجي وقدم مصر وحج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام وافتى بها وافتخر بذلك لدى أصحابه وقال لقد شوورت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان شواره ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وكان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم عارفا بمذاهب الائمة وأقوال العلماء ذاكرا للروايات يحفظ المدونة والنوادر لابن أبي زيد ويوردهما من صدره دون كتاب قال ابن حيان مؤرخ الاندلس توفي الفقيه المشاور الحافظ المستبحر الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع الاول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل في جنازته عظيما وعاين الناس فيها آية من ظهور أشباه الخطاطيف بها تخللت الجمع رافة فوق النعش لم تفارق نعشه الى ان ووري فتمزقت ومكث مدة ببلنسية مطاعا عظيم القدر عند السلطان والعامة وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القبسي خبر الطير قال وكان سنه نحو الثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته الاجابة وقال أبو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ودفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العاملين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمروس القرطبي) سمع على ابن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر فاخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحج ودخل العراق وسمع من أبي بكر الابهري والدارقطني وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحتساب بقرطبة حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره ومات في جمادي الآخرة سنة أربعمائة رحمه الله تعالى ❊(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المغافري المعروف بالاعشى القرطبي) رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحا عاقلا سريا جوادا يذهب الى مذهب أهل العراق وتوفي سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره ❊(ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد) قال الحميدي في حقه هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ قال ابن الفرضي كان شيخنا نبيلا ضابطا للكتب ثقة في روايته

الفرح وحلقته ذهب يختم به السترايك والكتب في التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو احسن ما يكون من الحمرة واصفاها واثمنها نقشه حزم اي بهجة وسعادة حافتاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلي والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشي والخاتم السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب وفصه بادزهر والخاتم الثامن فصه جماهن نقشه راس خنزير يختم به اعناق من يؤمر بقتله وما ينفذ من الكتب في الدماء والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابرن وكان على مربطه خمسون الف دابة وسروج ذهب مكلله بالدر والجوهر على عدد ما لركابه من الخيل وكان على مربطه الف فيل منها اشهب اشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر واكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة أذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ في اثمان ما عظم من الفيلة

ران نعم من الارض وقد يكون من ٥٢ م الوحشية فى ارض الزنج ماهو اعظم سمكا مما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ماتحمل

صدوق فى حديثه وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات فى شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبى) من موالى بنى أمية سمع من أبيه ومن بقى بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائى ومن أحمد بن حماد زغبة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلا قال أبو محمد الباجى لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما فى علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا واسمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزا سنة ٣٢٧ ومات ثالث ذى الحجة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفى سنة ٣٢٨ قاله ابن يونس والحميدى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشى الفهرى) عرف بابن رمان الغرناطى قرأ على أبى جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٢٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ ومن شعره قوله

فديتم خبرونى كيف صحت	فريضة هالك من غير مين
لزوجة وله ابن ام	هما نتت عنهما الاغيرذين
فحاز البعل ما تركته ارثا	وولى غيره صفر اليدين
ولا رق فديت على أخيها	وليس بكافر يرمى بشين
وليس محللا ارثا بقتل	مخافة أن ينال شقاوتين

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبى حدث بالقاهرة وتوفى قريبا من سنة ٦٤٠ وهو أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يأت تضييع للوقت الذى أنت فيه ولعمرى لقد صدق *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سراقة الشاطبى ابن محمد بن ابراهيم ابن الحسين بن سراقه محيى الدين ويكنى ايضا أبا القاسم وأبا بكر الانصارى الشاطبى المالكى) ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبى القاسم بن بقى ورحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ أبى حفص عمر السهروردى وأبى طالب القبيطى وابى جعفر الديغورى وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصرى سنة ٦٤٢ وبقى بها الى أن توفى بالقاهرة فى شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا وهو أحد الائمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل وأحد مشايخ الصوفية له فى ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعانى الشعر وكان صالح الفكرة فى حل التراجم مع ماجبل عليه من كرم الاخلاق واطراح التكلف ورقة الطبع ولين الجانب ومن شعره قوله

نصبت ومثلى للمكارم ينصب	ورمت شروق الشمس وهى تغرب
وحاولت احياء النفوس باسرها	وقد غرضت يا بعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم تمس الخلق واحة	وغيرى ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادى شئ والمقادير غيره	ومن عاند الاقدار لاشك يغلب

وقوله

الى كم أمنى النفس مالا تناله	فيذهب عمرى والامانى لا تقضى

من قرونها المسماة بالانياب ومن وزن الناب خمسون ومائة من الى المائتين والمائتين رطلا بالبغدادى وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل وقد كان ابرويز خرج فى بعض الاعياد وقد صف له الجيوش والعدد والسلاح وفيما صف له الف فيل وقد احدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها وسطها الخراطيم حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية فلما بصر بذلك أبرويز أسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر ماترون من معرفتها وأدبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم أجسامها ومعرفتها وحسن طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وان غيرها من الدواب لايفهم شيأ من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الفصول فى اخبار الفيلة وما قالته الهند وغيرهم فى ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسملت عيناه وقتل وقد

وقد مر لي خمس وعشرون حجة * ولم أرض فيها عيشتي في أرضى
وأعلم أني والثلاثون مدتي * حرمتني اللهو أوسعها رفضا
فاداعسى في هذه الخمس أرتجي * وودي الى أوب من العشر قد أغضى
فيارب عجل لي حياة لذيذة * والا فبادر بي الى العمل الارضى

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يمحو * صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجميل مني * كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازي

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره ببالي
لم يحص الا القبيح مني * كأنه كاتب الشمال

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن احمد الفريشي) بكسر الفاء وتشديد الراء المهملة بعدها شين معجمة نسبة الى فريش احدى مدائن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على أبي القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى أبي القاسم بن بشكوال وغيره وسمع بمكة وحدث بمصر وعاد الى الاندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهورا بالصلاح معروفا باجابة الدعاء ورعا ثقة زاهدا فاضلا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون) أندلسي سكن القيروان ورحل الى المشرق واخذ القراآت بمصر عن محمد بن سعيد الانماطي وغيره كعبد الله بن رجاء وأبي الحسن بن اسمعيل بن يعقوب الازرق المدني ودخل العراق وسمع به من أصحاب علي بن المدني ويحيى بن معين وعاد الى القيروان وسمع بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه أهل القيروان من الآفاق وكان ياخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش وتوفي بشعبان سنة ٣٠٦ وكان رجلا صالحا فاضلا كريم الاخلاق اماما في القراآت مشهورا بذلك ثقة مأمونا واحد أهل زمانه وأثبتهم في علم القرآن رحمه الله تعالى
*(ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسي الاندلسي المالقي) ولد بمالقة سنة ٦٢٠ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد من خيار الفضلاء مشاركة جيدة في عدة علوم توفي شابا بالقاهرة سنة ٦٦٢ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر محمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي) ولد بها سنة ٥٢٩ وقدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره وروى عنه جماعة وكان أحد رجال الكمال علما ودراية وفصاحة وحفظا للفقه وتفننا في العلوم ومتانة في الادب حافظا للغة والغريب وله شعر رائق ودين متين وأخذ الناس عنه ببلده ومرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة في اجتيازه عليها وبغيرها من البلاد وعلا صيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان أبو الخطاب يثني على علمه ودينه توفي ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله تعالى
(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف

له والفرس تسميه المشؤم وفي ايامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه ماءتا الف من الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة اشهر وقيل اقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه شيرويه اخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولي عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع ابرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها آزرمي دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز) وقيل انه ابن لابرويز كان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل في الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا

(ثم ملك رجل) من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الاثيم يقال له فيروز خشنس فكان

المشهورة وقال ابن ماكولا فى حقه انه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس وصنف
الى أن مات وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال غير واحد انه ولد سنة ٤٠٣ وارتحل سنة
٤٢٦ وجاور ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد ودمشق ولقى فى
رحلته غير واحد وتفقه بالقاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وقال أبو على بن سكرة ما رأيت مثل
أبى الوليد الباجى وما رأيت أحدا على هيئته وسمته وتوقير مجالسه ولما كنت ببغداد قدم
ولده أبو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضى القضاة الشاشى فقلت له أدام الله تعالى عزك هذا ابن
شيخ الاندلس فقال لعله ابن الباجى فقلت نعم فأقبل عليه قال القاضى عياض وكثرت القالة
فى القاضى أبى الوليد لمداخلته الرؤساء وولى قضاء أماكن تصغر عن قدره وكان يبعث الى
تلك النواحى خلفاءه وربما أتاها المرة ونحوها وكان فى أول أمره مقلا حتى احتاج الى القصد
بشعره واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وقد جمع ابنه شعره
قال ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا أنه كان خارجا عن المذهب ولم يكن
بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعة
من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه فى
ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد فى حديث
الكتابة يوم الحديبية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه ابو بكر الصائغ وكفره
باجازة الكتب على الرسول الامى صلى الله عليه وسلم وانه تكذيب للقرآن فتكلم فى ذلك من
لم يفهم الكلام حتى اثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما اتى به وتكلم به خطباؤهم
فى الجمع وقال شاعرهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فصنف ابو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح فى المعجزة فرجع بها جماعة
ادليس من عرف ان يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة من
الملوك قد ادمنوا على كتابة العلامة وهم اميون والحكم للغالب لا للصور النادرة وقد قال عليه
الصلاة والسلام انا امة اميون اى اكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة وقال تعالى هو
الذى بعث فى الاميين رسولا منهم انتهى وبعضه بالمعنى وذكر ابن بسام ان ابا الوليد الباجى
نشأ وهمته فى العلم وانه بدا بالادب فبرز فى ميادينه وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل
الرغائب ثم رحل فاحل بلد الاوجده ملآن بذكره نشوان من فهو فى نظمه ونثره فمال
الى علم الديانة فمشى بقياس وبنى على اساس حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه
ويرتاحون للاخذ عنه ثم كر واستقضى فى طريقه بحلب فاقام بها نحوا من عام قال وبلغنى عن
ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب الامثل أبى الوليد
الباجى لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسديد الى معرفة التوحيد
وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج وكتاب احكام الفصول فى أحكام الاصول وكتاب
التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان
نسخة سماها الاستيفاء ثم انتقى منها فوائد سماه المنتقى فى سبع مجلدات وهو احسن كتاب

ملكه شهرين (ثم ملكت ابنة لكسرى) أبرويز يقال لها آزرمى دخت فكان ملكها سنة وأربعة أشهر
(ثم ملك فرخزاد خسرو)
ابن كسرى ابرويز وهو
طفل فكان مدة ملكه
شهرا وقيل أشهرا (ثم ملك
يزدجرد بن شهريار) بن
كسرى أبرويز بن هرمز بن
أنوشروان قباد بن
فيروز بن يزدجرد بن بهرام
بن يزدجرد بن سابور بن
أردشير بن بابك بن ساسان
وهو آخر ملوك الساسانية
وكان ملكه الى أن قتل
بمرو من بلاد خراسان
عشرين سنة وذلك لسبع
سنين ونصف خلت من
خلافة عثمان بن عفان
رضى الله عنه وهى سنة
احدى وثلاثين من الهجرة
وقيل غير ذلك فى مقدار
ملكه وخبر مقتله (قال
المسعودى) وذهب الاكثر
من الناس ممن عنى باخبار
الفرس وايامهم الى أن
جميع من ملك من آل
ساسان بن أردشير بن
بابك الى يزدجرد بن شهريار
من الرجال والنساء ثلاثون
ملكا امرأتان وثمانية
وعشرون رجلا ووجدت
فى بعض التواريخ ان
عدد ملوك الساسانية
اثنان وثلاثون ملكا وعدد
الملوك الاول وهم الفرس
الاول من كيومرث الى
دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهى حمانة بنت بهمن وافراسياب التركى وسبعة عشر رجلا الف

الف فى مذهب مالك لانه شرح فيه احاديث الموطا وفرع عليها تفريعا حسنا وافرد منه شيأ سماه الايماء وقال بعضهم انه صنف كتاب المعانى فى شرح الموطا فجاء عشرين مجلدا عديم النظير وكان ايضا صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء فى الفقه خمس مجلدات انتهى ومن تصانيفه مختصر المختصر فى مسائل المدونة وله كتاب اختلاف الموطآت وكتاب الاشارة فى اصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين وكتاب التفسير لم يتممه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لمسائل المهتدين فى اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج فى الخلاف ولم يتم وغير ذلك وحج الباجى رحمه الله تعالى أربع حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر بن احمد الهروى وكان يسافر معه للسروات لان ابا ذر تزوج من العرب وسكن بها وأبو ذر المذكور هو عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الانصارى المالكى ويعرف بابن السماك سمع بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف قال الخطيب قدم أبو ذر بغداد وأنا غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج فى العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال الحسن بن بقى المالقى حدثنى شيخ قال قيل لابى ذر من أين تمذهبت بمذهب مالك ورأى الاشعرى مع انك هروى فقال قدمت بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطنى فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الدارقطنى وقبل وجهه وعينيه فلما افترقنا قلت من هذا قال هذا امام المسلمين والذاب عن الدين القاضى أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكررت اليه وتمذهبت بمذهبه انتهى قلت هذا صريح فى ان القاضى أبا بكر الباقلانى مالكى وهو الذى جزم به غير واحد ولذا ذكره عياض فى المدارك فى جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام أبو الحسن الاشعرى مالكى المذهب فيما ذكره غير واحد من الائمة وذكر بعض الشافعية انهما شافعيان والله تعالى أعلم * وقال عبد الغافر فى تاريخ نيسابور كان أبو ذر زاهدا ورعا عالما سخيا لا يدخر شيأ وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه فى التصوف خرج على الصحيح تخريجا حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفى سنة ٤٣٥ وقال أبو على بن سكرة توفى عقب شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب فى ذى القعدة من سنة أربع وثلاثين رحمه الله تعالى وأكثر نسخ البخارى الصحيحة بالمغرب اما من رواية الباجى عن أبى ذر عبد بن أحمد الهروى المذكور واما من رواية أبى على الصدفى الشهير المعروف بابن سكرة بسنده واعلم أن هراة المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التى وراء النهر نظيرة بلخ وانما هى هراة بنى شيبانة بالحجاز وبها كان سكنى أبى ذر والله تعالى أعلم * (رجع الى القاضى أبى الوليد الباجى رحمه الله تعالى) ثم انه اعنى الباجى قدم بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولقى بها عدة من العلماء كابى الطيب الطبرى والامام الشهير أبى اسحق الشيرازى والصيمرى وابن عمروس المالكى وأقام بالموصل سنة مع أبى جعفر السمنانى يأخذ عنه علم الكلام فبرع فى الحديث وعلله ورجاله وفى الفقه وغوامضه وخلافه وفى الكلام ومضايقه وتدبج مع الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف

وعدة ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى مقتل دارا بن دارا الى أن ظهر أردشير بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعر والران ومن أجلهم سمى سابور ملوك الطوائف الاشغان فجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بنى آدم على ماذكرت الفرس الى يزدجرد ابن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزدجرد ثمانون ملكا ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة فى التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سنى الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرث الى انتقال الملك الى منوشهر ألف وتسعمائة واثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة أربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك فى الموضع المستحق

ومما يقرر به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأحمد بن علي بن غزلون وأبو بكر الطرطوشي وأبو علي بن الحسين السبتي وأبو بحر سفيان بن العاصي وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه وتهيات الدنيا له وعظم جاهه وأجزلت له الصلات فمات عن مال وافر وترسل للملوك وولي القضاء بعدة مواضع رحمه الله تعالى * وأما ما تقدم عن القاضي أبي الوليد الباجي من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض والصواب خلافه قال القاضي أبو الفضل عياض حدثني محمد بن علي المعروف بابن الصقل الشاطبي من لفظه قال حدثني أبو الحسن بن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر ممن لازم الباجي وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بيده في حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياته ويعجب به وكنت أنكر ذلك عليه فلما كان بعد برهة أتاني زائرا على عادته وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه فتحدث له قشعريرة وهيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويميد ولا يستقر فيعتريه منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينتحله ما ليس له بأصل أو لعله يفتري عليه فسألني بالله من أين قلت هذا قلت له من قول الله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه الى قوله تعالى ولدا فقال لي لله درك ياسيدي وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويبكي مرة ويضحك أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك قال انه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا الا أني أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول أنا تائب يارسول الله وأكرر ذلك مرارا فأرى القبر قد عاد الى هيأته أولا وسكن فاستيقظت ثم قال لي وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعيه الى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان فاشكره له كثيرا انتهى وقال ابن الابار حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع ابن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور وقراءة عليه عن القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن أبي الحسن طاهر بن مفوز قال كان أبو محمد الى آخرها وهي أتم من هذه انتهى * (رجع الى الباجي) ذكر أبو العرب عبد الوهاب البقشاني بسنده الى القاضي أبي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لنقلتني الذر من الظل الى الشمس أو ما هذا معناه انتهى * (ومن فوائد الباجي) انه حكى أن الطلبة كانوا ينتابون مجلس أبي علي البغدادي واتفق انه كان يوما مطر ووحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال واتيانه في تلك الحال انشده

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * حد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم * وعانق المجد من وافى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

انتهى

ز من هذا الكتاب دون ذكر الهجرة وخلافة أبي بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بني أمية وبني العباس لانا قد أفردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الامويين والعباسيين ترجمناه بذكر التاريخ الثاني وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة أجناس الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال لهم الجداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرث الى أفريدون هم كيان من أفريدون الى دارا بن دارا وهم الاشغان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في أخبار الفرس الذي رواه عن كسرى ان الفرس طبقات أربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوستاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباد الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سميا هم ملوك الاجتماع وهم الساسانية أولهم أردشير بن بابك ثم سابور ثم أردشير هرمز نرسي بن هرمز هرمز بن نرسي

وروى

وروى عن القاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله تعالى الخطيب البغدادي قوله رحمه الله تعالى

اذا كنت اعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * وأجعلها في صلاح وطاعه

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح لكوننا نقلنا كلامه بلفظه رحمه الله تعالى ورضي عنه وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى ناصورته بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي يتجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذي تقتبس أنواره وتنتجع نجوده وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن في اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بلح طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الاتخاض لجه وبحرا لا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا وبدا بافقه ملتاحا وهنالك ظهرت تواليفه وأوضاعه وبدا وخده في سبل الهدى وايضاعه وكان المقتدر يباهي بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله في مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقف على ذاته ولا يصرف في رفث القول وبذاته (فمن ذلك) قوله في معنى الزهد

اذا كنت أعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * وأجعلها في صلاح وطاعه

وله يرثي ابنيه وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظري الدهر وساحري النظم والنثر

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها في السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظري وتبوآ * فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقر بعيني أن أزور ثراهما * وألصق مكنون الترائب بالترب
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني * سأنجد من صحب وأسعد من سحب
فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسي الى البارد العذب
أحن ويثني اليأس نفسي عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمدا

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبي محمد * ولرزؤه أدهى لدي وأعظم
فلقد علمت بأنني بك لاحق * من بعد ظني أنني متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطري * متصرفا في صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم

بهرام بن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباذ بن فيروز انوشروان ابن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباذ فيروز خشنس آزرمي دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعد ان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في أعدادهم واسمائهم فاوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين وقد اتينا على اخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في اعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من احوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم وأعداد ملوكهم ولمع من بعض أخبارهم وكذلك ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك وأحكامها وكثير من قضاياها في خواصها وعوامها وأنساب أصحاب خيل الملك ومن

وبكل أرض لي من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم
فاذا دعوت سواك حاد عن اسمه * ودعاك باسمك معول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قد سنها * لاولى النهى والحزن قبل متمم انتهى

ولعمري انه لم يوف القاضي أبا الوليد الباجي حقه الواجب المفترض ووددت أنه مد النفس في ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من سلم له ومن اعترض فان ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا وأفصح روية وارتجالا وبالجملة فهو أحد الاعلام بالاندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي وذكره ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان وغير واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وسمع بها واجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى أن فشا علمه وتهيأت له الدنيا وشهرته تغني عن وصفه ومن نظمه قوله

ما طال عهدي بالديار وانما * أنسى معاهدها أسى وتبلد
لو كنت انبأت الديار صبابتي * رق الصفا بفنائها والجلمد

وله في المعتضد عباد والد المعتمد

عباد استعبد البرايا * بانعم تبلغ النعائم
مديحه ضمن كل قلب * حتى تغنت به الحمائم

ومن أشهر نظمه قوله اذا كنت اعلم البيتين وقد سبقا * وممن ذكره ايضا الحجاري في المسهب وابن بشكوال في الصلة وانه حج اربع حجج رحمه الله تعالى وتوفي في المرية لاحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنة اربع وسبعين واربعمائة ومن تواليفه المنتقى في شرح الموطا ذهب فيه مذهب الاجتهاد وايراد الحجج وهو مما يدل على تبحره في العلوم والفنون ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف احزابا مفترقة فمشى بينهم في الصلح وهم يجلونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ويستبردون نزعته ولم يفد شيئا فالله تعالى يجازيه عن نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فافحمه قال عياض قال لي اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفي يده اثر المطرقة الى ان فشا علمه ونوهت الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان في ترسلهم ويقبل جوائزهم وولي القضاء بمواضع من الاندلس * (وابن حزم المذكور) هو ابو محمد بن حزم الظاهري قال ابن حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب وثبت عليه الى أن مات وكان له تعلق

أولاد الضيعات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب انسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التي شرفها كسرى على سائر من بواد العراق وهم مشهورون في أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد بعد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت ابن فروال بن سيامك بن نرسي ابن كيومرث الملك وكان لوهكرت عشرة بنين فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من تدهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ماذكرناه خمس وثلاثون سنة وبقي من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسهاوم اردوز بدوا كثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ولاخلاف فيما ذكرنا عند ذوي الدراية كما وصفنا (قال المسعودي)

بالادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفى بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة قال صاعد فى تاريخه كان ابن حزم أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار اخبرنى ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبى قال الذهبى وهو العلامة ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموى مولاهم الفارسى الاصل الاندلسى القرطبى الظاهرى صاحب المصنفات واول سماعه سنة ٣٩٩ وكان اليه المنتهى فى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالى رحمه الله تعالى وجدت فى اسماء الله تعالى كتابا لابى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسيج وحده لولا ماوصف به من سوء الاعتقاد والوقوع فى السلف الذى أثار عليه الانتقاد سامحه الله تعالى * وذكر الذهبى أن عمره اثنتان وسبعون سنة وهو لاينافى قول غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر لانه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقى من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب وتوفى ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التأليف ومن جملة تآليفه كتاب الفصل بين أهل الاهواء والنحل وكتاب الصادع والرادع على من كفر اهل التاويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد وكتاب شرح حديث الموطا والكلام على مسائله وكتاب الجامع فى صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها وكتاب التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لانص عليها فى الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة مالا يعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة فى سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب أخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب كشف الالتباس مابين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس انتهى * وقال ابن سعيد فى حق ابن حزم ماملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد على ابن الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسى وشهرته تغنى عن وصفه وتوفى منفيا بقرية من بلده لبلة ووصله من ابن عمه أبى المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة وهى سمعت وأطعت لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين وأسلمت وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا من تعرض لاذاك اعراضك عنه وأقول

تتبع سواى امرأ يبتغى * سبابك ان هواك السباب
فانى أبيت طلاب السفاه * ونزهت عرضى عما يعاب
وقل مابدالك من بعدذا * واكثر فان سكوتى خطاب

وتنازع الناس فى بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولى التوفيق برحمته ورضوانه

(ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وماقاله الناس فى بدء أنسابهم)

(قال المسعودى) تنازع الناس فى فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد أوراس بن ياوان ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم فى الزمان الاول واغا وهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم فى المذهب والمذهب فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت فى لغتها وضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص فى اللسان من اليونانيين وأضعف فى ترتيب الكلام الذى عليه منهج

غيرهم وسنن خطابهم

وأقول

كما اني بذكر الناس لي وما ترى * ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكر
عدوي وأشياعي كثير كذاك من * غدا وهو نفاع المساعي وضائر
واني وان آذيتني وعققتني * لمحتمل ما جاءني منك صابر

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها أنشدتني

تخنع زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

فاردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها بالله لا قطعتها الا يده فأثبت على ظهرها ما يكون سببا الى صونها فقلت

نعقت ولم تدر كيف الجواب * وأخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحدك في حلبة * نأت عنك فيها الجياد العراب
وبت من الجهل مستحسنا * لغير قرى فأتتك الذئاب
فكيف تبينت عقبى الظلوم * اذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمري مالي طباع تذم * ولا شيمة يوم مجد تعاب
أنيل المنى والظبا سخط * وأعطي الرضا والعوالي غضاب

وأقول

وغاصب حق أوبقته المقادر * يذكرني حاميم والرمح شاجر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه * ويجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني * برغمك ناء منذ عشر وآمر
تدل لي الأملاك حز نفوسها * وأركب ظهر النسر والنسر طائر
وأبعث في أهل الزمان شواردا * تليهم وهي الصعاب النوافر
فان أثو في أرض فاني سائر * وان أنأ عن قوم فاني حاضر
وحسبك أن الارض عندك خاتم * وأنك في سطح السلامة عاثر
ولا لوم عندي في استراحتك التي * تنفست عنها والخطوب فواقر
فاني للعلق الذي مترحافنا * وللنزعة الاولى بحاميم ذاكر
هنيئا لكل ما لديه فاننا * عطية من تبلى لديه السرائر

(ومن شعر أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير)

أنا الشمس في جوّ العلوم منيرة * ولكنّ عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع * لجد على ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو آفاق العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر * وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك تدري أن للبعد قصة * وأن كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوقوا * له ودنوّ المرء من دارهم ذنب

(قال المسعودي) وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وانه من ولد عابر بن شالخ وان أمره في الانفصال عن دار أخيه كان بسبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى اقاصي بلاد المغرب فاقام هنالك وانسل في تلك الديار واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك في اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كبير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرناه من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك باخبار نذكرها في بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا * وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا

وان

وان مكانا ضاق عني لضيق * على انه فسح مهامهه سهب
وان رجالا ضيعوني لضيع * وان زمانا لم أنل خصبه جدب

ومنها في مدحه لنفسه

ولكن لي في يوسف خير اسوة * وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقال الصدق والحق انني * حفيظ عليم ما على صادق عتب

وقوله

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي * تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي * وينزل ان أنزل ويدفن في قبري

وقوله

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي * فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * لذا سأل المعاينة الكليم

وقوله

وذي عذل فيمن سباني حسنه * يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد * فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهري وأنني * على ما أرى حتى يقوم دليل

وهو أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبي قال ابنه أبو الفضل رافع اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة انتهى وأبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور ابن أبي عامر وتوفي كما قال ابن حيان بذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة وكان منشؤه ومولده بقرية تعرف بالزاوية * وحكي ان الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه أبو عامر وأعظم قصده على تلك الحال وقال له يا سيدي مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم فانشده أبو محمد بن حزم بديها

فلو كانت الدنيا دوين ملجة * وفي الجو صعق دائم وحريق
لسهل ودي فيك نحوك مسلكا * ولم يتعذر لي اليك طريق

قال الحافظ ابن حزم أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي

اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وهذا كاف في فضل الفرع والاصل رحم الله الجميع * قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوما هو وابو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة اشبيلية فلقيهما

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج يسير في الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثيناوهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن ادركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه حريتوس فقال له يا بني اني قد واشت الاجل وقربت من الحتم الواجب واني راحل عنك ومفارقك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت احوالكم حسنة النظام بي وكنت كهفا في الشدائد وعونا على المحن وجنة في الزمان فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التي عليها ابنى العقل فان من ترك رأي الاب وثمرة العقل تورط في المهالك ووقع في مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده حريتوس على مكان أبيه وضم اليه

 أهله وولده وغاير هم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكير وأجناس الامم

شاب حسن الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل ما ستر الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا وذي عذل فيمن سباني حسنه الابيات المتقدمة

ولابن حزم ايضا قوله

لا تلمني لان سبقة لحظ * فات ادراكها ذوي الالباب

يسبق الكلب وثبة الليث في العد * و ويعلو النخال فوق اللباب

ولابي بكر بن مفوز جزء يرد فيه على أبي محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يا من تعانى امورا لن يعانيها * خل التعاني وأعط القوس باريها

تروي الاحاديث عن كل مسامحة * وانما لمعانيها معانيها

وقيل انه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم * (رجع الى القاضي ابي الوليد الباجي) ومن نظمه قوله من مرثية

احن ويثني الناس نفسي على الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

ومن جيد نظمه قوله

اسروا على الليل البهيم سراهم * فنمت عليهم في الشمال شمائل

متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى * بدت للهوى بالمأزمين مخايل

فلله ما ضمت منى وشعابها * وما ضمنت تلك الربا والمنازل

ولما التقينا للجمار وابرزت * اكف لتقبيل الحصى وانامل

اشارت الينا بالغرام محاجر * وباحت به منا جسوم نواحل

وقال الباجي ابو الوليد رحمه الله تعالى

مضى زمن المكارم والكرام * سقاه الله من صوب الغمام

وكان البر فعلا دون قول * فصار البر نطقا بالكلام

وذيله بعضهم بقوله

وزال النطق حتى لست تلقى * فتى يسخو برد للسلام

وزاد الامر حتى ليس الا * سخي بالاذى او بالملام

*(ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي) صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابي رندقة بالراء المهملة المفتوحة وسكون النون وكفى بسراج الملوك دليلا على فضله ذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي بالاسكندرية في شعبان وقيل جمادي الاولى سنة عشرين وخمسمائة وزرت قبره بالاسكندرية وممن اخذ عنه الحافظ القاضي ابو بكر بن العربي وغيره ومن نظم الطرطوشي قوله من رسالة

اقلب طرفي في السماء ترددا * لعلي أرى النجم الذي انت تنظر

واستعرض الركبان من كل وجهة * لعلي بمن قد شم عرفك اظفر

واستقبل الارواح عند هبوبها * لعل نسيم الريح عنك يخبر

وامشي ومالي في الطريق مآرب * عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر

من الصقالبة وغيرهم وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه فيلبش وتفسيره محب الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلموس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما ان سار بختنصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما ان كان من أمر الاسكندر بن فيلبش وهو الملك الماضي الذي هو أول ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارا ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالبه بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن نحى نحوهم من ملوك المشرق في الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبش بن مصريم بن

والمع من ألقاه من غير حاجة * عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * كؤسا امر من الحنظل

ومما ينسب اليه وكان كثيرا ما ينشده

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وانت بانجازها مغرم
فارسل باكمه مرسلابة * به صمم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

كان كثيرا ما ينشد

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

رحمه الله تعالى كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد

أخوف ونوم ان ذا العجيب * ثكلتك من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للاغماض فيك نصيب

أيقظ النوام وأبكى العيون وكان رحمه الله تعالى زاهدا عابدا متورعا متقللا من قوا لا لحق وكان يقول اذا عرض لك أمر دنيا وأخرى فبادر بامر الاخرى يحصل لك أمر اوالاخرى وله طريقة فى الخلاف ودخل مرة على الافضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال الامر الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله عز وجل سائلك عن برو القطمير والفتيل واعلم ان الله عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عز من قائل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير بفاعد ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون وا جا من الله عز وجل فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل ب وانصر المظلوم وكان الى جانب الافضل رجل نصرانى فأنشده

يا ذا الذى طاعته قربة * وحقه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى النصرانى فأقامه الافضل من مكانه والطرطوشى بضم الطاءين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله تعالى صحب القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه وقرأ الفرائض عليه والحساب بوطنه وقرأ

ابن نوح ونسبه قوم انه من ولد العيص بن اسحق ابن ابراهيم ومنهم من رأى انه الاسكندر بن يونه ابن سرحون بن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى ابن الاصفر بن اليغز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فمنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى انه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما نذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وان ذا القرنين وهو الاسكندر من أولئك العرب المقامين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد أن ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج

الادب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيليه ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ودخل بغداد والبصرة فتفقه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي على التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدي في ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع لي المباح فجمعه وأكله ثلاثة أيام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولى بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ اكراما كثيرا وله ألف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقامه أعني الطرطوشي مشهور وهذه الحكاية تكفي في ولايته ومن تآليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب في تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة تقريبا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله تعالى قبل الباب الاخضر باسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض ممن استجازه فأجازه ولم يلقه وشهرته رضي الله تعالى عنه تغني عن الاطناب فيه * وحكي انه كتب على سراج الملوك الذي أهداه لولي الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم * لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي * يبقى على الايام والدهر

وحكي انه سمع رضي الله تعالى عنه منشدا ينشد للوأواء

فرأني من غير وعد * في ليلة طرقت بسعد
بات الصباح الى الصبا * ح معانقي خدا بخد
بمنارفي وناظري * ماشئت من خمر وشهد

فقال أو يظن هذا الدمشقي أن أحدا لا يحسن ينظم الكذب غيره لو شئنا الكذب نا مثل هذا ثم أنشد لنفسه يعارضه

فرأني من غير وعد * حفت شمائله بسعد
قبلته ورشفت ما * في فيه من خمر وشهد
مزجت من السلسبيل بزنجبيل مستعد
والثمت فاه من الغرو * ب الى الصباح المستجد
وسكرت من رشفي العقيق على اقاح تحت رند
فنزعت عن فيه في * ووضعت خدا فوق خد
وشممت عرف نسيمه الساري على مسك وند
وصحوت من ريا القرنفل بين ريحان وورد
وألذ من وصلي به * شكواه وجدا مثل وجدي

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضا

كأن لساني والمشكلات * سنى الصبح يحرق ليلا بهيما

والخراج وحاربه ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبني مدنا في سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفسية وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وأبانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة سهر زور اشتدت علته وقيل بيلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات وغيره

وغيرى ان رام مارمته * خصى يحاول فرجا عقيما

وقوله أيضا

اعمل لمعادك يارجل * فالناس لدنياهم عملوا

وادخر لمسيرك زادتقى * فالقوم بلازاد رحلوا

*(ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي) وفد الى المشرق وذكره العماد في الخريدة وله

ـ الامد العجلى بمصر وكان يخضب بسواد الرمان قوله

أخلط العفص فيه يا أحوج النا * س الى العفص حين يعكس عفص

ومنهم القاضي الشهيد أبو علي الصيرفي ٣ وهو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون ويعرف بابن كرة وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن ـد بن اسمعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من أبي العباس العذرى وسمع بالمرية من أبي ـد الله محمد بن سعدون القروى وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما ورحل الى المشرق أول ـحرم من سنة احدى وثمانين وأربعمائة وحج من عامه ولقى بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي ـطبرى وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم سار الى البصرة فلقى بها أبا يعلى المالكى وأبا ـعباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالى ـد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأطال ـاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد ومن أبي الحسين ـارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي والحميدى وغيرهم وتفقه عند أبي بكر الشاشي ـيره ثم رحل منها سنة سبع وثمانين فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج ـسفرايني وغيرهما وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخلعي وأبي العباس أحمد بن ابراهيم ـازى وأجازله الحبال مسند مصر في وقته ومكثرها وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم ـراق وشعيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس في صفر من سنة سبعين وأربعمائة ـصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر ـاعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته وكان ـسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا وقيده وكان حافظا لمصنفات الحديث ـاعليها ذاكرا لمتونها وأسانيدها ورواتها وكتب منها صحيح البخاري في سفر وصحيح مسلم ـسفر وكان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذى وكان فاضلا دينا متواضعا ـما وقورا عالما عاملا واستقضى بمرسية ثم استعفى فأعفى وأقبل على نشر العلم وبثه وقد ـكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله الشام قال وبعد أن استقرت به النوى استمرت افادته بما قيدوروى رفعته ملوك أوانه وشفعته في مطالب اخوانه فأوسعته ـيا وأحسنت فيه رأيا ومن أبنائهم من جعل يقصده لسماع سنده وعلى وقاره ـى كان به يعرف ندرله مع بعضهم ما يستطرف وهو أن فتى يسمى يوسف لازم مجلسه ـطرا رائحته ومنظفا ملبسه ثم غاب لمرض قطعه أو شغل منعه ولما فرغ أوابل عاود ـلك النادى المبارك والمحل وقبل افضائه اليه دل طيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من

الاسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهندوغيرهم من علماء الامم وكان يجمعهم ويسترشد الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد أن طلى جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقام فوضع يده على التابوت فقال أصبح آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذى كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال الحكيم الثالث ما ازهد الناس في هذا الجسد وأرغبهم في هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال الخامس ياذا الذى جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك هلا حققت من املك الامتناع عن فوت أجلك وقال السادس أيها الساعى المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقت ايامه فغناه لغيرك ووباله عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك من كان له عقل فليعقل ومن كان
له الصدفى في نسخة الصدفي وقوله العذرى في نسخة العدوى اه

المجون وخلاصة من الفنون انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون وهى من طرف ... رحمه الله عليه ولما قلد قضاء مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فر الى المرية فأقام ... سنة خمس و بعض سنة ست وخمسمائة وفى سنة ست قبل قضاءها على كره الى ان ... فى آخر سنة سبع فى قصة يطول ايرادها ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بها فلما كانت وقعة كتندة كان ممن حضرها ففقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال القاضى عياض ولقد حدثنى الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الصحيح واذكر أى متن شئت منه أذكر لك سنده أو أى سند شئت أذكر لك متنه انتهى وذكر غير واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد والله أعلم وهو من أبناء الستين ❊(ومنهم ابن روح الجزيرى) ومن شعره لما تغرب بالمشرق

أحن الى الخضراء فى كل موطن ❊ حنين مشوق للعناق وللضم
وما ذاك الا أن جسمى رضيعها ❊ ولا بد من شوق الرضيع الى الام

(ومنهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزنى الحسيب العالم المحدث) وسبب وفاته ... انه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم مكة و... صحيح البخارى وعنه أخذ أهل الاندلس ورجع وسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله سنة ... وأربعمائة ومن شعره يحرضه على الجهاد

أعباد حل الرزء والقوم هجع ❊ على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة ❊ وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية ❊ أضعت وأهل للالام المضيع

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين أثناء المحاذر مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد ... لك من غيرك العجز وطبق مفاصلها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر لكم لا يستقل ❊ ان نهلتم جاءكم من بعد عل
بدء صعق الارض من رش وطل ❊ ورياح ثم غيم قد أبل
خفضوا فالداء رزء أو أجل ❊ واعمدوا أسيافا عليكم قد يسل

وابنه أبو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده ... ❊(ومنهم أبو عمر عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحية الآتى) كان أسن من أخيه ابن أبى الخطاب وكان حافظا للغة العرب تمامها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التى أنشأها بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمر المذكور ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم كأخيه وكان موت أبى عمر بعد أبى الخطاب بسنة رحمهما الله تعالى ❊(ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم) من أهل وادى الحجارة ويعرف بابن سكنها دة وارتحل الى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتحول ملوكها وخولها فجال فى العراق وقاسى ألم الفراق واجتاز بحلب وأقام بها

اثنا عشر رب حريص على ... كونك اذا لا ... كت وهو اليوم حريص على كلامك اذا لا تتكلم وقال العاشر أصبحت هذه النفس ... عوض ... وقد مات وقال الحادى عشر ... وكان صاحب ... انه كتب الحكمة ... كنت نائما ... ان لا ... مثل هذا اليوم لا اقدر على ... منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر اعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام المائد والهشيم البائد وقال السادس عشر ايها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى

مقام غريب لم يصف له حلب وقال

أين أقصى الغرب من أرض حلب * أمل فى الغرب موصول التعب
حن من شوق الى أوطانه * من جفاه صبره لما اغترب
جال فى الارض لحاجا حائرا * بين شوق وعناء ونصب
كل من يلقاه لا يعرفه * مستغيثا بين عجم وعرب
لهف نفسى أين هاتيك العلا * واضيعاه ويا غبن الحسب
والذى قد كان ذخرا وبه * أرتجى المال وادراك الرتب
صار لى أبخس ما أعددته * بين قوم مادروا طعم الادب
يا احبائى اسمعوا بعض الذى * يتلقاه الطريد المغترب
ولكن زجرا لكم عن غربة * يرجع الرأس لديها كالذنب
واجعلوا طعنا وضربا دائما * فهو عندى بين قومى كالضرب
ولئن قاسيت ما قاسيته * فبما أبصر لحظى من عجب
ولقد أخبركم ان ألتقى * بكم حتى تقولوا قد كذب

واجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبتهم تؤول الى حروب

ثم انه ودع الشرق بالاسلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامرى فى بحبوحة عز لا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها بعد من بلوغ الآمال ما ليس له عليه مزيد وقال

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد * وكم أبصرت عينى وكم سمعت أذنى
ولاقيت من دهرى وصرف خطوبه * كما جرت النكباء فى معطف الغصن
فلا تسألونى عن فراق جهنم * ولكن سلونى عن دخولى الى عدن

(وله من كتاب) وحامل كتابى سلمه الله تعالى وأعانه ممن أخنى عليه الزمان وأدار عليه وما صحا الى الآن كؤس الهوان وقد قصد على بعد جنابك الرحيب الخصيب قصد الحسن محل الخصيب ويمم جناب ابن طاهر حبيب وانى لارجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان ويستعين فى شكرك بكل لسان وأنت عليم بأن الثناء هو الخلف وقد قال الاول

أرى الناس أحدوثة * فكونى حديثا حسن

وأنا القائل

فلا تزهدن فى الخير قدمات حاتم * وأخباره حتى القيامة تذكر

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذى عجل فى العتب قبل البيان وعند سيدى من التصدى للايفاء ما يحقق فيه جميل الرجاء دامت أرجاؤه مؤملة ولا برحت نعمه سابغة مكملة *(ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقى) وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضراء له رحلة الى الديار المصرية صنع فيها

على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم ايها الجمع هذا الملك الماضى فليتعظ به الآن هذا الباقى وقال العشرون هذا الذى دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادى والعشرون ان الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال الثانى والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذى أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجالس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت تأمرنى بالجمع والادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل ان أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن

بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب ان غالب دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذى سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شرابه فقد دخاف الكاس الذى شربه الجماعة القول الثلاثون ما حكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه لئن فقدت من ابنى أمره فما فقدت من قلبي ذكره ومضى الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وغلبه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك بعد وفاته وهى مصر وعهد الى ولى عهده بطليموس بن اذينه ان يحمل تابوته الى والدته بالاسكندرية وأوصاها ان يكتب اليها اذا اتاها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادى في مملكتها ان لا يتخلف عنها احد وان لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك ماتم الاسكندر بالسرور خلاف ماتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع التابوت بين يديها نادت في اهل مملكتها على ما به امرها فلم يجب احد دعوتها ولا بادر الى ندائها

مقامه يقول فيها

وفى جنبات الروض نهر ودوحة * يروقك منها سندس ونضار
تقول وضوء البدر فيه مغربا * أذراع فتاة دار فيه سوار

ومن شعره

ما كل انسان أخ منصف * ولا الليالى أبدا تسعف
فلا تضع ان أمكنت فرصة * واصبر فى الاخوان من ينصف
وانتف من الدهر ولو ريشة * فانه [illegible] ما تنتسف

وقوله يرثى السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ملك المغرب والاندلس

مجيد المعالى أى عقد تبددا * وصدر العوالى أى رمح تقصدا
ولما دهت خيل الشقى بجاءة * وسال العدا بحرا من الموت مزبدا
شهدت بوجه كالعزالة مشرقا * وان كان وجه الشمس بالنقع مرمدا
عزائم صدق ليس تصرف هكذا * الى الموت يسعى أو على الموت يعتدى

وكان السيد أبو عمران المرثى قتله الميورقى صاحب فتنة أفريقية فى الهزيمة المشهورة على تلوت وجمع ابن عبدربه المذكور شعر السيد أبى الربيع بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على وكان ابن عبدربه المذكور كاتبا للسيد أبى الربيع سليمان المذكور ولما أنشد لبعض الشعراء

ما كنت بين الرياح محكمة * فى نهر واضح الاسارير
فكلما ضعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

أنشد نفسه

بين الرياض وبين الجو معترك * بيض من البرق أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت * نبلا من الماء فى زغف من الغدر
لاجل ذلك اذا هبت طلائعها * تدرع النهر واهتزت قنا الشجر

واجتمع ابن عبدربه المذكور فى رحلته بالسعيد بن سناء الملك وأخذ عنه شيأ من شعره ورواه بالمغرب * (ومنهم الشاعر الاديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقى) ومن نظمه فى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى

وفى صهوات المقربات وفى القنا * حصول حمى لا فى هضاب المعاقل

ومنها

ولا ملك يأتى كيوسف آخرا * كما لم يجئ مثل له فى الاوائل

* (ومنهم الحافظ ابو الخطاب بن دحية وهو مجد الدين عمر بن الحسين بن على بن محمد بن فرح بن خلف الظاهرى المذهب الاندلسى) كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية فى مدة أبى عبد الله بن تومرور وروى بها وأسمع وكان من احفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشى اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ الانسان من

اللغة حوشيها الا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها وكان قصده والله تعالى أعلم ان يتفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الادباء حيث تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس وكذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات وكان رحمه الله تعالى اذا كتب اسمه فيما يجيزه او غير ذلك يكتب ابن دحية ودحية معا المتشبه به جبريل وجبرائيل ويذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة فى جبريل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا فرع انفرد به عمن عداه من أهل العلم قال صاحب عنوان الدراية رأيت له تصنيفا فى رجال الحديث لا بأس به وارتحل الى المشرق فى دولة بنى أيوب فرفعوا شأنه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا أقروا له بالتقدم وعرفوا انه من أولى الضبط والاتقان والتفهم وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها ثم ذكر الاحاديث على ما هى عليه من متونها الاصلية ومثل هذه الحكاية اتفق لابى عمر ابن عات فى كتاب مسلم بمراكش ببيت الطلبة منها ومن شعر أبى الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن أيوب

مالى اسائل برق بارق عنكم * من بعد ما بعدت ديارى منكم
فعلكم قلبى وأنتم بالحشا * لا بالعقيق ولا برامة أنتم
وأنا المقيم على الوفاء بعهدكم * يا مالكين وفيتم أو خنتم

وهى طويلة ومنها

رفعت له الاملاك منه سجية * ملك السماك الرمح وهو محرم

ومنها

لذوى النهى والفهم سر حكومة * قد حار فيها كاهن ومنجم
فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا * والله يكلا والكواكب نوم
وليهنك الشهر السعيد تصومه * وتفوز فيه بالثواب وتغنم
فلانت فى الدنيا كليلة قدره * قدرا فقدرك فى الملوك معظم

فأجابه السلطان مكافأة بنثر ونظم فى النظم

ويهجن شوقى للاجارع بالاوى * وأين اللوى منى وأين الاجارع
مرابع لو أن المرابع أنجم * لكان نجوم الارض تلك المرابع
رعى الله أياما بها ولوانها * الى وقد ولى الشباب رواجع
ليالى لا ليلى اذا رمت وصلها * يلوح لها من صبح شيبى مواقع

فى جملة أبيات (ومن النثر) الحمد لله ولى الحمد وقف ولده على الابيات التى حسن شعرها وصفا درها وليس من البديع أن يقذف البحر درا أو ينظم الخليل شعرا وقد أخذت الورقة لا تنزه فى معانيها واستفيد بما أودعه فيها فالله تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته وصالح أدعيته والسلام فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الابيات بقوله من قصيدة

شجتنى شواج فى الغصون سواجع * ففاضت هوام للجفون هوامع

من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزانى ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل فى تابوت من المرمر وطلى بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه فى ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على احجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد وصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها ونيلها فى الموضع المستحق له من ذلك فى كتابنا ان شاء الله تعالى

(ذكر جوامع من حروب الاسكندر بارض الهند)
(قال المسعودى) ولما قتل

الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب

وأكثر فيها من التغزل الى ان قال

ولا حاكم أرضاه بينى وبينها * سوى حاكم دهرى له اليوم طائع
يدافع عنى الضيم قائم سيفه * اذا عزمن للضيم عنى يدافع
هو الكامل الاوصاف والملك الذى * تشير اليه بالكمال الاصابع
وبيض أياديه الكريمة فى الورى * قلائد فى الاعناق وهى الصنائع
ويوماه يوماه اللذان هما هما * اذا جمعت غاب الملوك المجامع

ومنها

ها روضة غنا بها مرت الصبا * ونشر شذاها الطيب النشر ذائع
له من شكى الزهر برد مفوّف * اتيح له من أرض صنعاء صانع
فراقك منها اخضر الثوب ناضر * وشاقك منها اصفر اللون فاقع
واحمر قان للخدود مورد * وابيض كالثغر المفلج ناصع
بأحسن من توشيع مدحى الذى له * بدائع من وشى البديع وشائع
وما ضائع من نشر شكرى الذى به * تأرجت الارجاء عندك ضائع
ولو لم يقدنى نداك لكان لى * مجال فسيح فى البسيطة واسع
فأنت الذى لى والاعادى كثيرة * فويق مكان النجم فى الافق دافع

ومنها

بقيت لعبد جده دحية الذى * يشابه جبريل له ويضارع
وجدته الزهراء بنت محمد * عليه السلام الدائم المتتابع
ولا عدمت منك الممالك مالكا * يقرب للآمال ماهو شاسع
ومنك عيون للمهمات يقظ * وعنك عيون الحادثات هواجع

وقال المقريزى فى ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوى وتقدم عنده ابو الخطاب بن دحية وبنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة انتهى وقال ابو الخطاب بن دحية انشدنى ابو القاسم السهيلى لنفسه وذكر انه ماسأل الله تعالى بها شيأ الا اعطاه

يامن يرى مافى الضمير ويسمع * انت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى ادفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب اقرع
ومن الذى ادعوه اهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن يقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

ومن نظم السهيلى رضى الله تعالى عنه

ماذكرناه من حمل الاموال والخراج اليه بلغه أن فى اقاصى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف للرعية وانه قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بارض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة العتيدة وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب زائن فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا اتاك كتابى هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له قبله اشياء لا تجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه من ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لاتخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الا مايطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم غرضا

اسائل عن جيرانه من لقيته * واعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالى الى جيرانه من صبابة * ولكنّ نفسى عن صبوح ترقق

وله

لما اجاب بلا طمعت بوصله * اذ حرف لا حرفان معتنقان
وكذا نعم بنعيم وصل آذنت * فنعم ولا فى اللفظ متفقان

ولد أبو الخطاب بن دحية فى ذى القعدة سنه سبع أو ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره اجل مما ذكروه وقد روى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك فى طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون فى جمع كثير وببغداد من أبى الفرج بن الجوزى وبأصبهان من ابى جعفر الصيدلانى معجم الطبرانى ومن غيره وبنيسابور من ابى سعيد بن الصفار ومنصور بن الفراوى والمؤيد الطوسى وحصل الكتب والاصول وحدث وأفاد وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا منها كتاب التنوير فى مولد السراج المنير صنفه عند قدومه الى اربل سنة اربع وستمائة وهو متوجه الى خراسان لما راى ملك اربل مظفر الدين كوكبرى معتنيا بعمل المولد النبوى فى شهر ربيع الاول كل عام مهتما به غاية الاهتمام وكمله وقرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فاجازه بألف دينار وصنف ايضا العلم المشهور فى فضائل الايام والشهور والآيات البينات فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وكتاب شرح أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس فى أخبار خلفاء بنى العباس وكتاب الاعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين وولى قضاء بلد أصوله دانية مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت اليه فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٥ ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستأدبه العادل لولده الكامل وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوى له المداس حين يقوم وهو بلنسى كما قاله ابن خلكان وغيره وبلنسية مشهورة بشرق الاندلس ثلث سنة بالتصحيف * (ومنهم خلف ابن القاسم بن سهل بن الدباغ الحافظ الاندلسى) رحل الى المشرق وكان حافظا فهما عارفا بالرجال حدث حديث مالك وشعبة وأشياء فى الزهد وسمع بمصر أبا الحسن بن الورد البغدادى ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة وسمع بدمشق على بن أبى العقب وأبا الميمون بن راشد وبمكة من بكير الحداد وأبى الحسن الخزاعى والآجرى وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية وتوفى سنة ٣٩٣ * (ومنهم خلف بن سعيد ابن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط الكلبى من ذرية الابرش الكلبى ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبى) رحل الى المشرق مرتين أولاهما سنة ٣٣٣ وهو ابن ثلاث

للآفات والحتوف والبلايا وقدح عندى اذا انا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شئ ولا يزيده الوارد عليه الا دهاقا وانا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندى ونجاة هذا الحكيم من صولتى أحب الى من أن لا تكون عندى ويهلك فانفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين فى عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الى ودعوا الرجل فى موضعه وان تبينتم ان الامر بخلاف ذلك وانه اخبر عن الشئ على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم باحسن لقاء وانزلهم احسن منزل فلما كان فى اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا فى الاولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما اخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها اقبل عليهم مباحثا لهم فى اصول الفلسفة والكلام فى الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب فى المبادى الاول وتشاحوا القوم ونظروا فى موضوعات

وعشرين سنة وسمع أباسعيد بن الاعرابى وابن الورد وأبابكر الآجرى وروى عنه أبو اسحق بن شنظير وأبو جعفر الزاهرى وقال ابن شنظير انه توفى فى نحو الاربعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم سابق فضلاء زمانه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الاشبيلى) يقال ان عمره ستون سنة منها عشرون فى بلده اشبيلية وعشرون فى افريقية عند ملوكها الصنهاجيين وعشرون فى مصر محبوسا فى خزانة الكتب وكان وجهه صاحب المهدية الى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة فى خزانة الكتب فخرج فى فنون العلم اماما وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله فى ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذى لحن الاغانى الافريقية قال ابن سعيد واليه تنسب الى الآن وذكره العماد فى الخريدة وله كتاب الحديقة على أسلوب يتيمة الثعالبى وتوفى سنة ٥٢٣ وقيل سنة ٥٢٨ بالمهدية وقيل مستهل السنة بعدها ودفن بها وله فيمن اسمه واصل

ياهاجرا سموه عمدا واصلا * وبضدها تتبين الاشياء
ألغيتنى حتى كانك واصل * وكانى من طول هجرى الراء

وقوله وهو من بدائعه

لاغرو أن سبقت لهاك مدائحى * وتدفقت جدواك ملء انائها
يكسى القضيب ولم يحن اثماره * وتطوق الورقاء قبل غنائها

وقال فى الافضل

تردى بكل فتى اذا شهد الوغى * نثر الرماح على الدروب كعوبا
قد لوحته يد الهواجر فاغتدى * مثل القناة قصافة وشحوبا
تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا * فى كل قلب بالطعان قليبا

ومنها

تعطى الذى اعطتكه سمر القنا * أبدا فتغدو سالبا مسلوبا

ومنها

وأنا الغريب مكانه وبيانه * فاجعل صنيعك فى الغريب غريبا

وله

ومهفهف شربت محاسن وجهه * ماجمه فى الكاس من ابريقه
ففعالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه

أخذه من ابن حيوس وقصر عنه فى قوله

ومهفهف يغنى بلحظ جفونه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولابى الصلت فيمن اسمه محسن

أيها الظالم المسى * ء سدى دهره بنا
مالهم أخطؤا الصوا * ب فسموك محسنا

وله فى لابس قرمزية حمراء

العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهى بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورهم من العلويات ثم اخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من اعضائها مما ظهر فامكنه أن يتعدى ببصره الى غيره وشغله تامل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعى طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من ارضه فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وامر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ماعنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ماجرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى ومن احضره من فلاسفته وحكمائه فاعجبه ذلك وتامل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التى اليها كان أصدرهم واقبل ينظر الى مطاردة الهند فى عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها على

أقبل يسعى أبو الفوارس فى * مرأى عجيب ومنظر أنق
أقبـل فى قرمزية عجب * قد صبغت لون خده الشرق
كانما جيده وغرته * من دونها ازبدون فى نسق
عمود فجر من فوقه قمر * دارت به قطعة من الشفق

وله فى ثقيل وقد أجاد

لى جليس عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله
أنا أرعاه مكرها وبقلبي * منه ما يقلق الجبال أقله
فهو مثل المشيب أكره مرآ * ه ولكن اصونه وأجله

أخذه من قول أبى الحسن جعفر بن الحاج الميورقى وهما فى عصر واحد

لى صاحب عميت على شؤنه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلى توهما * فاذا تيقن نازعته ظنونه
انى لاهواه على شرقى به * كالشيب تكرهه وانت تصونه

وأوصى ان يكتب على قبره ابو الصلت المذكور مما نظمه قبل موته

سكنتك يادار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم مافى الامر أنى صائر * الى عادل فى الحكم ليس يجور
فياليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عنى ورحمة * فثم نعيم دائم وسرور

وله

اذا كان اصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين اقاربى
ولابدلى ان اسال العيس حاجة * تشق على شم الذرا والغوارب

وقال

دب العذار بخده ثم انثنى * عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لاغرو أن خشى الردى فى لثمه * فالريق سم قاتل للعقرب

وقد ذكروا ان من خواص ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرب

وقال

لاتدعنى ولتدع من شئته * اليك من عجم ومن عرب
فنحن اكالون للسحت فى * ذراك سماعون للكذب

وقال

لاتسالانى عن صنيع جفونها * يوم الوداع وسل بذلك من نجا
لو كنت املك خدها لثمته * حتى اعيد به الشقيق بنفسجا
اوكنت اهجع لاحتضنت خيالها * ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا
وبثثت فى الظلماء كحل جفونها * وعقدت هاتيك الذوائب بالدجا

سانحة من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بحجة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة فى نفسه لامر مابعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأجال فكره وتدبر المراد به ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرزا طرافها فى السمن وأنفذها الى الاسكندر فامر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وامر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتامل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبان يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتامل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وامر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وامر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك امر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها فى الطست فوق الماء فطفت فوقه وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر

وقال مهنئا بمولود

يلوح فى المهد على وجهه * تجهم الباس وبشرى الندى

والشمس والبدر اذا استجمعا * لم يلبثا ان يلدا فرقدا

فابق له حتى ترى نجله * وان عرا خطب فنحن الفدا

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من اثقل الشعر ينطير من سماعه وتركه اولى وقال رحمه الله تعالى فى الرصد

وذا غدير وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحادى

(ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى) ذكره العماد الاصبهانى فى الخريدة وذكره السمعانى فى الذيل وانه دخل بغداد فى حدود سنة ست عشرة وخمسمائة ومن شعره

اياشمس انى ان اتتك مدائحى * وهن لآلى نظمت وقلائد

فلست بمن يبغى على الشعر رشوة * ابى ذاك لى جد كريم ووالد

وانى من قوم قديما وحدثا * تباع عليهم بالالوف القصائد

(ومنهم الفقيه المقرى ابو عامر التيارى) من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ على ابى جعفر الدياجى كتابه فى العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القيروان فى العربية ابن القزاز واديبها الحصرى * واخبر عن نفسه انه كان بين يديه تلميذله وسيم فربه ابو جعفر التجانى بمحاءة كتب له فيها وخلاها بين يديه وهو قد غلب النوم عليه

يا نائما متعمدا * ابصار طيف حبيبه

هو جوهر فاتقبه ان الطيب فى مثقوبه

او اركبنى ظهره * ان لم تقل بركوبه

فلما قرأها علم انها للتجانى فكتب تحتها

يا طالبا اضحى جا * ب دون ما مطلوبه

لو لم يكن فى ذاك اثم لم اكن اسخو به

انى اغار عليه من * اثوابه ورقيبه

وأنشد يوما فى حلقته لابن الرومى فى خباز

لم انس لم انس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته اما انه لا يقدر على الزيادة على هذا فقال

فكاد يضرط اعجابا برؤيتها * ومن راى مثل ما ابصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فجعلوا محوه اوفالعقوه طرى

*(ومنهم الاديب الطبيب ابو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلى) مطبوع فى الشعر والتوشيح

قال

الاسكندر الى ذلك امر بتراب ناعم فلثت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته واسبل دموعه على خده واكثر شهيقه وطال انينه وظهر حزنه واقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم افاق من ذلك الحال وزجر نفسه واقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يا نفس ما الذى قذف بك فى هذه السدفة واصارك الى هذه الغمة ووصلك بهذه الظلمة انسيت وانت فى النور تسرحين وفى العلوم تمرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق انزلت الى عالم الظلم والمعاندة والغشم والمفاسدة تخطفك الخواطف وتنتهبك العواصف قد حرمت علم الغيوب والسكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب ورحصت كل مطلوب اين مصادرك الطيبة وراحتك العذبة حللت فى الاجساد وتوى عليك الكون والفساد حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لا تشاهدى الا غافلا ولا ترين الا جاهلا قد زهد فى الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال يا على صوته يا لك من نجوم سائرة

قال ابن سعيد اجتمعت به في القاهرة مرارا بمجلس الامير جمال الدين ابي الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفي غيره وتوفي في مارستان القاهرة ومن شعره

اما الغراب فانه سبب النوى * لاريب فيه وللنوى اسباب
يدعوا الغراب وبعد ذا الحبيبه * جمل وتعوى بعد ذا الذئاب
لا تكذبن فهذه اسبابه * لكن منها بداءة وجواب

*(ومنهم الامام المحدث الحافظ جمال الدين ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسي المعروف بابن مسدي) وهو من الائمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله تعالى أنشدني رئيس الاندلس واديبها ابو الحسن سهل بن مالك الازدي الغرناطي لنفسه سنة ٦٢٧ في شوال بداره بغرناطة

منغص العيش لاياوي الى دعة * من كان ذابلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى احد

*(ومنهم الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي نسبة لجده حميد الاندلسي) ولد ابوه بقرطبة وولده وبالجزيرة بليدة بالاندلس قبل العشرين واربعمائة وكان يحمل على الكتف للسماع سنة ٤٢٥ فاول ماسمع من الفقيه ابي القاسم اصبغ قال وكنت أفهم من يقرأ عليه وكان قد لقي ابن أبي زيد وقرأ عليه وتفقه وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقراعي وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته واكثر من الاخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه الا انه لم يكن يتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من الزنجاني وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فوائد وخرج تخاريج للخطيب ولغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب اكثر مصنفاته وابن ماكولا وكان اماما من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفته واتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعض الاكابر عن ابي الائمة لم ترعيناي مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله وكان ورعا ثقة اماما في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته محققا في علم الاصول على مذهب أصحاب الحديث متبحرا في علم الادب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس في أخبار علماء الاندلس وكتاب تاريخ الاسلام وكتاب من ادعى الامان من أهل الايمان وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل الى علم الترسيل وكتاب مخاطبات الاصدقاء في المكاتبات واللقاء وكتاب ماجاء من النصوص والاخبار في حفظ الجار وكتاب ذم النميمة وكتاب الاماني الصادقة وغير ذلك من المصنفات والاشعار الحسان في المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل في الحر ويجلس في اجانة ماء يتبرد به ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وذكره الحجاري في المسهب

أكنافه قاطنة فقد أصبحت عنه ظاعنة ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعني التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ماشاهد فعجب الاسكندر من ذلك وعلم مرامي الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من العلة مما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعابه ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتأمل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه ولست أشك ان هذا الشخص قد علم كل ماراسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه وتامل الفيلسوف الاسكندر فادار اصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة انفه واسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير مملكة فحياه بتحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك

وقال عنه انه أظهر العلم فى طرق ميورقة بعدما كانت عطلاء من هذا الشان وترك لها فخرا تباري به خواص البلدان وهو من علماء أئمة الحديث ولازم أبا محمد بن حزم فى الاندلس واستفاد منه ورحل الى بغداد وبها ألف كتاب الجذوة ومن شعره قوله رضى الله تعالى عنه

ألفت النوى حتى انست بوحشها * وصرت بها لا فى الصبابة مولعا
فلم احص كم رافقته من مرافق * ولم احص كم خيمت فى الارض موضعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا * فلا بد لى من أن اوافى مصرعا

وقال رحمه الله تعالى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال ابن ماكولا أخبرنا صديقنا ابو عبد الله الحميدى وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ لم ار مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء ان يدفنه عند قبر بشر الحافى فخالف وصيته ودفنه فى مقبرة باب البرز فلما كان مدة رآه مظفر فى النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فنقل فى صفر سنة ٤٩١ الى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر وكان كفنه جديدا وبدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على اهل العلم رحمه الله تعالى ومن مناقبه انه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تعديت بعين الى موضع لم ينظره احد منذ عقلت انتهى ومن شعر الحميدى ايضا قوله

طريق الزهد افضل ما طريق * وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك ودع بنيات الطريق

وقوله

كلام الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا * تكن منها على عين اليقين

*(ومنهم الكمال ابو العباس احمد الشريشى وهو احمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ابن عبد المؤمن القيسى) من اهل شريش روى عن ابى الحسن بن ليال وأبى بكر بن أزهر وأبى عبد الله بن زرقون وأبى الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفادها حشد فيها منها شرح الايضاح للفارسى والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبى على القالى قال ابن الابار لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهى الى اشبيلية فى سنة ست عشرة وستمائة وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لى سائره مع رواياته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية انتهى ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق الى الشام

حين نظرت الى ورميت بطرفك نحوى أدرت أصبعك حول وجهك ووضعها على أرنبة انفك قال تاملتك أيها الملك بنوريه عقلى وصفاء مزاجى فتبينت فكرتك فى وتاملك لصورتى وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فادرت اصبعى مصداقا لما سنح لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس فى الوجه الا انف واحد كذلك ليس فى دار مملكة الهند غيرى ولا يلحق احد من الناس بى فى حكمتى فقال له الاسكندر ما احسن ما اتى لك ماذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ماوصفت فدع عنك هذا ما بالك حين انفذت اليك قدحا مملوأ سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الى قال الفيلسوف علمت ايها الملك انك تقول ان قلبى قد امتلأ علما فما فيه فضل كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمى يستزيد فى علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر فى هذا الاناء قال فاخبرنى ما بالك حين عملت من الابر كرة وانفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت ايها الملك انك تريد ان قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب فى فهم الغايات والعلوم

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما لذ للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا أتت ومضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيربين ضحى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتي التي سلفت * لي منه فهي لعمري منتهى العمر
سقاك يا سفح سفح الدمع منهملا * وقل ذاك له ان أعوز المطر

قال رحمه الله تعالى شروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب ما لا كفاء له وكان رحمه الله تعالى محببا بالشام وقال ابن الابار عند ما ذكره انه شرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الادبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة انتهى وتوفي بشريش بلده سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي الملقب بضياء الدين) أحد الائمة المتأخرين في القرآآت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك قال القاضي الشمس بن خلكان انه رحل من الاندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقري المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ورأيت في بعض الكتب ان مولده سنة ٤٨٧ والاول أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشيء ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفينا ذلك فقلنا انها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتاب دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى أبي الخير الكاتب الواسطي

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

والحكمة فاخبرتك مجيبا ممثلا بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادي فاخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء جعلها قد حاذوف الماء طافية ثم رددتها الي قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فاجبت الملك ممثلا اني ساعمل الحيلة في ايراد العلم الكثير في المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه قال له الاسكندر صدقت فاخبرني ما بالك حين ملأت الاناء ترابا رددته الي ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتدل الذي هو الارض ودثورها وتفرق اجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي قال الاسكندر صدقت ولا حسبتني الى الهند من أجلك وأمرك بجوائز كثيرة وأقطعته قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

وتوفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار *(ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبي الحسن بن عبد ربه وهو من حفدة صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الاجل أبو عبد الله محمد ابن علي اليحصبي القرموني رفيقه قال اصطحبت معه في المركب من المغرب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر وأشفينا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذه الحال منار الاسكندرية فسر برؤيته وطمعنا في السلامة فقال لي لابد أن أعمل في المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذه الحال التي نحن فيها فقال نعم فقلت فاصنع فاطرق ثم عمل بديها

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق

من شامخ الانف في عرنينه شمم * كأنه باهت في دارة الافق

يكسر الموج منه جانبي رجل * مشمر الذيل لا يخشى من الغرق

لا يبرح الدهر من ورد على سفن * ما بين مصطبح منها ومغتبق

للناشآت الجواري عند رؤيته * كوقع النوم من أجفان ذي أرق

وتقدمت ترجمة الكاتب أبي عبد الله بن عبد ربه وأظنه هذا فليتنبه له بل أعتقد انه هو لا غيره والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي) قال في القدح المعلى بيتهم مشهور بقرطبة لم يزل يتوارث في العلم والجاه وعلو المرتبة ونشأ أبو عبد الله هذا حافظا للآداب اماما في علم الحساب مع انه كان أعمى مقعدا مشوه الخلقة ولكنه اذا انطق علم كل منصف حقه ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة حتى غدت بغداد له هالة اجتمعت به بحضرة تونس فرأيت بحرا زاخرا وروضا ناضرا الا انه حاطب ليل وساحب ذيل لا يبالي ما أورده ولا يلتفت الى ما أنشده جامعا بين السمين والغث حافظا للمتين والرث وكان يقرئ الادب عراكش وفاس وتونس وغيرها ومن مشهور حكاياته انه لما قال أبو زيد الغازي في أبي علي المستنصر قصيدته التي مطلعها * الحزم والعزم منسوبان للعرب * عارضه بقصيدة ثم قال فيه وفي ابن أخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه في ذلك الاوان

وان ينازعك في المنصور ذو نسب * فنجل نوح ثوى في قسمة العطب

وان يقل أنا عم فالجواب له * عم النبي بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء فحرص على قتله وسلمه الله تعالى منه ومات سنة ٦٣٩ ومن شعره قوله

لا تحسب الناس سواء متى * تشابهوا فالناس أطوار

وانظر الى الاحجار في بعضها * ماء وبعض ضمنها نار

وقوله

يا طالعا في جفوني * وغائبا في ضلوعي

بالغت في السخط ظلما * وما رحمت خضوعي

اذا نويت انقطاعا * فاحسب حساب الرجوع

ولسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح النفس الفلسفة وهي صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه واعلم أيها الملك ان بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارئ جل وعز فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل وزلل وأشبه الاشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأنيك في أمورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك فجدير أن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهي خزائن سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت أن تفعل فاحترز من ان تقول فأمن من أن تفعل فالملك السعيد من نمت له رياسة أيامه والملك الشقي من انقطعت عنه فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة

(قال المسعودي رحمه الله) وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فلحق بأرضه وللاسكندر انتهى

انتهى باختصار يسير * (ومنهم أبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف أبي عمرو بن الكاتب أبي بكر ابن العالم الجليل أبي العلاء بن الجنان الكناني الشاطبي) قال ابن سعيد توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وأبو الوليد أشعرهم وقد تجدد به في أقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هناك بفخر الدين ومتصدر في أئمة النحويين ومرتب في شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية قلائد أهل الغرام صحبته بمصر ودمشق وحلب وجريت معه طلق الجموح في ميادين الادب وأنشدني بدمشق

أنا من سكر هواهم ثمل * لا أبالي هجروا أم وصلوا

فشعري وحديثي فيهم * زمزم الحادي وسار المثل

ان عشاق الحمى تعرفني * والحمى يعرفني والطلل

رحلوا عن ربع عيني فلذا * أدمعي عن مقلتي ترتحل

ما لها قد فارقت أوطانها * وهي ليست لحماهم تصل

لا تظنوا أنني أسلوكما * مذهبي عن حبكم ينتقل

وقوله رحمه الله تعالى

بالله يا بانة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الشيح والغار

فعانقيها عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

وعرفيها بأني فيك مكتئب * فبعض هذي لها بالحب أخبار

وأنتم جيرة الجرعاء من اضم * لي في حماكم أحاديث وأسمار

وأنتم وأنتمو في كل آونة * وانما حبكم في الكون أطوار

ويا نسيما سرى تحدو ركائبه * لي بالغوير لبانات وأوطار

وله

يا رعى الله أنسنا بين روض * حيث ماء السرور فيه يجول

تحسب الزهر عنده يتثنى * وتخال الغصون فيه تميل

وله

ذات المدام فقد ناح الحمام على * فقد الظلام وجيش الصبح في غلب

وأعين الزهر من طول البكا رمدت * فكحلتها يمين الشمس بالذهب

والكاس حلتها حمراء مذهبة * لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب

كم قلت للافق لما أن بدا صلفا * بشمسه عند ما لاحت من الحجب

ان تهت بالشمس يا أفق السماء فلي * شمسان وجه نديمي وابنة العنب

قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم * والليل تبكيه عين البدر بالشهب

والسحب قد لبست سود الثياب وقد * قامت لترثيه الاطيار في القضب

وله

عليك من ذلك الحمى يا رسول * بشرى علامات الرضا والقبول

جئت وفي عطفيك منهم شذى * يسكر من خمرهواه العذول

مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع من العلوم ومكاتبات ومراسلات جرت بين الاسكندر وبين كند ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها في كتابنا في أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينتقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة في أوائل المعرفة وصنعة الطب وترقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى الاختصار في هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذي تدعيه الهند في صنعة الطب وغيرها وقد كان للاسكندر في أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد

ومنها

أحبابنا ودعتم ناظرى * وأنتم بين ضلوعى نزول
حللتم قلبى وهو الذى * يقول فى دين الهوى بالحلول
انا الذى حدث عنى الهوى * بأننى عن حبكم لا أحول
ما يزد العاذل فى عذله * وليقل الواشى لكم ما يقول

انتهى كلام النور بن سعيد * وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥ ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دمث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضى القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفى المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة فى علوم كثيرة وله يد فى النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوى اللحى * لا يسئلون عن السواد المقبل
وبمهجتى قوم وانى منهم * جبلوا على حب الطراز الاول

وله أيضا

قم اسقنيها وليل الهم منهزم * والصبح أعلامه محمرة العذب
والسحب قد نثرت فى الارض لؤلؤها * تضمن الشمس فى ثوب من الذهب انتهى

وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رحمه الله تعالى فى كاتب

ولى كاتب أضمرت فى القلب حبه * مخافة حسادى عليه وعذالى
له صنعة فى خط لام عذاره * ولكن سها اذ نقط اللام بالخال

(ومنهم أبو محمد القرطبى) قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكانه لا خبر عنده من الآخرة وقد طال عمره فى أكل الاعراض وفساد الاغراض ومما بقى فى أذنى من شعره قوله

رحم الله من لقيت قديما * فلقد كان بى رؤفا رحيما
أتمنى لقاء حر فقد أعوز حتى كاعدمت الكريما

وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى * (ومنهم على بن أحمد القادسى الكنانى) قال ابن سعيد لقيته ببيت المقدس على زى الفقراء وحصلت منه هذه الابيات وندمت بعد ذلك على ما فات وهى

ذاك العذار المطل * دمى عليه يطل
كانما الخد ماء * وقد جرى فيه ظل
عقود صبرى عليه * منذ حل قلبى تحل
جرت دموعى عليه * فقلت آس وطل

انتهى

(ومنهم أبو عبد الله بن العطار القرطبى) قال ابن سعيد هو حلو المنازع ظريف المقاطع والمطالع مطبوع النوادر موصوف بالاديب الشاعر مازجته بالاسكندرية وبهذه الحضرة العلية ومازال يدين بالانفراد والتجول فى البلاد حتى قضى مناه والتى بهذه المدينة عصاه لا يخطر الهم له ببال ولا يبيت الا على وعد من وصال وله حين سمع ما ارتجلته فى السكين بالاسكندرية حين داعبنى باختلاسها القاضى زين القضاة بن الريغى وقال مالى اليه سبيل

وفنون من التدبير وما أحدث من الابنية قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سميناه وغير ذلك مما عن وصفها أمسكنا واغا ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شئ منه مع ذكرنا لمسيره ووفاته وبالله التوفيق

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(ثم ملك بعد الاسكندر الملك خليفته بطليموس) وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالى لملك الاسكندر حروب مع بنى اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم انه اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب فى بعض الايام فى طريقه الى بعض متنزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا علا صعب واذا اسفل خفق واذا أراد ان يستوى درق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فاعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح وينبغى أن تتزين به الملوك فى مجالسها فامر أن يجمع منها عدة لتكون فى مجلسه

أوطانهم واختلاف لغاتهم ومذاهب صورهم وتباينهم فى شيمهم وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل

سبيل حتى يحضره مصري نبيل

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستنديه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان بعد الصواب كتاب

فقال

أحاجيك ماشئ اذا ماس قته * وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على ان فيه القطع والحذ ثابت * ولا حد فيه هكذا حكم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلى فيما أظن و يعني والله سبحانه أعلم بقوله وبهذه الحضرة العلية حضرة تونس اخر وسة فانها كانت محط رحال الافاضل من الاواخر والاوائل حتى ان قاضي القضاة ابن خلدون أقام بها مدة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدي أبو عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى ومنها خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب وسلطانه في الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه في ذلك ما نصه المقام الذي نؤكد اليه بر سلفه الوداد ونغري بتخليد فخره وأمره القلم والمداد ونصل به الاستظهار على عدو الله تعالى والاستعداد ونخص له من الله بهز أعطافه للخير والتوفيق والسداد والاعانة منه والامداد مقام محل أخينا الذي اشتهر فضله ودينه ووضح سعده متألقة براهينه وحياه الصنع الجميل وباه مشرقا جبينه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يرعى الذمم ويسلك من الفضائل المنهج الاهم ويغلي البضائع النافقة عند الله تعالى ويعلي الهمم معظم قدره وملتزم بره الحريص على توفير أجره وتخليد فخره فلان أما بعد حمد الله تعالى ناصر الامرة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظها من الاضاعة الى قيام الساعة الذي جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاعة والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة متمم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحياء والشجاعة والرضا عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة وزرعوا الخير في العاجلة ففازوا في الآجلة بفائدة تلك الزراعة والدعاء لمقامكم الاعلى بصنع يروي فيه عن الاشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة وتأييد لا يرضى فيه القنا بغنام تلك القناعة فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لثنائكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الاذاعة في أيدي النواسم الشواعة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عن خير هامي السحاب وبشر مفتح الابواب وعز للاسلام ببركة الاعتداد بكم المنصور الاعلام مقتبل الشباب وبين ضافي الجلباب والحمد لله على تظافر الايدي في ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم الرفيع الامل المنتاب اذا حدت الحداة ذوات الاقتاب ومطمح الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب والى هذا وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه وآلائه دائمة الانسكاب وجعل ما خول لكم من نعمه وآلائه كفيلة بالزلفى وحسن المتاب وألهمكم تقييد شواردها بالشكر قولا وعملا فالشكر مستدعي المزيد كما ورد في الكتاب فان من المنقول الذي اشتهر وراق فضله و بهر قوله اشفعوا تؤجروا وما في معناه من المعتبر في الخبر وتنفيس

زبنة تعرض لبازه تهائم وهو الحية الذكر فوثب عليه البازي فقتله فقال الملك هذا ملك يغضب مما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازي فافلت الاجريحا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فاكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وتمى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودي) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والابواب جملا من أخبارها واخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وانشأها على منازلها ودرجاتها وهي أربع اجناس وثلاثة عشر شكلا فاما الاجناس الاربعة فهي البازي والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال

كريه عن مسلم وسماع شكوى من متظلم ولولا أن مقامكم السنى أغنى لجلبنا الكثير من هذا المعنى ولما تحقق ما أنتم عليه من سلوك سبيل الخير واقامة رسوم الدين والاهتداء بمن هديه بالنور المبين خف علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات ونتجر لكم مع الله بأنفس البضاعات فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرنا كم عليه شريعة وما تأخر أو سمعنا كم فيه عذرا بسد ذريعه وعلمنا أن الله تعالى لم يأذن فى تحيله وسألنا فى تيسيره وتسهيله سواء الدينا فى ذلك ما عاد باعانة عامة وامداد وساهم فى قصد جهاد ومالم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد انما علينا أن نجلب الخير الباقى والاجر الراقى الى بابكم وندل عليه كريم جنابكم بمقتضى وداد صحيح باد وجميل ظن فى دينكم المتين واعتقاد سلم مجمله ومفصله من انتقاد وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الاوحد العلامة سلالة الصالحين وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين وبالها من مزية دنيا ودين أبا عبدالله بن مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البرة حاله وسنى من مقامكم السنى آماله جرى عليه من المحن وتباريح الاحن ما يعلم كل ذى مروءة وعقل واجتهاد ونقل أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان محسوب والى معقاته منسوب ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا لاستدعت الى تعمدها عفوا كبيرا رعيا لذلك الامام الصالح الذى كبر خلفه وأحرم وتشهد وسلم وأمّن عقب دعائه ونصب كفه لمواهب الله تعالى وآلائه وأنصت لخطبته ووعظه وأوجب المزية لسعة حفظه وعذوبة لفظه فأحبط ذلك من أحبط الاعمال الصالحة وعطل المتاجر الرابحة وأسف الملك المذكور بدم ولده واحراق خزائنه وعدده وتغيير رسومه وحدوده واسخاطه واسخاط الله معبوده الى أن طهر سيفكم الملك من عاره وأخذ منه بثاره وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو آثاره والحمد لله على ما خصه من ايثاره وتدارك الاسلام باقالة عثاره وانه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرر من حاله ما يفت الفؤاد ويوجب الامتعاض له والاجتهاد يطلب منا الاعانة بين يديكم والانجاد ويشكو العيلة والاولاد والغربة التى أحلته الاقطار النازحة والبلاد والحوادث التى سلبته الطارف والتلاد وان نذكركم بوسيلته وضعف حيلته فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا من بره ورعى حقه على السنن اللاحب وان كنا نطوقه فى أمرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ولا نشكر الا الله وليا ونصيرا فحقه علينا أوجب فهو الذى لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس منه المذهب وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف الى الله تعالى شفيعا وأحله محلا منيعا رفيعا الى وليه الذى جبر ملكه سريعا وصير جنابه بعد المحول مريعا وجدد رسومه تأصيلا لها وتفريعا ومثلكم من اغتنم بره فى نصر مظلوم وسبر مكلوم واعداء كرم على لوم وهى مناذكرى تنفع وحرص على أجر من يشفع واسعاف لمن سأل ما يعلى من قدركم ويرفع وتأديه لحق سلفكم الذى توفرت حقوقه وابلاغ نصيحة دينية الى مجدكم الذى لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ومطالبه فى جنب ملككم الكبير حقير وهو به الى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير ومنهلكم الاروى وباعكم فى الخير أطول وساعدكم أقوى وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والله

الناس فى ذلك (ثم ملك بعد بطليموس هيملوس) وكان رجلا جبارا وفى أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام لشبه دخلت عليهم وانها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه وتدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل اربعين وقد قيل ان الذى ملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثانى محب الاخ وغزا بنى اسرائيل ببلاد فلسطين وايلياء من ارض الشام فسباهم وقتل منهم وطلب العلوم ثم رد بنى اسرائيل الى فلسطين وحمل معهم الجواهر والاموال وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها احدى عجائب العالم فى البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا وعدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجا وجعل عدد شرافاته اربعة وعشرين ألف شرافة وجعل على كل برج من الابراج بتولة بطريق اسكنه اياه برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات والبطريق فى اعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها ابواب حديد وآثار الابواب

عز وجل يسلك بكم المسالك التى تخلد بالجميل ذكركم وتعظم عند الله أجركم فما عند الله خير للابرار والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبى الحسن المرينى وكان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان أبى سالم أخى أبى فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودى وتغلب على الملك ونصب أخا لابى سالم معتوها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلصه الله تعالى منه ثم ان السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فخوطب فى شأن ابن مرزوق بما ذكر * (رجع الى ما كنا فيه) من ذكر الراحلين من أعلام الاندلسيين الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى فنقول * (ومنهم أبو الوليد وابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدى القرطبى المعروف بابن الفرضى الحافظ المشهور) كان فقيها عالما عارفا بفنون علم الحديث ورجاله بارعا فى الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع فى بابه وهو الذى ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن فى المؤتلف والمختلف وفى مشتبه النسبة وكتاب فى أخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢ فحج وسمع من العلماء وأخذ عنهم وكتب من أماليهم وروى عن شيوخ عدة من أهل المشرق ومن شعره

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذى يرجى سواك ويتقى * ومالك فى فصل القضاء مخالف
فيا سيدى لا تخزنى فى صحيفتى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسى فى ظلمة القبر عندما * يصد ذووا القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عنى عفوك الواسع الذى * أرجى لاسرافى فانى لتالف

وكان رحمه الله تعالى حسن الشعر والبلاغة ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى

ان الذى أصبحت طوع يمينه * ان لم يكن قمرا فليس بدونه
ذلى له فى الحب من سلطانه * وسقام جسمى من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده فى ذى القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء بمدينة بلنسية فى دولة محمد المهدى المروانى وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقى فى داره ثلاثة أيام ودفن متغيرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه الله تعالى وروى عنه انه قال تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله تعالى الشهادة ثم انحرفت وفكرت فى هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الاجاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد فى ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث اخرجه مسلم فى صحيحه وقد ساق فى المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كلفا

ومواضع الحديد بين الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واظهر فيها مياها من اعين وغيرها الاسيل الى قطعها من خارجها وجعل اليها مياهامصبة فى قنى محرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها فى هذه المياه ما يستحجر فى مجاريها المعمولة من الخزف لترادف الصرف بها فيترا كم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد فى كسره وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب وما شاهدناه حسا وغير الناخبر اجما يولده ماء انطاكية فى أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم وما يحدث فى معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد اراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ماذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم نقاء ريح الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليموس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذى بنى مدينة فامية بين حمص وانطاكية (ثم ملك)

بالرواية رحل فى طلبها وتبحر فى المعارف بسببها مع حظ من الادب كثير واختصاص نفسيم ونثر حج وبرع فى الزهادة والورع فتعلق باستار الكعبة يسال الله الشهادة ثم ذكر فى القتل ومرارته والسيف وحرارته فاراد ان يرجع ويستقيل الله تعالى فاستحيا وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فاصيب فى تلك الفتن مكلوما وقتل مظلوما ثم ذكر مثل ما مر ومما قال فى طريقه يتشوق الى افريقية

مضت لى شهور مذ غبتم ثلاثة * وماخلتنى أبقى اذا غبتم شهرا
ومالى حياة بعدكم أستلذها * ولوكان هذا لم أكن فى الهوى حرا
ولم يسلنى طول التنائى عليكم * بلى زادنى وجدا وجددلى ذكرا
يمثلكم لى طول شوقى اليكم * ويدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننا * وهل نافعى أن صرت أستعتب الدهرا
أعلل نفسى بالمنى فى لقائكم * وأستسهل البر الذى جبت والبحرا
ويؤنسنى طى المراحل عنكم * أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ماقارقتكم عن قلى لكم * ولكنها الاقدار تجرى كما تجرى
رعتكم من الرحمن عين بصيرة * ولا كشفت أيدى النوى عنكم سترا

وقد عرف به ابن حيان فى المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله البكرى الشريشى المالكى) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشايخ كالقطيعى وابن زروبه وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه ثم عاد الى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل الى القدس الشريف فأقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ومشيخة الرباط الناصرى ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصرى ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا فى البلد فبسبب ذلك ربما يقع فى الاذهان الوهم فى أمرهما وشارح المقامات أحمد وهذا محمد وقد ترجمنا لصاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس القيسى الاندلسى البلنسى) كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الادب على أبى العلاء صاعد اللغوى صاحب الفصوص وعلى أبى يعقوب يوسف بن خرقان بمصر ودخل بغداد واستفاد وأفاد وله شعر حسن فن ذلك قوله

مريض الجفون بلاعلة * ولكن قلبى به ممرض
أعان السهاد على مقلتى * بفيض الدموع فما تغمض
وما زار شوقا ولكن أتى * يعرض لى أننى معرض

وله أشعار كثيرة وتوفى يوم الاربعاء لست بقين من جمادى الاولى سنة ٤٢٧ وقيل سنة ٤٢٩ بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ أبو الحسن على بن ابراهيم الحوفى صاحب التفسير

بعده على اليونانيين بطليموس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى وغيره أربعا وعشرين سنة (ثم ملك بطليموس محب الام) خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده بطليموس الصانع) سبعا وعشرين سنة (ثم ملك بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الاسكندرانى) اثنتى عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الحديدى ثمانى سنين (ثم ملك بعده بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم وامتحت آثارهم وزالت علومهم الا ما بقى فى أيدى حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر ظريف فى موتها وقتلها لنفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها فى ملك مقدونية وهى بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم

التفسير في مصلى الصدفي ودفن عند أبي اسحق رحمه الله تعالى ومغلس بضم الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة وكانت بينه وبين أبي الطاهر اسمعيل بن خلف صاحب كتاب العنوان معارضات في قصائد ومن شعر ابن المغلس أيضا قوله في حمام

ومنزل أقوام اذا ما اغتدوا به * تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه * ويخفى عدوّ المرء وهو جليسه
يفرج كربي ان تزايد كربه * ويؤنس قلبي ان يعدّ أنيسه
اذا ما أعرت الجوّ طرفا تكاثرت * عليّ مائه أقماره وشموسه

*(ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الأديب المعروف بالمغربي) وهو من أهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد في الخريدة انه كان طبيب المارستان في معسكر السلطان السلجوقي حيث حل وخيم وكان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن المرخم الذي صار أقضى القضاة ببغداد في أيام المقتفي فاصدا وطبيبا في هذا المارستان وأثنى العماد على أبي الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وان له كتابا سماه نهج الوضاعة لاولي الخلاعة ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار وماجريات ظريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رأيت في ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسي كان عند الامراء بني منقذ بقلعة شيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه وبين ابي الحكم المذكور مداعبات فسأل منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه فكتب ابو الحكم

أبا الحسين اسمع مقال فتى * عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا * للقوم فاهنا به اذا وصلا
واتل عليهم بحسن شرحك ما * انقله من حديثه جملا
وخبر القوم انه رجل * ما ابصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شمائله * لا يبتغي عاقل به بدلا

ومنها

وهو على خفة به ابدا * معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف وامّا بغير ذلك فلا
ان انت فاتحته لتخبر ما * يصدر عنه فتحت منه خلا
فنبه ان حل خطة الخسف والهون ورحب به اذا رحلا
وأسقه السم ان ظفرت به * وامزج له من لسانك العسلا

وله اشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد من جملتها

وكل ملموم فلا بد له * من فرقة لو ألزقوه بالغرا

وله مرثية في عماد الدين بن يحيي بن آقسنقر الاتابكي شاب فيها الجد بالهزل والغالب على شعره الانطباع وتوفي ليلة الاربعاء رابع ذي القعدة سنة ٥٤٩ وقيل في السنة التي قبلها

الثاني من ملوك الروم ومن بلاد رومية وهو اغسطس وهو أوّل من سمي قيصر واليه تنسب القياصرة بعده وسنذكر خبره في ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطره الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها العلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التي تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات تراعي الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من اعضائه قفزت اذرعا كثيرة كالريح فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتي عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات فجأة حتف أنفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحام دوبة بين مدينة دورق وبلاد الباسيان والعندم في الماء وهي حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون في الرمل وفي جوف تراب الارض فاذا أحست

بدمشق رحمه الله تعالى * والقاضى ابن المرخم المذكور هو الذى يقول فيه أبو القاسم هبة الله
ابن فضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خرف الزمان تراه أم جن الفلك
ان كنت تحكم بالنجوم فربما * أما بشرع محمد من أين لك

وكان أبو الحكم المذكور فاضلا فى العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة كثير المداعبة محبا للهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقى ويلعب بالعود ويجلس فى دكان بجيرون للطب وسكناه بالأبادين وأتى فى ديوانه نهج الوضاعة بكل غريب يدل على انه أريب سامحه الله تعالى وغفر له * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) * من هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند أهل الغرب والشرق الحافظ المقرى الامام الربانى أبو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموى مولاهم القرطبى صاحب التصانيف التى منها المقنع والتيسير وعرف بالدانى لسكناه دانية وولد سنة ٣٧١ وابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان أربعة أشهر ودخل مصر فى شوالها فمكث بها سنة وحج ورجع الى الاندلس فى ذى القعدة سنة ٣٩٩ وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسى وغيره بقرطبة وعلى أبى الحسن بن غلبون وخلف ابن خاقان المصرى وأبى الفتح فارس بن أحمد وسمع من أبى مسلم الكاتب وهو أكبر شيخ له ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيرى وحاتم بن عبد الله البزاز وغير واحد من أهل مصر وسواها وسمع من الامام أبى الحسن القابسى وخلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرج الاقفالى وأبو داود بن نجاح صاحب التنزيل فى الرسم وهو من أشهر تلامذته وحدث عنه خلق كثير منهم خلف بن ابراهيم الطليطلى قال أبو محمد عبيد الله الحجرى ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن فى عصر الحافظ أبى عمرو الدانى ولا بعد عصره أحد يدانيه ولا يضاهيه فى حفظه وتحقيقه وكان يقول ما رأيت شيأ قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته قال ابن بشكوال كان أبو عمرو أحد الائمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه وجمع فى ذلك كله تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واعرابه وأسماء رجاله وكان حسن الخط والضبط من أهل الحفظ والذكاء واليقين وكان دينا فاضلا ورعا سنيا وقال بعضهم وأظنه المغامى كان أبو عمرو مجاب الدعوة مالكى المذهب وقال بعض أهل مكة ان أبا عمرو الدانى مقرئ متقدم واليه المنتهى فى علم القراآت واتقان القرآن والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله فى القراآت والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك له مائة وعشرون مصنفا وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولانى وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبى حمزة وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية فى نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد ابن أبى حبيب الاندلسى) من بيت علم ووزارة صرف عمره فى طلب العلم فى الفقه والحديث والادب وولى القضاء بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وجاور بمكة المشرفة ثم قدم العراق وأقام ببغداد مدة ثم وافى خراسان فأقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس

بالانسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها الى أى موضع من ذلك الحيوان فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحينه فبعثت قلبطره هذه الملكة فاحتملت لها حية من هذه المقدم ذكرها التى توجد بأطراف الحجاز فلما أن كان اليوم الذى علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وأن لا يلحقها العذاب بعدها فسمتها فى آنائها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطره الملكة على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية فخفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد حجرا ولا مدة باذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام وتوقى

وتوفى بهراة فى شعبان سنة ٥٤٨ رحمه الله تعالى ورضى عنه (ومنهم أبو العباس احمد بن على بن محمد بن على بن شكر الاندلسى المقرى) رحل وأخذ القرآآت عن أبى الفضل جعفر الهمدانى وسمع من أبى القاسم بن عيسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبية وتوفى سنة ٦٤٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المرينى اللورقى المقرى النحوى) ولد سنة ٥٧٥ وقرأ القرا آت وأحكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولى وسأله عن مسئلة فى مقدمته وقرأ علم الكلام والاصولين والفلسفة وكان خبيرا بهذه العلوم مقصودا باقرائها وولى مشيخة قراءة العادلية ودرس بالعزيزية نيابة وصنف شرحا للشاطبية وشرحا للمفصل فى عدة مجلدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزة وتوفى سنة ٦٦١ رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم أبو عبد الله بن أبى الربيع القيسى الاندلسى الغرناطى) قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها فسمع على السلفى وقراءته على جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقه وأدب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيا سنة ٥٥٦ ومن نظمه بمدح كتاب الشهاب

ان الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربى
كم ضم من حكمة غرا وموعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن أدب
أما القضاعى فالرحمن يرحمه * كما حباه من التأليف بالعجب

* (ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشى العبدرى) من أهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من أبى الفضل بن خيرون وطراد الزينبى وأبى عبد الله الحميدى وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من الكتب والاجزاء وجمع وخرّج وكان صحيح العقل معتمد الضبط مرجوعا اليه فى الاتقان وكفاه فخرا وشرفا أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفى وأبو الفضل محمد بن ناصر وكان فهامة علامة ذا معرفة بالحديث متعففا سامع فقره وكان يذهب الى أن المناولة والعرض كالسماع وقال السلفى فيه انه من اعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف فى فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدثين وكان داودى المذهب قرشى النسب وقد كتب عنى وكتبت عنه وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعى به كنت أسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثنى عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه انتهى وقال ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته وربما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله اعلم وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ببغداد رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجى) سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبمكة من الآجرى وكان صالحا فاضلا زاهدا ورعا حدث ومات ببطليوس فجاة سنة ٣٩٢ ومولده سنة ٣٢٢ * (ومنهم ابو بكر محمد بن سعدون التميمى الجزيرى المتعبد) كانت آدابه كثيرة وحج غير مرة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت بالقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرّض للجهاد وحرص عليه وساح بجبل المقطم وذكر أنه صلى بعصر الضحى اثنتى عشرة ركعة ثم نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان

والمرمر والاصباغ فدخلت فى تلك الرياحين ودخل اغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها بلمسه وتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها النفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال فى ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه فى يومهم ويرثون به ملوكهم وربما ذكروه فى اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقائل فلاسفتهم وغير ذلك من أشرارهم وعجيب

مالكا والليث اختلفا في الضحى فمالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين وركى ابن سعدون وقال رأى مالك هو الصواب ثلاث مرات قال وكان في وركى وجع فمن تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور يضيء عليه اذا صلى ونحوه وأنشد

سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استئصال
ان اللسان اذا حللت عقاله * ألقاك في شنعاء ليس تقال

توفي سنة ٣٤٤ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الاعرج الطليطلي الخطيب) ويقال فيه ابن سعيد سمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث مولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٤ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يوسف بن اسحق الاموي القرطبي) وأصله من لبلة ولكن سكن قرطبة وقدم مصر وحج وسمع في طريقه من الشيخ أبي محمد بن أبي زيد صاحب الرسالة وأخذ عن القابسي وعن جماعة من علماء مصر والحجاز ومولده سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٤١٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبي) سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع) أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع الى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقرآت السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصري وأبي المعالي بن خضر وأبي الوفاء بن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الاسكندرية بتربة أبي العباس الراسي وتلمذ للشاطبي تلميذ الراسي وصنف كتبا حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القرآت والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية وكتاب الحرقة في الباس الخرقة وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الزهر الماضي في مناقب الشاطبي وكتاب الاربعين المضية في الاحاديث النبوية ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالاسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله تعالى ونفع بهما *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي) قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من أبي ذر الهروي قال ابن بشكوال كان من جلة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته الى المشرق سنة ٤٢٣ ومولده سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره

أخبارهم والذي يعوّل عليه من عدد ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطرة وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الاسكندر فيلبس يسمى بطلميوس وهذا الاسم الاعم الشامل لملوكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية ملوك الزنج وفليمى وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الروم وما قاله الناس في أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم)

تنازع الناس في الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور

أربع وثمانون سنة الا خمسة وخمسين يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه الله تعالى
(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح الانصاري المالقي) قال السلفي هو شاب من أهل الادب له
خاطر سمع كان يحضر عندي بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر أنه قرأ الادب على
أبي الحسين بن الطراوة النحوي بالاندلس وعلى نظرائه وأنشدني لنفسه

كم ذا تقلقلني النوى وتسوقني * والى متى أشجى بها وأسام
ألفت ركائبي الفلا فكأنما * للبين عهد بيننا وذمام
ياويح قلبي من فراق أحبة * أبدا تصدعه به الايام

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الاندلسي المالكي) رحل الى المشرق
فسمع بالشام من خيثمة بن سليمان وبمكة أبا سعيد بن الاعرابي وببغداد محمد بن اسمعيل بن
محمد الصفار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ وغيرهم
وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به
بهمذان مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وسبعين وقال فيه أبو سعيد
الاندلسي انه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم وقال غنجار انه كان فقيها حافظا جمع
تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعاني فيه كان فقيها حافظا رحل في طلب العلم الى المشرق
والمغرب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر علي بن عيسى الخزرجي الداني
النحوي أخو أبي العباس بن عيسى) سمع ببلنسية من أبي داود المقري وغيره وقدم دمشق سنة
٥٥٤ حين خرج حاجا وأقرأ بدمشق النحو مدة ثم خرج الى بغداد وأقام بها الى أن مات سنة
٦١٩ وولد سنة ٥١٢ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب تحصيل عين
الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ومن كلامه ليست هيبة الشيخ
لشيبه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المهاب ولو رأيت شخصا جمع
جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيأ عابه ومن قصر عن شئ هابه
*(ومنهم القاضي الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري)
وقيل في آبائه غير ذلك كما يأتي ولما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم
ابن بشير الى خطة القضاء بقرطبة وجه اليه بباجة فأقبل ولا يعلم مادعي اليه ونزل على صديق
له من العباد فتحدث في شأن استدعائه وقدم أنه يعرف فن الكتابة فقال له العابد ما أراه
بعث فيك الا للقضاء فان القاضي بقرطبة مات وهي الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنا
أستشيرك في ذلك ان وقع فقال أسألك عن أشياء ثلاثة وأعزم عليك أن تصدقني فيها ثم أشير
بعد ذلك عليك فقال ماهي فقال كيف حبك للاكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره
فقال والله لا أبالي مارددت به جوعي وسترت به عورتي وحملت به رحلي فقال هذه واحدة
فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب الغيد وما شاكل ذلك من الشهوات
فقال هذه حال والله ما استشرفت قط اليها ولا خطرت ببالي ولا اكترثت لفقدها فقال وهذه
ثانية فكيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل
فقال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني وما أسر للولاية ولا أستوحش للعزل فقال وهذه

الارميس ومنهم من رأى ان هذا الاسم اسم للاب وهو روم بن شماحلين بن هربان بن عقلا بن العيص
ابن اسحق بن ابراهيم
الخليل عليه السلام ومنهم
من رأى انهم سموا باسم
جدهم رومي بن ليطن بن
يونان بن يافث بن بريه بن
سرحون بن رومية بن
جربط بن نوفل بن روم بن
الاصفر بن اليغز بن العيص
ابن اسحق بن ابراهيم عليه
السلام وتذاكر جماعة
ممن سلف من شعراء العرب
قبل ظهور الاسلام ذلك
الاشتهار ما وصفنا فيهم
منهم عدي بن زيد العبادي
حيث يقول
وبنو الاصفر الكرام ملوك الر
وم لم يبق منهم مذكور
وقد كان العيص بن اسحق
وهو عيصو تزوج من بنات
الكنعانيين فأكثر أولاده
منهم وقد قيل ان العماليق
وهم العرب البادية الذين
كانوا بالشام من ولد اليغز
ابن عيصو وهذا ما لا ينقاد
اليه علماء العرب الا في
الروم دون ما ذكرنا من
العماليق وغيرهم وهذه
الانساب كلها تتعلق بما
في التوراة وغيرها من
كتب العبرانيين (قال
المسعودي) وغلبت الروم
على ملك اليونانيين
لاخبار يطول ذكرها
ويتعذر في هذا الكتاب
شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر ابن روم بن شماحلين

لنا انه اقبل الولاية فلا باس عليك فقدم قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة قال ابن وضاح أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب ويصلي وهو في هذا الزي وبه كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام أحد من دينه شيأ وجده أبعد من الثريا وأتاه رجل لا يعرفه فلما رأى ما هو فيه من زي الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء في يديه توقف وقال دلوني على القاضي فقيل له ها هو وأشير اليه فقال اني رجل غريب وأراكم تستهزؤن بي أنا أسالكم عن القاضي وأنتم تدلوني على زامر فصح والله أنه القاضي فتقدم اليه واعتذر فادناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل والانصاف فوق ما ظنه فكان يحدث بقصته معه وعوتب في ارسال لمته ولبسه الخز والمعصفر فقال حدثني مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيد القراء كانت له لمة وأن هشام بن عروة فقيه هذا البلد يعني المدينة كان يلبس المعصفر وأن القاسم بن محمد كان يلبس الخز ولقد سئل يحيى بن يحيى عن لباس العمائم فقال هي لباس الناس في المشرق وعليه كان امرهم في القديم فقيل له لو لبستها الاتبعك الناس في لباسها فقال قد لبس محمد بن بشير الخز فما تبعه الناس فيه وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به فلعلي لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير وكان أول ما نظر فيه محمد بن بشير حين ولي القضاء التسجيل على الخليفة الحكم في ارحى مع القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حق المدعي وأعذر الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجل فيها وأشهد على نفسه فما مضت مديدة حتى ابتاعها الحكم ابتياعا صحيحا فسر بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره ما كان في أيدينا شيء مشتبه فصححه لنا وصار حلالا طيب الملك في أعقابنا وحكم على ابن فطيس الوزير ولم يعرفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فاوما الحكم اليه ان الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم ولا اعذرت اليه فيهم وان أهل العلم يقولون ان ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لانه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم فيدعون الشهادة هم ومن اتسى بهم وتضيع أموال الناس وأكثر موسى بن سماعة أحد خواص الامير الحكم في ابن بشير الشكاية وأنه يجور عليه فقال له الحكم أنا امتحن قولك الساعة فاخرج اليه فورا واستاذن عليه فان أذن لك عزلته وصدقت قولك فيه وان لم ياذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه فليس هو عندي بجائر على حال وانما مقصده الحق في كل ما يتصرف فيه فخرج يؤم دار ابن بشير وقد أمر الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة أن يقفو اثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الاريثما بلغ ثم انصرف فحكي للحكم أنه لما خرج الآذن الى موسى وعلم القاضي بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها اذا جلس القاضي مجلس القضاء فتبسم الحكم وقال قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة فيه عنده لاحد * وولي القضاء مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان بعض اخوانه يعاتبه في صلابته ويقول له أخشى عليك العزل فيقول له ليته قد ران

كان ملكه اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أول من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس ابن افليوس ثمان عشرة سنة وفي نسخة أخرى ان أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين بوليس سبع سنين ونصفا وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة (ثم ملك) بعده أغسطس بن قيصر ستا وخمسين سنة وهذا الملك هو الاول من ملوك الروم واسمه قيصر وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر أي شق عنه وذلك ان امه ماتت وهي حامل به فشق بطنها فكان هذا الملك يفتخر في وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أمهم فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم والله أعلم * وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وأزال من بقي من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهي مصر وقد قدمنا ان كل ملك كان يلي مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس واحتوى هذا الملك أعني أغسطس على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وكانت له حروب كثيرة في الارض وقد اتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم

الشقراء يعني بغلته تقطع الطريق بي جادة نحو باجة فما مضى الا يسير حتى عتب عليه الامير في قصة اشتد فيها على بعض خاصته فكانت سبب العزلة وانصرف كما نبي فلم يمكث الا يسيرا حتى أتى فيه رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضاء الامير الحكم فلاذ منه باليمين بطلاق زوجته وبصدقة ماءلك في سبيل الله تعالى ان حكم بين اثنين فلم يعذره وأخرجه من ماله وعوضه من طيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانية ❊ ومما يحكى عنه في العدل ان سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا يخاصم عنه لشئ اضطر اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من الاحياء الا الامير الحكم وشاهد آخر مبرز فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال في شاهد ثان وجد به الخصام فدخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم وأراه شهادته في الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه وعرفه مكان حاجته الى ادائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمه ويلتزم مبرته فقال له يا عم انا لسنا من أهل الشهادات وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاة كنا نفديه بملكنا فصر في خصامك حيث صيرك الحق اليه وعلينا خلف ما انتقصك فأبى عليه وقال سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ولا تكتمني ما أخذ الله عليك فقال بلى ان ذلك لمن حقك كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يمكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته وضايقته الآجال فألح عليه فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته بيده في قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتي بخطي تحت ختمي فاديا ها الى القاضي فأتياه بها الى مجلسه وقت قعوده للسماع من الشهود فأدياها اليه فقال لهما قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى وجاء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له أيها القاضي قد شهد عندك الامير أصلحه الله تعالى فما تقول فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل هذه شهادة لا تعمل عندي فجئني بشاهد عدل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فأعلمه فركب من فوره الى الحكم وقال ذهب سلطاننا وأزيل بهاؤنا يجترئ هذا القاضي على رد شهادتك والله سبحانه قد استخلفك على عباده وجعل الامر في دمائهم وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليه وجعل يغريه بالقاضي ويحرضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت أنا في هذا يا عم القاضي رجل صالح والله لا تأخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسد دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله تعالى جزاءه فغضب سعيد الخير وقال هذا حسبي منك فقال له نعم قد قضيت الذي كان لك علي ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبه يا عاجز أما تعلم أنه لا بد من الاعذار في الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الامير لو

مدنا و كور كورا نسبت تلك المدن اليه منها قيسارية و كذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمنا الاثنين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان أنه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد يسوع الناصري بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية فمن هبوط آدم الى مولد المسيح في تواريخ أصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام أغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر أسفاره ستة وخمسين سنة على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية اياه بقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قلبطره بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب

(ثم ملك الروم بعده) طيباريوس وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة والثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح

قبلتها ولولم أعذر لبخست المشهود عليه حقه * وتوفى القاضى محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعى بست سنين كما يأتى قريبا ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضى عياض فى المدارك فليراجعها من أرادها فان عهدى بها فى المغرب * وقال بعض من عرف به ما نصه القاضى محمد بن بشير بن شمد المعافرى أصله من جند باجة من عرب مصر ولاه الحكم بن هشام قضاء القضاة الذى يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث قال أحمد بن خالد طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لاحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجا قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير فى حداثته للقاضى مصعب بن عمران ثم خرج حاجا فلقى مالك بن أنس وجالسه وسمع منه وطلب العلم أيضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته فى باجة وقال ابن حيان انه استقدم من باجة للقضاء برأى العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان فى الرواة عن مالك من أهل الاندلس محمد بن بشير ابن سرافيل ويقال شراحيل ولى القضاء وكان رجلا صالحا وبعدله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفى بها سنة ثمان وتسعين ومائة انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انما أزرى بقدرى أننى * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذى مقلية * لذوى الالباب أوذى حسد
يتحامون لقائى مثل ما * يتحامون لقاء الاسد
مطلعى أثقل فى أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لورأونى وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدى

*(ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقى) من أهل قرطبة كان فقيها زاهدا ورعا وحضر افتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازى *(ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثى) خرج حاجا ولقى سحنون بن سعيد بافريقية ولقى بمصر رجالا من أصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفى هنالك *(ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن أبى جمرة) رحل حاجا هو وابناه خطاب وعميرة فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروان وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه *(ومنهم محمد بن أبى قلاعة البواب من أهل قرطبة) كانت له رحلة الى المشرق ولقى فيها جماعة من أهل العلم وأخذ عن أبى اسحق الزجاجى وعن أبى بكر بن الانبارى وعن أبى الحسن على بن سليمان الاخفش وأبى عبد الله نفطويه وغيرهم وسمع من الاخفش الكامل للمبرد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية الا من قبل ابن أبى قلاعة وكان ابن جابر الاشبيلى قد رواه قبل بمصر بعدة وما علمت أحدا رواه غيرهما وكان ابن الاحمر القرشى يذكر انه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو حضر ضاهى الرجلين المتقدمين *(ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخى) من أهل طليطلة وسكن قرطبة يعرف بابن المدينى سمع من أحمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مرة الجبلى قديما واختص برافقته فى

فى الملك مائتى سنة وثمانية وتسعين سنة لا انتظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى ماذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطاريس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع فى قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان فى أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسميه سمعان هو وبولس صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما ممن أتى الى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما فى سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا فى أجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية فى بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وأكثر من عنى بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما قتلا برومية فى

ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصرى فى الارض فسار ماراالى العراق

طريق الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من أهل الورع والانقباض وحكى عن ابن مسرة أنه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم قال ودلني بعض أهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم سرية النبي صلى الله عليه وسلم فقصدتها فاذا هي دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد فدشق في وسطها بحائط وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقي الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه وسلم في الصيف قال فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره فكشفته بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال هذا البيت الذي تراني فيه بنيته على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان انتهى *(ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ والد أبي زكريا الراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر تأدب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد ومنذر بن سعيد وأبي علي القالي وغيرهم وكان حاذقا بالنحو واللغة والشعر يفوت من جاراه على حداثة سنه شاعرا مجيدا مترسلا بليغا ورحل مع أبيه الى المشرق سنة تسع وأربعين وثلثمائة فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكناني وغيرهم وسمع أيضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى أرض فارس فسمع هنالك وجمع كتبا عظيمة وأقام بها الى أن توفي باصبهان مغتبطا مع السنين وثلثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العدوي من أهل قرطبة) أدب بالحساب والهندسة ورحل في سنة سبع وأربعين وثلثمائة فدخل مصر والبصرة وعني بعلم الطب فمهر فيه ودبر مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس في سنة ستين وثلثمائة فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله في التكسير تاليف حسن رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الازدي الفراء القرطبي) صحب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص به ولطف محله منه وقرأ عليه القرآن ورحل صحبته لاداء فريضة الحج وكان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن والخشوع اذا قرأ بكى ورتل وبين في مهل ويقول أبو بكر على هذه القراءة وحكى انه سرد الصوم اثنتي عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا الكل ليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها تزيدا من الخير واجتهادا في العمل *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري الاندلسي) رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وأبا سعيد بن الاعرابي واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد التاهرتي وغيرهم روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا بهمذان سنة احدى وأربعين وثلثمائة فتوجه منها الى أصبهان وكان قد سمع في بلاده وبمصر من أصحاب يونس وبالحجاز وبالشام وبالجزيرة من أصحاب علي بن حرب وببغداد وورد نيسابور في ذي الحجة سنة احدى وأربعين فسمع الكثير ثم خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وروى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيرهما ذكره ابن عساكر وأسند اليه قوله

فات بمدينة برمى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعة المسيح فمات هنالك وسار آخر الى آخر مدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم آخر مات ببلاد قوف وجا البحار وكرخ حران في تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارقس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هنالك وهو أحد التلاميذ الاربعة الذين ألفوا الانجيل وقد كان لمارقس مع أهل مصر خبر طويل في مقتله قد أتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب بأنه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدي اناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم فلما رأوه وابتدروا قتله قال لهم ويحكم أنا

ودعت قلبي ساعة التوديع * وأطعت قلبي وهو غير مطيعي
ان لم أشيعهم فقد شيعتهم * بمشيعين تنفسي ودموعي

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ثمان وسبعين والاول قول الحا... وهو أصح * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري السرقسطي) روى عنه الباجي وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الاندلسيين وعن أبي حفص عمر بن أبي القاسم بن أبي زيد القفصي وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه أبو محمد الاكفاني وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفي سنة ٤٧٧ * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عيسى بن بقاء الانصاري) من بلاد الثغر الشرقي أخذ القراآت بالسبع وأخذ عنه جماعة من أهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف في اللباس ذكره ابن عساكر وقال رأيته وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر أولها

أستغفر الله من ذنبي وان كبرا * وأستقل له شكرا وان كثرا

وكان يسكن في دار الحجارة ويقرئ بالمسجد الجامع ولد في الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفي يوم الاربعاء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثاني من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ودفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفي * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصاري الخزرجي) من أهل دانية سمع كتاب التقصي لابن عبد البر ولقي أبا الحسن الحصري ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة اربع وخمسمائة وأقام بها مدة يقرئ العربية وكان شديد الوسوسة في الوضوء ذكره ابن عساكر وقال أنشدني أخي أبو الحسن هبة الله بن الحسن الفقيه قال أنشدنا ابن طاهر الاندلسي بدمشق قال انشدني الحصري لنفسه

يموت من في الانام طرا * من طيب كان ومن خبيث
فمستريح ومستراح * منه كما جاء في الحديث

قال وأنشدني الحصري لنفسه

لو كان تحت الارض أو فوق الدرى * حر أتيح له العدو ولو ذى
فاحذر عدوك وهو أهون هين * ان البعوضة أردت النمروذا

* (ومنهم محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله البزاز) من أهل سرقسطة لقي بدانية الحصري وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة وأجازوا له منهم ابن خيرون والحميدي وأبو زكريا التبريزي وابن المبارك عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الاكفاني وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها وأخذ الناس عنه وتوفي هنالك وانشد للحصري

الناس كالارض ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين
وتشتكي الارجل منها الوجى * واثمد يجعل في الاعين

وروى عنه ابن الحضرمي وابن جارة وغيرهما * (ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين) الشهير

تركك ولابد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل في بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاخرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زنابه واتزر بمئزر صوف على أن يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا في غير الاثني عشر ولا أدري ما معناهم في ذلك والاثنان اللذان من الاثني عشر يحيى بن سيداي ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذي ورد ذكره وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس اباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) نيرون واستقام ملكه ورغب على حسب

بالميورقي لان أصله منها وسكن غرناطة وروى عن أبي على الصدفى ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي الفتح عبدالله بن محمد البياضي وأبي نصر عبدالملك بن أبي مسلم النهاوندي في شوّال وذي القعدة من سنة ٥١٧ و بالاسكندرية من أبي عبدالله الرازي وأبي الحسن بن مشرف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدة طويلة فحدث في غيرما بلد منها وله وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث وأسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب عليه الزهد والصلاح روى عنه أبو عبدالله النميري الحافظ ويقول فيه الازدي تدليسا لان الانصار من الازد وأبو بكر بن رزق وأبو عبدالله بن عبد الرحيم وابن عبد المنعم وسواهم وصار أخيرا الى بجاية هاربا من صاحب المغرب حينئذ بعد أن حمل اليه هو وأبو العباس بن العريف وأبو الحكم بن برجان وحدث هنالك وسمع منه في سنة ٥٣٧ رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي الاشبيلي) ويعرف بابن عظيمة أخذ القرآآت عن أبي عبدالله السرقسطي وروى عن أبي عبدالله الخولاني وأبي عبدالله بن فرج وأبي على الغساني وأبي داود المقري وأبي جعفر بن عبد الحق وأبي الوليد بن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية ثم بالاسكندرية عن ابن الحضرمي أبي عبدالله محمد بن منصور وأبي الحسن بن مشرف الانماطي وبالمهدية عن المازري وكانت رحلته مع أبي على منصور ابن الخير الاحدب للقاء أبي معشر الطبري فبلغهما نعيه بمصر فلما قفلا من حجهما قعد منصور يقول قرأت على أبي معشر واقتصر أبو الحسن في تصدره للاقراء على التحديث عمن لقي فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده وتقدم في صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنهم الناس وله ارجوزة في القرآآت السبع وأخرى في مخارج الحروف وشرح قصيدة الشقراطسي وله أيضا كتاب الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية واليه والى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشان ومن جلة الرواة عنه أبو بكر محمد بن خير قرأ عليه الشهاب القضاعي وأجازله جميع رواياته وتواليفه في رجب سنة ٥٣٦ وتوفي في حدود الاربعين وخمسمائة وروى عنه أبو الضحاك الفزاري ❊ (ومنهم أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجي) من أهل جيان ويعرف بالبغدادي لطول سكناه اياها روى عن أبي على الغساني وأبي محمد بن عتاب ورحل حاجا فلقي أبا الحسن الطبري المعروف بالكيا وأبا طالب الزينبي وأبا بكر الشاشي وغيرهم وكان فقيها مشاورا حدث عنه أبو عبدالله النميري وأبو محمد بن عبيدالله وأبو عبدالله بن حميد وأبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وغير واحد وتوفي بفاس سنة ٥٤٧ ❊ (ومنهم ابو عبدالله محمد بن على ابن ياسر الانصاري الجياني) ونزل حلب يكنى ابا بكر رحل الى المشرق وادى الفريضة وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة سنان منها وكان يعلم القرآن ويتردد الى ابي عبدالله نصرالله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحبة ابي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام الى بغداد سنة عشرين وكان زميله فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين وغيره ثم خرج الى خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني وابي عبدالله الفراوي وابي القاسم الشحامي وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم ابو محمد الحسن بن على الحسيني وابو النجم مصباح بن

ماقدمناوتمى دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسباسيانوس مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا الى الشام وكانت لهما مع بني اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيها من بني اسرائيل ثلثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما الاصنام ووجدت في بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس ان يسبي كل يوم منهم سبي يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبي واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) ذونسطناس خمس عشرة سنة عابدا للتماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادر ياليس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب

وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثاني أربع سنين يعبد التماثيل وفي آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماماس وتفسيره ماماس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عرديانس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) يعرس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن في قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس في أصحاب الكهف والرقيم فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا أن

محمد المكي وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يسمع منه ويؤخذ عنه ثم انتهى الى حلب فاستوطنها وسلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية وكان فيه عسر في الرواية والاعارة معا ووقف كتبه على اصحاب الحديث وله عوال مخرجة من حديثه ساوى بعض شيوخه البخاري ومسلما وابا داود والترمذي والنسائي روى عنه ابو حفص الميانشي وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمي وابو محمد عبد الله بن علي بن سويدة وابن ابي السنان وغيرهم ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال سمعت منه ومات في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على ما بلغني وقال ابن نقطة حدث عن جماعة منهم ابو القاسم سهل ابن ابراهيم النيسابوري وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمداني حدثنا عنه ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي واخوه ابو العباس احمد وحكى عن الحسن بن هبة الله ابن صصرى انه توفي بحلب في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين كما تقدم وقد بلغ السبعين قاله ابن الابار *(ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسي) سكن شاطبة ودار سلفه بالمرية سمع ابا علي الصدفي واختص به واكثر عنه واليه صارت دواوينه واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع ايضا ابا محمد بن ابي جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الاندلس فسمع محمد بن عتاب وابا بحر الاسدي وابا الوليد بن رشد وابا عبد الله بن الحاج وابا بكر بن العربي وغيرهم وكتب اليه ابو عبد الله الخولاني وابو الوليد بن طريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم بن صواب وابو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقي بالاسكندرية ابا الحجاج بن نادر الميورقي وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه وعلم الكلام وادى فريضة الحج في سنة احدى وعشرين ولقي بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية العبدري امام المالكية بها وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروزية فسمع منهما واخذ عنهما وروى عن ابي حسن علي بن سعد بن عياش الغساني ما حمل عن ابي حامد الغزالي من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابن نادر الى حين وفاته بالاسكندرية ولقي ابا طاهر بن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشي وابا طاهر السلفي وابا زكريا الزناتي وغيرهم فأخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشي وابو الحسن بن مشرف الانماطي ولقي في صدره بالمهدية ابا عبد الله المازري فسمع منه بعض كتاب المعلم واجازله باقيه وعاد الى مرسية في سنة ست وعشرين وقد حصل في رحلته علوما جمة ورواية فسيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا في علم القرآن وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى التصوف مؤثرا له اديبا بليغا خطيبا فصيحا ينشئ الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتبا على الصوم وولي خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ في اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولي القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطنا وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب أيام الجمع في جوامع هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمرية وهناك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد الرشاطي وغيرهما وسمع منه أبو الحسن ابن

(١) فيه أن الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما في القاموس وكتب التفسير

ابن هزيل جامع الترمذي وألف كتابه شجرة الوهم المرقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله ولبس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووصفه غير واحد بالتفنن في العلوم والمعارف والرسوخ في الفقه وأصوله والمشاركة في علم الحديث والادب وقال ابن عباد في حقه انه كان صليبا في الاحكام مقتفيا للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة ثبتا حسن الخط من أهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط السلفي في سفر بن قال ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدر مارزقه وذكره أبو سفيان أيضا وأبو عمرو بن عات ورفعوا جميعا بذكره وتوفي بشاطبة مصروفا عن قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بالروضة المنسوبة الى أبي عمر بن عبد البر ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ *(ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي) من أهل غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى أبا القاسم وأخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل وسمع منه كثيرا ورحل حاجا فادى الفريضة وأخذ القرا آت بمكة عن أبي علي بن العرجاء في سنة ست وأربعين وخمسمائة وسنة سبع بعدها وحج ثلاث حجات ودخل بغداد وأقام في رحلته نحوا من تسعة أعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأقرأ بها القرآن نحوا من اربعين سنة لم يأخذ من أحد أجرا ولا قبل هدية وولى الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا مشاورا يشار اليه باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفي في صفر سنة ٥٨٧ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي) نزيل تلمسان من أهل القنت عمل مرسية وسكن أبوه أوريولة رحل الى المشرق فادى الفريضة وأطال الاقامة هنالك واتسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين أبو طاهر السلفي صحبه واختص به وأكثر عنه وحكى عنه انه لما ودعه في قفوله الى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره انه كتب كثيرا من الاسفار ومئين من الاجزاء فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله تعالى قد حصلت خيرا كثيرا قال ودعالي بطول العمر حتى يؤخذ عني ما أخذت عنه وقد جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله أربعون حديثا في المواعظ وأخرى في الفقر وفضله وثالثة في الحب في الله تعالى ورابعة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته في جزء وكتاب فضائل الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذي الحجة وكتاب مناقب السبطين وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب الترغيب في الجهاد خمسون بابا في مجلد وكتاب المواعظ والرقائق اربعون مجلسا سفران وكتاب مشيخة السلفي وغير ذلك ومولده بالقنت الصغرى في نحو الاربعين وخمسمائة وتوفي سنة عشر وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن التي تبهر سيدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم اخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري) ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف

الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بارض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بحاري وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذي بناه ذو القرنين مانعا ليأجوج ومأجوج (قال المسعودي) وجدت في كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فمقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني المنجم وتكلم

عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب ٢٩٨ الذى قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا

باشبيلية وبالسبع بكتاب الكافى وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عن أبيه وقرأ أيضا السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشراط القرطبى وحدثه به عن ابن المؤلف وسمع على أبى بكر محمد بن أبى جمرة كتاب التيسير للدانى عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبى محمد عبد الحق الاشبيلى الازدى وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفى وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزى ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون وأنشدنى لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكاشنى سنة ١٠٣٧ حفظه الله تعالى

انما الحاتمى فى الكون فرد * وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب * من بحار التوحيد يا مستهام
ان سألتم متى توفى حميدا * قلت أرخت مات قطب همام

وقال ابن الابار هو من أهل المرية وقال ابن النجار أقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨ ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الابار انه أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبة من أبى القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة وجمع مجاميع فى الطريقة وقال ابن الابار انه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه وقال غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يوما اليه بالفضل والمعرفة والغالب عليه طرق أهل الحقيقة وله قدم فى الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشان بالشام والحجاز وله أصحاب وأتباع ومن تآليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدث بها عمن رآه صلى الله عليه وسلم قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور وكتب فى علم القوم وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادهم وله أشعار حسنة وكلام مليح اجتمعت به فى دمشق فى رحلتى اليها وكتبت عنه شيأ من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لى انه دخل بغداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثنى عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاجا مع الركب سنة ٦٠٨ وأنشدنى لنفسه

أيا حائرا ما بين علم وشهوة * ليتصلا ما بين ضدين من وصل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسألته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الاندلس انتهى وقال ابن مسدى انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم أخص تحصيل وله فى الادب الشأو الذى لا يلحق والتقدم الذى لا يسبق سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابن الجد وأبى الوليد الحضرمى وبسبتة من أبى محمد بن عبد الله وقدم عليه اشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وأبو جعفر بن مصلى وذكر انه لقى عبد الحق الاشبيلى

على ما قيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك طابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له فارس نحوا من سنتين (ثم ملك بعده) فليطالبس عشر سنين (ثم ملك بعده قسطنطين (قال المسعودى) والذى وجدت فى الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الكتاب تسعة وأربعون ملكا وجميع عدد سنى ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف فى صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هيلانى أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ فى هذا المعنى مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم وأكثرها بالرومية فمكنا من ذلك ما تأتى وصفه ولهؤلاء الملوك

أخبار وسير هى موجودة فى كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها فى كتابنا

وفى

وفى ذلك عندى نظر انتهى قلت لا نظر فى ذلك فان سيدى الشيخ محيى الدين ذكر فى اجازته للملك المظفر غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ما معناه أو نصه ومن شيوخنا الاندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلى رحمه الله تعالى حدثنى بجميع مصنفاته فى الحديث وعين لى من أسمائها تلقين المهتدى والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثنى بكتب الامام أبى محمد على بن أحمد بن حزم عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى وقال ان الحافظ السلفى أجازه انتهى وقال بعض الحفاظ وأحسبها الاجازة العامة وكان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات وكان دفنه يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما أقام ببلاد الروم زكاه ذات يوم الملك فقال هذا تذل له الاسود أو كلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لى يوما الله يذل لك أعز خلقه وامر له ملك الروم مرة بدار تساوى مائة الف درهم فلما نزلها واقام بها مر به فى بعض الايام سائل فقال له شئ لله فقال مالى غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له وقال الذهبى فى حقه انه توسع فى الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقا فى التصوف وتواليف جمة فى العرفان ولولا شطحه فى كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليونينى فى ذيل مرآة الزمان عن سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه ونفعنا به انه كان يقول انى اعرف اسم الله الاعظم واعرف الكيمياء انتهى وقال ابن سودكين عنه انه كان يقول ينبغى للعبد أن يستعمل همته فى الحضور فى مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقا له وجد ثمرة ذلك فى البرزخ وانتفع به جدا فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله تعالى وقال ان الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك وقال ينبغى للسالك انه متى حضر له انه يعقد على امر و يعاهد الله تعالى عليه أن يترك ذلك الامر الى أن يجيء وقته فان يسر الله تعالى فعله فعله وان لم ييسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد ولا يكون متصفا بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى

بين التذلل والتدلل نقطة * فيها يتيه العالم النحرير
هى نقطة الاكوان ان جاوزتها * كنت الحكيم وعلمك الاكسير

وقوله أيضا رحمه الله

يا درة بيضاء لاهوتية * قد ركبت صدفا من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقائهم * وتنافسوا فى الدر والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان فى سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيى الدين والغيث والسحاب عليهم ودمشق ليس عليها شئ قال فقلت للشيخ اما ترى هذه الحال فقال كنت بمراكش وعندى ابن خروف الشاعر يعنى ابا الحسن على بن محمد القرطبى القيذافى وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فانشدنى

(ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطاليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهى مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له فى بنائها خبر طريف فمع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله فى دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند ذكرنا لاخبار مصر من هذا الكتاب وهى التى بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد

بالشام ومصر وبلاد الروم فانها بنتها هذه الملكة هلانى أم قسطنطين وقد

يطوف السحاب بمراكش * طواف الحجيج ببيت الحرم
يروم نزولا فلا يستطيع * اسفاك الدماء وهتك الحرم انتهى

وحكى المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من أنواره أن الشيخ محيى الدين ابن العربى بعث الى سيدى عمر يستأذنه فى شرح التائية فقال كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها انتهى وقال بعض من عرف به انه لما صنف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادخر منها شيأ وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ومن نظمه رضى الله تعالى عنه

حقيقتى همت بها * وما رآها بصرى
ولو رآها لغدا * قتيل ذاك الحور
فعندما ابصرتها * صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها * اهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى * لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى * جمال ذاك الخفر
فى حسنها من ظبية * ترعى بذات الخمر
اذا رنت اوعطفت * تسبى عقول البشر
كأنما انفاسها * أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى * فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها * نور صباح مسفر
أو سدلت غيهبها * سواد ذاك الشعر
يا قمرا تحت دجى * خذى فؤادى وذرى
عينى لكى أبصركى * اذ كان حظى نظرى

وقال الحوبى قال الشيخ سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه رأيت بعض الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويلة فسألنى كيف حالك مع أهلك فقلت

اذا رأت اهل بيتى الكيس ممتلئا * تبسمت ودنت منى تمازحنى
وان رأته خليا من دراهمه * تجهمت وانثنت عنى تقابحنى

فقال لى صدقت كلنا ذلك الرجل * وذكر الامام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة وشيخ الطريقة صفى الدين حسين ابن الامام العلامة جمال الدين أبى الحسن على ابن الامام مفتى الانام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره بعد كلام ما صورته ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم

دين النصرانية وكل كنيسة جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم فى أحرفه هجاء وأحرف هلانى خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ما ذكرنا هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فاقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السنودسات واحدها سنودس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السنودس أيضا والسنودس الثانى بالقسطنطينية على مقدونس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسنودس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل

العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وتخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الحرازى اخاء ورفقة فى السياحات رضى الله تعالى عنهما فى الاصائل والبكرات ومن نظم سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه قوله

يامن يرانى ولا أراه * كم ذا أراه ولا يرانى

قال رحمه الله تعالى قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له مرتجلا

يامن يرانى مجرما * ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما * ولا يرانى لائذا

قلت من هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وانه لا يقصد ظاهره وانما له محامل تليق به وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد وللناس فى هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم والله سبحانه بكلام اوليائه اعلم ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى ضابط ليلة القدر

وانا جميعا ان نصم يوم جمعة * ففى تاسع العشرين خذ ليلة القدر

وان كان يوم السبت اول صومنا * فحادى وعشرين اعتمده بلا عسر

وان كان صوم الشهر فى احد فخذ * ففى سابع العشرين ماشئت فاستقرى

وان هل بالاثنين فاعلم بانه * يوافيك نيل المجد فى تاسع العشر

ويوم الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمد * على خامس العشرين فاعمل بها تدرى

وفى الاربعا ان هل يامن يرومها * فدونك فاطلب وصلها سابع العشر

ويوم خميس ان بدا الشهر فاجتهد * ففى ثالث العشرين تظفر بالنصر

وضابطها بالقول ليلة جمعة * توافيك بعد النصف فى ليلة الوتر انتهى

قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه اعلى من هذا النظم ولكنى ذكرته لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبه اليه فالله تعالى اعلم بحقيقة ذلك ومما نسبه اليه رحمه الله تعالى غير واحد قوله

قلبى قطبى وقالبى اجفانى * سرى خضرى وعينه عرفانى

روحى هرون وكليمى موسى * نفسى فرعون والهوى هامانى

وذكر بعض الثقات ان هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج فى كفه ويلحسهما فانه يبرا باذن الله تعالى قال وهو من المجربات وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون ان مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكى فى ذلك حكاية عن بعض الاولياء ممن كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى ❊ وولد للشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية فى رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفى بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم

بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان فى ملكة المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن هلانى فى دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج فى بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه فى بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى فى النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلام على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها فى النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ودفعها فى عسكره وزحف الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون

قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فى شدله ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فاتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السنودس الاول وهو الاجتماع على ماذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفى وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاد الموضع القسطنطنية وورده الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجرى الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه فى الموضع الذى يأخذ من بحر مانطش نحو من عشرة أميال وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى سباه تمنع من يرد فى هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية

ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون وكان قدم القاهرة وسكن حلبا ومن شعره

لما تبدى عارضاه فى غلط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل سطر الحسن فى خديه خط * وقيل عاج فوق عاج انبسط
وقيل مسك فوق ورد قد نقط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب ابو عبد الله بن جزى الاندلسى كاتب سلطان الغرب ابى عنان حين تنازع الكتاب ارباب الاقلام والرؤساء اصحاب السيوف فى تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا نشبهه الا بما هو مناسب لصنعتنا فلما فرغوا قال ابن جزى

انى اولو الكتب والسيف الاولى عزموا * من بعد سلمى على حربى واسلامى
بكل معنى بديع فى العذار على * ما يقتضى منهم أفكار احلام
فقال ذو الكتب لا أرضى المحارب فى * تشبيهه لا وأنفاسى واقلامى
وقال ذو الحرب لا ارضى الكتائب فى * تشبيهه ومطلاتى واعلامى
فقلت أجمع بين المذهبين معا * باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التى لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم * (رجع) ومن نظم سعد الدين قوله

سهرى من المحبوب اصبح مرسلا * وأراه متصلا بفيض مدامع
قال الحبيب بان ريقى نافع * فاسمع رواية مالك عن نافع

ومن نظمه ايضا قوله

وقالوا قصير شعر من قد هويته * فقلت دعونى لا ارى منه مخلصا
محياه شمس قد علت غصن قده * فلا عجب للظل ان يتقلصا

وقوله

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رمانا بسهم لحظ * فانه دائم النفوذ

وقوله

لك والله منظر * قل فيه المشارك
ان يوما اراك فيـه ليوم مبارك

ومن نظمه أيضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربى أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته

ما للنوى رقة ترثى لمكتئب * حران فى قلبه والدمع فى حلب
قد أصبحت حلب ذات العماد بكم * وجلق ارم هذا من العجب

وتوفى الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضى ابن الزكى رحم الله تعالى الجميع ومن نظم سعد الدين المذكور فى وسيم رآه بالزيادة فى دمشق

ياخليلى فى الزيادة ظبى * سلبت مقلتاه جفنى رقاده
كيف أرجو السلو عنه وطرفى * ناظر حسن وجهه فى الزياده

وله

علقت صوفيا كبدر الدجى * لكنه في وصلي الزاهد
يشهد وجدي بغرامي له * فديت صوفيا له شاهد

وله

صبوت لطالب [illegible] مليح * تكرر نحو منزله مسيري
أقول له الذي لي لصب * عديم للمساعد والنصير
أقام ببابكم خمسين شهرا * فقال كذا مقامات الحريري

وله

وغزال من اليهود اتاني * زائرا من كنيسه اوكناسه
بت أجني الشقيق من وجنتيه * واشم العبير من انفاسه
واعتنقنا اذ لم نخف من رقيب * وأمنا الوشاة من حراسه
من رآني يظنني لنحولي * واصفراري علامة فوق راسه

وله

لي حبيب بالنحو اصبح مغرى * فهو مني بما اعانيه أدرى
قلت ماذا تقول حين تنادي * يا حبيبي المضاف نحوك جهرا
قال لي يا غلام او يا غلامي * قلت لبيك ثم لبيك عشرا

وله ايضا

ساءلتني عن لفظة لغوية * فاجبت مبتدئا بغير تفكر
خاطبتني متبسما فرأيتها * من نظم ثغرك في صحاح الجوهري

وله

وعلمت ان من الحديد فؤاده * لما انتضى من مقلتيه مهندا
آنست من وجدي بجانب خده * نارا ولكن ما وجدت بها هدى

وقال الشيخ محيي الدين افاض الله تعالى علينا من انواره وكسانا بعض حلل اسراره انه بلغني في مكة عن امرأة من اهل بغداد انها تكلمت في بامور عظيمة فقلت هذه قد جعلها الله تعالى سببا لخير وصل الي فلا كافئنها وعقدت في نفسي ان اجعل جميع ما اعتمرت في رجب لها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم استدل علي رجل غريب فسأله الجماعة عن قصده فقال رأيت بالينبع في الليلة التي بت فيها كأن آلافا من الابل اوقارها المسك والعنبر والجوهر فعجبت من كثرته ثم سألت لمن هو فقيل هو لمحمد بن عربي يهديه الى فلانة وسمى تلك المرأة ثم قال وهذا بعض ما تستحق قال سيدي ابن عربي فلما سمعت الرؤيا واسم المرأة ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم مني ذلك علمت أنه تعريف من جانب الحق وفهمت من قوله ان هذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدت المرأة وقلت اصدقيني وذكرت لها ما كان من ذلك فقالت كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف فشكرك الجماعة الذين كنت فيهم فقلت في نفسي اللهم اني أشهدك اني قد وهبت له ثواب ما أعمله في يوم الاثنين وفي يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما قال فعلمت ان الذي وصل مني اليها بعض ما تستحق فانها

فيصير عرضه وهو موضع العبور من الجانب الشرقي الى الموضع الغربي الذي فيه القسطنطينية نحو من أربعة أميال وعليه العمائر و ينتهي في ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين في فم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرني أبو عمير عدي بن حاتم بن عبد الباقي الازدي وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلي بحر مانطش ونيطش وربما يتبين في الماء الجري مما يلي بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل في بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة وقد كانوا

سبقت بالجميل والفضل للمتقدم ومن نظم الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى

يا غاية السؤل والمأمول يا سندي * شوقي اليك شديد لا الى أحد
ذبت اشتياقا ووجدا في محبتكم * فآه من طول شوقي آه من كمدي
يدي وضعت على قلبي مخافة أن * ينشق صدري لما خانني جلدي
مازال يرفعها طورا ويخفضها * حتى وضعت يدي الاخرى تشد يدي

وحكى سبط ابن الجوزي عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم و يقول انه يعرف السيميا بطريق التنزل لا بطريق التكسب انتهى والله تعالى أعلم والتسليم أسلم ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله

ما فاز بالتوبة الا الذى * قد تاب قدما والورى نوم
فمن يتب أدرك مطلوبه * من توبة الناس ولا يعلم

وله رحمه الله تعالى من المحاسن مالا يستوفى وأنشدني لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفي الشيخ محمد بن سعد الكلشني حفظه الله تعالى قوله

أمولاي محيي الدين أنت الذي بدت * علومك في الآفاق كالغيث مذهما
كشفت معاني كل علم مكتم * وأوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه ولله در السيوطي الحافظ فانه ألف تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي ومقام هذا الشيخ معلوم والتعريف به يستدعي طولا وهو اظهر من نار على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربي بالالف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي وقال ابن خاتمة في كتابه مزية المرية مانصه محمد بن علي بن محمد الطائي الصوفي من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربي وبالحاتمي أيضا أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل الى المشرق حاجا فأدى الفريضة ولم يعد بعدها الى الاندلس وسمع الحديث من أبي القاسم الخرستاني ومن غيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن بن أبي نصر في شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث بالاجازة العامة عن أبي طاهر السلفي ويقول بها وبرع في علم التصوف وله في ذلك تواليف كثيرة منها الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة وكتاب كشف المعنى في تفسير الاسماء الحسنى وكتاب المعارف الالهية وكتاب الاسرا الى المقام الاسرى وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم وكتاب عنقاء مغرب في صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز ابن أبي بكر القرشي المهدوي والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية في كتب أخر عديدة وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا خفاء أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله تعالى في بعض كتبه أن مولده بمرسية وفي الكتاب المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تأليف شيخ الاسلام قاضي القضاة مجد

الدين

دخلوا الى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة أنهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومي وان في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يضيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال وفي الجانب الجنوبي البر وفيه باب الذهب مطلي على صفائح النحاس وأعلى موضع في سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن اقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلي البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا هذه البحار (قال المسعودي) ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعني الارثماطيقي وهو علم الاعداد والجومطريقي وهو علم المساحة والهندسة والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقي وهو علم تاليف

الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي الصديقي صاحب القاموس قدس الله تعالى روحه الذي ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربي الطائي قدس الله تعالى سره العزيز في كتبه المنسوبة اليه ما صورته ما تقول السادة العلماء شد الله تعالى بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين في الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هي الكتب المسموعة المقروءة ام لا أفتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده * (فأجابه بما صورته) الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذي اعتقده في حال المسؤل عنه وادين الله تعالى به انه كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام الحقيقة حقيقة ورسما ومحيي رسوم المعارف فعلا واسما

اذا تغلغل فكر المرء في طرف * من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عباب لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصر عنه الانواء كانت دعواته تخترق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق واني أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني اني ما انصفته

وما علي اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
بان ما قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلي زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التي جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر ما وضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل ما في مبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشان لا يكون الا لانفاس من خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها وأجزته أيضا أن يروي عني مصنفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مصنف منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه الى سورة الكهف عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفي ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر بحر لا ساحل له ولا غرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به وثم طائفة في الغي حائفة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم الجهل الى حد التكفير وما ذاك الا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

علي نحت القوافي من معادنها * وما علي اذا لم تفهم البقر

هذا الذي نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به في حقه والله سبحانه وتعالى أعلم وصورة استشهاده كتبه محمد الصديقي الملتجئ الى حرم الله تعالى عفا الله عنه انتهى وأما احتجاجه بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب وزور فقد روى شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال كنا في مجلس الدرس بين يدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام فجاء في باب

اللحون ولم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة بالاقطار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا اسسها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها تبتهج عند سماعه وتحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست في قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملاهي والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهي من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار وممازجة

الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية أو عجمية فقال بعض الفضلاء انما هي فارسية معربة أصلها زن دين أي على دين المرأة وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر الى جانب الشيخ مثل ابن عربي بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق أن الشيخ عزم على الافطار معه فحضرت ووجدت منه اقبالا ولطفا فقلت له ياسيدي هل تعرف القطب الغوث الفرد في زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفني به من هو فتبسم رحمه الله تعالى وقال لي الشيخ محيي الدين بن عربي فاطرقت ساكتا متحيرا فقال مالك فقلت ياسيدي قد حرت قال لم قلت أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ماقال في ابن عربي وأنت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذي روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام وأمّا قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين الزملكاني من أجل مشايخ الشام أيضا يقول ماأجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيي الدين بن عربي لاجل كلمات وألفاظ وقعت في كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتوني لاحل لهم مشكله وأبين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموي سئل عن الشيخ محيي الدين بن عربي لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت ابن عربي فقال وجدته بحرا زخارا لاساحل له وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدي له كتاب جليل وضعه في تاريخ علماء العالم في مجلدات كثيرة وهي موجودة في خزانة السلطان تنظر في باب الميم ترجمة محمد بن عربي لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية والمواهب الربانية وقوله في شئ من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنفه بامر من الحضرة الشريفة النبوية وأمره باخراجه الى الناس قال الشيخ محيي الدين الذهبي حافظ الشام ماأظن المحيي يتعمد الكذب أصلا وهو من أعظم المنكرين وأشدهم على طائفة الصوفية ثم ان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق وأخرج هذه العلوم اليهم ولم ينكر عليه أحد شيأ من ذلك وكان قاضي القضاة الشافعية في عصره شمس الدين أحمد الحوبي يخدمه خدمة العبيد وقاضي القضاة المالكية زوجه بابنته وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ * واما كراماته ومناقبه فلاتحصرها مجلدات وقول المنكرين في حق مثله غثاء وهباء لايعبأ به والحمد لله تعالى انتهى مانقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه * وقد حكى الشيخ رضي الله تعالى عنه عن نفسه في كتبه مايبهر الالباب وكفى بذلك دليلا على مامنحه الله الذي يفتح لمن شاء الباب وقد اعتني بتربته بصالحية دمشق سلاطين بني عثمان نصرهم الله تعالى على توالي الازمان وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مرارا ورأيت لوائح الانوار عليه ظاهرة ولايجد منصف محيدا الى انكار مايشاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتي له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ * وقال في عنوان الدراية ان الشيخ محيي الدين كان يعرف بالاندلس بابن سراقة وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان قوي على الايراد كلما طلب الزيادة يزاد رحل

الى

أحاط بذلك من جميع الوجوه في كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على ظريف أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم في كتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب في غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا لمعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ماسلف من كتبنا على الشرح والايضاح

(ثم ملك الروم) بعد قسطنطين ابن هيلاني الملك المتنصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضي وكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية (ثم تملك) ابن أخي قسطنطين الاول بوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو بوليانس المعروف بالحنفي وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس البرباط وغزا العراق في ملك سابور ابن اردشير بن بابك فاتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق في جنود لاتحصى ولم يكن لسابور حيله في دفعه ولقائه لما جاءته اياه فانصرف

الى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧ وبها لقى أباعبد الله العربى وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية فى التاريخ المذكور قال رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم الا نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذى عرضتها عليه لاتذكرنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذى لايدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب مالايكون فيه أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذلك الشاب الاندلسى الذى وصل اليها ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه ان الشيخ محيى الدين رحل الى المشرق واستقرت به الدار وألف تواليفه وفيها مافيها ان قيض الله تعالى من يسامح ويتاول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالامر صعب وقد قدعليه أهل الديار المصرية وسعوا فى اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى فانه سعى فى خلاصه وتاول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت فقال له ياسيدى تلك شطحات فى محل سكر ولاعتب على سكران * وتوفى الشيخ محيى الدين فى نحو الاربعين وستمائة وكان يحدث بالاجازة العامة عن السلفى رحمه الله تعالى انتهى * ومن موشحات الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه

مطلع

سرائر الاعيان * لاحت على الاكوان * للناظرين
والعاشق الغيران * من ذاك فى حران * يبدى الانين

دور

يقول والوجد * أضناه والبعد * قد حيره
لما دنا البعد * لم أدر من بعد * من غيره
وهيم العبد * والواحد الفرد * قد خيره
فى البوح والكتمان * والسر والاعلان * فى العالمين
أما هو الديان * ياعابد الاوثان * أنت الضنين

دور

كل الهوى صعب * على الذى يشكو * ذل الحجاب
يامن له قلب * لو أنه يذكو * عند الشباب
قد قرب الرب * لكنه افك * فانو المتاب
وناد يارحمن * يارب يامنان * انى حزين
أضنانى الهجران * ولا حبيب دان * ولا معين

دور

فنسيت بالله * عما تراه العين * من كونه

من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس خرج من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مريناس وقيل انه كاتب الماضى فابى عليهم ان يتملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور التوم وأحاط بعساكرهم فكان لمريناس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ماتلف من أرضه باموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيدها كل فى دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى ايامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ماأخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم

فى موقف الجاه * وصحت أين الاين * فى بينه
فقال ياساهى * عاينت قطعين * بعينه
أما ترى عيلان * وقيس أومن كان * فى الغابرين
قالوا الهوى سلطان * ان حل بالانسان * أفناه دين

دور

كم مرة قالا * أنا الذى أهوى * من هو أنا
فلا أرى حالا * ولا أرى شكوى * الا الفنا
لست كن مالا * عن الذى يهوى * بعد الجنا
ودان بالسلوان * هذا هوا لبهتان * للعارفين
سلوهم ما كان * عن حضرة الرحمن * والا فكين

دور

دخلت فى بستان * الانس والقرب * كمكنسه
فقام لى الريحان * يختال بالعجب * فى سندسه
أنا هو الانسان * مطيب الصب * فى مجلسه
ياجنان ياجنان * اجن من البستان * الياسمين
وحلل الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

وقال الامام الصفى بن ظافر الازدى فى رسالته رأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء اتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الحرار اخاء ورفقة فى السياحات رضى الله تعالى عنهما انتهى * وذكر الامام سيدى عبدالله بن سعد اليافعى اليمنى فى الارشاد أنه اجتمع مع الشهاب السهروردى فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربى ما تقول فى السهروردى فقال مملوء سنة من قرنه الى قدمه وقيل للسهروردى ما تقول فى الشيخ محيى الدين فقال بحر الحقائق ثم قال اليافعى ما ملخصه ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته وقال انكم لا تفهمون معانى كلامه ثم قال اليافعى وسمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض أصحابه أريد أن تريني القطب أو قال وليا فاشار الى ابن عربى فقال له فأنت تطعن فيه فقال أصون ظاهر الشرع أو كما قال وأخبرنى بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الاصبهانى والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه آخرون وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام اذ هو أحد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال وما نسب الى المشايخ له محامل الاول أنه لم تصح نسبته اليهم الثانى بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق فان لم يوجد له تأويل فى الظاهر

الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى فى كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد أوانيس) عمرا مطنامس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم فى روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السنودس الثانى (ثم ملك بعده) بدوسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظمها وبنى كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدى فى كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من اهل أصبهان وانهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبدالله ابن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من اهل السير والاخبار والاشهر من امرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك

فله تاويل فى الباطن لم نعلمه وانما يعلمه العارفون الثالث أن يكون ذلك صدر منهم فى حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ولا مكلف انتهى ملخصا وممن ذكر الشيخ محيي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدى فى معجمه البديع المحتوى على ثلاث مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة مطولة اذ كرمنها أنه قال انه كان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات خاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحيا تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والاقدام ومواقف النهايات فى مزالق الاقدام ولهذا ما ارتبت فى أمره والله تعالى أعلم بسره انتهى ونقلت من خط ابن علوان التونسى رحمه الله تعالى قال الشيخ محيي الدين

بالمال ينقاد كل صعب * من عالم الارض والسماء
يحسبه عالم حجابا * لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذى فى النفوس منه * لم يجب الله فى الدعاء
لا تحسب المال ما تراه * من عسجد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يابني * به غنيا عن السواء
فكن برب العلا غنيا * وعامل الخلق بالوفاء

وقال

نبه على السر ولا تفشه * فالبوح بالسر له مقت
على الذى يبديه فاصبر له * واكتمه حتى يصل الوقت

وقال

قد ذاب علما ما علينا * فمالنا فى الوجود قدر
أدبنا فاصبرن دؤبا * مالى على ما أراه صبر
هذا هو الدهر يا خليلى * فمن يقاسيه فهو قهر

ونظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذى لا ساحل له ولنختم ما أوردناه منه بقوله

ياحبذا المسجد من مسجد * وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة * فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد * لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره * فى كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا * أعلن بالتاذين فى المسجد
فهذه عشرون مقرونة * بافضل الذكر الى الموعد

*(ومنهم الصوفى الشهير أبو الحسن الششترى وهو على بن عبد الله النميرى) عروس الفقهاء وامام المتجردين وبركة لابسى الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادى آش وزقاق الششترى معلوم بها وكان مجوّدا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه من أهل العلم والعمل جال فى الآفاق ولقى المشايخ وحج حججات وآثر التجرد والعبادة * وذكره القاضى أبو العباس الغبرينى فى عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفى من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين

دين المجوس ومنهم من رأى انهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسدس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بمدينة افسس وجمع مائتى أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذى قدمنا ذكره آنفا وللعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الحيلة التى وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسى بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان فى بدريا زوجة الملك الى أن نفى نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد

 كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يأبون هذه الاضافة

له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع أخذ عن القاضي محيي الدين محمد بن ابراهيم ابن الحسن بن سراقة الانصاري الشاطبي وغيره من أصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن ابراهيم الدمشقي سنة ٦٥٠ ه وخدم أبا محمد بن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه في السن لكن اشتهر باتباعه وعوّل على ما لديه حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما لقيه يريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى أبي مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الي ولما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير فيقسمهم الترتيب في وظائف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله و يعتقده الى وفاته وله كتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية والرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله رحمه الله تعالى

لقد تهت عجبا بالتجرد والفقر * فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحة قدسية * فغبت بها عن عالم الخلق والامر
طويت بساط الكون والطي نشره * وما القصد الا الترك للطي والنشر
وغمضت عين القلب غير مطلق * فألفيتني ذاك الملقب بالغير
وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة * ونزهت من أعني عن الوصل والهجر
وما الوصف الا دونه غير أنني * أريد به التشبيب عن بعض ما أدري
وذلك مثل الصوت أيقظ نائما * فأبصر أمرا جل عن ضابط الحصر
فقلت له الاسماء تبغي بيانه * فكانت له الالفاظ سترا على ستر

وقال

من لامني لو أنه قد أبصرا * ما ذقته أضحى به متحيرا
وغدا يقول لصحبه ان أنتمو * أنكرتمو ما بي أتيتم منكرا
شذت أمور القوم عن عاداتهم * فلاجل ذاك يقال سحر مفترى

وقال وهي من أشهر ما قال

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا * نغيب به عنا لدى الصعق ان عنّا

وهي طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته وأشار ابن الخطيب في الاحاطة الى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان وضعف في العربية قال ومع ذلك فهي غريبة المنزع أشار فيها الى مراتب الاعيان الاعلام من أهل هذه الطريقة وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه اذ الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر وقوله فيها

الى نسطورس و يكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأى المشارقة في الثالوث وهو الكلام في الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك ثدوسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرقيانوس (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفي أيامها كان حبر اليعاقبة من النصارى ووقوع الخلاف بينهم في الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد وقات وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسي اليعاقبة رسمه ان يكون عند انطاكية وكذلك لهم كرسي بمصر ولا أعلم له غير هذين الكرسيين وهما بمصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر ابن اليون وكان ملكه ست عشرة سنه وفي ايامه احرم مسعرة اليعقوبي بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا

واظهر

وأظهر منها الغافقي لما جنى * وكشف عن أطواره الغيم والدجنا

هو شيخه أبو محمد بن سبعين لأنه مرسي الأصل غافقيه ولما وصل الششتري من الشام الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومي فقال ما اسم هذه القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة وأوصى أن يدفن بمقبرة دمياط اذ الطينة مفازة وأقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على أعناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم سيدي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الاندلسي) وحرالة قرية من أعمال مرسية غير أنه ولد بمراكش وأخذ بالاندلس عن أبي الحسن بن خروف وغير واحد ورحل الى المشرق فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي امام الحرم وغيره ولقي جملة من المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع صالح زاهد كان بقية السلف وقدوة الخلف وقد زهد في الدنيا وتخلى عنها وأقام في تفسير الفاتحة نحوا من ستة أشهر يملي في التعليل قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام حتى منّ الله تعالى ببركات ومواهب لا تحصى وعلى أحكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف في كثير من الفنون كالاصول والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرأ النجاة لابن سينا فينقضه عروة عروة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك ومناظر فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات فقرأ التهذيب وأبدى فيه الغرائب وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيء وطلب عز الدين أن يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثر القول في هذا المعنى ثم قال يخرج من بلادنا الى وطنه يعني الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج وأقيم أنا فكان كذلك وله عدة مؤلفات في الفنون وقال رحمه الله تعالى أقمت ملازما لمجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندي من يعطيني دينارا ومن يزدريني وأصبح رحمه الله تعالى ذات يوم ولا شيء لأهله يقيم به أودهم وكانت أم ولده جارية تسمى كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه في الطلب وقالت له ان الاصاغر لا شيء لهم فقال لها الآن يأتي من قبل الوكيل ما نتقوت به فبينما هم كذلك واذا بجمال يضرب الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما أعجلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنعه فأمر أن تصدق به ثم قال لها يأتيك ما هو أحسن فانتظرت يسيرا وبدا لها الفاقة كلمته بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بجمال سميذ فقال لها هذا السميذ أيسر وأسهل من القمح فلم يقنعها ذلك فأمر أيضا بصدقته فلما تصدق به زادت في المقال واذا برجل على رأسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المؤنة هذا الوكيل قد لطف بحالك * ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا في نزهة وأخذوا حليا من زينة النساء فزينوا به بعض أصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذي كان في يده الحلي يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلي لا يشار بها الى الميعاد ومنها أنه أصاب الناس جدب ببجاية فأرسل الى داره من يسوق ماء الى الفقراء فامتنعت كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال للرسول قل لها يا كريمة والله لا شربن

وفي تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجتماع وهو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا تعتد بهذا السندوس ولهم خبر ظريف في قصة سواري البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعي ودعوته الى مذهب سواري واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعي هذا وبه عرفت وكان من أهل انطاكية يعمل البراذع (ثم ملك) بعد اليون الاصغر ابنه ليون سنة على دين الملكية (ثم ملك بعده) بيروهو من بلاد الامينيان وكان يذهب الى رأي اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دار الملك نظفر بهم (ثم ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة وكان ملكه الى ان هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطيانس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهي احدى عجائب

ين من المطر الساعة ترمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى ورفع يديه به وشرع المؤذن فى الاذان ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القرب وتوفى رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبرينى ✽ ووقع للذهبى فى حقه كلام على عادته فى الحط على هذه الطائفة ثم قال ورأيت شيخنا المجد التونسى يتغالى فى تفسيره ورأيت غير واحد معظما له وموقرا وقوما تكلموا فى عقيدته وكان نازلا عند قاضى حماة البارزى وقال لنا شرف الدين البارزى تزوج بحماة وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسم وان رجلا راهن جماعة على أن يحرجه فقالوا لا تقدر فأتى وهو يعظ وصاح وقال له أنت أبوك كان يهوديا وأسلم فنزل من الكرسى فاعتقد الرجل انه غضب وانه تم له ما رامه حتى وصل اليه فخلع مرطيه عليه وأعطاه اياهما وقال له بشرك الله بالخير لانك شهدت لابى انه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبرينى ان تفسير الشيخ الحرالى كامل وقال بعضهم انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعى مناسباته وذكر ان الذى وقف عليه منه من أول القرآن الى قوله فى سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبى فى الشيخ يرده كلام الغبرينى اذ هو أعرف به والله تعالى أعلم وحكى الغبرينى انه أنشد بين يديه الزجل المشهور

جنان يا جنان ✽ اجنى من البستان ✽ الياسمين
واترك الريحان ✽ بحرمة الرحمن ✽ للعاشقين

فسأل بعض عن معناه فقال بعض الحاضرين أراد به العذار وقال آخر انما أشار الى دوام العهد لان الازهار كلها ينقضى زمانها الا الريحان فانه دائم فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه ✽ (ومنهم ولى الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير المقامات سيدى أبو العباس المرسى نفعنا الله تعالى به) وهو من أكابر الاولياء صحب سيدى الشيخ الفرد القطب الغوث الجامع سيدى أبا الحسن الشاذلى أعاد الله تعالى علينا من بركاته وخلفه بعده وكان قدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعوات وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله وقد عرف به الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن فى مناقب الشيخ سيدى أبى العباس وشيخه سيدى أبى الحسن رضى الله تعالى عنهما وقال الصفدى فى الوافى أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس الانصارى المرسى وارث شيخه الشاذلى تصوفا الاشعرى معتقدا توفى بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل الثغر فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عرام سبط الشاذلى ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالثغر انتهى وكان سيدى أبو العباس يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكثر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذل مخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس فى الصلاة والطهارة ويثقل عليه شهود من كان على صفته وذكر عنده يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا انه كثير الوسوسة فقال وأين

العالم والهياكل المذكوره وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك ان يسوع الناصرى حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى أن قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اعطى هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن اخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأى الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين واظهر فى ملكه انواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) مورقس عشرين سنة ونصر كسرى ابرويز على بهرام جور فقتل عيلة وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا فى بعض الجزائر قبل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبنى الكنائس ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى

العالم العلم هو الذي ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود وله كلام بديع فى تفسير القرآن العزيز فمن ذلك انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع وله فى هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره وبسطه الشيخ رضى الله تعالى عنه فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقية والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له درجة الصديقية وفاتته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه وقال رضى الله تعالى عنه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضى الله تعالى عنه التقوى فى كتاب الله عز وجل على أقسام تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية وتقوى الله وتقوى الانية واتقون يا أولى الالباب وقال رضى الله تعالى عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لى بالعبودية لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمرو ناد عبد زهراء * يعرفه السامع والرائى

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول سمنون المحب

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

الاولى أن يقول فكيفما شئت فاعف عنى اذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضى الله تعالى عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال

وجدت فى كتب التواريخ تنازعا فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان فى ملك نوسطورس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وكان ملكه عشرين سنه (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذى فى كتب الزيجات فى النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفى تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخالف أن ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وأيام أبى بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا فى اليسير منها وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل ابن قيصر) وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام

رضى الله تعالى العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال الزاهد غريب من الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة قال بعض العارفين معنى الغربة فى كلام الشيخ رضى الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فتغرب فى هذه الدار وأما العارف فانه غريب فى الآخرة اذ كشف له عن صفات معروفه فاخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا فى الآخرة لان سره مع الله تعالى بلا أين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحظوظ بالشهوة ولم يصعدوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك كله بالله وبآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما تقتضى منهم مولاهم عاملين رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين * وكلام سيدى الشيخ أبى العباس رضى الله تعالى عنه بحر لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله فان فيه من ذلك ما يشفى ويكفى وما بقى أكثر * ومن كراماته رضى الله تعالى عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يختبره به فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحافظ المحاسبى رضى الله تعالى عنه كان فى اصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه وأنا فى يدى ستون عرقا تتحرك على اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * (ومنهم أبو اسحق الساحلى المعروف بالطويجن) بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذكور من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة وكان أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها متفننا متقنا وله الباع المديد فى الفرائض وأبو اسحق هذا كان فى صغره موثقا بسماط شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفى رحمه الله تعالى انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاحمر فى كتابه نثير الجمان فيمن نظمنى واياه الزمان * وقال أبو المكارم منديل بن آجروم حدثنى من يوثق بقوله ان أبا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخيرة سنة ٧٤٧ بتنبكتو موضع بالصحراء من عمالة مالى رحمه الله تعالى ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى قال ومن نسبه للساحلى فانه نسبه لجده للام انتهى * (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى) من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجى مولده ببيغة رحل عن الاندلس قديما واستقر أخيرا بالاسكندرية وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرة وقد أطال فى رحلته فى ترجمته الى أن قال وذكره صاحبنا أبو حيان وهو أحد من أخذ عنه ولقيه فقال تلا القرآن بالاندلس على أبى الوليد هشام بن واقف المقرى وسمع بها من أبى زيد الـ.ـ..ازى العشر ينيات وسمع كله من شهاب الدين السهروردى صاحب عوارف المعارف

مورق بن مورق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأيام معاوية بن أبى سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان اختلاف بينهما ان الرومى غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان بشره بالملك واعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ثم نزل الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ أميرا على الشام لعثمان فى خبر طويل قد أتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق فى الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون) بن قلفط فى أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده بجيرون بن لاون فى أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر وتلا

وتلا بالاسكندرية على أبي القاسم بن شيسى ولا يعرف له نظم في أحد من العالم الا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريري

أهن لاهل البدع * والهجر والتصنع * ودن بترك الطمع ولذ باهل الورع

وعد عن كل بذي * لم يكترث بالنبذ * والهج بسبر جهبذ وعالم متضع

واندب زمانا قد سلف * ولم تجد منه خلف * وابعث بأنواع الاسف رسائل التضرع

وهي طويلة فلتراجع في ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله تعالى (ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكي المرسي الاندلسي) ويلقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة ثم رحل الى المشرق وحج حججا وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويرمى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى آية في الايثار انتهى وقال غير واحد ان اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة أمره ومما ذكر الشريف الغرناطي عنه أنه كان يكتب عن نفسه ابن ه يعني الدارة التي هي كالصفر وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة وضمن فيه البيت المشهور محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا * حسبما ذكره الشريف في شرح مقصورة حازم وقد طال عهدي به فليراجعه من ظفر به وقال صاحب درة الاسلاك في سنة ٦٦٩ ما صورته وفيها توفي الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي صوفي متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وتملها بعض الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله تعالى برحمته انتهى وقال بعض الاعلام في حق ابن سبعين انه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقراء والسفارة أصحاب العبادات والدفافيس بنفسه ويحفون به في السكك ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها ووقع في رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور وأظن اسمه يحيى ابن محمد بن أحمد بن سليمان وسماها بالوراثة المحمدية والفصول الذاتية ما صورته فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم

من أهل مرعش فقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور واخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك في أيام المهدي والهادي (ثم ملك بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه أريني ملكة معه مشاركة له في الملك لصغر سنه في أيام هرون الرشيد فمات قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم) يعفور بن اسدراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فاعطى القود من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفي انقياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى أصبحت بالدين معنيا

وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فانت الذي تدعى رشيدا ومهديا

النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته المضافة للعالم المطلق ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التى لا يمكن أحدا أن يتصف بها الا بجد أزلى وتخصيص الهى وها أنا أصف لك بعض ما خصه الله سبحانه وتعالى به من الامور التى هى خارقة للعادة ونلغى عن الامور الخفية التى لا نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التى نعلمها والتى لا يمكن أحدا أن يستريب فيها الا من أصمه الله تعالى وأعماه ولا يجحدها الا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه وأنساه رشده ونعوذ بالله ممن عاند من الله تعالى ساعده وأيده وهو معه بنصره وعونه فما أتعب معانده وما أسعد موادده وما أكبت مراددهِ فنبدأ بذكر ما وعدنا فنقول الاول فى شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التى فى بلاد المغرب وهو بنو سبعين قرشيا هاشميا علويا وأبواه وجدوده يشار اليهم ويعول فى الرياسة والحسب والتعين عليهم والثانى كونه من بلاد المغرب والنبى عليه السلام قال لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه فهو المشار اليه بالحديث ثم نقول أهل المغرب أهل الحق وأحق الناس بالحق وأحق المغرب بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط وأحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذى يدور الكل عليه ويعول فى مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق الله تعالى والمسئلة حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل المغرب ظاهرون على الحق أى على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل الله خير العالم وأهل الحق هم خير أهل الله والمحقق خير أهل الحق فاذن هو خير العالم فهو المشار اليه ثم نقول انظر فى بدايته وحفظ الله سبحانه له فى صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التى هى فى جبلة البشرية وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها فى آبائه وهى الآن فى اخوته وخروجه عن الاهل والوطن الذى قرنه الحق مع قتل الانسان نفسه وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثم انظر فى تأيده وفتحه من الصغر وتأليف كتاب بدء العارف وهو ابن خمس عشرة سنة وفى جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوى على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع الامور السنية والسنية تجده خارقا للعادة وفى نشأته فى بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التى لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعادة وفى تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس وفى شجاعته وقوة توكله فى عزمه ونصره لمنازعه وظهور حجته على خصمائه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفى انقياد أهل المغرب له واجتماعهم عليه فى كل بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله تعالى حجته ويقمع خصمه ويكبت عدوه ويعجز معارضه ويفحم معترضه وفى غيرة الحق عليه وهلاك من تعرض بالاذى اليه يعلم العاقل المخصوص

فاوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى
فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى
نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله أن صفى لهارون ملكه
وكان قضاء الله فى الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا
واصبح يعفور لهارون ذميا
فلما عوفى الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هاب الناس أن يخبروه بغدر يعفور فقال
نقض الذى أعطاكه يعفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه
فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا
بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية أن أتى
بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت بيمنك أن تعجل غزوة
تشفى النفوس نكالها مذكور
يعفور انك حين تغدر أن نأى * عنك الامام لجاهل مغرور

انه عند الله مخصوص وفى خلقه وقهره لقواه النزوعيه والعضبية واسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التى لا تنسى شيأ بالمفكرة التى تتصور الذوات المجردة والمعلومة سرعين الضيف وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار آيته واستجلاب ثنائه فى الجهات كلها وبالجملة جميع ماذكرت فيه هو خارق للعادة البشرية ومعجز لمعارضه من كل الجهات ولولا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعى وتقيم الادلة القطعية على تعجيزها ولكن اعطيت الانموذج وعرفت ان النبيه يمعن فكره ويجد ذلك كله كما قلته وبالجملة جميع جزئياته اذا تؤملت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص فصح انه هو المشار اليه والمعول فى جملة الامور عليه وانما اعطيت الامر المشهور وتركت ما يعلم منه من خرق العوائد فى ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر وأخذ الدراهم من الكون واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما أخبر فصح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما فى الرسالة فى شان الشيخ ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة كما سيأتى قريبا أن ابن سبعين عاده الخوف من أمير المدينة عن القدوم اليها وعظم عليه بذلك الحمل وقبحت الاحدوثة عنه انتهى لكن قال شهاب الدين بن أبى حجلة التلمسانى الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض ما معناه أخبرنى الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش التلمسانى شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه صده عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره انتهى وقال غيره ثم زار النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدث بذلك أصحابه بمكة انتهى وقال لسان الدين أما شهرته ومحله من الادراك والآراء والاوضاع والاسماء والوقوف على الاقوال والتعمق فى الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه بالعجب وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى حدثنى بعض أشياخنا من أهل المشرق أن الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فنكث به ولم يف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الاعظم برومية فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبى محمد عبد الحق بن سبعين فى التكلم عنه والاستظهار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر الى ما بيده وسئل عن نفسه فاخبر بما ينبغى كلم ذلك القس من دنا منه بكلام معجم ترجم لابى طالب بمعناه اعلموا ان أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى وقال غير واحد انه ظهر منه واشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فمنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولى الله سيدى أبى مدين نفعنا الله تعالى ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة وممن حكى هذا لسان الدين فى الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبى عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك

لظننت حين غدرت انك مفلت * هيهات أمك ما ظننت غرور
ان الامام على اقتصادك قادر
قربت ديارك أم نأت بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا
عما يسوس بحزمه ويدير
ملك يجود الى الجهاد بنفسه
فعدوه أبدا به مقهور
يامن يريد رضا الاله بسعيه
والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش امامه
والنصح من نصحائه مشكور
نصح الامام على الانام فريضة
ولاهله كفارة وطهور
وهى طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أوقد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك فى سنة تسعين ومائة واخبرنى أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الازدى ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين وأبو اسحق الفزارى صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أى شئ تقول فى نزولنا على هذا الحصن فقال هذا اول حصن لقيت من حصون الروم وهو فى نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه

افريقيه وما اليها ان أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وأرسلوا اليه ببيعتهم وهي من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهي طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب باطراف الكلام ما لا مطمع وراءه غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدي المبشر به في الاحاديث الذي يحثو المال ولا يعده وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون في محله ولابن سبعين من رسالة سلام عليك ورحمة الله سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمة الله الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة أعز ملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا قياس الكمال ومقدمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الذهن اليه قرأنعم العبد السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الاولياء وأسرار مشروطات الاذكياء الاتقياء السلام عليك يا من جاوز في السموات مقام الرسل والانبياء وزادك رفعة واستعلاء عن ذوات الملا الاعلى وذكر قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * وقال بعضهم عند ايراده جملة من رسائله التي منها هذه انها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وايثار الورع انتهى * وقال بعض العلماء الاكابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به ما نصه ببعض اختصار هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية والادب بالاندلس ونظر في العلوم العقلية وأخذ عن أبي اسحق بن دهاق وبرع في طريقه وجال في البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته وعظم أمره وكثر أتباعه حتى انه ترحم له أمير مكة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب السفر وكتاب الاجوبة اليمنية وكتاب الكد وكتاب الاحاطة ورسائل كثيرة في الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره

كم ذا تموّه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة * وعن زرود وجيران بذي سلم
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحي حي سوى ليلى فتسأله * عنها سؤالك وهم جر للعدم

ونشأ رحمه الله تعالى ترفا مبجلا في ظل جاه ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو وكان وسيما جميلا ملوكي البزة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات في الايثار والجود بما في يده رحمه الله تعالى * وقال في الاحاطة للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدها ولما وجه الى كلامه سهام الناقدين قصر أكثرهم عن مداه في الادراك والخوض في تلك البحار والاطلاع وساءت منهم في الممازجة له السيرة فانصرفوا عنه مكلومين ينذرون عنه في الآفاق من سوء العالة ما لا شئ فوقه وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب وعاقه الخوف من أمير المدينة عن الدخول اليها الى ان توفي فعظم بذلك الحمل عليه وبحث الاحدوثة عنه ولما وردت على سبتة المسائل الصقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتا للمسلمين

لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بابي اسحق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا امير المؤمنين هذا حصن بنته الروم في بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان انت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا في التدبير والرأي عندي ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحق الفزاري فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فما الرأي الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا في الدين واطماعا لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأي يا أمير المؤمنين ان تامر بالنداء في الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على

انتدب

انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه وبديهة من فكره رحمه الله تعالى انتهى * وقال بعض من عرّف به انه من أهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة * وقال في عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن بجاية مدة ولقي من أصحابنا ناسا وأخذوا عنه وانتفعوا به في فنون خاصة له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو أحد العلماء الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة هي موجودة بايدي أصحابه وله فيها ألغاز واشارات بحروف أبجد وله تسميات مخصوصة في كتبه هي نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هي كالاسامي المعهودة وله شعر في التحقيق وفي مراقي أهل الطريق وكتابته مستحسنة في طريق الادباء وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج في كل عام وهذه مزية لا يعرف قدرها ولا يرام ولقد مشى به للمغاربة في الحرم الشريف حظ لم يكن لهم في غير مدته وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ويهتدون بافعاله * توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار وذكر رحمه الله تعالى في ترجمة تلميذه الشيخ أبي الحسن الششتري السابق الذكر ان أكثر الطلبة يرجحونه على شيخه أبي محمد بن سبعين واذا ذكر له هذا يقول انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وتصور باعهم * ومن تآليف ابن سبعين الفتح المشترك ومما حكاه صاحب عنوان الدراية في ترجمة الششتري مما لم نذكره في ترجمته الماضية ورأينا ذكره هنا تبركا أن الششتري كان في بعض أسفاره في البرية وكان رجل من أصحابه قد أسر فسمعه الفقراء يقول الينا يا أحمد فقيل له من أحمد الذي ناديته يا سيدي في هذه البرية فقال لهم من تسرون به غدا ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل المأسور فقال الشيخ للفقراء هنيئا لنا باقتحام العقبة صافحوا أخاكم المنادى به ومن مناقبه نفع الله تعالى به أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهريج جاءه الشيخ الصالح أبو اسحق الزرناتي نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولي أبي عبد الله الصنهاجي نفع الله تعالى به مع جملة أصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة فجلسوا لانتظاره فلم يكن الا قليل اذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد وأقبل على الفقراء وأثر العبرة على وجنته فقال ائتوني بمداد فلما أحضر بين يديه تأوه تأوها شديدا كاد أن يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب على اللوح هذه الابيات

لا تلتفت بالله يا ناظري * لا هيف كالغصن الناضر
يا قلب واصرف عنك وهم البقا * وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب والبان وما لعلع * ما الخيف ما ظبي بني عامر
جمال من سميته دائر * ما حاجة العاقل بالدائر
وانما مطلبه في الذي * هام الورى في حسنه الباهر

هـذا الحصـن الى أن يفتحه الله عزوجل عـلى المسلمـين و تام

بتقطع الخشب و جمع الاحجار و بناء مدينة بازاء هـذا الحصن الى أن يفتحه الله عزوجل ولا يكون هذا الخبر ينمو الى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فأمر الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس في البناء فلما رأى اهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون في الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفي خبر أبي عمير بن عبد الباقي زيادات منها خبر الجارية التي سباها الرشيد من هذا الحصن وهي ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزاد فيها صاحب الرشيد في المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه و بنى لها نحو الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة حكاية بحصن هرقلة ببلاد الروم في خبر طويل قد أتينا على جميعه في كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرني أبو العيناء قال أخبرني شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا

أفاد للشمس سنى كالذى * أعاره للقمر الزاهر
أصبحت فيه مغرما حائرا * لله در المغرم الحائر

وكانوا يوما ببلد مالقة وكثيرا ما يجود عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى فقال مجلا رضى الله تعالى عنه وفهم من الآية ما لم يفهم وعلم منها ما لم يعلم

انظر للفظ أنا يا مغرما فيه * من حيث نظرتنا لعل تدريه
خل ادخارك لا تفخر بعارية * لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسر حاملة * ان شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص ببجاية من أهلها يعرف بأبى الحسن بن علال من أهل الامانة والديانة فوجده يذاكر بعض أهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستعماله لمحاضرة الفهم فاعتقد شيأ اختصه وتقديمه ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعالى ويأتيهم بما كول فلما يسر جميع ما هم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر الثانى الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقراء زادا فلما كان فى الليل رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما قال الرجل فنهضت اليه بسرور رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ادع الله تعالى لى فالتفت لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقال يا ابا بكر أعطه فاذا به رضى الله تعالى عنه قسم رغيفا كان بيده وأعطانى نصفه ثم أفاق الرجل من منامه وأخذه وجد من هذه الرؤيا المباركة فأيقظ أهله واستعمل نفسه فى العبادة فلما كان من الغد سار وأتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا على اقرب فلما قرب قال له يا على لو أتيت بالكل لاخذت منه الرغيف بكماله انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن غصن الاشبيلى) من ولد شداد بن أوس الانصارى الجزيرى نسبة الى الجزيرة الخضراء الامام المقرى الزاهد عرض على الاستاذ ابن أبى الربيع الموطأ من حفظه وأخذ عنه النحو وكان من أولياء الله تعالى الصالحين وعباده الناصحين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث وأحكامه فقيها عارفا متقنا لمذاهب الأئمة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من أحد شيأ مخلصا لله تعالى يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية وأقرأ القرآن بمكة مدة بالقرا آت وبالمدينة وبيت المقدس وممن قرأ عليه خليل امام المالكية بالحرم والشهاب الطبرى امام الحنفية بالحرم وله مصنفات فى القرا آت منها مختصر الكافى وكتاب فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ تخمينا وتوفى ببيت المقدس آخر سنة ٧٢٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الفقيه الاستاذ النحوى التاريخى اللغوى أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى يكنى أبا العباس وأبا جعفر) قرأ بالاندلس على مشايخ من أفضلهم الاستاذ أبو على عمر الشلوبين ثم ارتحل الى العدوة وسكن بجاية وأقرأ بها مدة وارتحل الى المشرق فحج ثم رجع الى حضرة تونس واتخذها وطنا واشتغل بها بالاقراء الى أن مات كان يتبسط لاقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة وله

تواليف

مكتوبا عليه باليونانية فخفت أترجمه والرشيد ينظر الى وأنا لا أعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم عافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا لنفسه موفرا الخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن اهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من اهلها كأجمل الرجال قد خرج فى اكمل السلاح فنادى يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم ايقاظه فقيل له يا امير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه ويطغيه ويجرئه أن يخرج فى غد

تواليف كثيرة منها على الجمل وشرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شئ من فصيح كلام العرب قال الغبريني رحمه الله تعالى ورأيت له تآليفا في الاذكار وله عقيدة في علم الكلام ورأيت له مجموعا سماه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل والحرف وله تواليف أخر وكان من أساتيذ افريقية في وقته وممن أخذ عنه واستفيد منه انتهى * وذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن المذكور تأليفا سماه التجنيس وله شرح أبيات الجمل سماه وشي الحلل رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ أبي الحسن حازم وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجده فحكى أبو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازما قال كنت يوما بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب وسمعت نقر الباب فخرجت فاذا بالفقيه أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادرا حتى أدخله وبالغ في بره واكرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة * فقال له يا فقيه أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه الا قول الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وبشرها وأصلحها بخطه وأصل هذا اللبلي من لبلة بالاندلس اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحويا فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بم انتصب خير مقدم فقال له اللبلي على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وتذكره سيبويه ثم سرد عليه الباب من أوله الى آخره فانه كان يحفظ أكثره فأكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى ومن خطه المبارك نقلت ان الاستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله تعالى قرأ عليه يوما قول امرئ القيس

حي الحمول بجانب العزل * اذ لا يلائم شكلها شكلي

فقال لطلبته ما العامل في هذا الظرف يعني اذ فتنازعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على استاذنا أبي علي الشلوبين فسألنا هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يغض منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ولم يتكلم بغرائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا الى أبي علي فنسي حتى قرئ عليه قول النابغة * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * فتذكر وقال ما فعلتم في سؤال ابن عصفور فصدقناه الحديث فأقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبلي لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لأنفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة نحو ونظر كلما حكمنا بحكم صدتنا عنه قوانين نحوية حتى مضت مدة طويلة فوفد علينا بتونس المحروسة أحد طلبة ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا أسا كنا بسبتة وهو أحد طلبة الشلوبين أيضا ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية فجرت هذه المسئلة

فيطلب المبارزة ويعود فيتمثل قوله فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدره جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب فاذن لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد منا صيت فان رأى امير المؤمنين أن يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا يا امير المؤمنين فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي في يدي اشد ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد وأتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج

في قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين فقال هذا الطالب ان هذا الظرف وقع موقع لام العلة فعلمنا أن هذا هو الذي أراد الاستاذ أبو علي ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلته ظرفا فلابد من العامل واذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين والذي يجوز عكسه على مذهب الجميع وانما الاولى أن يقال اذ حرف معناه التعليل نشترك فيه الاسماء كما اشتركت في عن والله أعلم بغيبه انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي) قال الحافظ المقريزي وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم في حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة فما بين توجه وعبادة وتصنيف جمع في تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين وله كتاب التذكرة في أمور الآخرة في مجلدين وشرح التقصي وله تآليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما وتوفي بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ودفن بها رحمه الله تعالى * وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح الى الغاية اثنا عشر مجلدا انتهى * وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد أجحف المصنف في ترجمته جدا وكان متفننا متبحرا في العلم انتهى * وكتب بعض باثر هذا الكلام ما نصه قال الذهبي رحل وكتب وسمع وكان يقظا فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى * وكتب آخر اثر ذلك الكلام ما صورته مشاححة شيخنا المصنف في هذه العبارة مالها فائدة فان الذهبي قال في تاريخ الاسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الامام القرطبي امام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشان الركبان وله الاسنى في شرح الاسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى * وكتب آخر باثر هذا الكلام ما نصه غفر الله لك اذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول ان مشاححة شيخك لا فائدة فيها وتسيء الادب معه وتقول ان كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك انتهى * (ومنهم أبو القاسم بن حاضر الجزيري الخزرجي محمد بن أحمد) من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعدما كان من عدول بلنسية وكان فصيحا عالما بصناعة التوريق وله نظم لم يحضر في الآن شيء منه ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو القاسم التجيبي محمد بن أحمد التجيبي) من أهل بلش قرأ على ابن مفرج وابن أبي الاحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له أدب وشعر منه قوله من أبيات

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشيء في ادراكه شيآن

انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا باس فادوه ليس يخرج وهو عدهم واحدا واحدا لك سنا الا رجل واحد فلما خصل منهم ابن الجزري نادى له العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم وقال له الرومي أتصدقني عما أسألك عنه قال نعم قال أنت ابن الجزري بالله قال اللهم نعم قال فكفؤ له قال بلى كفؤ ثم أخذا في شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكادا الفرسان أن يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد اشتدت الحرب عليهما وتبلد جوادا هما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي نظن انه قد بالغ فيها فيتقيها الرومي وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضربه الرومي فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزري كانت يمانية وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعطعط المشركون من حصنهم وانما كانت حيله من ابن الجزري فاتبعه العلج وعلا عليه ولما تمكن منه ابن الجزري رماه

يا ليته ترك الذي أنا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني

ولد بيلش سنة ٦٢٣ وتوفي بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥ وممن روى عنه نحوي الزمان اثير الدين أبو حيان وغيره رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو بكر الخزرجي محمد بن أحمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقي المالكي) قال الشريف أبو القاسم انه كان أحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما في أيدي الناس يأكل من كسب يده ولا يقبل لاحد شيأ مع وجد وعلم وعمل وفضل وأدب ولم يكن في زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربية على الشلوبين وقرأ القراآت السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده نجارا وكان لا يأكل الا من كسب يده بخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا به فترك ذلك وصار يدق القصد يرويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى أحد ليقبلها وجاءه شخص قدزيد عليه في أجرة مسكنه ليشفع الى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد فمضى الى صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر فعلم بذلك الساكن بعد مدة فقال له ياسيدي ما سألت الاشفاعة وأنت تزن عني فقال له رجل له دار يأخذ أجرتها يجيء اليه الخزرجي يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا أنا فلم يزل يدفع الزائد الى أن انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ عن خمس وأربعين سنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى ونفعنا به *(ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرح الهاشمي مولاهم) لان ولاءه لبني العباس من أهل قرطبة ولد في شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع بها من وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيره ورحل فحج وأدرك عصر ابن الورد وابن رشيق وأبا علي بن السكن ونظراءهم في سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات في شهر رمضان سنة ست وأربعمائة قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من أهل الاجتهاد في العبادة مائلا الى التقشف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متبعا للسنن *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سلمان بن أحمد بن ابراهيم الزهري الاندلسي الاشبيلي) ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٠٩ وعمره ثلاثون سنة وأقام بها مدة وسمع من شيوخها كابي الفرج بن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطه وسافر الى أصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشئ المقامات وصنف كتاب البيان والتبيين في انساب المحدثين ستة أجزاء وكتاب البيان فيما أبهم من الاسماء في القرآن مجلد وكتاب أقسام البلاغة واحكام الصناعة في مجلدين وكتاب شرح الايضاح لابي علي الفارسي في خمسة عشر مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلد وكتاب شرح اليميني في مجلد قال المنذري توفي شهيدا قتله التتار في رجب وقال ابن النجار في سابع عشر رجب ٦١٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الاعلى ابن القاسم القرطبي المقرى المعروف بالورشي) نسبة الى قراءة ورش لاشتهاره بها وهو أحد القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القرآن سمع بمصر

وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا في حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقيل انهم نادوا بالامان فامنوا وافتتحها عنوة أشهر من قول من قال انها افتتحت صلحا فقال في ذلك الشاعر المكي

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا
خواثما ترتمي بالنفط والنار
كأن نيرانها من جنب قلعتهم
مصقلات على ارسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت الاموال على ابن الجزري ونود وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسأل أن يعفى ويترك على ما هو عليه ففي ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة بالخراب
من الملك الموفق للصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا
ويبرق بالمذكرة العضاب
ورايات يحل النصر فيها * تمر كأنها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم * وأبشر بالغنيمة والاياب

والشام والحجاز والعراقين والجبل وأصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع على ابن المرزبان باصبهان وبالاهواز عبد الواحد بن خلف الجنديسابورى وبفارس أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى وقال ابن النجار قدم بغداد وحدث بها توفى بسجستان فى ربيع الاول سنة ٣٩٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجى اللخمى) قال ابن بشكوال مولده فى صفر سنة ٣٥٦ وسمع عن جده ورحل الى المشرق وقال ابن غلبون فى مشيخته انه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل قائما بها واقفا عليها عاقدا للشروط محسنا لها عارفا بها وبيتهم بيت علم ونباهة هو وأبوه وجده وكان جميعهم فى الفضل والتقدم على درجاتهم فى السن وعلى منازلهم فى السبق وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة وشاركه فى السماع والرواية عن جده وسمع بمصر من أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن زريق المخزومى وقال ابن بشكوال كان من أجل الفقهاء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدما على أهل الوثائق عارفا بعللها وألف فيها كتابا حسنا وكتابا فى السجلات الى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى وتوفية العلم حقه من الوفاء والتصون توفى فى المحرم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبى الاندلسى القرطبى الفقيه المالكى المشهور صاحب العتبية) سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذى جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس وتعرف بالعتبية وأكثر الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة وكان يؤتى بالمسئلة الغريبة فاذا سمعها أدخلها فى المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها خطأ كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره * قال يونس توفى بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبى نسبة الى عتبة بن أبى سفيان بن حرب وقيل الى جد له كان يسمى عتبة وقيل الى ولاء عتبة بن يعيش * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا المعافرى المقرى الفرضى الاديب) ولد بالاندلس سنة ٥٩١ ونشأ ببلنسية وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة فى القراآت على وزن الشاطبية لكن أكثر أبياتا وصرح فيها بأسماء القراء ولم يرمز كما فعل الشاطبى وكانت له يد فى الفرائض والعروض مع معرفة القراآت والادب ومن شعره

اذا ما اشترت بنت أباها فعتقه * بنفس الشرا شرعا عليها تأصلا
وميراثه ان مات من غير عاصب * ومن غير ذى فرض لها قد تنزلا
لها النصف بالميراث والنصف بالولا * فان وهب ابنا أو شراه تفضلا
وأعتق شرعا ذلك الابن ماله * سوى الثلث والثلثان للاخ أصلا
وميراثها فيه اذا مات قبلها * كميراثها فى الاب من قبل يجتلى
ومولى أبيها ما لها الدهر فيه من * ولاء ولا ارث مع الاب فاعقلى

وهذه المسئلة ذكر الغزالى فى الوسيط انه قضى فيها أربعمائة قاض وغلطوا وصورتها ابنة

وللرشيد مع يعفور هذا بعد ذلك أخبار كثيرة قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا الاوسط وما كان من خبره فى ارساله ليحيى بن الشخير حين أمره ان يتطارش على يعفور وما كان من يعفور واخباره ابطارقته ان الرشيد بعث بهذا متصامما وما طالبه ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه انما كان من ماء عين العشيرة وهى عين البذندون وهى فى نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد يعفور استراق بن يعفور بن استراق فى أيام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك قسطنطين قلفط وكان ملك قسطنطين هذا فى خلافة المأمون (ثم ملك بعده) نطرنوفيل وذلك فى خلافة المعتصم وهو الذى فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخائيل بن نوفيل وذلك فى خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين ثم كان بين الروم تنازع فى الملك فملكوا عليهم نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل (ثم غلب على الملك نسيل)

اشترت أباها فعتق عليها ثم اشترى الابن أبنا فعتق عليه ثم اشترى عبدا فأعتقه ثم مات الاب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الانثيين ثم مات العبد المعتق فلمن يكون ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهى مشهورة ＊(ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل أبو عبد الله الاموى الاندلسى الطليطلى المعروف بالنقاش) نزل مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصى وأخذ عنه جماعة وتوفى بمصر سنة ٥٢٩ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسى القبرى القرطبى المؤدب) رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع بمصر من أبى محمد بن الورد وأبى قتيبة سالم بن الفضل البغدادى وغيره وكان صالحا خيرا مؤدبا سمع من الناس وتوفى سنة ٣٦٢ والقبرى بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا ＊(ومنهم جمال الدين أبو بكر او ابو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الشريشى المالكى) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عماد الحرانى وبدمشق من مكرم بن أبى الصقر وبحلب من أبى البقاء يعيش بن على النحوى وسمع باربل وبغداد وأقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولى مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصرى بالجبل وأقام بدمشق يفتى ويدرس وكان من العلماء الزهاد كثير العبادة والورع والزهد أحد الائمة المبرزين المتبحرين فى العربية والفقه على مذهب الامام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا فى الاشتقاق وشرح ألفية ابن معطى وأخذ عنه الناس وطلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقى المنصب لاجله شاغرا الى أن مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسحمان بسين مهملة مضمومة ثم حاء ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون＊(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبى المعروف والده بالقنتورى) وكان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا وولد هو سنة ٣٢٨ وكان مسكناه بقرطبة بقرب عين قمت أوربة وسمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا ومن ابن دليم والخشنى ورحل سنة ٣٣٧ وسمع بمكة من ابن الاعرابى ولزمه حتى مات وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ودخل صنعاء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقى صاحب احمد البزار وسمع من السيرافى وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والاسكندرية فبلغت عدة شيوخه الى مائتين وثلاثين شيخا وروى عنه ابو عمر والطلمنكى وجماعة وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه ابى سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من اقرانه وعاد الى الاندلس من رحلته سنة ٣٤٥ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة والف له عدة كتب واستقضاه على استجة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨ قال الحميدى هو محدث حافظ جليل صنف كتبا فى فقه الحديث وفى فقه التابعين فمنها فقه الحسن البصرى فى سبع مجلدات وفقه الزهرى فى اجزاء كثيرة وسمع مسند ابن الفرضى وحديث قاسم بن اصبغ قال ابن الفرضى وكان عالما بالحديث بصيرا برجاله صحيح النقل حافظا جيد الكتابة على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف فى حقه انه كان من اعى الناس بالعلم واحفظهم

الصقلبى ولم يكن من اهل بيت الملك وكان ملكه ايام المعتز والمهتدى وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون ابن نسيل بقية ايام المعتمد وصدرا من ايام المعتضد (ثم هلك) فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن اليون بن نسيل الصقلبى وكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفى وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته فى الملك ارميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبى بابنته وذلك فى بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضى والمتقى الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة ابى اسحق المتقى بن المقتدر وملوك الروم فى هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور ارميوس المتغلب ثم الثانى وهو قسطنطين ابن لاوى بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل أرميوس ابنا له آخر صاحب الكرسى بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذى ياخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى

للحديث وأبصرهم بالرجال ما رأيت مثله في هذا الفن من أوثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتبا وأشدهم تعبا لروايته وأجودهم ضبطا للكتبه وأكثرهم تصحيحا لما لم يدع فيها شبهة رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو عبد الله القيسي الوضاحي محمد بن احمد بن موسى) رحل الى المشرق وسمع من السلفي وغيره جملة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المرية مدة وبها مات سنة ٥٣٩ وقيل في التي بعدها وكان من أظرف الناس وأحسنهم أدبا فقيها فاضلا ثقة ذا فرائد جمة عفيفا معتنيا بالعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري البلنسي) ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفي وابن عوف والحضرمي والتنوخي والعثماني وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية في الصلاح والورع وأعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة في اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح الاشبيلي) ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة باشبيلية وجال في بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلاء وحصل كثيرا في علم القرا آت والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقرآن جيد الاداء له وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن أسباط المخزومي القرطبي) روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحرث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفي سنة ٣٧٩ *(ومنهم أبو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة) مولده سنة ٣٠٦ روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من الزبير وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الا[ندلس] فأقبل على الزهد ودراسة العلم وحدث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفي بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسليم [بضم] السين مكبرا *(ومنهم موسى بن بهيج المغربي الاندلسي الواعظ الفقيه العالم) من أهل المرية نزل مصر يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والادب وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه وحدث المرشاني عنه بخمسة في الحج وأعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولابن بهيج هذا قوله

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها * واجتهد ما فدر ساعه
واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

*(ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر) من أهل مرسية سمع صهره أبا علي ابن سكرة الصدفي وكانت بنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبي محمد بن مفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع قرأ عليهما الموطا ورحل وحج وسمع السنن من الطرطوشي وعني بالرواية وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبي علي نحو ستين مرة وكتب أيضا الغريبين للهروي وغير ذلك وكان أحد الافاضل الصلحاء والاجواد السمحاء يؤم بالناس في صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره أبي علي وما يحتاج اليه

الروم على حسب ماذكرنا والله أعلم ما يكون من أمرهم في المستقبل من الزمان فمدد سني ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين ابن هلاني وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا في هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلاني اثنان وأربعون ملكا في مدة هذه السنين المعدودة وقد ذهب جماعة ممن عني بأخبار العالم الى أن من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعة وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى *(ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار من

من دقيق الاشياء وجليلها واليه أوصى عند توجهه الى غزوة كتندة التى فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة وكانت له مشاركة فى علم اللغة والادب وقد حدث عنه ابن أخيه القاضى أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سفادة بكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة وبالفصيح لثعلب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الازدى) من أهل وادى آش له رحلة الى المشرق أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبى طاهر الخشوعى مقامات الحريرى وابن عساكر وغيرهما ثم قفل الى بلده انتهى ملخصا من ابن الابار * وحكى الصفدى أن ابن المستكفى اجتمع بالمتنبى بمصر وروى عنه شيأ من شعره ومما روى عنه انه قال أنشدنى المتنبى لنفسه

لاعبت بالخاتم انسانة * كمثل بدر فى الدجى الفاحم
وكلما حاولت أخذى له * من البنان المطرف الناعم
ألقته فى فيها فقلت انظروا * قد خبئ الخاتم فى الخاتم

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو عبد الله بن مالك) صاحب التسهيل والالفية وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائى الجيانى المالكى حين كان بالمغرب الشافعى حين انتقل الى المشرق النحوى نزيل دمشق ولد سنة ستمائة أو فى التى بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبى صادق الحسن بن صباح وأبى الحسن بن السخاوى وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فممن أخذ عنه بجيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت ابن خيار عرف بابن الطيلسان وأبى رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعى من أهل لبلة وأخذ القراآت عن أبى العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبى عبد الله ابن مالك المرشانى وجالس يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان اماما فى القراآت وعالما بها وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة فى قدر الشاطبية وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها قال الصفدى أخبرنى أبو الثناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهرى فى اللغة قال الصفدى وهذا أمر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما فى الكتابين و[illegible] برنى عنه أنه كان اذا صلى فى العادلية لانه كان امام المدرسة يشيعه قاضى القضاة ابن خلكان الى بيته تعظيما له وقد روى عنه الالفية شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدى خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ورواها اجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالاجازة عنهما عنه وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشق لجه وأما اطلاعه على أشعار العرب التى يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الائمة الاعلام يتحيرون فى أمره و[illegible] الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لانه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث وان لم يكن فيه شئ عدل الى أشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتاب تسهيل الفوائد قال الصفدى ومدحه

ملوكها وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب)* (قال المسعودى) ذكر الله جل ثناؤه مصر فى مواضع من كتابه فقال عز وجل وقال الذى اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء * فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر فى شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها [illegible]واب وتلال مثل [illegible]واكب قد أحاطت [illegible]بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا فى الزوارق واما المسكة السوداء فان فى شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمردة الخضراء فان فى شهر طوبه وهو كانون الثانى وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو أذار

سعد الدين محمد بن عربي بأبيات مليحة الى الغاية وهي

ان الامام جمال الدين جمله * رب العلا ولنشر العلم أهله

أملى كتابا له يسمى الفوائد لم * يزل مفيدا للذى يتأمله

وكل مسئلة فى النحو يجمعها * ان الفوائد جمع لانظير له

قال وفى هذه الابيات مع حسن التورية فيها مالا يخلو من ايراد ذكرته فى كتابى فص الخاتم انتهى قلت أجاب المجدى عن ذلك بان الابيات ليست فى التسهيل وانما هى فى كتاب له يسمى الفوائد وهو الذى لخصه فى التسهيل فقوله فى اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر أيضا أنه مثل التسهيل فى القدر على ماذكره من وقف عليه وقال واليه يشير سعد الدين محمد بن عربى بقوله ان الامام الى آخره وسعد الدين ابن الشيخ محيى الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال المجدى وذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد وعلى هذا الاصح قول الصفدى ان المدح المذكور فى التسهيل الا بارتكاب ضرب من التأويل انتهى كلام المجدى قلت وذكر غيره أن قوله فى الالفية مقاصد النحو بها محويه اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محويه فانه لو كان كما ذكر لقال محوى واجاب بعضهم بانه من باب الاستخدام وفيه تعسف (رجع) ومن تصانيف ابن مالك الموصل فى نظم المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبك المنظوم وفك المختوم ومن قال ان اسمه فك المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهى مختصر الشافية واكمال الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية الافعال وشرحها وفعل وأفعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد فى الظاء والضاد مجلد واعراب مشكل البخارى وتحفة المودود فى المقصور والممدود وغير ذلك كشرح التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد ومحب الدين بن جعوان وشمس الدين بن أبى الفتح وابن العطار وزين الدين أبو بكر المزى والشيخ أبو الحسين اليونينى وأبو عبد الله الصيرفى وقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم ومن نظمه فى الحلبة

خيل السباق المجلى بعده مصل والمسلى وتال بعده مرتاح

وعاطف وحظى والمؤمل واللطيم والفسكل السكيت ياصاح

وله من هذه الضوابط شئ كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوه صغيران وناهيك بمن يقول هذا فى حق الزمخشرى وكان الشيخ ركن الدين بن القوبع يقول ان ابن مالك ماخلى للنحو حرمة وحكى عنه أنه كان يوما فى الحمام وقد اعتزل فى مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال ماتصنع فقال أكنس لك الموضع للقعود قال بعضهم وهذا مما يستبعد على دين ابن مالك والعهدة على

يلمع ويكثر عشبها ونباتها فقصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فان فى شهر برموده وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤنه وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك فى الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحروبهم حرب وهى لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ماورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومى فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفربيا وحمراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدأهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومد بهما فيما سلف من هذا الكتاب وأنه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة

ناقله قال الصفدي ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس وتوفي ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقال بعضهم من أحسن شعر ابن مالك

اذا رمت عيني تداويت منكم * بنظرة حسن او بسمع كلام
فان لم اجد ماء تيممت باسمكم * وصليت فرضي والديار امامي
واخلصت تكبيري عن الغير معرضا * وقابلت أعلام السوى بسلام
ولم ار الا نور ذا تلك لائحا * فهل تدع الشمس امتداد ظلام

وقدم رحمه الله تعالى القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم * وقال الشرف الحصني يرثيه

يا شتات الاسماء والافعال * بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط * منه في الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم باذن الله من غير شبهة ومحال
عدم النحو والتعطف والتو * كيد مستبدلا من الابدال
ألم اعتراه اسكن منه * حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكتة لهمز قضاء * اورثت طول مدة الانفصال
رفعوه في نعشه فانتصبنا * نصب تمييز كيف سير الجبال
خفضوه عند الصلاة بدل * فاميلت اسراره للدلال
صرفوه باعظم ما فعلوه * وهو عدل معرف بالجمال
ادغموه في الترب من غير مثل * سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا * مسكنا للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سبا الحظ منه * حظه جاء اول الانفال
يا بيان الاعراب يا جامع الاعراب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان في النظم والنثر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوم بثثتها في اناس * علموا ما بثثت عند الزوال

انتهت ملخصة قال الصفدي وما رأيت مرثية في نحوي أحسن منها على طولها انتهى ودفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضي عز الدين بن الصائغ وقال العيني بتربة ابن جعوان ورثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعي * حمرا يحاكيها النجيع القاني
فلقد جرحت القلب حين نعيت لي * وتدفقت بدمائه اجفاني
لكن يهون ما اجن من الاسى * علمي بنقلته الى رضوان
فسقى ضريحا ضمه صوب الحيا * يهمي به بالروح والريحان

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القائل يخاطب رضي الدين الشاطبي الاندلسي وقد كلفه ان يشتري له قطرا

وغيرها مما اشتهر من الانهار الكبار وقد قالت العرب في النيل انه اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادتها من غيضه وغيضه من زيادتها قال البصري يغيض ان زاد له الانهار في الارض ذات العرض والمقدار وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالي الانواء وتوالي الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فتحبسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع في النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار في أخبار الزمان في الفن الثاني فأغنى ذلك عن اعادتها في هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا

ايها الاوحد الرضى الذى طا * ل علاء وطاب فى الناس نشرا

انت بحر لا غرو ان نحن وافيـ * ـناك راجين من نداك القطرا

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبى الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابى حيان ولم يأخذ ابو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة * وقال بعض من عرف بابن مالك انه تصدر بحلب مدة وأم بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات وأشعار العرب مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمت والصيانة والتحرى لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذبا ذا رزانة وحياء ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجى وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلماء الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد * وقال بعض الحفاظ ممن عرف بابن مالك يقال ان عبد الله فى نسبه مذكور مرتين متواليتين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه أول شرح له وهو الذى اعتمده الصفدى وابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الانصارى وعلى كل حال فهو مشهور بجده فى المشرق والمغرب * وحكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وعليه عوّل شيخ شيوخنا ابن غازى فى قوله

قد خبع ابن مالك فى خبعا * وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى

وقيل كما تقدم ان مولده سنة ستمائة أو بعدها بجيان الحرير مدينة من مدن الاندلس جبرها الله كسرها وهى مفتوحة الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدر ابن مالك بحماة مدة وانتقد بعضهم على ابن خلكان اسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه الى الغاية وقدم رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه انه أعلم الناس بالعربية والحديث ويكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ النووى والعلم الفارقى والشمس البعلى والزين المزى وغيرهم ممن لا يحصى * وكان رحمه الله تعالى كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب شيأ من محفوظه حتى يراجعه فى محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الاثبات ولا يرى الا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف أو يقرى وكذا كان الشيخ أبو حيان ولكن كان جده فى التصنيف والاقراء * وحكى أنه توجه يوما مع أصحابه للفرجة بدمشق فلما بلغوا الموضع الذى أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق وأغرب من هذا فى اعتنائه بالعلم ما مر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدها بعضهم بثمانية وفى عبارة بعض أو نحوها لقنه ابنه اياها وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى فجزاه الله خيرا عن هذه الهمة العلية * وذكر أبو حيان فى الجوازم من تذييله وتكميله أنه لم يصحب من له البراعة فى علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شان من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصى وتنقيرى عمن قرأ عليه واستند فى العلم اليه فلم أجد من يذكر لى شيئا

تفسير نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى بدء النيل منه وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق وقد روى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شانها عجيب * ونيلها يجرى به الجنوب

وهى مصر واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد قال عمرو بن معد يكرب

ما النيل أصبح واحدا تعدوده * وجرت له ريح الصبا فجرى لها

عوّدت كندة عادة محمودة * فاصبر لها اهاوروّ سجالها

(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤنه وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلا وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا

شيأ من ذلك ولقد جرى يوما مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي فقال ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان وأنه جلس في حلقة الاستاذ أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشان وأنما جلالته وشهرته في اقراء القرآن هذا حاصل ما ذكره أبو حيان * قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسي وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الا هوى النفس وسرعة الانحراف فنفيه المستند عنه والمتبع شهادة نفي فلا تسمع ولا تسمع ويكفي ما سطر في حقه قوله في أثنائه نظر في هذا العلم كثيرا ونشر وجمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب وان منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة اذ هي مرتبة الا كابر النقاد وأرباب النظر والاجتهاد وقوله في موضع آخر من تذييله لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما في تسهيله وقرنه في بحره مصنف سيبويه فما ينبغي له أن يغمصه ولا أن يحط عليه ولا أن يقع فيما وقع فيه فانه ما يجري على أمثاله الغبي والنبيه والحليم والسفيه وما هذا جزاء السلف من الخلف والدرر من الصدف والجيد من الحشف أوما ينظر الى شيخه أبي عبد الله بن النحاس فانه لا يذكره الا بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس ومن كلامه في نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول والى تلميذه أبي البقاء الحافظ المصري حيث يقول فيه أعني في أبي حيان

هو الاوحد الفرد الذي تم علمه * وسار مسير الشمس في الشرق والغرب
ومن غاية الاحسان مبدأ فضله * فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الاحسان في هذا الشان التصانيف التي سارت بها الركبان في جميع الاوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادي والداني والقاصي والصديق والعدو فتلقاها بالقبول والاذعان فسامح الله تعالى أبا حيان فان كلامه يحقق قول القائل كما تدين تدان ورحم الله تعالى ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوما دارسة وبين معالم طامسة وجمع من ذلك ما تفرق وحقق ما لم يكن منه تبين ولا تحقق ورحم شيخه ثابت بن الخيار وهو أبو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعي بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب في الاحاطة وأصله من لبلة وبعد في أهل جيان وتوفي بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبو حيان يغض من هذا الكتاب ويقول ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن نهج الصواب والسداد وكثيرا ما يشير الى ذلك في شرحه المسمى بنهج السالك ومن غضه منه بالنظم في ملامس الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والاقران يجاريه مقتفيا له ومتناسيا في تسويد القرطاس

الفية ابن مالك * مطموسة المسالك
وكم بها مشتغل * أوقع في المهالك

ولا تغتر أنت بهذا الغرر فانه ما كل سحاب أبرق ممطر ولا كل عود أورق مثمر وقيل معارضة للقوم وتنبيها لهم بما فيه من النوم

من أرض مصر الريع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة في أصرائه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ في زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثني عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثني عشر ذراعا الى ما فوق يصير الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي مثل تلك السنة يكون الماء قليلا والادرع التي يستغنى عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهما الذراع الثالثة عشرة والذراع الرابعة عشرة فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعني ثلاث عشرة وأربع عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان الا أن يأذن الله عز وجل في زيادة الماء

ألفية ابن مالك * مشرقة المسالك
وكم بها مشتغل * علا على الارائك

وما أحسن قول ابن الوردى فى هذا المعنى

يا عائبا ألفية ابن مالك * وغائبا عن حفظها وفهمها
أما تراها قد حوت فضائلا * كثيرة فلا تجر فى ظلمها
وازجر لمن جادل من يحفظها * برابع وخامس من اسمها

يعنى صه فانه عند الاستقلال بمعنى اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند ذكره مصنفات ابن مالك وهى كما قيل غزيرة المسائل ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل وهى مع ذلك كثيرة الافادة موسومة بالاجادة وليست هى لمن هو فى هذا الفن فى درجة ابتدائه بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه انتهى * واعلم ان الالفية مختصرة الكافية كما تقدم وكثير من أبياتها فيها بلفظها ومتبوعه فيها ابن معطى ونظمه أجمع وأوعب ونظم ابن معطى أسلس وأعذب وذكر الصفدى عن الذهبى أن ابن مالك صنف الالفية لولده تقى الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة العجيسى بأن الذى صنفه له عن تحقيق المقدمة الاسدية قال وأما هذه يعنى الالفية فذكر لى من أثق بقوله أنه صنفها برسم القاضى شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنى الحموى الشافعى الشهير بابن البارزى ويقال ان هذه النسبة الى باب أبرز أحد أبواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالسنة انتهى مختصرا وقال بعض من عرف بابن مالك هو مقيم أود وقاطع لدد ومزين سماء موهتة الاصائل ديباجتها وشعشعت البكر زجاجتها وجاءت أيامه صافية من الكدر وأيامه وما بها شائبة من الكبر قد خلقها العشى برد وخلفها الصباح بربعه فكان كم حول مسجده وكل عين فاخرة بمسجده هذا وزمر الطلاب وطلبة الاحلاب لا تزال اليه القلاص وتكثر من سربه الاقتناص كان أوحد وقته فى علم النحو واللغة مع الديانة والصلاح انتهى وقال بعض المغاربة

لقد مزقت قلبى سهام جفونها * كما مزق اللخمى مذهب مالك
وصال على الاوصال بالقد قدها * فأضحت كأبيات بتقطيع مالك
وقلدت اذ ذاك الهوى لمرادها * كتقليد أعلام النحاة ابن مالك
وملكتها رقى لرقة لفظها * وان كنت لا أرضاه ملكا لمالك
ونادتها يا منيتى بذل مهجتى * ومالى قليل فى بديع جمالك

ويعنى بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحل السبتى رحمه الله تعالى ولما سئل ابن مالك عن قول النبى صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء أو بالنون أنكر النون فقيل له ان فى الغريبين للهروى رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى وقد ذكر فى المشارق النون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العذرى وابن الحذاء وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد

وخليج ذات الساحل وفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو أول وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى من طوبه وأصفى ما يكون النيل فى ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونه وسائر قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبه وستة من كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور الدانية

بعد الصلاح وقيل من القلة بعد الكثرة كان عمامته اذا لفها على رأسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت ويقال حار اذا رجع عن أمر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع الى الفساد بعد النقص أي بعد أن كان على خير مما رجع اليه وقال عياض في موضع آخر بعد الكور كذا للعذري والكون للفارسي والسجزي وابن ماهان وقول عاصم في تفسيره حار بعد ما كان وهي روايته ويقال ان عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الاثير سال ابن خلكان عنها فقال هو ابن مالك رحم الله تعالى الجميع وقد عرف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة لولده بدر الدين محمد وأنه كان حاد الذهن ذكيا اماما في النحو وعلم المعاني والمنطق جيد المشاركة في الفقه والتدريس وأنه تصدر بعد والده للتدريس ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده وهو كتاب في غاية الاغلاق ويقال انه نظير الرضي في شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة رحمهم الله تعالى أجمعين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدمري ويعرف بالشهيد) كان عظيم القدر جدا بالاندلس بعيد الاثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع الى الله تعالى وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوي البيوت الرفيعة وبرع بخصاله المحمودة وكان في نفسه فقيها عالما زاهدا خيرا ناسكا متبتلا نشأ على الاستقامة والصلاح والاقتداء والدعة وطلب العلم في حداثة سنه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر وأخذ بحظ وافر من علم المسئلة والجواب وكان أكثر علمه وعمله الورع والتشدد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ في علم السنة ثم ارتحل الى المشرق فر بمصر حاجا فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيها من عمل يده بالنسخ ثم سار الى العراق فلقي أبا بكر الابهري وأخذ عنه وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورع جدا وأعرض عن الشهوات وكان اذا سئم من النسخ الذي جعل قوته منه آجر نفسه في الخدمة رياضة لها فاصبح عابدا متقشفا مهيبا مخبتا عالما عاملا منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة ثم عاد الى بلده تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلثمائة وبها أبوه أبو الحسام طاهر حيا فنزل خارج مدينة مرسية تورعا عن سكناها وعن الصلاة في جامعها فاتخذ له بيتا سقفه من حطب السدر يأوي اليه واعتمر جنينة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر ثم تحول من قريته بعد عامين الى الثغر وواصل الرباط ونزل مدينة طلبيرة وكان يدخل منها في السرايا الى بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه ويعول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له بأس وشدة ونجدة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة الى أن استشهد مقبلا غير مدبر سنة ٣٧٩ أو في التي قبلها عن اثنتين وأربعين سنة وأبوه حي رحم الله تعالى الجميع

* (ومنهم أبو عبد الله القيجاطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور) مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذري ومن شعره قوله

اذا كنت تهوى من نأت عنك داره * فحسبك ما تلقى من الشوق والبعد
فياويح صب قد تضرم ناره * ووا حر قلب ذاب من شدة الوجد

من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون الحضور ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودي) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فاني سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهراء اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولي عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة وهي الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربي من الفسطاط

*(ومنهم أبو عبد الله و يقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى) ولد سنة ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من أبى عبد الله الرازى و بمصر من أبى صادق مرشد بن يحيى المدينى وأبى الحسن الفراء الموصلى وأبى عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى وغيرهم وحدث بدمشق وسمع أيضا بها و ببغداد وقدمها سنة ٥٥٦ ودخل خراسان وأقام بها مدة ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين وسكن دمشق وكان يذكر أنه رأى عجائب فى بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك الى ما لا يليق وصنف فى ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما أديبا وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر ونسبه بالكذب وقال ابن النجار ما علمته الا أمينا ومن شعره قوله

نكتب العلم ونلقى فى سفط * ثم لانحفظ لانفلح قط
انما يفلح من يحفظه * بعد فهم وتوقى من غلط

وقوله

العلم فى القلب ليس العلم فى الكتب * فلا تكن مغرما باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كى تفوز به * فالعلم لا يجتنى الامع التعب

توفى بدمشق فى صفر سنة ٥٦٥ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبى من ذرية أبى ثعلبة الخشنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) رحل قبل الاربعين وماتين فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبى موسى الزمن ونصر بن على الجهضمى وأبى حاتم السجستانى والعباس بن أبى الفرج الرياشى وسمع ببغداد من أبى عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدنى وبمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما أنوفا منقبضا عن السلطان أراده على القضاء فأبى وقال أبا بة اشفاق لا بابة عصيان فأعفاه وكان ثقة مأمونا توفى فى رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان وستين سنة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرح القرطبى) سمع من محمد بن وضاح وأكثر عنه وأخذ عن محمد الخشنى وقاسم بن أصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال ورحل سنة ٢٧٤ فسمع بمصر المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعينى وأدرك بالعراق اسمعيل القاضى وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال الحميدى حدث بالمغرب وبالمشرق وصنف السنن وممن روى عنه خالد بن سعد وقال لنا أبو محمد بن حزم مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات وتوفى فى ذى القعدة سنة ٣٣٠ بقرطبة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمى الرصافى القرطبى الحدادى) سمع بقرطبة من عبد الله ابن يونس وقاسم بن أصبغ وحج سنة ٣٣٩ سنة رد القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابى وبمصر من ابن الورد وأبى على بن السكن وعبد الكريم النسائى وغيرهم وسمع باطرابلس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عاقلا حدث وكتب عنه الناس وعلت سنه وتوفى بشوال سنة ٣٩٤ وولد فيما أظن سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب فى أشياء قرئت عليه وممن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى الجميع (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجى السعدى القرطبى) روى عن أبى الحسن على بن

والجانب الشرقى وهذا أيام سليمان بن عبد الملك ابن مروان وهو المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائه بالفسطاط وقد كان من سلف قيسون بالمقياس الذى عنف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس الجزيرة المعمول فى أيام سليمان ابن عبد الملك وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها و بناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان بمصر سبع خلجانات فيها خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا وذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوله الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا وكان الذى ولى حفر خليج

شام وروى عنه أبو القاسم بن بشكوال وقدم مصر وحدث بها وممن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضا القيسراني في آخرين واستوطن مصر وتوفي سنة ٥٨٨ *(ومنهم أبو بكر بن السراج النحوى) بتشديد الراء وهو محمد بن سعيد الملك بن محمد بن السراج الشنتمرى أحد أئمة العربية المبرزين فيها ويكفيه فخرا انه استاذ ابى محمد عبد الله بن برى المصرى اللغوى النحوى وحدث عن ابى القاسم عبد الرحمن بن محمد النفطى وقرأ العربية بالاندلس على ابن ابى العافية وابن الاخضر وقدم مصر سنة ٥١٥ واقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل الى اليمن وروى عنه أبو حفص عمر بن اسمعيل وأبو الحسن على والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب فى فضل الاعراب وكتاب فى العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه قال السلفى كان من أهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة فى جامع مصر لاقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندى رحمه الله تعالى مدة مقامى بالفسطاط توفى بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة خمس وأربعين وقيل خمسين وخمسمائة بمصر والاول أثبت *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن على بن سعيد العنسى) ويكنى أيضا أبا القاسم الغرناطى سمع من الجلة بمصر والاسكندرية ودمشق وبغداد منهم الحرانى أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق وكتب الحديث وعنى بالرواية أتم عناية وفقد باصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن الدفاع) بالدال وقيل بالراء قرطبى سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحرث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفى سنة ٢٨١ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافرى القرطبى) ولد بقرطبة سنة ٣٠٨ ودخل مصر فسمع من أبى بكر بن المهندس وأبى بكر البصرى وروى عن أبى عبد الله بن مفرج وأبى محمد الاصيلى وجماعة ولقى الشيخ أبا محمد بن أبى زيد فى رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته فى الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد من مصر الى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاخبار والآثار ثقة فيما رواه وعنى به خير افادة لادينا متواضعا متصاونا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظ من الفقه وبصيرا بالمسائل ودعى الى الشورى بقرطبة فابى ومات سنة ٤٣٩ وعابد جده بالباء الموحدة رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصارى البلنسى) أخذ القراآت عن جماعة من أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٥٦ فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفى وعاد الى بلده سنة ٥٧١ وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاداة الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة ٥٣٠ ومات سنة ٥٩٨ بمرسية رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبى المالكى الحافظ) ولد سنة ٤٧٩ وأخذ الفقه عن القاضى أبى الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى الموطأ عن أبى بحر سفيان بن العاص بن سفيان وأخذ الادب عن أبى الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الأموى وعن مالك بن عبد الله العتبى وخرج من قرطبة فى الفتنة بعد مادرس بها وانتفع الناس به فى فروع الفقه وأصوله وأقام بالاسكندرية خوفا من بنى عبد المؤمن بن على ثم قال كأنى والله بهم قد وصلت الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر

سردوس لفرعون عدو الله هامان فلما ابتدأ فى حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجرى الخليج الى تحت قراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما فى أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردده على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هامان ورد على أهل كل قرية ما أخذ منهم فليس فى الخلجان التى بأرض مصر أكثر عطوفا وعراقيل من خليج سردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذى حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك ان الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه فى البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلى من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قال المسعودى) وقد تنازع أهل الملة فى تصرف المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف فى أوامرهم ونواهيهم

بعد ماروى عنه السلفي وأقام بها مدة ثم قال والله ما بمصر والاسكندرية علماء دين ثم سافر الى الصعيد وحدث في قوص بالموطا ثم قال والله ما يصلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد فمضى الى مكة وأقام بها ثم قال وتصل الى هذه البلاد ولا تحج ما أنا الا هربت منه اليه ثم دخل اليمن فلما رآها قال هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه الى الهند فأدركته وفاته بها سنة ٥٥٠ وقيل بل مات بزبيد من مدن اليمن وكان من جملة العلماء الحفاظ متفننا في المعارف كلها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة حافل الادب من كبار فقهاء المالكية يتصرف في علوم شتى حافظا للآداب عارفا بشعراء الاندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حسن ايراد قال ابن نقطة خبرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الباء المنقوطة من تحتها باثنتين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي) قال ابن النجار ولد بمرسية سنة ٥٧٠ وقال غيره في التي قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحاج الى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية ثم سافر الى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بلاد بغداد وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وبكتاب غريب الحديث للخطابي وقدم الى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسي وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بتل الزعقة وكان من الائمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القرآآت والحديث والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق في المعاني مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة متدينا كثير العبادة فقيها مجردا متعففا نزه النفس قليل المخالطة لاوقاته طيب الاخلاق متوددا كريم النفس قال ابن النجار ما رأيت في فنه مثله وكان شافعي المذهب وله كتاب تفسير القرآن سماه ري الظمآن كبير جدا وكتاب الضوابط الكلية في النحو وتعليق على الموطا وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتبا في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه وكان كريما قال أبو حيان أخبرني الشرف الجزائري بتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين دينارا ذهبا فأخذتها قال الجمال اليمري أنشدني لنفسه بالقاهرة

فالوا الآن قد أزال بهاءه * ذاك العذار وكان بدر تمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه * ولذا تضاعف فيه فرط غرامي
استقصرت ألحاظه فتكاتها * فأتى العذار يمدها بسهام

ومن شعره قوله

من كان يرغب في النجاة فماله * غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره * سبل الغواية والضلالة والردى

ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ماوجبه أحوال الوقت والاصلح للعال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وحلحانها من المرتفع والمطأطئ ومطأطئ المطأطئ وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته أرضها بعد كونها خربة ومصفاة لمياه الصعيد وهي جزيرة قد أطال الماء حينئذ بها كثيرا قطارها فقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط فاغنى عن اعادته في هذا الكتاب وكذلك في تسمية الفيوم فيوما وان ذلك الفيوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض موضع الفسطاط في وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من اسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران فاتبع

فاتبع كتاب الله والسنن التي * صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فانه * باب يجر ذوي البصيرة للعمى
الدين ما قال النبي وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

*(ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البنتي الاندلسي الانصاري) قدم مصر واقام بالقرافة مدّة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه الى الشام فهلك قال الرشيد العطار كان من فضلاء الاندلسيين ونبهائهم ساح في الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بألسنة شتى ومن شعره قوله

اذا قل منك السعي فالعزم ناشد * وكل مكان في مرائك واحد
توجه بصدق واتق المين واقتصد * تحثك رهينات النجاح المقاصد

والبنتي بضم الباء وسكون النون نسبة الى بنت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة واو *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني الباجي ثم الاشبيلي المعروف بابن القوق) سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٦٦ فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وغيره وبمصر من محمد بن عبد الحكم ومن أخيه سعد وكان فقيها في الرأي حافظا له عاقدا للشروط قال ابن الفرضي كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدث عنه كان من معادن الصدق توفي سنة ٣٠٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشي الطبيب) اشتغل بالطب وبرع فيه وأقام بمصر مدّة وبها مات في عشر الستين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون العذري القرطبي) رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعني بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد وله في التكسير كتاب حسن قال صاعد تمهر في الطب ونبل فيه وأحكم كثيرا من أصوله وعاني صنعة المنطق معاناة صحيحة وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد ابن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي وكان قبل أن يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة وأخبرني أبو عثمان سعيد الطليطلي أنه لم يلق في قرطبة من يلحق محمد بن عبدون في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين الى المشرق من أهل الاندلس أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي) صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى فاق أهل زمانه ومات في مدينة دانية رحمه الله تعالى ووالده محمد بن مروان كان عالما بالرأي حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى متقدما فيها متقنا للعلوم فاضلا جامعا للدراية والرواية وتوفي بطلبيرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى

الارض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا في وجهه المسناة الآن ذلك خفي على ساكنها لان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التي تداولتها والملوك التي سكنتها من العرب وغيرها الا ما قد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من امر الاسكندر فيها (قال المسعودي) وقد كان احمد بن طولون بمصر بلغه في سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالي بلاد مصر من ارض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من اهل الملل وانه علامة بمصر وارضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر في الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه

وكانت بينه وبين الفتح صاحب القلائد عداوة ولذلك ... كتب فى شأنه الى أمير المسلمين على
يوسف بن تاشفين منصورنه أطال الله تعالى بقاء الامير الاجل ... الاجل سامعا للنداء داعيا للتطا
والاعتداء ... نضم الله تعالى بلبتك الملك عقدا وجـ ... لك حلا للاهوو عقدا وأوطأ
عقبا وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا الآن ... يكون للبرية حائطا وللعدل فى
باسطا حتى لا يكون فيهم من تضام ولا ينال أحدهم اهتضام ... تام ولتقصر يد كل معتد
الصلام وهذا ابن زهر الذى أجرته رسما وأوضحت له الى الا ... ستطالة سننا لم يتعده
الاضرار الاحبث انتهيته ولا عادى على عبه الاحين لم ... أو نهيته ولما علم أنه
لا تنكر عليه نكرا ولا تغير له متى ما مكر فى عباد الله مكرا جرى فى ميدان الاذية مل عنانه
وسرى الى ما شاء بعدوانه ولم يراقب الذى خلقه وأمد فى الخطوة عندك طلقه وأنت
بذلك مرتهن عند الله تعالى لانه مكنك لئلا يتمكن الجور ولتسكن بك الفلاة والغور
فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق وأخفق به كل فريق وقد علمت
ان خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما تخفى عليه نجواك ولا
يستتر عنه تقلبك ومثواك وستقف بين يدى عدل حاكم يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم قد
علم كل قضية قضاها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فتحتج معى لديه اذا وقفت
أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر يحميك فى ذلك المقام أو يحميك من الانتقام وقد
أوضحت لك المحجة لتقوم عليك الحجة والله سبحانه النصير وهو بكل خلق بصير لارب
غيره والسلام انتهى * وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه مقدمات بعض اخوانه غريقا

أتانى ورحلى بالعراق عشية * ورحل المطايا قد قطعن بنا نجدا
نعى أطار القلب عن مستقره * وكنت على قصد فأغلطنى القصدا

نعوا والله باسق الاخلاق لا يخلف ورموا قلبى بسهم أصاب صميمه فما أخلف لقد سام
الردى منه حسنا وجمالا ووسامة وطوى بطيه نجده وتهامه فعطل منه الندى والندى
وأشكل فيه المدى والهدى كم فل السيوف طول قراعه ودل عليه الضيوف مرقد ناره
ببقاعه وكم تشوف اليه السرير والمنبر وتصرف فيه الثناء والمخبر وكم راع البدر ليلة
ابداره وروع العدو فى قعر داره وأى فتى غداه البحر ضريحا وأعدى عليه الحين ماء وريحا
فبدل من طلل على ومفاخر بقعر بحر طامى اللجج زاخر وبدل من صهوات الخيل بلهوات اللجج
والليل غريق حكى مقلتى فى دمعها وأساء نفسى فى سمعها وفى حزن لا أستسقى له الغمام
فماله قبر تجوده ولا ثرى تروى به تهائمه ونجوده وقد آليت أن لا أودع الريح تحية ولا
يورثنى هبوبها أريحية فهى التى أثارت من الموج حنقا ومشت عليه خببا وعنقا حتى
أعادته كالكثبان وأودعته قضيب بان فيا أسفا الزلال غاض فى أجاج واسلسال فاض
عليه بحر عجاج وما كان الا جوهرا آب الى عنصره وصدفا بان عن عين مبصره لقد آن
للحسام أن يغمد فلا يشام وللغمام أن تبكيه بكل اراكة وبشام وللعذارى أن لا يحجبهن
الخفر والاحتشام ينحن فتى ما ذرت الشمس الا ضر أو نفع ويبكين من لم يدع فقده فى العيش
من منتفع فكم نعمنا بدنوه ونسمنا نسيم الانس فى رواحه وغدوه واقتنا بروضة موشية

...ه مكرم وكان قد انفرد
...ن الناس فى بنيان
...هذه وسكر فى اعلاه
وقد رأى الرابع عشر من
ولد ولده واستقل بحضرة
احمد بن طولون نظر الى
رجل ... الهرم ...
بينه وشواهد ما أتى عليه
من الدهر ... والحواس
سليمة والقضية قائمة
والعقل صحيح يفهم عن
مخاطبه ويحسن البيان
والجواب عن نفسه فاسكنه
بعض مقاصره ومهد له
وجعل اليه ... كل
والمشارب فى ان لا ...
على شئ ... لا تعدى الا
بغذاء كان حمله معه من
كعك وغير وقال هذه بنية
قوامها ... ترون من هذا
الغذاء وهذا الملبس فان
انتم سمتموها النقلة عن
هذه العادة وتناول
ما اوردتموه عليها من
المآكل والمشارب
والملابس كان ذلك سبب
انحلال هذه البنية وتفريق
هذه الصورة فترك على ما
كان عليه وما جرت به عادته
وأحضر له احمد بن طولون
من حضره من اهل الديار
وصرف همته عليه واخلى
نفسه له فى ليال وايام كثيرة
يسمع كلامه وايراداته
وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر ووقفنا

ووقفنا بالمسرات عشية وأدرناها ذهبا سائلة ونظرناها وهى شائلة لم نرم السهر ولم نشم برقا الا الكاس والزهر ولو غير الحمام زحف اليه جيشه أو غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه لفداه من أسرته كل أروع ان عاجله المكروه تثبطه أوجاءه الشر تأبطه ولكنها المنايا لا تردها الصوارم والاسل ولا تتقوها ذئاب الغضا العسل قد فرقت بين مالك وعقيل وأشرقت بعدهما جذيمة بالحسام الصقيل انتهى وقد عززناها بالفتح فى غير هذا الموضع فليراجع

(رجع الى بيت بنى زهر رحمهم الله تعالى) وأما أبو بكر محمد بن أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر المذكور فهو من ذلك البيت وان كانوا كلهم أعيانا علماء رؤساء حكماء وزراء وقد نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى المطرب من أشعار أهل المغرب كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين وكان يحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العلياء عند أصحاب المغرب مع سمو نسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشدمن شعره المشهور قوله

وموسدين على الا كف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالنى

مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم مانالنى

والخمر تعلم كيف تأخذ ثارها * انى أملت اناءها فأمالنى

ثم قال ابن دحية وسألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة قال وبلغتنى وفاته آخر سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى انتهى وزعم ابن خلكان ان ابن زهر ألم فى الابيات المذكورة بقول الرئيس أبى غالب عبيد الله بن هبة الله

عاقرتهم مشمولة لوسالمت * شرابها ماسميت بعقار

ذكرت حقائدها القديمة اذغدت * صرعى تداس بأرجل العصار

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب الى أبى بكر بن زهر قوله فى كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها

حيلة البرء صنفت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله

فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس فى البرء حيله

ومن شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولداله صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

ولى واحد مثل فرخ القطاة * صغير تخلفت قلبى لديه

وافردت عنه فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقنى وتشوقته * فيبكى على وأبكى عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الى ومنى اليه

وأخبرنى الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الغسانى الاندلسى الاصل الفاسى المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسنى صاحب المغرب رضى الله تعالى عنه ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها أمير المؤمنين

وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكها الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش فى البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين ارض الروم وقد كان بين الاندلس فى الموضع الذى يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب يعبر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغارا تجرى تحت قناطرها

يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين الى اشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا امثالها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم فى أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شئ ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك احلام فقيل له ادخل البيت الذى يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذى تشوق اليه يلعب فى البيت فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه هكذا هكذا والافلا ومن نظم ابن زهر المذكور حيث شاخ وغلب عليه الشيب

انى نظرت الى المرآة قد جليت * فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شويخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة * ان الذى أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادى يا أخى وقد * صارت سليمى تنادى اليوم يا أبتا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخى فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وقال ابن دحية فى حقه ايضا والذى انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النهاية فيه من خوله واتباعه الموشحات وهى زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهى من الفنون التى اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ما للموله من سكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويرون انه من احسن الموشحات ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا * فهو للنفس انفع
واغتنم حين اقبلا * وجه بدر تهللا * لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى * ليس بالحزن يرجع
واصطبح بابنة الكروم * من يدى شادن رخيم * حين يفتر عن نظيم
فيه برق قد اومضا * ورحيق مشعشع
انا افديه من رشا * اهيف القد والحشا * سقى الحسن فانتشى
مذ تولى واعرضا * ففؤادى يقطع
من لصب غدا مشوق * ظل فى دمعه غريق * حين امّواجى العقيق
واستقلوا بذى الغضا * اسى يوم ودعوا
ما ترى حين اظعنا * وسرى الركب موهنا * واكتسى الليل بالسنا
نور هم ذا الذى اضا * ام مع الركب يوشع

وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل جانب حجر الى حجر طاق وهو مبدأ بحر الروم الاخذ من اوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلوا ارضا فأرضا فى طول على ممر السنين يرى زيادته اهل كل زمان ويتبينه اهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التى كانت بين الاندلس وبرطانجة وما وصفت فبين ظاهر عند اهل الاندلس واهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة ويعاينا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثنى عشر ميلا وعرض واسع وسمو بين فلما مضت لدقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما التى كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسيمود وغير ذلك مما هى باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبرونهم واحدا فوق واحد وهى الاكوام ورأيت

ورايت مع هذا موشحا آخر لا ادري هل هو لابن زهر ام لا وهو

فتق المسك بكافور الصباح * ووشت بالروض اعراف الرياح

فاسقنيها قبل نور الفلق * وغناء الورق بين الورق * كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها حين لاح * فلك اللهو وشمس الاصطباح

وغزال سامني بالملق * وبراجسمي واذكى حرقي * اهيف مذ سل سيف الحدق

قصرت عنه انابيب الرماح * وثنى الذعر مشاهير الصفاح

صار بالدل فؤادي كلفا * وجفون ساحرات وطفا * كلما قلت جوى الحب انطفا

أمرض القلب بأجفان صحاح * وسبى العقل بجد ومراح

بوسني الحسن عذب المبتسم * درى الوجه ليلي اللمم * عنبرى الباس علوى الهمم

غصني القد مهضوم الوشاح * ماذري الوصل صابي السماح

قد بالعد فؤادي هيفا * وسبا عقلي لما انعطفا * ليته بالوصل أحيا دنفا

مستطار العقل مقصوص الجناح * ما عليه في هواه من جناح

يا علي أنت نور المقل * جد بوصل منك لي يا أملي * كم أغنيك اذا ما حت لي

طرقت والليل ممدود الجناح * مرحبا بالشمس من غير صباح

(ومنهم أبو الحجاج الساحلي يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن علي الفهري الغرناطي) قال في الاحاطة صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء والصالحين حج ولقي الاشياخ بعد أن قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكم وقد أصابته حمى تركت على شفته بثورا

حاشاك أن تمرض حاشا كا * قد اشتكى قلبي لشكوا كا

ان كنت محموما ضعيف القوى * فانني أحسد حما كا

ما رضيت حماك اذا شربت * جسمك حتى قبلت فا كا

قال أبو الحجاج رحمه الله تعالى وكتب الى شيخنا محمد بن محمد بن رشيق في الاستدعاء الذي أجازني فيه ولمن ذكر معي

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما * رويت عن الاشياخ في سالف الدهر

وما سمعت أذناي من كل عالم * وما حاد من نظم وما راق من نثر

على شرط أصحاب الحديث وضبطهم * بريء عن التصحيف عار عن النكر

كتبت لهم خطي واسمي محمد * أبو القاسم المكي ما فيه من نكر

وجدي رشيق شاع في الغرب ذكره * وفي الشرق أيضا فادر ان كنت لا تدري

ولي مولد من بعد عشرين حجة * ثمان على الست المئين ابتدا عمري

وبالله توفيقي عليه توكلي * له الحمد في الحالين في العسر واليسر

ومولد أبي الحجاج المذكور سنة ٦٦٢ وتوفي سنة ٧٠٢ رحمه الله تعالى انتهى باختصار

(وممن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكري الجياني) الملقب بالغزال لجماله وهو في المائة الثالثة من بني بكر بن وائل قال ابن حيان في المقتبس

واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان الملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان الدنيا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وحدائب قد حفرت من النيل الى النهر تمنع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النار فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها ونارينها فتحولت ذهبا وقد طبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصا صافيا بالملح والزجاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الا من لا معرفة له بما وصفنا ولا قارب شيئا مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل في أعاليه قال البحيرة

 التي لا يدرك طولها وأرضها وهي نحو الارض التي الليل والنهار بها متساويان طول الدهر

عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق فى الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع أو أكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى أى شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة وقيل له ما بال هذه الكتابة التى على الاهرام والبرابى لا تقرأ فقال دثر الحكماء

كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها عمر أربعا وتسعين سنة ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ومن شعره

أدركت بالمصر ملوكا أربعه * وخامسا هذا الذى نحن معه

وله على أسلوب ابن أبى حكيمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجت اليك وثوبها مقلوب * ولقلبها طربا اليك وجيب
وكانها فى الدار حين تعرضت * ظبى تعلل بالفلا مرعوب
وتبسمت فأتتك حين تبسمت * بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فتطربت * نفس الى داعى الضلال طروب
حسبتك فى حال الغرام كعهدها * فى الدار اذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها * فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشئ قبضة شاهن * فنزا الى اعضائه حلبوب
بيدى الشمال ولا شمال لطاقة * ليست لأخرى والاديب أريب
فأصاب كفى منه حين لمسته * بلل كماء الورد حين يسيب
وتحللت نفسى للذة شخصه * حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه ورعا * ناديته خيرا فليس يجيب
وأبى فخفق فى الاباء كأنه * جان يقاد الى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه * كير تقادم عهده مثقوب
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * فبساوجان من الظلام ذهوب
ساء لتها خجلا أمالك حاجة * عندى فقالت ساخروحروب
قالت حرامك اذ أردت وداعها * قرن وفيه عوارض وشعوب

وذكرها ابن دحية بجلالة ما سردناه قال عتبة التاجر وجهنى الامير الحكم وابنه عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون فلقيته بالعراق فسألنى عن هذه القصيدة هل أحفظها للغزال قلت نعم فاستنشدنيها فانشدته اياها فسر بها وكتبها قال عتبة وقلت بها حظا عنده والبهنانة المرأة الطيبة النفس والارج كما فى الصحاح وقيل اللينة فى منطقها وعملها وقيل الضحاكة المتهللة والرعوب السبطة البيضاء والسبطة الطويلة وقال سامحه الله تعالى

سألت فى النوم أبى آدما * فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم * صلى عليك الملك الخالق
فقال لى ان كان منى ومن * نسلى فحوا أمكم طالق

وقال رضى الله تعالى عنه

أرى أهل اليسار اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وفخرا * على الفقراء حتى فى القبور

فان

فان يكن التفاضل فى ثراها * فان العدل فيها فى القبور
رضيت بمن تأنق فى بناء * فبالغ فيه تصريف الدهور
ألما يبصر واما خربته * الدهور من المدائن والقصور
لعمر أبيهم لو أبصروهم * لما عرف الغنى من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالى * ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف * من البدن المباشر للحرير
اذا أكل الثرى هذا وهذا * فما فضل الكبير على الحقير

وقال رضى الله تعالى عنه

لا ومن أعمل المطايا اليه * كل من يرتجى اليه نصيبا
ما أرى ههنا من الناس الا * ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه * الى فارة يريد الوثوبا

وقال رضى الله تعالى عنه

قالت أحبك قلت كاذبة * غرى بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله * الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولى النار باردة * أو أن تقولى الماء يتقد

وحكى أبو الخطاب بن دحية فى كتاب المطرب ان الغزال ارسل الى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسالته زوجة الملك يوما عن سنه فقال مداعبا لها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا ألم ترى قط مهرا ينتج وهو اشهب فاعجبت بقوله فقال فى ذلك واسم الملكة تود

كلفت يا قلبى هوى متعبا * غالبت منه الضيغم الاغلبا
انى تعلقت مجوسية * تأبى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله فى حيث لا * يلقى اليه ذاهب مذهبا
يا تود يا ورد الشباب الذى * تطلع من ازرارها الكوكبا
يا بأبى الشخص الذى لا ارى * احلى على قلبى ولا اعذبا
ان قلت يوما ان عينى رأت * مشبهه لم اعد أن اكذبا
قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها ما باله انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا
فاستضحكت عجبا بقولى لها * وانما قلت لكى تعجبا

قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت وأمرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب وقال

بكرت تحسن لى سواد خضابى * فكأن ذلك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف * الا كشمس جللت بضباب

وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم وتداول أرض مصر الامم فغلب على أهلها القلم الرومى كاشكال احرف القبط والروم باحرفها على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام بن نوح وهم فى انساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يجلون ما عملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرؤس التى تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هى غربى اهرام بوصير الجيزة وهى على خمسة ايام بلياليها للراكب المجد

لها سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربى اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شان هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين أخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعبد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسى عربية وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وأرضهم كانها جزء من أرض اليمن وللنوبة أترج كاكبر مايكون بارض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يستولى على مقراونوبة وعلوة وو راء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفى مملكة هذه الامة يخترق النيل فينشعب منه خليج عظيم ثم يحصر الخليج من بعد انفصاله من النيل و ينحدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لايتغير فاذا

تحنى قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ماسترت به لذهاب
لاتنكرى وضح المشيب فانما * هو زهرة الافهام والالباب
فلدى ماتهوين من زهو الصبا * وطلاوة الاخلاق والآداب

انتهى

وحكى ابن حيان فى المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المروانى وجه شاعره الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لايميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ماقطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وأمرت الترجمان أن يساله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه أكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوى واشتد وغلظ ومادام لايفعل به ذلك لايزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنت لتعريضه انتهى ومن شعر الغزال قوله

يا راجيا ود الغوانى ضلة * وفؤاده كلف بهن موكل
ان النساء لكالسروج حقيقة * فالسرج سرجك ريثما لاتنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل * ذلك المكان وفاعل ماتفعل
أو منزل المجتاز أصبح غاديا * عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها * تدنو لاول من يمر فياكل
أعط الشبيبة لاأبالك حقها * منها فان نعيمها متحول
واذا سلبت ثيابها لم تنتفع * عند النساء بكل ماتستبدل

وقال

قال لى يحيى وصرنا * بين موج كالجبال
وتولتنا رياح * من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتت عرا تلك الحبال
وتمطى ملك المو * ت الينا عن حيال
فرأينا الموت راى العين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا * يارفيقى رأس مال

ومنها

وسليمى ذات زهد * فى زهيد فى وصال
كلما قلت صليني * حاسبتنى بالخيال
والكرى قد منعته * مقلتى اخرى الليالى
وهى ادرى فلماذا * دافعتنى بمحال

اترى انا اقتضينا * بعد شيأ من نوال

وله

من ظن ان الدهر ليس يصيبه * بالحادثات فانه مغرور
فالق الزمان مهونا لخطوبه * وانجر حيث يجرك المقدور
واذا تقلبت الامور ولم تدم * فسواء المحزون والمسرور

ش الغزال اربعا وتسعين سنة وتوفي في حدود الخمسين والمائتين سامحه الله تعالى وكان
ال اقزع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه
ل العراق وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون
احدا بشعره فجلس يوما مع جماعة منهم فازروا باهل الاندلس واستهجنوا اشعارهم
كهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم * تابطت زقي واحتبست عنائي
فلما اتيت الحان ناديت ربه * فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين الا تعلة * على وجل مني ومن نظرائي
فقلت اذقنيها فلما اذاقها * طرحت عليه ريطتي وردائي
وقلت اعرني بذلة استتر بها * بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برت يميني ولا وفت * له غير اني ضامن بوفائي
فابت الى صحبي ولم ال آيبا * فكل يفديني وحق فدائي

وابا الشعر وذهبوا في مدحهم له فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لي فانكروا ذلك
دهم قصيدته التي اولها

تداركت في شرب النبيذ خطائي * وفارقت فيه شيمتي وحيائي

م القصيدة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه *(وحكى) ان يحيى الغزال اراد ان يعارض سورة
والله احد فلما رام ذلك اخذته هيبة وحالة لم يعرفها فاناب الى الله فعاد الى حاله *(وحكى)
اس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة و يأخذ عنه ادباؤها
عليهم قصيدته التي اولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

انتهى القاري الى قوله

تجاف عن الدنيا فما لمعجز * ولا عاجز الا الذي خط بالقلم

ه الغزال وكان في الحلقة وهو اذ ذاك حدث نظام متأدب ذكي القريحة ايها
وما الذي يصنع مفعل مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت اقول فليس لعاجز
زم فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها وانشدوا يوما قوله من قصيدة

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى * بكفي حتى آب خاويه من بقري

ه بكر بن عيسى الشاعر اما والله يا ابا العلي لئن كنت بقرت الحشى لقد وسخت يديك
وملاتهما بدمه وخبثت نفسك بنتنه وحشمت انفك بعرفه فاستحيا عباس

فمشى ذلك الخليج اودية وخلجان واعماق مانوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الزنج ومصبه في بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وبحر اللاهون فذكر كلاما طويلا في امر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلا الفيوم وكانا البدء في عمارتها وعمارة ارضها وانما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى ايام جرى النيل ولم يكن بحر اللاهون بني وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بني اللاهون على ما هو اليوم عليه و يقال ان يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه ايام العزيز ودبر من امر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخليج المرتفعة المطاطئة وهو خليج فوق خليج وفوق خليج وهي القنطرة المعروفة بسفونه واقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الارض لا يدرك منتهاه منها وهو احد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى في الارض حفرا فلم يتأت لهم ذلك وغلبهم الماء وعجزهم ورأس هذا العمود مساو الارض المنهى فان واما حر

وأخمع عن جوابه * (ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق المحلى بجواهره صدور المهارق ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى) متمم كتاب المغرب فى اخبار المغرب قال فيه وأنا اعتذر فى ايراد ترجمتى هنا بما اعتذر به ابن الامام فى كتاب سمط الجمان وبما اعتذر به الحجارى فى كتاب المسهب وابن القطاع فى الدرة الخطيرة وغيرهم من العلماء فمن نظمه عند ما ورد الديار المصرية

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى * ما بينها وجها لمن أدريه
عودى على بدئى ضلالا بينهم * حتى كأنى من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت ألحاظه * فى عالم ليسوا له بشبيه
ان عاد لى وطنى اعترفت بحقه * ان التغرب ضاع عمرى فيه

وله من قصيدة يمدح ملك افريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى جعفر

الافق طلق والنسيم رخاء * والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مالت عليه غصونه * فكأنما هو مقلة وطفاء
وبدا نثار الجلنار بصفحه * فكأنما هو حية رقطاء
والشمس قد رقمت طرازا فوقه * فكأنما هى حلة زرقاء
فأدر كؤوسك كى يتم لك المنى * واسمع الى ما قالت الورقاء
تدعوك حى على الصبوح فلا تنم * فعلى المنام لدى الصباح عفاء

وله

لم جفانى ورمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت قائل
لا شفى الله لحظه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وله من قصيدة كتب بها الى ملك سبتة الموفق أبى العباس أحمد بن ابى الفضل الينشتى شافعا لشخص رغب فى خدمته

بالعدل قمت وبالسماح فدن وجد * لا فارقتك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها * وطلاب ما يأبى القضاء شقاء

ومنها

وقد استطار بأسطرى نحو الندى * من أنهضته نحوك العلياء
طلب النباهة فى ذراك فماله * الا لديك تأمل ورجاء
وهو الذى بعد التجارب أحمدت * أحواله وجرى عليه ثناء
لا يقرب الدنس المريب كواصل * هجرته خوفا أن يشان الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه * وجرت عليه شدة ورخاء
وعلاك تقضى أن يسود بأفقها * لا غرو أن يعلى الشهاب بهاء

وقوله من قصيدة

ألف التغرب والتوحش مثل ما * ألف التوحش والنفور ظباء
حجابه ألفوا التجهم والجفا * فهم لكل أخى هدى أعداء

اللاهون فان من سطح بعينها فيما من السطح الى القرية ستون ذراعا ورمما قل الماء فى المنهى وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين القبتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدوب الحجر وجهات الاسفالة وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر أيام سده قبالتقدير ببناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة اتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل بلدنا ان يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل سلوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتأملته لما قد نمى اليها من أخباره وسار فى الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فأمر أحمد بن طولون فى

مهما يرم طلب اليه تقربا * بعدت بذاك البدر عنه سماء
لكنني ما زلت أخدع حاجبا * ومراقبا حتى ألان حباء
والارض لم تظهر محجب نبتها * حتى حبتها الديمة الوطفاء

يل وهذا معنى لم يسمع من غيره وقوله في خسوف البدر

شان الخسوف البدر بعد جماله * فكأنه ماء عليه غثاء
أو مثل مرآة تخود قد قضت * نظرا بها فعلا الجلاء غشاء

وله من قصيدة عتاب يقول فيها

ولقد كسبت بكم علا لكنها * صارت باقوال الوشاة هباء
فغدوت ما بين الصحابة أجربا * كل يحاذر منى الاعداء
ولقد أرى ان النجوم تقل لي * حبا وأصغر أن أحل سماء
فليهجروا ويجر الفطيم لدره * وساعدوا الزمن الخؤن جفاء
فلقد شكوت لهم احالة ودهم * اذلم أكن أرضى بهم خدماء
ايه فذكرهم أقل وانما * أومى اليك فتفهم الايماء
لولم يكن قيدا لما افتكت ظبا * أنت الذى صيرتهم أعداء
ولوانني أرجو ارتجاعك لم أطل * شكوى ولم أستبعد الاغضاء
لكن رايتك لاتميل محبة * نحوى ولا تستكلف الاصغاء
ان لم يكن عطف فنوا بالنوى * ان الكريم اذا اهين تناءى

وقوله

ولكم سرينا في متون ضوامر * تثني أعنتها من الخيلاء
من ادهم كالليل جلل بالضحى * فنشق غرته عن ابن ذكاء
او اشهب يحكي غدائر أشيب * خلعت عليه الشهب فضل رداء
او اشقر قد غشته بشعلة * كالمزج ثار بصفحة الصهباء
او اصفر قد زينته غرة * حتى بدا كالشمعة الصفراء
طارت ولكن لا يهاض جناحها * هبت ولكن لم تكن برخاء

وقوله من ابيات في افتضاض بكر

وخريدة ما ان رأيت مثالها * حيث من الالحاظ بالايماء
فسألتها سمع الشكاة فأفهمت * ان الرقيب جهينة الانباء
وتبعتها وسألت منها قبلة * في خلوة من اعين الرقباء
فثنت على قوامها بتعانق * أحيا فؤادا مات بالبرحاء
ووجدتها لما ملكت عنانها * عذراء مثل الدرة العذراء
جاءت الى كوردة محمرة * فتركتها كمرارة صفراء
وسلبتها ما احرمنها صفوه * يجرى مذابا مجمع الرجاء

وقوله من أبيات

أحبابنا عودوا علينا عودة * ما منكم بعد التفرق مرغب

دين النصرانية فساله عن ذلك فقال دليلي على صحتها وجودى اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها لا نظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا اعاظمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ما ذكرت من تناقضها في العقل الا لدلائل شاهدوها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها قال له السائل وما التضاد الذى فيها فقال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر ... وهل الافا ... قادرة عالمة أم لا وفى اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث وما جرى في ولادته وقتله وصلبه وهل في التشنيع أكبر وأفحش من اله صلب وبصق في وجهه ووضع على رأسه اكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقي الخل في بطيخ الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا

كذا أداريكم بنفسي جاهدا * وكلما أرضيكم كي تغضبوا
وأزيد بعدا ما اقتربت اليكم * كالسهم أبعد ما يرى اذ يقرب
وأجوب نحوكم المنازل جاهدا * ومع اجتهادي فاتني ما أطلب
كالبدر أقطع منزلا في منزل * فاذا انتهيت الى ذراكم أغرب

وقوله من أبيات

سألتك يا من يستلان فيصعب * ومن يترضى الحياة فيغضب
أما خدك البدر المنير فلم غدت * تحل به ضد القضية عقرب

وقوله وقد داعبه أحد الفقهاء وسرق سكينه من حرز

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان بعد الصواب كتاب

وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أنا لون الشباب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني أيوب لا زال في المعالي شهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني أريج عرفي خطابا

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة * قد قربتني من علا الصاحب
وليعذر المولى على انني * قد كنت من علياه في جانب
كن لي بما قاله أولا * ثم أتى من بعد بالواجب

وقوله من أبيات

فان كنت في أرض التغرب غاربا * فسوف تراني طالعا فوق غارب
وصمصام عمرو حين فارق كفه * رموه ولا ذنب لحد المضارب
وما عزة الضرغام الا عرينه * ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وقوله في فرس أصفر أغر أكحل الحلية

وأجرد تبرى أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح
له لون ذي عشق وحسن معشق * لذلك فيه ذلة ومراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح
يقيد طير اللحظ والوحش عندما * يطير به نحو النجاح جناح

وقوله من أبيات

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظرا * وأكره في الابصار من ظلمة اللحد
تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من وشك الفراق على وعد

وقوله

عن مجادلته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه فقال طبيب لابن طولون يهودي قد حضر المجلس أتأذن لي الامير في مخاطبته قال شأنك فتبل على القبطي مسائلا له فقال له القبطي وما أنت أيها الرجل وما نحلتك قال له يهودي فقال له مجوسي اذا قال له كيف ذلك وهو يهودي قال لانهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات اذ كان في دينهم ان الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم ان يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا من اسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل في المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودي ذلك وجحد ان يكون في دينه او يعرفه احد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد العلماء اليهودي قد تزوج [illegible] ثم ادين [illegible] ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودي أن الله خلق آدم على صورته وعن نبي من انبيائهم سماه قال في كتابه انه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال اني أنا النار المحرقة والحمى الآخذة وأنا الذي آخذ الابناء بذنوب الآباء ثم في توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى

وقوله فى غلام جميل الصورة أهدى تفاحة

ناب ما أهديت عن عر * ف وعن ريق وخد
حبذا تفاحة قد * أشبهت أوصاف مهدى
بت منها فى سرور * فكأن قد بت عندى

وقوله من [illegible]دة

هذا الذى يهب الدنيا بأجمعها * وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر
ان هزه المدح فالاموال فى بدر * والغصن ما هز الا بدد الثمر
فعلت لما بدا الى حسن منظره * لكنه زاد اشراقا هو القمر
متع لحاظك فى وجه بلا ضرر * ان كان شمسا تراها تحتها مطر

وقوله من أبيات

لى جيرة ضنوا على وجاروا * فنبت بى الاوطان والاوطار
ومن العجائب انى مع جورهم * ماقرلى بعد الفراق قرار

وقوله

أنا شاعر أهوى التخلى دونما * زوج لكيما تخلص الافكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا * فى كل حين رزقها أمتار
دعنى أروح طول التغرب خاطرى * حتى أعود ويستقر قرار
كم قائل قد ضاع شرخ شبابه * ماضيعته بطالة وعقار
اذلم أزل فى العلم أجهد دائما * حتى تأتت هذه الابكار
مهما أرم من دون زوج لم أكن * كلا ورزقى دائما مدرار
وادا حرجت لفرجة هنيتها * لاصبية ضاعت ولا بذكار

وقوله من قصيدة

ما كنت أحسب أن أضيح وأنت فى الدنيا وأن أمسى غريبا مقسرا
أنا مثل سهم سوف يرجع بعدما * أقصاه راميه الجيد ليخبرا

وقوله سامحه الله تعالى

وافى على انا بسيف * والبين ندمان والوداع
فقال شبه فقلت شمس * قدمد من نورها شعاع

وقوله من قصيدة فى ملك اشبيلية الباجى وقد هزم ابن هود

لله فرسان غدت راياتهم * مثل الطيور على عداك تحلق
السمر تنقط ماتسطر بيضهم * والنقع يترب والدماء تخلق

وقال ارتجالا بحضرة زكى الدين بن أبى الاصبغ وجمال الدين بن أبى الحسين الجزار المصرى الشاعر ونجم الدين بن اسرائيل الدمشقى بظاهر القاهرة وقد مشى أحدهم على بسيط نرجس

ياواطئ النرجس ماتستحى * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبى الاصبغ مجيزا

هرون صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا فى ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكموا على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لاتنسخ ولايقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولانظر فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير و يسمونه منتظرون يقوم فى هذا اليوم قائما و ينتف شعور رأسه ويقول ويلى اذخربت بيتى وأيتمت بنتى فامتى منكسة لاأرفعها حتى آتى بنتى وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديصانية والثنوية والصابئه والمجوس

وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها إراده فى كتابنا فى أخبار الزمان

فقلت دعني لم أزل محرجا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر وهي الشهيرة الآن بالروضة

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * مناظرها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفجر صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشعوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمد يمينا نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد لاما اذ تلك دالا

وقوله من أبيات في ملك أفريقية وقد جهز ولده الامير أبا يحيى بعسكر

وقد أرسلته نحو الاعادي * كما جردت من غمد حساما

وقوله في قوس

أنا مثل الهلال في ظلم النقع سهامي تنقض مثل النجوم
تقصر القضب والقنا عن مجالي * عند رجمي بها لكل رجيم
قد كستها الطيور لما رأتها * كافلات لها برزق عميم

وقوله من أبيات

وأشقر مثل البرق لونا وسرعة * قصدت عليه عارض الجود فانهمى

(ولنذكر ترجمته من الاحاطة ملخصة) فنقول قال لسان الدين علي بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المدلجي من أهل قلعة يحصب غرناطي قلعي سكن تونس أبو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطي عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه المصنف الاديب الرحالة الطرفة الاخباري العجيب الشان في التجول في الاقطار ومداخلة الاعيان المتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية أخذ من اعلام اشبيلية كابي علي الشلوبين وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من أزاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد تاريخ بيته وبلده والموضوعان الغريبان المتعدد الاسفار وهما المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا فلقد حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم انه تخلف كتابا يسمى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر في حد من الشبيبة يعجب فيه من مثله فيذكر انه خرج مع أبيه الى اشبيلية وفي صحبته سهل بن مالك فجعل سهل ابن مالك يباحثه عن نظمه الى أن أنشده في صفة نهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه

كانما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليها الغصون تقرؤها

وذكرنا جميع ذلك في كتابنا المقالات في أصول الديانات وكان هذا القبطي على ما نمي الينا من خبره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فابى قبول شيء من ذلك ترده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات يدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما في البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على راس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بارباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من

قطرب وأثنى عليه ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة ومازج الادباء ودوّن كثيرا من نظمه ودخل القاهرة فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى صنو نرجس وكان فيهم أبو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال أبو الحسن

يا واطئ النرجس ما تستحي * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبي الاصبغ

فقال دعني لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بضفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله شمامات نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك الترك وتوفوا في الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون ولقي بمصر أيدمر التركي والبهاء زهيرا وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ورحل صحبة كمال الدين بن القيم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها

جدلي بما لقي الخيال من الكرى * لابد للضيف الملم من القرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف وري بمقصوده من أول كلمة وهي قصيدة طويلة فاستحلبه السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته وأخبره أنه جمع كتابا في الحلى البلادية والحلى العبادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سماه المشرق في حلى المشرق وجمع مثله فسماه المغرب في حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك الى ما ليس عندنا بخزائن الموصل وبغداد وتصنف لنا فخدم على عادتهم وقال أمر مولاي بذلك انعام وتأنيس ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا لقبون باسماء الطيور وقد اخترت لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والا لم نعلم به أحدا غيرنا وهو البلبل فقال قد رضي المملوك يا خوند فتبسم السلطان وقال له أيضا مداعبه اختر واحدة من ثلاث اما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك واما جائزة القصيدة واما حق الاسم فقال يا خوند المملوك مما لا يختنق بعشر لقم لانه مغربي أكول فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربي ظريف ثم أتبعه من الدنانير والخلع والتواقيع بالارزاق ما لا يوصف ولقي بحضرته عون الدين العجمي وهو بحر لا ينزفه الدلاء والشهاب التلعفري والتاج بن شقير وابن نجيم الموصلي والشرف بن سليمان الاربلي وطائفة من بني الصاحب ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله الى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة ودخل أرجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية في الرحلة المكية وكان نزوله بساحل مدينة أقليبية من أفريقية في احدى جمادى سنة

الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولي عائدا الى الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه سيره ولا يرعى من ذلك شيأ في ممره كأنه يحدد مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت وو ردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما في اجوافها في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بار باب الضياع طرح له الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبددا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو في جوفه ويزداد في انتفاخه فينشق جوفه فيموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة اوسع (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من الشرعيين ان بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن ارض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت مدينة ثمانين من ارض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان وانما نسبت الى عدد سا كنيها ممن كان مع نوح في السفينة

اثنتين وخمسين وستمائة واتصل بخدمة الامير أبي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته حدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه في آخر عمره وقد أسن لجراءة خدمة مالية أسندها اليه وقد كان بلاء منه قبل جفوة أعقبها انتشال وعناية فكتب اليه بنظام من جملته لاترعني بالجفا ثانية فرق له وعاد الى حسن النظر اليه الى ان توفي تحت بر وعناية مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمائة ووفاته بتونس في حدود خمسة وثمانين وستمائة انتهى باختصار * وذكرت حكاية اجازة بيته في النرجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهني ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوارة

أما واجب أن لايحول وجيب * وقد بعدت دار وبان حبيب
وليس أليف غير ذكر وحسرة * ودمع على من لا يرق صبيب
وخفق فؤاد ان هفا البرق خافقا * وشوق كما شاء الهوى ونحيب
ويعذلني من ليس يعرف ما الهوى * وعذل مشوق في البكاء عجيب
الا تعس اللوام في الحب قد عموا * وصموا وداني ليس منه طبيب
يرومون أن يثني الملام صبابتي * ولست الى داعي الملام أجيب
وفائي اذا ما غبت عنكم مجدد * وغيري ذو غدر أوان يغيب
ولو لم يكن مني الوفاء سجية * لكنت لغير ابن الحسين أنيب
سموأل هذا العصر حاتم جوده * مهلبه ان مارسته حروب
فتى سير الامداح شرقا ومغربا * أبو دلف من دونه وخصيب
اذا رقم القرطاس قلت ابن مقلة * وان نظم الاشعار قلت حبيب
وان نثر الاسجاع قلت سمية * وان سرد التاريخ قلت غريب
وما أحرز الصولي آدابه التي * اذا ما تلاها لم يجبه أديب

ومنها

وأما اذا ما الحرب أخمد نارها * ففيه تلظى مارج ولهيب
فكم قارع الابطال في كل وجهة * نحاها وكم لفت عليه حروب
وكائن له بالغرب من موقف له * حديث اذا يتلى تطير قلوب
بمراكش سل عنه تعلم عناءه * وقد ساءهم يوم هناك عصيب
اذا ماانثنى الرمح الطويل كأنه * مدير لغصن الخيزران لعوب
وان جره أبصرت نجما مجررا * ذؤابته منه الكماة تذوب
يهيم به ما ان يزال معانقا * له را كعات ما تحوز كعوب
محمد لاتبعد الذي أنت قادر * عليه وخف عينا علاك تصيب
نفوس سهام العين أودى بمصعب * وطاح به بعد الشبوب شبيب
ألا فهنيأ أن رجعت لتونس * فاطلعت شمسا والشفار غروب

وأخصبت البلاد فملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهي تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة أرباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون في النسب الى أبيهم قبط ابن مصر وأضيفت المواضع الى ساكنيها وعرفت باسمائهم فمنها أشمون وقبط وصا واتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم في انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله

كوا كبها تبدو اذا ما تركتها * وقد جعلت مهما حضرت تغيب
اذا سدت في أرض فغيرك تابع * علاك ومهما ساد فهو مريب

ومنها

كفاني أني استظل بظلكم * ومن هاب ذاك المجد فهو مهيب
فاصلك أصلي والفروع تباينت * بعيد على من رامه وقريب
وحسبي فخرا أن أقول محمد * نسيب علي جل عنه نصيب
تركت جميع الاقربين لقصده * على حين حانت فتنة وخطوب
رأيت به جنات عدن فلم أبل * اذا وصلتنا للخلود شعوب
فقبلت كفا لا أعاب بلثمها * وأيدي الايادي لثمهن وجوب
وكيف وليس الرأس كالرجل فرقت * شيات لعمري بيننا وضروب
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا * لحق بان يعلو الشباب مشيب
ولولا الذي أسمعت من مكر حاسد * أتاك يقول وهو فيه كذوب
لما كنت محتاجا لقولي آنفا * تخليت من ذنب وجئت أتوب
اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة * فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوب
لقد كنت معتادا ببشر فما الذي * تقلدته حتى يزال قطوب
أأن رفع السلطان سعيي بقربكم * أأخلا عن وردكم وأخيب
م فاحسب ذنبي ذنب صخر بدارها * الى البر عند الخابرين معيب
وحاشاك من جور علي وانما * أخاطب من أصغوله فيثوب
صحاب هم الداء الدفين فليتني * ولم أدن منهم للذئاب صحوب
كلامهم شهد ولكن فعلهم * كسم له بين الضلوع دبيب
سأرحل عنهم والتجارب لم تدع * بقلبي لهم شيأ عليه أثيب
اذا اغترب الانسان عمن يسوءه * فما هو في الابعاد عنه غريب
فدارك برأب منك ماقد خرقته * ليحسن مني مشهد ومغيب
ولا تستمع قول الوشاة فانما * عدوهم بين الانام نجيب
فياليت أني لم أكن متأدبا * ولم يك لي أصل هناك رسوب
وكنت كبعض الجاهلين محببا * فأنا لهم المسلم حبيب
ومال ان ضربت الدهر زيدا بعمره * ولم يك لي بين الكرام ضريب
أأشكوك أم أشكو اليك فاعدت * عداتي حتى حان منك نوب
سأشكر ما أولى وأصبر للذي * توالى على أن العزاء سليب
فدم في سرور ما بقيت فانني * وحقك مذ دب الوشاة كئيب

قال وكان سبب التغير بيني وبين ابن عمي الرئيس المذكور أن ملك أفريقية استوزر لاشغال الموحدين ابا العلى ادريس بن على بن أبي العلى بن جامع فاشتمل علي وأولاني من البر ما قيدني وأمال قلبي اليه مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمي من الصحبة فلم يزل ينهض بي ويرفع أمداحي للملك

(ثم ملك بعده) صا ابن مصر وملك بعده أتريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كاكلي بن حرايا وأقام في الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ له يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس ابن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حوريا بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة اخرى يقال لها ماموم وكثر ولد بيصر ابن حام بارض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان ابن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقي (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقي (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى انه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر

ويوصل اليه رسائلي منبها على ذلك مرشحا الى أن قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه في ذلك فنبه الوزير على وارتهن في معانى كتب من كتاب الملك فقلدني قراءة المظالم المذكورة وسفر الى الوزير عنده في دار الكاتب المؤخر فانعم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزوروا من الاقاويل المختلقة مامال بها حيث مالوا وظهر منه مخايل التغيير فجعلت اداريه وأستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى أن سعى في تاخير والدي عن الكتب للامير الاسعد أبي يحيى بن ملك افريقية ثم سعى في تاخيري فاخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الى جميع اموره وأولاني من التانيس ما آنسانى تلك الوحشة ومن العزما أنقذني من تلك الذلة

فردعلى العيش بعد ذهابه * وآنسني بعد انفرادي من الاهل

وقالوا اذا ما الوبل فاتك فاقتنع * بما قد تسنى عندك الآن من طل

ووالله ما نعماه طل وانما * تادبه غيث يجود على المحل

رآني ظمأ في الهجيرة ضاحيا * فرق وآواني الى الماء والظل

ولم أزل عنده في أسر حال مالها تكدير الآما يبلغني من أن ابن عمي لا يزال يسعى في حقي بما اخشى مغبته وخفت أن يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عني فرغبت له في أن يرفع للملك أني راغب في السراح الى المشرق برسم الحج

ومن بله الغيث في بطن واد * وبات ملايا من السيولا

فلم يسعفني في ذلك ولامني على تخوفي وقلة ثقتي بحمايته فرفعت له هذه القصيدة

هل الهجر الا أن يطول التجنب * ويبعد من قد كان منه التقرب

وتقطع رسل بيننا ورسائل * ويمنع لقيانا نوى وتحجب

ولو أنني أدري لنفسي زلة * جعلت لكم عذرا ولم الك أعتب

ولكنكم لما ملكتم هجرتم * وذنبتم في الحب من ليس يذنب

الى الله اشكو غدركم وملالكم * وقلبا له ذاك التعذب يعذب

فلو أنه يجزيكم بفعالكم * لكان له عنكم مراد ومطلب

ولكن أبى أن لا يحن لغيركم * وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب

فهلا رعيتم أنه في ذراكم * غريب وليس الموت الا التغرب

لرمتك لما ان رأيتك كاملا * جمالا واجمالا وذلك يحبب

واني لاخشى أن يطول اشتكاؤه * لمن ان اتى مكرا فليس يثرب

فلم أسع الا الارتياح وراحة * وغيري وقد آواه غيرك يتعب

فانت الذي آويتني ورحمتني * وذو الرحم الدنيا النارى يحطب

فما مر يوم لا اريد مصيبة * عليك وبالتدبير منك يحبب

وهبه نبوتا لا يحيل أماترى * بحر جبال في الحجارة يرسب

وهبه لسدا فكم أنت حاضر * أحاذر خرقا منه أن يتسيبوا

ابن يدمر وكان يعرف بظلما ونهد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج في طلب بني اسرائيل حين اخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا في البحر يبسا واغرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بارض مصر من الدراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأي وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاده سورا محيطا بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس والرجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض واثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل في ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت في هذه البرابي

وما

ومالى أرى الا الفرار مخلصا * وماراغب فى الضيم من عنه يرغب
فأنهى الى الامر العلى شكيتى * وأن خطوب الدهر نحوى تحطب
ولا تطمعونى فى الذى لست نائلا * فلا أنا مرقوب ولا أنا أشعب
الا فاقتنعوا بالسراح فانه * لراحة من يشقى لديكم وينصب
سلوا الكاس عن اثبدار فاننى * لا تركها هما ودمعى أشرب
ولا أسمع الالحان حين تهزنى * ولو كان نوحا كنت أصغى وأطرب
فدينكم كذا اهون بارضكم * أهذا جزاء للذى يتغرب
أبخل على أن ماسواك يصيح لى * فهل لى مما كدر العيش مهرب
تقلص عنى كل ظل ولم أجد * كما كنت ألقى من أودوا صحب
أدوطمع فى العيش يبقى وحوله * مدى الدهر أفعى لا تزال وعقرب
أجزنى أنجز بالفرار فانه * وحقك من نعماك عندى يحسب
فلازلت بالخير الكرام مهنأ * فعيشى منه الموت أشهى وأطيب
وصانك من قد صنت فى حقه دمى * وغيرك من ثوب المروءة يسلب

ولم يزل الوزير لا أزال الله عنه رضاه يحمى جانبى الى أن اصابتنى فيه العين فاصابه الحين

وطيب نفسى أنه مات عندما * تناهى ولم يشمت به كل حاسد
ويحكم فيه كل من كان حاكما * عليه وبعطى الثأر كل معاند

وقلت أرثيه

بكت لك حتى الماطلات السواكب * وشقت جيوبا فيك حتى السحائب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به * أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب
أرى فانظروا دمعى فاكثره دم * ولا تذهبوا عنى فانى ذاهب
وقولوا لمن قد ظل يندب بعده * وفاؤك لو قامت عليك النوائب
لعمرك مانى الارض واف بذمة * أيسمع ادريس وشلى يخاطب
دعونك يامن لا أقوم بشكره * فهل أنت لى بعد الدعاء مجاوب
أياسيدا قد حال بينى وبينه * تراب حوت ذكراك منه الترائب
لمن أشتكى ان جار بعدك ظالم * على وان نابت جنابى النوائب
لمن أرتجى عند الامير بمنطق * تحف به حولى المنى والمواهب

وهى طويلة ومنها جميل الختم

وقد كنت أختار الترحل قبل أن * يصيبك سهم للمنية صائب
ولكن قضاء الله من ذا يرده * فصبرا فقد برضى الزمان المغاضب

ومنها وهو آخرها

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * اذا لم تكن فيه على مثالب
وان لم يؤب من كنت أرجو انتصاره * عليك فلطف الله نحوى آيب

ذلك فى أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلويه وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البرابى من الابل وغيرها فتعور ما فى ذلك الجيش ويقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل عما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما ورد من جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الرسوم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب مارسمت له

قال رحمه الله تعالى ولما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثارتذكرما كنت أعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب برداقشيبا فقلت

هذه مصر فأين المغرب * مذ نأى عني فعيني تسكب
فارقته النفس جهلا انما * يعرف الشيء اذا ما يذهب
أين حمص أين أيامي بها * بعدها لم ألق شيأ يعجب
كم بعيش لي بها من لذة * حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الايك تشدو حولنا * والمثاني في ذراها تصخب
أي عيش قد قطعناه بها * ذكره من كل نعمى أطيب
ولكم بالمرج لي من لذة * بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكارها * بالنوى عن مهجتي لا تسلب
ولكم في شنتبوس من منى * قد قضيناه ولا من يعتب
حيث هاتيك الشراجيب التي * كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل ذي فقر له * سامع غصبا ولا من يغضب
بلدة طابت ورب غافر * ليتني ما زلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهر بها * كل نغمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله * قمر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على * شم زهر وكؤس تشرب
كم ركبناها فلم تجمح بنا * ولكم من جامح اذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد * تعبا منها اذا ما نتعب
قد أثارت عثيرا يشبهه * نهر سلك فوق بسط ينهب
كلما ارسلنا لها أجنحة * من قلاع ظلت منها تعجب
كطيور لم تجد ريا لها * فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا تنفك من * زفرة في كل حين تلهب
حث للبحر زئيرا ولها * تبصر الاغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا * بحبيب ومدام يسكب
وكأن البحر ثوب أزرق * فيه للبدر طراز مذهب
والى الحوز حنيني دائما * وعلى شنيل دمعي صيب
حيث سل النهر عضبا وانثنت * فوقه القضب وغنى الربرب
وتشفت أعين العشاق من * حور عين بالمواضي تحجب
ملعب للهو مذ فارقته * ما ثناني نحو لهو ملعب
والى مالقة يهفو هوى * قلب صب بالنوى لا يقلب
أين ابراج بها قد طالما * حث كاسي في ذراها كوكب

ووضعت من أجله على حسب قولهم في الطباع التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودي) وأخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبي الفيض ذي النون بن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابي ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم انه رأى في آخره كتابة وتبينها في ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب النجم يفعل ما يريد

وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون في الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ما هو أنار تأتي على الارض فتحرق ما عليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفنائها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابي واحدها بربي ورسمت

حفت

حفت الاشجار عشقا حولنا * تارة تنأى وطورا تقرب
جاءت الريح بها ثم انثنت * أتراها حذرت من ترقب
وعلى مرسية أبكي دما * منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت في ناظري * ثم صارت في فؤادي تغرب
هذه حالي وأما حالتي * في ذرى مصر ففكر متعب
سمعت اذني محالا ليتها * لم تصدق ويحها من يكذب
وكذا الشئ اذا غاب انتهوا * فيه وصفا كي يميل الغيب
ها أنا فيها فريد مهمل * وكلامي ولساني معرب
وأرى الالحاظ تنبو عندما * أكتب الطرس أفيه عقرب
واذا أحسب في الديوان لم * يدر كتابهم ما أحسب
وأنادي مغربيا ليتني * لم أكن للغرب يوما أنسب
نسب يشرك فيه خامل * ونبيه أين منه المهرب
أتراني ليس لي جد له * شهرة أوليس يدري لي أب
سوف أثني راجعا لا غربي * بعد ما جربت برق خلب

وقال بقرمونة متشوقا الى غرناطة

أغنّي اذا غنى الحمام المطرب * بكاس بها وسواس فكري يذهب
ومل ميلة حتى أعانق أيكة * وألثم ثغرا فيه للصب مشرب
ولم أر مرجانا ودرا خلافه * يطيف به ورد من الشهد أعذب
فديتك من غصن تحمله نقا * تطلع أعلاه صباح وغيهب
وجنته جنات عدن وفي لظى * فؤادي ومالي من ذنوب تعذب
ويعذلني العذال فيه وانني * لاعصي عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا اهل عن حياتي أنثني * اذا عقدوا أقوالهم وتألبوا
يقولون لي قد صار ذكرك مخلقا * وأصبح كل في هواه يؤنب
وعرضك مبذول وعقلك تالف * وجسمك مسلوب ومالك ينهب
نقلت لهم عرضي وعقلي والعلا * وفخري لا أرضى بها حين يغضب
جفون أبت أن لا تلين لعازم * بسحر بآيات الرقى ليس يذهب
فقالوا ألا قد خان عهدك قلت لم * يخن من اذا قربته يتقرب
وكم دونه من صارم ومثقف * فيا من رأى بدرا بهذين يحجب
على أنه يستسهل الصعب عندما * يزور فلا يجدي حمى مترقب
وكم حيلة تترى على اثر حالة * وذو الود من يحتال أو يتسبب
على انه لو خان عهدي لم أزل * له راعيا والرعي للصب أوجب
فاين زمان لم يخني ساعة * به وهو مني في التنعم أرغب
ولا فيه من بخل ولا بي قناعة * كلانا بلذات التواصل معجب

فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا وفرزت ما بني بالطين مما بني بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بني من الطين وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما بني بالطين ويبقى ما بني بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقي كلا النوعين ماهو بالطين وما هو بالحجر وهذا ما قيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدري من أي الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك الروابي

ويارب يوم لا أقوم بشكره * علي أني مازلت أثني وأطنب
على نهر شنيل والقصب حولنا * منابر مازالت بها الطير تخطب
وقد قرعت منه سنابك فضة * خلال رياض بالاصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية * غدت تشرب الالباب أيان تشرب
كأن ياسمينا وسط درتفتحت * أزاهره أيان في الكاس تسكب
اداماشربناها النيل مسرة * تبسم عن درلها فتقطب
أتت دونها الاحقاب حتى تخالها * سرابا بآفاق الزجاجة يلعب
نعمنابها واليوم قدرق برده * الى أن رأينا الشمس عنا تغرب
فقالوا ألا هاتوا السراج فكل من * درى قدر مافي الكاس أقبل يعجب
وقال ألا ندرون مافي كؤسكم * فلا كاس الا وهو في الليل كوكب
كواكب أمست بين شرب ولم نخل * بان النجوم الزهر تدنو وتغرب
ظللنا عليها عاكفين وليلنا * نهار الى أن صاح بالايك مطرب
فلم نثن عن دين الصبوح عناننا * الى أن عدا من ليس يعرف يندب
صرعنا فامسى يحسب السكر قدقضى * علينا وذاك السكر أشهى وأعجب
وكم ليلة في اثر يوم وعذلي * وعذل من يصغي لقولي خيب
فياليت ماولى معاد نعيمه * وأي نعيم عند من يتغرب

قال وقلت باشبيلية ذاكر الوادي الطلح وهو بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير مترنم الاطيار وكان المعتمد بن عباد كثيرا ما ينتابه مع رميكته وأولى أنسه ومسرته

سائل بوادي الطلح ريح الصبا * هل سخرت لي في زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * ان نأمن الرسل ولن نكتبا
ياقاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبا
ياقاتل الله الذي لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والهم لا يعرف ما طعمه * الا الذي وافى لان يشربا
فدعني من ذكر الوشاة الالى * لما يزل فكري بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخانني من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يحجبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذي شئته * يابدر تم مهديا كوكبا
لكنني آليت أسقي بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فعج لي في الكاس من ثغره * ماحبب الشرب وما طيبا

والجبال من حليهم والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا المتخذة باخميم من صعيد مصر وهو أحدا هرامصر وفي ضمنها والبربا التي ببلاد أخميم والبربا التي ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدثرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعدادق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم ما ذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهائنا من السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيره لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام والغرض في كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا في مطافات الارض والممالك وما نمي الينا خبره من الخواص وأسرار

فقال

فقال ها التى تقـــلاولا * تشم الاعـرفى الاطيبا
فاقطف بخدى الورد والآس والنسر بن لاتحفـل بزهـر الربا
أشفقته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهى وذا امرة * حتى تبدى خللت الحبا
ولم أصن عرضى فى حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
حتى اذا ماقال لى حاسدى * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحراله * ييسر المرغب والمطلبا
وقال حرفه بانى ساحـــتال فاجتنب المكتبا
فزاد فى شوقى له وعـــده * ولم أزل معتقـــدا مرقبا
امد طرفى ثم اثنيه من * خوف اخى التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
انى ومن سحره بعـــدما * أيأس بطأ كاد أن يغضبا
قبلت فى الترب ولم استطع * من حصر الله اسوى مرحبا
هنات ربى اذ غدا هالة * وقلت يامن لم يضع اشعبا
بالله مل معتنقا لاثما * فال كالغصن ثنته الصبا
وقال ماترغب قلت انشد * ادر كت اذ كلمتنى الارغبا
فقال لاترغب عن ذكرما * ترغبه قلت اذا مركبا
فكان ماكان فوالله ما * ذكرته دهرى أو أغلبا

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص ان اكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انا لون الشباب والخال اهديـــت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بنى ايوب لازال فى المعالى مهابا
جئت ملاى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفانى اريج عرفى خطابا

قال ولما انشد ابو عبد الله بن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه

لله دولاب يدور كأنه * فلك ولكن ما ارتقاه كوكب
هامت به الاحداق لما نادمت * منه الحديقة ساقيا لايشرب
نصبته فوق النهر أيد قدرت * ترويحه الارواح ساعة ينصب
فكأنه وهو الطليق مقيد * وكأنه وهو الحبيس مسيب
للماء فيه تصعد وتحدر * كالمزن يستسقى البحار ويسكب

حلف أبو عبد الله بن أبى الحسين ابن عمى أن يصنع فى ذلك شيأ فقال

ومحنية الاضلاع تحنو على الثرى * وتسقى نبات الترب درالترائب
تعـــد من الافلاك أن مياهها * نجوم لرجم المحل ذات ذوائب

ولاتمانع بين ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا وقرى لايدخلها عقرب ولاحية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية اذا أخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شئ الى أن كسر عمود من الرخام فى بعض المواضع بها فاصيب فى أعلاه حق من نحاس فى داخله بق مصور من نحاس نحو كف فامضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق فى وقتنا هذا يعم الاكثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شئ ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعدمنه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله فى الحديد واذا غسل بشئ من الخل أو ناله شئ من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس فى الحديد خواص عجيبة غير ماذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الاشياء وأظهر للعباد ماشاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر

وأعجبها رقص الغصون ذوابلا * تداورن بأمثال السيوف القواضب
وتحسبها والروض ساق وقينة * فما برحا ما بين شاد وشارب
وما حلتها تشكو بحنانها الصدا * ومن فوق متنيها اطراد المذانب
خذ من مجاريها ودهمة لونها * بياض العطايا في سواد المطالب

ثم كلفت في أن اقول في ذلك وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركا لي ما أقول

وذات حنين لا تزال مطيقة * تئن وتبكي بالدموع السواكب
كأن اليفا بان عنها فأصبحت * بمربعه كالصب بعد الحبائب
اذا ابتسمت فيها الرياض شماتة * ترعها بامثال القسي القواضب
فكم رقصت أغصانها فرمت لها * نثارا كما بدرت حلى الكواعب
لقد سخطت منها الثغور وأرضت الـ * ـقدود ولم تحفل بتثريب عائب
شربت على تحنانها ذهبية * ذخيرة كسرى في العصور الذواهب
فهاجت لي الكاس ادكار مغاضب * فهاجيتها وجدا بذاك المغاضب
فلا تدع التبريز في كثرة الهوى * فلولاي كانت فيه احدى العجائب

قال وقلت بغرناطة

باكر اللهو ومن شاء عتب * لا يلذ العيش الا بالطرب
ما تواني من رأى الزهر زها * والصبا تمرح في الروض خبب
وشذاه صانه حتى اغتدى * بين أيدي الريح غصنا ينتهب
يا نسيما عطر الارجاء هل * بعثوا ضمنك ما يشفي الكرب
هم أعلوه وهم يشفونه * لا شفاه الله من ذاك الوصب
خلع الروض عليه زهره * حين وافى من ذرا كم نعل صب
فأبى الاشذاه فانثنى * حاملا من عرفه ما قد غصب
است ذا نكران يشبه كم * من بعثتم غير ذا منه العجب
غالب الاغصان في بدأته * ثم لما زاد أعطته الغلب
فبكى الطل عليها رحمة * أو بكى من وعظ طير قد خطب
كل هذا قد دعاني للتي * ملكت رقي على مر الحقب
قهوة أسم من عجب لها * عند ما تبسم عجبا عن حبب
حاكت الخمر فلما شعشعت * قلت ماللخمر بالماء التهب
وبدت من كاسها في فضة * ملئت اذ خمدت ذوب الذهب
استقيها من يدي مشبهها * بالذي يحويه طرف وشنب
لا جعلت الدهر نقلي غيرما * لذلي من ريق ثغر كالضرب
لا جعلت الدهر ريحاني سوى * ما بخديه من الورد انتقب
لم أزل أقطع دهري هكذا * وكذا أقطع منه المرتقب
حبذا عيش قطعناه لدى * معطف الخابور ما فيه نصب

بعضها لم يظهرها لخالقه ولا تقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى هو غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنسيا او القلي عند الصبغ والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا واذا مزج ماء القلي بماء الزاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا في النتاج بين الفرس الانثى والحمار فتحدث بغلا ولو نتج دابة على اتان لخرج منها بغل افطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الاتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والاشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب في أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الاشياء ومعرفتها والطلسمات

مسح من لم يدريوماما الجفا * من أراح الصب فيه من تعب
كل مايصدر منه حسن * لم يذقني في الهوى مر الغضب
اى عيش سمح الدهر به * كل نعمى ذهبت لما ذهب

قال ودخلت بتونس مع أبي العباس الغساني حماما فنظرنا الى غلمان في نهاية الحسن ونعومة الابدان فقلت مخاطباله

دخلت حماما وقصدي به * تنعيم جسم غدا الى عذاب
قلت لظى فاعترضت حوره * وقلت عدن دنها اني النهاب
وأنت في الفضل امام نهكن * في الحكم ممن حازفصل الخطاب

فقال

لاتامن الحمام في فعله * فليس ماياتيه عندي صواب
فماأرى أخدع منه ولا * أكذب الا أن يكون السراب
يبدي لك الغيد كحور الدمى * ويلبس الشيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنة * للحسن الاما حوته الثياب

(ومن فوائده) أعني ابن سعيد رحمه الله تعالى في كتابه المحلى بالاشعار نقلا عن القرطبي قضية بناء الهودج بروضة مصر وهو من منتزهات الخلفاء الفاطميين العظيمة العجيبة البناء البديعة وذلك أنه يقال ان الباني له الخليفة الآمر باحكام الله للبدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه ومازال منتزها للخلفاء من بعده * وقد أكثر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشان كحديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر قد كان بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون في البوادي فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزي بداة الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي طليقا آمرا * نائلا ماشئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد * لاأرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كاغصان النقا * حيث لانخشى علينا دركا

فاجابها فقال

بنت عمي والتي غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا

وعجائبها وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض والجزء منه يوهمك الكل واليسير منه يدلك على الكثير ويمكن والله أعلم أن تكون هذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة في العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة في الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء في الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتنبيئه من غيره ليؤدي عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه في ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشئ وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا في أيدي الناس وأصل ذلك الهي كما وصفنا اذ كان ماذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع في القدرة (قال المسعودي) فلنرجع الى ماكنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن ملوطش (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده) لعس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسا بن نورش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكاكيل وكانت له حروب وسير في الارض وهو فرعون الاعرج الذي غزا بني اسرائيل وخرب

بحث بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدى ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا

قال ولناس فى طالب ابن مصاح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طيئ فى عصر الآمر مراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحى حول الرحال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله فطلب فى أحياء العرب فلم يوجد فقيل ما أخسر صفقة طراد باع عدة أبيات بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة ومدحه ظافر الحداد وأمية أبو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يرى فى نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الآمر فى حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد فى احضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بحمله فى الهودج فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن فاخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له عنها هذا القول قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها فى عز غير رد السقية التى قلعت من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقيل له قد حصلت فى حد أن خبرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله تعالى أملها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها فى أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحى لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليها الاعمال البحرية ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دهن الشمع بحضرة القاضى المذكور فامر فى الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن الشمع فما كان من أكثر من مسافة الطريق الا وقد أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ فى شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان من جواب المؤتمن وقد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا نظر فى قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر ان قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله تعالى

بن ...س (ثم ملك بعده) نفاس بن مرينوس وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن نفاس عشرين سنين (ثم ملك بعده) كاميل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وغزاه بختنصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله وسار بختنصر نحو المغرب وقد أتينا على أخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه باخبار مسير الملوك للارض واخبار مقاتلهم دون ما ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان وما زال أمر بختنصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى أنوشروان فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث فى دار مملكتهم فغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشام ومصر الى ان أتى الله بالاسلام وكان من أمر

الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثر الناس يحتاج اليه فاذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة وما نسبة اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امر الخلافة وابهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى ان ركب يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية على راس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل فى العشارى الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل ان يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور نقل ذلك كله الحافظ المقريزى رحمه الله تعالى قال النور بن سعيد ومن خطه نقلت لما نزلنا بتلعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سالت احد شيوخنا عن والد الشهاب الدين التلعفرى فقال انا ادركته وكان كثير التجول وانشدنى لنفسه فى عيد ادركه فى غير بلده

يبتهج الناس اذا عيدوا * وعند سرائهم اكمد
لانى ابصر احبابهم * ومقلتى محبوبها تفقد

قال وخرج ابنه الشهاب اجول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قاله وانشد ابن سعيد للشهاب التلعفرى

لك ثغر كلؤلؤ فى عقيق * ورضاب كالشهد او كالرحيق
وجفون لم يمتشق سيفها الا لمغرى بقدك المشوق
تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل وكل معنى دقيق
وتفردت بالجمال الذى خلاك مستوحشا بغير رفيق
باللحاظ التى لها لم ترل تر * شق قلبى وبالقوام الرشيق
لا تغرر بالغصن اذ تتثنى * فيه اعطاف كل غصن وريق
وائن محمر وردخديك واستر * هو الا ينشق قلب الشقيق

قال ابن سعيد وحظى الشهاب التلعفرى بمنادمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره وعهدى به لا ينشد احد قبله فى مجلس الملك الناصر على كثرة الشعراء وكثرة من يعتنى بهم ولما جمعت للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت ملك شعر الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده ويزهو به والتشفى من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرة الطالعة فى فضلاء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب حماة قد علت سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما اجرى ابن سعيد فى بعض مصنفاته ذكر الملك العادل بن ايوب قال ما نصه وكان من اعظم السلاطين دهاء وحزما وكان يضرب به المثل فى افساد القلوب على اعدائه واصلاح احواله ويحكى انه بشره شخص بان اميرا من امراء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فاعطاه مالا جزيلا وارسل مستخفيا الى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الافضل ويعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ويجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح وكان صلاح

افتتحها عمرو بن العاص ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه وبين المقوقس وتحصنه بقصر الشمع وغير ذلك من اخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك ودخول عمرو ابن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى اعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو بن العاص وذلك قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قد اتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى اخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقت عليه اهل التواريخ من تباين ما فيها ان عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق

الدين وهو السلطان يأخذ برايه وقدم له احد المصنفين كتابا مصورا فى مكايد الحروب ومنازلة المدن وهو حينئذ على عكا محاصرا للفرنج فقال له ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة والحزم ومن حكاياته فى ذلك ان احد الاشياخ من خواصه قال له يوما وهو على سماطه يا كل يا خوند ما وفيت معى ولا رعيت سابق خدمتى وكلمه بدالة السن وقدم الصحبة قبل الملك فقال لمماليكه انظروا وسطه فحلوا الكمران وقال خذوا الصرة التى فيه فوجدوا صرة فقال افتحوها ففتحوها فاذا فيها ذرور فقال العادل كل من هذا الذرور فتوقف وعلم أنه مطلع على انه سم فقال كيف نسبتنى الى قلة الوفاء وأنا منذ سنين اعلم أنك تريد أن تسمنى بهذا السم وقد جعل لك الملك الفلانى على ذلك عشرة آلاف دينار فلا أنا امكنتك من نفسى ولا أشعرتك انه لا يكون فى ذلك ما لا اخفاء به وتركتك على حالك وأنا مع هذا لا أغير عليك نعمة ثم قال ردوا سمه الى كمرانه لا أبقى الله تعالى عليه ان قدر وأبقى على فجعل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وأنا تائب لله تعالى ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف أدبا آخر وخدمة أخرى وكانت هذه الفعلة من احدى عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلى الذى يصلح لنساء الفرنج ويوجهه فى الخفية اليهن حتى يسكن أزواجهن عن الحركة وله فى ذلك مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن أخيه المعز اسمعيل بن طغركين باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب له أن يبايعه ويخطب له فى بلاده كان فى الجماعة من أشار الى النظر فى توجيه عسكر له فى البر والبحر وانفاق الاموال قبل أن يتفاقم أمره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله فى بلاده فضلا عن أن يتطرق فساده لبلادى ثم انه وجه فى السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم أنتم تعلمون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لى فكيف يسوغ له وقد أدخل نفسه فى أمر لا يخرج منه الا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه واتعظوا بالآية ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لهذا عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته اليكم ولتعلمن نبأه بعد حين فعندما وعت اسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه فى أول الامر بتجهيز العسكر قد كفينا المؤنة بايسر شئ من المال ولو حاولناه بما اشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ الى غايته وكان على ما بلغه من عظمة السلطان واتساع الممالك يحكى ما جرى له من زمان خلوه من ذلك ويحب الاستماع لنوادر أنذال العالم واشتهر فى خدمته مساخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق ومن نوادره الحاضرة منه انه سمعه يوما وهو يقول فى وضوئه اللهم حاسبنى حسابا يسيرا ولا تحاسبنى حسابا عسيرا فقال له يا خوند على أى شئ يحاسبك حسابا عسيرا اذا قال لك أين أموال الخلق التى أخذتها فقل له تراها يا مانتها فى الكرك وكان قد صنع بهذا المعقل الحسرات سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع على شئ منها بحيلة وهى خراب مفروغة من ذهب وفضة تركت بمراى من الناظرين ليشتهر ذلك فى الآفاق وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممن ذكر فى كتاب المستجاد فى حكايات الاجواد انما هذا كذب مختلق من الوراقين

الذين ظهروا اليها من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها أناس من الفرس من قبل الاكاسرة وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة ثلثمائة سنة (قال المسعودى) وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك ولا تحصل لى فى لغتهم فيمكن والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة الملوك تلك الاعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهى الفارسية الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر أخبار عجيبة من الدقائق وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك ابن مروان فاتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الـ[illegible] نيه كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا

ومن المؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والاكابر للسخاء وتبذير الاموال فقال خضير ياخوند ولاى شئ ما يكذبون عليك قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابى العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصى قد ذكر السلطان العادل فى كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرّج عنه الحديث النبوى عن الحافظ السلفى وتمثل فيه عند وفاته

ألام على بكائى خير ملك * وقل له بكائى بالنجيع
به كان الشباب جميع عمرى * ودهرى كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤون * له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسته العادلية بدمشق وكان انشاها للشافعية وهى فى نهاية الحسن وبها خزانة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا التاريخ واختصره ابو شامة سمعت عليه منه هنالك ما تيسر ايام اقامتى بدمشق واولاد العادل ملوك البلاد فى صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والاشرف وهؤلاء الثلاثة اشهر وابا الفضل وحب الفضلاء وقول الشعراء انتهى وقال ابن سعيد فى ترجمة الرئيس صفى الدين احمد بن سعيد المردعانى وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بفراقى * وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتى وصبابا * تى ووجدى وزفرتى واحتراقى
لرثيتم للمستهام المعنى * ووفيتم بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس فى كتاب تاج المعاجم ووجدت صاحبه الشهاب القوصى قد قال أخبرنى بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لامر ضاق به صدره فهتف به هاتف فى النوم وأنشده

يا أحمد اقنع بالذى أعطيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع التكاثر فى الغنى لمعاشر * أضحوا على جمع الدراهم ولها
واعلم بأن الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فانثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما أمله دون سفر وقال ابن سعيد فى ترجمة المنتخب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى المعروف بدفترخوان وهو الذى يقرأ الدفاتر بين أيدى الملوك والاكابر انه كان يقرأ الدفاتر بين يدى العادل بن أيوب وكان يكتب له بالاشعار فى المواسم والفصول فينال من خيره وكتب له مرة وقد أطل الشتاء فى دمشق فقال

مولاى جاء الشتاء * والكيس منه خلاء
لازال يجرى بما تر * تضى علاك القضاء
وكل كاف اليه * يحتاج فيه الثواء

فقال له العادل هذا الضمير الذى فى البيت الاول على ماذا يعود فقال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدنانير فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار فملأه له وقال أظنه كان معدّا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده

بلاط من المرمر والرخام عند سرير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى قاع باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة فى الارض والدلائل المتقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع فى النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما فى عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بانواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور وأشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقيد ذلك بأعمدة الذهب فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فاسرع بعضهم

مضنونا وكتب اليه مرة وقد أملق

انظر الى بعين جودك مرة * فلعل محروم المطالب يرزق
طير الرجاء على علاك محلق * وأظنه سيعود وهو مخلق

فاعطاه جملة دنانير وقال له اشتر بهذه ما تخلق به طير رجائك انتهى وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة وهو أبو الحسن على بن مروان الرباطى الكاتب

أنس أخى الفضل كتاب أنيق * أو صاحب يعنى بود وثيق
فان تعره دون رهن به * تخسره أو تخسر وداد الصديق
وربما تخسر هذا وذا * فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

قال وأجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بنثر نصه مثلك بفيد تجربة قد نفق عليها عمر وضل عن فوائدها غر غمر وقد أنفذت رهنا لا سمح باخراجه الا لديك فتفضل بتوجيه الجزء الاول فانا اعلم أنه عندك مثل ولدك قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا أخى ان عرضت بولدى فكذلك كنت مع والدى وقد توارثنا العقوق كابرا عن كابر فلئن شاكرا فانى صابر ثم قال ابن سعيد وتعاقم أمر ولده فقيده بقيد حديد وقال فيه

لى ولد ياليته * لم يك عندى يخلق
يجهد فى كل الذى * يرغم وهو يعشق
وان أكن قيدته * دمعى عليه مطلق

وذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب فاذا طلبت منه فكأنها ما كانت فذكر لبعض أصحابه وهو ابن الربيب المؤرخ أن عنده نسخة جليلة من تاريخ غريب الذى لخص فيه تاريخ الطبرى واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيل ما حدث بعده فأرسل اليه فى استعارتها فكتب اليه يا أخى سدد الله آراءك وجعل عقلك أمامك لا وراءك ما يلزمنى من كونك مضيعا أن أكون كذلك والنسخة التى رمت اعارتها هى مؤنسى اذا أوحشنى الناس وكاتم سرى اذا خانونى فما أعيرها الا بشئ اعلم أنك تتأذى بفقده اذا افتقدته من النسخة وأنا الذى أقول

أنس أخى الفضل كتاب انيق * الى آخره وأنشد للكاتب أبى الحسن المذكور

ان ذاك العذار قام بعذرى * وفشا فيه للعواذل سرى
ما رأينا من قبل ذلك مسكا * صاغ منه الاله هالة بدر
أى آس من حول جنة ورد * ليس منه آس مدى الدهر يبرى

ولما اشتد مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات وأوصى أن تكتب على قبره

الا رحم الله حيا دعا * لميت قضى بالفلا نحبه
تمر السوافى على قبره * فتهدى لاحبابه تربه
وليس له عمل يرتجى * ولكنه يرتجى ربه

انتهى

*(رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به) فنقول وقال لما سار المعظم من حصن كيفا وآل أمره الى الملك ثم القتل والهلك

فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تنتهى الى ما هنالك فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدركه حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا أسمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ما وقع على بعض تلك الدرج شئ أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم (قال المسعودى) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض بلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من

ليت المعظم لم يسر من حصنه * يوما ولا وافى الى أملاكه
ان العناصر اذ رأته مكملا * حسدته فاجتمعت على اهلاكه

* ومما نقلته من ديوانه الذى رتبه على حروف المعجم قوله رحمه الله تعالى وقلت بالقاهرة على على لسان من كلفنى ذلك

شرف الدين أين لى ما السبب * فى انقلاب الدهر لى عند الغضب
فالتدم غضبان أظفر بالمنى * ليس لى فى غيره ذا من أرب
انما طهرك عندى قبلة * ووضوئى الدهر من ذاك الذنب

وأستغفر الله من قول الكذب قال وقلت باشبيلية

قد جاء نصر الله والفتح * والصبح لما رضيت صبح
فهنئونى بارتجاع المنى * لولا الرضا ما برح البرح
يا أورقا يا غصنا يا نقا * يا ظبية بالليل يا صبح
يصحو جميع الناس من سكرهم * ولست من سكر كم أصحو
بلغت فيه غاية لم يبن * غايتها التفسير والشرح
وينصح العذال من لى بأن * يعذلنى عن غيك النصح

وقلت باشبيلية

وضح الصبح فأين القدح * يعرف اللذات من يصطبح
ما ترى الليل كطرف أدهم * وضياء الفجر فيه وضح
والثرى دبجه در الندى * وعلى الاغصان منه وشح
ومدير الراح لم يعد المنى * كل ما يأتى به مقترح
فى بطاح المرج قد نادمنى * رشا من سكره ينبطح
جعل المسواك ستر اللمى * فكأن قبل فاه قزح
كلما شئت الذى قد شاءه * خفى لى كأسه أفتتح
ما أبالى ان رآنى كاشح * أم رآنى من لديه نصح
هكذا العيش ودع عيش الذى * خاف من نقد اذا يفتضح

وقلت بشريش

طاب الشراب لمعشر * سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا * السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المنى * وفسادهم فيها صلاح
ساقيهم متبذل * هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا * وردته طوع الراح راح
طوع الامانى كل ما * يأتى به فهو اقتراح
ما ان يبالى ان بدا * أن لا يلوح لنا الصباح
مازلت أرشف ثغره * وعليه من عضدى وشاح

حفره وأباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج وأقباء وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرذ والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجد في أجوافها رمم بالية وأجسام فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب وما بقى من الطلاء متروك فى ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف فى نوع من الانواع التى للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر

والقلب يهفو طائرا * ولعاولا يخشى افتضاح

ولوانما نخشاه كا * ن لنا من الظلما جناح

لكننا فى عصبة * مافى تهتكهم جناح

لا ينكرون سوى ثقيـل لا يميـل به مزاح

أفنى الذى قد جمعوا * الكاس والحدق الملاح

وقلت بمراكش

قم هاتها لاح الصباح * ما العيش الا الاصطباح

مع فتيـة ما ذنبهـم * الا المروءة والسماح

جربتهـم فوجدتهـم * ما للـنى عنهـم براح

نشبهم بحو الصبا * يتغير المثانى والمراح

ما دام وانحفافكا * نوا لهـم بخدمته اسراح

بل يعرفون مكانه * فله اذا شاء انفساح

هم يتبعون وضيفهم * ما دام عندهـم براح

سالن يميـلون النزيـل وبالرضا منه السراح

يدعونه بأجـل ما * يدعى به الحر الصراح

حتى اذا ما بان كدر عيشـهم منه انبزاح

بعلى مثالهـم بيا * ح لى المدامع والنواح

كرها فقدتهـم فما * لى بعد بعدهم ارتياح

لله شوقى ان هفت * من نحو أرضهم الرياح

فهناك قلبى طائر * لهم ومن شوقى جناح

قال وقلت بمدينة ابن السليم فى وصف كلب صيد أسود فى عنقه بياض

وأدهم دون حلى ظل حالى * كأن ليلا يقلده صباح

يطير وماله ريش ولكن * متى يهفو فاربعه جناح

تكل الطير مهما نازعته * وتحسده اذا مر الرياح

له الالحاظ مهما جاء سالك * ومهما سار فهى له وشاح

وقلت فى نيل مصر

يا نيل مصر أين حمص ونهرها * حيث المناظر أنجم تلتاح

فى كل شط للنواظر مسرح * تدعو اليه مسارح وبطاح

واذا بحثت فلست أسمع خائفا * ما فيه تياح ولا تمساح

قال وقلت وقد حضرت مع اخوان لى بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب

رق الاصيل فواصل الاقداحا * واشرب الى وقت الصباح صباحا

وانظر لشمس الافق طائرة وقد * ألقت على صفح الخليج جناحا

الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من اهل الملك وزعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك العلم من حين فقده من الارض اعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفاتر والاموال والجواهر وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب)

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو

فاظفر بصفو الافق قبل غروبها * واستنطق المثنى وأحث الراحا
متع جفونك فى الحديقة قبل أن * يكسو الظلام جمالها أمساحا

وقلت برسية

أقلقه وجده فباحا * وزاد تبريحه فناحا
ورام يثنى الدموع لما * جرت فزادت له جماحا
يا من جفا فارقن عليه * مستعبد الاسرى السراحا
يكاد الموت كل حين * لو أنه مات لاستراحا
ينزو اذا ما الرياح هبت * كأنه يعشق الرياحا
يسالها عن ربوع حمص * لما عرفها وفاحا
كم قد بكى للحمام كيما * يعيره نحوها جناحا

قال وخرجت مرة مع أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الى مرج الفصة بنهر اشبيلية فتشاركنا فى هذا الشعر

غيرى يميل الى كلام اللاحى * ويمد راحته لغير الراح
لا سيما والغصن يزهر زهره * ويميل عطف الشارب المرتاح
وقد استطار القلب ساجع ايكه * من كل ما أشكوه ليس بصاحى
قد بان عنه جناحه وعياله * من جانح للعجز حلف جناح
بين الرياض وقد غدا فى مأتم * وتخاله قد ظل فى افراح
الغصن يمرح تحته والنهر فى * قصف ترجيه يد الارواح
وكأنما الانسام فوق جنانه * أعلام خز فوق سمر رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطر * لما رأته مدرعا لكفاح
فاذا تتابع موجه لدفاعه * مالت عليه فظل حلف صياح

قال وقلت بمالقة منشوقا الى الجزيرة الخضراء

يا نسيما من نحو تلك النواحى * كيف بالله نور تلك البطاح
اسقتها الغمام ريا فلاحت * فى رداء ومئزر ووشاح
أم جفته فصيرته هشيما * تركته تذروه هوج الرياح
يا زمانى بالحاجبية انى * لست من سكر ما سقيت بصاحى
آه مما لقيت بعدك من هم وشوق وغربة وانتزاح
أين قوم ألفتهم فيك لما * قرب الدهر آذنوا بالرواح
تركونى أسير وجد وشوق * ما لقلبى من الجوى من سراح
أسلمونى للويل حتى تولوا * وأصاخوا ظلما لقول اللواحى
أعرضوا ثم عرضونى لشوق * ترك القلب مثخنا بجراح
أسهر الليل لست أغفا لصبح * أترى النوم ذاهبا بالصباح
قد بدا يظهر النجوم حليا * وهو من لبسة الصبا فى براح

القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد) أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت أن أبنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تأخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد أفريقية واقريطش وأقاصى بحر

مسبلا ستره منعم بال * وجفوني من سهده في كفاح
أيها الليل لا تؤمل خلودا * عن قريب يعدو ظلام ماحي
ويلوح الصباح مشرق نور * فيه للمستهام بدء نجاح
ان يوم الفراق بدد شملي * طائر البين بعد بغير جناح
حال اللون شبه لونك فاعرف * عن عياني يا شبه طير النزاح
واذا ما بدا الصباح فما يشبه الالون الخدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضراء

قد رفعت راية الصباح * تدعو الندامى للاصطباح
فبادروا للصبوح اني * قد بعت في غيه صلاحي
ولا تميلوا عن رشف ثغر * وسمع شدو وشرب راح
وأنت يا من يروم نصحي * قد يئس القوم من فلاحي
لست أصغي الى نصيح * ما نهضت بالكؤس راحي

قال وقلت أمدح ملك افريقية وأهنيه بقتل ثائر من زناتة يدعي أنه من نسل يعقوب المنصور

برح بي من ليس عنه براح * ومن رأى قتلي حلالا مباح
من صرح الدمع بحبي له * وما لقلبي عن هواه سراح
ظبي عدمت الصبح مذ صدني * وكيف لا يعدم وهو الصباح
مورد الخد شهي اللمى * منعم الردف جذيب الوشاح
تظنه من قلبه جلمدا * ومنه للماء بجفني انسياح
لردفه أضعف من صبه * ولم أزل من لحظه في كفاح
نشوان من ريقته عربدت * أجفانه بالمرهفات الصفاح
فها أنني خافت مثلما * أنا أسير مثخن بالجراح
يا فاتلي صدا أما تستحي * أن تلزم البخل بأرض السماح
من ذا الذي يبخل في تونس * والملح فيها صار عذبا قراح
واصبحت ارجاؤها جنة * مبيضة الابراج خضراء البطاح
لولا ندى يحيي وتدبيره * ما برحت تعبر منها النواح
لكن يداه سحب كلما * حلت بأرض حل فيها النجاح
هذا وقد آمن من حلها * وحقها من غربة وانتزاح
كم شتتوا من قبل تأميره * وحكمت فيهم عوالي الرماح
يا سائرا يرجو بلوغ المنى * يا كرذري يحيي وقل لا رواح
وحيه بالمدح فهو الذي * يهتز كالهندي حين امتداح
بالشرق والغرب غدا ذكره * يحث من حمد وشكر جناح
ساعده السعد وانحت له الآمال تجري بغير اقتراح

الروم على [illegible] الاسكندرية على ليلة منها في البر وهي أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة هي وقتناهذا بيد [illegible] الثمين وثلاثين وثلاثمائة دار صناعة الروم وبها [illegible] المراكب الحربية و[illegible] خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر تغير وتأسر وتسبي وأمر الاسكندر الفعلة والصناع ان يدوروا بمقاديرهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد فخفق الاسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل

و يسر الله له ملكه * من غير أن يشهر فيه السلاح
وكل من كان على غيره * ذا منعة أمسى به مستباح
وكم جموح عندما قام بالأمر رأى * القهر فخلى الجماح
كف بكف الندى والردى * بها معان وهي خرس فصاح
حتى لقد أحسن من سعده * تجري على ما يرتضيه الرياح
ذو لو اليعقوب فماذا جنى * وابن أبي حمزة ماذا استباح
قد أصبحا من فوق جذعين لا * يؤنسهم غير هبوب الرياح
واسأل عن الداعي الدعي الذي * حاول أمرا كان عنه الصراح
أكان من صيره والدا * برغمه أمل فيه فلاح
شكرا لسعد لم يدع فرقة * قد صير الملك كضرب القداح
راموا بلا جاه ولا محتد * ما حزت بالحق فكان افتضاح
زمانة يهنيكم فعلكم * عاجلكم ثائركم باجتياح
كفى ما قدمتم آخرا * والخير لن يبرح للشر ماح
عهدي به في موكب الملك ما * بينكم نشوان من غير راح
يحسب أن الأرض ملك له * ووجه ملك سمر الرماح
غدا بعز الملك لكنه * أهون مملوك على الأرض راح
جاؤا به يمرح في عزه * وهم أزالوا عنه ذاك المراح
توقعوا في القرب منه الردى * من صحبة الأجرب يخشى الصحاح
فأسرعوا نحوك يبغون ما * عودتهم من عطفة والتماح
فغادروه جانبا غدره * لطائر البين عليه نياح
فالحمد لله على كل ما * سنى لك السعد برغم اللواح
مثلك لا ينقد ما شاءه * فلست تأتي الدهر إلا صلاح
لا زلت في عز وفي سكنة * وفي سرور دائم وانفساح

قال وقلت ببنيونش موضع الفرجة بسبتة

اشرب على بنيونش * بين السواني والبطاح
مع فتية مثل النجو * م لهم إذا مروا جماح
ساقيهم متبذل * لا يمنع الماء القراح
كل يد يمينه * ما في الذي يأتي جناح
هبوا عليه كما * هبت على الروض الرياح
طوع الأماني كل ما * يأتي به فهو اقتراح
عانقته حتى تركـ * ـت بخصره أثر الوشاح

وقلت بإشبيلية

أوجه صبح أم الصباح * ولحظها أم ظبا الصفاح

الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخففت ما عليها من الأجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الإسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله إلا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك إياها وإن الإسكندر لما أحكم بنيانها وأثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الإسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان فقلق الإسكندر لذلك وراعه ما رأى فأقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة يوقع في دفع الأذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وإرادة الأمور وإصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع

وبليلة الاسرا حباك وسمى الصديق من اضحى بقولك يسعد
وحباك بالخلق العظيم ومعجز الكلم الذى يهدى به اذ يورد
وبعثت بالقرآن غير معارض * فيه وامسى من نحاه يعدد
فتوالت الاحقاب وهو مبرأ * من ان يكون له مثال يوجد
والكم البليغ جال فصل خطابه * والسرج فى ضوء الغزالة تهمد
ودوت لك الارض التى لازال يو * م الحشر ربك فى ذراها يعبد
ونصرت بالرعب الذى لما نزل * يرى كأن ماء من شخصك تفقد
فتى تعرض طاس او حادعس * حزم الهداية فالحسام مجرد
يا من تحير من ذؤابة هاشم * نعم اتخار لها ونعم المحتد
لسناك حين بدا بآدم اقبلت * رعيا الاخراه الملائك تسجد
لم استطع حصرا لما اعطيته * فذكرت بعضا واعتذارى منشد
ماذا اقول اذا وصفت محمدا * نفد الكلام ووصفه لا ينفد
فعليك يا خير الخلائق كلها * منى التحية والسلام السرمد

فال وقلت باشبيلية

هل يمنع النهود * ما ابدت الخدود
نعم وكم طعين * بطعنها شهيد
يا ربة الحيا * حفت به السعود
لم تسر الحيا * بل ريقك البرود
لله يا عدولى * ما تكتم البرود
مازلت فيه أفنى * والوجد مستزيد
يا هل ترى زمانا * مضى لنا يعود
لدى الغروس سقت * جنابها العهود
حيث الغصون مالت * كأنها قدود
وزهرها نظيم * كأنه عقود
حمامها تغنى * اعطافها تميد
وبالنسيم شعت * لنهرها برود
فروعه سيوف * وسوره بنود
هناك كم دعتنى * الى الورود رود
فنلت كل سؤل * يفنى به الحسود
قضيت فيه عيشا * ما بعده مزيد
اضحى به وامسى * مرنحا اميد
كأننى يزيد * كأننى الوليد
يجرى الزمان طوعى * بكل ما أريد

الزمان من الآفات والعمران والخراب ومن يؤل اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندر بها طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاحمر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ولما علم

الخمر ملكتى * والخلق لى عبيد
يحق لى اذا ما * أبصرتها تجود
فها انا اذا ما * فقدتها فقيد
يا من يلوم بغيا * العذل لا يفيد
اذا عدمت كاسى * فليس لى وجود

قال وقلت باشبيلية

أوما نظرت الى الحمامة تنشد * والغصن من طرب بها يتأوّد
ونثاره تلقاه جائزة لها * لما نزل بيد النسيم ببدد
ألقى عليها الطل بردا سابغا * فثناؤه طول الزمان يردد
أترى الحمامة من محب مخلص * أولى بشكر حين تغمره يد
فلأثنين عليك ما أثنى بأعلى الغصن جنان الهذيل مغرد
كم نعمة لى فى جنابك كم أكا * بد جهدها أيان برك يجهد

وقال

أرى العين منى تحسد الاذن كلما * جرت مدحة للعلم والفضل والمجد
أحقق أنباء ولم ار صورة * كمخبرنى الاخبار عن جنة الخلد
فمن لى على عينى بلقياك انى * أخذت لها أمنا بذاك من السهد

قال وقلت أمدح ابن عمى وأشكره على ما أذكره

آه مما تكن فيك الجوانح * ودموعى على نوالك سوافح
واشتفاء من العدو مبين * كدر العيش اى عيش لنازح
يا أتم الانام حسنا أما تحسن حتى يتم اطراء مادح
يا زمان الوصال عودا فانى * طوحت بى لما غدرت الطوائح
أين عيش العروس اذ بطح البكر حبيبى ما بين تلك الاباطح
والامانى تترى ولا أحد ينصح اذ لا يصغى الى قول ناصح
وزمان السرور سمح مطيع * ورسول الحبيب غاد ورائح
ولكم ليلة أتانى بلاطيب ولكن يزرى بأذكى الروائح
هو طب وليس يحتاج طيبا * قد كفاه عرف من المسك فائح
مثل عليا محمد لم تكن كسبا وما لا يكون فى الطبع فاضح
يا كريما أتى من الجود مالا * كان يدرى فوجدته المدائح
وعلا كل ذى علاء وأضحى * نحو ما لا يرومه الناس طامح
قد أتانى احسانك الغمر فى اثر سواه فكنت أكمل مادح
فاض بحر النوال منك ولا سا * حل يبدو ولم أزل فيه سابح
حال مثل ما كسوتك فى المد * ح تميت العدا ومال وسائح
أورد الورد منطقى كل شىء * حين أضحى طوع البنان مسامح

واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم وعند أصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى فى مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتى فى هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى ولهم فى ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له ولغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك للطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس وما ذكرنا من درج الفلك موجود فى كتب من تاخر من علماء المنجمين والفلكيين كأبى معشر البلخى والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى وماشاء الله وحبش والزيدى ومحمد ابن جابر البتانى فى زيجه الكبير وثابت بن قرة وغير هؤلاء ممن تكلم فى علوم هيآت الفلك والنجوم (قال المسعودى)

فاما منارة الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن

لوزخد الحبيب حين كسوه * حلة الحسن بالعيون اللوامح
شفق سال بين عينيه صبح * حسنه قيد اللحاظ السوارح
لم أجد فيه من جناح ولكن ثنائى عليك مازال جامح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل * صير الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما يهدى الى الروض باسمات النوافح
فاعذر الناس ان أتوا لك أفوا * جا فكل بقصد فضلك رابح
ما هدتهم اليك الا الامانى * لم تحلهم الا عليك القرائح
قل لذى المفخر الحديث تأخر * ليس مهر فى شأوه مثل قارح
أى أصل وأى فرع أقاما * شرفا طال للنجوم يناطح
قد حوت مذحج من الفخر لما * كنت منها ما ليس يحويه شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر * فى ظلام الخطوب مازال لائح
بدر تم حفت به هالة من * بيت مجد علاؤها الدهر واضح
يا سماكا أعزكه القلم الاعلى بدا بين أنجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا * بعدما كابدت توالى الفضائح
يا أعز الانام نفسا وأعلا * همة لازال أمرك راجح
أين أعداؤك الذين رعى سيفك فيهم فاشبهوا قوم صالح
أفسد الدهر حالهم ليرى حا * لك رغما بمن يناويك طائح
دمت فى عزة وسعد مدى الدهـــر ولازال طائر منك سانح

وابن عمه المذكور قال فى حقه فى المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد فقد جاء آخرهم محددا مفاخرهم ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مشروبا أسود اللون غليظا وخروبا وزبيبا أسود وزبيبا كثير الغصون جاءت به عجوز فى طبق

ويوم نزلنا بعبد العزيز * فلا قدس الله عبد العزيز
سقانا شرابا كلون الهناء * ونقلنا بقرون العنوز
وجاءت عجوز فأهدت لنا * زبيبا كغيلان خد العجوز
انتهى

ونزل السلطان أبو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى شطه نور فقال الرئيس أبو عبد الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك

ونهر يرف الزهر فى جنباته * ويثنى النسيم قضبه ويقنطر
يسيل كما عن الصباح بأفقه * والا كما شيم الحسام المجوهر

فيلبش المقدونى هو الذى بناها على حسب ما قدمنا فى بناء المدينة ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على

عليه ليحيى قبة هل سمعتم * بترصيعة شمس حل فيها غضنفر
فان قلت هذي قبة لعفاتها * فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر

وقال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سعيد المير اللخمي الشاني في ذلك

وأرض من الحصباء بيضاء قد جرت * جداول ماء دونها تتفجر
كما سبحت تبغي الحياة أراقم * على روضة فيها الأقاح المنور
والا كما شقت سبائك فضة * بساطا على حافاته الدر ينثر

وقال أبو علي يونس

انظر الى منظر يسبيك منظره * ويزدهيك باذن الله مخبره
ومعجب معجب لاشئ يشبهه * خرير ماء غدير تم منهره
كانما فرشت بالدر صفحته * فالماء ينظمه طورا وينثره
كأن حلجانه قدت على قدر * بمائها قسم يجري مفجره
أحل سيدنا المأمون قبته * بجوزه فغدا يردان جعفره

*(رجع) الى ما كنا فيه من أخبار الرئيس بن الحسين فنقول رأيت بالمغرب آخر كتاب روح السحر من نسخة ملوكية كتبت له أبياتا علق بحفظي منها الآن ما نصه

تم روح السحر نسخا فأتى * مخبرا باليمن والفخر البعيد
لأبي عبد الاله المرتضى * في ذرا المجد الرئيس بن سعيد

ولم احفظ تمام الأبيات وقال أبو الحسين علي بن سعيد كتبت اليه من أبيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما أوجب تغيره

ومن بعد هذا قد أتيت بزلة * أما حسن أن لا تضيق به صدرا
وعلمك حسبي بالامور فانني * عهدتك تدري سر أمري والجهرا
وقد أصلح الله الامور بسعيكم * ونيتكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يبق لي الارضاك فان به * كتبت ولو حرفا أطبت به العمرا
فبقيت كهفا للجميع وموئلا * ولازلت مادام الزمان لنا سترا

فكتب الي هذه الابيات وكان متمرضا وبعث الي بما يذكر

أكف الصبا حفت جنى زهر الربا * سؤالك عن مضنى يسامي بك الزهرا
بعثت بمثل الزهر في مثل صفحة * لذلك ما قلدتها الشذر والدرا
معان لها أعنو وأعني بها فكم * وقفت عليها العين والسمع والفكرا
فلو عرضت للبحر لم يلفظ الدرا * ولو عارضت هاروت لم ينفث السحرا
أبا حسن هنيت ما قد منحته * ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
ودونك بحرا من ودادي تلاطمت * به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
فان خطرت في جانب منك هفوة * فلا تحسبن أني أضيق بها صدرا
بزل جواد عندما يبلغ المدى * ويعثر بالرمث النسيم اذا اسرى
فدع ذا وخذها شائبات قرونها * عروبا بالعروبا جائرا حكمها بكرا

نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم في مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فاتى الى الوليد فاخبره أنه من خواص الملك وأنه اراد قتله بموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه استوحش منه ورغب في الاسلام فاسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فساله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام

ولو غادرت أوصافها متردما * لشنفت من أشعارها أذن الشعرا

ألا فاجبنها عن صديق معمم * فان قصارى العمر أن يبكى العمرا

ومن كان ذا حر وسل ورقة * فلا يخلون الا على الحمرة الحمرا

قرنت بها صفراء لم يعرف الهوى * ولا ألفت وصلا ولا عرفت هجرا

ولا ضمخت نضخ العبير وان غدت * توخره لونا وتفضحه نشرا

فان حلتها بنت الظليم أظلها * فقد فرش الاذخر من تحتها تبرا

لها نسب بين الثريا والثرى * وسل برباها المزن والغصن النضرا

فشربا دهاقا وانتشاقا ولا ترم * عن البيت فنزا أو تقيم به شهرا

وله فى الخشكلان

هوا لا اهلة لكن * تدعونه خشكلانا

فان تفاءلت صحف * تجد حبيبك لانا

انتهى باختصار

وحظى المذكور جدا عند السلطان ملك افريقية أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبى عبد الله المستنصر ممدوح حازم بالمقصورة وقاتل ابن الابار القضاعى سخط على الرئيس بن الحسين المذكور وقبض على دياره وأمواله وصيره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به فى مصلحة للدولة فأحضره وسأله فأخبره بان أباه صنع دارا عظيمة تحت الارض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذى أودعه نفائس أمواله غيرى وأوصانى أنه اذا انتقل الى جوار ربه اذ توقع أن تقع فتنة بين أقارب به انه اذا انقضت سنة واستقر الامر لاحد من ولدى أو من يتيقن انه يصلح لامور المسلمين فاطلعه على هذه الذخائر بما فنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يصلح به الدولة اذا تفرغ للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبادر الى تلك الدار فرأى ما ملأ عينيه وسر قلبه وخرج الرئيس بن الحسين والخيل تجنب أمامه وبدر الاموال بين يديه وأعاده الى أحسن أحواله وجعله وزير الدية كما كان أبوه مفوضا أموره اليه وقال السلطان ان من أوجب شكر الله على ان افتتح المال بان أؤدى منه للرعية الذين نهبت دورهم واحترقت فى الفتنة التى كانت بينى وبين أقاربى ما خسروه وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شئ قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور فى بعض متصيداته فكتب لابى عبد الله الرئيس المذكور يامره باحضار الاجناد لاخذ أرزاقهم بقوله

ليحضر كل ليث ذى سنال * زكا فرعا لاسداء النوال

غدا يوم الخميس فاشغلنا * باسد الوحش عن أسد الرجال

وحكى ان السلطان المذكور عرض مرة أجناده وقيل بل سلم عليه الموحدون يوم عيد بتونس وفيهم شاب وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان عن اسمه وأعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان هذا المصراع * كانه فكلمت صفحة خده * وسأل

فى هالة واتخذت الارض وغيرها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر و بنى فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها فى الهواء ألف ذراع والمرآة على علوها والديادبة جلوس حولها فاذا انذروا الى العدو فى البحر فى ضوء تلك المرآة صوتوا بمن قرب منهم وصوتوا ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزالت المرآة فضج الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة فى أمرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب فى الليل فى مركب كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية فى البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرك والاسباد جشم ويقال ان ذلك من الآلات التى كان اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها من

من الحاضرين الاجازة فلم يأتوا بشئ فقال السلطان مجيزا شطره
* فتفتحت فيها شقائق جده * وهذا من البديع مع ما فيه من التورية والتجنيس ومما نسبه له أبو حيان بسنده اليه

مالى عليك سوى الدموع معين * ان كنت تغدر فى الهوى وتخون
من منجدى غير الدموع وانها * لمغيثة مهما استغاث حزين
الله يعلم أن ما حملتنى * صعب ولكن فى رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل حتى انه كتب له السلطان صاحب مكة البيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون فى تاريخه الكبير ونصها وهى من الغرائب ومن سعده أن الفرنسيس الذى كان أسر بمصر وجعل فى دار ابن لقمان والطواشى صبيح يحرسه لما خرج جاء من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بعالم يجتمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا ألف ألف فكتب اليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التى منها

قل للفرنسيس اذا جئته * مقالة من ذى لسان فصيح

الى أن قال

دار ابن لقمان على حالها * ومصر مصر والطواشى صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها فصرف الفرنسيس جيوشه الى تونس فكتب اليه بعض أدباء دولة المستنصر

افرنسيس تونس أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فقضى الله سبحانه وتعالى انه مات فى حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلها قط ويقال انه دس اليه سيفا مسموما من سله أثر فيه سمه وقلده رسولا اليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس رجل كثير الطمع ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره وانه سيرى السيف ويكثر النظر اليه فاذا رأيته فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبله وقل له هذا هدية منى اليك لان من آدابنا معاشر الملوك أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر اليه بالقصد فلا بد أن يكون له ويحرم علينا أن نمسكه لان ما أحبه المولى على العبيد حرام وتكرار النظر اليه دليل على حبه له ففرح النصرانى بذلك وأسرع الرسول العود الى سلطانه فسل النصرانى السيف فتمكن فيه السم بالنظر فمات فى الحين وفرج الله تعالى عن المسلمين * (رجع) الى أخبار أبى الحسن على بن سعيد قال ابن العديم فى تاريخ حلب أنشدنى شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى بالقاهرة فى أبى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير الى كتاب أبى الحسن الذى جمعه فى محاسن المغرب وسماه المغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا * وابتهاجا بمغرب ابن سعيد
طلعت شمسه من الغرب تجلى * فأقامت قيامة التقييد

اخذ ذلك النوع من الجوهر وغرته حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر فى معدنه براكان أو بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا والاكثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاشباد جشم وقد رأيت كثيرا من أصحاب التلويحات ومن عنى باعمال الجواهر المشبهة بالمعدنية يعمل هذه الجواهر المعروفة بالاشباد جشم ويتخذ منه الفصوص وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلمون هى ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون فى المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجوهر فى صفائه واختلاف نظر البصر فى ادراكه وتلون هذا النوع من الجوهر اعنى الباقلمون نحو تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون ألوانا مختلفة اذا نابها واجتنها أعنى الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بأرض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تأملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما يتراءى من تموج الالوان فى ريشها ويتأتى ذلك منها العظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة

لم يدع للمؤرخين مقالا * لولا للرواة بيت نشيد
ان تلاه على اجسام تغنت * ماعلى ذا فى حسنه من مزيد

وأنشد أبو العباس التيفاشى لنفسه فيه

ياطيب الاصل والفرع الزكى كما * يبدو جنى ثمر من أطيب الشجر
ومن خلائقه مثل النسيم اذا * يهفو على الزهر حول النهر فى السحر
ومن محياه والله الشهيد اذا * يبدو الى بصرى أبهى من القمر
أثقلت ظهرى ببر لا أقوم به * لو كنت أتلوه قرآنا نامع السور
أهديت للغرب مجموعا بعالمه * فى قاب قوسين بين السمع والبصر
كأننى الآن قد شاهدت أجمعه * بكل من فيه من بدو ومن حضر
نعم ولاقيت أهل الفضل كلهم * فى مدتى هذه والاعصر الاخر
ان كنت لم أرهم فى الصدر من عمرى * فقد رددت على الصدر من عمرى
وكنت لى واحدا فيهم جميعهم * ما يعجز الله جمع الخلق فى بشر
جزيت أفضل ما يجزى به بشر * مفيد عمر جديد الفضل مبتكر انتهى

ومن نظم أبى الحسن بن سعيد قوله

وعشية بلغت بنا أيدى النوى * منها محاسن جامعات للنخب
لحدائق ما بينهن جداول * وبلابل فوق الغصون لها طرب
والنخل أمثال العرائس لبسها * خز وحليتها قلائد من ذهب

ومن نظمه رحمه الله تعالى فى حلب قوله

حادى العيس كم تنيخ المطايا * سق فروحى من بعدهم فى سياق
حلب انها مقر غرامى * ومرامى وقبلة الاشواق
لا خلا جوسق وبطياس والسعـ * ـداء من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه يسقى المنى بكاس دهاق
وتغنى طيوره لارتياح * وتثنى غصونه للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق

وقوله أيضا فى حماة

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل * وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلومون أن أعصى التصون والنهى * بها وأطيع الكاس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك النواعير شدوها * وأغلبها رقصا وأشبهها عرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمرآها وتسألها العطفا

وقوله فى وداع ابن عمه وكتب بهما اليه

وداع كما ودعت فصل ربيع * يفض ضلوعى أو يفيض دموعى

الهند فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تحصف أنوار الابصار بادرا كها وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا فى المذكور منها دون الاناث وذلك نحو النارنج والاترج المدور حمل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وانطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم الا الان من يدخلها يتيه فيها الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج لكثرة بيوتها وطبقاتها وممارقها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا

لئن تمل فى بعض بفارق بعضه * فانى قد فارقت منك جميعى

قال فارسل الى احسانا واعتذر ولسان الحال ينشدعه

أحبك فى البتول وفى أبيها * ولكنى أحبك من بعيد

وقوله وقد أفلت المركب الذى كان فيه من العدو

انظر الى مركبنا منقذا * من العدا من بعد احواز

أفلت منهم مغدا طائرا * كطائر أفلت من بازى

وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود افريقية

ومن حاورناه دود مواطن * صحبنا بها الايام طلقا محياها

وما ان تركناها الجهل بقدرها * ولكن نبت عنا اعنة سعياها

ضربنا تحت السير عنها لغيرها * الى أن يسر الله يوما لقياها

وكان وصوله الاسكندرية فى السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وستمائة * وقال رحمه الله تعالى أخذت مع والدى يوما فى اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون لاحد فى اختياره فقال متى أردت أن يسلم لك أحد فى هذا التأليف أعنى المغرب ولا يعترض أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وأنا أضرب لك مثلا يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوما يا أبى ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت فى مجانبتها سلمت من نقدهم فقال يا بنى انك غر لم تجرب الامور وان رضا الناس غاية لا تدرك وأنا أوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا أتبعك ماشيا فبينما هو كذلك اذ قال رجل انظر ما أقل هذا الغلام بادب يركب ويمشى ابوه وانظر ما اشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزل أركب انا وامش أنت خلفى فقال شخص آخر انظر هذا الشخص ما اقل شفقته يركب ويترك ابنه يمشى فقال له اركب معى فقال شخص أشقاهما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان فى واحد منهما كفاية فقال له انزل بنا وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفف الله تعالى عنهما انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بنى سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اى حالة كان اعتراضهم انتهى وقال فى اثناء خطبة المغرب ما نصه والحمد لله الذى جعل الادب افضل ما اكتسب وافضل ما انتخب اذ هو ذخر لا يخاف كساده وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر نفاده ولله در القائل

رايت جميع الكسب يفقده الفتى * وتبقى له اخلاقه والتادب

اذا حل فى ارض اقام لنفسه * بآدابه قدرا به يتكسب

وأوما كل نحوه ولعله * الى عيراهن للنباهة ينسب

وقال فى اثناء الكلام لبعض المغاربة

فأثبت فى كل المواطن همة * الى طلب العلم الذى كان مطرح

وصيرت من قد كان بالنظم جاهلا * يحاوله كيما يجود لك المدح

وقال ايضا فى الخطبة وبعد فهذا كتاب راحة قد تعبت فى جمعه الاسماع والابصار

الى المنارة تاهوا فيها وفيها طرق تؤدى الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتهور وا بدوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان فى كرسى بها فيه ابها وبها مسجد فى هذا الوقت يرابط فيه فى الصيف متطوعة المصريين وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية وبلاد الاندلس ورومية وما فى الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة فى عجائب البلدان والابنية والآثار وخواص البقاع وما يؤثر فى ساكنيها وقعانها أعرضنا عن ذكرها لما قد أتينا على الاخبار عنها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم ودوابه وبره وبحره فاغنى ذلك عن اعادة ذكره ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهيا كل المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما لم يعمها بل نذكرها فى الموضع المستحق بها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* ذكر السودان وأنسابهم واختلاف أجناسهم

وأنواعهم وتباينهم فى ديارهم وأخبار ملوكهم * (قال المسعودى) لما تفرق ولد نوح فى الارض سار

والانكار وكل شيء سهل اذا انجح القصد وابتدئ فيه من سنة ثلاثين وخمسمائة ومنها الى غرة سنة احدى واربعين وستمائة قال واول من كان السبب في ابتداء هذا الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو اذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى أن استبد بها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وقصده في سنة ثلاثين وخمسمائة حافظ الاندلس أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن الحجاري وصنف له كتاب المسهب في غرائب المغرب في نحو ستة أسفار وابتدأ فيه من فتح الاندلس الى التاريخ الذي ابتدأه فيه وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ثم ثار في خاطر عبد الملك أن يضيف اليه ما أغفله الحجاري وترك عبد الملك ابناه أبو جعفر ومحمد وأضافا اليه ما تجدد ولم يزل يزيد الى أن ادركه محمد فاعتنى به أبناؤه ثم استبد به والدي وكان علمهم بهذا الشأن والمعتمد من اجتهاده في هذا الكتاب أني أذكره يوما وقد قلده ابن هود وهو ملك الاندلس ولاية الجزيرة الخضراء اذ أعلمه شخص ان عند أحد المنتسبين الى تلك الناحية كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تجري عليهم دولة بني عبد المؤمن فارسل اليه راغبا في استعارتها فأبى وقال علي يمين أن لا تخرج عن منزلي وقال ان كانت له حاجة أتى الي برأسه وكان جاهلا فلما سمع والدي تحدث وقال لي سر معي اليه فقلت له ومن يكون هذا حتى تمشي له على هذه الصورة فقال اني لا أمشي له ولكن أمشي للفضلاء الذين ضمنت تلك الكراريس أشعارهم وأخبارهم أرأيتهم لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أفمنت أن أمشي اليهم قلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله ما أنصفنا في اللقاء فلما قضينا منها الغرض صرفها اليه الذي وشكره وقال هذه فائدة لم أجدها عند غيرك فجزاك الله تعالى خيرا ثم انفصل وقال لي يا بني اني سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية وان هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها والقلعة التي كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة استيرو وعين لها وقال الملاحي في تاريخه انها تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كان مصنف الحجاري كتاب المسهب اذ امتدح عبد الملك بن سعيد وفي بني سعيد يقول الحجاري

قوم لهم في فخرهم * شرف الحديث مع القديم
ورثوا الندى والباس والعليا كريما عن كريم
من كل وضاح به * يجلى دجى الليل البهيم

وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعيد بن عمار وقد ذكر ابن حيان في مقتبسه وأخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الاندلس آخر دولة بني امية بالمشرق كتب اليه ان يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للاندلس وكان اذ ذاك امير اهل اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني امية من الثار بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما وقال الحجاري انشدني بكر بن محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين لنفسه فيما يليق بجنسه

وهم النوبة والحبشة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو [illegible] وكوكو [illegible] وغير ذلك من أنواع الاحابش [illegible] ثم [illegible] والذين [illegible] المشرق والمغرب [illegible] والمكور وبربر وغيرهم من أنواع الزنج وقد [illegible] فيما سلف [illegible] كر بالبحر الحبشي والخليج البربري وغيرهم من أنواع السودان واتصالهم في ديارهم الى بلاد الدهلك [illegible] وهؤلاء القوم هم أصحاب جلود النمور والخشير وهي لباسهم ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهي أكثر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها للسروج وبحر الزنج والاحابش هو من يمين بحر الهند وان كانت فيما بينهما متصلة ومن أرضهم تحمل [illegible] من طهور السلاحف وهو الذي تتخذ منه الامشاط كالقرون وأكثر ما يكون الزرافة المعروفة بالزرافة في أرضهم وان كانت عامة الوجود في أرض النوبة دون سائر بلاد الاحابش ويذكرون في [illegible] هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فمنهم من رأى أن بدء ان

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
وكل ما أبتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذاك من همه جنون
فرع باقي السماء سام * وأصله راسخ مكين

ومن نظمه قوله أيضا

الله يعلم أني * أحب كسب المعالي
وانما أتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واسفاف الرجال
دع كل من شاء يسعى * لها بكل احتيال
خالهم بانعكاس * فيها وحالي حالي

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبي العباس أحمد الغساني كاتب ملك افريقية قال بماذا أصفه ولو أن النجوم تصير لي نثرا لما كنت أنصفه وكفاك أني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رأيت أحسن ولا أفضل عشرة منه ولما فارقته لم أشعر الا برسالته قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة منها

ايه أبا الحسن استمع شدوي فقد * يصغي الحمام اذا الحمام ترنما

ثم سرد بعضا من القصيدة وستأتي قريبا ان شاء الله تعالى بزيادة على ما ذكرته في المغرب * (رجع) وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه أجزت الشيخ القاضي الاجل أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من شاء تنبيها بفهمه واستنامة الى علمه وكذلك أجزت لفتاه النبيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن حطلج الفارسي الارموي أن يرويه عني ويرويه من شاء وكتبه مصنفه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في وسيم من أبناء العجم صحبه في الطريق من حلب الى بغداد وكان ظريفا أديبا

لهفي على غصن ذوى * أوقدته لما استوى
ريان من ماء الصبا * ومن المدامع ما ارتوى
لا تعذلوني ان صدفـ * ـت الدهر فيه عن الهوى
كم ضل صاحبه بسحـ * ـر اللحظ منه وكم غوى
أنا لا أهيم الدهر فيـ * ـه من الصبابة والجوى
ان الهوى حياً وميـ * ـتاً لا يزال به سوى
كم قد نويت به النعيـ * ـم فقدر الله النوى
دار السلام حويت من * كل المحاسن قد حوى
مجموع حسن قد ثوى * في جنة وبها ثوى

وولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان عام

نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الابل والزراعة وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والابل والبقر وأن الناس اذا شاهدوا كسبيل البغل المولد من الخيل والحمير ونحن نرى الزرافة بالفرسية اشتراكا وقد كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تهدى الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة البدن والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها وانما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها وأن في أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفة في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهي دابة منحنية الى خلفها مصبوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في نتاجها وان النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وأن الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم وان ذلك لاتساع أرحام القلاص العربية لحوائج الزمان

عشرة وستمائة وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما ملخصه لولا أنه والدي لأطنبت في ذكره ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاه وصفا ما أثبت له في هذه الترجمة وما مر له ويمر في أثناء هذا الكتاب وكون كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا وهو بحر واشتهاره في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من النظم والنثر ما تفخر الاقلام من كثرته ويستمد القطر من درته ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما تخلى عن مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده حتى ان أيام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدي أفي هذا اليوم لا تستريح فنظر الي كالمغضب وقال أظنك لا تفلح أبدا أترى الراحة في غير هذا والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي قال فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشان ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف الى ما تراه وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

يا مفنيا عمره في الكاس والوتر * وراعيا في الدجى للانجم الزهر
يبكي حبيبا جفاه أو ينادم من * يهوى لديه كغصن باسم الزهر
منعما بين لذات يحققها * ولا يخلد من خبر ولا سير
وعاذلا لي فيما ظلت أكتبه * يبدي التعجب من صبري ومن فكري
تقول ما لك قد أفنيت عمرك في * حبر وطرس عن الاغصان والحبر
وظلت تسهر طول الليل في تعب * ولا تني أمد الايام في ضجر
أقصر فاني أدري بالذي طمحت * لأفقه همتي واسأل عن الاثر
واسمع لقول الذي تبلى محاسنه * من بعد ما صار مثل الترب كالسور
جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

انتهى

وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة وولد أبوه محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال اشبيلية عام أربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه تاريخ الموحدين ونبه على مكانته منهم في الحظوة والاخذ في أمور الناس وأثنى عليه وذكره السهيلي في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاينه عند أدفونش مكرما مفتخرا به والقصة مشهورة ومدحه الرصافي بقصيدة أولها

وغيرها من ابل خراسان فيضربونها ويتولد بينهما الجمال البخت والجمازات ولا ينتج بين بختي وبختية واعرابية هذا النوع من الابل بين نواتج الابل وهي ذات السنامين وبين قلاص الابل وهي النوق العربية وكنتاج البخت بين العجاوية والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من أعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل في الفها وترددها الى أهلها وهي كالفيلة منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قدمنا ذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين عبروا يمين النيل ولحقوا بأسافل البحر الحبشي وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه يقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزنج كما أن أقاصي بحر الصين متصل ببلاد السيلى وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد ذهنا

دهنا يفيض وخاطرا متوقدا * ماذا عسى شئ على علم الندى

ولما أنشده قصيدته فيه التى أولها

لجلالك الترفيع والتعظيم * ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لاسمعها وقال على اجازتك ولكن طباعى لا تحمل مثل هذا فقال له الرصافى ومن ذلك ستحق هذا فى الوقت غيرك قال له دعنى من خداعك أنا وما أعلمه من قلبى وأنشد له فى الطالع السعيد

فلا تظهرن ما كان فى الصدر كامنا * ولا تركبن بالغيظ فى مركب وعر

ولا تبحثن فى عذر من جاء تائبا * فليس كريما من يباحث فى العذر

وولى للموحدين أعمالا كثيرة مرا كش وسلا واشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال غرناطة وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد ان فى داره من الحلى وأصنافه ما لا يمكن الا فى دار الملك وأنه اذا ركب فى صلاة الصبح شوش عليه نبح الكلاب فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال مرسية أبى الحسين سنة ٥٩٣ ثم رضى عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه يصرفه عليه ولم ينقص منه شيأ وغرم له ما فات منه وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدره وحسبه من الفخر مدح أديب الاندلس وشاعرها أبى عبد الله الرصافى له وهو ممن يمدح الخلفاء فى ذلك العصر رحمه الله تعالى وولد أبو محمد عبد الملك بن سعيد عام سبعة وتسعين وأربعمائة وتوفى بحضرة مراكش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الحجارى لما مات يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبر دولته عبد الملك بن سعيد بادر الفرار لغرناطة عندما سمع عونه الى قلعته وثار بها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن العنبر فوجده قد فاته وقد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب فى تأليف كتاب المغرب فى أخبار المغرب ثم تممه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تمم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ثم أربى على الكل فى اتمامه أبو الحسن على بن موسى الذى قصدناه بالترجمة فى هذا الكتاب وقد ذكرنا من أحواله جملة كافية * ومن فوائد ابن سعيد أبى الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمائم وهو فأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وهو الذى عليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسب المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سرير السلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد وبها منتزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر وترابها يثير الارجل وهو قبيح اللون تستكدر منه أرجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا أنها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة

ولا مفاصل لقواعدها ولا ركب على حسب ما قدمنا فيخرجون اليها بأعظم ما يكون من الحراب مبتغين الاحد

وبحدث الرشدار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمن وهى سمة لسائر ملوكهم فى سائر الاعصار على ما قدمناه آنفا ويركب لوقليمس وهو ملك ملوك سائر الزنوج فى ثلثمائة ألف فرس ودوابهم البقر وليس فى أرضهم جمل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم من الاحابش ومنهم أجناس محددة الاسنان يأكل بعضهم بعضا ومساكن الزنوج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم فى الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال والفيلة فى بلاد الزنج فى نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيأ فى حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم فى الماء ويختفى رجال الزنج فترد الفيلة لشربها فاذا وردت وشربت من ذلك الماء أسكرها فتقع

وسميت القاهرة ... مدينة الفسطاط وفرّط في الاعتناء بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشدني فيها الشريف العقيلي

أحن الى الفسطاط شوقا واننى * لادعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال في كتاب الجار والفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرد وقال في كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة عظيمة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة ومقدارها نحو ثلث بغداد ... على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها أقل من ذلك وهي سبخة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخمسا وستا وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بني أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه ابن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده وتعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي اليها أحد أصحاب القرية فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب فأخبرني أنه غير معيب على أعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا أشار المكاري الى الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكاري وقعت في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفي مكار يفوق الرياح * لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوي * الى ان سجدت سجود العثار
وقد مد فوقي رواق الثرى * وألحد فيها ضياء النهار

فدفعت الى المكاري أجرته وقلت له احسانك أن تتركني أمشي على رجلي ومشيت الى أن بلغتها وقدرت في الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفضي الى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب

ن وأكثر من ذلك ويجهز الى كثير منها من بلاد ... الى أرض الصين والهند ولا ... من بلاد ... الى ... و... الى ... كثيرا ولولا ذلك لكثر ... أرض الاسلام كثيرا وأهل الهند ... ملوكها وأكابرها ... الاسورة ... العاج ولا يدخل دونها ولا أحد من حواصها على ملوكها ... من الحديد بل بتلك الاسورة ... من العاج ... من ثياب ... ومن ... لا ... الاسورة ... على ... كرما ... يستعمل العاج في دخن ... أصنامها وا ... كالاستعمال ... في الكنائس ... معروف ... مريم ... الانجرة وأهل الصين لا يتخذون الفيلة ... وعندهم ... كان لهم ... بعض حروبهم ... كثيرة الا ... لما تجهز الى ... من العاج في نصب الخناجر وفي الحرازي ... وفي قوائم ... رري ...

وهي السراطل واحدها سرطال وهي سيوف معوجة والاغلب في استعمال الهند العاج اتخاذها منه ... تلك

الشطرنج والنرد والشطرنج دون ورواشكال على صور الحيوان من الناطقين

تلك الحال الى أن صرت فى أسواقها الضيقة ودهشت من ازدحام الناس فيها بالحوانيت السوق والروايا التى على الجمال مالا يفى به الامشاهدته ومعاناته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتنبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا وطئه أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وما سوى ذلك والناس يأكلون فى عدة أماكن منه غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا وفضلات مأكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوب بها بالفحم والحمرة بخطوط فبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أن ذلك سر مودع وقوف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاءها صعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التى تصل من جميع أقطار النيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لأن هذين الجسرين قد احتجر ما لحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بصيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى * ويطرب أحيانا ويلعب بالنرد
حلا ماؤه كالريق ممن أحبه * فمدت عليه حلة من حلى الخد
وقد كان مثل البر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

وقلت هذا لانى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وانه يكون قبل المد الذى يزيده ويفيض على

ونسبتهم تلك فاعلهم [illegible] الشطرنج كالشطرنج عرض ذلك [illegible] الى الاكم فادالعمواليه [illegible] يوم الواحد [illegible] فى بيوتها والاعتاب عليهم فى لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على النساء والجواهر وربما انتهى الى أحدهم [illegible] فى قطع أصابعه [illegible] أن يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرا على نار جمر فيها دهن لهم أحمر على ذلك الدهن المدمل للجروح والماسك لسيلان الدم [illegible] فى أصبع من أصابعه [illegible] رقطعها [illegible] الخنجر [illegible] المنزم [illegible] فى ذلك الدهن [illegible] عاد الى اللعب فاذا توجه عليه اللعب أبان الاصبع الثانية وربما توجه عليه اللعب فى قطع أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكى بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من [illegible] الا طوعقاقير بأرض الهند عجيب المعنى الذى ذكرنا وما ذكرنا عنهم [illegible] من فعلهم [illegible] العيلة فى بلادها وتنتج فى

أرضها ليس فيها وحشيه وانما هى حربية ومستعمله كاستعمال البقر [illegible] وأكثرها يأوى الى المروج التى

أقطاره أبيض فاما كان عباب النيل صار أحمر وأنشدنى علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها دار الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم أر فى أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين والحال ان أهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة ورعاية قدر الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف وبه مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها يجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب فى الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر انتهى قال المقريزى يعنى ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل انتهى وقال ابن سعيد المذكور فى المغرب من حلى المغرب ما ملخصه الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم تر عينى أحسن منه وفى هذه الجزيرة كان الهودج الذى بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التى هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار منها قول أبى الفتح بن قادوس الدمياطى

أرى سرج الجزيرة من بعيد * كاحداق تغازل فى المغازل
كأن مجرة الجوزاء حطت * وأثبتت المنازل فى المنازل

قال وكنت أبيت بعض الليالى بالفسطاط فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدرى اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين فى البناء وأبصرت بهذه الجزيرة أبواناً لجلوسه لم تر عينى مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من صحائف الذهب والرخام الآبنوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة فى بعضها حاظر حصر فيه أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر قال وقد تفرجت كثيراً فى طرق هذه الجزيرة مما يلى أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات لم تزل لاحزان

والعباس كالجواميس فى أرض ٤٨٨ الاسلام والفيلة تهرب من المكان الذى يكون فيه الكركدن على حسب ما تقدمنا لا ترعى فى موضع يشم فيه رائحة الكركدن ويعمر الفيل بارض الهند نحواً من أربعمائة سنة كذلك يذكر أرسطو لانها تعرف فى دورها ومن اوزها والفيل العظيم غاية فى دم اسنه ومنها الاسود والابيض والازرق والاشهب وفى أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين ويضع حمله فى كل سبع سنين وفى بارض الهند آبة عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزرافان وهى دابة أصغر من الفهد أحمر وزغب وعينين براقتين عجيبة سريعة الوثبة يبلغ فى وثبته الثلاثين والاربعين والخمسين ذراعاً وأكثر من ذلك واذا أشرف على الفيل رشش دابته بوله بذنبه فيحرقها وربما لحق الانسان وفى عليه وفى الهند من اذا أشرفت عليه هذه الدابة يعلو باكبر ما يكون من الساج وهى أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز تكن الشجرة منه اخافى الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما تحمل الى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج فى طوله فاذا علا الانسان ما على تلك الشجرة وقصر هذا الحيوان عن ادراكه لصق بالارض ووثب

العربة

الغربة مذهبات واذ زاد النيل وصل بره الى بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب انتهى وأورد المقرى فى تذكرته لابن سعيد المذكور فى هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة فى الدجى * والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتضاحك الانوار فى جنباته * فتريك فوق النيل أمرا معجبا
بينا تراه معصما فى جانب * أبصرت منه فى سواه مذهبا
لله مرأى ماوراه ناظـر * الا وعنت له المنى مطربا

وقال فى المغرب نقلا عن بعضهم ما صورته وأما مدينة القاهرة فهى الخالدة الباهرة التى تفنن فى بنائها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط

وسارت مسير الشمس فى كل بلدة * وهبت هبوب الريح فى البر والبحر

لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شانه * أضحى يدل على عظيم الشان

وتهمم من بعده الخلفاء المصريون فى الزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى على قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف بالقاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما يضيق به الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الامراء وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه محملة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينها ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركنى وحشة عظيمة حتى أخرج الى بين

الى أعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشش من بوله الى أعلى الشجرة والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا عظيما فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته وأى موضع من الشجر سقط عليه بوله احرقه وان أصاب الانسان شئ من بوله أتلفه وكذلك سائر الحيوان وملوك الهند تجد فى خزائنها مرارة هذه الدابة ومداواتها ومواضع من أعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومثل كبر هذه الدابة كذا كبر كلب الماء الذى يخرج منه الجندبادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسى معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الخصية عرب فقيل جندبادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرقان لا تأوى الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما تهرب منه الفيل أيضا والفيل يهرب من السنانير وهى القطاط ولا تقف لها البتة اذا أبصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت تقوى الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب بتغلية السنانير عليها وكذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الحماز برزعا

المصريين ومن عيوب القاهرة انها فى أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوّها لا يبرح كدرا لما تثيره الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حين أكثر على رفاقى من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالى بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثير بها أرجل سائره

وعندما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوّا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر انسه وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لاسيما أرض القرط والكتان وقلت

سقى الله أرضا كلما زرت روضها * كساها وحلاها بزهرته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفى كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الامحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نوار الكتان على جانبى الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه باجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته باحداق بها أرق
وأصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فلم تزرها ووجه الارض مصطبح * أو عند صفوته ان كنت تغتبق

وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفى ذلك قيل

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدوة فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * يهيم وجدا وحبا فى بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط والمراكب التى تصل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه بعد عن المدينة والقاهرة هى أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديار السكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فامور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التى تتزين بها الرجال والنساء الا أن فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التى امام

تهرب منها الفيلة وقد كان شاعرا شجاعا ذا رياسة فى قومه ومنعة بأرض السند مما يلى أرض المولتان وكان فى حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد خبأ تحت ثوبه سنّورا فلما دنا فى حملته من الفيل خلى السنّور عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون ابن موسى قصيدة يصف فيها ما ذكرناه وهى

أليس عجيبا بأن تلقه * لدفطن الاسد فى جرم فيل
واطرف من قشه زوله * بخلم يجل عن الخنشليل
أليس عجيبا بأن باعما * غليظ الدرالك لطيف الحويل
وأو قص مختلف خلقه * طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين * بأن ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدوّ بناب عظيم * وجوف رحيب وصوت ضئيل

وأشبه شئ اذا قسته * بخنزير بر وجاموس غيل * ينازعه كل ذى أربع * فما فى الانام له من عديل

الفسطاط وصيرها سريرا للسلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة نقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك الى أن قال وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفسيره الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيما ولا عذابا ولا يطالب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سجن فى شانه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماع والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما يذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص فى وسط السوق أو تجريد وسكر من حشيشة أو صحبة مرداء وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول وفى القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية يفضل كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز أما التفاح والاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال لكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة يطلع سعرها بسبب ذلك فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والمخالفة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر فى الليل وفى ذلك أقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام

وقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام

صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام

يا سيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

ويعصف بالنسر بعد النسور * كما يعصف الريح للعندبيل * وشخص يرى بده أنفه

فان وصلوه نسيف صقيل

وأتبل كالطود هادى الجبين

بصوت شديد أمام الرعيل

فريسيل كسيل الاتى

بخطم خفيف وجرم ثقيل

فان شمته زاد فى هوله

بشاعة أذنين فى رأس غول

وقد كنت أعددت هر اله

قليل التهيب للزندبيل

فلما أحس به فى العجاج

أتانا الاله بفتح جليل

وطار وراغم ميااله

بقلب نجيب وجسم ثقيل

فسبحان خالقه وحده

اله الانام ورب الفيول

العندبيل طائر صغير يكون بارض السند والهند تذكره الشعراء فى أشعارها عمثلا به لصغره والزندبيل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزندبيل هو اسم لما اشتد فى الحرب من أنياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزندبيل عند ذكره الفيل فقال

ذاك الذى مشفره طويل

وهو من الافيال زندبيل

وقال آخر

وفيله ذو الطول زندبيل

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشبيل وتفسيره قول الانصارى فى سفه الدل

والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لثام
والمرج قد بددت عليه * مهاد ناثير لا ترام
وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الآثام

قال المقريزي وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل في نسبة التحامل اليه والله تعالى الموفق * (قال ابن سعيد) ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهواؤها ردي لاسيما اذا هب المريسي من جهة القبلة وأبصار أهل العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الطب والخراج والنصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم واليهود بعمائم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل أهل القاهرة البطارخ ولا تصنع حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ولهن في الطبخ صنائع عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التي يصنع بها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام أبي الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى وقال رحمه الله

لم ذا تقيم بمصر * معذبا بذويها
وكيف ترجو نداهم * والسحب تبخل فيها

وقال رحمه الله تعالى

لابن الزبير مكارم أضحت بها * طير المدائح في البلاد تغرد
ان قيدوه وبالغوا في عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ولنذكر بعض أخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفي باسكندرية وقد ذكر ابنه أبو الحسن في المغرب وغيره من أخباره العجائب ولا بأس بأن نلم بشيء من ذلك سوى ما تقدم فنقول من أخباره أنه لما اجتاز بمالقة ومشرفها اذ ذاك أبو علي بن بقي وجه اليه من نقل اسبابه الى داره وأقبل عليه منشدا

أكذا بوزن القطر لا يثني على * ارض توالي جدبها من بعده
الله يعلم انها ما انبتت * زهرا ولا ثمرا بعدة فقده
عرج عليها ساعة يا من له * حسب يفوق العالمين بمجده
وانثر عليها من ازاهرك التي * تشفي المتيم من لواعج وجده
والله ما ذاكرت فكرك ساعة * الا واقتبس خاطري من زنده

قال موسى فارتجلت للعين

انت الذي تعرف كيف العلا * وتقتدي في سبل المجد

قال وهذا غير نواد قد علمت جارية عطبول أني بنصل السيف خنشبيل والفيلة لا تنبع ولا تولد الا بأرض الزنج والهند ولا تعيش أنيابها بأرض السند والهند على حسب ما يعيش بأرض الزنج والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا يخفى ذلك في المنعة بشيء من الدرق الصيني والتبتي والماطي والبجاوي ولا ما يقع من اللين وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شيء من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه وقد كان المنصور عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واتخاذها واعدادها للحروب والزينة في الاعياد وغيرها فانها أوطأ مراكب الملوك وأسهدها وأخبرني بعض الكتاب ممن يرجع الى أدب وعقل ومعرفة بأيام الناس بمدينة السلام

بدأت بالفضل المنير الذي * اكمل بدر الشكر والحمد

والله ما ابصرتكم ساعة * الا بدا لي طالع السعد

وانصرفت معه الى منزله قال

فلم ازل في كرامه * ليست كظل غمامه

ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء متقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عسكر قاضي مالقة مع احد الادباء منه

افاتح من قلب بعلياه واثق * وان كانت الابصار لم تنتج الودا

وثمت تعالى من نظام تشيعي * بآل سعيد وابتغيت به السعدا

وبالحب يدنو كل من اقصت النوى * برغم حجاب للنوى بيننا امدا

ياسيدي الذي حلى ما امال اسماعي من الثناء عليه ان اهيم على مفاتحته شابعا في موصلها اليه واثقا بالفرع لعلم الاصل مؤملا للافضال بتحقق الفضل ان لم تقض باجتماع بيننا الايام فلا تحرم بالمشافهة بيننا الا ألسن الاقلام ويوحي بعضنا الى بعض بسور الوداد والحمد لله الذي اطلعك في ذلك الافق بدرا وادناك من هذه الدار فيسر لنا القرب من بردعنك لانعدم لك ذكرا فكل يثني بالذي علمت سعد و يصف من خلالك ما يقضي ذلك المجد ولما كان احسانك يبشر به الصادر والوارد ويحرص عليه الغائب والشاهد مد أمله نحوك موصل هذه الفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهي عند بيتك الكريم رابحة وهو ممن شتت خطوب هذا الزمان شمله وابانت نوائبه صبره وفضله وما اطمح بصره الا الى أفقك ولا وجه رجاءه الا نحو طرقك والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه وأعبقت من الحمد ركائبه دمت غرة في الزمن البهيم مخصوصا بأفضل التحية والتسليم انتهى * وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر في العلوم وله كتاب في أنساب بني سعيد أصحاب هذه الترجمة ومن شعره

أهواك يا بدر وأهوى الذي * يعذلني فيك وأهوى الرقيب

والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب

وكل مبد شبها منكم * وكل من يلفظ باسم الحبيب

*(رجع) قال ابن سعيد ولما أردت النهوض من ثغر الاسكندرية الى القاهرة أول وصولي الى الاسكندرية رأى أن يكتب لي وصية أجعلها اماما في الغربة فبقي فيها اياما الى ان كتبها عنه وهي هذه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

اودعك الرحمن في غربتك * مرتقبا رحماه في اوبتك

وما اختياري كان طوع النوى * لكنني أجري على بغيتك

فلا تطل حبل النوى انني * والله أشتاق الى طلعتك

من كان مفتونا بأبنائه * فانني أمعنت في خبرتك

فاختصر التوديع أخذا فما * لي ناظر يقوى على فرقتك

البخت أو العراب من العمالة أو غيرها في الطريق نفرت وشبت وكان يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هي عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان في بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك في أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن علي الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره بالادفارس حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تحمز في مشيتها الاسبيل لمن عليها أن يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبيها ورمت بي الارض فوقعت بجلد نور متفرخ ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين رمت بي ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على اثر ذلك فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وذات كذلك الجمال اذ رأى جماعة من الناس فرفعوني ودخل الغلام فاخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة واخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك

واجعل وصاتي نصب عين ولا * تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التي حنكت * في ساعة زفت الى فطنتك
فالتجارب امور اذا * طالعتها تشحذ من غفلتك
لا تنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته في النوى * اياك أن يكسر من همتك
فليس يدري اصل ذي غربة * وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يفضي لعذر فلا * تجعله في الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله * واقصد لمن يرغب في صنعتك
ولا تجادل ابدا حاسدا * فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينى مظهرا عفة * وابغ رضا الاعين عن هيئتك
أفش التحيات الى اهلها * ونبه الناس على رتبتك
وانطق بحيث العي مستقبح * واصمت بحيث الخير في سكتتك
ولا ترى مجتمعا طالبا * من دهرك الفرصة في وثبتك
وكلما ابصرتها امكنت * ثب واثقا بالله في مكنتك
وبع على رزقك من بابه * واقصد له ما عشت في بكرتك
وأسس الود لدى حاسد * ضد ونافسه على خطتك
ووفر الجهد في قصده * فصدك لا تغنيه في بغضتك
ووف كلا حقه ولتكن * تكسر عند الفخر من حدتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة * فانه انفع في غربتك
وحيثما حمت فاقصد الى * صحبة من ترجوه في نصرتك
وظهر رايا ونية ما لها * الا الذي تدخر من عدتك
ولا تقل أسلمني وحدتي * فقد تقاسي الذل في وحدتك
والزم الاحوال وزنا ولا * ترجع الى ما قام في شهوتك
واجعل العقل محكا وخذ * كلا بما يظهر في نقدتك
واعتبر الناس بالفاظهم * واصحب اخا يرغب في صحبتك
بعد اختبار منك يفضي بما * يحسن في الآخذ من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك
اياك ان تقربه انه * عون مع الدهر على كربتك
واقنع اذا ما لم تجد مطمعا * واطمع اذا أنعشت من عسرتك
وانم عن النبت قد زاره * غب الندى واسم الى قدرتك
وان نبا دهر فوطن له * جأشك وانظره الى مدتك
وكل ذي امر له دولة * ووف ما وافاك في دولتك
ولا تضيع زمنا ممكنا * تذكاره يذكي لظى حسرتك

ذي انسان [illegible] الى
[illegible] صورته لي [illegible]
الا الفيل دون صرف انسانه
الى [illegible] واصله الى
[illegible] و [illegible] انه لولا
ان انسانه [illegible]
[illegible] لكم والهند
[illegible] و [illegible] على
سائر الحيوان لما اجتمع
[illegible] الحصان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صهوته وطول
[illegible] أذنيه وكبر
[illegible]
وطول [illegible] جسمه
[illegible] كبر [illegible] ووضع
[illegible] انه مع كبر هذا
[illegible] هذه الصورة
[illegible] الانسان فلا يحس
[illegible] ولا شعر به يحس
[illegible]
وقد وصف [illegible]
[illegible] الفيل في كتاب
[illegible]
[illegible] في [illegible]
معاني كثيرة في صفة
[illegible] وما هو عليه
من [illegible] التركيب
و [illegible] التاليف والمعاني
[illegible] الاحساسات
[illegible] التاديب
و [illegible] الى
[illegible]

أيديها من الاقتصاد [illegible] والاجراء الشرعية وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وكم فضيلة تلك

والشر

والشر مهما اسطعت لا تأته * فانه حوز على مهجتك

يابني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثله قد قدمت لك في هذا النظم ما ان اخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وان احق ممه للحفظ واعلق بالفكر واحق بالتقدم قول الاول

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانيه حسن اخلاقه * وثالثة اجتناب الريب

واذا اعتبرت هذه الثلاث تعول متها في الغربة وأنها جامعة نافعة لا تحتمل أن شاء الله تعالى مع اسعد الحاتم ولا يفارقك بر ولا كرم ولله در القائل

يدرفع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في قومه بحسيب
اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب

وما قصر القائل حيث قال

واصبر على خلق من تعاشره * وداره فاللبيب من دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا

واصع يابني الى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم المكرم والصبر

ولو أن أوطان الديار نبت بكم * لسكنتم الاخلاق والآدابا

احسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد واليه قصد عيرمسر بيدهره ولا منكر شيأ من أمره واذا دعاك قلبك الى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعته أوحسود له يغار لتجمله بصحبتك ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تتمهد بدوام رفقته فقد ينبهه الزمان ويغير منه القلب واللسان ولذا قيل اذا أحببت فاحبب هونا ما فمن الممكن أن ينقلب الصديق عدوا والعدو صديقا وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله وجعل نصب ناظره قول أبي الطيب

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام

وفي أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ بامثلة من جرب واستمع الى ماخلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصا وان رأيت من له مروءة وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقيحا لعقلك وحثا لك واهتداء واياك أن تعمل بهذا البيت في كل موضع * والحر يخدع بالكلام الطيب * فقد قال احدهم ما قيل أضر من هذا البيت على اهل الجهل وليس كل ما تسمع من اقوال الشعراء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبره فان كان

والى الامانات ... الى
اجلاها العيون خلفه وفرق بينها
وبين ... ول ... ادوت ... دها
عليهم وحده ... لهم ... اكثر
لهم ونريدهم الى ...
الجنة ... م
النعمة ... ذكر الله في
الكتاب الناطق ...
الصادق وفي الآثار
المعروفة والامثال السائرة
في ...
... الشعراء فيه ...
به الفصحاء ... العلماء
وكتب ...
وحالها عند الملوك وموضع
نفعها عند الحروب وسيا ...
في العيون وجلالتها في
الصدور وفي طول أعمارها
وقوة أبدانها وفي اعمالها
و ... واحقادها و ...
ا ... كراثها وطلبها بضواتها
وارتفاعها ...
السقاط واقتناء ...
والارادن ... ارتخاصها
في الثمن وارتباطها على
الحسف وابتذالها وازالتها
عن امتناع طباعها ومنع
عزائزها ان تصلح أبدانها
وتنبت أنيابها وتعظم
جوارحها وتتساعد وتتلاقى
الا في معادنها وبلادها
ومغارس اعراقها مع
التماس الملوك ذلك ...
وطبع القوم عليها بالتمر ...
بذلك منها حتى ...

الخيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختيار عن حملها ووضعها ووضع أعضائها والذي ما ألفت فيه الا ... الار ...

موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك والا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يتبسم ولا كل شخص يكلم ولا الجود مما يعم به ولا حسن الظنّ وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله در القائل

ومالى لا أوفى البرية قسطها * على قدر ما يعطى وعقلى ميزان

واياك ان تعطى من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون بمعاملة الكفء ولا الكفء بمعاملة الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ويشبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة واسمع قول الاول * وبع آجلا منك بالعاجل * وأقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجفهم بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر ولا جفاء ولا تقل ايضا اقعد فى كسر بيتى ولا ارى احدا واستريح من الناس فان ذلك كسل داع الى الذل والمهانة واذا علم عدوّك اوصديق منك ذلك عاملك بحسبه فازدراك الصديق وجسر عليك العدوّ واياك ان يغرك صاحب واحد عن ان تدخر غيره للزمان وتطيعه فى عداوة سواه ففى الممكن أن يتغير عليك فتطلب اعانة عليه اواستغناء عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها وكان هو فى أوسع حال واعلى راى بما دبره بحيلته فى انقطاعك عن غيره فلو اتفق لك ان تصحب من كل صناعة وكل رياسة من يكون لك عدة لكان ذلك اولى واصوب وسلنى فانى خبير طال والله ما صحبت الشخص اكثر عمرى لا اعتمد على سواه ولا اعتد الا اياه منخدعا بسرابه موثوقا فى حبائل خدابه الى ان لا يحصل لى منه غير العض على البنان وقول لو كان ولو كان ولا يحملك ايضا هذا القول ان تظنه فى كل احد وتجعل المكافأة وليكن حسن الظنّ بمقدار ما واصبر بمقدار ما والفطن لا تخفى عليه مخايل الاحوال وفى الوجوه دلالات وعلامات واصغ الى القائل

ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ ـرى ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فزل وجهك عنه قبل أن ترضاها ولتحرص جهدك على أن لا تصحب أو تخدم الارب حشمة ونعمة ومن نشا فى رفاهية ومروءة فانك تنام معه فى مهاد العافيه وان الجياد على أعراقها تجرى وأهل الاحساب والمروآت يندر كون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة وقد قيل فى مجلس عبد الملك بن مروان أشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدوّ له محارب له على الملك لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ما شربه * والفضل ما شهدت به الاعداء * يابنى وقد علمت ان الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل اصحب من شئت فانك مفارقه فتى فارقت احدا فعلى حسنى فى القول والفعل فانك لا تدرى هل انت راجع اليه فلذلك قال الاول * ولما مضى سلم بكيت على سلم * واياك والبيت السائر

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثة تبقى لك الود فى صدر اخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجالس وتدعوه باحب الاسماء اليه واحذر كل ما بينه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك اذا غرسته يقتلعك وقول الآخر ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن

التى تحيط بالجميع مما يستنبط أو يقوم أو يمشى أو يطير وجميع ما ينتقل عن أوّلية خلقه وما يبقى على الطبع الاول من صورته وشمائله وما ينازعه من شبه الحيوان وما يخالف فيه جميع الحيوان وعن الدون فى شدة قلبه وأسره وفى حذته على ما هو أعظم بدنا وأشد قلبا وأحد ظفرا وأدرب لسانا ازهر به مما هو أصغر جسما وأكل حدا وأضعف أسرا وأجل ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة واموره المحمودة وعن القول فى لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المراتب الكثيرة التى تعمى ايرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما أسلفه من القول فى هذه المعانى التى قدمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة فى الفيلة وغيرها وأعرض عن ايراد خواص أعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها ولم يذكر من أسرار الطبيعة وما فاته فلاسفة الهند فى بدنها وما آثرته من تقدم من حكمائها فى تداولها وعلة تكونها فى أرض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها فى غيرها والتضاد الذى بينها وبين الحر ... تدن مع عظم ذاتها وفرارها من السنور مع صغر حجم جسمه ولطافة

وقول

وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف اسد مع القوه وإياك ان تثبت على صحبة احد قبل أن تطيل اختباره فيحكى ان ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه ان الصحبة رق ولا اضع رقي في يدك حتى اعرف كيف ملكتك واستمل من عين من تعاشره وتفقد فى لتات الألسن وصفحات الاوجه ولا تحملك الحياء على السكوت عما يضرك ان لا تبينه فان الكلام سلاح السلم وبالانين يعرف ألم الجرح واجعل لكل امر اخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك وآكد ما اوصيك به ان تطرح الافكار وتسلم للاقدار واقبل من الدهر ما آتاك فمن قر عينا بعيشه نفعه ومن الافكار مجلبة الهموم وتضاعف الغموم وملازمة القلوب عنوان المصائب والخطوب تستريب به الصاحب ويشمت العدو والحاسد ولا تصر بالوساوس الانفسك لانك تضربها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنت للاحزان عونا * عليك مع الزمان فمن تلوم

مع انه لا يرد عليك الفائت الحزن ولا يرعوى بطول عتبك الزمن ولقد شاهدت بعرباطة شخصا قد الفته الهموم وعشقته الغموم من صغره الى كبره لا تراه ابدا خليا من فكره حتى لقب بصدر الهم ومن العجب ما رايته منه انه يتنكد في الشدة ولا يتعلل بان يكون بعدها فرج ويتنكد في الرخاء خوفا من أن لا يدوم وينشد *توقع زوالا اذا قيل تم* وينشد *وعند التناهي يقصر المتطاول* وله من الحكايات في هذا الشان عجائب ومثل هذا عمره محسور ضياعا ومتى رفعك الزمان الى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدا لك وقصدا لتصغير قدرك عندك وتزهيدا لك فيه فلا يحملك ذلك على ان تزهد في علمك وتركن الى العلم الذي مدحوه فتكون مثل الغراب الذي اعجبه مشي الحجلة فرام ان يتعلمه فصعب عليه ثم أراد أن يرجع الى مشيه فنسيه فبقي مخبل المشي كما قيل

حسد القطا وأراد يمشي مشيها * فأصابه ضرب من العقال

فأضل مشيته وأخطأ مشيها * فلذاك سموه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه فان الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان واستخفت طلعته للهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع في الناس واقامة الاعذار لانفسهم بتقطع أسبابهم وتعذر أمورهم ولا تنزل هذين البيتين من فكرك

لن اذا ما نلت عزا * فأخو العز يلين

فاذا نابك دهر * فكما كنت تكون

وقول الآخر

تهوا تتضع ان قيل أدبر واخفض ان قيل اثرى

كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا ويعلو ما تعرى

ولا قول الآخر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

منظره وعن كثرة الطرب الذي يوجد في الفيل دون غيره من الحيوان وقبولها الرياضه والدراية والمعرفه عند اخساوره والدهاء والخبث والتمييز وقد ذكر صاحب المنصوري في كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة مالم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من أن العالم عنده من الاجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومتضاد وان ذلك في الجملة هو جماد ونام واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الاجسام السماويه وليست بجماد ولا نام وانها أجسام ناطقة (قال المسعودي) ولنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا في صدر هذا الباب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها لانيابها غير منتفعة بشيء من ذلك في آلاتها وانما تتحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وما ذكرنا من دوابهم انها بقر وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الابل والخيل وهي بقر تجري كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالري نوعا من هذا البقر يبول كما تبول الخيل ويثور بحمله كما تثور الابل والخيل اذا استقلت باحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والابل والحمير

واشتهدى الناس ساقاره القائل

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقريب منه قول القائل

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه
وكن فى مكان اذا ما سقطت * تقوم ورجلاك فى عافيه

ويحفظ بما يصمه قول الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

ولله در القائل

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا اقتنعت فكل شئ كافى

والامثال يضربها الذى الالباب الكريم وذو البصر يمشى على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتى عليك لارب سواه * تجزت الوصية ويكفيك عنوانا على طبقته فى النثر قوله رسالة كتب بها الى ملك المغرب أبى محمد عبد الواحد ابن أبى يعقوب بن عبد المؤمن مهنئا له بالخلافة حين بويع بها بمراكش وكان اذ ذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتباله ومختصا به الحضرة العلية السامية السنية الطاهرة القدسيه حضرة الامامه وجنة دار الاقامه مد الله على الاسلام ظلالها وأرقى فى سماء السعادة تمامها وكمالها وهنأ المؤمنين باستقبال امارتها وأدام لهم بركة خلافتها عبد آبادبها وخديم نادبها المتوسل بقديم الخدمة المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة المشد لسان المسرة حين أطلع الزمان هذه الغرة

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لازال هذا الامر العلى محمودا سعيدا ولا برح يزيد ترقيا وصعودا

يا نعمة الله زيدى * ان كان فيك مزيدى

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقديس والتفخيم ورحمته وبركاته وبعد حمد الله الذى بلغ الاسلام بهذه الخلافه آماله وحلى بهذه الولاية السعيدة أحواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى أدحض الله تعالى به الكفر وضلاله وعلى آله وصحبه الطاهرين الدين سمعوا أقواله وامتثلوا افعاله والرضا عن الامام المهدى المعلوم الذى أفاء الله به على الدين الحنيفى ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله والدعاء للمقام العالى الكريم بالسعد المتوالى والنصر الجسيم وكتب العبد وقد ملأت هذه البشرى المسرة أفقه ووسعت عليه هذه المرتبة العلية طرقه

فهذه رتبة ما زلت أرقبها * فاليوم أبسط آمالى واحتكم

ولا أدفع منى ان اقتصرت على السماء دارا والهلال للبشير سوارا والنجوم عقدا والصباح بندا حتى اسر كل احد بشكله واقابل كل شخص بمثله

والعروم لا كهانوع من الحروس من دمه ولهم خارج الرى قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم فادامات بالرى

اوقرو بن شئ مما د كرنا من البهائم ورأى الواحد منهم مع ثوره فانه يحمل عليه ذلك الجيفة ويسار بها الى قريته فاكلهم منها ويدباغه من عظمها ويجمعون من جهاعه ... فاكثر الهم واكل ... من ... اللعمان رطب ويابس وهذا النوع من البقر العالب عليه حمره تحدق وسائر البقر تنفر وتهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان ونوع منها ما فى انوفها حلق الحديد وا ... فيها الخ ... وحصمت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالرى رأيت ثورا منها قد عدا على ثور من غير هذا النوع لما رآه قصده فقام فزعا من هذا الجنس وليس فى سائر أنواع البقر ما يأوى المياه والجزائر والبحيرات الا البقر المعروف بالحبشية التى تكون ببلاد مصر واعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار واما الجواميس فانها بالثغر الشامى فى بحر اكبر ما يكون من العجل فى انوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك منها ببلاد انطاكية وأكثر من ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر اكبر من قرون هذه

ومن

ومن خدم الاقوام يرجونوالهم * فانى لم اخدمك الالأحدما

ومابعد الخلافة رتبة ودون ثبير تنحط كل هضبة فالحمد لله رب العالمين وهنيأ لعباده المؤمنين حيث نظر لهم نظرة رحمة فابدل علاهم سرهذه النعمة

ولقد علمت بان ذلك معدهم * ما كان يتركه بغير سوار

والله اعلم حيث يجعل رسالاته والى من يشير باياته لله صباح ذلك اليوم السعيد وليلته لقد سفر عن وجه من البشرى اضاءت الآفاق شرقا وغربا غرته ولقد اجتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد واخذ القوس باريها وحل بالدار بانيها هنيأ لذلك الرسم اصفا وحبرا ولا محب المنبر اسم الذى بمرا وهل بلغ النور الانامل وهل يليق بالحسن الا الحلل فالآن مهد الله البرين وافاض العدل على العدوتين وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ولا يختص بحفظه انسان دون انسان خليفة له النفس العمرية والآراء العمرية والفراسة الاياسية ولا ينبئك مثل خبير فلقد شاهد العبد مالا يحصره تفسير ولعمرى لقد صار الصباح فى اشراق النهار ولم يخف عنا مازاد الدنيا من البهجات والمسار وشملت الناس هذه البشائر وعمت كل باد وحاضر وأصاخوا لتاليها اصاخة المجدبين لمرتادهم وأهطعوا اهطاع مهللين ومكبرين اهطاع الناس لاعيادهم وأما العبد فقد أخذ حظه حتى خاف أن تغلب السرور على قلبه ولحظه (ومن فرح النفس ما يقتل) وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم و يحسد عليها الهلال والنجم بل سلطان لما استحقته من المراتب وبخضعان اليها خضوع المفترض الواجب أقر الله بها عيون المسلمين وأفاض سعدها على الناس أجمعين وحفظها بعينه التى لا تنام ووقف على خدمتها الليالى والايام * ولما قدم من الاندلس على تونس مدح سلطانها أبا زكريا بقوله

بشرى و يسرى قد أنار المظلم * نجما وقد وضح الصباح المعلم
ورنت عيون الامس وهى قريرة * وبدت ثغور السعد وهى تبسم
فارحل لتونس واعتقد أعلام من * قوى الضعيف به وأثرى المعدم
حيث المعالى والمعانى والندى * والفضل والقوم الذين هم هم
أجروا الى الغايات مل عنانهم * سبقا ومذهم الجواد المنعم
ساد الامام الملك يحيى سادة * أعطى الورى لهم القياد وسلموا
ان الامارة مذغدا متقلدها * يقظى وأجفان الحوادث نوم
لله منك مبارك دوفطنة * برئت فاحجم عندها من يقدم
يقظان لا وان ولا متقاعس * كالدهر يبنى ما يشاء ويهدم
ان صال فالليث الهصور المقدم * أو سال فالغيث المغيث المتحم
أعلى منار الحق حين أماله * قوم تبرأت المنابر منهم
أعلى الاله مكانه وزمانه * والنصر يقدم والسعادة تخدم

*(وقال يخاطب ملك المغرب مامون بنى عبد المؤمن حين أخذ البيعة لنفسه باشبيلية وكان

الجواميس التى بأرض الاسلام وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين ولذلك الجواميس كثيرة بأرض العراق مما يلى صفوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب و يصورون العنقاء فى الحمامات وغيرها ولم أجد أحدا فى هذه الممالك من شاهدته أوبلغ الى خبره ذكر انه رآها ولست أدرى كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى أخبار الزنج وأخبار ملوكها فاما تفسير اسم ملك الزنج الذى هو وقليمن فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فمتى جار الملك عليهم فى حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذى هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج ألو فصاحة فى ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم يقف الرجل منهم الزاهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم فى القرب من باريهم ويبعثهم على طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم وأسلافهم وليس لهم شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعاياهم وأكلهم الرز وهو

الأرض كالكمأة والراسن ومنه ماهو كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذى يكون بالشام وبمصر ومن غذائهم أيضا العسل واللحم ومن هوى منهم شيأ من نبات أو حيوان أوجماد عبده وجزائرهم فى البحر لا تحصى كثرة وفيها النارجيل يعم أكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو ويتوارثها المسلمون على حسب ما ذكرنا من أمرها فى هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة فى شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد اسوان ونحيرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بتسريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهى مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سربه (قال المسعودى)

المذكور أكثر ولبنى سعيد بهذا الملك اختصاص قديم)

الحزم والعزم موجودان والنظر * واليمن والسعد مضمونان والظفر
والنور فاض على أرجاء أندلس * والزور ليس له عين ولا أثر
حث الركاب الى هذا الجناب فقد * ضلوا فما تنفع الآيات والنذر
واعزم كما عزم المأمون اذ نشرت * أرض العراق فزال البؤس والضرر

*(ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولى على مملكة البرين الى اشبيلية كان فى جملة من خرج للقائه ورفع له قصيدة منها)

لتأنيه للصبر والشكر مجمع * الى يومه كنا نخب ونوضع
لتدبير الرحمن صعب مرامه * فابصرت أضعاف الذى كنت أسمع

وله

يا منعما قد جاءنى بره * من غير ان أجرى له ذكرا
ان أحب الخير ما جاءنى * عفوا ولم أعمل به فكرا

وله فى غلام واعظ وهو من حسناته

وشادن ظل للوعظ تاليا بين جمع
متعت طرفى بمرآه فى خفارة سمعى

وله من أبيات

ومن عجب أن الليالى تغيرت * ولكنها ما غيرت منى العهدا

ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الجد وأبو بكر بن زهر وغيرهما وحضر حصار طليطلة مع منصور بن عبد المؤمن وكتب لملك البرين أبى محمد عبد الواحد وكتب أيضا عن مأمون بنى عبد المؤمن وكتب أخيرا عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير أبى يحيى ابن ملك افريقية رحم الله تعالى الجميع *(رجع الى أبى الحسن بن سعيد) قال رحمه الله تعالى حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك افريقية أبى العباس أحمد الغسانى فاحتاجت الشمعة أن تقط فتناول قطها غلام ببنانه فقلت

ورخص البنان تعدى لأن * يقط السراج بمثل العنم
فقال ولم يهب النار فى لمسه * ولا احتاج فى قطه للجلم
فقلت وماذاك الا لسكناه فى * فؤادى على ماحوى من ضرم
فقال تعود حر لهيب به * فليس به من أوار ألم

وأنشد فى المغرب للغسانى المذكور فى خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كأن البدر لما أن علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره
مخجل غادة قلبته لما * أراها شبهها حسدا وغيره

وخاطبه المذكور برسالة يقول فى آخرها وعند حامل هذه الاحرف سلمه الله تعالى كنه خبرى واستيعاب ما قصر عنه قلمى فضاقت بحمله أسطرى لتعلم ما اجده وأفقده من تشوقى وتصبرى وانى لا أزال أنشد حيث تذكرى وتفكرى

فاخبرت أن الملك فى مدينة دنقلة الى النوبة ليرفى بن سدرو وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوى على أمم

بانائيا قدنای عن بعصطبری * وثاوياً سواد القلب والبصر
اذا تناست عهدا من أخى ثقة * فاذكر عهودى بها الخليك من فكرى
واردد علىّ تحياتى باحسنها * تردد لى حياتى آخر العمر

ولنمسك العنان عن الجرى فى ميدان اخبار ابن سعيد فانها لايشق غبارها ومنها قوله رحمه الله تعالى سمعت كثيرا من السماع المشرقى فلم يهزنى مثل قول الشريف الشمسى المكى

مقلة بالدمع غرقى * وفؤاد طار خفقا
وتحسن وشن * شق جيب الصبر شقا
باثقاتى خبرونى * عن حديث اليوم حقا
اكذا كل محب * فارق الاحباب يشقى
لا وعيش قد تقضى * وغرام قد تبقى
ونعيم فى ذراكم * قد صفا دهرا وورقا
ونسيم من حماكم * حمل الوجد فرقا
برسالات صبابا * تعلى المشتاق تلقى
وغصون ناعمات * بمياه الدن تسقى
ووجوه تقسن حسنا * ملأن الارض عشقا
لو رضيتم لى عبدا * مارضيت الدهر عتقا

وقال ماسمعت ولا وقفت على شئ أبدع من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به

أسأل الله أن يديم لك العز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيا * ك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أننى أشتكيه * لك اذ نلتقى فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الاحسان وكتب فى حقه الى ولاة الصعيد كتبا أغنته مدة عن شكوى الزمان انتهى * وقال أيضا ولم أسمع فى وضع الشئ موضعه أحسن من قول المتنبى

وأصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم اسمع فى وضع الشئ غير موضعه أحسن من قول أبى الفرج

مرمدحى ضائعا فى لؤمه * كضياع السيف فى كف الجبان

ومن تآليف النور بن سعيد كتاب عدة المستجز وعقلة المستوفز وذكر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ وأورد فى هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه أنه لما دخل الاسكندرية لم يكن عنده آكد من السؤال عن الملك الناصر فاخبر بحاله وماجرى له مع الططر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاكو حلب فقال بعد كلام كثير وارتكب فى أهل حلب الططر والمرتدون ونصارى الارمن ماتصم عنه الاسماع وكان فيمن قتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذى صدر عنه من الطبقة العالية فى الشعر مثل قوله

واها لعقرب صدغه * لو لم تكن للماء تحمى

بربرية وعلوه والبلد المتصل بمملكته بارض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل باعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا افرقا وملكوا عليهم ملكا وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجه الى أن قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن فى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا فى البجه فقويت البجه عن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن

اسحق وهو من ربيعة يركب فى ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه

ولعقل خط عذاره * لوبت أعجمه بالشمس

وابن عمه الافتخار بن العديم الذي وقع له مثل قوله

والغصن فيه الماء مطرد * والماء فيه الغصن منعكس

ثم قال لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء الططر على بلاده حلب والشام وما يليهما ما نصه قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق قبلت يده وجعلت أدعو له وأظهر عزيته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فأضرب عن ذلك وقال لى فيم تتغزل اليوم ثم أنشدنى قوله فى مملوك فقده فى هذه الكائنة

والله ما أبكى لملك مضى * ولا لحال ظاعن أومقيم

وانما أبكى وقد حق لى * لفقد من كنت به فى نعيم

يطلع بدرا يتثنى بانة * يرفل في مرمته كالنسيم

فى خاطرى أبصره خاطرا * فألتوى مثل التواء السقيم

يا عاذلى دعنى وما حل بى * ما سوى الله بحالى عليم

ان مت من حزن له أسترح * وان أعش عشت بهم عظيم

قال ثم انه سار نحو هولاكو فلما مر بحلب ونظر الى معاهده على غير ما يعهد قال

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت * لحاظى الى الدار التى رحلوا عنها

ولو كان عندى ألف عين وقت فى * معالمها عمرى لما شبعت منها

وصنع فى نعيها أشعارا يتغنى بها المسمعون ثم رحل الى صحراء موشن فى جهة طريق أرمينية فوجد هولاكو هنالك فى تلك المروج المشهورة بالخصب فأنزله وأقام يشرب معه الى أن وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الططر للملك المظفر قطز صاحب مصر سنة ٦٥٨ فقتلوه وخلعوا نظم كتفه وجعلوه فى أحد الاعلام على عادته فى اكتاف الملوك انتهى باختصار

*(رجع ومن الوافدين من الاندلس الى المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) وكان صعب الخلق شديد الانفة جرى بينه وبين أقاربه ما أوجب خروجه الى أقصى المشرق وفى ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصب يرعى النجوم صبابه * ضيع الصبر فى الهموم شبابه

زدت بعدا فزدت فيه اقترابا * بودادى كذاك حكم القرابه

منزلى الآن سمرقند وبالقلعة ربع وطئت طفلا ترابه

منذ ما أبعد الفراق انتزاحى * هكذا الليث ليس يدرى اغترابه

لاولا أرتجى الاياب لامر * ان يكن يرتجى غريب ايابه

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت * اليها مهجتى نحو التلاقى

وأحسب من تركت به يلاقى * اذا هبت صباها ما ألاقى

فياليت التفرق كان عدلا * فحمل ما يطيق من اشتياقى

وليت العمر لم يبرح وصالا * ولم يختم علينا بالفراق

رجحـ العناوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر الحبشة والدار حلاس من الحبشة كفار يعبدون صنما لهم وأما الحبشة فاسم دار مملكتهم كعمى وهى مدينة ضخمة وهى دار مملكة النجاشى وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشى بالبحر الحبشى ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع وهذه مدن فيها خلق من المسلمين الا أنهم فى ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة غلافقة وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن فى أيام ذى نواس وهو صاحب الاخدود المذكور فى القرآن وصاحب زبيد فى وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة ويركب فيها التجار بالامتعة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين أعنى ساحل اليمن وساحل الحبشة أقل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تستقى منه ارباب المراكب ويعمل فى القرائح والذكاء

اذا

اذا كان الشوق فوق كل صفة فكيف نعبر عنه الشفة لكن العنوان دليل على بعض ما في الصحيفة والحاجب قد ينوب في بعض الامور مناب الخليفة وما ظنكم بشوق طرح في يد الاشواق طائح يقطع مسافات الآفاق بتقلب تقلب الافياء ويتلون تلون الحرباء حتى كانه يختبر مساحات الارض ذات الطول والعرض ويجوب أهوية الاقاليم السبع خارجا عما أدخله فيه اللجاج عن السمع فكانه خليفة الاسكندر لكن ما يجيش من هموم الغربة بفكرى قائمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدوة من الغرب الاقصى ثم شوقت نفسى وطمحت الى مشاهدة الغرب الاوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة ومن المشاق ما لا يحصى ثم شوقت الى افريقية درب بلاد الشرق فاستشعرت من هناك ما بينها وبين بلادى من الفرق واحتطفت من عينى تلك الطلاوة وانتزعت من قلبى تلك الحلاوة

فلله عين لم تر العين مثلها * ولا تلتقى الا بجنات رضوان

ثم نازعتنى النفس التواقة الى الديار المصرية فكابدت فى البحر ما لا يفى بوصفه الا المشاهدة الى أن أبصرت منار الاسكندرية فيالك من استئناف عمر جديد بعد اليأس من الحياة بما لقينا من الهول والتنكيد ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الازلية وعاينت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم العلية الملوكية غير أنى أنكرت مبانيها الواهية على ما حوت من أولى الهمم العالية وكونها حاضرة العسكر الجرار وكرسى الملك العظيم المقدار وقلت أصداف فيها جواهر وشوك محدق بأزاهر ثم ركبت النيل وعاينت تماسيحه وجزت بحر جدة وذقت تباريحه وقضيت الحج والزيارة وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة فهنالك بعت الزيارة بالازورار وآلت تلك التجارة الى ما حكمت به الاقدار اذ هى كما قال أحد من عاينها

أما دمشق فجنات معجلة * للطالبين بها الولدان والحور

فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان وما زين به خارجها من الانهار والجنان وبالجملة فانها جنة تتقاصر عن ادراكها أعناق الفصاحة وتقصر عن مناولتها فى ميدان الاوصاف كل راحة ولم أزل أسمع عن حلب أنها دار الكرم والادب فاردت أن يحظى بصرى بما حظى به سمعى ورحلت اليها وأفت خابرا بالمذاكرة والمطايبة صدعى ثم رحلت الى الموصل فالفيت مدينة عليها رونق الاندلس وفيها الطلاوة وفى مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفى به الكتب ولو أن البحر مداد ثم تغلغلت الى بلاد العجم بلدا بلدا غير مقتنع بغاية ولا قاصد امدا الى أن حللت بخارى قبة الاسلام ومجمع الانام فالقيت بها عصا التسيار وعكفت على طلب العلم واصلا فى اجتهاده سواد الليل وبياض النهار انتهى * وكتب اليهم أيضا من هذه الرسالة كتبت وقد حصلتنى السعادة وحظ الامل والارادة بحضرة بخارى قبة الاسلام * وأجابه أهله من الغرب بكلام من جملته وان كنت قد تحصنت بقبة الاسلام فقد عجلت لنا والك الفقد قبل وقت الحمام وأتبعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبتم على حتى المعنى وقلتم * تعجلت فقدا قبل وقت حمام

فملاجيلا وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من خواص وذكر علة ذلك وقد أتينا على الخبر فى كتابينا فى أخبار الزمان عند ذكر الاحجار المعدنيات فى تجاربهم وما كان من قضاياهم فى علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام ومن هو ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب ابن زيادة على هذه الجزيرة وله فى هذا الوقت رجال مرتبون بها من أصحابه وفى هذا البحر مما يلى بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطرى ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس بن نيقوماخس حين كتب الى الاسكندر بن فيلبش حين سار الى الشام فى أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذى يقع فى الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن نيقوماخس وهى مدينة اسطاغيرا فى المراكب باهاليهم فى بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم فى أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر

اذا لم يكن حالي مهما لديكم * سواء عليكم رحلتي ومقامي

وقتل المذكور بحارى حين دخلها الططر وهو عم علي بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن المذكور أخ سمي يحيي قد عانى الجندية ولما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل بحارى قال لا اله الا الله كان أبدا يسفه رأيي في الجندية ويقول لو اتبعت طريق النجاة كما صنعت أنا لكان خيرا لك فها هو رب قد قتل شر قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وأنا ما زلت أغازي في عباد الصليب وأخلص مما يقدر أحد أن يحسن لنفسه عاقبة انتهى * قال أبو الحسن علي بن سعيد ثم ان يحيي المذكور بعد خوضه في الحروب صرعه في طريقه غلام كان يخدمه فذبحه على بردس المال أخذه فانظر الى تقلب الاحوال كيف تجري في أنواع الامور لا على حذر ولا احتياط انتهى * ومن شعر أبي القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الاشراف بحارى وقد أهدى اليه فاختة مع زوجه

أياسيد الاشراف لا زلت عاليا * معاليك تنبو الدهر عن كل ناعت

من الفضل اقبال على ما بعثته * لمغناك من شاد دعوه بفاخت

ألا حبذا من فاخت سادجنسه * وأصبح مقرونا بست الفواخت

لئن فاتني منه الانيس فكل ما * يحل الى علياك ليس بفائت انتهى

(ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبي الانصاري المعروف بابن العائد) نزيل رباط الصاحب الصفي بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سميت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين يعني عدد حدها وأنشد له

عذلنا فلا نا على فعله * ولمناه في شربه للعجوز

فقال دعوني من أجلها * أمالي أنا وأخي والعجوز

(ومنهم الشيخ الفاضل المتفنن أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصاري) الشاطبي الاصل البلنسي المولد في أحد ربيعي سنة احدى وستمائة ولقبه المشارقة رضي الدين وتوفي بالقاهرة في جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رحمه الله تعالى ومن نظمه لما حضر أجله وقد أمر خادمه أن ينظف له بيته وأن يعلق عليه الباب ويفتقده بعد زمان ففعل ذلك ولما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب في رقعة

حان الرحيل فودع الدار التي * ما كان ساكنها بها بمخلد

واضرع الى الملك الجواد وقل له * عبد ببابك الجود أصبح يجتدي

لم يرض غير الله معبودا ولا * دينا سوى دين النبي محمد

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى

تري تحملي بعض الذي تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

أنشده له تلميذه أبو حيان امام عصره في اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبي الربيع بن سالم وكتب على صحاح الجوهري وغيره حواشي في مجلدات وأثنى عليه تلميذه أبو حيان رحمه الله تعالى الجميع

يعرضون انسابهم ثم يلحقونهم في أنسابهم روم ولا غير هم غير أهل هذه الجزيرة وهم في هذا الوقت تأوي اليهم بوارج لهذا الدين يغيرون على المسلمين في هذه البوارج وهي المراكب على من أراد الصين والهند وبهذا ما يقطع الروم في الشواني على المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة اخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا واما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن في المغرب مثل ار غاوة والبكر ... والعرا قرو مرندة والمرويين والهدبين واللالة والعرماطن وزوبله والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من أنواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد أتينا على ذكر جميع اجناس السودان وانواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولأية علة تفلفت شعورهم واسودت الوانهم وغير ذلك من اخبارهم واخبار ملوكهم وسيرهم ... وسيرهم في انسابهم في كتابنا في اخبار الزمان في الفن الاول

ومن فوائده قوله نقلت من خط أبى الوليد بن خيرة الحافظ القرطبى فى فهرست أبى بكر بن مفوز قد أدركته بسنى ولم آخذ عنه واجتمعت به أنشدنى له أبو القاسم بن الابرش يخاطب بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الظاهرى

يا من تعنى أمورا ان يعانيها * خل التعالى وأعط القوس باريها
تروى الاحاديث عن كل مسامحة * وانما المعانيـــــــها معانيها

وقد سبق فى ترجمة القاضى أبى الوليد الباجى ذكر هذين البيتين عندما لجواب ذكر ابن حزم قال وانما قال هذا الشعر فى ذكر رواية ادعيت عن قول النبى صلى الله عليه وسلم ان خالدا قد احتبس أدراعه وأعتده فى سبيل الله وصحح رواية من روى أعبده جمع عبد وعلل رواية من روى اعتده بالتاء مثناة باثنتين من فوق جمع عتد وهو الفرس قال ابن خيرة الاحاطة ممتنعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الاثبات والعلماء المحدثين فهو انكار غير معروف والله تعالى أعلم * ومن فوائده ما نقله تلميذه ابو حيان النحوى عنه قال انشدنا الماهرى ونقلته من خطه

اذا ماشئت معرفة * لما جار الورى فيه
خذ خمسا الاربعة * ودع للثوب راعيه

وهو لغز فى ورد قال وانشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزمة ضمنت لى * سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبى تقول لا بد منه

قال وانشدنا لغيره

وكان غريب الحسن قبل التحائه * فلما التحى صار الغريب المصنفا

وانشدنا لغيره

طب على الوحدة نفسا * وارض بالوحشة انسا
ما عليها من يساوى * حين تستخبر فلسا

وقرأ الرضى ببلده على ابن صاحب الصلات آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للوانى وسمع بمصر من ابن المقير وجماعة وروى عنه الحافظ المزى واليونينى والظاهرى وآخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول أحرف اللغة على قسمين قسم اعرف معناه وشواهده وقسم اعرف كيف ا[illegible] به فقط رحمه الله تعالى * ومن فوائد الرضى الشاطبى المذكور ما ذكره ابو حيان فى البحر قال وهو من غريب ما انشدنا الامام اللغوى رضى الدين ابو عبد الله محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى لزينب بنت اسحق النصرانى الرسعنى

عدى وتيم لا احاول ذكرهم * بسوء ولكنى محب لهاشم
وما يعترينى فى على ورهطه * اذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم انى لاحسب حبهم * سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

ترك ابراده فيه ولا تعريته منه (قال المسعودى) وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو ابن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق وأبى عمرو ابن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر وولى عبد الله بن سعد فصالحهم على رؤس من السبى معلومة مما يسبى هذا الملك الى ورثاهم من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو علا مريس وغيرها من أرض النوبة فصار ما قبض منهم من السبى سنة جارية فى كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبى فى العربية بارض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا واراه وسم على عدد أيام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللامير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبى أربعون رأسا ولخليفته المقيم ببلاد اسوان المجاوره لارض النوبة وهو المتولى لقبض هذا البقط وهو السبى عشرون رأسا غير الاربعين ولل[illegible] لم المقيم

ومن نظم الرضي المذكور

مغص العيش لا ياوي الى دعة * من كان في بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى بلاد ولا سكنى الى احد

وله

لو لا بناتي وسيئاتي * لطرت شوقا الى الممات

لانني في جوار قوم * بغضني قربهم حياتي

وقرأ عليه ابو حيان كتاب التيسير وانثى عليه وانا ابو في انشده ارتجالا

حي لي الرضي فقلت لقد * نمي لي شيخ العلا والادب

من للغات ومن للثقات * ومن للنحاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار * وان غؤر البحار العجب

فقدس من عالم عامل * اثار اشجوى لما ذهب

وتحاكم الى رضي الدين المذكور الجزار والسراج الوراق ايهما أشعر وارسل اليه الجزار شيأ فقال هذا شعر رجل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فارسل اليه شيأ فقال هذا شعر سلس وآخر الامر قال ما أحكم بينكما رحمه الله تعالى * قلت رأيت بخطه كتبا كثيرة بمصر وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله تعالى * (ومنهم حميد الزاهد وهو الاديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبي محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيي بن عبد الله الانصاري القرطبي نزيل مالقة) قال الرضي الشاطبي المذكور قريبا أنشدني حميد بالقاهرة لابيه أبي محمد وقد تاخر شيبه مع علو سنه

وهل نافعي أن اخطأ الشيب مفرقي * وقد شاب أترابي وشاب لداني

اذا كان خط الشيب يوجد عينه * بتربي فمعناه يقوم بذاتي

واللدات من ولد معه في زمان واحد انتهى وفي ذكرى أنه قال هذين البيتين لما قال له القاضي عياض شبنا ولم تشب وقال الرضي أيضا انشدني حميد لابيه فيمن يكتب في الورق بالقص وهو غريب

وكاتب وشي طرسه حبره * لم يشها حبره ولا قلمه

لكن بمقراضه يمنمها * منمة الرص وجاده رهمه

يوجد بالقطع أحرفا عدمت * فاعجب لشئ وجوده عدمه

والرهم المطر قال وتوفي حميد الزاهد هذا بعصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء وصلي عليه خارج مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخزرجي الذي يدفن الرصاص حذاء رجليه في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ومولده سنة ست وستمائة انتهى * (ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي) من اهل بلنسية واصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الامراء بشرق الاندلس وله تاليف سماه المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ولاثني عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في ابتداء الهدنة بين المسلمين والنوبة والموضع الذي يسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة في هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التي في الجزائر بين رحبة مالك بن طوق وبين الرقة وناوسة وعانة والحديثة وفي مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير في كلا الشطين وهذه المدينة اليها تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز وهي بالبلد كثير النخل خصب كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة

بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الاندلس سنة سبعين وخمسمائة وبها توفي في يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم محمد بن عبد الرحمن ابن على بن محمد التجيبي يكنى أبا عبد الله من أهل اشبيلية) تجول في بلاد الاندلس طالبا للعلم ثم حج ولقي الحافظ السلفي وغيره واستوطن تلمسان وبها توفي في جمادى الاولى سنة عشر وستمائة وله تواليف كثيرة (ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي) من أهل اشبيلية ولى القضاء بها وأصله من باجة افريقية دخل المشرق لاداء الفريضة فحج وتوفي بمصر بعد ما دخل الشام في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة (ومنهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمرى) من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب سماه الوجازة في صحة القول بالاجازة وله رحلة لقى فيها ألف شيخ ومحدث وفقيه توفي بالدينور سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة يروى عنه أبو ذر الهروى وعبد الغنى الحافظ وكفاه فخرا بهذين الامامين العظيمين رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني الرندى يكنى أبا محمد) استوطن مالقة ورحل الى المشرق وحج ولقي جماعة من العلماء وقفل الى المغرب أواخر عام واحد وثلاثين وستمائة وولى الامامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفي في ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولقب في المشرق برشيد الدين وولد في ربيع الاول سنة احدى وثمانين وخمسمائة بقرية من قرى الاندلس يقال لها بلمالتين من كورة بشتغير ذكر ذلك ابن المستوفي في تاريخ اربل * (ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد اليمنى) من أهل الاندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل ومن شعره رحمه الله تعالى قوله

لولا تحدّيه بآية سحره * ما كنت ممتثلا شريعة أمره

رشأ أصدقه وكاذب وعده * يبدى لعاشقه أدلة غدره

ظهرت نبوّة حسنه في فترة * من جفنه وضلالة من شعره

(ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبى) رحل حاجا فلقى ببجاية عبد الحق الاشبيلي وبالاسكندرية أبا الطاهر بن عوف ولقي غير واحد في رحلته كالغزنوى وأبى الثناء الحرانى وابى الحسين الحريثي وللعريثي أحاديث ساوى بها البخارى ومسلما ولقي جماعة ممن شارك السلفي في شيوخه (ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة) وهو من ولد ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أندلسي شاطبي بلنسي مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة اربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل في مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبى عبد الله الاصيلي وأبى الحسن بن أبى العيش وأخذ عنه القرآ ت وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم في صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصنا نضرا من أحد بساتينها فذوى في يده

لا تغترب عن وطن * واذكر تصاريف النوى

أما ترى الغصن اذا * ما فارق الاصل ذوى

ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ٧ . ه ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من الثال والفسيل وهو النخل الصغير وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح وليس باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بارض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بنى أمية وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنتزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقروا لملوكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الجندى

يامن حواه الدين فى عصره * صدرا يحل العلم منه فؤاد
ماذا يرى سيدنا المرتضى * فى زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغى منه سوى أحرف * يعتدها أشرف ذخر يفاد
ترسمها أنمله مثل ما * عق زهر الروض كف العهاد
فى رقعة كالصبح أهدى لها * يد المعالى مسك ليل المداد
اجازة يورثنيها العلا * جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر حديثا لها * والشكر للامجاد أسنى عتاد

فاجابه الصدر الجندى

لك الله من خاطب حلتى * ومن قابس يجتدى سقط زندى
اجزت له ما أجازوه لى * وما حدثوه وما صح عندى
وكاتب هذى السطور التى * تراهن عبد اللطيف الجندى

ورافق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعى وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى وأجازهما أبو محمد بن أبى عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعا الى المغرب فسمع كل منهما به بعض ما كان عندهما وكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم وخدم السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية وتوفى أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين فى سنه رحمه الله تعالى (رجع الى ابن جبير) قال لسان الدين فى حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة فى الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت فى السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب له قصيدتان احداهما أولها

أطلت على أفقك الزاهر * سعود من الفلك الدائر

ومنها

رفعت مغارم مكس الحجاز * بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد * فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة * على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد * وكم لك بالغرب من شاكر

والاخرى منها فى الشكوى من ابن شكر الذى كان أخذ المكس من الناس فى الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاحا * وقد نالته مصر والشآم

ومن شعره

احلاء هذا الزمان الخؤون * توالت عليهم حروف العلل
تقضيت التعجب من بابهم * فصرت أطالع باب البدل

تعبيد الملكهم وأموالكم وفيمن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أو نموه عليه من هذا المعنى هدى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضيع بارض النوبة من بلاد مريس وديار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهى بلاد مريس ومعدن الزمرد فى عمل الصعيد الاعلى من أعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى فيه الزمرد يعرف بالخزنة مفازة وجبال والنجه تحمى هذا المكان المعروف بالخزنة واليها يؤدى الخفارات من رد الى حفر الزمرد والزمرد الذى يقتلع من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثانى يدعى بالبحرى ومعناهم فى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزنج والصين ترغب فى هذا النوع من

وقوله

وقوله

غريب تذكر أوطانه * فهيجه بالذكر أشجانه
يحل عرى صبره بالاسى * ويعقد بالنجم أجفانه

انتهى

وقال رحمه الله تعالى لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا ومهابة وتعظيما

بدت لى أعلام بيت الهدى * بمكة والنور باد عليه
فأحرمت شوقا له بالهوى * وأهديت قلبى هديا اليه

وقوله يخاطب من أهدى اليه موزا

يا مهدى الموز تبقى * ودمت للشفاء
وزاده عن قريب * لمن يعاديك ناء

وقال رحمه الله تعالى

قد ظهرت فى عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدى فى الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر

وقال

يا وحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه

وقال

ضلت بافعالها الشنيعه * طائفة عن هدى الشريعه
ليست ترى فاعلا حكيما * يفعل شيأ سوى الطبيعه

وكان انفصاله رحمه الله تعالى من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذى القعدة الحرام من السنة م وكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندرانى فى الحادى والثلاثين وحج رحمه الله تعالى وتجول فى البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله تعالى كما قال ابن الرقيق من أعلام العلماء العارفين بالله كتب فى أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده اليه بكاس فاظهر الانقباض وقال يا سيدى ما شربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس فملأ له السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره فحمله الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب الى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج فى تلك السنة فاسعفه وباع ملكا له تزوّد به وأنفق تلك الدنانير فى سبيل البر

ومن شعره فى جارية تركها بغرناطة

طول اغتراب وبرح شوق * لا صبر والله لى عليه
اليك أشكو الذى الاقى * يا خير من يشتكى اليه
ولى بغرناطة حبيب * قد غلق الرهن فى يديه

الزمرذ وتباهى فى استعماله ولباسه فى تيجانها واكاليلها وخواتيمها واسورتها

فسمى البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المرتبة فى الجودة ونشبه حسن به بالاول والماء اقتداح ورق الآس الذى يظهر فى أوائل أغصان الآس وأطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم فى هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والنوكير والاندلس والجلالقة والوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصلين بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والسند فى النوع المعروف بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة ويجمعه الوصف بهذه الانواع الاربعة فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع

تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا سلم مما ذكرنا كان فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وفى تجارته مبالغ

ودعته وهو بارتماض * يظهر لي بعض ما لديه

فلو ترى طل نرجسيه * ينهل في ورد وجنتيه

أبصرت دراً على عقيق * من دمعه فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بايدي الناس ولما وصل بغداد تذكر بلده فقال

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب انتهى

وقال في رحلته في حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المونق المشرق هي خاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها وعروس المدن التي اجتليناها التي قد تحلت بازاهر الرياحين وتجلت في حلل سندسية وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين وشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت بها البساتين احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظة بجهاتها الاربع نظرته اليانعة قيد النظر ولله صدق القائلين فيها ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها

* قال العلامة ابن جابر الوادي آشي بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق ما نصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها اقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة وما وصف ذهبيات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا أزمان فصولها المنوعات ولا أوقات سرورها المهنآت ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين انتهى *(رجع الى كلام ابن جبير)*

ونقول ثم ذكر في وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس في وصف الجامع وما به من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق ما نصه وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازين مصورين من صفر قائمين على طاسي صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاسان منقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاسين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا تزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل

تدبير

يحسنه المثاقيل في الوزن الى أن ينتهي الى حد العدسة في المقدار فيدخل ذلك في النظم من المخانق وغيرها

وآفات هذا الجوهر المنوع كثرة وسم الرسم والحجارة [illegible] روق البيض [illegible] وبهذا الجوهر ونوحد فيه ولا [illegible] ذوي الدراية بهذا الجوهر ومن منافعه المعروفة أن الحيات والأفاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين ونحوها اذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها وأن الملسوع اذا سقي من الزمرد الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سريان السم في جسده ولا يوجد شيء من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه وقد جرب ابن زهر بكاس اذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شان هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة وخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكبر ما يوجد من هذه الانواع المعروف في الارض وهو المتنافس فيه اذا سلم من الاعوجاج والنمش واستقام سلكه واستطال ما استدار وأدناه ما يحل في معادنه من التراب واختلط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض في هذا المعدن في وهاده وجباله

تدبيرا آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله خلف منها الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها ولاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها دربشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسميها الناس المنجانة انتهى المقصود منه قلت كل ما ذكره رحمه الله تعالى في وصف دمشق الشام وأهلها فهو في نفس الامر يسير ومن داروم تحاسنها الى اذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير وقد أطنب الناس فيها وما بقي أكثر مما ذكروه وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين والف للهجرة واقمت بها الى أوائل شوال من السنة وارتحلت عنها الى مصر وقد تركت القلب فيها رهنا وملك هواها مني فكرا وذهنا فكأنها بلدي التي بها ربيت وقراري الذي لي به اهل وبيت لان اهلها عاملوني بما ليس لي بشكره يدان وها أنا الى هذا التاريخ لا ارتاح لغيرها من البلدان ولا يشوقني ذكر أرض بابل ولا بغدان فالله سبحانه وتعالى يعطر منها بالعافية الاردان * وقد عن لي أن أذكر جملة مما قيل فيها من الامداح الرائقة وأسرد ما خاطبني به اهلها من القصائد الفائقة فأقول قال البدر بن حبيب

يمم دمشق ومل الى غربيها * والمح محاسن حسن جامع بلغا
من قال من حسد رأيت نظيره * بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع

لله ما أحلى محاسن جلق * ووجوهها اللاتي تروق وتعذب
بين يدربوتها الفرات وجنكها * ياصاح كم كنا نخوص ونلعب

وقال فيه أيضا

لله ما أجمل وصف جلق * وما حوى جامعها المنفرد
قد أطرب الناس بصوت صيته * وكيف لا يطرب وهو معبد

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا في غير جامع جلق * هل يستوي الممنوع والممنوح
أقصر عنائك وفي غلوك لا ترد * ان الزيادة بابها مفتوح

وقال في منارته المعروفة بالعروس

معبد الشام يجمع الناس طرا * واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت * فيه تجلى على الدوام العروس

ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد عابثا * في صرفه المال وبذل جهده
لكنه أحرز ملك معبد * لا ينبغي لأحد من بعده

الهند من بلاد سفدان وبحر كنبايت من مملكة السلطان صاحب الناكور المتقدم ذكره فيها ملف من هذا الكتاب نوع من الزمرد يلحق بوصف ما ذكرناه من النور والخضرة والشعاع الاانه غير صاف اللون عما وصفناه أولا مما ذكرنا ولا فرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الانواع الاربعة المتقدم ذكرها الا ودراية فطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندي يعرفه اصحاب الجوهر بالمكي لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ويؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفناه بهذا النعت لما ذكرناه وقد أتينا على مبسوط اخبار الجواهر الثمينة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح في كتابنا في اخبار الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوي الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر الذي هو الزمرد يخبرون أن هذا الزمرد يكثر وتقل في فصول من السنة وفي زمن من مواد الهواء وهبوب نوع

أنواع الكبريت يكثر في معدنه في السنة التي يكثر برقها وتشتد سرعتها على حسب ما اخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن المكثور من بلاد فيصورة وغيرهم من أرض الهداية كثر في السنة التي يكثر بها الصواعق والرعود والبروق ولولا ان المكثار لخاطب نيل والايجاز لحة دالة روحي صرح عن ضمير والبلاغة ايضاح باخبار لاسهبت في هذا الباب وبين هذا الموضع المعروف بالحزبة الذي فيه معدن هذا النوع من الجوهر وهو الزمرذ وبين ما يتصل به من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة للنيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين وللمدينتين قفط وقوص أخبار عجيبة في بدء عمرانهما وما كان في أيام الانبساط من أخبارهما الآن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس فيها اكثر وبوادي البجة المسالكة لهذا المعدن معدن الزمرذ وتتصل ديارها بالعلاقي وهي معدن الذهب على حسب ما قدمنا في هذا الباب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقي ما انهل

ومن أبيات في آخره

بجامع جلق رب الزعامه * أقم تلق العناية والكرامه
ويمم نحوه في كل وقت * وصل به تصل دارا لاقامه
مصلى فيه للرحمن ذكر * ومثوى للقبول به علامه
محل كل الباري حلاه * وبيت أبدع الباري نظامه
دمشق لم تزل للشام وجها * ومسجدها الوجه الشام شامه
وبين معابد الآفاق طرا * له أمر الامارة والامامه
ادام الله بهجته وأبقى * محاسنه الى يوم القيامه

انتهى

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه ومن قصيدة القاضي المهذب بن الزبير

بالله يا ريح الشمال * اذا اشتملت الريد بردا
وحملت من عرف الخزا * مى ما غدى للمستبدا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
وصقلت صفحته وجهه * حتى اكتسى آسا وورد
وكأنما ألقيت فيه منه ما صدعا وخدا
مري على بردى عسا * ه يزيد في مسراك بردا
نهر كمصقل السيف تكسر متنه الازهار حمدا
فتلقه أنفاس النسيم بزهر من وابس بصدا

ومنها

أحبابنا ما بالكم * فيما من الاعداء أعدى
وحياة حبكم وحر * مة أصلكم ما خنت عهدا

وقال الكمال الشريشي

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما لذ للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا تقضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيرين ضحى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتي التي ذهبت * لي فيه فهي لعمري عندي العمر
سقاك بالسفح سفح الدمع منهمرا * وقل ذاك له ان أعوز المطر

*(وحكى ابن سعيد وغيره) أن غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد أطل عليها جبل

الثلج وفى ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يا دمشق الغرب هاتيك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجرى * وهى تنصب اليها

قال ابن سعيد أشار ابن جبير الى ان غرناطة فى مكان مشرف وغوطتها تحتها تجرى فيها الانهار ودمشق فى وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى فى وصف الجنة تجرى من تحتها الانهار انتهى * وقال الصفدى فى تذكرته أنشدنى المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه فى شعبان المكرم سنة ٧٣٣

قصدت مصر من بلادى * بهمة تجرى بجد
فلم أر القرة حتى * دموع عينى المر تحت

وأنشد لنفسه أيضا

خلفت بالشام حبيبي وقد * يممت مصرا لعنا طارق
والارض قد طالت فلا تبعدى * بالله يا مصر على العاشق

وأنشد لنفسه أيضا

يا أهل مصر أنتم للعلا * كواكب الاحسان والفضل
لولم تكونوا الى سعود الما * وافيتكم أضرب فى الرمل انتهى

وذكرته برمته لحسن مغزاه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الظهير الحنفى الاربلى

لعل سنى برق الحمى يتألق * على النأى أوطيف الاسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمرتقب ولا * وعود الامانى الكواذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدنى لنازح * من الشام عرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها منعما * وأيامنا تحنو علينا وتشفق
سحبنا بها برد الشباب وشربنا * لديها كما شئنا تذم وترق
مواطن فيها السهم سهمى وطله * تحب مطايا اللهو فيه وتعنق
جلا جانبيه معلم متجعد * من الماء فى اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت متنه فهو مذهب * وان حجبها دوحه فهو أزرق
وان فرح الاوراق جادت بنورها * فرقم اجادته الاكف منمق
يظل عليه فاسيون كأنه * غمام معلى أو نعام معلق
سافر عنه الشمس قبل غروبها * وترجع اجلالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كأنها * محب من البين المشتت مشفق
وفى النيرب الميمون للب سالب * من المنظر الزاهى وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم رصائع * تأنق فيها المحدث المتأنق
رياض كوشى للبرود يشقها * جداولها فالنور بالماء يشرق

ومنها يتصل العلاقى والنوبة مسلمة لارباب الواحات الهما ووفدوا لهما مدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودى) واما بلاد الواحات وهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الحبشة من النوبة وبينهم بعد كبير ... من أخبارها وكيفية العمران بها والخواص فى أرضها فيما سلف من كتبنا ولها أرض شبة وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك ابن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مروانى المذهب ويركب فى ألوف من الناس خيلا ورجالا ونجبا وبينه وبين الحبشة نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفى أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات ببلاد الاخشيد

محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من أخبار بلادهم وما احتجت أن أعامه من

من يرحس يخشى فراق تريفه * ترى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مغنم وزائر * يصافح رياه الرياض فتعبق
كأن قدود السروفيه مواشيا * قدود عذارى ميلها مترفق
اذا ما تدلت للشعائق صدها * عيون من النور المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه * الى النسر نسر في السماء معلق
وكم جدول جار يطارد جدولا * وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة دبها صاحلت بركة * وكم وسط الماء ... ق
وكم مرل عسى الع ون كاها * ألى ... بارق ألق
وفي الربوة الفيحاء للعاشقين * ولهم مسلاة وللعين مرمق
عروس جلاها الدهر فوق منصة * من الدهر والأ بصار ترنو وترمق
فهام بها الوادي وفاضت عيونه * فكل قرار منه بالدمع شرق
فكم من دون الجداول شربها * تريد تصفيه لها وتروق

وقال أبو تمام في دمشق

لولا حداثتها وأني لا أرى * عرشا هنالك ظننها بلقيسا
وأرى الزمان غدا اليك بوجهه * جذلان بساما وكان عبوسا
قد بورك الطون وقدست * تلك الظهور وقدست تقديسا

وقال البحتري

أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملأت العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشي السحاب على أجبالها فرقا * ويصبح النور في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وفي دمشق يقول بعضهم

بردت دمشق تزايري أوطانها * من كل ناحية بوجه أزهر
لو أن انسانا يعمد أن يرى * معنى حلا من برهة لم يعدر

وقال العيراطي في قصيدته التي أولها: للصب بعدك حالة لا تعجب

لله ليل ... قطعته * بالوصل لا أخشى به ما يرهب
وركبت منه الى الصبا أدهما * من قبل أن يبدو الصبح أشهب
أيام لا ماء الخدود يشوبه * كدر العذار ولا عذار أشيب
... في شمال اللهو لي من جولة * أصحت بروض بالشباب وطرب
وأتت للندماء سوق خلاعة * تجني المجون الى فيه وتجلب
وذكرت في معنى دمشق معشرا * أم الزمان بمثلهم لا تنجب
لا يسأل القصاد عن نادبهم * لكن يدلهم الثناء الطيب

كان يعلى مع غيره في سائر الاوقات ممن لم أصل الى بلادهم وأخبرني هذا

خواص أرضهم وكذلك الرجل بما بأرضهم من الشب وأنواع الزاج وما يحمل من بلادهم ومن بأرضهم من أنواع الطعوم الحامضة وغير ذلك من المياه الخ مقة الطعوم وقد ... ان ... المواضع ... وما ... ماؤها ... الخل وذكر الموضع التي ينبع منها العيون المرة وان قوة ... منها في المرارة لا يحتمل شيئا لامرر ودوان العلة في اختلاف هذه الطعوم في المياه ان الارضين اختلفت مثل موضع الشب والمواضع النار ية والرمادية وذكر الاطعمة التي ببلاد ... المتقدم ذكرها اذا خالطت الماء ... صعوما ... على قدر اختلافها وأعداد طعومها وأعداد الطعوم ثمانية هذه العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريف وقد نازع الناس فيما ذكرنا فمنهم من رأى ان أعدادها ... ومنهم من ذهب الى ... وأكثر من قال في أعدادها هو ما ذكرنا انما ... وقد قال من سلف في ... المياه ... من ذلك ان العذ ... دوان كان ... اذا ان استعمل من داخل او من خارج فانه ينقي الجسد

قوم يحسن صفاتهم وفعالهم * قد جاء يعتذر الزمان المذنب

يا من لحران الفؤاد وطرفه * بدمشق أدمعه غدت تنسكب

اشتاق في وادي دمشق معهدا * كل الجمال الى حماه ينسب

ساقيه الاروضة أرجوانها * أو جدول أو بلبل أو ربرب

وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب

واذا تكسر ماؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من عاش عيشة المطرب

فالورق تنشد والنسيم مشبب * والنهر يسقي والحدائق تشرب

وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بين روض مطلب

وحلت بقلبي من عساكر حسنه * بالارباب الخلاعة ملعب

ولكم رقصت على السماع بحكمها * وغدا يرقص اللسان يشبب

هي جنة أرور معالمها أبوابها * سماحها كتب السماح تبوب

وقال الصفي الحلي عند نزوله بدمشق مسمطا القصيدة السموأل بالحماسة

تيمم عن خافت عن الرزق أرضه * وصل العلا رحاله وعرضه

ولم يبل سربال الدجى فيه ركضه * اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها * ويغل من النفس النفيسة سومها

أضيع ولم يأمن معاليه لومها * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها

فليس الى حسن الثناء سبيل

رفعنا على هام السماك محلنا * فلا ملك الا تغشاه ظلنا

لقد هاب جيش الاكثرين أقلنا * ولا قل من كانت بقاياه مثلنا

شباب تسامى للعلا وكهول

يوازي الجبال الراسيات وقارنا * ويبني على هام المجرة دارنا

ويأمن من صرف الزمان جوارنا * وما ضرنا أنا قليل وجارنا

عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت أموره * لنا وحبانا ملكه ووزيره

وبالنيرب الاعلى الذي عز طوره * لنا جبل يحتله من نجيره

منيع يرد الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلال شعابه * وتحدق شهب الافق حول هضابه

ويقصر خطو السحب دون ارتكابه * رسا أصله تحت الثرى وسما به

الى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشقراء قد فاض نهره * وفاق على فخر الكواكب فخره

وقد شاع ما بين البرية شكره * هو الابلق الفرد الذي سار ذكره

وان استعمل اكثر مما يحتاج اليه فانه يرخي الاعضاء ويضعفها وان الماء البارد يشد الاعضاء ويقطع العطش وان الزيادة منه تبرد الجسد وتميته وان الماء الاجاج ينفع من سدد الكبد والطحال وان الماء الكبريتي ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة والزرقي نافع للحكة والجرب وان ماء الصابر نافع من اوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من الاسترخاء في الاحشاء ويابس من الاوعية وماء النحاس نافع من الرطوبة والبله الكائنة في الحرارة الرأس وماء الجص يشد المعدة ويقبضها ويقويها وماء الزاج يحبس الدم وماء البحر نافع من البرص وقد ذكر جماعة انه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز وله في البصر ايعاب قطيع وان ادخ المياه للاجساد الابيض البراق الذي يخرج من جبال الصين من مشرق الشمس نحو ويعرفها القابل بسرعة سارداله من الحر والبرد للناس فيما ذكرنا كلام كثير في أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها ليس كتابنا هذا موضوعا له وانما تعلل بنا الكلام الى ذكرها وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ما ذكرناه من بلاد الاحباش ما كان من غير بني المسن وحدة والحار مما يليه.

يعز على من رامه و يطول

اذا ما غضبنا فى رضا المجد غضبة * لندرك ثارا أو لنبلغ رتبة
نزيد غداة الكر فى الموت رغبة * وانا القوم لانرى الموت سبة

اذا ما رأته عامر وسلول

وكتب الشيخ محب الدين الحموى ترجمة للشيخ اسمعيل النابلسى شيخ الاسلام من مصر

لواء التهانى بالمسرة يخفق * وشمس المعالى فى سما الفضل تشرق
وسعد واقبال ومجد مخيم * وأيام عز بالوفا تتخلق
فيا أيها المولى الذى جل قدره * ويا أيها الحبر اللبيب المدقق
أرى الشام مذ فارقتها زال نورها * وثوب بهاها والنضارة يخلق
اذا غبت عنها غاب عنها جمالها * ونفس بدون الروح لا تتحقق
وان عدت فيها عاد فيها كمالها * وصار عليها من بهائك رونق
فيا ساكنى وادى دمشق مزاركم * بعيد وباب الوصل دونى مغلق
وليس على هذا النوى لى طاقة * فهل من قيود البين والبعد أطلق
وانى الى أخباركم متشوف * وانى الى لقياكم متشوق
أو داذاهب النسيم لنحوكم * بأنى فى أذياله أتعلق
وأصبو لذكراكم اذا هبت الصبا * لعلى من أخباركم أتنشق
ولى أنة أودت بجسمى ولوعة * ونار جوى من حرها أتقلق
فحنوا على المضنى الذى ثوب صبره * اذا مسه ديل الهوى يتمزق
غريب باقصى مصر أضحت دياره * ولكن قلبى بالشآم معلق
وقد نسج التبريح جسمى فهل الى * غبار ثرى اعتاب وصل يحقق
فياليت شعرى هل أفوز بروضة * وفيها عيون النرجس الغض تحدق
وأنظر واديها وأدنو لربوة * وماء معين حولنا يتدفق
ويحلو لى العيش الذى مر صفوه * وهل عائد ذاك النعيم المروق
وأنظر ذاك الجامع الفرد مرة * وفى صحنه تلك الحلاوة تشرق
وأصحابنا فيه نجوم زواهر * ونور محيا وجههم يتألق
فلا برحوا فى نعمة وسعادة * وعز ومجد شاده ليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو ساعدونى بالكرى
جنحوا الى قول الوشاة وأعرضوا * والله يعلم أن ذلك مفترى
يا معرضا عنى بغير جناية * الا لما نقل العذول و زورا
هبنى أسأت كما تقول وتفترى * وأتيت فى حبيك شيأ منكرا
ما بعد بعدك والصدود عقوبة * يا هاجرى ما آن لى أن تغفرا
لا تجمعن على عتبك والنوى * حسب المحب عقوبة أن يهجرا

القلزم فبلاد قشفة لاخير فى أرضها ولاشئ يحمل من ساحلها الا ما وصفنا من الذبل والتمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت الى عدن فبلاد لاخصب لاهله فيه ولا يحمل من ارضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهندوان كان الماء متصلا وليس فى البحار وما ذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشى اصعب ولا اكثر جبالا ولا اسهك رائحة ولا اقحط ولا اقل خيرا فى بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشى تقطعه المراكب فى ابان سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل ارست فى مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره فى شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين فى قعره اللؤلؤ وفى جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعى وفى افواه دوابه العاج وفى منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود واحجار الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر

عبء الصدود أخف من عبء النوى * لو كان لي في الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق وواديها والحمى * متواصل الارهام منفصم العرا
حتى يرى وجه الرياض بعارض * أحوى وفود الدوح أزهر نيرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج * ورمال كاظمة ولا وادي القرى
أرض إذا مرت بها ريح الصبا * حملت على الأغصان مسكا أذفرا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وابن عنين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الأعراض عفا الله تعالى عنه فمن ذلك قوله

أرح من برح ما البرغوث يوما * فعد أوصى الى نعسوتي
مر القاضي يوضع يده فيه * وقد أضحى كراسر زبرقي

يعني أقرع وسبب قوله البيتين أن المعظم أمر برح ... بغلة دمشق فأحياهم ذلك ومن هجوه قوله

شكا شعري الي وقال تهجو * بمثلي عرض ذا الكلب اللئيم
فقلت له تسل فرب نجم * هوى في اثر شيطان رجيم

وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن الهجين فتخلف

اذا ما دام فعل الوقت يوما * فاني شاكر فعل النياق
أراد الله بالحجاج خيرا * فنبط عنهم أهل النفاق

وقال

وراحل سرت في ركب أودعه * تبارك الله ما أحلى تلاحينا
جئنا الى بابه لاحين نسأله * وليتنا ما اتفقنا موت ولاجينا
راجين نسأل ميتا لا حراك به * مثل النصارى الى الأصنام لاجينا

وقال

وصلات مثل رقعة أم أمتي * صرت صري الجميل قليلا
كنهار المصيف حرا وكرما * وطويل الشتاء بردا وطولا

وأول مقراض الأعراض قوله

أضالع تنطوي على كرب * ومقلة مستهلة الغرب
شوقا الى ساكني دمشق فلا * عدت رباها مواطر السحب
مواطن ما دعا توطنها * الأولي نداءها لبي

ثم ذكر من العجوما تصم عنه الآذان وهو القائل في دمشق

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يا مقرى على ظليل
وهل أرين بعد ما شطت النوى * ولي في دراريض هناك مقيل

ومنها

السعر والكمون ... يكون دنقعامة كثيرا وكثيرا أرض الهند الرب كالسنا بركثيرة بأرض الاسلام ... كالسور وأكثر ما يكثر من ضروبها الطيب المعروف أبراز الرباد وهو نوع من الطيب تجيء به الصهرلي وثبت من الساقة من جزائر الهند وأرض الهند وذكرها من العراق ايت هو كالملك والهند راعي طهوره هذا الطيب في ... الزمان الذي يكون ... شاحده وحدها على غصن أحدها الطيبه ويكون أعلى صبها المستطرف عنده والذي تستعمله ملوكها وخواصها لسروب من الماسح مع صيب الراحة والتحمير الذي فيه فاق على سائر الطيب وما يؤثر في الإنسان ... عداه ولا ... عاله من ظهور السرور ... من الرجال والنساء والطلب للباه والاحتلام والطرب والنشاط والارتياحية وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند الاغاء والحرب ... ذلك عنده هو مما يشجع القلب و ... على النفس

وبعضها على الاقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها

دمشق بنا شوق اليك مبرح * وان لج واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد تقدم التمثيل بهذه الابيات الثلاثة فى خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى * ورأى ظهير الدين فى جميل
من القوم أما احنف فسفيه * لديهم واما حاتم فبخيل
فتى الجد أما جاره فممنع * عزيز واما ضده فذليل
واما عطايا كفه فمباحة * حلال واما ماله فطليل

وظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن واحسن الى ابن عنين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بمال جم وطغتكين بضم الطاء المهملة وبعدها غين معجمة ثم تاء مثناة من فوقها مكسورة ثم كاف مكسورة ثم ياء ساكنة ثم ياء تحتية ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من بعده الى مصر ايام العزيز بن عثمان بن صلاح الدين والزم ارباب الديوان ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التى وصلت صحبته

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل وما كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون فى فعالهما * هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

ومن هجو ابن عنين قوله فى فقيهين يلقب أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس فى حاليهما * قد أصبحا مثلا لكل مناظر
قعدا عشية يومنا فتناظرا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أحكما غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
جلفان ما لهما شبيه ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر
أعطوا ل تحت معنى قاصر * كالغل فى عبد اللطيف الناظر

(رجع الى دمشق) وقال العز الموصلى

الى حياض حمامات مصر * ولا تشكرى عندى بعين
حياض الشام أحلى منك ماء * وأطهر وهى دون القلتين

وهذان البيتان جواب عن قول ابن نباتة

أحواض حمام الشآم ألا اسمعى لى كلمتين
لا تذكرى أحواض مصر * فانت دون القلتين

وأما قول الصواحى سامحه الله تعالى

مصر قالت دمشق لا * تفتخر قط باسمها
لو رأت قوس روضتى * منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعى

روعصر و بسكانها * شوقى وجد عهدى الخالى

... الاودية ... والعياض ... ما ... وضع ... عندنا ... كان ... الى ... وهو ... ولا يكون ... الاقدم ... الشرب ... فى ... النوع من ... والفرق ... العين من الجرع عند وروده المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء صافيا ... ويكدره ...

... ذلك يوجد فى اكثر الخيل اذا وردت الماء وكان صافيا ضربته بايديها

وارولما ياسعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

فهو مرادي لا بر بدولا * … ولا رقي ورقي لي

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازي

فالوادمشق قدرهت لزهرها * … هو زهورها ونورها

فعلت لا أبدل … بها * ولست أرضى زهرها ونورها

وقول الحجاجي قاضي مصر وان لم يكن في ذم … الـ … في الـ …

… العا … من … طلة … الحلال أمورها

… كالوردي الا … طارها

وقول الآخر

بدهان وادي … للنيل اذ … ترفع

فاجاب بحر النيل لما أن طغى * عندي مقابل كل عين اصبع

وقد كثر هذا قول بعضهم

ماذا يفيد المعنى … من الأذى للتابع

مفردات الايادي … ويلهادي الاصابع

وقد شع الخلاف قديما وحديثا في المفاضلة بين مصر والشام وقد قال بعضهم

في حلب وشامنا * ومصر طال اللغط

وقلت قول منصف … خير الامور الوسط

وأما قول بعضهم

… بدمشق ولا بها … وان راقك … الجامع

… سوق الفسوق بها قائم … وشر الفجور بها طالع

ولا يلتفت اليه ولا يعول عليه انه مجرد دعوى خالية عن الدليل وهي من نزعات بعض الهجائين الذين يعمدون الى تقبيح الحسن الجميل ومن دأب الاشراف ان تمدح ولا يقابل ألف مثقال بفاسق يقدح

وفي عيب من يحسد الشمس نورها * و … ان يأتي لها بضريب

وأحسن من هذا قول بعض الاندلسيين وهو الكاتب أبو محمد بن قاسم

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب

بها قوم لهم عدد ومجد * … الى الحروب

ترى أنهارهم ذات انسجام * وأوجههم تولع بالقطوب

أحب بلادهم … يوما * فلم أظفر بها بغنى أديب

والجوا واحد ولا يضر الحق الثابت انكار الجاحد وأحسن من الجميع قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

حلو جنة من تاهي وباهي * وربا ها أرى لولا وباها

قال عال بردا كوثرها * قلت عال بردا ها برداها

وفي مصر وفيها وطري * ولنفسي مشتهاها مشتهاها
ولعيني غيرها ان سكنت * يا خليلي سلاها اماسلاها

وأحسن منه قول ابن عبد الظاهر

لا تلوموا دمشق ان جئتموها * وهي قد أوضحت لكم ما لديها
انها في الوجوه تخجل بالرهـ * ـر لمن جاء في الربيع اليها
وتراها بالثلج تبصق في لحـ * ـيته من مري الشتاء عليها

وقول ابن نباتة وهو بالشام يشوق الى المقياس والنيل

أرق له بالشام ليل مدامع * يجريه ذكر منازل المقياس
في المصر مسار لامعمورة * نجوم أفق أو طلاء كماس
وطن سهرت له وشاب لمتي * وثم على عيني هواه وراسي
من لي به والحال ليس بآيس * كدر وعطف الدهر ليس بقاسي
والطرف يسعد لي عزالا آسيا * بالنيل لم يعتد على باناس

*(رجع الى مدح دمشق) وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا عاينت عيناي أعلام جلق * وبان من القصر المشيد قبابه
تيقنت أن البين قد بان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شبابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ديارا كبا من أعالي الشام يجذبه * الى العراقين ادلاج واسحار
حدثتني عن ربوع طالما قضيت * للنفس فيها لبانات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غض ونوار
شم السدى أن يسقيها بحاجته * جادها مفعم الشؤبوب مدرار
بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة * وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها جواسقها * وأينعت في أعالي الدوح أثمار
فهي السماء اخضرارا في جوانبها * كواكب زهر ببدو وأقمار
حدثتني وأنا الظامي الى نبإ * لا عن فولك فني الري عتار
فهو الزلال الذي طابت مشاربه * وفارقته غشا آت وأكدار
كرر على بارح شط المزار به * حديثك العذب لا شطت بك الدار
وعلل النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب أسمار

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن أدركته الحرفة الادبية ومنع حقه بالحمية والعصبية وأنسيت حقوقه وأظهر عقوقه حتى قضى نحبه ولقي ربه *(رجع) وقال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى

بشرى لاهل الهوى عاشوا به سعدا * وان يموتوا فهم من جملة الشهدا
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم * أن الضلالة فيهم في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهرة * عبرى وأنفاسهم تحت الدجى صعدا

الى أجناس الصعالكة وبه يدعون في أنسابهم حتى اقون كثير من أهل الدراية من عهد الشام وساكنهم بالحرام الى أن ...ل بالمغرب وهم خمس ... وهم حروب وهم ... منهم من ينادي ... الى ... الحراى ... ولا ... منهم ... لى ... جاهلية لا يعرفون قياس الشرائع وهؤلاء أجناس منهم جنس كان الملك منهم يدعى في صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجل وهذا الجنس يدعى وليمانا ومنهم هذا الجنس في مقدم سائر أجناس الصعالكة لكون الملك فيهم ... دار ملوكهم اليهم ثم هذا الجنس من أجناس الصعالكة الصغرى ومنهم في هذا الوقت يدعى ... وجنس يقال له دلاونه وملكهم يدعى ... وجنس يقال لهم باخنوو وملكهم يدعى عرابه وهذا الجنس أشجع أجناس الصعالكة وأفرس وجنس يدعى مابس وملكهم يدعى ... ثم جنس عند الصعالكة من أفعال طوال فرها وأوصاف بكثير ثم رجها ونفر منهم من ملة ينقادون اليهم جنس

تجرعوا كاس خمر الحب مترعة * ظلوا سكارى وظنوا غيهم رشدا
وعاسل القد معسول مقبله * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رقيم عارضه كهف لعاشقه * يأوي اليه وكم في حبه شهدا
نادمته وثغور البرق باسمة * والغيث ينزل منحلا ومنعقدا
كأن جلق حياها الله ساكنها * أهدت الى الغور من أزهارها مددا
فاسترسل الجو منهلا يزيد على * ثورى ويعقد محلول الندى بردا

وقال أيضا

فؤادي الى بانات جلق مائل * ودمعي على أنهارها ينحدر
يحن لوادي ابن كلاب مزهرا * وتجري أغصانه وهو مثمر
واني الى زهر السفرجل شيق * اذا ما بدا مثل اندراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها * فينزهو جمالا عندذاك ويزهر
ترى بردى فيها يجول كأنه * وحصباؤه سيف صقيل مجوهر
وبي أحور لاح العذار بخده * يسامح قلبي في هواه ويغدر
يحاورني فيه على الصبر صاحبي * وكيف أطيق الصبر والطرف أحور
اذا اشتغفت وادي السر بين خده * فأنظر معناه وهو أنضر
حوى الشرف الاعلى من الحسن خده * على أن ميدان العوارض أخضر

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

واديه حي الحبيب نزول * حياه عاهده الحيا والنيل
وادي فوح المسك من جنباته * وصحيح فيه للنسيم عليل
يشتاقه ويود لثم ترابه * شوقا ولكن ما اليه سبيل
متعلقل الاحشاء مسلوب الكرى * طلق الدموع فؤاده متبول
يصبو الى الاثلات من وادي الغضى * ويحن ان خطرت هناك شمول
قالوا تبدلت يا أهل الهوى * والناس فيهم عاذر وجهول
هل بعد قطع الاربعين مسافة * للعمر فيها يحسن التبديل
ولقد هفا لي في دمشق مهفهف * يسبي العقول رضابه المعسول
يهتز ان مر النسيم بقده * ويميل بي نحو الصبا وأميل
أبدى لنا بردا تبسم ثغرها * واذا انثنى فقوامه المجدول
لزم التسلسل مدمعي وعذاره * فانظر الى المهجات كيف تسيل
وسقمت من سقم الجفون لانها * هي علة وفؤادي المعلول
لا تعجبوا ان راعني بذوائب * فالليل هول والمحب ذليل
ماصح لي أن الذؤابة حية * حتى سعت في الارض وهي تجول

وقال ناظر الجيش عون الدين بن العجمي

يا سائقا يقطع البيداء معتسفا * بضامر لم يكن في سيره واني

يقال له مرارة ثم جنس يقال له جرواس ثم جنس يقال له صاصين ثم جنس يقال له حانين وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملكهم والجنس الذي سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبج والخزر وأن في بلاد الخزر مع الخزر جماعة من الصقالبة والروس وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار مملكته بانواع التجارات ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب الروم والافرنج والنوكبرد وغير هؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلي هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة أجناس كثيرة وانواع واسعة

ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا * تعدل بلغت المنى عن دير مران
واقصد أعالى تلاليه فان بها * ماتشتهى النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا * ماست فوا خجل المران والبان
وكل أسمر قد دان الجمال له * وكل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا فى خدمرسله * فى فترة فتنت من سحر أجفان
فليت ريقته وردى وجنته * وردى ومن صدغه آسى وريحانى
وعج على دير متى ثم حى به الربان بطرس فالربان ربانى
فهمت منه اشارات نهمت بها * وصنت منشورها فى طى كتمان
وادحل بدير حنين وابتهز فرص الشـ اذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحا بها تحيا النفوس اذا * دارت براح شمامس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت * بشهبها من هموى كل شيطان
كم رحت فى الليل أسقيها وأشربها * حتى انقضى وندىمى غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها * أجاب رمزا ولم يسمح بتبيان
وقال أخبرنى شمعون ينقله * عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بانها سمرت بالطور مشرقة * أنوارها فكنوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتقة * من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارس فكى * عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها فلا صحو وجدت بها * على الندامى وايس الشح من شانى
وسوف أمنحها أهلا وأنشده * ماقيل فيها برحيق والحان
حتى يميل لها أعطافه طربا * ويثنى الكون من أوصاف نشوان

وهذه وان لم تسكن فى دمشق على الخصوص فلا نخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات وديباجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية ومن حالك هذه البرود الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى وقيل انه الشيخ شعبان النحوى * (رجع) وقال بعضهم

شوقى يزيد ولب الصب ماردا * وبان ياسى من المعشوق حين غدا
ومدمعى قنوات والعذول حكى * نورى يلوم الفتى فى عشقه حسدا
على معنية بالجنك جاوبها * شبابة كم بها من عاشق سهدا
فالبدر جبهتها والردف ربوتها * وخلها مات فى حلخالها كمدا

ولنذكر نبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى كمالهم وبلغ آمالهم * (من ذلك قول شيخ الاسلام مفتى الانام سيدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله تعالى وكتبه لى بخطه)

شمس هدى أطلعها المغرب * وطار عنقاء بها مغرب
فأشرقت فى الشام أنوارها * ولينها فى الدهر لاتغرب
أعنى الامام العالم المقرى * أحمد من يكتب أو يخطب

لانى كتبناها هنا لى كان بنا اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجل ولينا ماوهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى أجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ماذكرنا من ملوكهم لامور يطول ذكرها وقد ابنا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة

(ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها)

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسبان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير من ذكرنا ممن حل الجربا وهو الشمال لاخلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث بن نوح والافرنجة أشد هؤلاء الاجناس بأسا وأمنعهم هيبة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة الا ان الجلالقة أشد من الافرنجة بأسا وأعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم

شهاب علم ثاقب فضله * ينظم عقدا وهو لا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر * وروض فضل بالندى معشب
قد ارتدى ثوب علا وامتطى * غارب مجد وزها المركب
درس غريب كل يوم له * يملى ولكن حفظه أغرب
محاضرات مسكر لفظها * بكاس سمع راحها تشرب
رياض آداب سقاها الحيا * ففاح مسكا نشرها الاطيب
فضائل عمت وطمت فقد * قصر فيها كل من يطنب
قلوبنا قد جذبت نحوه * والحب من عادته يجذب
ان بعدت عن غربه شرقنا * فالفضل فيما نسب أقرب
كم طلبت تشريفه شامنا * بشرى لها فليهنها المطلب
قد سبقت لى معه صحبة * فى حرم يؤمن من يرهب
اخوة فى الله من زمزم * رضاعها طاب لها المشرب
أنهلنى ثم ودادا فلى * بالشام منه علل أعذب
أهديت ذا النظم امتثالا له * وقد هجرت الشعر مذ أحقب
نشط قلبى لطفه فانثنى * والقلب فى أهل الهوى قلب
ضاء دجى العلم به للورى * ما لاح فى جنح الدجى كوكب

تحية الفقير الداعى عبد الرحمن العمادى انتهى وأجبته بما نصه

ما ابرراح كاسها مذهب * ما للنهى عن حسنها مذهب
تستدفع الاكدار من صفوها * وتنهل الافراح أو تسهب
تسعى بها هيفاء من ثغرها * أو شعرها النور أو الغيهب
فتانة الاعطاف نفاثة * سحرا بألباب الورى يلعب
فى روضة قد كللت بالندى * والزهر راس الغصن اذ يعصب
برودها بالنور قد نمنمت * كالوشى من صنعاء بل أعجب
والماء يجرى تحت جناتها * والنار من نارنجها تلهب
والظل ضاف والنسيم انبرى * والجو ذاكى العرف مستعذب
والطير للعشاق بالعود قد * غنت فهاجت شوق من يطرب
أبهى ولا أبهج فى منظر * من نظم من نقد به الاصوب
مفتى دمشق الشام صدر الورى * من فى العلا تم به المطلب
علامة الدهر ولا مرية * وملجأ الفضل ولا مهرب
لله ما امتاز به من حلى * بغير من الله لا تكسب
أبدى به الرحمن فى عبده * مظاهر المجد التى تحسب
جود بلا من وعلم بلا * دعوى به التحقيق يستجلب
وبيت مجد مسند ركنه * الى عماد الدين اذ ينسب

عمالتهم فى وقتنا هذا نومره وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان أوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد افريقية وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهى الاطمة التى يخرج منها أجسام من النار كاجساد الناس بلا رؤس فتعلو فى الهواء بالليل ثم تسقط فى البحر تطفو على الماء وهى الحجارة التى يحك بها الكتابة من الدفاتر وهى خفاف بيض على هيئة الشهد والكوار الزنابير الصغار وهى الاطمة المعروفة باطمة صقلية وفيها هلك ثم ثونوس الحكيم الذى صنف كتاب ايساغوجى وهو المدخل الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كاطمة وادى برهوت

فبرقه الشامى من شامه * نال مراما والسوى خلب
وما عسى أبديه فى مدحه * أو وصف أبناءله أنجبوا
تسابقوا للمجد حتى حووا * سبقا لما فى مثله يرغب
أعيذهم بالله من شرما * يخشى من الاغيار أو يرهب
وأسال الله لهم عزة * بادية الاضواء لا تحجب

ولما حللت دمشق المحروسة وطلبت موضعا للسكنى يكون قريبا من الجامع الاموى الذى يعجز البليغ وصفه وان ملا طروسه أرسل الى أديب الشام فرد الموالى المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهينى حفظه الله تعالى بمفتاح المدرسة الجقمقية وكتب لى معه ما نصه

كنف المقرى شيخى مقرى * واليه من الزمان مفرى
كنفه مثل صدره فى اتساع * وعلوم كالدر فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع الغرب منه * ملأ الشرق نوره أى بدر
أحمد سيدى وشيخى ودخرى * وسميى ووفق ذاك وفخرى
لو بغير الاقدام يسعى مشوق * جئته زائرا على وجه شكرى

العبد الحقير المستعين المخلص أحمد بن شاهين انتهى فأجبته بقولى

أى نظم فى حسنه حار فكرى * وتحلى بدره صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينمى * من بروض الندى له خير وكر
أحمد الممتطين ذروة مجد * لعوان من المعالى وبكر
حل مفتاح فضله باب وصل * من مغانى تعريفه دون نكر
يا بديع الزمان دم فى ازديان * بالعلا وازدياد تجنيس شكر

وكتب الى لما وقف على كتابى فتح المتعال فى مدح النعال بما نصه لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامى فى تقريظ تأليف سيدى ومولاى وتباتى ومعتقدى شيخ الدنيا والدين وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله تعالى وجوده آمين

أأحمد فخرا يا ابن شاهين ساميا * بأحمد ذاك المقرى المسدد
بمن راح خدّاما لنعل محمد * وناهيك فى العليا بأرفع سودد
فان أنا أخدم نعله لاطالما * غدا خادما نعل النبى الممجد
بتاليفه فى وصف نعل تكرمت * كتابا حوى اجلال كل موحد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى * خدوما لخدام لنعل محمد
فقلت له طوبى بخدمة أحمد * فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
فلا زال يرقى للمعالى مكرما * وينتقل العيوق فى رغم فرقد

فأجبته بقولى

أأحمد وصف بالعوارف يرتدى * وأشرف مولى للمعارف يهتدى
فهو ملك اذ أنت الخليل توقدت * فأنى أجاريها بنحو المبرد
أتانى نظام منك حبر فكرتى * على انه أعلى مرامى ومقصدى

بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهى مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هى عين النار التى تعرض من الارض ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبريتية والزاجية ولا الحمامات التى تظهر من مائها النار كالخاصة التى ببلاد ماسبذان من أرض أذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الخاصة فى قرية من قرى أذربيجان يقال لها القومان وهى أطمة تظهر من وسط مائها النار وهى أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهى احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناه ولمع أوجبنا بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

(ذكر النوبرد وملوكها)

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وأنهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحلهم بالجر اولهم فأنت

فانت ابن شاهين الذى طار صيته * بجو العلا والصد ضل بفرقد
فبرك موصول وشانيك منكر * وقدرك مرفوع على رغم حسد
وعنك حديث الفضل أسند عاليا * بشام فهم يروون مسند أحمد
فوجهك عن بشر ويمناك عن عطا * وفكرك يروى فى الهدى عن مسدد
فلازلت ترقى أوج سعد ورفعة * ودمت بتوفيق وعز مخلد

ولما خاطبته بقولى

بصيد ابن شاهين بجو بلاغه * سوانح فى وكر الدائع تفرخ
وما كان ذيك الجن مدرك نيلها * اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ
ولو جاد فكر البحترى بمثلها * لكان على الطائى بالانف يشمخ
ولو أن نظم ابن الحسين أتى بها * لما زبسبق حكمه ليس ينسخ
فلا زال ملحوظا بعين عناية * وكتب النهانى عن علاه تؤرخ

أجابنى بما نصه

أأنفاس عيسى ما روى عنه ينفخ * أم الطرس أنحى بالعبير يضمخ
وهذى قواف أم هى الشمس انى * أراها على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى هى نص من ودادك محكم * تزول الرواسى وهى لم تك تنسخ
أتثنى بمدح مخجل فكأنها * لفرط حيائى قد أتتنى توبخ
وهل انا الا الحادم نعل سيدى * وبينى وبين المدح فى الحق برزخ
وماهى الاغرة حزت فخرها * وانى بها بادى المحاسن أشدخ
فلا درّ درى وانحرفت عن العلا * اذا كان ودى عن معاليك يفسخ
وحبك مهما طار شرقا ومغربا * بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ
وانى وان ارخت مجد الماجد * فانى باسم المقرى أؤرخ
سميى ومولاى الذى راح مدحه * لرأس الاعادى بالدمار يضرضخ
ودم يا نظير البدر ترقى باوجه * ولازلت فى طرفى وقلبى ترسخ

وكنت يوما أروم الصعود لموضع عال فوقعت وانفكت رجلى وألمت فكتب الى

لا ألمت رجلك ياسيدى * وصانها الله من الشين
ماهى الا قدم للعلا * لا احتاج ذاك الفضل للقين
زانت دمشق الشام فى حلها * فلا رأت فيها سوى الزين
بانت عن الاهل لتشريفنا * لاجمعت أينا الى بين
عجبت من راسخة فى العلا * والعلم اذ زاغت من العين
انى أعاف المين بين الورى * ولست والله أخا مين
للمقرى المجتبى أحمد * دين الهوى والمدح كالدين
وأحمد الله على أننى * رأيته حاز الفريقين
فلا أراه الله فى عمره * بينا يؤديه الى أين

كثيرة يجمعهم ملك واحد وأسماء ملوكهم فى سائر الاعصار أركس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هى تبت ويخترقها نهر عظيم وهى جانبان وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سانيط قد ذكره جماعة ممن سى بهذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون ممن حاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة ناربونة طارينو (قال المسعودى) وجدت فى كتاب وقع الى بالفسطاط بمصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه غرمازالاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت فى عهده بأمير المؤمنين ان أول ملوك افرنجة قلوزويه وكان مجوسيا فنصره هو وابنه لذريق وابنه دقشرت ثم ولى بعده ابنه لذريق ثم ولى بعده قرلمان بن دقشرت ثم ولى بعده ابنه تبين ثم ولى

وهو بريد احب العبد الحقير الداعي أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يا من به ريشت من الـمجد الخوافى والقوادم
يا من دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
يا أحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فمتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثت اليك من جنس الرتائم
بسبحة الذكر التى * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذاد عائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

يا سيد اشعرى له * ما ان يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يا من رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يا من بنفحة خلقه * وبلفظه السامى الملائم
أضحى يريني معجزيـن من النواسم والمباسم
مازلت أبصر منهما * حسن التعامى والتعاشم
بهما زمانى حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بين هـا * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الا هوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لا أحسب العيوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فاتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم وملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة اعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برشة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغربرة أربع سنين ثم ملك بعده نازلة اخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

واستوت مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى) هى

هى آلة للذكر الـكن ليس ذكرى فى الحيازم

فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرتائم

ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى تمائم

لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم

لكنها قد زينت * كفى وأزرت بالخواتم

يامن يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم

ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم

هذى نوافل ياامام الدهر ليست باللوازم

العذر عنها مخجل * عبد الملك جد خادم

لا انت فوق العذر قد * أصبحت للشعرى منادم

لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم

يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم

مالا يساوم مثله * ذوالحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه ومولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيزا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى

ولديك قلبى لايزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون

وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين

قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى

وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين

واطاع أمرك فى الوداد فلواشا * منه وحاشا سلوة لعصينى

ماكنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طقا بفنون

حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون

ويفيد سمعى معجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين

يامن غدا يحيى القلوب بلفظه * ويردد الانفاس عن جبرين

أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جذمبين

هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بمعين

قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين

لولم تكن بدر المنا أحرزت ما * قد خص فى الانوار بالتلوين

واشدما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كان الافرنجة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها سيرين فلما اتى اليه مافعل باخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حرب ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض منتزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بتورة مملكة الجلالقة المتقدمه صفة بنيانها واسوارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وماحولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

حققت ماقد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ماكان أحوجها الى التزيين
مولاي أحمد ياسليل بني العلا * يافوق مدحي فيك أو تحسيني
اغني وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغني به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس في أوراقهم * وعلومه في صدره المشحون
فبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارغب عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستقمت لقبلتي * أدعو واشكر واردات شؤوني
ألفيت قطرك جنتي فافادني * فضل اليمين على اليسار يقيني
تسقي الحيا القرى أخي العلا * بلدا باقصى الغرب جد هتون
بلد ا تبينت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيوني
لولا هلال الغرب نور شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانني * مستودع منه أجل أمين
أني اودع يوم بينك مهجتي * وشبيبتي وتصبري وسكوني
وأعود من توديع وجهك عودة * خلطت يقيني في الهوى بظنون
حتى كاني قد فقدت تمثما * تقضي على بحالة المجنون
وتود نفسي انها لو حرمت * ابدا سكوني للهوى وركوني
اوشكت أقتل بين معترك الهوى * نفسي ومعترك الهوى بيميني
ولقد وددت بانني متحمل * تلك الخطا بمحاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * في قبضة الاشواق كالمسجون
ما أنت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهديني
والكها ياشيخ دهري غادة * غنيت عن التحسين والتزيين
جاءتك تعرض في الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها يكفيني
هي بنت لحظتك التي تؤوى النهى * لابنت ليلتي التي تؤويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضيني
حسبي ابا العباس منك اصاخة * تقضي بعون عداي أو تحييني
بالهف نفسي كيف أبلغ مدحة * أضمرتها في سري المكنون
فلسان حبي بالغ اقصى المدى * ولسان مدحي في القصور يليني
ما الشعر يستوفي حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنين
حاكت أسطار النجوم وانها * تزهو بعقد في علاك ثمين
فرأيت في العيوق طبعك سيدي * نسرا أسف لعجزه شاهيني

الشهر ثلاثة أيام وكانت للمسلمين عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وألجؤوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استامن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ماقتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قبله على الملك اردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة ضاريه ومدينة سبرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان البربر أنابوا ورجعوا على من كان في تلك المدن من المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حروب طويل وماذكرنا من المدن في وقتنا هذا قد

قد خف شعرى من قصور طبيعتى * وبرء اقد كان جد ركين
يكفيك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت خصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فاد أب عسالك فوزبالمسنون
هو قبلتى فلا غتدى متمسكا * منه بحبل فى النجاة متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدى مواطئ نعله بجبينى
وكذاك عمرى فى هواك مقسم * بين الدعاء الجد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى فى ذلك

جنانيك ان الدمع بالود معرب * وانى فى نرف وأ معرب
ورحماك بى انى قتيل صبابة * بمن هو أوفى فى الفؤاد وأحب
ووعدك لى بالعود انى معلل * به مهجة قد أوشكت تتضرب
وهبتك قلبى ماحييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ماليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا هدصده * فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
وانا لحمد الله لما خصصتنا * بزورة ذى ود دعاه التحبب
فرشنا له منا الخدود مواطئا * وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق أنت فيها حكم * وشرافها ودوا وجدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ماازدان مغرب
ونفرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا وكرنا نسر السماء فيه يرغب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * فلا غرو أن يقلى الغضنفر أكلب
ومانقموا منه سوى أنه امرؤ * ليأكل فيما قد دروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقرى العالم العلم الذى * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحلة * وانا لى ليل اذا هى تغرب
أو الغيث قد وافى وأمرعت انهى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء فى الطير معرب
وانك للخل الوفى وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق فى كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأعرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحوه * وأى أخى جد له أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهى بالمجد تخضب
ولافارقت يوما علاك كلاءة * من الله أنى كنت والله أغلب
مدى الدهر ماحنت جوانح واله * مشوق فامسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ على أدام الله تعالى عزته وحرس حوزته عقيدتى المسماة باضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة سالنى أن أجيزه فيها وفى غيرها فكتبت اليه مانصه

أحمد من أطار فى جو العلا * صيت ابن شاهين الذى زان الحلى

والصقالبة والنوبرد وغيرها من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس فى هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ماقدمنا من سببه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى أول دولة بنى العباس وله أخبار كثيرة فى كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ماذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرها من الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب فى مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوى العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى بانه يدل على

تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وماأتوه من الابنية المشيدة

وراش منه للمعالى أجنحه * نال بها فصلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
ونتحى بعد صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
مبادلا أنس الوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن صحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه وبالقدم
وبعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نابل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ما ينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخيرا جل عن تبيين
لانه أصل عم النفع * به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
فهو الذى لا تقبل الاعمال * الا به ونجح الآمال
وانى كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن اقرأ أهل عصر * وملكه بعضا من اهل العصر
درستها لما دخلت الشاما * بجامع فى الحسن لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظن * اجازة فيما رواه عنى
لحرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفى بالخطل * وبالخطا والجيد منى ذو عطل
وكم درائض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا يجازى البر بالعقوق

التى دعى على مر الدهور
اياهم أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين
وعاد أول من ملك فى
الارض من هذه الطائفة
بعد أن أهلك الله عز وجل
الكفار من قوم نوح
وذلك لقوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم فى الخلق بسطة
وذلك أن هؤلاء القوم
كانوا فى هيآت النخل
طولا وكانوا فى اتصال
الاعمار وطولها بحسب
ذلك من القدر وكانت
نفوسهم قوية وأكبادهم
غليظة ولم يكن فى الارض
أمة هى أشد بطشا وأكثر
آثارا وأذوى عقولا وأكثر
أحلاما من قوم عاد ولم
يكن الهلاك يعرض
فى أجسامهم لقوة آثار
الطبيعة فيها وما أوتوه من
الزيادة الى تمام البنية
وكمال الهيئة على حسب
ما أخبر الله عز وجل وكان
عاد جبار الاجبار اعظم
الخلقة وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح
وكان عاد يعبد القمر
وذكروا أنه رأى من
صلبه أربعة آلاف ولد
وأنه تزوج ألف امرأة
وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وبعد مامر من التعداد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لأن يجرا * لأن مجاز ادحوى التبر زا
ومن رأى عيبي بعين للرضا * لم يقف نهج من غدا معترضا
فليروعني كل ما أسمعته * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والنحو وفى * أسرار وفق وهو بالقصد وفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز فى غير فن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبي قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عن سعيد عن سفين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * يصح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن ينيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرتها التى سألنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النا فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرّفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أتيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد مفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عنى باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر بحسن احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى اى بلاد هى وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على مابسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاءنا بالجامع الصحيح من * كلامه الهادى الى نهج أمن
من فضله ماشك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة نتحيها معلما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدرى كمن لا يدرى
ولم نزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدى
ومنه علم السنة الشريفه * لانه ظلاله وريفه
فمن درى الاخبار والشمائل * لم ينأ عن صوب الهدى بطائل
وكم سعيد لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز فى الابداء والاعاده
وانني لما انتحيت المشرفا * سما بدر اهتداء مشرقا
ألقيت فى مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
وبعد ذا جئت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
فشاهدت عيناى فيها ما ملا * قلبى سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يجل عن تعبير
وجل أهليها بحبى دانوا * مع أن مثلى منهم يزدان
ولاحظوا بالاعين الكليله * عبدا غدا تقصيره دليله
وقابلوا عيبى بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان * بهاء الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيى القلم * أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى فى النفس والاولاد
وكنت فى مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحث من فى الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عنى * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أننى والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

اخبار ارمان من الامم الماضيه والاجيال الخالية والممالك الداثرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا تفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد ونبيها هود فاما تنازع الناس ممن سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد اتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة فى الجبال ورممهم بادية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على قدر اجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

وصنوه

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذي قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * في ذاك لي مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلي ساد لا محابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتحلت اذ دريته
وكل ما صنفت في الفنون * مؤصل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر معرب
ولي أسانيد بطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتي * هما لطال القول في الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعي به مملول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الحائز للفخار
المقري سعيد الامام عن * محمد بن عمي خير ناصح عن
التونسي الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادري المرتضى * عن الحجازي عن الحبر الرضا
نجل ابي المجد عن الحجاري * عن الزبيدي بنقل جاري
عن مسند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودي المعتلي
عن السرخسي عن الفربري * عن البخاري الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدا الى الكمال * عن علم الدين أخي الجلال
منسوب بلقين عن التنوخي * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقي قد روى عن مكي * عن مسلم نافي دياجي الشك
فليخبروا عني بذا والباقي * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمي ذي الثناء الاجمل
والطبراني وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذي أجازه
فلتقبلوها وهي من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب مني أستقل
ومن أسانيدي عن القصار * مفتي الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقي الدرج * عن الشريف الطنطائي فرج
قال سمعت المصطفى في النوم * صلى عليه الله كل يوم

جندع بن عمرو بن الدميل بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتي سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبي صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث الى ثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو وعلى ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدهم من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم انذاره واعذاره ووعده ووعيده سألوه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن دعائهم فحضر عيدهم وقد أظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم

يا صالح ان كنت صادقا في قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء وجاء الكثة

يقول من أصبح يعني آمنا * في سربه الحديث فاعرف كامنا
والممسك العنان في هذا الادب * مصليا على الذي زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن تلا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقري العاصي * أجير يوم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين تلت * ألفا لهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقري * الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام ملء الجامع الاكبر
يقري فتقري السمع أنفاسه * أنفس ما يقرى وما قد قرى
مولاي يا من در ألفاظه * صحاحها أزرى على الجوهري
اجازة نرفل من فضلها * في ثوب عز وردا مفخر
مسبلة الذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصغر
أطل لنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لا زلت في نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعي ابراهيم العمادي انتهى ومن الاجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدي يحيى المحاسني حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامي مدى الاحيان
فكل أيامهم مواسم * من الصدا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ قطرهم به الكمال يحيى
وبشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذي ارتحل * اليهم صحيح ما له انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
نحمد من أتاحهم آلاءه * حتى أبان نورهم لألاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونقتفي صوب صلاة باهره * الى الرسول ذي السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادي الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدي
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مزيح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجي

سمائه اللون ذات عرف وناصية وشعر ووبر فاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها حنين وانين ثم انصدعت من بعد تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحوها في الوصف فأمعنا في رعي الكلا وطلب المرعى فآمن من خلق ممن حضره وزعيمهم الذي سأله وهو جندع بن عمرو وأفادت الناقة يحلبون من لبنها ما يعم شربه ثمودا كلها واوضا يقتهم في الكلا والماء وكان في ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال فزارهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع ابن مفرج والمرأتان عنيزة بنت غنم وصدوف بنت المحيا فقالت صدوف لو كان لنا في هذا اليوم ماء لاسقيتما خمرا وهذا يوم الناقة وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة لي والله لو ان لنا رجالا لكفونا اياها وهل هي الا بعير من الابل فقال قدار يا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فمالي عندك فقالت نفسي وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا سيلا علينا بالخمر فشربا حتى توسطا السكر ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم

وما

وما بغير العلم يبدو العلم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
وانني عند دخول الشام * لقيت من بها من الاعلام
وشاهدت عيناي من انصافهم * ما حقق المحكي عن اوصافهم
وان من جلتهم أوج الذكا * والنير المزري سناه بذكا
ابن المحاسن الذي قد طابقا * منه مسمى الاسم اذ ما سابقا
الاوذعي الالمعي يحيى * لا زال رسم المجد منه يحيا
وهو الذي أغراه حسن الظن * على انتمائه لاخذ عني
وكان قارئ الحديث النبوي * لدي في الجامع أعني الاموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر * ممن وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استطمر الاجازه * من نوء وعدي واقتضى انجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أنني لست بذي النجابه
وانما كن أجبت أمره تمثل * منه ففي ذلك تصديق المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اصنعا وشيا
فلير وعني كل ما يصح لي * بشرطه الذي يزين كالحلي
وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الامام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسي
أعني أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقي عن امام يدعى * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي * على علو قدره قد دلت
وليروعني ما انتمى للنووي * بذا الى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه يحيى الرضى المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكين * النووي الشيخ محيي الدين
وخطه هذا أحمد البادي الوجل * المقري المالكي على خجل
في عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادي وسبعة تلت
ألبسه الله البرود الضافيه * من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا * ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام ببلوغ القصد انتهى

وسألني بعض ساكني دمشق المحروسة أن أقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خصص بالاسرار * قدما من الصوفية الابرار

في كتابه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وقصدوا طريق الناقة في حال صدورها فضربها قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها وأتبع صاحبه الآخر العرقوب الآخر فخرت الناقة لوجهها ووجأ قدار لبتها فنحرها ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره وورد صالح فنظر الى ما فعلوه فوعدهم العذاب وكان ذلك في يوم الاربعاء فقالوا له مستهزئين يا صالح متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك فقال تصبح وجوهكم يوم مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شيار مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والايام بلغتهم فهم التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا فحالت الملائكة بينهم وبينه وأمطرتهم الحجارة ومنعه الله منهم فلما أصبحوا نظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام وتيقن القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح في ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل

تعويذ المحب لعبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يا من به ريشت من المـجد الخوافى والقوادم
يا من دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
يا أحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فمتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثت اليك من جنس الرتائم
بسبحة الذكر التى * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذاد عائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عائم
لا زلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

يا سيد اشعرى له * مالى يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يا من رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يا من بنفحة خلقه * وبنظمه السامى الملائم
أضحى يريني معجزين من النواسم والمباسم
ما زلت أبصر منهما * حسن النعامى والنعائم
... ما زمانى حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بين ها * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الا هوى فى القلب دائم
قد جاء ما شرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لا أحسب العيوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

عدة نازلة بن ثمانين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم ملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى يهادى محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برتة وملك الافرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صانع الخوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليهم ثم ولى بعده نازلة بن بغير برة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك الافرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوت مملكته عشرين سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى)

هى آلة للذكر لـكن ليس ذكرى فى الحيازم

فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرنائم
ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى تمائم
لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كفى وأزرت بالخواتم
يا من يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم
هذى نوافل يا اما * م الدهر ليست باللوازم
العذر منها مخجل * عبد المليك جد خادم
بل انه فوق العذر قد * أصبحت للشعرى منادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه مولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيرا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى
ولديك قلبى لا يزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك فى الوداد فلو اشا * منه وحاشا سلوة يعصينى
ما كنت أحسب قبل طبعك ان أرى * بوما عطاردنا طقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون
ويفيد سمعى معجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين
يا من غدا يحيى القلوب بلفظه * ويرد الانفاس عن جبرين
أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جدّ مبين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بمعين
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين
لو لم تكن بدر الملا أحرزت ما * قد خص فى الانوار بالتلوين

واشد ما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كما ان الافرنجة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من بنى امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها شنترين فلما بلغه مافعل باخيه عصى على عبد الرحمن وصار فى حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس دار مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها واسوارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

حدقت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ما كان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد ياسليل بنى العلا * يافوق مدحى فيك أو تحسينى
أغنى وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغنى به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس فى أوراقهم * وعلومه فى صدره المشحون
وبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارغب عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستعمت لعبلتى * أدعو واشكر واردات شؤونى
ألفيت قطرك عنتى فؤادنى * فضل اليمين على اليسار يقينى
سقى الحيا المعرى أخى العلا * بلدا باقصى الغرب حد هتون
بلد اتيت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيونى
لولا هلال الغرب نور شرفنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا ارحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانني * مستودع منه أجل أمين
أنى اودع يوم بينك مهجتى * وشبيبتى وتصبرى وسكونى
وأعود من توديع وجهك عوده * خلطت يقينى فى الهوى بظنون
حتى كانى قد وقدت بمثلها * تقضى على بحالة المجنون
وتود نفسى انها لو حرمت * ابدا سكونى للهوى وركونى
اوسكنت أفضل بين معترك الهوى * نفسى وبين معترك الهوى يمينى
ولقد وددت بانى متحمل * ذلك الخطا مجارى وجفونى
كيف السبيل الى الحياة ومهجتى * فى قبضة الاشواق كالمسجون
ما انت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهدينى
والبدر هاشم دهرى غادة * غنيت عن التحسين والتزيين
حاشاك تعرض فى الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها يكفينى
هى بنت لحظك التى تؤوى النهى * لا بنت ليلتى التى تؤوينى
ما الفخر فى دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضينى
حى اباالعباس منك اصاحبه * تقضى بعوز عداى او تحيينى
بالهف نفسى كيف ابلغ مدحه * أضمرتها فى سرى المكنون
ولسان حى بالعاصى المدى * ولسان مدحى فى القصور يلينى
ما الشعر يستوفى حقوقكم ولو * أهديت من نظمى عقود سنين
حاكت أسطار النجوم وانها * تزهو بعقد فى علاك ثمين
ورأت فى العيون طابعك سيدى * سرا أسف لعجزه شاهينى

السهر ثلاثة أيام وكانت بالمسلمين [illegible] عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وألجئوا الى المدينة وقتلوا من المسلمين
بعد عبورهم الخندق
خمسين ألفا وقيل ان الذى
منع ردمير من طلب من
نجا من المسلمين أمية بن
اسحق وحدوه [illegible]
[illegible] فيما كان فى
معسكر المسلمين من
الاموال والعدد والخزائن
[illegible] على جميع
المسلمين ثم ان أمية بعد
ذلك استامر الى عبد الرحمن
[illegible] من ردمير وقبله
عبد الرحمن أحسن قبول
[illegible] عبد الرحمن بعد
هذه الوقعة جهز عساكر
[illegible] من قواده الى
الجلالقة وكانت لهم معهم
حروب [illegible] من
[illegible]
المسلمين فى الوقعة الاولى
وكانت للمسلمين عليهم الى
هذه الغاية [illegible]
الجلالقة الى هذا الوقت
[illegible]
[illegible] كان [illegible] على
[illegible]
[illegible] الجلالقة والافرنجة يدينون
بدين النصرانية على راى
[illegible] (رجع الحديث)
[illegible]
[illegible] منهما من
[illegible] الكبار [illegible]
المسلمون مدة من الزمان
ثم ان [illegible] نابوا ورجعوا
على من كان فى ذلك [illegible] المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حروب طويلة وما ذكرنا من المدن فى وقتنا هذا قد

قد حف شعري من قصور طبيعتي * ولربما قد كان جدر كين
بكميك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت حصل السبق دون الدون
وإذا عجزت عن الرأس جاهدا * فاد أب عند ذلك موزبالمسنون
هو قبلتي فلا عتدي متمسكا * ممه بحبل في الخناء متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدي مواطئ نعله بجبيني
وكذاك عمري في هواك معمم * بين لدعاء الحمد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى في ذلك

حسابك أن الدمع بالود معرب * وأني في شرق وأنت مغرب
ورحمالك لي أني دخيل عهاله * عن هو أوفى في الهوى وأعجب
ووعدك لي بالعود داني معلل * به مهجة قد أو شكت تصوب
وهبك فلي ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ليس توهب
فلو كنت شيئا واحدا هذا صده * فكيف شيء لم تكن شله أب
وإنا بحمد الله لما حصدتما * سروره ذي ود دعاه المحب
فرشاله مما الحمد ودمو طئ * وقد دنا به شوقا تجيء وتذهب
وقلنا دمشق أنت تبهاجكم * وأشرافها وذرا واحدوا وحببوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقدرت شرفا مثل ما أرداني معرب
وفخرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا وكريما نشر السماء فيه يرغب
فنحن ونحن الشمس حدام نعله * ولا غرو ان علا العنصر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * الى كل ديما قد ردوه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقري العالم العلم الذي * إليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو إلا الشمس أزمع رحله * ... اداهي تغرب
أو الغيث قد وافى وأمرعت الربى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * وأغرب والعنقاء الطير مغرب
وإنك للخل الوفي وإنه * هو الواحد المطلوب إن عز مطلب
وإنك بالتحقيق في كل حالة * لأسنى وأندى ثم أوفى وأقرب
رعى الله وجها أنت ترعى نحوه * وأي أخي حدله أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالحمد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أني كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت جواه والله * مشوق فأمسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ على أدام الله تعالى عزه وحرس حوزته عقيدتي المسماة بإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة سألني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطار في جو العلا * صيت ابن شاهين الذي زان الحلى

الجلالقة والافرنجة والصقالبة والبربر وغيرهم من الامم وديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاسلام في هذا الوقت ودونه وقرنه عظيمة على ما قدمنا من شأنهم وأخبارهم وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس في أول دولة بني العباس ولده أحمد وكثيرة في كيفية وروده الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا وكلهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور في أطراف أرضهم وربما يجتمع على من حاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة ورجال والافرنجة وغيرهم من الامم وصاحب الاندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف وهو دونهم بالرجال والمال والمراكب والعدد والله أعلم.

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوي العناية بأخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الاولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى بأنه بيّن على تقدمهم وأن هلاكها عادا ثابتة وأخبر الله عن ملكهم وطول شدة بطشهم وسأمرهم من الاند ....

وراش منه للمعالي أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
ونتحى مع صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
معادلا أنسل الا وحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد المقر ذو العدم * لله رب باستغنائه وبالقدم
وبعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى الظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نبيل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ما ينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخير راجل عن تبيين
لانه أصل عم النفع * به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
وهو الذى لا تقبل الاعمال * الا به وتجمع الآمال
وانى كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن اقرأتها بمصر * وملة بعضا من اهل العصر
درسها المدرسات الشاما * بجامع فى الحسن لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشم أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من نجل جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظن * اجازة فيما رواه عنى
فخرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفى بالخطل * وبالخطا والجيد منى ذو عطل
وكم رائض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا تجازى البر بالعقوق

التي ادعى على مراد هود العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه إياهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وعاد أول من ملك فى الارض من بعد الطوفان بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح وذلك قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيئات النخل طولا وكانوا فى اصناف الاعمار وطولها بحسب ذلك من القدر وكانت قوتهم قويه وكبدهم غليظه ولم يكن فى الارض أمة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأدوى عقولا وأكبر أحلاما من قوم عاد ولم يكن اهلاك يعرض فى أجسامهم القوة آثار الضعف فيها او ما أوتوه من الزيادة الى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده منه له باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد نجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وابعد

وبعد مامر من المراد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت في طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لان يجيزا * لا ان يجاز اذ حوى التبريزا
ومن رأى عيبي بعين للرضا * لم يقتف نهج من غدا معترضا
فليروعني كل ما أسمعته * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة المديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت في عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والنحو في * أسرار وفق وهو بالقصد وفي
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز في ذي المنن
وما أخذت في بلاد المغرب * عن كل فرد في العلوم مغرب
ولي أسانيد اذا سردتها * طالت وفي كتبي قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
يحيى سعيد عن سفين وهو عن * القلقشندي عن الواعي السنن
العسقلاني الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالي * يصح من ذاك بلا احتمال
على شروط قررتها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقري الخطا * والسيء عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتت في السنين عدها
وكان ذا في رمضان السامي * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كي نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ماطال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وقد كتبت بهذه الاجازة نظيرها التي سألني فيها مولانا عين الاعيان مفتي الامام في مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادي مفتي الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لي اصغرهم منا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامي العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النافي دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالي الثمن
نحمده سبحانه أن عرّفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أبج القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد ومفند
كهف الضعيف والقوي المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عني باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشديد الملك واستقامة الامر عمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتي سنة ثم مات وكان الملك بعده في الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذي بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس في كيفيتها وماهيتها وأين اي بلاد هي وهذه هي الثانية التي ذكرها الله تعالى فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير في الارض وطواف في البلاد عظيم في ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا في ذلك على ما بسطناه من اخبارهم في كتاب

اخبار اردن من الامم الماديه في الاجيال الحاليه والممالك الدائرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب

عدد كرما تعرف الناس قبائل وشعب الانساب ومما يوافق ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد وثمود هود ومن سارع الناس من سفو خلاف في العلة التي بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد تقدم ذكر ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الروس السديديه من السياسة الملوكية وكذلك في كتابنا المترجم بكتاب ارلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود في صدر هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا بادية منحوته في الجبال ورسومهم باقية وآثارهم باديه وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى وبيوتهم منحوته في الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن اهل عصرنا وهذا يدل على ان اجسامهم على قدر اجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضعهم اكثر بنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

من جاء بالجامع الصحيح من * كلامه الهادي الى نهج امن
من فضله ماشك فيه مسلم * من حيث بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم ارباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * ازكى صلاة تنتهي ما علما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدري كمن لا يدري
ولم يزل همة اهل المجد * مربوطة بنيل علم يجدي
ومنه علم السنة الشريفه * لانه طريقة الله ورديفه
من دري الاخبار والشمائل * لم يلق غير صوب الهدى بطائل
وكم سعيد لاجله رفض * اوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو اجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز في الابداء والاعاده
وانني لما انتهيت المشرقا * ميمما بدرا هناك مشرقا
القيت في مصر عصا التسيار * بعد بلوغي اشرف الديار
وبعد ما حيت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
شاهدت عيناي فيها ما ملا * قلبي سرورا اذ بلغت املا
مدينة فيها سنا الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
ارجاؤها زاكية العبير * ومدحها جل عن تعبير
وجل اهلها بحيث دانوا * مع ان مثلي منهم يزدان
ولاحظوا بالاعين الكليله * عبدا له تقصر دليله
وقابلوا عيبي بما احتساه * فضل لهم رب الورى ارضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتي الورى في مذهب النعمان * مها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين نعي العلم * اوصافه اللاتي كنور في علم
حاوي طراف المجد والتلاد * نال المنى في النفس والاولاد
وكنت في مكة قد ابصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جملة له ومحتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذي قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
حدث من في الشام من احبار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
ان يأخذوا بعض الفنون عني * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع انني والله لست اهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم ابناؤه * عماد دين قد علا ابناؤه

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذاك لى مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى ساد لاحجابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ روّيته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤمل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر مغرب
ولى أسانيد يطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * هنا لطال القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعنى به مفلول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد يدعى خروف احين عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاوّل * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدا الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبروا عنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها فهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الطعطائى فرج
قال سمعت المصطفى فى النوم * صلى عليه الله كل يوم

وكان ملك الملك الاوّل من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده سامره المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم فحضر عيد لهم وقد اظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسامره الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم ياصالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء توجا الكة

يقول من أصبح يعنى آمنا * فى سربه الحديث فاعرف كامنا
واسلك العمان فى هذا الارب * مصليا على الذى زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن بلا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقرى العاصى * أجير يوم الاخذ بالنواصى
سنة سبع وثلاثين الت * الالف هجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقرى * الالمعى اللوذعى العبقرى
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر المخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام مل الجامع الاكبر
يفرى فتفرى السمع أنفاسه * أنفس ما يقرى وما قد قرى
مولاى يامن درألفاظه * يحاجها اربى على الجوهرى
اجازة ترفل من فضلها * فى ثوب عز زوردا مفخر
سبيله ادليل على أكثر * وأوسط الاخوة والاصغر
أفضل لنا أشياءها بل أفض * وانظم لناس درها وانثر
لازلت فى نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعى ابراهيم العمادى انتهى ومن الاجازات التى قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامى مدى الاحيان
وجل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ فطرهم به الكمال يحيى
ونشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذى ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
تحل من أناخهم آلاءه * حتى أبان نورهم لالاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونهدى صوب صلاة باهره * الى الرسول ذى السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادى الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدى
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو بريح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجى

ساد ه اللورد ا عرب حيرو بين ما اصدعت دن بعد عدص شديد تمعض المرأة حين انزلته وضعه ر مهارته على ما ظلوه من ان سقة ثم لاهين الهدير بها لها نحوه فى الوصف أمه الى رعى الكلا وطلب المرعى في ين حلق ممن حضره ورعى معه الذى الدوهو ينعم بن عمرو وأوسب الساند يحلبون من لبنهما ما ثم شربه عودا تها وضيا تفهم فى الكلا ونما وكان فى ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال دراريهما رجال من ثمود وهما اندارس ف ومصدع ابن مرج بن امرأتان عنيزه بنت ربيع وصدوف بنت احيا فقالت صدوف لو كان لنا فى هذا اليوم مع لا ندعها تجمر وهذا يوم ليسا د ووروده ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزه بلى والله لو ان لنا رجالا لكفونا اياها وهل هى الا بعيرمن الابل فقال مصدع اريا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فمالى عندك فقالت نفسي وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا سيلا عليها

وما غير العلم سدوا العلم * وليس من يدرى كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير الذمم * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤمن
وانى عند دخول الشام * لقيت من همامس الاعلام
وشاهدت عيناى من اصنافهم * ما حقق المحكى عن اوصافهم
وان من جملتهم أوحد كا * واحد ... سماه ...
ابن العباس الذى ... * ... الاسم ...
الاسودى الالمعى ... * لا زال ... الحمد ...
وهو الذى أغراه ... * على ... لاحد ...
وكان قارئ احدث السوى * لدى فى الجامع أعنى الاموى
بمحضر الجمع العزيز الوافر * من وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذلك استمر الاجازه * من نوء وعدى واقتضى اجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أنى لست بذى الاصابه
وان اكن أجمت أمر يمثل * ... فى ذلك يصدق المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اصعاو شيا
فليرو عنى كل ما يصح لى * شرطه الذى يرى كالحلى
وقد أخذت جامع البخارى * عن حى الامام ... العطار
سعيد الذى نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسى
أعنى أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوى السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن ... أصا
العارقى عن امام يدعى * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التى * على علو قدره ... دلت
ولير وعنى ما انتمى للسوى * ... الى السابق دى النهج السوى
أعنى ابن مرزوق الخطيب الراوى * عن شيخه يحيى الرضى المغراوى
وهو روى عن صاحب التمكن * النورى الشيخ ... الدين
وخطه أحمد البادى الوجل * المقرى المالكى على خجل
فى عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادى وسمعه تلت
السنة الله المرود الصافيه * من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا * ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * ... حسن الختام ... القصد ... انتهى

وسألنى بعض سادات دمشق المحروسة أن أخط له فى شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدى الشيخ آرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خص بالاسرار * قدماس الصوفية الابرار

له فقد فى حال صدورها مضرب ... بالسيف ... صاحبه الاحمر العرقوب الاحمر ... البساتة لوجهها ووجد أقدارله ... ولاد السقب ... فالحق ... مقره ووردصائح ... طر الى ... وعدهم العذاب وكان ذلك فى يوم الاربعاء فقالوا له ... متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ... قال ... وجوههكم يوم مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة ... ثم ... العذاب يوم أول ... كرفيما ... من هذا الكتاب أسماء الشهور والايام ... بما لصالح وقالوا ... دعا ... عاجلا ... قبل ان ... كان كاذبا كما قد ... فاتوا ... الملائكة ... واعصرهم بالحجارة ... الله ... صدوا الى ... وعدهم صفراء كانها ... قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام ... اليوم صدق الوعد وان العذاب واقع بهم وخرج صالح فى ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من حف من المؤمنين ...

أتاحهم عوارف المعارف * والحكم السابعة المطارف
بهم تستمطر الانواء * وتظهر الانوار والاضواء
ومن أجلهم سناء وسنى * من دادعن عين المعالى الوسنا
شيخ الشيوخ العارف الكبير * الشيخ آرسلان الشهير
كم اشارات له أبانا * بها علوما من حلاها ازدانا
وكم عبارات بلا آياتها * تعيا الفحول عن مدى غاياتها
ومن رأى رسالة التوحيد * له انتحى مناهج التسديد
وهى تنادى من أبى أن سلكا * يامعرضا تركك حق كلكا
ومن أصل القصد فى مهامه * هديه للخروج عن أوهامه
وكم بها من باب معنى مغلق * تمس يفتح الوجود المطلق
فيا بعير الفهم بدرى الباطن * و وارد الفيض له مواطن
وقد رأيت فى دمشق الشام * شرحا لها أبدع الهمام
لله كالشمس ذى الوفا بالوعد * شمس العلا محمد بن سعد
لا زال فى أوج المعالى صاعدا * وعون رباله مساعدا
وقد أجلت ناظرى فى حسنه * ألفيته مستندعا فى فنه
ومن ما أبداه من معانى * على شهود بالهدى معانى
لانه أجاد فى تقرير * ماعناص بالاتقان والتحرير
وأبرز الابكار من خدور * أفكاره جالية الصدور
فالله يجزيه الجزاء الاوفى * فى يوم تبدى الانبياء الخوفا
وحط هذا المغرى من وجل * من تخيلاتى ربه عزوجل
كشف كروب عقدهن حلت * منه وغفران ذنوب جلت
بجاه طه الهاشمى أحمدا * عليه أزكى صلوات سرمدا
عاطره النشر بلا اكتتام * تأرجت بالمسك فى الختام

وما سمى السرى الحسيب الماجد فخر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم الدين الدمشقى حفظه الله تعالى بقوله

شمس المحاسن شرقى أو غربى * سعد منازلها شمس المغرب
شمس لنا منها شموس فضائل * وسنى هدى قدراح غير محجب
لمقرى العالم الفذ الذى * لسوى اسمه درج المكارم يكتب
بدر ولم يبدو البدر ويشرق * الابدت من قبل ذلك بمغرب
لسوى اكتساب سناه لم تغرب ذكا * فلواتها شعرت به لم تغرب
علامة ملأ البلاد بفضله * وأفاده لمشرق و مغرب
بحرى هو البحر المحيط فضائلا * ان يبس بالعذب الذى لم يعذب
مولى له سعد قرى فى العلا * من الجدود روى العلا وعن الاب

اسلام
ر كم بارحال ى عقد
كأن وجوههم ...
ويوم غروب ...
...
ويوم ...
من الحيس ... شمس
...
...
...
...
...
...
من حار
لا يرهبون من اعدا حولهم
ولا يرعا
ازبار
ذهلكوا ...
...
دار
...
هم
هل ... وهل ...
من ...
... الخالق عقر ناقته
وأحمروا العهد هدياتى
احمار
...
حرما
فقد ... شدحا
باحار
(و ... كر) ...

... من أحجار ثمود جلاوما كان من أمر الناس بأرض بابل

نسب له المجد المؤثل في الورى * والمجد ينسب للأكارم من أب
هو في جبين الفضل أضحى غرة * يجلى بها للجهل ظلمة غيهب
آمالنا قطعت بشر جبينه * أن لا ترى للدهر وجه مقطب
بدر به زهيت دمشق وأهلها * أحبب ببدر حيث حل محبب
طود الفضائل با كرت أرجاءه * ديم الحيا فغدا كروض مخصب
بحر الهدى والعلم الا انه * صفو من الاكدار عذب المشرب
هو قطب دائرة الفضائل في الورى * فيكاد يجري برها بكل معجب
في الفضل ما حاولت يوما مثله * كلا ولا قست البدور بكوكب
أني يجاري في الفضائل من له انقاد الزمان بأدهم وأشهب
من لم يدح العبر سقط عندنا * فله العلا تعصي بقرص أوجب
ما روضة حلى أزاهرها الحيا * فاستبشر فيها كل ثغر أشنب
ومشت بها حود الصبا فتعطرت * أذيالها من كل عرف طيب
للنور فيها جدول أحدث به * شهب المجرة حيرة المتعجب
باتت تناشدني بها ذكر الهوى * ورق الاراك بكل صوت مطرب
تشكو الى بمثل ما أشكو لها * شكوى المعذب في الهوى لمعذب
فعلمت ما قد حل من وجدها * وجهلن وهو الفرق ما قد حل بي
لم تلق فيها من عليل يشتكي * الا النسيم وذا الهوى ان طلب
أغض منها من ربا آداب من * حيا رياض حماه ألطف صيب
طبع أرق من النسيم ومنطق * مستعذب وكذلك كل مهذب
لو جاد صوب حماه قفر المجدبا * لنعمت منه بكل روض معشب
مولاي عذرا فالزمان بعوقني * عن سطاي والآن مدحك مطلبي
عفوا اذا أخرت مدحك سيدي * فعوائق الايام عذر المذنب
وكذاك يفعل بالاديب زمانه * فلذا يصول على الزمان معتبي
لم ألق يوما من يديه مهربا * الا اليك وجدتها من مهرب
لولاك ما حال القريض بخاطري * فالدهر يوجب للقريض تجنبي
لولاك لم ينهض جواد قريحتي * في كل واد للصبابة متعب
فاسمع ولست بآمر ظما غدا * في عقد مدحك لؤلؤا لم يثقب
كالراح يلعب بالعقول للطفه * لكن بغير مسامع لم يشرب
من كل قافية غدت من حسنها * مثلا لغيرك في العلا لم يضرب
جود فاحمدمن ثنائك قلائدا * بكر لغيرك في الورى لم تخطب
غنيت بمدحك لم ترتب لزينة ولربما * يغني الجمال عن الوشاح المذهب
هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت * كالبحر عذبا ماؤه لم ينضب
جاءتك تسأل ألك القبول وحسبها * فخرا قبولك وهو جل المطلب

على شرح دلالة على الكمال بعد ... لما ... كتابنا اخبار الزمان وبالله التوفيق

*(ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب)

ولما أسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر واستودعه خالقه على حسب ما أمر الله عنه انه أسكنه بواد غير ذي زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكونون لهما مسكنا وكان من أمر اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم وانحط الشحر واليمن تفرق العماليق وغيرهم في البلاد ومن هنالك من بقايا عاد فبعثت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الحصينة وعليهم السميدع بن هود ابن لاى بن سطور ابن كركر بن حيدان ... امعنت بنو كركر في المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بالجهد أرسل السميدع بن هود يحثهم على السير في شعر له وشجعهم عاد رجل منهم وهو

 سيروا بني الكركر في البلاد * اني أرى ذا الدهر في فساد قد سار من قحطان ذي الرشاد جرهم لما هدها التعادي

ونروم منك اجازة فانت بما * ترويه بالسند القوى عن النبي
حسن الاجازة منك جائزة ولم * أك قبل غير الفضل بالمتطلب
لابدع والايجاز اطنابا غدا * فى مدحه ان لم أطل أو أسهب
هيهات لا تحصى مآثر فضله * بالمدح ان أطنب وان لم أطنب

حدمة الداعي محمد بن يوسف الكريمي انتهى فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع شمس الدين * فى أفق الرواية المبين
وحص فضلا منه بالاسناد * أمة طه مذهب العناد
ولم يكن عصر من الاعصار * الا وفيه أهل الاستبصار
يحمون عن حوزة دين الله ما * يروم من عليه رشد أبهما
وأنتقى سبيل صلاة كامله * على الذى له العطايا الشامله
محمد المرسل بالشرع الحسن * ذو المعجز المفحم أرباب اللسن
مع حزبه من صحبه وعترته * ومن تلا مؤملا لاثرته
وبعد فالعلم أجل ما اعتمد * موفق من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى * صلى عليه الله ما رندى ورى
ولم يزل ذوو النهى يسعون فى * تحصيله اذ فضله غير خفى
وان مولانا الشهير السامى * الماجد المولى نديمه الشام
سالك نهج السنة القويم * محمد بن يوسف الكريمى
لازال فى عز وفى أمان * مبلغا من قصده الامانى
وجه لى المسائلات الناما * وبرق حسن الظن منى شاما
قصيده بليغة مستعذبه * غريبة فى فنها مهذبه
سأل من مثلى لها الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
مستمسكا بعروة الصواب * ولم أجد بدا من الجواب
أجزته فى كل ما سمعت له * وما جمعت فى الفنون جمله
على شروط قررت فى الفن * مرتجيا حصول كل من
وصفوه الاكمل قد أجزته * ذلك على الوجه الذى شرحته
وان أكن فيما ابتغى مقصرا * فذو الرضا ليس لعيب مبصرا
ولى أسانيد أتت وقتى عن * تفصيلها المانع الرحلة عن
والعذر باد والكريم يقبل * والصفح نهج خلقه الانبل
وخط هذا العبد الجانى * أمنه الله من الاشجان
فى عام ألف وثلاثين قفا * سبعا لهجرة النبى المصطفى
عليه أزكى صلوات تغتنم * تزكو بها مفتتح ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامه الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى اللسن سيدى الشمس محمد الخانى سبط شيخ الاسلام مولانا البورينى حسن حفظه الله تعالى

فشرفت رواده وهم وظروا لى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ام هاجر لولا أنها عجلت ومنعت ماء زمزم من أن يجرى لكان عينا معينا وليس الاحجار تجرى الماء على وجه الارض سلم الرواد عليها واستاذنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فانست اليهم وأذنت لهم فى النزول فاعلموا من كان وراءهم من أهليهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما اضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام ونكاح اسمعيل بالعربية خلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب ونعيده ما قاله الناس فى ذلك من قعطان وبرار وتزوج اسمعيل بالحداء بنت سعد العملاقى وقد كان ابراهيم استأذن سارة فى زيارة اسمعيل فاذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه أمه هاجر فسلم على الحداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال وأين رب البيت قالت هو غائب فقال لها اذا ورد

تعالى

ياسيدى ومولادى * وعالم الثقلين
ومن غدا بكمال * علا على النيرين
أجزت بالدرس وما * فاقوا به الفرقدين
وزين العبد أيضا * من مثل ذاك مزين
وان يكن فى ختام * فذاك قرة عينى

فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع من محاسن * دمشق ما أربى على المحاسن
وزانها بالجلة الاعيان * الراقين فى حلى التبيان
الراغبين فى الحديث النبوى * السالكين فى الهدى النهج السوى
وبعد فالعلم أجل زينه * وسبله فى الرشد مستبينه
وان علم السنة الشريفه * ظلاله ضافية وريفه
لذاك كان باعتناء أحدرا * من كل ما بأيديه من تصدرا
وان ذا الفضل الاديب البارع * سابق ميدان الذكا المسارع
الماجد المسدد السامى الحسب * محمد من للمحاسن انتسب
ابن الشهير الصدر تاج الدين * لازال فى عز وفى تمكين
وجده لامه الشيخ الحسن * وذاك بوريتيهم معطى اللسن
سالنى اجازة بكل ما * أرويه عنوانا بحالى معلما
وها أنا أجبته غير بطل * مستغفرا من خطإ ومن خطل
فليروعنى كل ما صح * على شروط عندها يسمح
وهى عن الشروط لن تريما * وليس يخفى عند ما الكريما
وكل ما ألفت أو جمعت * نظما ونثرا مثل ما أسمعت
ولى أسانيد يضيق الوقت * عن سردها وبعضها قد سقت
فى غير هذا فيحقق ذلك * مقتفيا لاوضح المسالك
وقد أخذت جامع البخارى * ومسلم عن جائز الفخار
عمى سعيد وهو عمن يدعى * بالتنسى قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه * عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجل العراقى * وقد سما فى سلم المراقى
وماله من الروايات علم * من كتبه التى حوت خير الكلم
وخط هذا المقرى عن عجل * مؤملا من ربه عز وجل
غفران ما جنى من الذنوب * والصفح عن معرة العيوب
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله دأبا سرمدا
وآله وصحبه الاخيار * ومن تلا لاثر الا نصار

فاخبريه أن ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن اهلك استبدل بعتبة بيتك غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادى قد أشرق وأنار والاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدى من خبر قالت نعم شيخ وردعلى وأخبرته بالقصة فقال ذاك أبى خليل الرحمن وقد أمرنى بتخليتك فالحقى باهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بنى كركر ونزولهم الوادى وما هم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم فى حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الريث ابن طامن بن نحالة بن هنى ابن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادى ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بنى كركر وقد قيل فى كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر انه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهى سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هنى بن نبت واستاذن ابراهيم سارة فى زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل من ركابه وقد تنازع الناس على أى شئ كان ركوبه فمنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على اتان وقيل غير ذلك

وذا ما الي في الاجازة الفاضل الاديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري حفظه الله تعالى وأنا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل ما صورته

أحمد من زين بالآثار * جيدا من الراوي البديه القاري
وشاد للعلياء في أوج السند * منازلا لم يبلها طول الامد
ومن الواعين للحديث * بالفضل في القديم والحديث
وزان منهم سماء الدين * فاشرقت بالحفظ والتبيين
فهم بها للمهتدي نجوم * وانها للمعتدي رجوم
فكم أزاحوا عن حديث المجتبي * صلى عليه الله ما هبت صبا
تحريف ذي غل مضل غالي * شان لمنهاج الرشاد قالي
وبعد فالاسناد للروايه * وسيلة تزحزح الغوايه
والله قد خص هذي الامه * به امتنانا وأزاح الغمه
هذا ولولا ذاك قال من شا * ما شاءه فهو بحق منشا
فلم يزل أهل النهى كل زمن * يسعون في تحصيله عن مؤتمن
وان ممن حمله من تحري * تحمله من العلوم غمرا
الفاضل المسدد النجيب * الواصل المسعد الاريب
محمد سليل ذي المجد علي * ابن الامام العالم الحبر الولي
عمر الشيخ الشهير القاري * طود السكون هضبة الوقار
شيخ الشيوخ في دمشق الشام * لازال محفوفا بعز سامي
فكان من حمله مني روى * بعض الصحيح ظافرا بما نوى
وبعد ذاك اقترح الاجازه * مني ووعدها اقتضى انجازه
فاحجمت نفسي عن الاجابه * اذ لست في ذا الامر ذا نجابه
مع أنني مقصر ذو عي * في مثل هذا المطلب المرعي
وخفت أن آتيها شنعاء * بحملي الوشي الى صنعاء
وبعد ذا أحببت قصد الاجر * مرتجيا بذاك ربح التجر
وقد أجبته واني اعلم * أني من خوف الخطا لا أسلم
فليروها ببالغ التمني * جميع ما يصح لي وعني
من ذلك الجامع للبخاري * عن عمي الشهير ذي الفخار
سعيد الآخذ عن سفين * عن قلقشندي مزيح المين
عن حافظ الاسلام أعني ابن حجر * بما له من الروايات اشتهر
وبعضها في صدر فتح الباري * مبين لطالب الاخبار
ولي أسانيد يطول شرحها * والروضة الغناء يكفي نفحها
ومن رواياتي عن القصار * مفتي البرايا بهجة الاعصار

من الحيوان فلما أتى ابراهيم الوادي سلم على زوجة اسمعيل الحجر هيئة فسلمت عليه ورحبت به وأكرمته بأحسن لقاء وسألها عن اسمعيل وهاجر فأخبرته بخبرهما وأنهما في رعيهما وعرضت عليه النزول فأبى وقيل ان هاجر كانت قد ماتت ولها من السن تسعون سنة وألحت الجرهمية على ابراهيم في النزول فأبى فقدمت اليه لبنا وشرائح من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة وجاءته بحجر كان في البيت فمال عن ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فأثرت قدماه في الحجر على ما وصفنا من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الجرهمية ذلك اكبرت ما شاهدته وهذا الحجر هو مقام ابراهيم فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شأن وساعد حين ثم قال لها اذا جاءك اسمعيل فقولي له ان ابراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك احتفظ بعتبة بيتك فنعمت العتبة هي وسار ابراهيم راجعا نحو الشام وقيل انما سمي اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل

حدثنا

حدثنا خروف الذاكي الارج * عن الشريف الطيطاني نرج
سمعت في المنام طه يملي * حديث من أصبح وفي العقل
أي آمنا في سربه معافى * في جسمه مع قوت يوم وافى
وكل ما ألفت في الفنون * أرجوبه التحقيق للظنون
فليروه عني بشرط معتبر * وربما يصدق الخبر الخبر
ولي تآليف على العشرينا * زادت ثمانيا حوت تفننا
فليروها ان شا بلا استثناء * والله أرجو نيل قصد باني
بجاه من شرف بالادناء * صلى عليه الله في الآناء
أحمد خير المرسلين الهادي * غوث البرايا ملجأ الاشهاد
عليه أسنى صلوات زاكيه * مع صحبه ذوي المزايا الزاكيه
ومن تلا ممن أطاب عمله * فنال من رجائه ما أمله
وشم من عرف قبول أرجا * فنال من حسن الختام ما رجا

وخاطبني من أهلها أيضا خادم الشيخ الاكبر ابن عربي محيي الدين وهو الشيخ الاكرمي سيدي ابراهيم سلك الله بي وبه سبل المهتدين بقوله

فكرت في فضل الاما * م المقري الحبر حينا
فوجدته بكر الزما * ن وواحد الدنيا يقينا
ماان رأيت ولا سمعـ * ـت بمثله في العالمينا
وافى دمشق زائرا * ألوانه أضحى قطينا
وأتى عجيب الاتفا * ق بفطر شهر الصائمينا
فكأن غرته الهلا * ل ونحن كنا ناظرينا
والعلم قال مؤرخا * أدى بها فضلا مبينا

وخاطبني أيضا منهم الفقيه النبيه سيدي مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله

فضائل قطب الغرب في العلم والفضل * هو المقري الاصل حائز الخصل
حوى كل علم كل عن بعضه السوى * فلا غرو أن أضحى فريدا بلا مثل
وحاز فنونا من ضروب معارف * ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توخى دمشق الشام فافتر ثغرها * سرورا به وازينت من حلى الفضل
وشرف مصر اقبلها فاكتست به * ملابس فخر زانها كرم الاصل
لقد أشرقت من أفق غرب شموسه * وناهيك أفقا نوره قدره يعلي
نفاسته فيها أتتنا فتى الورى * بما قد غدا من در ألفاظه يملي
ملي من التحقيق ان عن مشكل * تكفل بالتبيان والشرح والحل
اذا ما أدار الدر من كاس لفظه * سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام له يحكي قلائد عسجد * وثغر مليح فائق الحسن والدل
وأسجاعه ان حاك وشي نسيجها * حكت حبرا حيكت غارق من غزل

وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن في المسجد الحرام حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود * وولد لاسمعيل اثنا عشر ولدا ذكرا وهم نابت وقيذار واربل ومبشم ومسمع ودوما ودوام ومثنى وحداد ونيم ويطور ونابس وكل هؤلاء قد أنسل وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتي بالحجر من ذي طوى فجعل الحجر وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه تسعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه وألصق المقام بالبيت وذلك قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده اناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولي البيت وكان ينزل هنالك في الموضع المعروف بقعيقعان في هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك في أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هود بن حد بن مازن بن لاي بن قطورا وكان ينزل أجيادا من اسفل

اذا انتظم الساعي بشرق ومغرب * له الموضع الاسمى على الكل في الكل
فسبحان حاز المفاخر والعلا * ووافقت حلي الآداب منه على الحلي
الى من العبد الحقير تحية * لقد نشأت عن خالص الود من خل
ووالى الى الحب والقرب منكم * بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
فلا زالت تحنو اسابيع نعمة * وفضل نعيم وافر وارف الظل
ودمت لدى الاسمى بخير أوبة * وجمع لشمل بالمواطن والاهل

وخاطبني أيضا الشيخ سيدي محمد بن سعد الكلشني بقوله

شهر شعبان جاءنا لنهنى * بقدوم الاستاذ كنز الفضائل
بهجة الكون روض علم وحلم * وهو مغني اللبيب ان جاء سائل
بمصابيح فضله قد أضاءت * ساحة الجامع الكبير لآمل
وبمختار نقطه صار يحوي * لحديث مسلسل عن أفاضل
ومن الغرب حين وافى لشرق * فاق بدرا لتمام وسط المنازل
حل مني في القلب والطرف لما * لاح سعد السعود لي غير آفل
وبدا بالامان والسعد أرخ * أحمد المقري في الشام قائل

وقال أيضا نشر الله على نيته ولمعه أمنيته

أتاك دمشق الشام أكرم وارد * فنرى به عيبا وللحسن شاهدي
وهزت دلالا في أزاهر روضه * معاطف لين كالغصون الاماالد
لك البشر يا عيني ظفرت بماجد * رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله * فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المفيد الذي له * أياد سمت بالجود تولى لقاصد
وذاك أبو العباس أحمد من غدت * مناهله دوما الى كل وارد
تراه اذا وافيته متهللا * ويبسم حبا في وجوه الاماجد
امام سما قدرا على النجم رفعة * أرى وصفه في بيت نظم مشاهد
لديه ارتفاع المشتري وسعوده * وسطوة بهرام وظرف عطارد
شهدت بان الله أولاه منحة * بنقل حديث في جميع المساجد
ومذ حل في وادي دمشق ركابه * وسودده وافى باعدل شاهد
حوى كل افضال وكل فضيلة * بها يهتدى حقا لنيل المقاصد
وما داعني في مدحه انا قائل * ولو جئت فيه مطنبا بالقصائد
اذا رمت أن ألقى نظيرا لمثله * عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حازها ببيانه * وفكرته قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوي الثنا بجواهر * صحاح بها يزدان عقد القلائد
من الغرب وافى نحو شرق فاشرقت * شموس علوم أسفرت عن محامد
فناديته يا سيدي من فضله * تواترت الاخبار عن غير واحد

من ناحيته وكانت بينهم حروب فخرج الحرث بن مضاض ملك جرهم تتقعقع سلاحه وكتيبته من سحل مكة ... والدرق فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرناه وخرج السميدع ... العماليق ومعه الجياد والخيل فعرف الموضع باجياد الى هذا الوقت ... الى ... وافتتلوا ... الموضع واصطلحوا الى هذا ... اصطلحوا ونحروا الجزر وصنعوا فسمي الموضع بالمطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم ... عليهم وأقاموا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث ابن مضاض الاصغر ابن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وزادوا في بناء البيت ورفعوه على ما كان عليه من بناء ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم في الحرم وفسقوا حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى إساف والمرأة نائلة فمسخهما الله حجرين ... بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما الى الله تعالى وقيل انهما حجران نحتا وعبدا ... وسميا باسميهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي

عسى عطفة منكم على بنظرة * فانت لموصول الحداد عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدى * وأنت يمينى للحسود وعدى
ولازلت تولى كل من هو آمل * لبغيته من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الايام فى المجد راقيا * بثوب الهنا تكسى شرود المحامد
وهاك عروسا تجتلى فى حليها * اليك أتت فى زى عذراء ناهد
تهى بعيد الفطر من بعدصومكم * بجميل جزيل من لذيذ الموائد
وترجو جميل الستر ان هى مثلت * بحضرتك العلياء باحسن ماجد
وعش فى أمان الله بالعز دائما * مدى الدهر بالله الحياة المداهد
ومادارت الافلاك من نحو غيبها * ومابزغت شمس الضحى للشاهد

وقال أيضا زاده الله تعالى من فضله

ظبى بوسط الفؤاد قائل * أعز بالوصف كل قائل
ظبى باجفانه سبانى * وسحرها ينمى لبابل
يرمى سهام اللحاظ اذ ما * يرنو فيصمى الفؤاد عاجل
تدهش العقل مذ محنى * على حتى غدوت ذاهل
له قوام كخوط بان * أو كالقنا السمهرى عادل
بدر بدا كامل المعانى * فى القلب والطرف عاد نازل
قد أسر القلب فى هواه * بقيد حسن وفرع سابل
ومابقى منه لى خلاص * سوى مديحى رضا الافاضل
أعنى به المقرى من قد * سما على البدر فى المنازل
أحمد مولى له أياد * كالغيث يغنى لكل سائل
علامة حاز كل فضل * سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد نشا فى العلوم طرا * وحاز علم البيان كامل
طويل باع بسيط فضل * مديد جود لكل آمل
ووافر العقل راح يهدى * سريع فضل لكل فاضل
وجامع العلم فى ابتهاج * بمنطق فى الاصول عادل
وهكذا فى الكلام مهما * أفاد فى الدروس نائل
يروى صحيح الحديث دأبا * بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد * أتاه فى مشكل المسائل
وحل ابهام كل شكل * من من وهى الى الوسائل
وغاص فى لجة المعانى * واستخرج الدر فى المحافل
وفى فنون البديع أضحى * جماسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما * برهانه أبهت المعارل
ان كان وافى لنا أخيرا * فهو الذى فاخر الاوائل

فاتاهم فى بعض الالى السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعره فقال
وجرهم دمنوا تهامة فى الدهر فسالت بجمعهم اضم
وفى ذلك يقول الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وكان الاسمعيل نسيهرا
ووصله
ولما انادر ... الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
... بها الذئب يعوى والعدو المخادر
وهما ذكرناه من أخبارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
وكنا ولاة البيت والقاطنين الذى
اليه تؤدى نذره كل محرم
سكنا بها قبل النبات ... فسعوا الى الحرام ... نعاهم

لهاعن بنى هى بن بيت بن جرهم وفى ذلك يقول هماجرهم وأية كهف · وولاة لبيته والحجاب

بحر محيط فيض منه * على رياض بكل ساحل
وافى من الغرب نحو شرق * يجوب من فوق متن بازل
في مهمه مفصح مهول * وحزنه كم به غوائل
وحث فيه المسير حتى * حلته من وراء كاهل
وجاء باليمن في أمان * وصحة الجسم والشمائل
وحل في الشام عند قوم * من أكرم الناس في القبائل
ذاك ابن شاهين ذو المعالي * رب الندى للالوف باذل
كأنه الشمس حين تهدى * والبدر نورا وليس آفل
لما كان عيشا لهم وكانوا * روضا أريضا الشكر وابل
تجملوه وعظموه * وادخروا عاجلا لآجل
جزاهم الله كل خير * وصانهم من جدال جاهل
وأحمد دام في أمان * المقري الرضا المعامل
لزينة في دجى الليالي * ويرشد الناس في الأصائل
لا زال في نعمة وخير * وفي أمان يعود عاجل

وخاطبني الأديب الفاضل الشيخ أبو بكر العمري شيخ الأدباء بدمشق حفظه الله تعالى بقوله

تاهت تلمسان على مدن الدنى * بعالم في العالمين محمد
المقري أحمد رب الحجا * الكامل البحر الخضم المزبد
مالك هذا العصر شافعيه * أحمده نعمانه المسدد
قد حل مصر فادعت أعلامها * لفضله وتحلوا وتجددوا
وفي دمشق الشام دام سعدها * كان له بها المقام الأسعد
العلماء أجمعوا جميعهم * على معاليه التي لا تجحد
أقام شهرا أو يزيد وانثنى * وفي الحشا منه المقيم المقعد
سالت على فراقه دموعنا * وفي القلوب جمرة لا تخمد
لو قيل من تحمد في تاريخه * ما قلت إلا المقري أحمد
لا برحت أوقاته سعيدة * ما ناح فوق عوده مغرد

قلت وقد كرر الكلام أعيان دمشق حفظهم الله تعالى ومدحهم لي ليس علم الله لاعتقادي في نفسي فضلا بل أثبته دلالة على فضلهم إذ ظاهر حيث عاملوا مثلي من القاصرين بهذه المعاملة وكسوه حلل ثناء المجاملة مع كوني لست في الحقيقة أهلا لما أثنوا عليه من الخطا والخطل والجهل ولقد خاطبت من مصر مفتي الشام صدر الأكابر وارث المجد كابرا عن كابر ساحب أذيال الكمال صاحب الخلال البالغة الآمال مولانا شيخ الإسلام الشيخ عبد الرحمن العمادي الحنفي بكتاب لم يحضرني منه الآن غير بيتين في أوله وهما

وانعقدوا [illegible] الثواب ثم صارت ولاية البيت في ولد إياد بن نزار بن معد
وكانت حروب [illegible] بين
مضر وإياد وكانت لمضر
على إياد فخرجوا من مكة
إلى العراق [illegible]
[illegible] مكة وولد
نزار [illegible] (وقال
المسعودي) [illegible] على
[illegible]
[illegible] جرهم
[illegible] وجدت في [illegible]
[illegible] الروايات أن أول
من ملك من جرهم بمكة
مضاض بن عمرو بن سعد
بن الرقيب بن هني
بن نبت بن جرهم بن قحطان
[illegible] ثم ملك بعده ابنه
عمرو بن مضاض [illegible]
[illegible] ثم ملك بعده
الحرث بن عمرو [illegible]
[illegible] دون ذلك ثم ملك
بعده عمرو بن الحرث [illegible]
[illegible] دون ذلك ثم ملك
مضاض بن عمرو الأصغر
بن الحرث بن عمرو بن
سعد بن الرقيب بن هني بن
نبت بن جرهم بن قحطان
أربعين سنة [illegible] وانقرضت
العرب العاربة من عاد
وثمود [illegible] وطسم
وجديس والعماليق
[illegible] وجرهم ولم يبق من
العرب إلا [illegible] من
عدنان وقحطان ودخل من
بقي ممن ذكرنا في العرب
[illegible] فانقرضت أسماؤهم وزالت آثارهم وقد كانت العماليق بغت في الأرض

يا حادى الاظعان نحو الشآم * بلغ تحيانى لتلك القثام
وابد أعقبها العمادى الرضا * دام به شمل الهنا فى التمام

فاجابنى بما نصه

الى أهالى مصر أهدى السلام * مبتدئا بالمقرى الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه * ولم يضع منه الوفا للذمام

أهدى تحف التحية الى حضرته العلية وذاته ذات الفضائل السنية الاحمدية التى من صحبها لم يزل موصولا بطرائف الصلات والعوائد الاوحدية الجامعة التى لها منها اليها شواهد

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

فيا من جذب قلوب أهل عصره الى مصره وأعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى النثرة بنثره أو الى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه فى القلوب فاستوى على سوقه وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه وظهرت شمس فضله من الجانب العربى فبهرت بالشروق وأصبح كل صب وهو الى بهجتها مشوق زار الشام ثم ما سلم حتى ودع بعد أن فرغ بروضها افنان الفنون فابدع وأسهم لكل من أهلها نصيبا من وداده فكان أوفرهم سهما هذا المحب الذى رفع بمحبته سمك عماده وعلق بمحبته شغاف فؤاده فانه دنا من قلبه فتدلى وفاز من حبه بالسهم المعلى أدام الله تعالى لك البقا وأحسن لنا بك الملتقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا آمين بمنه وكرمه هذا وقد وصل من ذلك الجناب الوفى كتاب كريم هو اللطف الخفى بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفى جاء به البشير ذو الفضل السنى الخل الاعز الاجل التاج المحاسنى مشتملا على عقود الجواهر بل النجوم الزواهر بل الآيات البواهر تكاد تقطر البلاغة من حواشيه وتشهد بالوصول الى طرفها الاعلى لموشيه فليت شعرى باى لسان أثنى على فصوله الحسان العالية الشان الغالية الاثمان التى هى أنفس من قلائد العقيان وأبدع من مقامات بديع الزمان فطفقت أرتع من معانيها فى أمتع رياض وأقطع بان فى منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض

ليت الكواكب تدنو لى فانظمها * عقود مدح فلا أرضى لها كلمى

ولا سيما فصل التعزية والتسلية المشتمل على عقد التخلية بل عقود التحلية التلميذ كم الولد ابراهيم فانه كان له كرقية السليم بمدأن كاد يهيم بجاء والله درة فى أحسن المحال ووقع الموقع حتى كان الولد نشط ببركته من عقال

واذا الشئ اتى فى وقته * زاد فى العين جمال الاجمال

فجزا كم الله تعالى عنا احسن الجزاء ثم احسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كريمتى الاصل والفرع وابقى منكم ما كنا فى الارض من به للناس اعم النفع واما مصيبة من كان وليى وسميى ومنجدى الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدى فانها وان اصابت منا ومنكم الاحوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ولقد عد

من نحو ق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هذا النسب وهو الاشهر فى الناس وقد رثتهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم
خطير ولا ذو نخوة متشاوس

عتوا فأدال الله منهم وحكمه
على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت فى نحو من سبعين سنة فى البرارى لما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل وضربت بهم الشعراء الامثال فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم فى قوله

فويلى من جوى هم رسيس
من الاولى لطسم أو جديس

بيوم عانوا المذاكى
وباليوم الاحم العيطموس

واما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا وهم قوم حنظلة ابن صفوان العبسى بعثه

الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعا وقد قيل فى أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا فى هذا

الكتاب وقد ذكرت هذه القبائل في التوراة وكل ٥٤٦ يرجع الى ولد سام بن نوح من بني ارم بن سام ومن ولده عوص بن ارم ومن ولده عابر بن ارم ومن ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم ... فحل عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح وولده الاحقاف ... بلاد حضرموت وحل ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وولده الحجر ... وحل جديس بن عابر بلاد جو وهي بلاد اليمامة بين ... والحجاز وهذا ... ذلك الوقت ... دونه الاحيصر العلوي وهو بن ... الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وهو يجاور ... ومن ... الى هذا الزمن وحل طسم بن لود بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بني جديس وحل عملوق بن لود بن سام بن نوح الحجاز وقد ذكرنا ولد ... لم ... من هذا الكتاب أنهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم ابن سام بن نوح بابل فعمروا ... العراق وهم النبط منهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وانهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا

... ابه في الاسلام ... وفقد به في حرم الله تعالى من كان يدعى للملة ولم يبق بعده الا من يدعي التماس الجليس واستوق ان ينشد في حقه وان لم يقس به قيس

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

... الله تعالى يرفع درجاته في عليين وبسى وجود كم للاسلام والمسلمين وتلامذتكم الاولاد يرجون من بركات دعائكم أعظم الامداد ويهدون أكمل التحية الى حضرتكم العليه ... دعاء صاحب السعاده أدام الله تعالى اسعاد كم واسعاده ونحن من محبته ... في رياض ... أدبية أبهاها المعارف محاضره في ذكر شمائلكم الجليله تنور المجالس وأبهاها ... محاورة بذكر فضائلكم الجليله تعمر المجالس وسلام جملة الاحباب من أهل الشام وعامة الخواص والعوام والدعاء على الدوام المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية بدمشق المحمية (ووردت) على مع المكتوب المذكور مكاتبات جماعه من أعيان الشام حفظهم الله تعالى وهامن الصديق الحميم ... في حلل ... الحطيب الاديب سيدي الشيخ الحاسني يحيي أسمى الله تعالى قدره في الدين والدنيا كتابان نص أولهما باسمه سبحانه

لئن حكمت أيدي النوى أو تعرضت * عوارض بين بيننا وتفرق

صرفي الى رؤياكم متشوف * وقلبي الى لقياكم متشوق

يقبل الارض لشريعة لا زال مركز الدائرة البهاني ومحط الفلك تجري المحرة على مجرته على الدقائق والثواني ولا برحت ألسن البلاغة عن ... براعة براعه حامي حماها معربة او بلابل الآداب في الافصاح ... رياض فضله عن الثناء صادحه وبالحان سجعها مطربه

أرض بها فلك المعالي دائر : والشمس تشرق والبدور تحوم

ولها من الزهر المنضد انجم : ولها على افق السماء نجوم

... الله تعالى بالمسرات محالها وعم بالخيرات من حلها و ... بسلام ... السالم ... ماسكن صميم الصميم من صدق ... من الكسير ... لسوابغ المدح والثناء و... الاسماء ... والباعث على تحريرها أشواق اضرم نارها في الفؤاد ... البلاد

شوقي لذاتك شوق لا ازال ارى * اجدده يا امام العصر ادمعه

ولي دم كاد ذكر الشوق يحرقه * لو كان من قال نار أحرقت ...

هذا وان ... المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ما شهدته الذات اللطيفه العليه من صدق المحبة ورق العبودية ولم يزل يزين افق المجالس بذكركم ولا ... غصن ... الانس زهركم ولم ... حلاوة العيش في تلك الاوقات التي مضت في خدمتكم المحروسه بعناية الملك المتعال ... الى الانس التي قيل فيها وكانت بالعراق لنا ليال

وها لهامن ليال هل تعود كما * كانت واي ليال عاد ماضيها

لم

لم انسها مذ بانت عنى ببهجتها * واى انس من الايام يدنيها

ونسال الله تعالى ان يمنّ بالتلاق و يفصل منعة الجمع بذى شعبة العراق ان ذلك على الله يسير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وبعد فالمعروض على مسامع سيدى الكريمة لازالت من كل سوء سليمة انه وصل الى مكتوبكم الكريم صحبة العم المحب القديم فحصل لهذا العبد به جبر عظيم وانس جسيم كما شهد بذلك السميع العليم فعزمت على ترك الاجابة لعدم الاجادة ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة مابلغته الالفاظ المقربة وأين يصل صاحب الرمل كما قيل الى الدفات الحليلية ولكننى خشيت من ترك الاجابة توهم نقص ما أبنيه من رق العبودية وصحة الوداد ومن انقطاع برق شيمتى الذى هو لبيت شرفى العمدة والعماد فلزم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب وان كان خطؤه أكثر من الصواب وأرسلته قبل ذلك بعشرة أيام ومكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان أحدهما من محبكم شيخ الاسلام المفتى العمادى والآخر من محبكم أحمد افندى الشاهينى وهما وبقية أكابر البلدة وأعيانها يبلغونكم السلام التام ولا تواخذونا فى هذا المكتوب فانى كتبته عجلا ومن جنابكم خجلا دام خيركم على الدوام الى قيام الساعة وساعة القيام وحرر يوم الاثنين ١١ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ الفقير الداعى يحيى المحاسنى انتهى * (ونص الكتاب الثانى من المذكور أسماه الله) باسمه سبحانه مخلصك الذى محض لك وداده ومحبك الذى أسلم لمحبتك قياده بل عبدك الذى لا يروم الخروج عن رقك وتلميذك الذى لم يزل مغترفا من فيض علومك معترفا بحقك من أسكنك لبه وأخلص لك حبه واتخذك من بين الانام ذخرا نافعا وكهفا مانعا ومولى رفيعا وشهابا ساطعا وتشبث باسباب علومك ونسك يهدى اليك سلاما كانما تعطر بمسك ثنائك ونسك وا كتسب من لطف طبعك الرقة واستعار من سنى وجهك حلة مستحقة وتحية لم يكن مناه الا أن تكون بالمواجهة والمحاضرة والمشافهة على أن فؤاده لم يبرح لك سكنا واحشاءه لك موطنا ويبدى دعوات بحق الفضل انهاس القضايا المنتجة وأن أبواب القبول لها غير مرتجة مقبلا أياديك التى وكفت بوابل جودها وكفت المهم بنتائج سعودها وحاكت الوشى المرقوم وسلكت الدر المنظوم فهذا يرفل فى حللها وهذا يتحلى بعقودها

فهى التى تعنو الرياض لرقها * ويغارمنها الدر فى تنضيدها

وبحار أرباب البيان لنظمها * فهم بحضرتها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثيق العرا متمسكا من ثنائك الذى لا يزال الكون منه معنبرا متشوقا للقائك الذى بالمهج يستام وبالنفوس يشترى متشوقا الى ما يرد من أنبائك التى تسر خبرا وتحمد أثرا أعنى بذلك المولى الذى أقام بفناء الفسطاط مخيما وانتجع جاه رائد الفضل مميما وشدت لفضائله الرحال ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال وطلعت شموس علومه فى سماء القاهرة فاختفت نجوم فضلائها والاشعة باهرة

هو الشمس علما والجميع كواكب * اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذى سرى ذكره فى الآفاق مسير الصبا جاذب ذيلها النسيم الخفاق الذى أطلع

أشر ملوك الارض فادال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ماهم عليه من الذل فى هذا الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمه على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم يسال من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم اذا خرج من قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبى صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التى احتل بها النبط فتقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما

شمس ... من أفق بيانه وأظهر بدر التدقيق من تبيانه فلهذا عقدت عليه الخناصر
من ... عصره وانتهت اليه الاوامر من فضلاء مصره فلا يضاهيه أحد في زمانه وينسق
... فهو المعوّل عليه في مشكلات العلوم معقولها ومنقولها والمنطوق
والمفهوم الذي لم ... الازمان والعصور ولم يأت بنظيره تتابع الاعصار والدهور
من ... عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم لازالت المدارس مشرقة
بالـ... فيها الدروس ولا برحت الربوع عامرة بوجوده بعد الدروس ماسطرت آيات
الاشواق في الصحائف والطروس وأرسلت من تلميذ الى أستاذ بسبب نسبته اليه فحصل على
المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدي لحضرتكم وينهى لطلعتكم أن الراقم لهذه
الصحيفة المشرفة ببعض أوصافكم اللطيفة المرسلة لساحة فضائلكم المنيفة هو تلميذكم
من تشرف بدرسكم وافتخر باجازتكم بين يديكم لكم تلهفه لنيران أشواقه التي التهبت
وتأسفه على الايام السالفة مذهبة في خدمتكم لاذهبت وتوجعه لهذه الازمان التي
استرجعت بانيه عنه من ذمته ماوهبت وتطلعه الى ما يشنف به الاسماع من فضائله التي
سلبت العقول وانتهبت فلم يزل يسائل الرواة عنها ليلتقط منها وقد تحقق ان فرائدها
لا تلفى لها انتهاء ولا يدرك كنهها وكيف لا وهي نهاية علم الفاضل اللبيب والنهاية تفتقر السعيد
وودود الحبيب وعليها يعتمد ابن العميد ولم تنفك راقية في درج المزيد وعبد الحميد عبد
الحميد وعلم شيخي محيط بصدق محبتي واخلاصها وشدة حرصي على تحصيل فوائد مولانا
واقتناصها واني لا أزال ذاكرا لمحاسنه التي ليست في غيره مجموعة ومتطفلا على ثمار
أفكاره التي هي لامقطوعة ولا ممنوعة وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا
تحتاج هذا العبد الى بينة لدى مولانا الاستاذ المالك وحقيق على من فارق تلك الاخلاق
الغر والشمائل الزهر والعشرة المعشوقة والسجايا الموموقة والفضائل الموفورة
والمآثر المشهورة أن يشق جيب الصبر ويجعل النار حشو الصدر

واني لتعروني لذكراك هزة ** كما انتفض العصفور بلله القطر

ولو ملكت مرادي لما أحضر الا في ذراء مرادي بل لو دار الفلك على اختياري لما انضوت
الا عنده ليلي ونهاري

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ** ولكن لا خيار مع الزمان
وتحت ضلوعي لوعة لو كتمتها ** لخفت على الاحشاء أن تتضرما
ولو بحت في كتبي بما في جوانحي ** لانطقتها نارا وأبكيتها دما

وأنا لا أقترح على الدهر الا لقاء ولا أطمع حاضر الوقت الا تذكراه وما أعد أيامي التي
سعدت فيها بلقائه الا اسفات السرور ومطالع السعود والحبور ولست أعيبها الا بقلة
البقاء وسرعة الانقضاء وكذلك عمر السرور قصير والدهر بتفريق الاحبة بصير
وربما انضر العود بعد الذبول وطلع النجم بعد الافول وأديل الوصال من الفراق وعاد
العيش المترحل والمذاق

وما أنا من أن يجمع الله شملنا ** كأحسن ما كنا عليه بآيس

قد ... العرب من فضل النبي صلى
الله عليه وسلم مما جعله الله
لهم ...
...
...
الرسول صلى الله عليه وسلم
... ليس للنبط ... العرب
أيضا خيرا من النبط ...
لا ...
... والكلام متوجه
... فيه ... ومكان
... فيما أوردوه من
تفضيل النبط على العرب
ونحو ذكرنا ما زعم الناس
في الانساب وانفصالها
وبالاعمال دون الانساب
ومن قال ان العمل دون
النسب وما قالته الشعوبية
وغيرها في كتابنا
المقالات في أصول الديانات
وقد ذكر أبو الحسن أحمد
ابن يحيى في كتابه في الرد
على الشعوبية عللا كثيرة
وذكر أن من اختصه الله
تعالى من عباده واصطفاه
من خلقه انما ذلك على
طريق الثواب أم على
طريق التفضيل قال
فمن زعم زاعم أن ذلك
ثواب خرج من معقول
كلام العرب ومفهوم
خطابها لانه لا يقال لمن
أعطى الاجير أجرته ووفى
العامل ثوابه قد اختص فلان فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها

فاما

فاما الآن فلا أرجى الا وقت الايقاب شديد الاضطراب وجوانح لا ... والالتهاب وكيف لا وحال حالي من ودع صفو الحياة يوم وداعه وانصدع ... الانس ساعة انقطاعه وطوى الشوق جوانحه على غليل وحل أوصاله ... على ... وأعرانى فلر مني ولرمته وأعدى بينى وبين الوحدة ... فلا أسلك العزاء ... الا وحدته مسدودا ولا أقصد للصبر بابا الا ألفيتهم دونه ولا أعد اليوم ... سيدى الاشهرا والشهر دون لقائه الادهرا ولست بناس أياما التى هى تاريخ ... الامانى ... وان الامانى اذ ماء الاجتماع عذب وغصن الارد ياورطب وآنس الحواس ... وأسوق ... الدهر كاسده وما كانت الا لمحة الطرف ... الطرف ... البرق الخاطف ... الى الطائف وما ذكرت الا الايام فى أكناف فضائله ... رياض علومه ... وخصرها الا أوجب على عينه أن تدمع وأثنى على كبده ... من صدع ... ما ورد على عبدكم مكتوبكم الكريم صحبة حضرة العم ... القديم فكان كالدواء للصب السقيم كما يشهد بذلك سميع العليم ووقف له منتصبا ... برؤيته ... ود كرأيام الجميع ... وجدا بها ... فاستخفه الاعجاب طربا وشاهد صدوره فقال هكذا يكون الرياض وعاين لطفه فقال هكذا تكون الصبا ... كل حرف منه ووضعه على الرأس وحصل له بعد ترويه عادة اخباره و الاستئناس فعند ذلك أنشد قول بعض الناس

وردا الكتاب ... عهدوروده ... عيدا ... هيج الاشواقا
نوناته ... عانقت صاداته ... كعناق مشتاق يخاف فراقا
وكأنما النونات ... أهله ... وكأنما صاداته أحداقا
... كما قضى فراقنا ... قضى لنا يوما بأن نتلاقى

فجعلته نصب عيني أتسلى به عند استيلاء الشوق على قلبي وأطفئ بتأمله ... ان وجدى اذا التهبت فى صدرى وسررت به سرور من وجد صالة عمره وأدرك جميع أمنيه من دهره وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهلال القطر والسارى بطلوع البدر والمسافر بتعريسة الفجر وكيف لا وقد أصبح فى وجه الامانى حدا بل فى خدها وردا وصار حسنة من حسنات دهرى لا ... ومرور الايام موضعها من صدرى وطلعت طوالع السرور وكانت آفلة وازهرت غصون الفرح وكانت ذابلة لاسيما ما تضمن من البشارة السارة بصحة المولى وسلامته وحلوله فى منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده الى دمشق الشام كساها ثوب العمام مرة ثانية ... اعلى غيرها ولا يزال مفاخرة مباهية سأل الله تعالى أن يحقق ذلك وان يسلك بسيدى أحسن المسالك انه سبحانه وتعالى سامع الاصوات ومجيب الدعوات فان عودكم ياسيدى والله مرة أخرى هو الحياة الثهيه والامنية التى ترتجى النفس بلوغها قبل المنية وما أما من الله بآيس من أن يتيح سببا يعد لمزاره قريبا والشمل مجتمعا وحبل البين منقطعا ثم ليعرض على مسامع سيدى ... لازالت من كل سوء سليمة أنا أوصلنا مكاتيبكم كما أمرتم لاربابها لاسيما مكتوب شيخ الاسلام سيدى عبد الرحمن افندى المفتى بالشام ومكتوب المولى الاعظم والامام الاكرم احمد افندى

... لا ... أن ... فلا يجوز أن يشرفهم باسمائهم وان لم يكن الاسماء ... أعمالهم فان قالوا ليس من العدل أن يشرفهم ... أعمالهم لا سماؤهم ... ان عارضكم معارض ... انه ليس من العدل ... ما ... فضلوا من غيرهم ... بعمل كان ... معصية كانت من غيرهم ... تكون الفضل ... اسم الشيء ... وقد أخبر الله تعالى ... من خلقه ... ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين درجة بعضها من بعض والله سميع ... والواجب على ذى لب الشريعة ... أن لا تجعل ذلك سلما الى ... عن الاعمال ... والا ... على آبائه فان شرف الانساب ... على شرف الاعمال والشرف ... اولى اذ كان الشرف يدعو الى الشرف ولا يثبط ... كان الحسن يدعو الى الحسن ويحرك عليه وأكثر الممدوحين انما مدحوا بما ... اسمائهم ...

وفى الحال ملكة مستون عاف فدحه بعمله ولم يذكر نسبه وان كان شريفا رفيعا

الذى أعزه الله تعالى فانه وقع بهذه الموقع العظيم وحصل به السرور المقيم كما يدل على نتيجه الكريم المحفوف بالتعظيم والتكريم غير أنه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذى يعم فى الميت والام جعل الله تعالى فى عمر سيدى البركة وكان له فى السكون والحركة وسيذاسى أن يذكر لحنابكم فى أمر التعزية ويغرر ومنكم يستفاد مثله ... والاستاذ أدرى بصروف الدهر وتقنتها وأحوال الزمان وتلونها وعرف بأن الدنيا دار لها بكأنها دار وأن الحياة ثوب مستعار ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد منهما قرار وأن لكل طالع أفولا ولكل ناضر ذبولا وورا كل ضياء ظلاما ولكل عروة ... فهو حل لا ن قوى فى العزاء عزائمه ويصغر فى عينه نوائب الدهر ... ويغنيه عن عظته تخداله مقالا وتحل عن عقله عقالا وهو يلقى المصائب ... وفهم صائب وصبر يقصر عنه الطود الاشم وعزم يتفلق دونه البحر الاصم وحلم يرجح اذا طاشت الاحلام وقدم تثبت اذا زلت الاقدام وسد المقال فى ضرب الامثال الى جنابكم الشريف نوع من تجاوز حد الاجلال وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة ولا يريه بعدها الادولة قائمة ونعمة دائمة وأن يحرسه من غير الليل والنهار ويجعله وارث الاعمار بجاه نبينا محمد المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاطهار بمنه وكرمه ثم الملح سيدى أطال الله عمره وشرح صدره وشرح بالخير ذكره السلام التام المقرون بانفس تحية وأكرام من أهل البلدة جميعا الاسيما من مفتيها العمادى حرس الله ذاته التى هى منهل للصادى والعادى وأولاده الكرام المستحقين للاعزاز والاكرام ومن كبيرها ومدبرها ومشيرها أحمد افندى الشاهينى أعزه الله تعالى بعزه وجعله تحت كنفه وحرزه ومن خصيصها مولانا الشيخ أحمد المهمندى ونقيب أشرافها مولانا السيد كمال الدين وجميع المخلصين الداعين لذلكم الجناب والمتمسكين بتراب تلكم الاعتاب ومن الولد والعم والله يا سيدى انه دائم نواء الثناء والحمد وداع لذلك الجناب الكاسب للمآثر والمحامد وحضره شيخنا شيخ الاسلام وبركة الشام مولانا وسيدنا الشيخ عمر القارى أبقى الله تعالى وجوده وصانعنا علينا احسانه وجوده وأولاده يسلمون عليكم السلام الوافر ويبثون اليكم الشوق المتكاثر فى ٢ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ المحب الداعى يحيى المحاسنى انتهى

وكتب الى عمه الفاضل الاسمى مضمونه باسمه سبحانه وتعالى

وانى لمشتاق الى وجهك الذى ... به الله أهدى السناء الى البدر
وأخذ لا ملك لعمر اللواتى كأنها ... تساقط انداء الغمام على الزهر

سيدى الذى عهودى لديه محفوظة ودواعى محبتى لديه موفورة وعليه موقوفة علم الله سبحانه انى لأرجى أوقاتى الابد كراه ولا أرجى اليمس من ساعاتى الاستنشاق نسيم رياه وانى الى طلعته أشوق من الصادى الى ماء صداء ومن كثير عزة الى نوء تماء

يرنحنى اليك الشوق حتى ... أميل من اليمين الى الشمال
ويأخذنى لذكراك اهتزاز ... كما نشط الاسير من العقال

ولى على صدق هذه الدعوى من نراهة لبه شاهد معدل ومن نراهة قلبه منزل غير ملوم

عمرو الذى هو ... وكانوا ... ان ... اخوهم ... ونى الحرم منها ... على عمرو ... الى ابنه ... وقد اذا ... ارض ... ان ... اوائلها ... على الاحساب ... فعلوا (الى ... وسى) ولما ... الشرع ... وربيعة ... اعمة ... يحزانهم ... مصر ... على اناد ... ولا ... فى بعض المواضع ... ذلك امر ... ومنها ... على ... ردوا الحجر ... البيت ... ولدت ... أم البيت وكان ... أو من وليه منهم عمرو بن لحى وابن لحى حارثة ... تمام ... على عبادة التماثيل ...

ولا يعدل كيف لا ومطالع البيان مشرقها من أفلاك فهومه وجواهر التبيان مقذفها من بحار علومه وهو بحر العلم الذى لا تقتحم بسفن الافكار وجبل الحلم الذى رسخ بالهيبة والوقار

لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد * معيبا ولا اخلاقه الناس عائبا

وماذا عسى أصف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وحارت فى شمائله أرباب المعارف والعوارف

فلو نقصت الثريا * والشعرى بيتا يسا

وكاهل الارض صربا * وشعب رضوى عروضا

وصغت للروض شذا * وللهواء نفيضا

ولكنى قول الثناء منحصر أبى سلك والسحى جوده عاملك وان لم تكن تمر خل وان لم يصبها وابل فطل هذا وقد أوصلنا مكاتبكم الشريفة لاربابها فكانت لديهم أكرم قادم وأشرف منادم وقد تداولها الافاضل وشهدوا انها من بنات الافكار التى ينكشف عنها لغير سيدى حجب الاستتار وقد وجدنا كلامهم ملتهبا بجمرات الشوق منبأ بزائد الصبابة والتوق ليس لهم شغل الا ذكر أوصافكم الحميدة وبث ما أبديتموه بدروسكم المفيدة وما منهم الا ويرجو بل الصدى ونقع الظما برؤية ذلك المحيا والتملى بتلك الطلعة العليا وان سأل سيدى عن أخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة فهى ولله الحمد منتظمة الاحوال أمنها الله من الشرور والاهوال ولم يتجدد من الاخبار ما نعلم به ذلكم الجناب لا زال ملحوظا بعين عناية رب الارباب وأنا أسأل الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وأن يحمى تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

وهذا دعاء للبرية شامل * العبد الداعى بجميع البواعث والدواعى تاج الدين المحاسنى عفا الله تعالى عنه انتهى وبالهامش ما صورته وكاتب الاحرف العبد الداعى محمد المحاسنى يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الوافر ويبث لديكم الشوق المتكاثر غير انه قد نازعته نفسه فى تلك المعاتبة لسيده الذى لم يسعد عبده بالمكاتبة على انها من تحكم عقد العبودية ولا تخرج ربقته من طوق الرقية وانطلوب أن يخصه سيده بدعواته المستطابة التى لا شك أنها مستجابة كما هو عليه فى سائر أوقاته وحسبان ساعاته ودمتم فى رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ انتهى وكتب سيدى التاج المذكور لى ضمن رسالة من بعض الاصحاب ما صورته

يا فاضل العصر يا من * للشرق والغرب شرف

يا أوحد الناس طرا * فى كل ما ينصرف

يهدى اليك محب * دموعه تتذرف

شوقا وودا قديما * منكرا تعرف

ولنختم مخاطبات أهل دمشق لى بما كتبه لى أوحد الموالى الكرام السرى عين الاعيان صدر

ذكرناه فى هذا الكتاب وغيره حين خرج الى الشام ورأى قوما يعبدون الاصنام

فأعطوه منها صنما فنصبه على الكعبة وثوبت خزاعة وهم الناس ظلم عمرو بن لحى وفى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام

[illegible]

وكذاك [illegible] العماليق الذين لهم بها كان السوام

وقيل أن أكثر عمرو بن لحى من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وانمحت الحنيفية منهم الا لمعا قال فى ذلك شخنة بن خلف الجرهمى

يا عمرو [illegible] احدثت [illegible] آلهة

شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدا

فقد جعلت له فى الناس أربابا

لتعرفن بأن الله فى مهل

سيصطفى دونكم للبيت حجابا

وبقى عمرو بن لحى [illegible] وبنو [illegible] عمرو [illegible] وكانت ولاية البيت فى خزاعة وفى مضر ثلاث خصال الاجازة بالناس من عرفة والافاضة [illegible]

غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى أبى سيارة فدفع أبو سيارة من مزدلفة الى منى أربعين سنة على حمار له لم يعتل

فى ذلك حتى أدركه الاسلام فكانت العرب تمثل به فتقول أصح من عير أبى سيارة وفى أبى سيارة يقول قائلهم

أرب البلاغة والبيان مولانا أحمد الشاهينى السابق الذكر فى هذا التأليف مرات ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات آمين ليكون مسك الختام اذ محاسنه ليس بها خفاء ولا فيها اكتتام ونص محل الحاجة منه هو الفياض

يا سيدا أحرز خصل العلا * بالباس والرأى الشديد السديد
ومن على أهل النهى قد علا * بطبعه السامى المجيد المجيد
ومن برز من الله هر منه حلى * قول نظيم كالفريد النضيد
ومن صدا وكرى منه جلا * نظم له القلب عميد حميد
ومن له من يوم قالوا بلى * فى مهجتى حب جديد مزيد
ومن غدا بين جميع الملا * بالعلم والحلم الوحيد الفريد
أفديك بالنفس مع الاهل لا * بالمال والمال عتيد عديد

أقسم بالله الذى عات كلمته وعمت رحمته وسخرت القلوب والعقول رأفته ومحبته وجعل الارواح جنودا مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انى أشوق الى تقبيل أنامل شيخى من الظمآن للماء ومن السارى لطلعة ذكاء وليس تقبيل الاقدام مما يدفع عن المشوق الاوام وقد كانت الحال هذه وليس بينى وبينه حاجز الا الجدار اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الآن بالغرام وهو حفظه الله تعالى بمصر وأنا بالشام وليس غيبة مولانا الاستاذ عنا الا غيبة العافية عن الجسم المضنى بل غيبة الروح عن الجسد البالى المقروح ولا العيشة بعد فراقه وهجر أحبابه ورفاقه الا كما قال بديع الزمن عيشة الحوت فى البر والثلج فى الحر وليس الشوق اليه بشوق وانما هو العظم الكسير والفرح العسير والسم يسرى ويسير وليس الصبر عنه بصبر وانما هو الصاب والمصاب والكبد فى يد القصاب والنفس رهينة الاوصاب والجفن الحائن وابن يصاب ولا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذى ورد فيه كتاب شيخى بخطه مرينا بضبطه بلى قد كان شرف عطارد حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندى كل شارد وأما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد أهذا خط قابوس أم جناح الطاوس أو كما قال أبو الطيب

من خطه فى كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

وأما قول ماه وأبدع وأبرع وفى هذا الباب أنق وأجمع بل هو حظ أمان من الزمان والمعتصم من طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحر الابريز والجوهر النفيس العزيز وأما الكتاب نفسه فقد حسدنى عليه اخوانى واستبشر به أهلى وخلانى وكان تقبيلى لاماليه أكثر من نظرى فيه شوقا الى تقبيل يدوشته وحشته واعتيادا اللثم أنامل جنته ومسته وأما البراعة فلاشك انها ينبوع البراعة حتى جرى من سحر البلاغة منها ماجرى فجاء الكتاب كسحر العيون * بمارا حيسبى عقول الورى وينأى باحراز حصل السبق من الثريا الى الثرى ولم أر كتابا قبل تكون محاسنه متداخلة مترادفة ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة وذلك لانه سرد من غرر درره الاحاسن وورد على يد رأس أحبابنا تاج بنى شماس

خلوا عن الطريق عن أبى سيارة
حتى أدى محرماته جاره
مستقبل القبلة يدعو جاره
وليس فى الشهور الحرم
وكانت اسماء فى ذلك
الى كنانة وكان أولهم
القلمس حذيفة بن عبد
ثم ولده قلع بن حذيفة
وورد الاسلام وآخرهم
أبو ثمامة وذلك أن العرب
كانت اذا فرغت من الحج
وأرادت الصدر اجتمعت
اليه فيقوم فيهم فيقول
اللهم انى قد أحببت أحد
الصفرين الصفر الاول
وأنسأت الآخر للعام
المقبل وفى الاسلام
وقد عادت الشهور الحرم
الى بدنهت على ما كانت
عليه فى اصلها وذلك قول
النبى صلى الله عليه وسلم ألا
ان الزمن قد استدار
كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وما
ذكر عليه السلام فى هذا
الحديث الى آخره فخبر الله
عز وجل عنهم بذلك بقوله
تعالى انما النسىء زيادة
فى الكفر الآية وقد فخر
بذلك عمرو بن قيس
الفراسى فقال
ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما
وقد كان قصى بن كلاب [illegible] حوزة بن ابنته ما ملك وما ملك هو آخر من ولى البيت من خزاعة

وقد كان عمرو بن لحى حين عمر ماذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ٣٠٠٠ ونسا... رمليكا الوفاة وهو آخر من ولى

أولئك قوم أحرزوا الحسن كله * هما منهم الاتقى فاق فى الحسن

وكما قلت فيهم أيضا

فبنو المحاسن بيننا * كبنى المنجم فى الحبابه
فهم القرابة ان عدمت من الانام هوى القرابه
فيهم محاسن جمة * منها الخطابه والكتابه

ثم لم يكتف سيدى وشيخى بما أنعم به وأحسن بكتبه من كتابه المرين بخطه المبين بصطه المسمى بين أهل الوفاء كتاب الاكتفاء والاصطفاء حتى أضاف اليه كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء كانه لم يرض طبعه الشريف المورد المستنزل الاأن تكون حسناته لدى أحبابه مثنى مثنى حتى كأن مراده تضعيف هذا الاكرام والاحسان بحجم العبد عن أداء خدمة الحمد بحصر البيان وعقد اللسان اذ لست ذا لسانين حتى أؤدى شكر احسانين وغاية البليغ فى هذا المضمار الخطير أن يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير ومن فصول هذا الكتاب مانصه ومن باب ادخال السرور على سيدى وشيخى وبركتى حبر المدرسة الداخلية التى تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر الموالى ورونق الايام والليالى سيدى وسندى وعمادى ومعتمدى الفهامة شيخى أفندى المعروف بالعلاء حفظه الله ووقاه وأبقاه الذى صدق عليه وعلى قول الاول

ولى صديق ماسنى عدم * مذ وقعت عينه على عدمى
أغنى وأقنى ماتكلفنى * تقبيل كف له ولاقدم
قام بأمرى لما قعدت به * ونمت عن حاجتى ولم ينم

وقول الثانى

صديق لى له أدب * صداقة مثله نسب
رعى لى فوق مارعى * وأوجب فوق ماأجب
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

ولعمرى انه كذلك قد تصدى لحاجتى فقضاها ولجتى فامضاها ولم يكن لى فى الروم سواه وسواها وما أصنع بالروم اذا تخلف عنى ماأروم أبى الله الاأن ينفعنى ذلك الحر الكريم بنهيه وأمره وأن تكون بسالى وبنانى مرتبطين بحمده وشكره وهذه حاجة فى نفسى قضيتها وأمنية رضيت بها وأرضيتها ولله الحمد ولست أحصى ولا استقصى ياسيدى ومولاى شوق أخيكم سيدى ومولى المفتى العمادى حفظه الله تعالى واياكم وقد بلغ به شوقه وغرامه وتعطشه وهيامه وأوامه أن أفرد لجناب مولانا كتابا يستجلب مفخرا وجوابا اذ الشام كان أيم عبارة عن وجوده الشريف والسلام وكذلك أولاده الكرام تلامذتكم يقبلون الاقدام وأما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا عمر القارى فقد بلغته سلام سيدى فكان جوابه الدعاء والثناء مع العزيمة على أن أبالغ لجنابكم الكريم فى تادية سلامه وتبليغ مايتضمنه من المحبة الخالصة فصيح كلامه وأما الكريمان ولدكم محمد أفندى وأخوه سيدى أكمل الدين فهما التقبيل أقدامكم من المستعدين وكذلك

البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ماذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته روح قصى بن كلاب فقال انها لاتقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بأبى غبشان الخزاعى اسمه ابو غبشان ... وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا لاصفقات اخسر من صفقة ابى غبشان فى بيعه تولية البيت بعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك قول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى
وأظلم من بنى فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا فى شراه
ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا
برق بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت فى خزاعه الثماني ... واستقام أمر قصى وعمر

 على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى النسب بمكة وبنو الابطح

لا أحصى ما عليه من الدعاء والثناء لجنابكم الكريم العالي تلميذا لكم بل عبدا لكم ولدنا الشيخ يحيي ابن سيدي أبي الصفاء وولدنا الشيخ محمد ابن سيدي تاج الدين الحاسنيان وأما عبدا لكم وتلميذا لكم ولداي الشيخان الداعيان الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان فليس لهما وظيفة الا الدعاء والثناء في كل صباح ومساء لان كلا منهما خليفتي والاشتغال بالدعاء لسيدي وظيفتي ولا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ولا بد من تقبيل القدمين المباركتين وبعد فلا ينقضي عجبي من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب أخيكم المفتي العمادي حفظكم الله تعالى واياه ولا كان من يشنأك ويشناه وعجبه أعظم وأكبر اذ رزقه الله بفهم كلام سيدي أحق وأجدر فلا عدمنا تلك الانفاس الملكية الفلكية من كل ما يكدرها هي والله البغية والامنية كما قلت

ليس فخري ولا اعتدادي بدهر ❊ غير دهر أراه كاممن يليه

اللهم اختم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ❊ ومن فصول هذا الكتاب ما صورته أطال الله يا سيدي بقاءك ولا كان من يكره لقاءك ورعاك بعين عنايته ووقاك وأدامك وأبقاك وضمن لك جزاء الصبر وعوضك عن مصابك الخير والاجر ولقد كنت عزمت على أن أجعل في مصاب سيدي بامه متعه الله تعالى بعمره وعلمه ودفع عنه سوره همه وغمه قصيدة تكون مرثية تتضمن تعزية وتسلية فنظرت في مرثية أبي الطيب المتنبي لامه واكتفيت بنظمها ونثرها وعقدها وحلها وانتخبت قوله منها

لك الله من مفجوعة بحبيبها ❊ قتيلة شوق غير ملحقها وصما
ولو لم تكوني بنت أكرم والد ❊ لكان أباك الضخم كونك لي أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها ❊ لقد ولدت مني لانفهم رغما

فقلت هذه حالة مولانا الراغم لانوف الاعدا المجدد للاسلام مجدا ونجدا القائل بشوقه لا حطأ ولا عمدا ثم لما رأيت قوله في مرثية أخت سيف الدولة

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا ❊ تكن الافضل الاعز الاجلا
انت يا فوق أن تعزى عن الاحباب فوق الذي يعزيك عقلا
وبالفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذي له قلت قبلا
قد بلوت الخطوب حلوا ومرا ❊ وسلكت الايام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغرب قولا وما يجدد فعلا

قلت هذه والله حلى مولانا الاستاذ الذي عرف للزمان فعله وفهم قوله قد استعارها أبو الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدولة وكيف استطيع ارشاد شيخي لطريق الصبر وأذكره بالثواب والاجر وكيف وأنا الذي استقيت من ديمه واهتديت الى سبيل المعروف بشيمه وسلكت جادة البراعة بهداية ألفاظه وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية الحاظه وهل يكون التلميذ معلما وهل يرشد الفرخ قشعما وكيف يعضد الشبل الاسد وهو ضعيف المنة والمدد ومن يعلم الثغر الابتسام والصدر الالتزام ويخبر الحسام وهو

من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهري ظاهرا وقريش البطاح هي قبائل بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزى ابني قصي وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدي وهم لعقة الدم وبنو عتيك بن عامر بن لؤي وقريش الظواهر بنو محارب والحرث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤي وفي ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك ابن قيس الفهري

تطاولت للضحاك حتى رددته ❊ الى نسب في قومه متقاصر
فلو شاهدتني من قريش عصابة ❊ قريش البطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا ❊ فبعدت من حامي دمار وناصر

فريقان منهم ساكن بطن يثرب ومنهم فريق ساكن بالمشاعر والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصي وسهم وجمح وعدي ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤي وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي في امرأة

مجرب

ولها في المطيبين جدود * ثم نالت ذوائب الاحلاف ٥٥٥ انها بين عامر بن لؤى : حين ندعى و بين عبد مناف

وأحذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتعرشت والتعريش التجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكرى

اخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أحذلها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق وفي ذلك يقول مطرف الخزاعى

يا أيها الرجل المحوّل رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقنا * والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا ننبه بها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما يلحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

:(ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان):

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر

مجرب صمصام وهل تفتقر الشمس في الهداية الى مصباح وهل يحتاج البدر في سراه الى دلالة الصباح ذلك مثل شيخي ومثل من يرشده الى فلاح أو نجاح وانما أخذ عنه ما ورد في ذلك من الكتاب والسنه ونحذو حذوه في الطريق الموصلة الى الجنة ثم لما وصلت في هذه القصيدة الى قول أبي الطيب

ان خير الدموع عينا لدمع * بعثته رعاية فاستهلا

رأيته قد أبدع فيه كل الابداع ونظم ما يكاد يجرى الدمع من طريق السماع فقلت انا لله وأكثرت الاسترجاع وقلت في نفسي ان ذلك الدمع الذى بعثته رعاية الحقوق هو دمع شيخي الذى حمى الله قلبه الشفوق من العقوق للمصيبة في الام التى حزنها يعم ومصابها يعم وكيف لا يعم مصابها وقد كمل للمصيبة كفاها الله نوتها نصابها هذا مع الفقد للسليلة الجليلة والكريمة الخليلة وأى دمع لم تبعثه تلك الرعاية وأى نفس لا تتمنى أن تكون لسيدنا من كل ما يكره وقاية وأى كبد قاسية لم تكن لاحبابه مواسية وأنى ينبغى للعبد المعنى تسلية شيخه وهو الصبور الشكور العارف بالامور العالم بتصاريف الدهور وما ظننت أن بيانى يساعدنى على تحرير بيانى لتعزية شيخي حفظه الله تعالى في أصله وفرعه وضرعه وزرعه وقرعه ونبته وأمه وبنته أما الوالدة الماجدة فانى ان أمسكت عن بيان كرم أصلها سموها كرم فرعها ونسلها فرحم الله تعالى سلفها وأبقى خلفها ولا حرم سيدى ثمرة رضاها ورضى عنها وأرضاها وأما المخدرة الصغيرة فالمصيبة بها كبيرة اذ العمومة مغرية والخؤولة وفائية فهى ذات النجار بن وحائزة الفخارين كأن سيدى أعزه الله تعالى لم يرض لها كفؤا ومهرا فاختار القبر أن يكون له صهرا وخطبة الحمام لا يمكن ردها وسطوة الايام لا يستطاع صدها كما قال أبو الطيب المتنبي أيضا

خطبة للحمام ليس لها رد * وان كانت المسماة ثكلا
واذا لم يجد من الناس كفؤا * ذات خدر أرادت الموت بعلا

أسال الله تعالى أن تكون هذه الخطبة قافية الخطوب وهذا الندب المبرح آخر المندوب وأن يعوض سيدى عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تحرى النجابة منه المصنع وأن يبدله عن ذات الخمار والخضاب من يصول بالحراب ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب

شعر

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال
ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين أن تأخذ بيد عبدك شيخي المقرى في كل وقت وحين آمين: ومن فصول هذا الكتاب ما صورته ولما وصلنى سيدى بهديته التى أحسن بها من كتاب الاكتفاء داخل طبعى الصفاء ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله وهو أن يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه فان الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء كما أفاده شيخي فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سواء اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لاغنى عنه لفظ الاحتفاء

مع تسمية النوع فيهما وهما

ان احتفال المرء بالمرء لا * أحبه الا مع الاكتفا

مبالغات الناس مذمومة * فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

ولقد انقطع الثلج أيام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدى حفظه الله تعالى عن دمشق فتذكرت شغف شيخى به فزاد على فقده غرامى وفاض عليه تعطشى وأوامى فجعلت فى ذلك عدة مقاطيع وأحببت عرضها على سيدى أولها

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات * أنت عندى من أعظم الحسنات

ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ضل عنى رشدى * وما رأيت الثلج يوما عندى

لا تقطع اللهم عن ذا العبد * أعظم أسباب الثنا والحمد

ثالثها

ثلج يا ثلج أنت ماء الحياة * ضل من قال ضر ذا الكهات

ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض قد لاح فى المرآة

قد رأى الناس وجههم فى المرايا * وأنا فيك شمت وجه حياتى

وما علمت سيدى هذا التعليل الا لاشوقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيدى حفظه الله عليلا وهو على الصحة غير عليل ولم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل ولسيدى الدعاء بطول البقاء والارتقاء وهذه أبيات أحدثها العبد فى وصف القهوة طالبا من سيده أن يغفر خطأه فيها وسهوه

وقهوة كالعنبر السحيق * سوداء مثل مقلة المعشوق

أنت كمسك فائح فتيق * شبهتها فى الطعم بالرحيق

تدنى الصديق من هوى الصديق * وتربط الود مع الرفيق

فلا عدمت مزجها بريق

وما زالت ألهج بما أفادنيه شيخى من أماليه وأتصفح الدهر الذى جمعته فيه من أسافله الى أعاليه وأستشكل على الاحباب والاصحاب فى اثناء المسامرة ما أفادنيه سيدى من تسمية المرحوم القاضى التنوخى كتابه نشوار المحاضرة حتى ظفرت باسلها فى القاموس فى مادة نشر وهى عربية محضة فانه قال ونشورت الدابة نشوارا أبقت من علفها ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها وأحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعالى ليفرح لى بين تلامذته كما فرح طبنى به حفظه الله تعالى بين أساتذته وليعلم أنى لم أنس ما أفادنيه فى خلال المحاورة أيام المؤانسة والمجاورة فوالله انه سميرى فى ضميرى وكلمى ما بين عظمى وأدمى

يدير وتى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

الطرس طما وما متت قصتنا * لا ذنب لنا حديثنا لذ فطال

المدن وأهويتها وما كان وما تؤثره الترب والاهوية فى سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد قسم الارض قساما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى فى التشريق وقرب الاحتراق وبارته وحدته واحرافه لمن دخل فيه وما تناهى مغربا أيضا أضر بسكانه لموازاته ما أوغل فى التشريق وهكذا ما تناهى فى الشمال أضر ببرده وبرده وثلوجه وآفاته الاجسام فاورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بمارته ما اتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض بنزا سيرا باسباب الاعتدال واحذ بحظه من حسن القسمة وسأصف لك يا أمير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (اما الشام) فسحب وآكام ورياح وغمام وغدق وكام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفى الالوان لاسيما ارض حمص فانها تحسن الجسم وتصفى اللون وتبلد الفهم وتنزع غوره وتجفى الطبع وتذهب بماء القريحة وتنقص العقول والشام يا أمير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهى مسرح خصب

وحرر يوم السبت المبارك غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان وثلاثين بعد الالف أحسن الله ختامها بحرمة محمد وآله الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق المذنب المقصر لسيده عن اللحاق الذى لم يبرح عن العهد المتين أحمد الشامى بن شاهين انتهى ولو تتبعت ماله حفظه الله تعالى من النظم والنثر اللذين غلب فيهما بلغاء أهل العصر بالشام ومصر وغيرهما من الاقطار لازال مقامه مقضى الاوطار لاستوعبت الاسفار * وفى الاشارات ما يغنى عن الكلام وقد تقدم فى خطبة هذا التاليف ذكر شئ من نظمه ونثره وأنه هو السبب الداعى الى جمع هذا التصنيف والله سبحانه يديم جنابه السرى الشريف ويبوئه من العز الظل الوريف فلقد أوفى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه فضلا عن كله وناهيك بما جلبناه من كلامه دليلا على شرفه وفضله ورسالته هذه التى كانت جوابا عن مكتوب كتبته اليه من جملته

يامن له طائر صيت علا * فى الجو فاصطاد الشريد الشديد
يا كحل شاهين البديع الحلى * نمل بالعز الطويل المديد
وفز بخصل السبق بين الملا * وسر بمهيع للمعالى سديد
وردمع الاحباب عذبا حلا * سلطماس الامانى السديد
وارفل على طول المدى فى ملا * مسرة راقت وعمر حديد
والوالد المحروس بالله لا * بعدد الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها سيدى الذى فى الاجياد من عوارفه أطواق وفى البلاد من معارفه ما شهدت به الفطر السليمة والاذواق وتشتد الى مجده المطنب الذى لا تحط له رواق الاشواق وتعمر بفوائده وفرائده من الآداب الاسواق وتنقطع دون نداه السحب السواكب وتقصر عن مداه فى السمو الكواكب والله سبحانه له واق المولى الذى ألقت اليه البلاغة افلاذها واتخذت البراعة طاعته عصمتها وملاذها ادبذ أفرادها وأفذاذها وأمطرت سماء أفكاره على كل مجب أوكاره طائر فى جو أو مستقر فى أوكاره صيبها ورذاذها وفاخرت دمشق بعلاه وحلاه أقطار البسيطة وبغدادها * ومنها أبقاه الله تعالى وحقيقته وعوده ينفعها النجاز وحقيقة سعوده لا تطرقها المجاز * ومنها فان الذى نفثت عن عينا وأصفيت مشربى وكان مرنقا وكاثرت بمايه آثرت وما استاثرت رمل النقا فلو رآك المأمون ابن الرشيد اعلم أنك المتمنى ببيتى الغناء الذى غنى به والنشيد

وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصفو ان كدرت لديه
عذيرى من الانسان لا ان جفونه * صفا لى ولا ان كنت طوع يديه

ولم يقل أعطنى هذا الصديق وخذ منى الخلافه وأنا أقول قد ظفرنا به بحمد الله ولم أجد أحدا فى دهره وافق الغرض فلم يرخلافه * ومنها هذه يا ابن شاهين أياديك البيض تفرح لك الشكر وتبيض فلا دليل على ولائى كاملائى ولا شاهد لما فى أحنائى كثنائى ولا حجة على ودادى كتكرارى ذكرك وترددى * وهى طويلة لا يحضرنى الآن منها سوى

وواد بل سكب كثرت اشجاره واطردت انهاره وعمرت اعشاره وبه منازل الانبياء ٥٥٧ والقدس اختى وفيه جل اشراف حاس الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجباله مساكن المتهجدين والمفردين (وأما أرض مصر) فارض قوراء نوراء ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحمد فضل نيلها وذمها أكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الالوان وتخيب الفطن وتكثر الاحن وهى معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات غير انها تسمن الابدان وتسود الابشار وتنمو فيها الاعمار وفى اهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (وأما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة فى اهلها همم كبار ولهم احساب واخطار ومعايشهم حسنة واطرافه جديدة وفى هوائها علاب وفى سكانه اختيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من المرية وتقرب من الفصاحة (وأما الحجاز) فحاجز بين الشام واليمن والتهائم هواؤه يزور وليله سهور تنحف الاجسام وتجفف الادمغة وتشجع القلوب وتبسط الهمم وتبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (وأما المغرب) فقد بعد العلا

مباركة والمقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار
فنسأل الله تعالى أن يجمعهم جميعا في الايراد والاصدار * وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب
الشامية السابق ذكرها علينا من ورود كتب من المغرب وجهها جماعة من أعيانه الى فمن
ذلك كتاب كتبه لي الاستاذ الاوحد الاديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف
المراكشي التاملي ونصه الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى من المخلص
المشتاق الى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق وطلعت شموس معارفه في غاية
الاشراق ونارله في ميدان الكمال حسن الاستباق الصدر الكامل والعالم العامل
الفقيه سيدي المهتدي الفقهاء بعلمه المليح الذي يهدي المعالي ببراعته وقلمه ناشر ألوية
المعارف ومسدي أنواع العوارف العلامة امام العصر بجميع أدوات الحصر سيدي
أحمد بن محمد المقري قدس الله السلف كما بارك في الخلف سلام من النسيم أرق وألطف
من الزهر الاعبق وبعد فان أخباركم دائما ترد علينا وتصل الينا بما يسر الخاطر ويقر
الناظر مع كل وارد وصادر والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ويدعو الله بالاجتماع معكم
هنالك ويرحم الله عبدا قال آمينا * كتبته اليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية
مع كثرة أشواق لا تسعها أوراق كتبكم الله سبحانه فيمن عنده كما جعلكم ممن أخلص
في موالاة الحق قصده وودي اليكم غض الحدائق مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق
لا يحيله عن مركز الثبوت عائق وحقيق بودة ارتبطت في الحق ولله معاقدها
وأسست على المحبة في الله قواعدها أن يزيد عقدها على مر الايام شدة وعهدها وان شط
المزار جدة وان تدخر للاخرى عدة واني ويعلم الله تعالى لمن يعتقد محبتكم وموالاتكم
من الاخاء الخير من الله تعالى وبرلفه اليه ويعتمدهما وزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل
الا ظله عليه فانكم والنسم فاحلصتم في الولا وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق المحبة على الولا
معرضين في اكم الآخرة عن عرض الدنيا وعرضها موفين بشروط نفلها ومفترضها الى
أن يقضي الله تعالى بالتراءي وحقوقكم المتأكدة دين علينا والايام تمطل بقضائها عنا
وتوجه الملام الينا فتارة أقف فأقرع السن على التقصير ندما وآونة استنيم الى فضلكم
فأقدم قدما وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق الا وقد كر عليه منكم آخر له
لاحق حتى وقفت موقف العجز وضاقت على العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس وكدت
لا أتكلم الا بارمز احلالا لحقكم الرفيع واشفاقا من التقصير المطيع وقد كنت كاتبت أعزكم
الله على اليكم بل هذا المكتب أربعة أو خمسة فهاء الله قد كالقصائد لا كالفرائد من الكلام
ككلامكم السلس المكثر الفوائد فعذرا فمن كان أحرس من سمكة وأشد تحصنا من طائر في
شبكة ما عرفت أوصل شيء من ذلك أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك وما رأيت غير
رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لي الشيخ الامام المقري
يسأل عنك وقد أرسل معي كتابا اليك فوقع في البحر مع جملة ما وقع فقلت له لا غرابة في ذلك قد
رجع الى أهله ومن طلبة البحار مستخرج الدرر وقد جاءني كتاب من بعض الاجلاء الصديقين
وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى

وشرائع ... ويتعاشر الناس
... شلقة وهم ... دارهم
ونيارهم في آمالهم
... لارض قلبت اليه
... الاهل ولاهل ... من
الاتراك ... في ...
... والمعالي وولاية
... وإذا الخلق والصور بأمير المؤمنين

بلقائكم وأخبرني بسؤالكم عني كثيرا والى الآن يا نعم السيد ما عرفته لكم حتى يبلغكم ... يعرفكم به ... تعريف نذكر لا تعريف منه فانصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب عما الفته الادباء شريعة وسنة وبالجملة ففؤادي لمجدكم صحيح لا سقيم واعتدادي بودكم متين غير عقيم والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم وبه سؤال منظوم لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المعرى الحبر صدر الائمة ✻ من المخلص الوداد أزكى تحية
فدلك يا صدر الصدور عجالة ✻ لتسمح بالجواب عما أكتب
فتى قد رأى عند الغداة فتية ✻ محرمة عند الزوال حلالة
وعادت حراما عند عصر فعندما ✻ عشاء أتى عادت حلالا ... لت
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما ✻ وزالت زوالا منه من غير ريبة
وفي ظهره حلت فطابت قريرة ✻ وفي عصره حرما فقد تبدلت
وعند العشاء بالضرورة حللت ✻ وذلك بعد غرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حراما ترى به ✻ بروق سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتأسفا ✻ وحلت له وقت العشاء وعمت
وعن أمة أيضا يموت سريها ✻ قد اولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك السرى حليلة ✻ بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت ببنت هل لها من تزوج ✻ بنجل السرى بينوا الى فتى
فان السيوري مانع من تزوج ✻ له بابنة منها بتلك القضية
وما الفرق بينها وبين التي أتى ✻ بها ابن أبي زيد باوضح حجة
وعن مشتر مملوكة غير محرم ✻ ومسلمة شرا صحيحا بشرعة
وليس بملكه لها وطؤها يرى ✻ جوازا على التابيد من حين حلت
وما طالق من عدة خرجت ولا ✻ يجوز على التابيد في ... له
نكاح لها من واحد ومطلق ✻ له غير معدوم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبديه لكم ✻ سلاما كما أبدته في صدر طالعة

وتقرير السؤال الثاني أمة أولدها سيدها فصارت حرة فمات عنها السيد ثم تزوجها عبد سيدها فأتت ببنت أما لولد سيدها أن يتزوج هذه البنت فان الرجل له أن يتزوج بنت زوجة أبيه من رجل غيره وهذه سرية أبيه فان الامام السيوري يمنع هذه المسئلة وما الفرق بينهما وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة رجزية في مآثركم السنية ضمنتها أشطارا من الالفية فتفضلوا بالاغضاء وحسن الدعاء أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ثم المامول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب طبقات القراء للامام الحافظ الداني اذ ليس عندنا منه نسخة وأما تاليفكم الكثير الفوائد المسمى بازهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فقد انتشر في هذه الانطار المراكشية وانتسخت منه

ومن الـ... هواؤه ومـ... مائه ولطف غذاؤه كانت صور اهله وحلائهم ... تناسب البلد وتحاكيه وتشاكل ما ... وما أسس عليه بنيانه وكل بلد بزول عن الاعتدال انتسب أهله الى ... الحال ... وتحكم الفهام ... الاجسام ... الاسلام ولاهلها ... وهم ... وراته تقدر (وأما البلد فارس) ... الاهواء ... بالاشجار كثير الثمار ... وهمهم ... ذكر ... (وأما ...) ... الاهواء ... وبلد الافهام ... الهمم ... ساق أهله سوق الانعام وهم ... (وأما أرض الجزيرة) ... البر ... والهواء الذي ... حصب وسرح ولاهله باس ومراس والبر ... المومن أفضل قطع الارض وأسناها وأشرفها وأعلاها ... الاعتدال ... الهواء الاعتدال ... ودعة الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وتهذيب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاصرار وأعلم ... المزن

نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز ابن الولي سيدي أبي عمرو وكسا الله سبحانه تاليفكم المذكور جلباب القبول فما رآه أحد الانسخه وعندي النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم الرائق وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق وأعلمونا بتاليفكم الذي سميتموه قطف المهتصر من أفنان المختصر هل خرج من المبيضة أم لا وودنا لو اتصلنا منه نسخة وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضي القضاة محبكم سيدي عيسى وغيره من أخلاء خليل في كل محفل جليل الى أن قال وأنا أتمثل بكلام مولانا علي كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به

رضيت بما قسم الله لي * وفوضت أمري الى خالقي

كما أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

ولي حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين وذلك انه نزلت بي شدة لا يمكن الخلاص منها عادة فدرست من تخميسهما الاوجاء الفرج في الحين ونصه

اذا أزمة نزلت قبلي * وضقت وضاقت بها حيلي

تذكرت بيت الامام علي * رضيت بما قسم الله لي

وفوضت أمري الى خالقي

لان الاله اللطيف قضى * على خلقه حكمه المرتضى

فسلم وقل قول من فوضا * كما أحسن الله فيما مضى

كذلك يحسن فيما بقي

فعذرا أعزكم الله سبحانه ونفع باحاثكم عن اسباب المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على بعد اللقاء صبرا فان يقدر في هذه الدار فلنا فيها ما نتمنى والا فلن نعدم بفضل الله جزاء الحسنى ولقاء لا يبيد ولا يفنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ايقانا بالوعد وتحقيقا فمن أوجد له محبته أدخله جنته واحضره مادبته وكل له أمنيته جعلنا الله من المتحابين في جلاله بكرمه واتصاله وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم المشرف لعهدكم المنوه بقدركم ومجدكم العبد الفقير الحقير المشفق على نفسه من التقصير والذنب الكبير محمد بن يوسف التاملي غفر الله ذنبه وستر عيبه وجبر قلبه وجمعه بمن أحبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمانية وثلاثين وألف انتهى وصحبة هذا المكتوب ورقة نصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله در العالم الجياني * كأنما ينظر بالعيان

لما يرى العالم المفضال * منتظرا باحسن المثال

وعالم بأنني من بعده * أشير في نظامنا لقصده

وها أنا بالله أستعين * مصنفا وربنا المعين

بالشطر من ألفية ابن مالك * أيدنا الله انسج ذلك

قال محمد عبيد المالك * وسالك الاحسن من مسالك

وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (واما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بي الى وصفها لانها بلاد شاسعة وبلدان نائية كافرة طاغية وفي الذي ذكرته لك ما انتهى بك الى ما شمرت اليه علمه وكل ما وصفته في هذه البلدان فهو الاعم من أمور أهلها والاغلب على احوالهم فان وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو نادر يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودي) وذكر جماعة من أهل العلم بالسير والاخبار ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما اراد النهوض الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من التجمع ببلادهم سأل كعب الاحبار عن العراق فقال يا أمير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شئ بشئ فقال العقل انا لاحق بالعراق فقال العلم وانا معك فقال المال وانا لاحق بالشام فقالت الفتن وانا معك فقال الخصب وانا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر وانا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وانا معك فقال الشقاء وانا لاحق بالبوادي فقالت الصحة وانا معك

نشير بالتحسين للتحرير * المقرى الفاضل الشهير
ذاك الامام ذو العلاء والهمم * كعلم الاشخاص لفظا وعم
فلن ترى فى علمه مثيلا * مستوجبا ثناءى الجميلا
ومدحه عندى لازم أبى * فى النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدى بهذا الرجز * تقرب الاقصى بلفظ موجز
فهو الذى له المعالى تعزى * وتبسط الفضل بوعد منجز
رتبته فوق العلا نامس بهم * كلا ما الفظه قد كاسبهم
وكم أفاد دهره من تحف * مبتدى تأول بلا كلف
لعدوى على المقام الطاهر * كظاهر العلب جميل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا * على الذى فى رفعه قد عهدا
قد حصل العلم وحرر السير * وما بالا أوباعا الحصر
فى كل فن ماهر بعهده ولا * يكون الاعادة الذى الا
سيرته جرت على نهج الهدى * وذى الى الاحتيار أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر * عما به عنه منها خبر
يقول داعا بصدر انشرح * اعرف بما فانما نلنا المنح
يقول مرحبا لقاصديه من * يصل اليها يستعين بما نعن
صدق مقالاتى وكن متبعا * ولم يكن تصريحه مجتمعا
وانهض اليه وهو بالمشاهده : الخبر الجزء المهم الفائده
والزم جنابه وايالك الملل : ان يسطل وصل وان لم يستطل
واقصد جنابه ترى ماثره : والله يقضى بهبات وافره
وانسب له فانه ابن معطى : ويقتضى رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والقلب ولا : تعدل به فهو يضاهى المثلا
قد حط الما افاد علم مالك * أحمد بن الله خير مالك
وحاسد له ومبغض رسن * وهالك وميت به حن
وليس يشفى مبغض له أحد * عساونى مثل هرا ومجعل
بقول عبد ربه محمد : فى تحو جير القول انى أحمد
وهو بدهره نظم الامل * مرفوع القلب قليل الحيل
فادع له وسادة قد حضروا * واوعل أوانى تعتبطا د شكر
واجبره بالدعا عساه نعتنم * تجره ويرفع عنه الهم
انشدت فيكم داو قال قائل * فى نحو تحوكم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالنشر فى كل زمن * لكونه بحصر الرفع اقمن
ماثر لكم كثيرة سوى * ما مر قابل معه ما دل روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف * وذو عام مرفوع يكتفى

أنا بيننا وبينه وساحقت مسافتنا عنه وولدت فى قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عندهم عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون العراق وأكثرهم يصيفون بالجبال وينتقلون فى الفصول الى الصرود من الارض والحرور وقد كان أهل المروآت فى الاسلام كأبى دلف القاسم بن على العجلى وغيره يشتون فى الحرور وهو العراق ويصيفون فى الصرود وهى الجبال وفى ذلك يقول أبو دلف

وانى امرؤ كسروى الفعال أصيف الجبال واشتو العراقا

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال أرضه وغضارة عيشه ومادة الرافدين اليه وهى دجلة والفرات وعموم الامن فيه وبعد الخوف عنه وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان ارضه من اقليم بابل الذى تشعبت آراء أهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة

لا زم تاج الائمة الاول ⁂ وما بجمعه عنيت فحد كل
فالله يبقيكم لدنيا وكفى ⁂ مصليا على الرسول المصطفى
ترى عليه دائما منعما ⁂ وآله المستكملين الشرفا انتهى

ومن ذلك ما كتبه لى بعض الاصحاب ممن كان يقرأ على بالمغرب وصورته سيدنا وسيد أهل الاسلام حامل راية علوم الامة الاحمدية على صاحبها الصلاة والسلام آية الله فى المعانى والمعالى وحسنة الايام والليالى وواسطة عقود الجواهر واللآلى امام مذهب مالك والاشعرى والبخارى والواحدى والخليل العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجامل ذو الاخلاق العذبة المذاق والشمائل المصححة من طيب الاصول والاعراق كبير زمانه دون مدافع وعالم أوانه من غير منازع ولا مدافع شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ ابو العباس أحمد بن محمد المقرى المغربى التلمسانى نزيل فاس ثم الديار المصرية حفظه الله تعالى فى مواطن استقراره ورفع درجة اشاده خاره على مناره عن شوق يود له الكاتب أن لو كان فى طى كتابه وتوق الى مشاهدتكم هو الغاية فى بابه بعد اهداء السلام المحفوف بانواع التحيات والكرامات والبركات الدائم ما دامت فى الوجود السكنات والحركات لمعالمكم الاكبر ومحافلكم الاشهر ومن تعلق باديالكم أو كان مستمطر النوالكم أوصبت عليه شآبيب انعامكم من أهل وصحب وصاحب وخديم هذا واليه ينهى الى الوداد القديم أن اهل المغرب الادنى والاقصى حاضرة وبادية كلهم ما يتفككون بل يعترفون بذكركم ويشتاقون لرؤية وجهكم ويتلذذون بطيب اخباركم وان كان المغرب الآن فى تفاقم احوال وتراكم اهوال فى الغاية مدنا وبوادى لاسيما مدينة فاس وهم فى شر عظيم واميرها مولاى عبد الملك مات فى السنة السابعة والثلاثين بل فى ذى الحجة قبلها وفى المحرم من سنة سبع وثلاثين توفى ملك المغرب السلطان ابو المعالى زيدان وبويع من بعده ابنه مولاى عبد الملك وتعامل مع اخويه الامين الوليد واحمد وهو مهملوا الى الله عاقبة الامور واهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم وافيه سوى ما أدركهم من طول الغيبة نسأل الله تعالى أن يعجل قدومكم الغيبة ويجمعكم الاكبر ولدكم الاصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربى فى سلوك أهل الحقيقة العارف بالله الشيخ الربانى ذو الكرامات والمقامات سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى يحييكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر بالشكر شاكر وهو على خير وقد اجتمعت من بركتكم فى مدينة الدلاء على جماعة من طلاب العلوم فتح الله تعالى على بما أليف عدده منها كفاية الطالب النبيل فى حل الفاظ مختصر خليل ومنها شرح على المنهج المنتخب للزقاق فى قواعد مالك ومنظومة فى أكثر من ألف بيت فى السنة والشمائل ومنها فى رجال البخارى ولا كتمه الكلاباذى ومنها خطب وغير ذلك والكل من بركتكم وسنه اليكم فى صحبة كم والسلام من ولدكم المعروف بمصالحكم تراب نعالكم على بن عبد الواحد الانصارى لطف الله تعالى به وحامله كبير كبراء قومه ممن يحبكم ويعزكم وما تفعلوا معه من خير فلن تكفروه والسلام انتهى ⁂ ومنها كتاب وافانى من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الاكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف العلامة سيدى الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله نصه بسم الله الرحمن الرحيم

بعمارة الامور واشرف هذا الاقليم مدينة السلام ويعز على ما صارت اليه الامصار من فراق هذا المصر الذى عز بعقته وصلنا برقعته كيف الأزمنة ... منه الثانيت والدهر الذى من شروطه الامانه وقد أحسن أبودلف العجلى حيث يقول

ان ... الدهر التى ... أدنى ... لها المعارب فى بالتى ... التى ليها ... المطالب

وقد ذكر الحكماء وما ... من هذا المعنى ... وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه ... ما مضى من زمانه وان من علامة الرشد أن تكون النفوس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة ولكل ... العادة وضع الرجل ... رضنه وقال ابن الزبير ليس الناس بشئ من أقسامهم اقنع منهم باوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك

الرحيم وصلى الله على من أنزل عليه في القرآن وإنك لعلى خلق عظيم وآله وصحبه وسلم أفضل
التسليم من مدنس الازار المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار الراجي المتفضل منه رحمة
العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه
من متابعة السنة النبوية آماله الى الشيخ الشهير الصدر الكبير ذي الفهم الثاقب
والحفظ الغزير الاحب في الله المؤاخي من أجله سيدي أبي العباس أحمد المقري أحمد الله
عاقبتي وعاقبته وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فاني أحمد الله اليك وأصلي على نبيه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ولا زائد الا صالح الدعاء وطلبه منكم فاني أحوج الناس اليه وأشدهم
في ظني الحاحا عليه لما تحققت من أحوال نفسي الامارة واستبطنت من دخائلها المثابرة
على حب الدنيا الغرارة كأنها عميت عن الاهوال التي أشابت رؤس الاطفال وقطعت
أعناق كمل الرجال تراه في لجج هواها خائضة وفي ميدان شهواتها راكضة طمعت
في نيلها ومالانت وجمحت عن الانقياد ولا استقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه الخبائث
وتنشر الفضائح ومنادي العدل قائم بين العالمين وان كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين فالله أسأل حسن الالطاف والستر عما ارتكبناه من التعدي
والاسراف وأن يجعلنا من أهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء صاحبه الكريم
سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤف الرحيم ولنكف من القلم عنانه لما أرجو من أجله
ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاءكم فرأيت من عذوبة
ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء عقولها وينيلها الذي اجتنى لسماعه سؤالها
ومأمولها بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر واصدق
قول فيه عند مخبره ومرآه أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه لكن شعاركم المولى
تحسين النية البلوغ في نجح الحاجة غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من
أن أوصف بمثلها على أني غير قائم بفرضها ونفلها والله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من
أهل مناجاته في حضرته ويسقيكم من كاسات القرب ما تتمتعون بلذيذ مدامته وقد ساعد
البنان الجنان في اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذر لي أني لست من أهل هذا الشان
والاعتراف بأني جبان وأي جبان والكمال لكم في الرضا والقبول والكريم يغضي عن
عورات الاحمق الجهول وظني حققه الله تعالى أن تحملوا على مقتضى شيمكم الكلامية يعني
اضاعة الدجنة نشيدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدري لا على قدركم وعلى
مثل فكري القاصر لا على عظيم فكركم وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان
فآتي ان شاء الله الاجل معي لاني بالاشواق الى حضرتكم راكب البراق ومخترق السبع
الطباق وكنت عازما على أن أبعث لكم من الابيات أكثر من الواقع الا أن الرفقة أعجلت
وصادفتني أيام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل وهو
حسبي ونعم الوكيل

يا نخبة الدهر في الدرايه ※ علما تعاضده الروايه
لا زلت بحرا بكل فن ※ يروى به الطالبون غايه

عليك بكرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال أحرأولى البلدان بصيانتك بلد
رضعت ماءه وطعمت
غذاءه وقال آخر ميلك
الى مسقط مولدك من كرم
محتدك وقال بقراط
يداوى كل عليل بعقاقير
أرضه فان الطبيعة تتطلع
الى هوائها وتنزع الى غذائها
وقال أفلاطون غذاء
الطبيعة من أنفع أدويتها
وقال جالينوس يتروح
العليل بنسيم أرضه كما
تنبت الحبة ببلل القطر
وللمجوس في علة حنينها
الى الاوطان كلام ليس
هذا موضعه وقد ذكرناه
في كتابنا المترجم بسر
الحياة وفي كتاب طب
النفوس ولولا تقييد
العلماء خواطرهم على
الدهر لبطل أول العلم
وضاع آخره اذ كان كل
علم من الاخبار يستخرج
وكل حكمة منها تستنبط
والفقه منها يستثار
والفصاحة منها تستفاد
وأصحاب القياس عليها
يبنون وأهل المقالات بها
يحتجون ومعرفة الناس
منها تؤخذ وأمثال
الحكماء فيها توجد
ومكارم الاخلاق ومعاليها
منها تقتبس وآداب سياسة
الملك والحزم منها تلتمس
وكل غريبة منها تعرف
وكل عجيبة منها تستطرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع

اقد تصدرت في المعالي * كما تعاليت في العنايه
من فلك تنتظم المعاني * بلغت في حسنها النهايه
رقاك مولاك كل مرقى * تحوى به القرب والولايه
اعجوبة ما لها نظير * في الحفظ والفهم والهدايه
يا أحمد المقرى دامت * بشراك تصحبها الرعايه
بجاه خير العباد طرا * والآل والصحب والنقابه
صلى عليه الاله تترى * نكفى بها الشر والغوايه

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع اوثمن رجب من عام ثمانية وثلاثين وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام انتهى والمذكور عالم المغرب الاوسط غير مدافع وله سلف علماء ذوو شهرة ولهم في الادب الباع المديد غير أن المذكور مائل الى التصوف ونعم ما فعل تقبل الله تعالى عملي وعمله وبلغ كلا منا أمله ولأشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسمطيني احد اشياخ العبدري صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب وهي من درر النظم وحر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسمطينة الى مراكش وأولها

الا قل للسرى بن السرى * ابى البدر الجواد الاريحى

ومنها

وكنت اظن ان الناس طرا * سوى زيد وعمرو غير شي
فلما جئت بجاية خير دار * امالتني بكل رشا ابي
وكم اورت ظباء بنى أوار * اوار الشوق بالرشق الشهي
وجئت بجاية فخلت بدورا * تضيق بوصفها حرف الروي
وفي ارض الجزائر هام قلبي * بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا * بلين العطف والقلب القسي
وفي تنس نسيت جميل صبري * وهمت بكل ذي وجه وضي
وفي مازونة ماز لت صبا * بوسنان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد امسيت رهنا * بظامي الخصر ذي ردف وري
وابدت لي تلمسان بدورا * جلت شوق للقلب الخلي
ولما جئت وجدة همت وجدا * بمختث المعاطف معنوي
وحل رشا الرباط رشا رباطي * وتيمني بطرف بابلي
وأطلع قطر فاس لي شموسا * مغاربهن في قلب الشجي
وما مكناسة الا كناس * لأحوى الطرف ذي حسن سني
وان تسأل عن ارض سلا ففيها * ظباء كاسرات للكمي
وفي مراكش يا ويح قلبي * اتى الوادي فطم على القري

اليه الخاصي والعامي ويميل الى روايته العربي والعجمي وبعد فانه يوصل به كل كلام ويتزين به في كل مقام ويستعمل به في كل مشهد ويحتاج اليه في كل محفل وفضيلة علم الاخبار بينة على كل علم وشرف منزلته يحتج في كل فهم فلا يقصر عن فهمه ويعين ... واصداره الا انسان قد تحرر له وفهم معناه وذاق ثمرته واستفز من غرره ونال من سرره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس ونعم الذخر ان شئت الهتك نوادره وأضحكتك بوادره وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادي والحاضر والشكل وخلافه والجنس وضده وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق الا بما تهوى ولا تعلم جارا أبر ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وأقل خيانة ولا أندى معا ولا أحمد أخلاقا ولا أدوم سرورا ولا أسكت غيبة ولا احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا اخف مؤنة منه ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وايد فهمك واكثر

بدور

بدور بل شموس بل صباح * بحى فى بحى فى بحى
أنحن مصارع العشاق لما * سعين به فكم ميت وحى
بقامة كل أسمر سمهرى * ومقلة كل ابيض مشرفى
اذا أنسيتني حسنا فانى * اسيهم هوى غيلان مى
وها انا قد تخذت الغرب دارا * وادعى اليوم بالمرا كشى
على أن اشتياقى نحو زيد * كشوقك نحو عمرو بالسوى
تقسمنى الهوى شرقا وغربا * فيا للمشرقى المغربى
فلى قلب بأرض الشرق عان * وجسم حل بالغرب القصى
فهذا بالغدو يهيم غربا * وذاك يهيم شرقا بالعشى
فلولا الله مت هوى وشوقا * وكم لله من لطف خفى

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منا اسمر سال مع جاذب الادب فاعسك العنان والله المستعان وما عددناه من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام فهو غيض من فيض وفى نيتى ان اجمع فى ذلك كتابا حافلا اسميه نشق عرف دمشق اومشق قلم المدح لدمشق ولسان حالى الآن ينشد قول بعض الاكابر

نحن فى مصر رهن شوق اليكم * هل لديكم بالشام شوق الينا
نحن زاعسن ان تروا الديكم * وابيتم عن ان تروا لديـنا
حفظ الله عهد من حفظ العهـ * ـد ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن الصائغ

وددت لو أن عينى * مكان كتبى اليكم
حتى أرا كم وأملى * أخبار شوقى عليكم

*(رجع الى ابن جبير) رحمه الله تعالى ومن شعره قوله

اياك والشهرة فى ملبس * والبس من الاثواب أسمالها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس وأسمى لها

وقال

تنزه عن العوراء سمعا سمعتها * صيانة نفس فهو بالحر أشبه
اذا أنت حاوت السفيه مشافها * فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه

وقال

اقول وقد حان الوداع واسلمت * قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيا رب أهلى فى يديك وديعة * وما عدمت صونا لديك الودائع

وقال أبو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور

لابى الحسين مكارم لو أنها * عدت لما فرغت ليوم الحشر
وله على مضائل قد قصرت * عن بعض نعماها عظام الابحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

الخضوع لمن انت اثبت منه اصلا واسمح فرعا وهو المعلم الذى لا يجهو لك وان قطعت عنه المائدة لم تقطع عنك الفائدة وهو الذى يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ويطيعك فى السفر كطاعته لك فى الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كاخباره عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض اهل الادب

لما علمت بانى لست اعجزهم
دونا ولا هربا ادمت اكتتب
قصرت بالبيت مسرورا به جذلا
حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا يحدثنى حتى وأصحبنى
عن علم ما غاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللائى عنيت بهم
فليس لى فى جليس غيرهم ارب
لله در جليس لا جليس له

يا وفود الله فزتم بالمنى * فهنيئا لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات بعدكم * فلهذا برح الشوق بنا
نحن في الغرب ويجري ذكركم * بغروب الدمع يجري هتنا

ومنها

فيناديه على شحط النوى * من لنا يوما فقلت ملنا
سر بنا يا حادي الركب عسى * أن نلاقي يوم جمع سربنا
ما دعا داعي النوى لما دعا * غير صب شفه برح العنا
ثم لنا البرق اذا لاح وقل * جمع الله بجمع شملنا
علنا نلقى خيالا منكم * بلذيذ الذكر وهنا علنا
لو حنى الدهر علينا لقضى * باجتماع بكم بالمنحنى
لاح برق موهنا من نحوكم * فلعمري ما هنا العيش هنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم * هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضا والقبول * يعلل بالوصل قلب الخليل

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة وهي ثلاثة وثلاثون بيتا من الغر أولها

أقول وآنست بالليل نارا * لعل سراج الهدى قد أنارا
والا فما بال أفق الدجى * كأن سنى البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس * فما باله قد تجلى نهارا

* وكان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملتمس في حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره أبو اليسع في تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما أنشدنيه لنفسه وله يخاطب أبا عمران الزاهد باشبيلية

أبا عمران قد خلفت قلبي * لديك وأنت أهل للوديعه
صحبت بك الزمان أخا وفاء * فها هو قد تنمر للقطيعه

قال وكان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان والمبادرة لايناس الغرباء وفي ذلك يقول

يحسب الناس بأني متعب * في الشفاعات وتكليف الورى
والذي يتعبهم من ذاك لي * راحة في غيرها أن أفكرا
وبودي لو أفضى العمر في * خدمة الطلاب حتى في الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته

طال شوقي الى بقاع ثلاث * لا تشد الرحال الا اليها
ان للنفس في سماء الاماني * طائرا لا يحوم الا عليها

من كتاب ولا نشأ اسلم من الوحدة فقيل له قد جاء في الوحدة ما جاء فقال ما افسدها للجاهل وقد قال بعض الشعراء يمدح الكتب ولا يعرف قائله ....

[illegible]

لعمرك ما يدري امرؤ كيف [illegible]

لله ابو الحسن فى العراق (ذكر نزاع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا): تنازع الناس في اليمن وتسميته فمنهم من زعم أنه انما سمي يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمي الشام شاما لانه عن شمال الكعبة وسمي الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل من الفرق الذي بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وانما سمي العراق عراقا لتصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأصله ماخوذ من عراقي الدلو وعراقي القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما

قص منه الجناح فهو مهيض * كل يوم يرجو له قوع لديها

وقال

اذا بلغ المرء أرض الحجاز * فقد نال أفضل مأموله

فان زار قبر نبي الهدى * فقد أكمل الله ما أمله

وعاد رحمه الله تعالى الى الاندلس بعد رحلته الاولى التي حل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب الى المغرب من عكا مع الافرنج فعطب في جزيرة صقلية الصغرى وقاسى شدائد الى أن وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم اعاد المسير الى المشرق بعد مدة الى ان مات بالاسكندرية ... تقدم ومن شعره أيضا

لي صديق خسرت فيه ودادي * حين صارت ملامتي منه وجدا

حسن القول سيء الفعل كالجزار سمى وأشبع القول ذبحا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب الشفاء عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي وتوفي ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرفيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرشيق في السنة بعدها وقال أبو الربيع بن سالم أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي الحائي ويعرف بابن الحطب لابي الحسين ابن جبير وقال وهو مما كتب به الي من الديار المصرية في رحلته الاخيرة فابلغه ولا تي تصاء سبتة وكان ابو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي فدفنها بها

بسبتة لي سكن في الثرى * وخل كريم اليها أتى

فلو استطيع ركبت الهوا * فزرت بها الحي والميتا

وانشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غرناطة أولى طريقها قوله

لي نحو أرض المنى من شرق اندلس * شوق يؤلف بين الماء والقبس

الى آخرها ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد * أعمل في الباطل اجتهاده

هب لي ما قد علمت مني * يا عالم الغيب والشهادة

وقال رحمه الله تعالى

وانى لاوثر من أصطفي * وأغضي عن زلة العاثر

واهوى الزيارة ممن أحب * لأعتمد الفضل للزائر

وقال رحمه الله تعالى

عجبت للمرء في دنياه تطمعه * في العيش والاجل المحتوم يقطعه

يمسي ويصبح في عشواء يخبطها * أعمى البصيرة والآمال تخدعه

يغتر بالدهر مسرورا بصحبته * وقد تيقن أن الدهر يصرعه

وبعضهم يقول انما سموا به هذا الاسم وسنذكر فرق هذه القبائل من أرض مال بعد هذا الموضع وغيرهم قالوه في ذلك من الشعر عند ... الارض واختيارهم ... قيل انما سمي الشام شاما لانه ... أرض بيض وسود وكذلك في التمر والبقاع وأنواع النبات والاشجار وهذا قول الكلبي وقال الشرقي ابن القطامي انما سمي الشام شاما لسام بن نوح لانه أول من نزله فلما ... به العرب غيرت من أن يقول سام فقالت شام وقيل ان ... سمي بذلك اضافة الى ... وقيل ان اول من ... من ... العرب سمعها بهذا الاسم وانها مرور لمن رآها ذكر أسماء هذه الم... والبقاع والامصار ونحوه غير ما ذكرنا قد ... مما الف من كتبنا (ذكر اليمن وأنسابها وما قاله الناس في ذلك) اختلف الناس في أنساب قحطان فذهب هشام الكلبي عن ابيه والشرقي ابن القطامي انهم كانا

ويجمع المال حرصا لا يفارقه * وقد درى أنه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه * وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيرا لعاقبة * من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال

صبرت على غدر الزمان وحقده * وشاب لي السم الذعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم أجد * صديقا جميل الغيب في حال بعده
وكم صاحب عاشرته وألفته * فما دام لي يوما على حسن عهده
وكم غرني تحسين ظني به فلم * يضئ لي على طول اقتداحي لزنده
وأعزب من عنقاء في الدهر مغرب * أخو ثقة يسعيك صافي وده
بنفسك صادم كل أمر تريده * فليس مضاء السيف إلا بحده
وعزمك جرد عند كل مهمة * فما نافع مكث الحسام بغمده
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة * فلم أر من قد نال جدا بجده
فكن ذا اقتصاد في امورك كلها * فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما حرم الانسان رزقا بعجزه * كما لا ينال الرزق يوما بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة * جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر * وفوق افواهها شئ من العسل
تغر ذائقها حتى اذا كشفت * له تبين ما تحويه من دخل

وقال

تغير اخوان هذا الزمان * وكل صديق عراه الخلل
وكانوا اديما على صحة * فقد داخلهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر وهو قوله

شكلت أخلاء هذا الزمان * فعندي مما جنوه خلل
قضيت التعجب من شأنهم * فصرت أطالع باب البدل

انتهى

ولابن جبير رحمه الله تعالى

من الله فاسأل كل أمر تريده * فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم * من الكبر في حال تموج بهم سكرا
واياك أن ترضى بتقبيل راحة * فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل

قل لنصر والمرء في دولة السلطان أعمى مادام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

منها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبي عن أبي صالح ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم بأيديهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل فقال ارموا وانا معكم جميعا (قال المسعودي) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقطن واعاعرب فقيل له قحطان (وحكى ابن الكلبي) أن اسم يقطن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح والواضح من أنساب اليمن وما تدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وسيرها من الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح في نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قيدان

وقال

وقال ابن جبير رحمه الله تعالى

أيها المستطيل بالبغي اقصر * ربما طأطأ الزمان الرؤسا
وتذكر قول الاله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطندته من قرى مصر

شهدت صلاة العيد في ارض غربة * باحواز مصر والاحبة قد نأوا
فعلت تخلى في الهوى جد بدمع * فليس امامه المدامع ديان

وقال

قد احدث الناس امورا فلا * عمل بها الى امرها ناتى
ما جاء خير الا الذى * كان عليه السلف الصالح

وقال

ربان لم نوى سعة * فاطو عنى صفحة العمر
لا أحب الابقى زمن * حاجتى فيه الى البشر
فهو كسر ليس ينجبر * ماله جبر لمنكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله تعالى الى مكة ١١ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التى أولها

بلغت المنى وحللت الحرم * فعاد شبابك بعد الهرم
فاهلا باكة أهلا بها * وشكرا لمن شكره ملتزم

وهى طويلة وسيأتى بعضها وقال رحمه الله تعالى عند تركه للرحلة الحجازية

أقول وقد دعا للخير داع * حننت له حنين المستهام
حرام أن أرى الدنيا اعتماضا * ولم أرحل الى البيت الحرام
ولا طافت بى الآمال ان لم * أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياتى لى اذا لم * أزر فى طيبة خير الانام
وأهديه السلام وأقتضيه * رضا يدنى الى دار السلام

وقال

هنيئا لمن حج بيت الهدى * وحط عن النفس أوزارها
وان السعادة مضمونة * لمن حج طيبة أوزارها

والختم ترجمته بقوله

أحب النبى المصطفى وابن عمه * عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم * وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم * وحبهم أسنى الذخائر للاخرى
وما أنا للصحب الكرام ببغض * فانى أرى البغضاء فى حقهم كفرا
هم جاهدوا فى الله حق جهاده * وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم * لدى الملا الاعلى وأكرم به ذكرا

والحصر عليه السلام من ولد ملكان فى قول كثير من الناس، وولد قحطان أحد وثلاثون ذكرا وامهم حنى بنت روق بن زارة ابن سعد بن سويد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب ابن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدين أحدهما عبد شمس وهو سبأ بن يشجب واعما سمى سبأ لسبيه السبايا فولد سبأ حمير وكهلان ابنى سبأ والثانى لم يعقب واعما العقب من ولده ين وهما حمير وكهلان وهذا المنهو عليه عند أهل الخبرة بهما ولم يبق لديهم وقال الهيثم بن عدى الطائى يقول اسمعيل يتكلم بلغة حرهم لان اسمعيل كان يرشانى اللسان على لغة ابيه خليل الرحمن حتى أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرنا وصاهر جرهم ونشأ على لغتهم ونطق بكلامهم وبراز بابى أن يكون اسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون ان الله عزوجل أنطقه بهذه اللغة وذلك ان ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن أربع

عشرة سنة فى وادغير ذى زرع ولا أنيس فحفظهما الله تعالى وأنبع لهما زمزم ونزلهم اسمعيل هذه

وقوله في آخر الميمية

نبي شفاعته عصمة * فيوم التنادي به يعتصم
عسى أن يجاب لنا دعوة * لديه فنكفى بها ما أهم
ويرعى لزواره في غد * ذماما فارال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن * ألم بتربته فاستلم
أخي كم نتابع أهواءنا * ونخبط عشواء في الظلم
رويدك جرت فعج واقتصد * أمامك نهج الطريق الاعم
وتب قبل عض بنان الاسى * ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها

وقل رب هب رحمة في غد * لعبد بسيما العصاة اتسم
جرى في ميادين عصيانه * مسيئا ودان بكفر النعم
فيارب صفحك عما جنى * ويارب عفوك عما اجترم

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس الاديب أبو عامر بن عيشون) قال الفتح رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفي البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة في سماط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما في ناووس وأخرى في مجلس مأنوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأنامل نحلته وارتد على عقبه وارتد من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق في الادب وتدفق طبع اذا امدح أو سب وقد أثبت له ما تعلم حقيقة نفاده وترى سرعة وخده في طريق الاحسان واغذاذه ثم قال وأخبرني انه دخل مصر وهو سار في ظلم البؤس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الا عذيره ونكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا نكده ولا يتوسد الا عضده وبات بليلة ابن عبدل هب عليه صرصر لا ينفع منها انبر ولا مندل فلما كان من الغد دخل عليه ابن الطوفان فاشفق لحاله وفرط امحاله وأعلمه أن الافضل بن أمير الجيوش استدعاه ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيه الا لاخصب مرعاه فصنع له في حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوي اليها الاماني غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لي سببا * فلن أبالي بمن منهم نفضت يدي
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه انه غناه وجود الاظهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته في سمعه وقرره فسأله عن قائله فأعلمه بقائله وكلمه في رفع خلته فأمر له بذلك وله أيضا رحمه الله تعالى

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فألفيت بابا سهل الله اذنه * ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى أن خلت أنك عاتب

اللغة العربية فقالوا ولغة جرهم غير هذه اللغة ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد فهذا يقضي بابطال قول من قال ان اسمعيل أعرب بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل عربي اللسان لاجل جرهم لوجب أن يكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة ووجدنا قحطان عربي اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم وعطاه فضيلة اللسان العربي التي أعطيها يعرب ابن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا في التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما قد أتينا على ذكر جمل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية في كتابنا أخبار الزمان * وزعم الهيثم بن عدي ان جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان وتأول الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يا بني اسمعيل أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما نالهم من الولايات من ولد

ولا تتكلف للعوس مشقة ... سأرضيك بالهجران اذ أنت عاضب
فلا الارض بدمرو لا أنت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عنى جانب

وله يستعفى

كتبت ولو وفيت برك حقه : لما اقتصرت كفى على رقم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا وتبادرت * فطورا على عينى وطورا على راسى
سل الكاس عنى هل أديرت فلم أصح : مدحتك الحانا سوى بها كاسى
وهل نازع الآس المدامى فلم ادع : ثنائى اذكى من مناحة الآس

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو مروان الطبنى وهو عبد الملك بن زيادة الله) قال فى الذخيرة كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام وحملة ألوية الاقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر أراهم طرؤا على قرطبة قبل افتراق الجماعة وانتثار شمل الطاعة وأناخوا فى ظلها ولحقوا بسروات أهلها وأبو مصر أبوه زيادة الله بن على التميمى الطبنى هو أول من بنى بيت شرفهم ورفع فى الاندلس صوته منتاهة سلفهم قال أبو حيان وكان أبو مصر يدعم محمد بن أبى عامر أمتع الناس حديثا ومشاهدة وأنصفهم طرفا وأخذهم بأبواب الشعر والملاطفة وآخذهم بقلوب الملوك والجلة وأنظمهم لشمل افادة وجمعة الى المقصود منه ثم قال فى الذخيرة فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل الى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة انتهى وقد ذكر قصة قتله المستشنعة واتهم باغتياله ابنه ومن نظم أبى مروان الطبنى المذكور ما وجده صاحب الذخيرة فى بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد ابن أبى عامر على الجدلمى فى مجلسه وضربه ضربا موجعا وأقر بذلك أعين مطالبيه قال أبو مروان الطبنى فيه

شكرت للعامرى ما صنعا * ولم أقل للجدلمى لعا
ليث عرين عدا بعزته * مفترسا فى وجاره ضبعا
لا رحمت كفه محكمة * من الاسانى فعم ما صنعا
وددت لو كنت شاهدا لهما * حتى يرى العين ذل ما خضعا
ان طال من سجوده فلقد * طال لعمرا السجود مار كعا

قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله

كم ركعة ركع الصفعان تحت يدى * ولم يقل سمع الله لمن حمده

ثم قال ابن بسام فى الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كنوا عن عهر الحلوة ومن ملح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلت التشيع حب أصلع هاشم : فترفضى ان شئت أو تتشيعى
قالت أصلع هاشم وسفست * بأبى وأمى كل شئ أصلع

ولما صنفت كتابى هذا من شين الهجاء وكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء أجريت ههنا

اسماعيل لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال نسا قد ثبت ولا ثبت نسب

قوم الى غير آبائهم وقد سار ذلك مثلا وعملا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله من مراد عن سبا أرجلا كان أو امرأة أو واديا أو جبلا فقال له كان رجلا ولد له عشرة فتشاءم اربعة وتيامن منه ستة فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والازد ومذحج وكندة والاشعريون وانمار الذين هم بجيلة وخثعم وقال ابن المدبر هو أنمار بن اياس ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودى) وقد تنوزع فى نسب انمار فذهب الاكثر الى ان انمارا واياد وربيعة ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان وان انمار دخلوا فى اليمن فانضموا اليه وما ذكرناه عن النبى صلى الله عليه وسلم من تيامن وتشاءم من اخبار الآحاد وليس بحيثه تجرى الاستفاضة التى يصح بها العذر ويثبت بها الحكم وللناس فى هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام بن أبيه الكلبى قال كان يقال لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم

دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو

صاحبه من مليح التعريض في إيجاز القريض مع الأدب على قائله ولا وصمة عظمى على من قيل فيه والهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الأشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجوا مستبشعا وهو طأطأ قديما من الأوائل وثل عرش القبائل إنما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير كقول النجاشي في بني عجلان وشهرة شعره معتنى بذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأنشدوه قول النجاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات وفعل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطيئة وسأله أن ينشد ما قال فيه فأنشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ❊ واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما أود بما قال له حمر النعم وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشبرم فهم عمر رضي الله تعالى عنه بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور ❊ وقال عبد الملك بن مروان يوما لحسابكم يا بني أمية فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأن الأعشى قال في

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ❊ وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فما ظنك بشيء يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس وقد كان الراعي يقول هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما يستحيي العذراء أن تنشده في خدرها ولما قال جرير

فغض الطرف إنك من نمير ❊ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه قال الراعي خرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا وسمعنا البيت قد سبقنا إليه حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته وكان يقول إذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة وهو الذي صان هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه اسمه وبقي عليه إثمه ❊ ومن مليح التعريض لأهل أوقاتنا قول بعضهم في غلام كان يعشق رجلا يسمى بالبعوضة

أقول لشاذنكم قولة ❊ ولكنها رمزة غامضة

لزوم البعوض له دائما ❊ يدل على أنها حامضة

وأنشدت في مثله قول بعض أهل الوقت

بيني وبينك سر لا أبوح به ❊ الكل يعلمه والله غافره

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الإخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع فيه قلبي وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت

وإني على ما هاج صدري وغاظني ❊ ليأمنني من كان عندي له سر

من مأرب ومن نحو عمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الأرض

(ذكر ملوك اليمن وملوكها وما قدمنا ذكره)

أول من بعد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة سمي سبأ على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبأ ابن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس في وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ثم ملك بعده أخوه كهلان ابن سبأ فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الأمور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان إلى ولد حمير لأخبار يطول ذكرها وتنازع في الملك ولد حمير وكهلان ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبأ واتصل ملكه وعمر الناس عدله وشملهم إحسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل إن أول من ملك وكان

ذ كان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ولم يزل يعلو به حتى بكى الى منه بالدموع وهذا الباب ممتد الاطناب وبكى مامر وعرمه فى أضعاف هذا الكتاب انتهى كلام ابن بسام فى الذخيرة بلفظه ولا خفاء انه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبى ولذا قال فى خطبة الذخيرة أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله فان ثمرة هذا الادب العالى الرتب رسالة تنثر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تتمثل تلك تمثال العطار على صفحات الازهار وتتصل هذه اتصال القلائد على نحور الخرائد ومازال فى أفقنا هذا الاندلسى القصى الى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين قوم هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبوا باطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق وحدوا بفنون السحر المنمق حدو الاعشى ببنات المحلق فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والاصائل بعجائب الاشعار والرسائل نثر لو رآه البديع لنسى اسمه أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح الا أن أهل هذا الافق أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظنى منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى غيرة لهذا الافق الغريب أن تعود بدوره أهلة وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا العلم وأهله ورب محسن مات احسانه قبله وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان وخص أهل المشرق بالاحسان وقد كتبت لارباب هذا الشان من أهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب وتسحر الشعراء والكتاب ولم أعرض لشئ من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية اذ كان ابن فرج الجيانى قد رأى رأيى فى الصفة وذهب مذهبى من الانفة فاملى فى محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للاصبهانى فاضربت أنا عما ألف ولم أعرض لشئ مما صنف ولا تعديت أهل عصرى مما شاهدته بعمرى أو لحقه أهل دهرى اذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول وقد مجت الاسماع

بياذ ارمية بالعلياء فالسند ، الى أن قال بعد كره انه سيورد جملة من المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضى عبد الوهاب والوزير ابن المغربى وغيرهم ممن يطول ما صورته واعما ذكرت هؤلاء اتساء بابى منصور فى تاليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر انتهى المقصود منه قلت وتذكرت بما أنشده فى اله داءقون البا قعة الشاعر المشهور أبى العباس أحمد الغفجومى الشهير بالجدامى وعامة الغرب يقولون الجراوى تهجو وقومه بنى غفجوم وهم بربر تادلا متوصلا بذلك الى هجو اصلاء فاس بنى الملجوم ومستطرد الى ذلك ماهو فى اطراده كالماء السجوم وهو

بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذى سدد ثم ملك جبار بن غالب بن الحرث بن عمرو بن صيفى بن شحب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحوا أربعين سنة وقيل ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذى المنار ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة ابن الرائش وهو ذو المنار وكان ملكه مائة وثمانين سنة ثم ملك بعده أخوه العبد ابن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وقد ورث مقدار ملكه فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ومنهم من ذكر غير ذلك ومنهم من قال ثم ملك ... الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمنا ثم ملك بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر طريف فذكر بعض الرواة فيما روى أنه تصور لابيها فى بعض متصيده حيتان سوداء وبيضاء فامر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا وانه امتنع منه بلقيس ونقض تلك الشروط المعهودة عليه لما

يا ابن السبيل اذا مررت بتادلا * لا تنزلن على بني يغفوم
أرض أغار بها العدو فلن ترى * الا مجاوبة الصدى للبوم
قوم طووا ذكر السماحة بينهم * لكنهم نشروا لواء اللوم
لاحظ في أموالهم ونوالهم * للسائل العافي ولا المحروم
لايعلمون اذا استبيح حريمهم * الا الصراخ بدعوة المظلوم
ياليتني من غيرهم ولو انني * من أرض فاس من بني المجوم

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ان أحد بني المجوم قضاة فاس وأصلائها بيعت أوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار ويكفيك ذلك في معرفة قدر القوم ومع ذلك هجاهم بهذا والله سبحانه يغفر الزلل *(رجع) الى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول *(ومنهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل الى الاندلس ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان) من أهل قرطبة ويعرف بدحون رحل الى المشرق وكان فقيها عالما أديبا شاعرا محسنا ورحل الى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم وحج ولقي أهل الحديث فكتب عنهم وقدم بعلم كثير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها وهو يلبس الوشي الشامي الى أن أوصى اليه الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفي بعد المائتين ومن شعره قوله

قال العذول وأين دليلك كلما * رمت اهتداء لم يزل متحيرا
قلت اتئد فالقلب أول خائن * لما تغير من هويت تغيرا
ونأى فبان الصبر عنى جملة * وبقيت مسلوب العزاء كما ترى

ومن ولده سعيد بن هشام وكان أديبا عالما فيها رحم الله تعالى الجميع ودخل دمشق وضمهم الاقدم وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجي فوافق دخوله اياها غلاء شديدا ومجاعة أشكت أهلها فضجوا الى الرخجي أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد فأمر بالنداء في المدينة على كل من بها من طارئ وابن سبيل ليخرجوا عنها وضرب لهم أجلا ثلاثة أيام وأوعد من تخلف منهم بعدها بالعقاب فابتدر الغرباء الخروج عنها وأقام دحون لم يتحرك فجيء به الى الرخجي بعد الاجل فقال له ما بالك عصيت أمري أوما سمعت ندائي فقال له دحون ذلك النداء الذي وقفني فقال له وكيف فانتمى له فقال له الرخجي صدقت والله انك لاحق بالاقامة فيها فاقم ما أحببت وانصرف اذا شئت وكان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ويعرف بالحبيبي وهو من المشهورين بقرطبة وأمه المدنية الراوية عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وبنته عبدة بنت بشر مشهورة ولها رواية عنه رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بهلول بن فتح) من أهل اقليش له رحلة حج فيها وكان رجلا صالحا خيرا حكى عن نفسه انه رأى في منامه بعد قدومه من الحج كأنه بمكة وقائل يقول انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم قال فكنت أقول لرجل من جيراني باقليش يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لي لست أجد الى ذلك سبيلا فكنت أتوجه وأصلي مع الناس والنبي صلى الله عليه وسلم امامنا فلما سلم من الصلاة

رجع

ما ثبت عنه في خبر ظفر يعرو وهو موجود في كتب التبابعة وانما نحكي هذه الاخبار على حسب ماوجدناه في كتب الاخبار ينزو على حسب ماتوجبه الشريعة والتسليم لها واما من تصديق من ذلك وصف اوائل اصحاب القدم لانهم يرون هذا ونحوه مما نحكي في هذا الكتاب اقاويل اصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق والمخبر الشيطنين على حسب مانطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل وسائر ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة أن ياتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من امرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرها وملك ... ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده شمر بن ... وكان ملكه ثلاثا ... وعشرين سنة وسكن ... انشرف من بلاد خراسان والتبت والصين ... ثم ملك بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك في ملكه تنازع

رجع الى وقال لى من ابن انت قلت له من الاندلس فكان يقول من اى موضع فكنت اقول من مدينة اقليش فيقول لى اتعرف ابا اسحق البوابى فكنت اقول هو جارى وكيف لا اعرفه فيقول لى أقرئه منى السلام (ومنهم ابو الحسن ثابت بن احمد بن عبد الولى الشاطبى) روى عن ابى زيد عبد الرحمن بن يعيش المهروى ورحل فكان مما سمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضل المقدسى وحدث عنه بالحديث المسلسل فى الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبى محمد عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد بن خلف الانصارى عن أبى الحسن طاهر بن مفوز وعليه مداره بالاندلس عن نصر السمرقندى باسناده ومنه عند الحافظ ابن الابار وقد رويته مسلسلا من طرق بعضها عن ابن المفضل وأخى [illegible] أبى حمزة عن أبى بحر الاندلسى عن نصر السمرقندى فصار ابن المفضل بمنزلة من [illegible] والحمد لله تعالى [illegible] (ومنهم أبو أحمد جعفر بن [illegible] بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن ميمون [illegible]) سكن شاطبة وأصله من أنيشان علمها ويكنى أبا الفضل أيضا حج وسمع أبا طاهر بن عوف والحافظ السلفى وأبا عبد الله بن الحضرمى وأبا الثناء الحرانى ومحمد بن عبد الله الحبشى والحسن بن المفضل وغيرهم وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة حسن الخط جيد الضبط سماه التجيبى فى معجم مشيخته وهو فى عداد أصحابه لاشتراكهما فى السماع باسكندرية وبركة هنالك ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة فى أضحى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحكى مما أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله الكرانى وكان شاعرا مجيدا أتته امرأة توفى ولدها فسألته أن يرثيه فقال

بكى عليه بشجو ✽ فقلت لا تندبيه
هذا زمان عجيب ✽ قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال انه توفى بعد التسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعى العابد) من أهل قسطنطانية عمل دانية أخذ القراآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية ورحل حاجا فأدى الفرض ودخل الاسكندرية مرارا ولم يسمع من السلفى ولم يسمع منه هو شيأ قال ابن الابار فيما علمت وقفل الى بلده مائلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوفة فى وقته وعلا ذكره وبعد صيته فى العبادة الا انه كانت فيه غفلة قال ابن الابار رأيته اذ قدم بلنسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة احدى عشرة وستمائة وتوفى عن سن عالية تقارب المائة منتصف ذى القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى وانتاب الناس قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان يشاركهم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التى تغلبوا عليها وذلك فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة (ومنهم ابو جعفر النحوى) أندلسى نزل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو ومن له حال جليلة ذكره الطبنى فيما حكاه ابن الابار (ومنهم ابو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله الخزرجى القرطبى) وكناه بعضهم ابا الفضل سمع ببلده من ابى محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وكان اديبا شاعرا كتب عنه ابو محمد العثمانى بالاسكندرية بعض شعره (ومنهم ابو الحسن

وخلاف وكان ملكه الى ان قتل خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده عمرو بن تبع وهو الذى قتل اخيه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة وقال بعضهم النوم لما كان من فعله فى قتل أخيه ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك السائر من اليمن الى الحجاز وكانت له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فنهاه من كان معه من أحبار اليهود فكساها النطع اليمانى وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على اهل اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة ثم ملك عمرو بن تبع بعده عمرو وتنازع كان بينهم فى الملك ثم خلع عن الملك وملوا لولايتهم مرثد بن كلال وكان فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده وكيعة بن مرثد وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ابن وكيعة بن مرثد وهو الذى يدعى شيبة الحمد وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان علامة وله سير مدونة ثم ملك بعده عمرو بن ذى قيفان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده دوشناتر ولم يكن من أهل بيت الملك فغرى بالاحداث من أبناء الملوك ويطالبهم فطالب به الدوار وأظهر

جهور بن خلف بن ابى عمر بن قاسم بن ثابت المعافرى) رحل حاجا الى المشرق فادى الفريضة وسمع بالاسكندرية من ابى طاهر السلفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع ايضا من غيره وطال مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من اهل غرب الاندلس * (ومنهم ابو على الحسن بن حفص بن الحسن البهرانى الاندلسى) رحل وتجوّل ببلاد المشرق فسمع ابا محمد عبد الله بن حمويه وابا حامد احمد بن محمد بن رجاء بسرخس وابا محمد بن أبى شريح بهراة وابا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحى بالاهواز وأبا بكر أحمد بن جعفر البغدادى وأبا حامد أحمد بن الخليل واباحاتم حامد بن العباس وابا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق فروى عنه من اهلها تمام بن محمد ونجا ابو احمد بن منصور بن خلف المغربى وغيره وذكره ابن عساكر وقال اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن احمد بن على بن فطيمة وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالا انا ابو بكر احمد بن منصور انا ابو على الحسن بن جعفر القضاعى انا الحسن بن رشيق بمصر انا المفضل بن محمد الجندى أنا ابو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى قال سمعت مالك بن أنس يقول لا يحمل العلم عن أهل البدع كلهم ولا يحمل العلم عمن لم يعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم ولا يحمل عمن يكذب فى حديث الناس وان كان فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا لان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذى سمعه وبين الله تبارك وتعالى وانما قال فيه القضاعى لان بهران من قضاعة * (ومنهم أبو على الحسن ابن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموى) من أهل دانية ويعرف بابن برنجال سمع من أبى بكر بن صاحب الاحباس وأبى عثمان طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حج فيها وسمع من أبى اسحق ابراهيم بن صالح القروى وببيت المقدس من أبى الفتح نصر بن ابراهيم سنة خمس وستين وأربعمائة وبعسقلان من أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبى وأخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الانبارى بسماعه من عبد العزيز الشعيرى عن مؤلفه وكان فقيها على مذهب مالك وولى الاحكام ببلده وحدث وأخذ عنه وسمع الناس منه بالاسكندرية سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وتوفى فى نحو الخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو على الحسن بن ابراهيم بن محمد بن بقى الجذامى المالقى) روى بقرطبة عن أبى محمد بن عات وعن أبى بكر الصدفى بمرسية سنة ثمان وخمسمائة وصحب أبا مروان بن مرة وكان من أهل الرواية والتقييد وكانت له رحلة سمع فيها من أبى الطاهر السلفى مجالسه التى أملاها بسلماس برجب سنة خمس عشرة وخمسمائة حسبما ألفى بخط السلفى وفى رحلته لقيه أبو على الحسن بن على البطليوسى نزيل مكة وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتنوخى من أهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر اجازه له اجازة عامة فى السنة السابقة وقال ابن عساكر فى تاريخه وذكر أبا ذر الهروى سمعت أبا الحسن على بن سليمان المرادى الحافظ الاندلسى بنيسابور يقول سمعت أبا على الحسن بن على الانصارى البطليوسى قال ابن عساكر وقد لقيته ولم أسمعها منه قال سمعت أبا على الحسن بن ابراهيم بن بقى الجذامى المالقى يقول سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابى ذر الهروى أنت من هراة فمن أين تمذهبت لمالك والاشعرى

القسق باليمن واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وأنصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف ذو نواس وكان من أبناء الملوك خوفا على نفسه وأنفة أن يفسق به ثم ملك بعده يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الاصغر بن حسان بن كيكرب وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتبنا وما كان من أمره مع أصحاب الاخدود وتحريقه اياهم بالنار وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه فقال قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود وله عبرت الحبشة من بلاد ناصع والزيلع وهو ساحل الحبشة على حسب ماذكرنا الى بلاد زبيد من أرض اليمن فغرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة وقيل أقل من ذلك وذلك أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس بأتباع المسيح عليه السلام وما يعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم أرياط بن اصحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشى غضب عليه وحلف بالمسيح أن يخرب ناحيته ويريق دمه ويطأ تربته يعنى أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فقال

فقال انى قدمت بغداد أطلب الحديث فلزمت الدارقطني فلما كان فى بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضى أبو بكر بن الطيب فاظهر الدارقطني من اكرامه ماتعجبت منه فلما فارقه قلت أيها الشيخ الامام من هذا الذى أظهرت من اكرامه ما رايت فقال أوما تعرفه قلت لا فقال هذا سيف السنة أبو بكر الاشعرى فلزمت القاضى منذ ذلك واقتديت به فى مذهبه انتهى (ومنهم أبو على الحسن بن على بن الحسن بن عمر الانصارى البطليوسى) رحل الى المشرق فادى الفريضة وتجول هنالك ولقى أبا الحسن بن الفرج الصقلى وأبا عبد الله الفراوى فسمع منهما الصحيحين بعلو وسمع من ابى الفتح ناصر بن أبى على العلوى سنن أبى داود وحدث بالموطا عن أبى بكر الطرطوشى وله أيضا رواية عن زاهر بن طاهر الشحامى وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى وأبى محمد الحريرى سمع منه مقامات الحريرى بن بستانه من بغداد ونزل بمكة وجاور بها وحدث فيها وفى غيرها واسن وكان ثقة مسندا روى عنه أبو عبد الله بن أبى الصيف اليمنى وابو حفص بن شراحيل الاندلسى وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الاربلى وسمع منه فى صفر سنة ست وستين وخمسمائة وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه ❊ (ومنهم أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الانصارى) من أهل المرية عمل بلنسية ويعرف بابن الرهبيل سمع من أبى الحسن بن النعمة كثيرا واختص به وعنه أخذ القرا آت وسمع من ابن هذيل أيضا ثم رحل حاجا فلقى بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر السلفى واباعبد الله بن الحضرمى وسمع منهما وجاور بمكة واخذ بها عن ابى الحسن على بن حميد الطرابلسى صحيح البخارى وكان يرويه عن ابى مكتوم عيسى بن ابى ذر الهروى عن ابيه وسمع ايضا من ابى محمد المبارك بن الطباخ البغدادى واجاز له ابو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمى وابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى ببجايه عند صدره فى ربيع الاول سنة سبع وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والانقباض عن الناس والاقبال على مايعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى التجيبى ان طلبة الاسكندرية راجعوا فيه لسماع التيسير لابى عمرو المقرى منه بروايته عن ابن هذيل سماعا فى سنة ثلاث وخمسين وصار له بذلك عندهم وجاهة وبعد قفوله اصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفى غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حى التجيبى القرطبى) اخذ علم العدد والهندسة عن ابى عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان كلفا بصناعة التعديل وله زيج مختصر ذكره القاضى صاعد ونسبه وحكى انه خرج من الاندلس فى سنة اثنتين واربعين واربعمائة بعد ان نالته بها وبالبحر محن شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى اليمن واتصل باميرها فحظى عنده وبعثه رسولا الى القائم بامر الله الخليفة ببغداد ونال هنالك دنيا عريضة وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين واربعمائة رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد الكلاعى) اخذ بقرطبة عن ابى المطرف القنازعى وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة ذم الحرص وقصر

جز ناصيته وجعلها فى حق من العاج وجعل دمه فى قارورة وجعل من تراب اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه فى طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انفذت الى الملك ناصيتى فليجزها بيده وبدمى فى قارورة فليرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأه بقدميه وليطفئ الملك غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه ❊ وأبرهة بن يكسوم هو الذى سار باصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابى رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال فى الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة ورجم قبره بعد ذلك وفى ذلك يقول جرير بن الخطفى فى الفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترجمون قبر أبى رغال

(قال المسعودى) رحمه الله وقيل ان أبا رغال رجمه صالح النبى صلى الله عليه وسلم على عهد ... ..

الاهل والحث على العمل وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولقيه هنالك أبو مروان الطبني فسمع منه بعض فوائده * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير) من أهل طرطوشة يعرف بالجبيري وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والنزاهة وعليه نزل القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية قال أبو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة فأنزله في بيته الذي كان يسكنه فكان اذا انفرغ نظر في كتب أبي فرعلى بيده كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

أوما على لا برحت ملعنا * يا ابن الخبيثة عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد * داني الولاء مقدم الاسلام

قال أبو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب أبي الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر في اختلافين من بلاد الافرنج اليها سنة ثلاثين وثلثمائة (ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطي) له رحلة روى فيها بالاسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق وحدث عنه أبو العباس بن عيسى الدالي بالتلقين للقاضي عبد الوهاب * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن خلون القنطري) من قنطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروية رحل حاجا فادى الفريضة ولقي بمكة رزين ابن معاوية الاندلسي فحمل عنه كتابه في تجريد الصحاح سنة خمس وخمسمائة وفيها حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابن خير في كتابه اليه من بطليوس في نحو الثلاثين وخمسمائة (ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسي) رحل حاجا الى المشرق وسمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلثمائة وأبا بكر ميسرة بن مسلم الصدفي حدث وأخذ عنه (ومنهم طاهر الاندلسي من أهل مالقة يكنى أبا الحسين) رحل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البرابر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة فلم يزل بمكة الى حدود الخمسين وأربعمائة وكان من أصحاب أبي عمر الطلمنكي وملازميه لقراءة القرآن وطلب العلم مع أبي محمد الشنتجالي وأبي أيوب الزاهد امام مسجد الكوائين بقرطبة وجاور بمكة طويلا وأقرأ على مقربة من باب الصفا وكان الشيبيون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ذكره الطبني قال ابن الابار وأحسبه المذكور في برنامج الحرلاني والذي قرأ لهم أكثر المدونة على أبي عمر أحمد بن محمد الزيات انتهى * (ومنهم أبو الطاهر الاندلسي من أهل لبلة) نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان رحمه الله تعالى نحويا له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتأديب بالنحو ثم ترك ذلك * (ومنهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش المنصفي المخزومي) والمنصفي نسبة الى قرية بغربي بلنسية ويكنى أيضا أبا الحسن رحل قبل العشرين وخمسمائة فادى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري ومن

الاموال فخالف أمره واساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم فقال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال

نحن قسي وقسا أبونا

وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي

هم نفوا عن أرضهم عدنان طرا
وكانوا للعقاب قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال
بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفي ذلك يقول عمرو بن دراك العبدي

فاني ان قطعت حبال قيس
وخالفت المرور على تميم
لأعظم من فجار أبي رغال
وأجور في الحكومة من سدوم

وقال مسكين الدارمي

وأرجم قبره في كل عام
كرجم الناس قبر أبي رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم في ذلك قال وفي طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهند نحو النضامية موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال وللعبادي خبر طريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان وفي كتاب حدائق

الشريف أبي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشقران أخذ عنه كتاب الاحياء للغزالي لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبي بكر الطرطوشي وأبي الحسن بن مشرف وأبي عبد الله الرازي وأبي طاهر السلفي وغيرهم ثم قفل الى بلاده فحدث وأخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا جليلا عالي الرواية ثقة قال ابن عباد لم ألق أفضل منه وكان مجاب الدعوة وحدث عنه بالسماع والاجازة جماعة منهم أبو الحسن بن هذيل وأبو محمد القلني وأبو مروان بن الصيقل وأبو العباس الاقليشي وأبو بكر بن حمر وابن سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي وأبو بكر ابن جزي وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره أبي العباس الاقليشي وأبي الوليد بن خيرة الحافظ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وقد نيف على السبعين فأقام بمكة مجاورا الى أن توفي بها عن سن عالية رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وخمسمائة: (ومنهم محمد بن ابراهيم ابن مزين الاودي) من أهل اكشونبة غربي الاندلس يكنى أبا نصر ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك في المحرم سنة سبعين ومائة وأقام أشهرا ثم استعفى فأعفاه ورحل حاجا فأدى الفريضة وسمع في رحلته امامنا مالك بن أنس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة وذكره ابن شعبان في الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه من قطع لسانه استؤني به عاما وأن مالكا قال لقد بلغني أن بالاندلس من نبت لسانه فان لم ينبت أقيد منه: (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد حياز الشاطبي الاوسي) قدم مصر وكان أخذ عن ابن برطله وابن البراء وغيرهما وعمل فهرست شيوخه على حروف المعجم وحج وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة حادي عشر رجب سنة ثماني عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وغفر له (ومنهم القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الاندلسي الاشبيلي) قال أبو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف ببني الباجي مشهور كثير العلماء والفضلاء وأصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضي أبو الوليد الباجي الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم أبو مروان حاجا من بلاده في البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده لاعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قدم الى الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويعرف بصاحب الوثائق وسمعا بها من جماعة من العلماء وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله هذا في المقتبس وكناه أبا عمر وذكر انه من كبار اشبيلية وأثنى عليه كثيرا وقال مات في حدود الاربعمائة وروى عنه ابن عبد البر وغيره وأبوه عبد الله بن محمد ابن علي يعرف بالرواية ذكره الحميدي أيضا وذكر ابن بشكوال في الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا الشيخ أبو مروان حسن الاخلاق فاضلا متواضعا خاشعا وسمعته يقول وقد سئل اعارة شيء فبادر اليه ثم قال عندي في قوله تعالى ويمنعون الماعون هو كل شيء استفدناه من هذا الشيخ فائدة جليلة وهي معاينة نعل سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى وعاينت بدلك المدالمد الدى لماىدمشق حينئذ

اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جوامع تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق ابن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الاذى وكانت أمه من آل ذي يزن وكان سيف بن ذي يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فأقام ببابه سبع سنين وأبى أن ينجده وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس في الديانة أن ننصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى أنوشروان فاستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وما

وهو الكيل الطبير فوجد مدنا يسع صاعين الا يسيرا ووجدته ممسوحا يسع صاعا ونصفا وشيأ فيكون مدان ممسوحان ثلاثة آصع زائدة وقرأت فى كتاب المحلى لابن حزم قال أبو محمد وخرج لى مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن على الباجى وهو عند أكثرهم لا يفارق داره أخرجه الى ثقتى الذى كلفته ذلك على بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن على المذكور وذكر انه مد أبيه وان جده أخذه وخرجه على مد أحمد بن خالد وأخبره أحمد بن خالد انه خرجه على مد يحيى بن يحيى على مد مالك قال أبو محمد ولا شك ان أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذى صححه بن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام قال أبو محمد ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة وكلته بالشعير الا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا وربع أوقية وسألت عن الرطل الفلفلى فقيل لى هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفى نقد ابن حزم نظر وتوفى هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام أبى شامة وبعضه بالمعنى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الاشبيلى ثم المصرى) فاضل شرح الصدور بلفظه ومتكلم أحيا القلوب بوعظه أحواله مشهورة ومجالسه بالذكر معمورة وله معرفة بالادب وخبرة بالشعر والخطب وكلام وجهه حسن ونظم بعث ازديه على كثير من أرباب اللسن قاله ابن حبيب الحلبى قال وهو القائل

من أنت محبوبه من دا يعيره * ومن صفوت له من دا يكدره
هيهات عنك ملاح الكون تشغلنى * والكل أعراض حسن أنت جوهره

وقال

اكشف البرقع عن بكر العقار * واجل لى ليلك مع شمس النهار
وانتهب العيش ودع مغلطا * ينقضى ما بين هتك واستتار
ان تكن شيخ خلاعات الصبا * فالبس الصبوة فى خلع العذار
وارض بالعار وقل قد آن لى * فى هوى خمار كاسى لبس عار

وقال

حثوا الى نجد نياق الهوى * فثم واد جوه معشب
وانتظروا حتى يلوح الحمى * فالعيش فيه طيب طيب

وتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبها حصل لى شك هل هو ممن ارتحل بنفسه من الاندلس أو ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله تعالى أعلم وكذا ذكر آخر يقول فى سنة سبع وثمانين وستمائة وبها توفى الامام زكى الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الاشبيلى المالكى محدث عالم زاهد فيما ليس بدائم كبير الخير جزيل المير كان حسن المناهج قاضيا للحوائج محسنا الى الصامت والمعرب منقطع المثل بردمن الحجاز والمغرب سمع بمصر ودمشق وحلب وأفتى ودرس مفيد الذوى الطلب ولم يبرح يعين بأياديه ويغيث وهو أول من باشر بظاهرية دمشق مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى * (ومنهم الاحق بالسبق والتقدم بقى بن مخلد

فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذى يزن فأتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى أنوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز الاصبهبذ الديلمى فى أهل السجون فقال ان نجوا فلنا وان هلكوا فلنا كلا الوجهين وحملوا فى السفن ومعهم حيوانهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا ايلة البصرة وهى برج البحر ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا الى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان أصاب بعضهم فى البحر هلاك هم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلموا انه الموت ولا وجه يولون الدبر اليه فيجهدون أنفسهم وفى ذلك يقول رجل من حضرموت أصبح من مثوب ألف فى الجبن من رهط ساسان ورهط مهرسن ليخرجوا السودان من أرض اليمن * ولهم بقصد السبيل ذو يزن

مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي الحافظ أحد الاعلام وصاحب التفسير والمسند) أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقى الكبار وسمع بالحجاز مصعبا الزهرى وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة وبدمشق ابراهيم بن هشام الغسانى وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحمانى ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبا بكر بن أبى شيبة وطائفة وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد وعنى بالاثر عناية عظيمة لامزيد عليها وعدد شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلا وكان اماما زاهدا صوّاما صادقا كثير التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتى بالاثر ولد فى رمضان سنة احدى ومائتين وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين قال ابن حزم أقطع انه لم يؤلف فى الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقى بن مخلد الاندلس بمصنف ابن أبى شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأى مافيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من العامة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير محمد واياهم وتصفح الكتاب جزأ جزأ حتى أتى على آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغنى خزانتنا عنه فانظر فى نسخه لنا وقال لبقى انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له قال ابن حزم مسند بقى روى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وله مصنف فى فتاوى الصحابة والتابعين ممن ذكرهم أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان جاريا فى مضمار البخارى ومسلم والنسائى وذكر القشيرى أن امرأة جاءته فقالت له ان ابنى قد أسرته الفرنج وانى لا أنام الليل من شوقى اليه ولى دويرة أريد أن أبيعها لافتكه بها فان رأيت أن تشير الى من يأخذها ويسعى فى فكاكه فليس لى ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرفى حتى ننظر فى ذلك ان شاء الله تعالى وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال كيف كان أمرك فقال انى كنت فيمن يخدم الملك ونحن فى القيود فبينما انا ذات يوم أمشى اذ سقط القيد من رجلى فأقبل على الموكل بى فشتمنى وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن سقط ولم أشعر فجاؤا بالحداد فاعاده وشد مسماره وأبده ثم قمت فسقط أيضا فسألوا رهبانهم فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها له فأطلقوه فأطلقونى وخفرونى الى أن وصلت الى بلاد الاسلام فسأله بقى عن الساعة التى سقط القيد من رجليه فيها فاذا هى الساعة التى دعا له فيها فرحمه الله تعالى. (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدى المعروف بالمغامى) من أهل قرطبة وأصله من طليطلة وهو من ذرية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وروى عن عبد الملك

فى شعر له طويل ونما خبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقونى هل الحبر واستشعروا الصبر ثم نادى ملكهم وقد نزل عن الفيل وركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السفن وقتالهم ووهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عينى مسروق ياقوتة حمراء معلقة فى تاجه بسلاسل من الذهب تضىء كالنار فرمى وهرز ورمى القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فاخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة واخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورؤس خواص الحبشة ورؤسائهم وقتل منهم نحو ثلاثين ألفا وقد كان انوشروان اشترط على معديكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفى ذلك يقول الشاعر

ابن حبيب مصنفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسى وعاد الى
الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا بصيرا بالعربية ثم بعد عوده من مصر أقام بقرطبة أعواما
ثم عاد الى مصر وأقام بها وسمع الناس منه وعظم أمره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب
وتوفى بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين وبين عصر الواضحة لابن حبيب وصنف شيأ فى
الرد على الشافعية فى عشرة أجزاء وألف كتاب فضائل مالك رضى الله تعالى عنه والذى
يرتضى أن من قلد اماما من المجتهدين لا ينبغى له أن يغض من قدر غيره وان كان ولابد من
الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الائمة رضى الله تعالى عنهم فانهم
على هدى من ربهم وقد حمل بعض الناس تحمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز فى
حق العلماء الذين هم نجوم الهدى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد حكى أبو عبد الله
الوادى آشى حسبما رأيته بخطه أن القاضى عبد الوهاب بن نصر البغدادى المالكى ألف
كتابا بالبصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب فى مائة جزء وسماه النصرة لمذهب امام دار
الهجرة فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه فى النيل فقضى الله تعالى
أن السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع
تيمورلنك عن البلاد فلم يستطع شيأ وهزم الى مصر وتفرقت العساكر وأخذ القضاة والعلماء
أسارى ومن جملتهم ذلك القاضى فبقى فى أسر تيمورلنك الى أن ارتحل عن الشام فأخذه معه
أسيرا الى أن وصل الى الفرات فغرق فيه أعنى القاضى فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب
تغريقه الكتاب المذكور والجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم وقد نجى الله تعالى
من هذه الورطة قاضى القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المالكى صاحب
كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى
السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين فى الهزيمة فلما أدخلوا على تيمورلنك
قال لهم ابن خلدون قدمونى للكلام تنجوا ان شاء الله تعالى والافأنتم أخبر فقدموه وعليه
زى المغاربة فلما رآه تيمورلنك قال له ما أنت من هذه البلاد وتكلم معه حليه ابن خلدون
بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتيمورلنك انى ألفت كتابا فى تاريخ العالم وحليته بذكرك
أو كما قال وقيل ان تيمورلنك هو الذى قال له بلغنى انك ألفت كتابا فى تاريخ العالم ثم قال
له تيمورلنك كيف ساغ لك أن تذكرنى فيه وتذكر بختنصر مع أنا خربنا العالم فقال له ابن خلدون
أفعال الملوك العظيمة ألحقتكما بالذكر مع ذوى المراتب الجسيمة أو نحو هذا من العبارات فأعجبه
ذلك وقيل انه لما أنس بابن خلدون قال له يا خوند ما أسفى الا على كتاب ألفته فى التاريخ
وأنفقت فيه أيام عمرى وقد تركته بمصر وان عمرى الماضى ذهب ضياعا حيث لم يكن فى
خدمتك وتحت ظل دولتك والآن أذهب فآتى بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت
فى خدمتك ونحو هذا من الكلام فاذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم ينج
من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عرب
شاه فى عجائب المقدور وقد طال عهدى به فليراجع وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ
حلب على الوجه المشهور فى كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته فى التعنت قبل

من الحدثة ألديه اياها
وزبه فى ملكه على اليمن
وكتب الى انوشروان
بالفتح وخلف هنالك جماعة
من اصحابه وكان جميع
ما ملكت الحبشة
اثنتين وسبعين سنة
وكان ملك مسروق بن ابرهة
الى ان قتل ثلاث سنين
وذلك خمس وار بعين
خلت من ملك انوشروان
واتت سيف بن ذى يزن الوفود
من العرب تهنئه بالملك
وباهم عبد المطلب وجد
امية بن ابى الصلت وقد
ذكرنا خبر عبد المطلب
ووفوده الى ابن ذى يزن
فى هذا الكتاب فيما
بعد وما قيل من الشعر فى
مسير الفرس الى اليمن
ونصرهم على الحبشة
قول بعض اولاد فارس
نحن خضنا البحار حتى
فككنا
حميرا من بلية السودان
بليوث من آل ساسان
شوس
يمنعون الحريم بالمران
وسيوف بواتر تتلالا
كسنى البرق فى ذرا
الابدان
وقتلنا مسروق اذ ناه لما
أن تداعت قبائل الحبشان

منا ومنكم جماعة فمن الذي في الجنة قتلانا أو قتلاكم وكان مراده ابراز سبب يقتلهم لانهم ان قالوا أحد الامرين هلكوا فقال بعض العلماء وأظنه ابن الشحنة دعوني أجبه والا هلكم فتركوه فقال له ياخوند هذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن أن يجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم يكن في زمانه أو كلاما هذا معناه فقال العالم المذكور روينا في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه من الذي في الجنة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الذي في الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم فعجب تيمورلنك من هذا الجواب المفحم وسكت وحق له أن يعجب منه فان هذه الاجوبة التي يعمل نظيرها وفيها الخلاص على كل حال بالانصاف ولم يوفق الله تعالى هذا العالم الا لجرأته حتى تخلص على يده أولئك الاقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل الله تعالى فتنته في الاسلام وفتنة جنكزخان وأولاده من أعظم الفتن التي وهي بها المسلمون وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمورلنك قال له دعني أقبل يدك فقال ولم فقال له لانها مفاتيح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة أقاليم وأصابع يده خمسة فلكل أصبع اقليم وهذا أيضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود في هذه الترجمة فلنصرف العنان والله سبحانه المستعان ۞ (ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله تعالى) قال الفتح شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله تعالى لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب ياسرا بالمعلى والرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء واسند وأبقى تلك المآثر وخلد تشأى بسنة كريمة وأرومة من الشرف غير مرومة لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم وأرباب مجد ضخم قد قيدت مآثرهم الكتب واطلعتهم التواريخ كالشهب وما زال الفقيه أبو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لا تضلعه بالادب الذي احكم اصوله وفروعه وعمر برهة من شبيبته ربوعه ورفض فيه تمرير الجراد المستولي على الاسد وجلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل الفرد وشاهد ذلك ما أثبته من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلا ويقوم على قوة العارضة دليلا فمن ذلك قوله يحذر من خطار الزمان وينبه على التحفظ من الانسان

كن بذئب صائد مستأنسا ۞ واذا ابصرت انسانا ففر
انما الانسان بحر ماله ۞ ساحل فاحذره اياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد ۞ ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله في الزهد

ايها المطرود من باب الرضا ۞ كم يراك الله تلهو معرضا
كم الى كم انت في جهل الصبا ۞ قد مضى عمر الصبا وانقرضا
قم اذا الليل دجت ظلمته ۞ واستلذ الجفن ان يغتمضا

وفي ذلك يقول [illegible] يمدح ابناء العجم ويذكر فضل الفرس على الاقوام لانه من قحطان

فكم لكم من يد يزكو الثناء بها ۞ ونعمة ذكرها باق على الزمن
ان تفعلوها فانا [illegible] نعمكم ۞ ولا نذكر ايادكم على اليمن

قام الملك انوشروان [illegible] الذل عن سيف بن ذي يزن اذ لم يكن الفرس داوه بالنصر والصعق عن [illegible] وعن [illegible] ابن ... والمنعم [illegible] ونحو [illegible] من فارس فيه بفضل الطول والمن (قال المسعودي) وا[illegible] معد يكرب ابن وفود من العرب [illegible] بعود الملك [illegible] وأشراف العرب وزعماؤها ووجوه عبد المطلب ابن هاشم [illegible] وجد [illegible] عبد [illegible] بن قصي وفد امية بن ابي الصلت الثقفي وقيل ابو الصلت [illegible] فدخلوا اليه وهو [illegible] قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان وهو متضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه وعن يساره الملوك وابناء

فضع الخد على الارض ونح * واقرع السن على ما قد مضى

وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعى فلا أجيب
كم أتمادى على ضلال * لا أرعوي لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب
وأسوأ كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت أدنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب
أبعدني منه سوء فعلي * وهكذا يبعد المريب
مالي قدر وأي قدر * لمن أحاطت به الذنوب

وله في هذا المعنى أيضا

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

وله في مثل ذلك

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي اذاً من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يوماً فما صمت

وله في المعنى الاول

جفوت أناساً كنت آلف وصلهم * وما في الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شيء أشفى للنفوس من الياس
فلا تعذلوني في انقباضي فانني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

وله يعاتب بعض اخوانه

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم تستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

وأما شعره الذي اتسدحه من مرح الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه بآداب الغزل وأوطاره فانه نسي الى ما تناساه وتركه حين كساه العلم والورع من ملابسهما كساه فما وقع من ذلك قوله

كيف السلو ولي حبيب هاجر * قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما دري أن الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا

يا من عهودي لا تراعى * اما على عهدك الوثيق
ان شئت أن تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعنى * يخبرك عن قلبي المشوق

انتهى كلام الفتح وأبو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية

صاحب

المقاول وتكلمت الخطباء وسمت الزعماء وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب ان الله جل جلاله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موضع وموطن فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي يخصب له وأنت أيها الملك ذروة العرب الذي له ينقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه أيها الملك نحن أهل الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي أبهجنا من كشف الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد الرزية فقال له الملك وأيهم أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معد يكرب بن سيف ابن أختنا قال نعم قال أدنوه مني فأدناه ثم أقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فأنتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة ما أقمتم

صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى الجميع قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه الشيخ الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقييد له نظم ونثر ولي قضاء المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة روى عن أبيه وأبوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما وألف كتابه الوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار وبرنامجا ضمنه مروياته وأسماء شيوخه حرر وأجاد ومن نظمه يندب عهد شبابه

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ريعانه وليالي العيش أسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تضمير شرتها * طرفا له في زمان اللهو احضار
عهدا كريما لبسنا فيه أردية * كانت عيانا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كوني سلاما وبردا فيه يا نار
أبعد أن نعمت نفسي وأصبح لي * ليل الشباب لصبح الشيب اسفار
وفارقتني الليالي فانثنت كسرا * عن ضيغم ماله ناب وأظفار
الا سلاح خلال أخلصت فلها * في منهل المجد ايراد واصدار
أصبو الى روض عيش روضه خضل * أو ينثني بي عن العلياء اقصار
اذا فعلت فلا كفي من شباك علم * آثاره في رياض العلم أزهار

مولده سنة احدى وثمانين وأربعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بلورقة قصد مورقة ليتولى قضاءها فصد عن دخولها وصرف منها الى لورقة فتوفي بها رحمه الله تعالى انتهى وقال الفتح في حقه ما نصه فتى العمر كهل العلاء حديث السن قديم السناء لبس الجلالة بردا ضافيا وورد ماء الاصالة صافيا وأوضح للفضل رسما عافيا وثنى من ذهنه للاغراض قنا وصعدا وجعل فهمه شهابا رصدا سما الى رتب الكهول صغيرا وشن كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فبذها معنى وفصلا وحواها فرعا وأصلا وله أدب يسيل رضراضا ويتخيل ألفاظا مبتدعة وأغراضا وقال فيه أيضا نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء فذ الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار كما رسا الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض وتبادر الظن به الى شرف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد بعيابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب في السؤدد جاهدا فتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله أثره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو منار وقد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا فمن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جبت فيها الجذع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
في لجة البحر أجوالا وأحوالا
حتى أتى ببني الاحرار يحملهم
تخالهم في سواد الليل أجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب وقد
أمسى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا
في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
ولمعديكرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن أخبره بها من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحبا جميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان فأغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودي) وأقام معديكرب بن سيف بن ذي يزن ملكا

والنجم حيران في بحر الدجى غرق * والبرق في طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجي بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم انتهى

المقصود منه وهو اعني ابا بكر احد مشايخ عياض حسبما المعتبه في ازهار الرياض

*(ومنهم شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح) بالحاء المهملة ابن احمد بن محمد الامام الحافظ الزاهد بقية السلف اللخمي الاشبيلي الشافعي أسره الافرنج سنة ست واربعين وستمائة وخلص وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعي وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصاري الحموي والمعين أحمد بن زين الدين واسمعيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علاق وبدمشق من ابن عبد الدائم وحلق وعني بالحديث واتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه وفهم معانيه وانتقى لبابه ومبانيه قال الصفدي وكان من كبار أئمة هذا الشان وممن يجري فيه وهو طلق اللسان هذا الى ما فيه من ديانة وورع وصيانة وكانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الاموي يلازمها ويحوم عليه من الطلاب حوائمها سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه وروى في تصانيفه عنه وعرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فاباها ولم يقبل حباها وكان يرى الصوفية ومعه فقاهة بالشافعية ولم يزل على حاله حتى أحزن الناس ابن فرح وتقدم الى الله وسرح وشيع الخلق جنازته وتولوا وضعه في القبر وحيازته وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة وله قصيدة غزلية في ألقاب الحديث سمعها منه الدمياطي واليونيني وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي وأبو محمد بن الوليد ومات بتربة أم الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هي

غرامي صحيح والرجا فيك معضل * وحزني ودمعي مطلق ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل أنه * ضعيف ومتروك وذلي أجمل
ولا حسن الاسماع حديثكم * مشافهة يملى علي فانقل
وأمري موقوف عليك وليس لي * على أحد الا عليك المعول
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لي * على رغم عذالي ترق وتعدل
وعذل عذولي منكر لا أسيغه * وزور وتدليس يرد ويهمل
أقضي زماني فيك متصل الاسى * ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا في أكفان هجرك مدرج * تكلفني مالا أطيق فأحمل
وأجريت دمعي بالدماء مدبجا * وما هو الا مهجتي تتحلل
فمتفق سهدي وجفني وعبرتي * ومفترق صبري وقلبي المبلبل
ومؤتلف شجوي ووجدي ولوعتي * ومختلف حظي وما منك آمل
خذ الوجد عني مسندا ومعنعنا * فغيري بموضوع الهوى يتحيل
وذي نبذ من مبهم الحب فاعتبر * وغامضه ان رمت شرحا أطول
عزيز بكم صب ذليل لغيركم * ومشهور أوصاف المحب التذلل

على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب في بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وسبعين سنة (قال المسعودي) وأما عبيد بن شرية الجرهمي حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه ذكر ان أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده الحرث ابن شداد بن ملطاط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ملك بعده افريقس ابن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل ابن عمرو وهو ذو الصرح سنة ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس ثم ملك بعده رحبعم بن

غريب يقاسي البعد عنك وماله * وحق الهوى عن داره متحول
فرفقا بمقطوع الوسائل ماله * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلا زلت في عز منيع ورفعة * ولا زلت تعلو بالتجني فأنزل
أورّي بسعدى والرباب وزينب * وأنت الذي تعني وأنت المؤمل
فخذ أولا من آخر ثم أولا * من النصف منه فهو فيه مكمل
ابرّ اذا أقسمت أني بحبه * اهيم وقلبي بالصبابة يشعل

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي انتهى كلام الصفدي وظاهر كلامه انه ابن فرح بفتح الراء والذي تلقيناه عن شيوخنا انه بسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهي وحدها دالة على تمكن الرجل رحمه الله تعالى * (ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الاصبغ الاموي الاندلسي) سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها وحدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده الى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله قد رأيت منك عجبا فقال نعم أنا صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد أبو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفي ببخارى سنة ٣٦٥ قال الحاكم أبو عبد الله رأيت أبا الاصبغ في المنام في بستان فيه خضرة وماء جارية وفرش كثيرة وكاني أقول انه له فقلت يا أبا الاصبغ بماذا وصلت اليه أبالحديث فقال اي والله وهل نجوت الا بالحديث قال ورأيته أيضا وهو في شئ يرى احسن ما يكون فقلت أنت أبو الاصبغ فقال نعم قلت ادع الله تعالى ان يجمعني واياك في الجنة فقال ان أمام الجنة أهوالا ثم رفع يديه وقال اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل انتهى * (ومنهم القاضي أبو البقاء خالد البلوي الاندلسي رحمه الله تعالى) وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد البلوي ووصفه الشاطبي بانه الشيخ الفقيه القاضي الاعدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة تاج المفرق في تحلية أهل المشرق ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما * حتى أشاع الناس أنك قاني
والله ان عاد الزمان بقربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفاني

وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد وقد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الحجازي رضي الله تعالى عنه ما نصه وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال مما وصى به الجد الأكبر أبو الحجاج يوسف المذكور يعني سيدي أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصري القطب الغوث رضي الله

الادعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل في تسميته ذا الادعار خبر تاباه العقول وتنكره النفوس كون مثله في العالم ويجوز كون ذلك في المقدور وانه انما سمي ذا الادعار لانه وصل الى قوم في اقاصي مفاوز اليمن وحضرموت مشوهي الخلقة عجيبي الصورة وجوههم في صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك ادعرهم ما شاهدوا من ذلك رجعت منه نفوسهم فسمي ذا الادعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته * ثم ملك بعده عمرو ابن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة ثم ملك بعده من ولده كليكرب ابن تبع وهو تبع أبو كرب أسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده كلال بن سويب أربعا وسبعين سنة ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ثم ملك بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ذو شناتر بن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة ثم ملك بعده حنيفة ويعرف بذي الشناتر أربعا وثمانين سنة * فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية

تعالى عنه وعادنا من بركاته وخواصه وأصدقائه قال اذا أدركتم الضرورة والفاقة فقولوا حسبي الله ربي الله يعلم انني في ضيق قال وذكر لي أيضا رضي الله تعالى عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بعد ان سأل الله تعالى ذلك وقد كان اصابته فاقة فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يارب يارحيم يارب الطف بي في قضائك ولا تول أمري أحدا سواك حتى التقالك فلما قالها اذهب الله تعالى عنه فاقته قال وكان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه وأحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضي خالدا المذكور الى انتحال كمال العماد في البرق الشامي لان خالدا أكثر في رحلته من الاسجاع التي للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب فيه

خليلي ان بعض اجتماع بخالد * فقولا له قولا وان تعدوا الحقا
سرقت العماد الاصبهاني برقه * وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

وأظن أن لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف عند ماجرى ذكر قنورية وقاضيها خالد المذكور ماصورته لم تخالف ولد عن والد وركب قاضيها ابن أبي خالد وقد شهرته النزعة الحجازية ولبس من خشن الحجازية وأرخى من البياض طيلسانا وتشبه بالمشارقة شكلا ولسانا والبداوة تسمه على الخرطوم وضبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم انتهى ومن نظم أبي البقاء خالد البلوي المذكور قوله

اتى العيد واعتاد الاحبة بعضهم * ببعض وأحباب المتيم قد بانوا
وضحى وقد ضحوا بقربانهم وما * لديه سوى جمر المدامع قربان

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة بمصلى تونس في عيد النحر من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ومن نظمه أيضا قوله رحمه الله تعالى

ومستنكر شيبي وماذهب الصبا * ولا جف ايناع الشبيبة من غصني
فقلت فراقي للاحبة مؤذن * بشيبي وان كنت ابن عشرين من سني

ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وفي الرحلة منها جملة (ومنهم برهان الدين أبو اسحق ابن الحاج ابراهيم النميري الغرناطي) وهو أيضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغني عن تكرير اسمه هنا وقال رحمه الله تعالى في رحلته أخبرني شيخنا يعني الشيخ الامام الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزري امام المالكية بالحرم الشريف رضي الله تعالى عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كما الشرني عن الناس خصوصا أذى الغيبة نحو خمسين ليلة أردت أن أدعو لطائفة من أصحابي بمطالب مختلفة كل بحسب ظني فيه يومئذ فادركتني حيرة في التمييز والتخصيص فالهمت أن قلت بديهة

شهدنا بتقصير ألبابنا * فحسن اختيارك أولى بنا
وأنت البصير باعدائنا * وأنت البصير باحبابنا

قال ثم اردفتها بدعاء وهو اللهم يامن لا يعلم خيره الا هو أنت أعلم باعدائنا وأودائنا فافعل بكل

في ترتيب ملوكهم ونبا من تواريخ سنيهم لنأتي على جميع ماقيل في ذلك من التنازع والله ولي التوفيق * ولما قتلت الحبشة معديكرب ابن سيف بن ذي يزن على حسب ما قدمنا في ترجمة تحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معديكرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من أرض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وأن لا يبقي على احد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان في نسبه فأتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان ثم ملك بعده خور زاد الشهر ثم ملك بعده ابن سيحان ثم ملك بعده المرزبان خرخسو وكان من أهل بيت مملكة فارس ثم ملك بعده خرخس وكان مولده باليمن ثم ملك بعده باذان بن ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن منهم

منهم ما يناسب حسن اختيارك لساحبيه اعلمنه مني وكفى بك عليما وكفى بك قديرا وكفى بك بصيرا وكفى بك لطيفا وكفى بك خبيرا وكفى بك نصيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا * وقال ابن الحاج المذكور في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف كهيعص حمعسق وليعقد بكل حرف منها اصبعا يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام يده اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم فليكررها وكلما كررها فتح اصبعا من اصابعه المعقوده تجاه العدو فيكررها عشر مرات ويفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك امن من شره ان شاء الله تعالى وهو مجرب انتهى ومن بديع نظم ابي اسحق بن الحاج النميري المذكور قوله

يارب كاس لم يسع شمولها * فاعجب لها جسما بغير مراح
لما رأينا السحر من أشكالها * جللا نسبناه الى الزجاج

وله فيما اظن

لهفى شفة اضاعوا الثغر فيها * بلثم حين سدت ثغر بدري
فما اشهى لعلي ما اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

وهو تضمين حسن * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق امام النحاة اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الاثري الغرناطي) قال ابن مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورة انتهت اليه رياسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت وانشدني الكثير واذا انشدني شيأ ولم اقيده استعدته مني فلم احفظهم وانشدني وكنت اظنه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرني احد اصحابنا عنه انه اخبره انهما لابي الحسن الجياني انشدهما له ببيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى

ان الذي يروي ولكنه * يحفظ ما يروي ولا يكتب
كصخرة تنبع امواجها * تسقي الاراضي وهي لا تشرب

قال ورويت عنه تآليفا ابن أبي الاحوص منها التبيان في أحكام القرآن والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه والوسامة في أحكام القسامة والمشرع السلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكرخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن ابي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن أبي حمد الدوسي عن ابي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي وبالموطأ عن ابي جعفر بن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العداة فانشدني لنفسه

عداتي لهم فضل علي ومنة * فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها * وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وأنشدني أيضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله

واسمه هينية بن أميمن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال وهينية الذي زادت قواه على زيد ان ادحان الزوال حين فاتماوى طريقا الى زيد ان عظ لا نسان ويقال انه هتيبه بن اميمن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار منهم آل ذي شعر وآل ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن الا السير منهم فانهم نزلوا دارها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر اسود
يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت فقالت لخير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي لفارس التجار
وقليلا ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مشيدها للبوار
من اسود يلقيهم البحر فيها

٣ قوله فلم احفظه هكذا بالاصل ولعله محرف والاصل حتى احفظه او لا احفظه او نحو ذلك تامل

عاقتــه سحى اللون فادحـه * ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقه * فكل عـين اليـه تدمن النظـرا

وأنشدني في جاهل لبس صوفا وزهي فيه

أيا كاسيا من جيد الصوف نفسه * ويا عاريا من كل فضـل ومن كيس
أتزهي بصوف وهو بالامس مدمج * على نعجـة واليوم أمسى عـلى تيس

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب بن مرزوق وأنشد الرحالة بن جابر الوادي آشي لابي حيان قوله

وقصر آمالي مآلي الى الردى * وأني وان طال المـدى سوف أهلك
فصنت بماء الوجـه نفسا أبية * وجادت يميني بالذي كنت أملك

ووقفت على أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي فوجدت فيه ترجمة أبي حيان واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد وهي الشيخ الامام العالم العـلامـة الفريد الكامل حجة العرب مالك أزمـة الادب أثير الدين أبو حيـان الاندلسي الجياني بالجيم والياء آخر الحروف مشـددة وبعد الالف نون كان أمير المؤمنين في النحو والشمس السافرة شتاء في اليوم الصحو والمتصرف في هـذا العلم فاليـه الاثبات والمحو لو عاصر أئمـة البصرة لبصرهم او أهل الكوفة لكف عنهـم اتبـاعهـم السواد وحذرهم نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد ان كان طريدا وأصبح به التسهيل بعـد تعقيده مفيدا وجعل سرحة شرحه جنـة راقت النواظر توريدا ملأ الزمان تصانيف وأمال عنق الايام بالتآليف تخرج به أئمة في هذا الفن وروق لهم في عصره منـه سلافة الدن فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير حبيب او عيسى بن عمر لاصبح من تقصـيره وهو محدب او الخليل لكان بعينه فداه او سيبويه لما تردى من مسئلة الزنبورية برداه او الكسائي لاعراه حلة جاهه عند الرشيد واناسه او الفراء لفرسه ولم يغنم ولدا المأمون تقـديم مداسه او اليزيدي لما ظهر نقده من مكامنه او الاخفش لاخفى جملة من محاسنه او أبو عبيدة لما تركه يتعصب لشعب الشعوبية او أبو عمرو لشـغله بتحقيق اسمه دون التعلق بعربية او السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا او المازني لما زانه قوله ان مصابكم رجـلا او قطرب لما دب في العربيـة ولا درج او ثعلب لاستكن بمكره في وكره ولما خرج او المبرد لاصبحت كواهه مقترة او الزجاج لانسبت قوارير ه مكسرة او ابن الوزان لعدم نقده او الثمانيني لما قاله وزنـده او ابن بابشاذ لعلم ان قياسه ما اطرد او ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد او ابن قتيبة لاضاع رحله او ابن السراج لمشى اذ رأى وحله او ابن الخشاب لاضرم فيـه نارا ولم يجد معه نورا او ابن الخباز لما سجر له تنورا او ابن القوّاس لما أغرق في نزعه او ابن يعيش لا وقعه في نزعه او ابن خروف لما وجـد له مرعى او ابن اياز لما وجـد لا وازه وقعـا او ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا او الدباج لكان من حلته الرائعـة عريا وعلى الجملة فكان امام النحاة في عصره شرقا وغربا وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا الشيخ اثير الدين حبر الانام

وهـذا خـبر عن مـلوك تداولوها اخبروا عن ملكهم قبـل كونه فقـداولتهـا

تشعل النار في أعالي الديار الملوك على حسب ما وصفنا وينتظر في المستقبل من الزمان من ذكرنا من وقود النيران في أعالي الديار وعند ما هل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الاحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن واحداث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى ثم جاء الاسلام فمصر بحمد الله وقد اتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم ومصافاتهم في البلاد وحروبهم وابنيتهم في سائر مصنفاتنا في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هـذا الكتاب وبلاد اليمن طويل عرضه حده ما يلي بلاد الوضع المعروف بجهة المشيع مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عدن وهو آخر عمل اليمن مراحل ومرحلة من عدن الى ستة والحد الثاني من حكم درجة الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون

مرحلة في ست عشرة مرحلة واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغـير ذلك مضافـة الى

فلا

فلا تقل زيد وعمرو فما * في النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الافانين ولم يزل على حاله الى أن دخل في خبر كان وتبدلت حركاته بالاسكان وتوفي رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه بالجامع الاموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر ومولده بمدينة مطخشارش في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وقلت أنا أرثيه رحمه الله تعالى

مات أثير الدين شيخ الورى * فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا * واعتل في الاسحار لما سرى
وصادحات الايك في نوحها * رثته في السجع على حرف را
يا عين جودي بالدموع التي * يروي بها ما ضمه من ثرى
واجري دما فالخطب في شأنه * قد اقتضى أكثر مما جرى
مات امام كان في فنه * يرى اماما والورى من ورا
أمسى منادى للبلى مفردا * فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هدى ظاهرا * فعاد في تربته مضمرا
وكان جمع الفضل في عصره * صح فلما أن قضى كسرا
وعرف الفضل به برهة * والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا * يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه * وبين من أعرفه في الورى
لا بدل عن نعته بالتقى * ففعله كان له مصدرا
لم يدغم في اللحد الا وقد * فك من الصبر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن * أمثلة النحو ومن نثرا
ما أعقد التسهيل من بعده * فكم له من عسرة يسرا
وجسر الناس على خوضه * اذ كان في النحو قد اسبحرا
من بعده قد حال تمييزه * وحظه قد رجع القهقرى
شارك من قد ساد في فنه * وكم له فن به استأثرا
دأب بني الآداب أن يغسلوا * بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه * والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده * يلحى الذي في ضبطها قصرا
تفسيره البحر المحيط الذي * يهدي الى وراده الجوهرا
فوائد من فضله جمة * عليه فيها نعقد الخنصرا
وكان ثبتا نقله حجة * مثل ضياء الصبح ان أسفرا
ورحلة في سنة المصطفى * أصدق من يسمع ان أخبرا

غيرهم وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم للحوقهم بالمين ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم)

ولما مات جذيمة الوضاح ... عليه الزباء بنت عمرو ابن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر وقد كان ملكها من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت دارها بالموضع المعروف بالمضيق بين بلاد خانقين وقرقيسيا وقد كانت الزباء ملكت بعد أبيها واتسعت مملكتها في ... الى أن ... وأقام جذيمة ما كان من ملوك الطوائف خمسا وسبعين سنة وفي ملك أردشير بابك وسابور الجنود ابن اردشير ثلاثا وعشرين سنة فكان ملكه مائة سنة وثمان عشرة سنة وكان يكنى بأبي مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو ... كاهل اليشكري

ان اذق حتفي فقبلي ذاقه * طسم وعاد وجديس ذو السبع
وابو مالك القتيل الذي * قتله بدء عمرو بأمر خدع

له الاسانيد التى قدعلت * فاستفلت عنها سوامى الذرا
ساوى بها الاحفاد اجدادهم * فاعجب لماض فاته من طرا
وشاعرا فى نظمه مفلقا * كم حرر اللفظ وكم حبرا
لها معان كلما خطها * نستر مارقم فى تسترا
أفديه من ماض لامر الردى * مستقبلا من ربه بالقرى
مامات فى أبيض أكفانه * الا وأضحى سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحة * كم تعبت فى كل ما سطرا
ان مات فالذكر له خالد * يحيابه من قبل أن ينشرا
جاد ثرى وافاه غيث اذا * مساه بالسقى له بكرا
وخصه من ربه رحمة * تورده فى حشره الكوثرا

وكان قد قرأ القرا آت على الخطيب أبى محمد عبد الحق بن على بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة افرادا وجمعا ثم على الخطيب الحافظ أبى جعفر احمد الغرناطى المعروف بالطباع بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ ابى على الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن ابى الاحوص بمالقة ثم انه قدم الاسكندرية وقرأ القرا آت على عبد النصير بن على بن يحيى المربوطى ثم قدم مصر فقرأ بها القرا آت على ابى الطاهر اسمعيل بن هبة الله المليجى وسمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية والاسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد فى طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم أر فى أشياخى أكثر اشتغالا منه لانى لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذكياء وعنده تعظيم لهم ونظم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها وأما النحو والصرف فهو امام الناس كلهم فيهما لم يذكر معه فى أقطار الارض غيره فى حياته وله اليد الطولى فى التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتفخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيده وحرره وسأله شيخنا الذهبى أسئلة فيما يتعلق بذلك وأجابه عنها وله التصانيف التى سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت وقرئت ودريت ونسخت وما فسخت أخملت كتب الاقدمين وألهت المقيمين بمصر والقادمين وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا فى حياته وهو الذى جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم فى قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء وكان التزم أن لا يقرئ أحدا الا ان كان فى كتاب سيبويه أو فى التسهيل لابن مالك أو فى تصانيفه ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيرا وأخذ عنه كتب الادب وكان شيخا حسن العمة مليح الوجه ظاهر اللون مشرب الحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ولم تكن كثة عبارته فصيحة بلغة الاندلس يعقد

وكان الملك قبل جذيمة اباه وهو اول من ملك الحيرة والله اعلم * وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن الغوث ابن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق بعد علي مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودارا لملكه واليه ينسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدى ابن اخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودى) وقد ذكر غير واحد ممن عنى باخبار العرب وايامها ان جذيمة اول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخى وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لى عن غلام من اياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسى والقيام على راسى لكان الراى قالوا الراى ما راى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من انت قال انا عدى بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه

القاف قريبا من الكاف على انه لا ينطق بها في القرآن الا فصيحة وسمعته يقول ما في هذه البلاد من يقدح في القاف وكانت له خصوصية بالامير سيف الدين أرغون كافل الممالك ينبسط معه ويبيت عنده في قلعة الجبل ولما توفيت ابنته منظار طلع الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقوقية وتعرض له في ذلك وكان أولا يرى رأى الظاهرية ثم انه تمذهب للشافعي رضي الله تعالى عنه بحث على الشيخ علم الدين العراقي المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج الا يسيرا وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير بحث عليه من الاشارة للباجي ومن المستصفى للغزالي وعلى الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقي وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهاني وعلى الشيخ علاء الدين الباجي وقرأ شيأ من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه شيأ من المنطق وقرأ شيأ من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي وقرأ عليه شيئا من الارشاد للعميدي في الخلاف ولكنه برع في النحو وانتهت اليه الرياسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم وكان أولا يعتقد في الشيخ شمس الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم انه انحرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال الفاضل كمال الدين الادفوي وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصبه للامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه التعصب المتين قال حكى لي انه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ان عليا رضي الله تعالى عنه عهد اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق أتراه ما صدق في هذا فقال صدق قال فقلت له فالذين سلوا السيوف في وجهه يقاتلونه أو يحبونه وغير ذلك قال وكان سيء الظن بالناس كانه فاذا نقل له عن أحد خبر لا يكيف به ويتنقى عنه حتى من هو عنده مجروح فيقع في دم من هو بالسنة العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير انتهى قلت أنا لم أسمع منه في حق أحد من الاحياء والاموات الاخيرا وما كنت أنقم عليه شيئا الا ما كان يلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على أني أنا ما سمعت في حقه شيئا نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما يا سيدي وكيف تعمل في الشيخ أبي مدين فقال هو رجل مسلم دين والا ماكان يطير في الهواء ولا صلى الصلوات الخمس في مكة كما تدعي فيه هؤلاء الاغمار وكان فيه رحمه الله تعالى خشوع يبكي اذا سمع القرآن ويجري دمعه عند سماع الاشعار الغزلية وقال كمال الدين المذكور وقال لي اذا قرأت اشعار العشق اميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما الاشعار الكرم ما تؤثر في انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لي اوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تحتاج الى السفل وانشدني من لفظه لنفسه

وجاؤك فلسا قد غدا في حيائلي * فتيصار رجاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله واضيعه * اذن كنت معدانا من البر بالسقم

قلت والذي اراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه وتعب حتى حصل المناصب تعبا كثيرا وكان قد جرب الناس وحلب اشطر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل

ازارته حاله فاعجب بها واقيم عليه فخبه ووده حتى اذا اخرج الملك ...

الخمر منه واخطبني منه فانه يزوجك فأشهد القوم ان وعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فانشهد عليه وانصرف الغلام اليها فانبأها فبات عرس با الملك ففعل فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الآثار ياعدي قال آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب على الارض ورفع عدي جراميزه وهرب واسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثيني رقاش لا تكذبيني
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فانت أهل لعبد
أم بدون فانت أهل لدون

فاجابته رقاش تقول

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والجنون

ونقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره واشتملت على حمل وولدت غلاما سمته عمرا ورشحته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته والبسته كسوة فاخرة ثم

الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفي الفقير في مصر اربعة أفلس يشتري له باثنته بفلسين وبفلس زبيبا وبفلس كوزماء ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز وكان يعيب على مشتري الكتب ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا اي كتاب اردته استعرته من خزائن الاوقاف واذا اردت من احد ان يعيرني دراهم ما اجد ذلك وانشدني له اجازة

ان الدراهم والنساء كلاهما * لاتأمنن عليهما انسانا
ينزعن ذا اللب المتين عن التقى * فترى اساءة فعله احسانا

وانشدني له من ابيات

أبى بشفيع ليس يمكن رده * دراهم بيض للجروح مراهم
تصير صعب الامر اهون ما يرى * وتقضي لبانات الفتى وهو نائم

ومن حزمه قوله عداني لهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار الفضلاء فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله

قد قلت لما ان سمعت مباحثا * في الذات قررها اجل مفيد
هذا ابو حيان قلت صدقتم * وبرزتم هذا هو التوحيدي

وكان قد جاء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده فكتب بالجص على مصراع الباب فلما راى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا أبو حيان غير مدافع * ملك النحاة فقلت بالاجماع
اسم الملوك على النقود وانني * شاهدت كنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليك أبا حيان أعملت أينقي * وملت الى حيث الركائب تلتقي
دعاني اليك الفضل فانقدت طائعا * ولبيت أحدوها بلفظي المصدق

ومدحه نجم الدين اسحق بن أبي التركي وسأله تكملة شرح التسهيل وأرسلها اليه من دمشق وأولها

تبدى فقلنا وجهه فلق الصبح * وكمله بالحسن فيه وبالنجح
ومهدت تسهيل الفوائد محسنا * فكن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن المليحي بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الادب الباهر * من ناظم يلفي ومن ناثر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة أولها

ضيف ألم بنا من أبرع الناس * لا ناقض عهد أيامي ولا ناسي
عار من الكبر والادناس ذو شرف * لكنه من سرابيل العلا كاسي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين اول الاولى

أتراه بعد هجران يصل * ويرى في ثوب وصل مبتذل
هو جار على أحلامنا * اذ تولاها بقد معتدل

وأول الثانية

اصابها عمرو خبأها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم وهو يقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فالتزمه جذيمة وحباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر وكف عنه اذ اقبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالح وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا واصلحت لهما طعاما فبينما هما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث اغبر الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلاب ومد يده فناولته القينة طعاما فاكل فلم يغن عنه شيئا فمد يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا طلب ذراعا فارسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابهما وأوكت زقها فقال عمرو بن عدي

عدلت الكاس عنا ام عمرو
وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

اعذروه فكريم من عذر * قربته ذات وجه كالقمر

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثير أبا حيان أحيانا * بنشره طي علم مات احيانا

ومدحه القاضي ناصر الدين بن شافع بقصيدة أولها

فضضت عن العذب النمير ختامها * ونحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت أملك من دهري جناحين * لطرت لكنه فيكم جني حيني

يا سادة نلت في مصر بهم شرفا * أرقى به شرفا ينأى عن العين

وان جرى لسماك وان ذكر لا * احلني فضلهم فوق السماكين

وليس غير أثير الدين آمله * فسادها شادلي حقا بلا مين

حبر ولو قلت ان البناء رتبتها * من قبل صدقك الاقوام في ذين

احيا علوما أمات الدهر أكثرها * مذ جلدت خلدت ما بين دفين

يا واحدا لعصر ما قولي بعتهم * ولا احاشي امرأ بين الفريقين

هذي العلوم بدت من سيبويه كما * قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنين

قدم لها واودي لو أكون فدى * لما ينالك في الايام من شين

يا سيبويه الورى في الدهر لا عجب * اذا الخليل غدا يفديك بالعين

يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمها واجرت الدموع دما وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها وارتب بها على السحائب واين دوام هذه من ديمها وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمها

فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى * ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الارض الحمائم وتسير تحت لوائه سير الرياح بين الغمائم وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ويتسنم تسنم هامات الربا اذا لبست من الربيع ملونات العمائم ويشهد الله على ما قد قلته والله سبحانه نعم الشهيد فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني وأنشدته يوما لنفسي

قلت للكاتب الذي ما اراه * قط الا ونقط الدمع شكله

ان تخط الدموع في الخط شيأ * ما يسمى فقال خط ابن مقله

وانشدني هو من لفظه لنفسه

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذ نوى من احب عني نقله

واجاد الخطوط في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وأنشدني في مليح نوتي

كلفت بنوتي كأن قوامه * اذا ينثني خوط من البان ناعم

مجاذفه في كل قلب مجاذب * وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي

ما لمالك هدية في نفس عنده ولا هر عليها أحرص من ابن أخته قد رده الله اليه فخرجا به حتى اذا وقفا على باب الملك بشراه به فصرفه الى أمه وقال لهما احكما تحكما فقالا احكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراشة الهذلي

ألم تعلمي ان قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

وان ام عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة وهو يسعون عليه في الحمام حتى اذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها فأمرته بزيارة خاله فلما راى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق واقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة امره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن

ان نونى مركب نحن فيه * هام فيه صب الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلوى لما * أن بدا ثغره وقد طاب ريحه

وأنشدته لنفسي أيضا

نوتينا حسنه بديع * وفيه بدر السماء مغرى
ما حل برا الا وقلنا * ياليت أنا نحل برا

فاعجبا رحمه الله تعالى وزهزهما وأنشدني هو لنفسه في ملاح احدب

تعشقته احدبا كيسا * يحاكى نحيبا حنين النعام
اذا كدت اسقط من فوقه * تعلقت من ظهره بالسنام

فانشدته لنفسي

واحدب رحت به مغرما * اذ لم تشاهد مثله عيني
لا غرو ان هام فؤادي به * وخصره ما بين دفين

وانشدني من لفظه لنفسه في اعمى

ما ضر حسن الذي اهواه أن سنى * كريمتيه بلا شين قد احتجبا
قد كانتا زهرتي روض وقد ذوتا * لكن حسنهما الفتان ماذهبا
كالسيف قد زال عنه صقله فعدا * انكى والم في قلب الذي ضربا

وانشدته لنفسي في ذلك

ورب اعمى وجهه روضة * تنزهى فيها كثير العيون
في خده ورد غنينا به * عن نرجس ساقتته العيون

وانشدته ايضا لنفسي في ذلك

فيا حسن اعمى لم يخف حد طرفه * محب غدا سكران فيه وماصحا
اذا ما دخلنا بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وكتبت اليه استدعاء وهو المسؤل من احسان سيدنا الامام العالم العلامة لسان العرب ترجمان الادب جامع الفضائل عمدة وسائل السائل حجة المقلدين زين المقلدين قطب المؤملين أفضل الآخرين وارث علوم الاولين صاحب اليد الطولى في كل مكان ضيق والتصانيف التي تأخذ بمجامع القلب فكل ذي لب اليها شيق والمباحث التي أثارت الادلة الراجحة من مكامن أماكنها وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها كشاف معضلات الاوائل سباق غايات قصر عن شأوها سحبان وائل فارع هضبات البلاغة في اجتلاء اجتلابها وهي في مرتقى مرقدها سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فوق مرقدها حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول اليها جبان وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمثهن انس قبله ولا جان وأبدع خمائل نظم ونثر لا تصل الى أفنان فنونها يد جان أثير الدين أبي حيان لا زال ميت العلم يحييه وهل عجيب ذلك من أبي حيان

حتى ينال بنوا العلوم مرامهم * ويحلهم دار المنى بامان

اجازة كاتب هذه الاحرف ما رواه فسح الله تعالى في مدته من المسانيد والمصنفات والسنن

كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهي اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد سكرت الفرات وجعلت من فوقه ابنية رومية وجعلته أنفاقا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود فخطبها جذيمة الابرش فكتبت اليه اني فاعلة ومثلك من يرغب فيه واذا شئت فاشخص الي وكانت بالخنفس عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فاشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فأمره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة أقبلت اليك والا لم تقع في حبالها فعصاه وأطاعهم حتى اذا كان ببقة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فامروه بالشخوص اليها فلما علموا من رأيه في ذلك وقال قصير تنصرف ودمك في وجهك فقال جذيمة ببقة قضى الامر فارسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير امر فارسلها مثلا وطعن جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي بمكان دون الحانوتة ونظر الى الكتائب دونها فهاله ما رأى فقال أي قصير ما الرأي فقال قصير اني

والمجاميع

والمجاميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها مما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع أو مناولة أو اجازة خاصة أو عامة كيفما تأدى ذلك اليه واجازة ماله ادام الله افادته من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والادبية وغيرها وماله من نظم ونثر اجازة خاصة وأن يثبت بخطه تصانيفه الى حين هذا التاريخ وأن يجيز اجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأى من يراه ويجوزه منعما متفضلا ان شاء الله تعالى (فكتب الجواب رحمه الله تعالى) أعزك الله ظننت بانسان جميلا فغاليت وأبديت من الاحسان جزيلا وما باليت ووصفت من هو القتام يظنه الناس سماء والسراب يحسبه الظمآن ماء يا ابن الكرم وأنت ابن من يشيم امع الروض النضير يرعى الهشيم أما أغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأما وتربة من بهما لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك ونارجت الاكوان من أريج نفحاتك ولانت اعرف من يقصد للدراية وانقد من يعتمد عليه من الرواية لكنك اردت ان تكسو من مطارفك وتتفضل من تالدك وطارفك وتجلو العاطل فى منصة النباهة وتنقذه من لكن الفهاهة فتشيد له ذكرا وتعلى له قدرا ولم يمكنه الا اسعافك فيما طلبت واجابتك فيما اليه ندبت فان المالك لا يعصى والمتفضل المحسن لا يقصى وقد أجزت لك أيدك الله تعالى جميع ما رويته عن أشياخى بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة او سماع او مناولة واجازة بمشافهة وكتابة ووجادة وجميع ما أجيز لى أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وأنشأته نظما ونثرا وجميع ما سألت فى هذا الاستدعاء من مروياتى الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر اسمعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله المصرى المليجى آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبى الجود والكتب الستة والموطأ ومسند عبد بن حميد ومسند الدارمى ومسند الشافعى ومسند الطيالسى والمعجم الكبير للطبرانى والمعجم الصغير له وسنن الدارقطنى وغير ذلك وأما الاجزاء فكثيرة جدا ومن كتب النحو والآداب فاروى بالقراءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجى وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبى والمعرى وأما شيوخى الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر الآن منهم جماعة فمنهم القاضى أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الاحوص القرشى والمقرى أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الانصارى واسحق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القوّاس البغدادى وصفى الدين الحسين ابن أبى منصور بن ظافر الخزرجى وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الازدى بن الدهان وقطب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن القسطلانى ورضى الدين محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى اللغوى ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذانى ومكى بن محمد بن أبى القاسم بن حامد

تركت الرأى بثقة فقال عند ذلك أشر على فقال ان لقيتك الكتائب فحيتك بتحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة وان هم أخذوا بجنبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق يعنى فرسا كانت تحت معه فاستقبله القوم فأحاطوا به فلم يركب العصا وركبها قصير فركبها وجمل وابتلى والتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فقال جذيمة ما ضل من تجرى به العصا فادخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كعثبها (أى عانتها) وقد ضفرت شعرها وقالت يا جذيمة أى متاع عروس ترى قال أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ما أناس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من ذهب فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة فى غير طست طلب بدمه فقالت أى جذيم لا تضيعن من دمك شيأ فانى انما بعثت اليك لانه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم

المغيث * من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والخبل

الاصبهانى الصفار ومحمد بن عمر بن محمد بن على السعدى الضرير بن الفارص وزين الدين أبو بكر محمد بن اسمعيل بن عبد الله الانماطى ومحمد بن ابراهيم بن ترحم بن حازم المازنى ومحمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارمى بن الحليلى ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الانصارى بن الخيمى ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسى عرف بابن التين وعبد الله ابن محمد بن هرون بن عبد العزيز الطائى القرطبى وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان ابن فتيان بن كامل الحزمى وعبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن فارس التميمى وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى المصرى السكرى وعبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصيقل الحرانى وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل الغيالى الصالحى الكنانى وعبد المعطى بن عبد الكريم ابن أبى المكارم بن منجى الخزرجى وعلى بن صالح بن أبى على بن يحيى بن اسمعيل الحسينى البهنسى المجاور وغازى بن أبى الفضل بن عبد الوهاب الحلاوى والفضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجى ويوسف بن اسحق بن أبى بكر الطبرى المكى واليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر القشيرى ومؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى وشامية بنت الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد التيمية وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى وممن كتبت عنه من مشاهير الادباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن على بن الفرج المالقى بن المرحل وأبو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصارى القرطاجنى وأبو عبد الله بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلى التطيلى وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقى وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجليانى العكى المالقى وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصارى الجزار وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولوا القرشى وأبو حفص عمر بن محمد بن أبى على الحسن المصرى الوراق وأبو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن ياسين الكومى التلمسانى وأبو العباس أحمد بن أبى الفتح نصر الله بن باتكين القاهرى وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن حماد بن محسن الصنهاجى البوصيرى وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم الغرزى * وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشنى الابذى وأبو الحسن على بن محمد بن على بن يوسف الكتامى بن الضائع وأبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفى وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن على بن يوسف الفهرى اللبلى وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبى بن النحاس وممن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن على بن خالص الانصارى الاشبيلى الزاهد وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهرى الشنتمرى وجملة الذين سمعت منهم نحو من اربعمائة شخص وخمسين وأما الذين أجازونى فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام وأما ما صنفته فمن ذلك البحر المحيط فى تفسير القرآن العظيم اتحاف الاديب بما فى القرآن من الغريب كتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار شرحا لكتاب سيبويه كتاب التجريد لاحكام سيبويه كتاب التذييل والتكميل

أضاعه أهله وفى ذلك يقول

واستصفت دمه وجعلته فى برنية وقال بعضهم دخل عليها جذيمة فى قصرها ليس فيه الا الجوارى وهى على سرير فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فاجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هى قد عقدت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بظرا فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس ثم أمرت برواهشه فقطعت وجعلت دمه يشخب فى النطع كراهة أن يفسد مجلسها وقيل حذيمة لا تحزنك دم أراقه أهله ومضى قصير وورد الخبر على عمرو بن عبد الجن التنوخى بالحيرة واشتغل بذلك فقال له قصير اطلب بثار ابن عمك والا سبتك العرب فلم يحفل بذلك أن عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدى فقال له هل لك الى أن أصرف الجنود اليك على أن تطلب ثار خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه ومناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى هو والتنوخى فلما حاذوا الفتى بايعه التنوخى وتم الامر لعمرو بن عدى فقال له قصير انظر ما وعدتنى به

فى

فى شرح التسهيل كتاب التذييل المخلص من شرح التسهيل كتاب التذكرة كتاب المبدع فى التصريف كتاب الموفور كتاب التقريب كتاب التدريب كتاب غاية الاحسان كتاب النكت الحسان كتاب الشذا فى مسألة كذا كتاب الفضل فى أحكام الفصل كتاب اللمحة كتاب الشذرة كتاب الارتضاء فى الفرق بين الضاد والظاء كتاب عقد اللآلى كتاب نكت الامالى كتاب النافع فى قراءة نافع الاثير فى قراءة ابن كثير المورد الغمر فى قراءة أبى عمرو الروض الباسم فى قراءة عاصم المزن الهامر فى قراءة ابن عامر الرمزة فى قراءة حمزة تقريب النائى فى قراءة الكسائى غاية المطلوب فى قراءة يعقوب قصيدة النير الجلى فى قراءة زيد بن على الوهاج فى اختصار المنهاج الانور الاجلى فى اختصار المحلى الحلل الحالية فى أسانيد القرآن العالية كتاب الاعلام بأركان الاسلام نثر الزهر ونظم الزهر نظر الحسى فى جواب أسئلة الذهبى فهرست مسموعاتى نوافث السحر فى دمائث الشعر تحفة الندس فى نحاة الاندلس الابيات الوافية فى علم القافية جزء فى الحديث مشيخة ابن أبى المنصور كتاب الادراك للسان الاتراك زهو الملك فى نحو الترك نفحة المسك فى سيرة الترك كتاب الافعال فى لسان الترك منطق الخرس فى لسان الفرس ومما لم يكمل تصنيفه كتاب مسلك الرشد فى تجريد مسائل نهاية ابن رشد كتاب منهج السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك نهاية الاعراب فى علمى التصريف والاعراب مجانى الهصر فى آداب وتواريخ لاهل العصر خلاصة التبيان فى علمى البديع والبيان نور الغبش فى لسان الحبش المخبور فى لسان اليحمور قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن على ابن يوسف بن حيان وأنشدنى الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه فى صفات الحروف

اناها ولمستطيل أعنى * كلما اشتد صار للنفس رخوه
أهمس القول وهو يجهر سبى * واذا ما انخفضت أطبق علوه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا * بصفير والقلب قلقل شدوه
لان دهرا ثم انثنى ذا انحراف * وفشا السر مذ تكرر نخوه

وأنشدنى أيضا لنفسه

يقول لى العذول ولم أطعه * سل عن بعد اللعب لحيه
تخيل أنها شانت حبيبى * وعندى أنها زين وحليه

وأنشدنى لنفسه أيضا

شوقى لذاك المحيا الزاهر الزاهى * شوق شديد وجسمى الواهن الواهى
أسهرت طرفى وولهت الفؤاد هوى * فالطرف والقلب منى الساهر الساهى
نهيت قلبى ونهى أن أبوح بما * يلقاه واشوقه للساهب الناهى
بهرت كل مليح بالبهاء فما * فى البشر من شبهه الباهر الباهى
لهجت بالحب لما أن لهوت به * عن كل شئ فوا الله الاهج اللاهى

وأنشدنى من لفظه لنفسه

فانى جادع أنفى وادنى وقتال لقتلها جهدى فأدنى وخلاك ذم فقال له عمرو وأنت أبصر وقد فرغت لى معونتك جدع أنفه فقيل لأمر ما جدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت فقال أنا قصير لا ورب الناس ما كان على وجه الارض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك منى حتى جدع عمرو أنفى وأذنى وعرفت انى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فقالت أى قصير نقبل ذلك منك ونصرفك فى بضاعتنا فأعطته مالا للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فاستخرج منه بأمر عمرو بن عدى وانصرف به اليها فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك وزادته مالا الى ما جاء به وقال انه ليس من ملك الا وهم يتخذون فى مدائنهم انفاقا تكون لهم عدة فاتخذت لها أنفاقا قد فعلت ذلك فاتخذت سربا وبنته من تحت سريرها حتى أخرجته من تحت الفرات الى سرير أختها داخله وقرح بذلك قصير ثم ظعن حتى أتى عمرا فركب عمرو فى ألفى رجل على الف بعير فى الغرائر

حتى صار اليها فقدم قصير وسبق الابعرة فقال لها اصعدى حائط مدينتك وانظرى الى مالك وتقدمى الى بوابك لا يعرض

راض حبيى عارض قد بدا * ياحسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبى سلا * والاصل لا يعتد بالعارض

وأنشدنى من لفظه لنفسه

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخا العقل يدرى ما يراد من الهوى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الورى قسمان فى شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
ألا اننى لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا * فاحببت ان أبقى بابيضهم وحدى

وانشدنى من لفظه لنفسه

الا ان الحاظا بقلبى عوابثا * أظن بها هاروت أصبح نافثا
اذا رام ذو وجد سلوا معنه * وكن على دين التصابى بواعثا
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقا * وأسرعن للبلوى بمن كان رائثا
بروحى رشا من آل خاقان راحل * وان كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا فى الحسن للفضل ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وأنشدنى لنفسه ومن خطه نقلت

أسحر لتلك العين فى القلب أم وخز * ولين لذاك الجسم فى اللمس أم خز
وأملود ذاك القد أم أسمر غدا * له أبدا فى قلب عاشقه هز
وقاه كساها الحسن أفخر حله * فصار عليها من محاسنها طرز
وأهدى اليها الغصن لين قوامه * فماس كأن الغصن خامره العز
يضوع أديم الارض من نشر طيبها * ويخضر من آثارها تربه الجرز
وتختال فى برد الشباب اذا مضت * فينهضها قد ويقعدها عجز
أصابت فؤاد الصب منها بنظرة * فلا رقية تجدى المصاب ولا حرز

وأنشدنى اجازة فى مليح أبرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذى قد صرت طوع جماله * ونفسك لاقت فى هواه نزاعها
به وضح ياباه نفس أولى النهى * وأفظع داء ما ينافى طباعها
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه * ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت * محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدنى من لفظه لنفسه فى خام

وعلقته مسود عين ووفرة * وثوب يعانى صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم فى وجناته * لماخة مسك فى جنى من الورد

وأنشدنى اجازة ومن خطه نقلت

سال البدر هل تبدى أخوه * قلت يابدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو وأنت يابدر باد * أو بدران يطلعان جميعا

وانشدنى

شى من اموالنا وفى قد جئت
فلما نظرت الى ثقل مشى
الجمال قالت
ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا
ودخلت الابل المدينة
حتى اذا بقى آخرها جملا
بين صبر البواب بطعن
بمخصره كانت فى يده خاصرة
رجل ضرط فقال البواب
بشتا بشتا بالنبطية اى فى
الجوالق شر وثار الرجال
من الجوالق ضربا باسيافهم
وخرجت الزباء هاربة الى
سربها فابصرت قصيرا عند
نفقها مصلتا سيفه
فانصرفت راجعة ولقاها
عمرو بن عدى فضربها وقال
بعضهم مصت خاتمها
وكان فيه سم ساعة وقالت
بيدى لا بيد عمرو وخربت
المدينة وسبيت الذرارى
فقالت الشعراء فى امرها
وامر قصير فاكثرت فى ذلك
قول المتلمس
ومن طلب الاوتار ما حز
انفه
قصير ورام الموت بالسيف
بيهس
نعامة لما صرع القوم
رهطه
تبين فى اثوابه كيف يلبس
ومن ذلك قول عدى بن
زيد التميمى يصف ذلك من امرهم الا انا ها الملك المرجى * الم تسمع بخطب الاولينا
بعال صامت وكانت قد امنته فلم تكن تخافه وصعدت وفعلت ما امرها

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني

عاذلي في الاهيف الآنس * لو رآه الآن قد عذرا
رشا قد زانه الحور
غصن من فوقه قمر
فمن سحبه الشعر
ثغره فيه أم درر
حال بين الدر واللعس * خمره من ذاقها سكرا
ردفه بالردف أم كسل
ريقه بالثغر أم عسل
ورده بالخد أم خجل
كحل بالعين أم كحل
يا لها من أعين نعس * جلبت للناظري سهرا
مذناى عن مقلتي سنى
ما أذاقالدة الوسن
طال ما ألقاه من شجن
عجبا ضدان في بدن
بفؤادي جذوة القبس * وبعيني الماء منفجرا
قد أتاني الله بالفرج
اذ دنا مني أبو الفرج
فرد دخل في المهج
كيف لا يخشى من الوهج
غيره لو صابه نفسي * طمعه من حره شررا
نصب العينين لي شركا
فانثني والقلب قد ملكا
قمرا أضحى له ملكا
قال لي يوما وقد ضحكا
أنحى من أرض اندلس * نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي

قمر يجلو دجى الغلس * بهر الابصار مذ ظهرا
أمن من شنعة الكاف
ذبت من حبيه بالكاف
لم يزل يسعى الى تلفى
بركاب الدل والصلف

وكان يقول لو وقع اليقين لخطيئته التي غدرت وخانت وهي ذوات عائلة الحيا مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا الا ضفرت شعر اسها من حلمه ثم تقاعست وتعلقه حتى ملك ذلك مارد حصن دومة الجندل والابلق حصن تيماء الفرد حصين منيعين عالت عن دمار دوعر الابلق وهما الحصنان اللذان يذكرهما العرب في أشعارها فقال الاعشى في ذلك
بالابلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدار
وجده لوضح الذي يقول فيه
ماست موده الحديث وغيد منهم وغائر
أين اه أحور دور عين لنا وأحوى دو أباعر
والملك كان لذي نوا س حوله من ذي يحاير
بالسابغات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر
أرماس تملاق وغيرهم منهم وباد وحاضر
واعاسمي جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص

فكني به اعظاما له (قال المسعودي) هذا بدو جبر بن عدي وقد قدمنا انه ذمامة كانت سنه

آه لولا أعين الحرس * نلت منه الوصل مقتدرا
يا أميرا جار مذ وليا
كيف لا ترثى لمن بليا
فبثغر منك قد جليا
قد حلا طعما وقد حليا
وبما أوتيت من كيس * جدفا أبقيت مصطبرا
بدر تم فى الجمال سنى
وله ذا القبوه سنى
دسبانى لذة الوسن
عجبا باهر حسن
هو خشفى وهو مفترسى * فاروعن أعجوبتى خبرا
لك خد يا أبا الفرج
زين بالتوريد والضرج
وحديث عاطر الارج
كم سبى قلبا بلا حرج
لو رآك الغصن لم يمس * أو رآك البدر لاستترا
يا مذيبا مهجتى كمدا
فقت فى الحسن البدور مدى
يا كحيلا كحله اعتمدا
عجبا أن تبرى الرمدا
وبسقم الناظر بن كسى * جفنك السحار وانكسرا
وأنشدنى من لفظه لنفسه ايضا
ان كان ليل داج * وخاننا الاصباح * فنورها الوهاج * يغنى عن المصباح
سلافة تبدو * كالكوكب الازهر
مزاجها شهد * وعرفها عنبر
وحبذا الورد * منها وان اسكر
ذاتى بها قد هاج * فما ارانى صاح * عن ذلك المنهاج * وعن هوى يا صاح
وبى رشا أهيف * قد جم فى بعدى
بدر فلا يخسف * منه سنى الخد
بلحظه المرهف * يسطو على الاسد
كسطوة الحجاج * فى الباس والسفاح * فما ترى من ناج * من لحظه السفاح
غال بالمسك * قلب رشا أحور
منعم المسك * ذى مبسم أعطر

العرب خمسا وعشرين سنة وكانت امه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهجانة بنت سلول من مراد ويقال من اياد وملك المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق وكردس الكرادس خمسا وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الهيجانة من آل بكر وملك المنذر بن الاسود ابن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت امه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن أفصى بن دعمى بن خويلد بن أسد بن ربيعة ابن نزار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها ثم ملك بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه اخت عمرو بن قابوس من آل نصر ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية ابن معديكرب وملك النعمان بن المنذر وهو الذى يقال له أبيت اللعن اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة

ريّاه كالمسك * وريقه كوثر

غصن على رجراج * طاعت له الارواح * فحبذا الاراج * ان هبت الارواح

مهلا أبا القاسم * على ابى حيان

ما ان له عاصم * من لحظك الفتان

وهجرك الدائم * قد طال بالهيمان

فدمعه أمواج * وسره قد باح * لكنه ما عاج * ولا أطاع اللاح

يارب ذى بهتان * يعذل فى الراح

وفى هوى غزلان * دافعت بالراح

وقلت لا سلوان * عن ذاك بالالاح

سبج الوجوه والتاج * هى منية الافراح * فاختر لى يا زجاج * فعال وزوج اقداح

وأنشدنى من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التى نظمها فى مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها

هو العلم لا كالعلم شئ تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهى قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت وحكى لى أن الشيخ أثير الدين رحمه الله تعالى ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين بن دانيال فأنشدهم الشيخ رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة اخبركم ان الشيخ قد عوفى ومابقى عليه باس لانه لم يبق عنده فضلة قوموا باسم الله وأنشدنى من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدته السينية التى أولها

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه * كوحى كتاب أضعف الخط دارسه انتهى

نص الصفدى وماذكره رحمه الله تعالى فى موضع ولادة أبى حيان غير مخالف لما ذكره فى الوافى انه ولد بغرناطة الا ان قوله بمدينة مطخشارش فيه نظر لانه يقتضى انها مدينة وليس كذلك وانما هى موضع بغرناطة ولذا قال الرعينى ان مولد أبى حيان بمطخشارش من غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح فى المراد وصاحب البيت ادرى بالذى فيه على انه يمكن ان يرد كلام الصفدى لذلك والله تعالى اعلم وذكر فى الوافى انه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والاقراء بالجامع الاقمر قال الصفدى وقال لى لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريرية بمصر جماعة انتهى وما وقع فى كلام كثير من أهل المغرب ان اباحيان توفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر لان اهل المشرق أعرف بذلك اذ توفى عندهم وقد تقدم انه توفى سنة خمس وار بعين وسبعمائة فعلى كلام اهل المشرق فى هذا المعول والله اعلم وكانت نضار بنت ابى حيان حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالى على بعض الشيوخ وحدثت بشئ من مروياتها وحضرت على الدمياطى وسمعت على جماعة وهى بضم النون وتخفيف الضاد وأجازها من المغرب أبو جعفر ابن الزبير وحفظت مقدمة فى النحو ولما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه النضار فى المسلاة عن نضار وكان والدها يثنى عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ قال الصفدى

الملق بقبله الافئدة وهو جذل للرحيق فان تلج تلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت قال له الحاجب ماتفى عنا تى بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ماطلبت رهبة التعدى قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد بن جعفر الكلابى نديمه فقال النابغة هل لك الى ان تؤدى الى خالد عنى ما اقول لك قال وماهو قال تقول ان من يدرك وفاء الدرك بك وتاديتى من الشكر ماقد علمت فلما صار خالد الى بعض ما بعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك التئام حادث النعيم قال وماذاك فاخبره الخبر وكان خالد رفيقا بالى الاشياء بلطف وحسن بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

الا ملك أو من أنت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد

واللات لكانى انظر الى ذى رعين وقد مدت لهم تضبان المجد الى معالم أحسابكم ومناقب أنسابكم فى حلبة أنت أبيت اللعن غرتها فجئت سابقا امهملا وجاؤا لم يلم لهم سعى قال النعمان لانت فى وصفك أبلغ احسانا من النابغة فى نظام قافيته فقال خالد ما أبلغ فيك حسنا

قال لي ولدها انها خرجت جزأ لنفسها وانها تعرب جيدا وأظنه قال لي انها تنظم الشعر وكن تقول دائما ليت أخاها حيان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ في حياة والدها فوجد عليها وجدا عظيما ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقوقية ولازمه سنة ومولدها في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدي وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا بالعين على نضار * فسيل الدمع في الخدين جاري

فيالله جارية تولت * فنبكيها بأدمعنا الجواري انتهى

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعد الرعيني الاندلسي في برنامجه عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما ملخصه ان أبا حيان قال سمعت بغرناطة وما لقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان وبينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة ثم فصل من لقيه في كل بلد الى أن قال وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر الى أن قال فهذه نبذة من شيوخي وجملة من سمعت منهم نحو خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف وعدد كتب القراآت التي أخذتها سبعة عشر كتابا وقال في حق المليحي انه أعلى شيوخي في القراآت وأن آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذري اللخمي واجازته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البخاري على جماعة أقدمهم اسنادا فيه أبو العز الحراني قرأته عليه بلفظي الا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في سورة النور فسمعته بقراءة غيري قال أنبأنا به أبو المعالي أحمد بن يحيى بن عبيد الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ستمائة ببغداد أنبأنا أبو الوقت بسنده وكمل له رحمه الله تعالى جامع الترمذي بين قراءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترحم أنبأنا ابن البناء أنبأنا الكروخي بسنده وقرأ السنن لابي داود بغرناطة على أبي زيد عبد الرحمن الربعي عرف بالتونسي أنبأنا به سهل بن مالك وقرأه بالقاهرة على أبي الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي بدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب أنبأنا أبو عمر الهاشمي أنبأنا اللؤلؤي أنبأنا أبو داود وقرأ الموطأ على أبي جعفر ابن الطباع عن أبي القاسم بن بقي عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند يوجد عن يونس بن مغيث في عصره وسمع أبو حيان الاجزاء الخلعيات والغيلانيات والقطيعيات والنهروانيات والمحامليات والثقفيات وسداسيات الرازي بعلو وقرأها على صفي الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبي الطاهر اسمعيل بن ياسين الجيلي وهو آخر من حدث عنه عن أبي عبد الله الرازي سماعا وقرأ جزء الانصاري على أبي بكر بن الانماطي بسماعه حضورا في الرابعة على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز سنة ٥٣٢ أنبأنا ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب سنة ٤٤٥ أنبأنا عبد الله بن ابراهيم بن ماسي أنبأنا أبو مسلم الكشي البصري أنبأنا محمد بن عبد الله

الانصاري

الا وهو دون قدرك استخفافا للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضرا لقال وقلنا فأمر النعمان بادخاله فخرج الحاجب وقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحياه بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائد العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك أكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أخلاق مجدك جلت مالها خطر * في الجود والبأس بين العلم والخبر

متوج بالمعالي فوق مفرقه * وفي الوغى ضيغم في صورة القمر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشى فوه جوهرا ثم قال بمثل هذا فلتمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدي بن زيد التميمي وكان يكتب لكسرى ابرويز ترجمانا وفد عليه زعماء العرب لموجدة وجدها على النعمان في خبر طويل الشرح ولما قتل صار زيد بن عدي مكان أبيه فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب

الانصارى وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحو فى مصر والشام بقراءته على علم الدين أبى محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بقراءته على التاج أبى اليمن الكندى أنبانا أبو محمد عبد الله بن على بن أحمد البغدادى مؤلف كتاب المبهج أنبانا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس أنبانا أبو القاسم عبد الواحد ابن على بن عمر بن برهان الاسدى أنبانا القاسم على بن عبيد الله الرقيى أنبانا على بن عيسى بن عبد الله الرمانى أنبانا أبو بكر بن السراج أنبانا أبو العباس المبرد أنبانا أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى قالا أنبانا أبو الحسن الاخفش أنبانا سيبويه قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيرى ورويته عن الاساتيذ أبوى على بن الضائع وابن أبى الاحوص وأبى جعفر اللبلى عن أبى على الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب ووقع لابى حيان تساعيات كثيرة وأغرب ما وقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمدانى بقراءته عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى قراءة عليه وهو يسمع قالا أنبانا أبو الفخر اسعد بن سعيد بن روح فى كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية أنبانا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبى الاصبهانى أنبانا الحافظ أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطر اللخمى الطبرانى أنبانا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة ٢٧٤ أنبانا أبو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن اتيته فقلت

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * مشتت شملها فى دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تدارکهم نعماء تنشرها * يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يزينك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما انت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله قال أبو القاسم الطبرانى لا يروى عن زهير الا بهذا الاسناد وتفرد به عبيد الله بن رماحس وبالاسناد الى

الى النعمان يامره أن يبعث اليه باخته فلما اقرأ النعمان كتابه قال للرسول وهو زيد بن عدى يا زيد أما لكسرى فى مها السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات فقال زيد انما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهره ولو علم ان ذلك يشق عليك لما فعله وسأحسن ذلك عنده واعذرك بما يقبله فقال النعمان وافعل فقد تعرف ما على العرب فى تزويج العجم من الغضاضة والشناعة فادى اليه قوله فى مها السواد على اقبح الوجوه واوجده عليه وقال ما المها فقال البقر فاخذ عليه وقال رب عبد قد صار فى الطغيان الى اكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طيئ لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بنى رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبى سلمى

الم تر للنعمان كان بنجوة * من الدهر لو ان امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة * من الدهر يوم واحدا كان غاويا * فلم ار مسلوبا له مثل ملكه * اقل صديقا معطيا ومواسيا

الطبرى فى أنساب ... عمر بن محمد بن عبد الكريم بن فروخ بن دبرج بن بلال بن سعد بن بلال بن ... الانصارى الدمشقى قال حدثنى جدى لامى عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدنى قال أرانى أنس بن مالك الوضوء ثم أخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح برأسه وأخذ ماء جديدا لصماخيه فقلت له ... أنزل فقال يا غلام هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك فقلت قد كفانى ... قال فهكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ قال الطبرانى لم يروه عمر بن أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالاسناد الى الطبرانى حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص المصرى أنبأنا بشار بن عبد الله مولى أنس بن مالك حدثنى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآنى وآمن بى ومن رأى من رآنى وآمن بى ومن رأى من رأى من رآنى ثم قال الرعينى وتصانيف أبى حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير ثم قال الرعينى وخرج أبو حيان من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد شيخه أبى الحسن الدباج

رضيت كفافى رتبة ومعيشة * فلست أسامى موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويلة * فلا بد يوما أن سيعثر فيها

وأنشد باسناده لموسى بن أبى تليد

حالى مع الدهر فى تقلبه * كطائر ضم رجله شرك
وهمه فى خلاص مهجته * يروم تخليصها فتشتبك

ثم أورد الرعينى جملة من نظم أبى حيان منها قوله

أريد من الدنيا ثلاثا وإنها * لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة * وإكثار أعمال عليها أواظب

وقوله

أرحت روحى من الايناس بالناس * لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت فى البيت وحدى لا أرى أحدا * بنات فكرى وكتبى هن جلاسى

وقوله

وزهدنى فى جمع المال أنه * اذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوما أراح من العنا * ولم يكتسب حمدا ولم يدخر أجرا

وقوله

يظن الغمر أن الكتب تجدى * أخا ذهن لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بأن فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى * تصير أضل من توما الحكيم

وله لغز فى قبراط زاعما أنه لا يفك

وما اسم خماسى اذا ما فككته * يصير لنا فعلين أمرا وماضيا

... زاهدهم ... وأثنى عليهم ووديعهم نوديع أن لا ... وأرسل النعمان حتى أتى المدائن ... فأذن له كسرى ثم ... آلاف جارية ... النعمان ... منها ... قدم النعمان ... بغير ما ... وبنيه وزيد بن عدى وقتل له النعمان ... فعلت هذا بى لئن ... لا سقينك ... ايك ... فقال له زيد ... لا يدعها المهر لا رن ... كسرى النعمان فحبس ... بساباط المدائن ثم ... رمى تحت أرجل الفيلة وقال بعضهم بل مات فى محبسه بساباط وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثرت ... من ذلك قول الاعشى ... ولا الملك النعمان يوما ... يعطيه ... يعطى النعمان ... ويجبى اليه السالمون ... جريعون فى أنهارها والخورنق

بعكس وهو كل وجزء وجمعه ٭ بابدال عين حارفيه الا اهيا
ومع كونه فرداوجمعافأوّل * وآخره أضحى لشخص معاديا
وفى عكسه صوت فتثنيه صيغة ٭ وبنى بمعناه وماأنت ناسيا
فكم فيه من معنى خفى وانما * عنيت بذكرى للذى ليس خافيا

ثم قال الرعينى وهو شيخ فاضل مارأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباص جيد الكلام حسن الالقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان ... فاخرة له وجه مستدير وقامته معتدلة التعدير ليس بالطويل ولا بالقصير انتهى ما اختصره من كلام الرعينى* ولما قدم الاستاذ ابوحيان الى مصر أوصى أهله بقوله ينبغى للعاقل أن يعامل كل أحد فى الظاهر معاملة الصديق وفى الباطن معاملة العدوّ فى التحفظ منه والتحرز وليكن فى التحرز من صديقه أشد فى التحرز من عدوه وأن يعتقد أن احسان شخص الى آخر وتودده اليه اعا هو لغرض قام له فيه يتعلق به بعينه على ذلك لا لذات ذلك الشخص وينبغى أن يترك الانسان الكلام فى ستة أشياء فى ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفى التعرض لما جرى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وفى التعرض أيضا لائمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وفى الطعن على صالحى الامة نفع الله بهم وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس فى مباحثهم وادراكاتهم فان ذلك على حسب عقولهم وأن يصط نفسه عن المراء والاستهزاء والاستخفاف بأبناء زمانه وأن لا يبحث الامع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يتعصب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك مايدركه وأن يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد وأن لا يعدم على تخطئة أحد بادى الرأى وأن يترك الخوض فى علوم الاوائل وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أحوالهم وينبغى للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر وأن لا يتكبر على أحد وأن يقل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه وأن يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لامعصية لله تعالى فيه لاجرم مروءة وأن يأخذ نفسه باجتناب ماهو قبيح عند الجمهور وأن لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى وأن لا يعرض بذكر أهله ولا يجرى ذكرهم بحضرة جليسه وأن لا يطلع أحدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن للفظ وجميل التغاضى وأن لا يركن الى أحد الا الى الله تعالى وأن يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى أعلم انتهت وصية أبى حيان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبى الطيب بن علوان التونسى المالكى الشهير بالمصرى وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبى حيان رحمه الله تعالى قلت وفى هذه الوصية من نهيه عن الطعن فى صالحى الامة نفع الله تعالى بهم وأمره بالتسليم لاحوالهم وعدم الانكار عليهم علم أن مانقله الصفدى عنه فيما تقدم من قوله ان الشيخ أبامدين الى آخره كلام فيه نظر لان

[Margin column:]
وقال هانى بن مسعود الشيبانى
ابدا التاج لا ازال اضحى فى الورى راسه تحوته الفيول
ان كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقته ام الحبول
... النعمان ... ولا ... حرفاء وا ... ان ... من ... طاوى نواحيه
(وقد كان النعمان) ... ار النعمان الى كسرى مستسلما مر على قوم ... فاودعهم ... واهله ... هانى بن مسعود ... النعمان كسرى على النعمان بعث الى هانى بن مسعود ... يطالبه بتركته فامتنع ... ان ... الدماء ... ذلك ... اهل ... ذلك فيما ... الكتاب فانهن من اعانه ... ههنا ... بنت النعمان بن المنذر ... خرجت الى ... لما ... فيها بالحر ... معنى بالحرو ... تم ... الى ...

أباه ان رضي الله تعالى عنه لا ينكر كرامات الاولياء كيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا فمن ذلك ما حكي عنه تلميذه الرعيني بسنده الى الفقيه المقرى الصالح أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي حدث انه زار قبر أبي الحسن بن جالوت ولم يكن زاره قبل فاشتبه عليه فتركه فسمع النداء من قبر معين يا غالب أتمشي وما تزورني فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن أبي الحسن المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذي قعدت عنده وغالب هذا وابن جالوت هما من أصحاب الشيخ أبي احمد بن سيد بونة الخزاعي وهو من اصحاب الشيخ ابي مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيان كرامات الصالحين وهو ينهى عن الطعن فيهم ويحكي كراماتهم نعم قول الصفدي قبل ذلك الكلام انه كان ينكر على فقراء الوقت كلام صحيح في الجملة لكثرة الدعاوى الباطلة ممن ليس من اهل الصلاح واما انكار الكرامات مطلقا فمقام ابي حيان يجل عن ذلك والله تعالى اعلم وقد اورد ابن جماعة له من قطعة قوله في اهل عصره

ومن يك يدعي منهم صلاحا * فزنديق تغلغل في الضلال

واول هذه القطعة

حلبت الدهر اشطره زمانا * واغناني العيان عن السؤال
فما بصرت من خل وفي * ولا الفيت مشكور الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدت * لرائيها باشكال الرجال
ومن يك يدعي منهم صلاحا * فزنديق تغلغل في الضلال
ترى الجهال تتبعه وترضى * مشاركة بأهل أو عيال
فينهب ماله ويصيب منهم * نساءهم بقبح الفعال
ويأخذ حاله زورا فيرمي * عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس * تقرمط في العقيدة والمقال

اى اعتقدوا راى القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل به فظهر بما ذكر ان ابا حيان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله تعالى أعلم وقد اورد قاضي القضاة بن جماعة للشيخ ابي حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره قوله

امانه لولا ثلاث احبها * تمنيت أني لا اعد من الاحيا
فمنها رجائي ان افوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أتترك نصا للرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد العيا

وقوله

سال في الخد للحبيب عذار * وهو لا شك سائل مرحوم
وسألت التثامه فتجنى * فأنا اليوم سائل محروم

وقوله

أمدعيا

الفرس وقتل رستم قالت والمتقطعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيكن خرقاء قالت ها أناذه قال أنت خرقاء قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنتقل أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم انشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدي ابن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

قال فبينما هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوارا لابيها في الجاهلية

أمدعيا علما ولست بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتزعم أن الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذى تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

وقوله عداتى البيتين قال وأخذ هذا المعنى من قول الطغرائى

من خص بالود الصحاب فانى * أحبو بخالص ودى الاعداء
جعلوا التنافس فى المعالى ديدنى * حتى وطئت بأخمصى الجوزاء
ونعوا الى مثالبى فحذرتها * ونفيت عن أخلاقى الاقذاء
ولربما انتفع الفتى بعدوه * كالسم أحيانا يكون دواء

ومن نظم أبى حيان

يا من غدى الطرف فى ميدان لذنه * وماضى الطرف بين الراح والرود
تشرب الروح راح الوقت كارهة * ويذهب الجسم بين الترب فى الدود

وله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمورد العذب فى معارضة قصيدة كعب وقصيدة فى مدح الامام الشافعى مطلعها * غذيت بعلم النحو اذ در لى ثديا * وله رحمه الله تعالى من قصيدة فى مدح أم ولده حيان

جننت بها سوداء لون وناظر * ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن * فؤادى منها فى جحيم ولأواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا * فأعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعنة من قدها بمثقف * أبدت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه فما درى * أبا لقد منها أم بذى صعدة سمراء

ثم غير البيت الاول وأنشد

جننت بها سوداء شعر وناظر * وسمراء لون تزدرى كل بيضاء

وقال يهنى قال ابن جماعة حاطبى به ارتجالا عند ولادة ابنى عمر بعد بنتين

حبيت بر بحانتى روضة * و بعدهما جاء نجل اغر
وسميته باسم امام اذا * رآه ابو مرة منه فر
ولا عجب منك عبد العزيز * اذا كان نجلك سمى عمر
تفرعتما من امام الهدى * وبدر الدجى و رئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى * ولازلتما تقفوان الاثر

وقال

لقد زادنى بالناس علما تجاربى * ومن جرب الايام مثلى تعلما
وانى وتطلابى من الناس راحة * لكالمبتغى وسط الجحيم تنعما
سأزهد حتى لا أرى لى صاحبا * وأجهد حتى لا ألاقى منهما

قال ابن جماعة وقال فى املاك على بن قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وكان جميل الصورة على أختى شقيقتى فاطمة

شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فأكرمها عمرو وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حى أحيك بتحية ملوك كان بعضهم لبعض لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده ولقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فأظهره الله وأذل الكافرين فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرش على حسب ما قدمنا آنفا فى صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه تسع سنين وثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد

هي أبيات اليف غريب نظامه * لقد حار في أوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة * تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول وللرضا * علي ونجلا الا كرمين الغطارف
فدام علي عالي الجد سيدا * ولا زال في ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغب زيارته

أعين حياتي والذي ببقائه * بقائي لقد أصبحت نحوك شيقا
اهن بلقياي غير أن لقائي * برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان ظني أنك الدهر تاركي * ولو أنني اصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى في العيان ولم تكن * لتدرك الا بالتزاور واللقا

وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد اعيد الى منصب القضاء وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذوو العلم في الدنيا نجوم زواهر * وانت فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا لحت أخفى نوركم كل نير * الم تر أن النجم يخفى مع الشمس

وقال

لم أؤخر عمن أحب كتابي * لقلى فيه أو لترك هواه
غير أني اذا كتبت كتابا * غاب الدمع مقلتي فمحاه

وقال

تذكري للبلى في قعر مظلمة * اصارني زاهدا في المال والرتب
أني أسر بمال سوف أسلبها * عما قريب وأبقى رمة الترب

وقال

أتيت وما ادعى وأقبلت سامعا * فوائد مولى سيد ماجد ندب
وأحضر جمعا انت فيه جماله * أشنف سمعي منك بالّلؤلؤ الرطب

وقال

لنا غرام شديد في هوى السود * نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به أشرقت أبصارنا وحكى * في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شئ أحسن من آس تركبه * في آبنوس ولا أشفى لمبرود
لانهوي بيضاء لون الجص واسم الى * سوداء حسناء لون الاعين السود
في جيدها غيد في قدها ميد * في خدها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبي بنار جوى * من هجرها وابتلت عيني بتسهيد

وقال في عكسه

اذا مال الفتى للسود يوما * فلا رأي لديه ولا رشاد
أنهوى خنفساء كأن زفتا * كسا جلدها وهو السواد
وما السوداء الا قدر فرن * وكانون وفحم أو مداد

كان كذلك قبل عمرو بن وعشرين ملكا من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وسبيل ان عمران الحيرة وبدؤه الى أن خربت في وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودي) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان بها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعي الخراب اليها واقفرت في هذا الوقت ليس بها الا الصدى والبوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث في المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وأن هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودي) ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها في كتابنا أخبار الزمان

وفيما بعد من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته

وما البيضاء الا الشمس لاحت * تنير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد * يلذ السهد معها والرقاد
وبين البيض والسودان فرق * لدى عقل به انفسح المراد
وجوه المؤمنين لها ابيضاض * ووجه الكافرين به اسوداد

وقال رحمه الله تعالى

أعاذل ذرني وانفرادي عن الورى * فلست أرى فيهم صديقا مصافيا
نداماي كتب أستفيد علومها * أحباي تغني عن لقائي الاعاديا
وآنسها القرآن فهو الذي به * نجاتي اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت في غرب البلاد وشرقها * أنقب عمن كان لله داعيا
فلم أر الا طالبا لرياسة * وجماع أموال وشيخا مرائيا
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة * عن الناس واستغنيت بالله كافيا

قال العز بن جماعة وخاطب والدي وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته مهنئا له

أدام الاله لك العافيه * وصير دور العدا عافيه
اذا لاح من بدركم نوره * فكل النجوم به خافيه
تجددت كلام الاله الدوا * فآياته كانت الشافيه
تشوف ناس لمنصبكم * ورتبتهم للعلا نافيه
فاين العلوم وأين الحلوم * وخلق موارده صافيه
هم عصبة لا تنال العلا * ولو أنها قد سعت حافيه
اذا كان خرق تداركته * ولست لما مزقت رافيه
فان عن خطب ثبت له * وآراؤهم عنده هافيه
سجاياك لين ورفق بنا * واخلاقهم كلها جافيه
تصلي على سبعة منهم * وثامنهم نفسه طافيه
يقيمون في تربهم همدا * وتسفي على قبرهم سافيه
فلا زلت في صحة دائما * تجر ذيول السنى ضافيه
ويورثك الله عمر الحياة * فتحيا بها مائة وافيه
فان زاد عشرا فذاك المنى * وعشرون أيضا هي الكافيه
وهذي القوافي أتت كلها * فلم تبق لي بعدها قافيه

وقال رحمه الله تعالى أيضا

خلق الانسان في كبد * بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه * غير عضو ضر للابد
منتج ذلا وفقد غنى * وفراخا جة العدد
من يمت منهم يذقه أسى * او يعش ألفاه في نكد
عاش في أمن فتى عزب * مستريح الفكر والجسد

(ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك)

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرقوا في البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحواري بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا من ذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع في قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تأبى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل في نسب قضاعة واتصالها بغيرهم ما ذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ وتنصرت فملكتها الروم على العرب الذين بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة

وقال رحمه الله تعالى أيضا

جن غيري بعارض فترجى * أهله أن يفيق عما قريب
وفؤادي بعارضين مصاب * فهو داء أعيا دواء الطبيب

وقال

سعت حية من شعره نحو صدغه * وما انفصلت من خده ان ذا عجب
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه * برود ولكن شب في قلبي اللهب

وقال

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد خطوبا تسلي عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بها كم فتتت كبد
عزل ونهب وضرب بالسياط وحبـ * ـس ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
واذ وقيت بحمد الله شرتهم * فلتحمد الله في العقبى كمن حمدوا

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري وكتابه الصحيح

أسامع أخبار الرسول لك البشرى * لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الاخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر * تود الغواني لو تقلده النحرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة * فحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته أكابر * اذا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة * عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاري الامام لجامع * بجامعه منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع * أضاء به شمسا وناربه بدرا
وبحر علوم يلفظ الدر لا الحصا * فأنفس بها درا وأعظم به بحرا
تصانيفه نور ونور لناظر * فقد أشرقت زهرا وقد أينعت زهرا
محاسنة المختار ينظم شتها * يلخصها جمعا ويخلصها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا * فجازلها بحرا وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا يمانيا * وطورا حجازيا وطورا أتى مصرا
الى أن حوى منها الصحيح صحيحه * فوافى كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتاب له من شرع أحمد شرعة * مطهرة تعلو السماكين والنسرا

قلت وتتصل روايتي عن الامام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي ولي الله العارف به شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي عن عالم الدنيا أبي عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق عن الأثير أبي حيان بكل مروياته فمنها أن أبا حيان قال حدثنا ابن أبي الاحوص عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي

عمرو بن عامر بن سبأ فسارت غسان الى الشام من ولد مازن وذلك أن الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفي ذلك) يقول حسان بن ثابت الانصاري

اما سألت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم في البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشام من العرب وملكها الروم على العرب فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الازد بن الغوث ثم ملك بعده الحرث ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ابن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو وذكرانها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة

ابن

ابن مخلد بن يزيد القرطبى عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن ابيه عن ابيه الامام بقى بن مخلد عن أبى بكر المقدمى عن عمر بن على وعبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين احدهما يدعون الله ويدعون اليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر اما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم افضل واما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وانما بعثت معلما ثم جلس معهم قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمعت فيه رواية الابناء عن الآباء بعدد ما اجتمع فى هذا الا ما اخبرنا به ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن منة قراءة عليه انبانا ابو المعالى الابرموى انبانا ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسى انبانا ابو المبارك عبد العزيز ابن محمد بن منصور الشيرازى انبانا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى قال سمعت ابى ابا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت ابى ابا الحسن عبد العزيز يقول سمعت ابى ابا بكر الحرث يقول سمعت ابى اسدا يقول سمعت ابى الليث يقول سمعت ابى سليمان يقول سمعت ابى ابا الاسود يقول سمعت أبى سفيان يقول سمعت ابى يزيد يقول سمعت ابى اكينة يقول سمعت ابى الهيثم يقول سمعت ابى عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة انتهى قلت قال الحافظ بن حجر فى فوائده ما اجتمع حديث فيه من عدد الآباء اكثر من هذا انتهى ورايت بخط الحفاظ على قول ابى اكينة ما صورته صوابه اكينة انتهى فليحرر ومنها ان اباحيان قال انبانا الاستاذ ابو جعفر الزبير صاحب الصلة انبانا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد الازدى انبانا ابا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال ابو حيان وانبانا الاصولى ابو الحسين بن القاضى ابى عامر بن ربيع الاشعرى عن ابى الحسن احمد بن على الغافقى قال انبانا عياض ح وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابى ركانة عن القاضى ابى القاسم احمد بن عبد الودود بن سمعون بن عبد الله بن عطية قال هو وعياض انبانا القاضى ابو بكر بن العربى انبانا ابو محمد هبة الله الاكفانى انبانا الحافظ عبد العزيز الكتانى الدمشقى انبانا ابو عصمة نوح بن الفرغانى قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن قث الخزرجى وابا بكر محمد بن عيسى البخارى قالا سمعنا ابا در عمار بن محمد بن مخلد التميمى يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخارى يقول لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن يزيد الهمدانى عن قضاء الرى ورد بخارى سنة ٢١٨ لتجديد مودة كانت بينه وبين أبى الفضل البلعمى فنزل فى جوارنا فحملنى معلمى أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم الختلى اليه فقال له أسألك أن تحدث هذا الصبى ما سمعته من مشايخك فقال مالى سماع فقال وكيف وأنت فقيه فما هذا قال لانى لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى لى طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمعيل البخارى ببخارى صاحب التاريخ والمنظور اليه فى علم الحديث وأعلمته مرادى وسألته الاقبال على ذلك فقال لى يا بنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقادير فقلت عرفنى رحمك الله

وهى الذى ذكرتها الشعراء فى أشعارها وتنسب جماعة من ملوك غسان اليها وملك بعده النعمان بن الحرث ابن ثعلبة بن جبلة بن جفنة ابن عمرو ثم ملك بعده عوف بن أبى شمر وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة ابن مازن وهو غسان بن الازد ابن غوث وهو الملك الذى امتدحه حسان بن ثابت الانصارى حيث يقول فى شعر طويل أشهرها من ملك بالشام الى الروم فخر كل يمان (وفيه يقول أيضا) لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك والصمان من قريات من ثلاثين عدت ... المنصور الدوانى قد دنا الفصح والولائد ينظمن سراعا أكلة المرجان ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر ... وحقا تصرف الازمان صلوات المسيح فى ذلك الدير دعاء القسيس والرهبان وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق وأعمالها بين الجولان واليرموك (وذكر) عدة من الاخبار بين أن حسان بن ثابت الانصارى زار الحرث بن أبى شمر الغسانى وكان النعمان بن المنذر

تعالى حدود ما قصدتك له ومقادير ما سألتك عنه فقال لي اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كاربع مثل اربع في اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا باربع مع اربع فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلي باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله تعالى في الدنيا باربع واثابه في الآخرة باربع قلت له فسر لي رحمك الله تعالى ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للاجر الواف فقال نعم اما الاربع التي تحتاج الى كتبها فهي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة رضي الله تعالى عنهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطب والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحجار والاخزاف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن أنه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتاليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الاشياء الا باربع هي من كسب العبد اعني معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشياء كلها هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلي باربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله جل وعلا في الدنيا باربع بعز القناعة وبهيبة النفس وبلذة العلم وبحياة الابد واثابه في الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقي من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في اعلى عليين في الجنة فقد اعلمتك يا بني بمجملات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له او دع فهالني قوله فسكت متفكرا واطرقت متأدبا فلما رأى ذلك مني قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه وانت في بيتك فارسا كن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث في الآخرة ولا عزه باقل من عز المحدث فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى أن صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما أمكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لهذا الصبي يا أبا ابراهيم فقال له ابو ابراهيم ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك انتهى وجاء أبو حيان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقي الدين لاح لنا * داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر

اللخمي يساميه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان علي فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولامك أشرف من أبيه ولابوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغمر من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان واهله من لخم فكيف أفضله عليك واعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع الا في شعر فقال
نبئت أن ابا منذر
ساميك للحدث الاصغر
قفاك أحسن من وجهه
وامك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها
كيمنى يديه على المعسر
(وكانت ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق واعمالها ومنهم من بن الاردن من ارض الشام وجبلة بن الايهم هو الذي اسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود من اللطمة وخبره واضح مشهور قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر اخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما ممن ملك

حبر

حبر تسربل منه دهره حبرا * بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا * مقام سيد تيم إذ عصت مضر
فأظهر الحق إذ آثاره درست * وأخمد الشر إذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها * أنت الإمام الذي قد كان ينتظر

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك أسباب منها أنه قال له يوما كذا قال سيبويه فقال يكذب سيبويه فانحرف عنه رحمهما الله تعالى أجمعين وحضر الشيخ أبو حيان مع ابن بنت الأعز في الروضة فكتب إلى أبي حيان ووجهه مع بعض غلمانه

حييت أثير الدين شيخ الأدبا * أقصى له حقا كما قد وجبا
حييت وفي بطاق آس نضر * كالقد إذا ما انثنت منه طربا

قال فأنشدته

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس * أقضى القضاة حليف الجود والباس
لما رأى سقمي أهداه معترشا * حلو التثني فكان الشافي الآسي

ولما أنشد الشيخ أبو حيان قول نور الدين القصري في روضة مصر

ذات وجهين فيهما قسم الحسن فأضحت بها القلوب تهيم
ذا إلى مصر فهو مصر وهذا * يتولى وسيم فهو وسيم
قد أعادت عصر التصابي صباها * وأبادت فيها الغموم الغيوم

زاد فيها بيتا وهو

فبلج البحار يسبحون * وبعج القفار يسعى رسيم

قال أبو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن الخاص فعبر علينا صبي يدعى شهرته ... وكان مصارعا فقال البهاء لينظم كل منا فيه ثم قال

مصارع تصرع الآساد شهرته * تيها كل مليح دونه سمج
لما غدا راجلا في الحسن قلت لهم * عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

فنظمت أنا

سباني جمال من مليح مصارع * عليه دليل للملاحة واضح
لئن عز منه المثل فالكل دونه * وإن خف منه الخصر فالردف راجح

وسمع الغزازي نظمنا فقال وأنشدنيه

هل حكم ينصفني في هوى * مصارع يصرع أسد الشرى
مذ نزع الصبر في حبه * حكى عليه مدمعي ماجرى
أباح قتلي في الهوى عامدا * وقال كم لي عاشق في الورى
رميته في أسر حبي ومن * أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال لسان الدين في الإحاطة كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الإدراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية إمام النحاة في زمانه غير مدافع

الشام ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الغساني إلى الإسلام ورغبه في الإيمان

وندا ماتعلى حبره وما كان من اسلامه واخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتب اخبار الزمان فيما بعد (وفيه) يقول النابغة

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث الاصغر والحرث خير الانام
ثم لهند ولهند وقد اسرع في الخيرات منه امام
وخمسة آباؤهم ما هم اكرم من يشرب صوب الغمام

لجميع من ملك من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد كان بالشام ملوك سبا تدمر من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك مدائن ومواطن ارض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن وكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت سمة كل ملك على كلها وقد كان كما ذكرنا بلاد لوط وكذلك هذه المدن اعرضنا عن ذكرها اذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار وكذلك ملوك كندة وغيرها من العرب من تنوخ وغيرهم ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا أسماء لهم تعمهم وتشهرهم كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشي ولا طول

شأو المدى عن رباطه مشارا اليه في التبريز بميدان الادراك وتغبير السوابق في مضمار التحصيل وبالآته بموهبة حين ذهبا بالمشرق واستقر بمصر فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثل وامر وحظوة واضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة وكان شديد البسط مهيبا جهوريا مع الدعابة والغزل وطرح التسمت شاعرا مكثرا مليح الحديث لا يمل وان أطال وأسنّ جدا فانتفع به قال لي بعض أصحابنا دخلت عليه وهو يتوضأ وقد استند على احدى رجليه لغسل الاخرى كما يفعل البرك والاوز فقال لي وكنت اليوم حار شابرما ترى لهذا العمر في هذا السن ثم قال لي بعد كلام حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى والمقرى الخطيب أبي جعفر الشقورى والشريف أبي عبد الله بن راجح وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق قال حدثنا شيخنا أبو حيان في اجازة له سنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحية بين القصرين بمصر قال حدثنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير سماعا من لفظه وكتبه من خطه بغرناطة عن الكاتب أبي اسحق بن عامر الهمذاني الطوسي بفتح الطاء حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي وهو آخر من حدث عنه انبأنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني أنا أبو الحكم بن محمد أنبأنا أبو بكر بن المهندس أنا أبا عبد الله بن محمد أنا طالوت بن عباد بن نصال بن جعفر سمعت أبا امامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا ائتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ثم قال ابن الخطيب ان أبا حيان حملته حدة الشبيبة على التعرض للاستاذ أبي جعفر الطباع وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه وتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته فرفع أمره للسلطان فامتعض له ونفذ الامر بتنكيله فاختفى ثم أجاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق يلتمس حاله ثم قال وشعره كثير يتصف بالاجادة وضدها فمن مقولاته قوله

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول * العقل مختبل والقلب متبول
هزت له أسمرا من خوطها فامنها * فما انثنى الصب الا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها * فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبرة * والثغر جوهرة والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج * والخصر مختطف والمتن مجدول
هيفاء ينبس في الخصر الوشاح لها * درماء تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي غداهن النعيم فما * شقين آباؤها الصيد البهاليل

الى أن قال وقوله

نور بخدك أم توقد نار * وضنى بجفنك أم فتور عقار
وشذا بريقك أم أريج مسكة * وسنى بثغرك أم شعاع درارى
جمعت معاني الحسن فيك فقد غدت * قيد القلوب وفتنة الابصار
متصاون خفرا اذا ناطقته * أغضى حياء في سكون وقار

ملك يذكر فيه وفد اتباعها على ساير ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك في بعض الممالك في سائر الامم الخالية والممالك الباقية من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه واعاد ذكرنا في هذا الكتاب من الملوك ما اشتهر ملكه وعرفت مكانه ميلا الى الاختصار وطلبا للاختصار بما لم نجد من أخبارهم في كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا والله الموفق
(ذكر ما وادى من العرب وغيرها من الامم وعلة سكناها البدو وجمل من أخبار العرب وغير ذلك مما يتصل بهذا المعنى)
وقد تقدم ذكرنا ولد قحطان وأن من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وثمود وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من بيّنا أوان من بقى ممن ذكرنا دخلوا في العرب البادية الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا نعلم أن قبيلا في انتشاره في الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والادواء وتشييد البنيان في الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كافريقية وما في المغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية

في وجهه زهرات روض تجتلي * من نرجس مع وردة وبهار
خاف اقتطاف الورد من وجناتها * فادار من آس سياج عذار
وتسللت نمل العذار بخده * ليردن شهد رضابه المعطار
وبخده نار حمته ورودها * فوقفن بين الورد والاصدار
كم دا أواري في هواه وفتيتي * وله دموعي في فيه فرط أواري

وقال ابن رشيد حدثنا أبو حيان قال حدثنا التاج أبو عبد الله الرجوني عند عوده من بلاد السودان ورجوعه الى بلده من قرى الاسلام قال كنت خاسعا لوالم يكن الله قد رفعنا رجل معرفي اسمه يونس فقال لي اذكر لنا شيئا فقال قال علي رضي الله تعالى عنه انا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيرا واذا وضع في اللئيم أثمر شرا كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم فنظمت الاول يونس المغربي فأنشدنا مما نظمه

صانع المعروف ان أودعت * عند كريم ذكت النعما
وان تكن عند لئيم غدت * مكروه ووجبة اثما
كالغيث في الاصداف در وفي * فم الافاعي يثمر السما

قال أبو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معنى ذلك في بيتين وهما

اذا وضع الاحسان في الخب لم يفد * سوى كفره والحر يجزي به شكرا
كغيث سقى أفعى فجادت بسمها * وصادف أصدافا فاثمرت الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح المهداني لنفسه بالقاهرة

فلا تعجب لحسن المدح مني * فصاد لك أظهرت زاد الوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصا * وتسمعك الصدى ما قد تنادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر وفيه عندي نظر لايخفى والذي أعتقده ولا أرتاب فيه انه أبو حيان النحوي وقال ابن رشيد وأنشدني أبو حيان لنفسه

اذا عاب عن عيني أقول سلوته * وان لاح حال اللون فاضطرب القلب
بجبي عيناه والمبسم الذي * به المسك مظوم به اللؤلؤ الرطب

وقال الشريف بن راجح رأيت ان ما وضعه الشيخ أبو حيان في تعديم انسان الا ان الشيخ ضيع لعمره وقلت

نفائس الاعمار أفنيتها * أنا وأمثالي على غير شي
شيوخ سوء ليس يرضيهم * ترضى به من البخاري صبي

ومن نظم أبي حيان قوله

ان عملا تعبت فيه زماني * بادلاويه طارقي و لادي
لجدير بان يكون عزيزا * ومصونا الا على الاجواد

وبنيانه سمرقند ومن خلف هنالك من حمير بها وبلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف (وقد افتخر) دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد بها على الكميت ويفخر بملوك سلف من ملوكهم في الارض وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان فقال في شعره

همو كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقندا
وهم غرسوا هناك التبتينا

(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ممن تقدم وتاخر منهم من بغداد الى ما كان اهل الشحر وحضرموت حيث كل ملك يسمى تبعا من تلك الملوك من ذكرنا سمي ملكا ولم يشتق له اسم تبع وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية حين دخل الحرم وبعث الله عليه الظلمة واعاصير تبعاعن مه

وكذلك حكي عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب سار في الارض ووطئ الممالك وذللها

وقوله

ومالك والانعاب نفسا شريفة * وتكليفها فى الدهر ماليس يعذب
أردها فعن قرب تلاقى حمامها * فتنعم فى دار البقا أو تعذب

واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف وأفاد غير واحد ان سبب رحلة الشيخ أبى حيان عن الاندلس انه نشأ شر بينه وبين شيخه احمد بن على بن الطباع فالف أبو حيان كتابا سماه الالماع فى افساد اجازة الطباع فرفع ابن الطباع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك وذكر أبو حيان انه لم يقم بفاس الا ثلاثة أيام وادرك فيها ابا القاسم المزيانى وخرج ابو حيان من الاندلس سنة تسع وسبعين وستمائة وكان جماعة من اعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوى الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجنى وهو القائل يمدح امير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس

أمن بارق اورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الاجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره * وشط ولكن طيفه عنك ما شطا
حبيب لوان البدر جاراه فى مدى * من الحسن لاستدنى مدى البدر واستبطا
اذا انتجعت مرعى خصيب ركابه * غدا الجفن عينى يشتكى الجدب والقحطا
عدا اسرعت عنى المطى بشادن * تسرع فى قتل النفوس وما أبطا
طعنت الفلا دار ابن ذى يزن بها * وخلت المحاريب الهوادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة * تروق وتمثال من الحسن قد خطا
جمائل لاحت كالخمائل بهجة * سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الاوانس والمها * به الوشى والديباج لا السدر والارطى
ولم ينس قلبى عيرا بهرها سى * واطولها جيدا وأحفقها قرطا
ايا ربة الاحداج سيرى فتعلمى * وما بك جهل أن سهمك ما أخطا
فتى تستبينى ما بعينيك من عنا * بجسمى وعنوان الهوى فيه مختطا
ولم أر أعدى منك لحظا وناظرا * لقلبى ولا اعدى عليه ولا اسطا
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى * كؤوسا بمعسول اللمى حلطت خلطا
وكم جنة قد ردت فى ظل كافر * فلم أجرما اولاه كفرا ولا غمطا
وكم ليلة فاسمهانا بعيبة * الى أن بدت شيبا ذوائبها شمطا
وبات اطن الشهب مثلى لها هوى * وأغبطها فى طول الفتها غبطا
على انها مثلى عزيرة مطلب * ومن ذا الذى ما شاء من دهره يعطى
كان الثريا كاعب ازمعت نوى * وامت باقصى الغرب منزلة شحطى
كان نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرا الحرف المناخة قد حطا
كان رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط فى مهرها شرطا

ووطئ ارض العراق فى ملك الطوائف وعميد الطوائف حينئذ جور بن سابور فلقى ابو كرب ملكا من الطوائف يقال له قتاد وليس بقتاد بن فيروز من الساسانية فانهزم قتاد وأتى تبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من الشرق وفى ذلك يقول تبع ويذكر ما صنع

ورد الملك تبع وبنوه
ورثوهم جدودهم والجدودا
ادحبينا جيادنا من ظفار
ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد
وابن أقلود جاءنا مصفودا
وكسونا البيت الذى حرم الله
ملاء معصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا
وسجدنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليمانى ان لم
تركض الخيل فى سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الخراج قسرا
او تعقى عوائق العوّاق

(وقد كانت) لنزار بن معد بن معد وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وانمار وتداعت بجدها نزار وتواهبت ما كان بينها من الدماء والثار فكانت لهم غلبة وفى ذلك يقول ابو دواد الايادى

كان

كان السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما تدد دقى الكاتب النقطا
كان سهيلا اذ تناءت وأنجدت * غدا يائسا منها فأتهم وانحطا
كان خفوق القلب قلب متيم * تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا
كان كلا النسرين قد ريع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كان الذى ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أوقص اوقطا
كان أخاه رام فوتا أمامه * فلم يعد أن مد الجناح وأن مطا
كان بياض الصبح معصم غادة * جنت يدها أزهار زهر الدجى لقطا
كان ضياء الشمس وجه امامنا * اذا ازداد بشرا فى الوغى واذا أعطى
محمد الهادى الذى أنطق الورى * ثناء بما أسدى اليهم وما أعطى
امام غدا شمس المعالى وبدرها * وقد أصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره * يعاطى سرورا كالحميا ويستعطى
اذا ما الزمان الجهد أبدى تجهما * أرانا الحياء الطلق والخلق السبطا
كلا أبوى حفص عماه الى العلا * فاصبح عن مرقاته النجم منحطا
بسماه تدرى أن كعبا جدوده * وان هو لم يذكر رزاحا ولا قرطا
اذا قبض الروع الوجوه فوجهه * يزيد لكون النصر متصلا به بسطا
به تترك الابطال صرعى لدى الوغى * كان قد سقوا من خمر بابل اسفنطا
تراه اذا يعطى الرغائب باسما * له جذل يربى على جذل المعطى
وكم عنق قد قلدت بنواله * فريدا وقد كانت قلائدها لطا
متى ما تقس جود الكرام بجوده * فبالبحر قايست الوقيعة والوقطا
يشف له عن كل غيب حجابه * فتحسبه دون المحجب مالطا
تطيع الليالى أمره فى عصاته * وتردى أعاديه اساودها نشطا
وتمضى عليهم سيفه وسنانه * فتبرى الكلى طعنا وتفرى الطلى قطا
فكيف ترجت غرة منه فرقة * غدا عزها ذلا ورفعتها هبطا
وكم بالنهى والحلم غطى عليهم * الى ان جنوا ذنبا على الحلم قد غطى
فأمطاهم دهم الحديد وطالما * أنالهم دهم الجياد وما امطى
ورام لهم هديا ولكنهم أبوا * بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبغى المثوبة والرضا * ولكن أبوا الا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب * لما اعتاض منها أهلها الاثل والخمطا
هو الناصر المنصور والملك الذى * أعاد شباب الدهر من بعد ما اشمطا
أصاخت له الايام سمعا وطاعة * وأحكمت الدنيا له عهدها ربطا
فلا بد من أن يملك الارض كلها * وان تملأ الدنيا ايالته قسطا
ويغزو فى آفاق اندلس العدا * بجيش يخط الارض من قبله خطا
وكل جواد خف سنبكه فما * يمس الثرى الا مخالسة فرطا

وكان سبا اما كثير الرهب وأبعته فهوى للجبين وكان العزيز بها من غلب (وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فنذكر الآن فى هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمى ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا فى هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى البوادى من العرب بالبدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البرارى والقفار (ذكر) عدة من أخبار بنى العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد اياد وبه كان يكنى وأنمارا وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد مضر فادخله قبة له حمراء من أدم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد ربيعة وقال له هذا الفرس الادهم والخباء الاسود وما أشبههما من مالى فلك ثم أخذ

يوم بها الاعداء ملك أمامه * من الرعب جيش يسرع السير ان ابطا
ويرمي جبال الفتح من شد سبتة * بها فتوافى سبقا ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى وطارق * وموسى به رحلا الغزوا العدا حطا
وسعيك ينسي ذكر سعيهما به * ويوسع سعي المشركين به حبطا
ويوقع في الاعداء أعظم وقعة * بها علا الاسماع طيرا لملا لغطا
تجاوب منهم الطير فيه وشبهها * كما راطن الزنج النبيط أو القبطا
ونسر فيها الجو والارض أعين * ترى الجو نارا والصعيد دما عبطا
فتخضب منهم من أشابت بخوفها * نصول ترى منها بفود الدجى وخطا
ويحسم أدواء العدا كل صارم * حسام اذا لاقى الطلى حده قطا
وكل كمي كلما خط صفحة * بسيف غدا بالرمح ينقط ما خطا
شجاع اذا التف الرماحان مثل ما * تقلقل في أسنان مشط بد مشطا
اذا ما رجت منه أعاديه غرة * رأت دون ما ترجوا القتادة والخرطا
يجدع آناف العداة بسيفه * وينشقها بالرمح ريح الردى قسطا
يبيد الاعادي سطوة ومكيدة * فيحكي الاسود الغلب والاذؤب الملطا
سرى في طلاب المعلوات فلم يزل * يدا يدا مبسوطة وندى بسطا
ولو نازعت يمناه جذبا شماله * لبوسا من الماذى لانفق وانعطا
يصول بخطى لكل مرشة * به أثر يعزوه للحية الرقطا
حتى تبصر الآكام فرعا كواسيا * بهن وقد أبصرن عاربة مرطا
اذا نسبت للخط أو لردينة * نسبن الى العليا ردينة والخطا
كماة حماة ما يزال الى الوغى * حنين لهم ما حن نضو وما أطا
عليهم نسيج السابغات كأنها * جلود عن الحيات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم * رأيت صلالا ألبست حللا رقطا
ترجرج كالزاروق لينا ومثله * ترى نقطة من بعد ما طرحت خطا
جيوش اذا غطى البلاد عبابها * وأمواجها غطت نفوس العدا غطا
فكم قد حكمت في حصر حصن ومعقل * وشاحا على خصر فاسعفه ضغطا
وخيل كأمثال النعام تخالها * لافراط لوك اللجم تبغي لها سرطا
تميلها فتخالها اذا ارتعت وان * سبحن بماء حلنها خفة بطا
فينعق منها سام طاكل عجاجة * مسوارع لا يسأمن مراولا مرطا
وكم خالطت سمر الرماح وأوردت * مياها غدت حمر الدماء لها خلطا
يجرونها ليل السرى فاذا دعوا * نزال امتطوا منهن أفضل ما يمطى
فكم جنبوها خلف معتادة السرى * عوارف لم تسمع لها أذن نحطا
وقد وسمت أعناقهن أزمة * بطول السرى حتى تظن لها علطا
اذا أوقدت نارا بقذف الحصا احكت * وبحر الدجى طام سفينا رمت نفطا

بين اذا نمار وقال له هذه البدرة والمجلس وما أشبههما من مالي فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الافعى بن الافعى الجرهمي وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الافعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران وهم في مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذي ترون أثره أعور فقال أنمار وانه لابتر فقال ربيعة وانه لازور قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا ان رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم قال اياد بعيرك اعور قال فانه لاعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لابتر فقال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فأين بعيري دلوني عليه قالوا والله ما حسسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئا قالوا ما رأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيري ثم حلفوا أنهم ما رأوه فدعا به الافعى فقال ما تقول

امام الهدى أعليت للدين معلما * وسمت العدا من بعد رفعتهم حطا
وألحفتهم عقم المنى عن خيالها * فما ولدت عقما ولا نتجت سقطا
وصيرتم فى عقلة سارح العدا * وسرحتم الآمال من عقلها نشطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا * بعدلك لا يعدى عليه ولا يسطى
ففى كل حال تؤثر القسط جاريا * على سنن التقوى وتجتنب القسطا
فبوركت سبطا جده عمر الرضا * وبورك من جد غدوت له سبطا
تلوت الامام العدل يحيى فلم تزل * تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحا بعده واستقامة * وتوطئة نهج السبيل الذى وطا
وما كان أبقى غاية غير أنه * حبيت بما لم يحب خلق ولم يعطا
اذا درر الاملاك فى الفخر نظمت * على نسق عدا فدولتك الوسطى

وله أيضا فيه

فى كل أفق من صباح دجاكم * نور جلا خيط الظلام يخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما * كسيت من حبر المديح ورِبطه

وله رحمه الله تعالى عدة تآليف وولد سنة ٦٠٨ وتوفى ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بتونس وممن أخذ عنه الحافظ بن رشيد الفهرى وذكره فى رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدرى فى رحلته فقال حازم وما أدراك ما حازم وقد عرفت به فى أزهار الرياض بما يغنى عن الاعادة وكان هو والحافظ أبو عبد الله بن الابار فرسى رهان غير أن ابن الابار كان أكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى الاندلسى البلنسى كتب ببلنسية عن السيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ثم عن ابنه السيد أبى زيد ثم كتب عن الامير أبى مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص وفى ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو فأنشد السلطان قصيدته السينية التى مطلعها

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع باهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته فى صدور مكاتباته فكتبها مدة ثم أراد السلطان صرفها لابى العباس الغسانى لكونه يحسن كتابتها فكتبها مدة بالخط المشرقى وكان آثر عند السلطان من المغربى فسخط ابن الابار أنفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وأنفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وأنشد متمثلا

اطلب العز فى لظى وذر الذل ولو كان فى جنان الخلود

فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيرى وهم أصحابه فقال لهم الأفعى ما تقولون قالوا رأينا فى سفرنا هذا الك أثر بعير فقال اباذ انه لأعور قال وما يدريك أنه أعور قال رأيته مجتهدا فى رعى الكلا من شق واحد والشق الآخر واف كثير الالتفاف لم يمسه فعلمت انه أعور وقال أنمار رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه ازور وقال مضر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلا الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتى ما هو أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا باصحابه التمس بعيرك ثم قال الأفعى للقوم من انتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الافعى وكيف تحتاجون الى وانتم على ما ارى قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فانزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطافهم بافضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتنى بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بترص من

بهذا فاتوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال أيادصدقتم لولا أن نحله

فسعى ذلك الى السلطان فأمر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه عدفيه من عوقب من الكتاب وأعتبه وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته وأعاده الى الكتابة ولما توفى السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها انه تقبض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه أجمع وألفى أثناءها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها

طغى بتونس خلف * سموه ظلما خليفه

فاستشاط السلطان لها وأمر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥ وقال في حقه ابن سعيد في المغرب ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه في هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة ياسمين لا * تهيم بغيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى * تبسم ثغرها اليقق
فأطراف الاهلة سا * ل في أثنائها الشفق

وكتب الى الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد يستدعي منه منثورا

لك الخير أتحفني بخيري روضة * لانفاسه عند الهجوم هبوب
أليس أديب الروض يجعل ليله * نهارا فيذكو تحته ويطيب
وطوى مع الاصباح منشور نشره * كأن أن عن ربع الحبيب حبيب
أهيم به من نسبة أدبية * ولا غرو أن يهوى الاديب أديب

وقوله في الخسوف

نظرت الى البدر عند الخسوف * وقد شين منظره الازين
كما سفرت صفحة للعيب * تحجبها برقع أدكن

وقوله في المعنى

ألم تر للخسوف وكيف أبدى * ببدر التم لماع الضياء
كمرآة جلاها القين حتى * أنارت ثم ردت في غشاء

وقوله

والثريا بجانب البدر تحكي * راحة أومأت لتلطم خدا

وقوله

من عاذري من بابلي طرفه * ولعمره ما حل يوما بابلا
أعتده خوطا لعيشي ناعما * فيعود خطيا لقتلي ذابلا

وهو حافظ متقن له في الحديث والادب تصانيف وله كتاب في مختصر الاشعار سماه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف في المؤتلف والمختلف وكتاب التاريخ وبسببه قتله صاحب افريقية وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله تحفة القادم في شعر الاندلس والحلة السيراء في أشعار الامراء ومن شعره قوله

فدهمة جبار ذوعاها الاعلام فلما حضر غذاؤهم وجيء بالشواء فاذا شاة مشوية فأكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود منها ولا أرخص لحما ولا أسمن منه فقال الاعلام صدقتم لولا انه غذي بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمه نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا ملكا أكرم قرى ولا أخصب رحلا من هذا الملك فقال مضر صدقتم لولا انه لغير أبيه فذهب الاعلام الى الافعى فخبره بما كان منهم فدخل الافعى على امه فقال أقسمت عليك الا ما أخبرتني من أنا ومن أبي فقالت يا بني وما دعاك الى هذا أنت ابن الافعى الملك الاكبر قال حقا لتصدقيني وألح عليها فقالت يا بني ان اباك الافعى الذي تدعى له كان شيخا قد ثمل فخشيت ان يخرج هذا الملك عنا أهل البيت وقد كان قدم الينا شاب من ابناء الملوك فدعوته الى نفسي فعلقت بك منه ثم بعث الى القهرمان فقال اخبرني عن الشهد الذي بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال انا اخبر بابد بر في طنف

أخرى

أمري عجيب في الامور * بين التواري والظهور

مستعمل عند المغيب * ومهمل عند الحضور

وسبب هذا أن ملك تونس كان اذا أشكل عليه شئ أوورد عليه لغز أو معمى أو مترجم بعث به اليه فيحله واذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت اليه ووجد في تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس فامر بضربه فضرب حتى مات وأحرقت كتبه رحمه الله تعالى وكان أعداؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين أبي الحسن علي بن شلبون المعافري البلنسي مهاجاة فقال فيه

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع الناس صادرة عن الابار

أوليس فارا خلقه وخليقة * والفار مجبول على الاضرار

فاجابه ابن الابار

قل لابن شلبون مقال تنزه * غيري يجاريك الهجاء بخار

انا قسما خطتينا بيننا * فحملت برة واحتملت فجار

وهذا مضمن من شعر النابغة الذبياني انتهى ما لخصناه من كلام أبي سعيد في حقه ومن شعر ابن الابار أيضا

لو عن لي عون من المقدار * هجرت للدار الكريمة داري

وحللت أطيب طيبة من طيبة * جارا لمن أوصى بحفظ الجار

حيث استبان الحق للابصار * لما استنار حقائق الانصار

يا زائرين القبر قبر محمد * بشرى لكم بالسبق في الزوار

أوضعتم لنجاتكم ووضعتم * ما قادكم من فادح الاوزار

فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي * حملتم شوقا الى المختار

أدوا السلام سلمتم وبرده * أرجوا الاجارة من ورود النار

اللهم أجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم واختم ترجمته بقوله

رجوت الله في اللأواء لما * بلوت الناس من ساه ولاهي

فمن يك سائلا عني فاني * غنيت بالافتقار الى الهي

وقد جوّدت ترجمته في ازهار الرياض في اخبار عياض فليراجع ذلك فيه من شاء *(رجع الى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق)*: (ومنهم الحافظ ابو المكارم جمال الدين بن مسدي وهو ابو بكر محمد ويقال ابو المكارم ابن ابي احمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مسدي المهلبي الازدي الاندلسي) شيخ السنة وحامل راياتها وفريد الفنون ومحكم آياتها عرف الاحاديث وميز بين مشهورها وغرائبها وكان المتلقي لراية السنة بيمين عرابتها طلع بمغربه شمسا قبل بزوغه بافق المشرق وملأ جزيرته الخضراء من بحر علومه المتدفق وأدعمها بسوئه المشرق وطاف البلاد الاسلامية المغربية والمشرقية فعقدت على كماله الخناصر وجعله أرباب الدراية لمقلة الدين الباصر ولقي اعيان الشيوخ في القطرين وأخذ عنهم ما تقر به العين ويدفع به عن القلب الرين مع فصاحة لسان وطلاوة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة سحبت سحبان وطهر أزهار بان

فبعثت اليه من يشوره فاخبروني انهم هجموا على عظام نخرة منسرة في ذلك الطرف فاذا النحل قد عملت في جمجمة من تلك العظام فاتوا بعسل لم ار مثله فقدمته الى القوم يجودونه ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ماهذه الشاة التي شويتها لهؤلاء القوم قال اني بعثت الى الراعي أن ابعث الى باحسن شئ عندك فبعث بها الي وما سالته عنها فبعث الى الراعي أن أعلمني خبر هذه الشاة قال انها اول ماولدت من غنمي عام اول فماتت امها فبقيت وكانت كلبة لي قد وضعت فانست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم اجد في غنمي مثلها فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ماهذا الخمر الذي سقيت هؤلاء القوم قال من حبة كرم غرستها على قبر ابيك فليس في العرب مثل شرابها فقال الامير ماهؤلاء القوم ان هم الا شياطين فاحضرهم فقال ما حدثكم قصوا علي قصتكم فقال اياد ان ابي جعل لي خادمة شمطاء وما اشبهها من ماله فقال ان اباك ترك فرسا فهي لك وربعلوه مع الخادم قال انمار ان ابي جعل لي بدرة ومجلسه وما اشبههما من ماله قال ذلك ما ترك ابوك من الرقة والحرث والارض فقال ربيعة ان ابي جعل لي فرسا ادهم بينا

وفوّضت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار لمثل هذا المعصم فكم وشى بها من مطارف للبلاغة وكم عنم حتى يظن الرائي عود منبره من وعظه مائسا ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا وترجم على من لقي من الاعيان بسحر البيان وفصل أحوالهم باحسن تبيان وعدّتهم أربعة آلاف شيخ وناهيك بهذه مرتبة نفادها الفضائل في أرسان وأرى تحقيق قول القائل جمع الله تعالى العالم في انسان وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتأخرين وهو أشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا بعدّ نادرا توفي شهيدا مطعونا ما من الناس كانوا يحسدونه فختم الله تعالى له بالشهادة وبوّئ بها دار السعادة وتوفي سنة ٦٦٣ بمكة ومولده سنة ٥٩٨ رحمه الله تعالى ونفعنا بأمثاله ✻ (ومنهم الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري) بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو بعدها راء الاشبيلي المولد والمنشا ولد في شوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع وله باع مديد في الترسل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضي بن برهان والنجيب بن الصيقل وكتب لامير سبتة وحدث بتونس عن العراقي وجاور زمانا وتوفي بالمدينة سنة ٧٠٤ وحج مرتين قال أبو حيان قدم القاهرة مرتين وحج في الاولى وأنشد من لفظه لنفسه

أسيلي الدمع ياعيني ولكن ✻ دماو يقل ذلك لي أسيلي
فكم لي في التراب من طرف كحيل ✻ لترب لي ومن خد أسيل

وقال

ماذا جنيت على نفسي بما كتبت ✻ كفي فيا ويح نفسي من اذى كفي
ولو يشاء الذي أجرى على يدا ✻ قضاءه الكف عني كنت ذا كف

وقال

واحسرتا لامور ليس يبلغها ✻ مالي وهن منى نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لاجدوى لدي وما ✻ الوت جهدا ولكن جدي الآل لي

وقال العلامة فتح الدين بن سيد الناس انه انشده لنفسه بالحرم الشريف النبوي سنة ثلاث وسبعمائة

رجونك يارحمن انك خير من ✻ رجاه لغفران الجرائم مرتجي
فرحمتك العظمى التي ليس بابها ✻ وحاشاك في وجه المسيء بمرتج

وقد أنشد له أبو حيان كثيرا من نظمه رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية) كان عارفا بالعشب والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفائدة في الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالي في حقه انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرستاني وابن ملاعب

الفرس فقال مضر ان ابي جعل لي قبة حمراء من ادم وما اشبهها من ماله فقال ان اباك ترك ابلا حمراء فهي لك وما اشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمي مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوانهم جرهم بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته ويذهب ماكان لانمار من شاء في تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها انفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينماهم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا الملا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يده اعار عظم يتعرقه قد جاء به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب في عنق مضر فتاوه مضر وصاح عيني عيني واشاغل به اخوته فركب انمار بعد ان اكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان في عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر

ولد نزار على حسب ما قدمنا مضر الحمراء الما ذكرنا من امر القبة وكذلك تفتخر مضر في كلامها المنثور وابن

وابن العطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضت معه فى ذكر الحشائش فقلت له قصب الذريرة قد ذكر فى كتب الطب وذكروا انه يستعمل منه شئ كثير وهذا يدل على انه كان موجودا كثيرا واما الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون أين يطلبونه فقلت له وأين هو فقال بالاهواز منه شئ كثير انتهى واجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبيد الله بسبتة فلم يتهيأ له ذلك وحج رحمه الله تعالى فى رحلته الاولى ولقى كثيرا وروى عن عدد من الرجال والنساء ضمنهم التذكرة وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عدى فى رجال الحديث وله كتاب المعلم بزيادات البخارى على كتاب مسلم ويعرف بالنباتى لمعرفته بالنبات ومولده فى نحو سنة ٥٦١ وتوفى رحمه الله تعالى باشبيلية منسلخ ربيع الثانى سنة ٦٣٧ ورثاه اناس من تلامذته وألف بعضهم فى التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجد وابن عفير وغير واحد كابى ذر الخشنى وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر أحاديث من حفظه ويقال له الحزمى بفتح الحاء نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهرى المذهب وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم عنه انه كان جالسا فى دكانه باشبيلية يبيع الحشائش وينسخ فاجتاز به الامير أبو عبد الله بن هود سلطان الاندلس فسلم عليه فرد عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه رأسه فبقى واقفا منتظرا أن يرفع اليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان فى علم الحديث أحدهما يقال له الحافل فى تكملة الكامل لابن عدى وهو كتاب كبير قال ابن الابار سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثنى عليه ويستحسنه والثانى اختصر فيه الكامل لابى أحمد بن عدى كما سبق فى مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ أبى الوقت السجزى وابى الفتح بن البطى وأبى عبد الله الغراوى وغيرهم من الائمة وله فهرسة حافلة أفردفيها رواته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان متعصبا لابن حزم بعد أن تفقه فى المذهب المالكى على ابن زرقون أبى الحسين وطالت صحبته له وكان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطنى فى غريب حديث مالك وغيره أضبط منه وفاق أهل زمانه فى معرفة النبات وقعد فى دكان لبيعه قال ابن الابار وهنالك رأيته ولقيته غير مرة ولم آخذ عنه ولم أستجزه وسمع منه جل أصحابنا ومولده فى شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفى باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٨ وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاول وحكى ذلك عن والده أبى العز محمد بن أحمد انتهى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقى الاشبيلى الشهير بالمسيلى) رحل حاجا وقفل الى بلده وحدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضى ابن أبى حبيب وروى عن أبى محمد بن أبى السعادات المروزى الخراسانى وأنه أنشده بثغر الاسكندرية عند وداعه اياه قال أنشدنى أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السم من ألسن الافاعى * أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم والدموع تجرى * لما دعا للوداع داعى

* (ومنهم أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبى الزاهد ويعرف

والمنظوم ورتبة الفرس ورتبة القشعم من الفروسية والشجاعة والنجدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه وأعقاب وقد بينا الخلاف فى تفرع نسله وما قاله النسابون فى عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر حلولهم من الديار وتشعب أنسابها وتسلسلها فأبى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا السير من مبسوطها فمنعنا ذلك من اعادته فى هذا الكتاب (ولنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذى به ترجمناه من نسب من سكن من اهل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والجبه والبربر وممن تعطن بالبرارى وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم * تباين الناس فى السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض سكنوا حينا من الزمان لم يبنوا بناء ولا شيدوا مدنا وكان سكناهم فى شبه الاكواخ والمظال ثم ان نفرا منهم أخذوا فى ابتناء المساكن وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى فى البيوت والاظلال

بابن الاقليشي) صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم عارض به كتاب القضاعي وأصل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكن دانية وبها ولد ونشأ وسمع أباه وابا بكر وابا العباس بن عيسى وتلمذ له ورحل الى بلنسية فاخذ العربية والآداب عن ابي محمد البطليوسي وسمع الحديث من صهره ابي الحسن طارق بن يعيش والحافظ ابي بكر بن العربي وابي الوليد بن خيرة وابن الدباغ ولقي بالمرية ابا القاسم بن ورد وابا محمد عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي ابا العباس بن العريف ورحل الى المشرق سنة اثنتين واربعين وخمسمائة وجاور بمكة سنين وسمع من ابي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط أم الخليفة العباسي سنة سبع واربعين ثم كر راجعا الى المغرب فقبض في طريقه وحدث بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب العرر من كلام سيد البشر وكتاب ضياء الاولياء وهو اسفار عدة وحمل الناس عنه معشراته في الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارئ فيبكي حتى يعجب الناس من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد امامته وعلمه وورعه وزهده وروى عنه ابو الحسن بن كوثر وابن بيش وغيرهما ومن شعره قوله

اسير الخطايا عند بابك واقف * له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة * ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة * فها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم * فما طاف منه من سنى الحق طائف
ثلاثون عاما قد تولت كانها * حلوم تقضت او بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه * اذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا أحمد الخوّان قد أدبر الصبا * وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أرق الطرف الزمان الذي مضى * وأبكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا وحسرة * فدمعك ينبي أن قلبك آسف

وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرضي او أخذه منه نقلا وتوفي في صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الخمسين وخمسمائة ودفن عند الجيزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب وقال ابن عباد انه توفي سنة خمسين أو احدى وخمسين بعدها رحمه الله تعالى وقد نيف عن الستين * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر المعافري المرسي) وأصله من طلبيرة ويعرف بابن افرند وروى عن أبي الحسين الصفدي وغيره كالقاضي الحافظ أبي بكر بن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي اسحق بن حبيش وغيرهم وله رحلة حج فيها ولقي أبا الفتح بن الرندانقاني بلد بين سرخس ومرو من أصحاب أبي حامد الغزالي وأنشد عنه مما قاله في وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم * قضيت لبانات الفؤاد لديكم

(وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس لما نضب عنهم الطوفان الذي أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا في طلب البقاع الخصبة المتغيرة وانفرد من انفرد بانتجاع الارضين وحلول البيداء وآخرون بقاعا تخيروها كن ابتنى اقليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن كنعان ابن سنجارب بن نمروذ الاول ابن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على اقليم بابل من قبل الضحاك وهو بيوراسب وكن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخبارها في هذا الكتاب وكن عمر الشأم من الكنعانيين وكن حل بوادي البربر وهم هوارة وزناته وضريسة ومعولة وورفجولة ونفرة وكتامة ولواته ومراته وورلوبه ونفوسه ولمطه وصدسة ومعموره وعفاره وفاطه وورائه واسمه وبنو اسحين وارلته وهي مورمانه وبنو وكلان وبنو نصران وبنو دووعس وبنو ومنهم وسا

وان تسكن الاخرى ولم تك أوبة * وحان حمامي فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين أبو عمر بن عياد وابنه محمد عن ابن اثرمده هذا وكان صالحا زاهدا متصوفا رحمه الله تعالى (ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي) من أهل لورقة رحل حاجا وكان منقبضا زاهدا صواما قواما واقرأ القرآن وأسمع الحديث وممن حدث عنه الحافظان أبو سليمان وأبو محمد بن حوط الله ولقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة *(ومنهم أبو عمر بن عات وهو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النفري) من أهل شاطبة سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وابن حبيش وغير واحد وطائفة كثيرة ورحل الى المشرق فادى الفريضة وسمع أبا الطاهر السلفي وأبا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره وأجازله ابو الفرج بن الجوزي وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر أشياخه وجملة صالحة من مروياته عنهم برنامجيه اللذين سمى أحدهما بالنزهة في التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والآخر بريحانة النفس وراحة الانفس في ذكر شيوخ الاندلس قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن القطان وكان من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة يسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شئ منها متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل اذلم يعن بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابوي عمر بن عبد البر وابن عات وكان على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشف ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من أفعال البر كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين وحكي انه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارئ بكتابه فقال ابو عمر انا اقرأ لكم فقرأ لهم من حفظه وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمته مدة ستة اشهر فلم ار احفظ منه وحضرت اسماع الموطا وصحيح البخاري منه فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر اوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف في شئ من ذلك انتهى وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شئ منها موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن ويأكل الخشف وربما اذن في المساجد وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر وشهد وقعة العقاب التي افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها ففقد حينئذ ولم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قال ابن الابار وهو ممن أجازله المذكور فيما رواه أو الفه رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن حنون البهراني) من ساكني اشبيلية وأصله من لبلة روى عن أبيه وابن الجد وابن زرقون وابن جهور وغيرهم من أعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزذ وبخراسان من المؤيد الطوسي وبهراة من أبي روح عبد المعز

ورعوين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير الغابة واتسع في هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشأم وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلونيه فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهي بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومي فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد افريقية واقاصي ديار المغرب في نحو من مسافة الفي ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس واطراف البراري والقفار (ومن بحر أفريقية) وصقليه يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر اقيانس وغير

وبرو ومن عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعانى ومن جماعة غير هؤلاء وسمع أيضا بدمشق من ابى الفضل الخرستانى وسواه وبها توفى قبل العشرين وستمائة فيما نقل ابن الابار عن ابن نقطة وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وستمائة ❊(ومنهم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ابن محمد بن أحمد المخزومى) من أهل قرطبة ويعرف أبوه بكوزان روى عن أبيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسى وسمع منه وأنشده لفظه بعض أصحاب الآثار قال أنشدنى شرف الدين أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال انشدتنى تقية بنت غيث بن على الارمنازى لنفسها

لا خير فى الخمر على انها ❊ مذكورة فى صفة الجنه
لانها ان خامرت عاقلا ❊ خامره فى عقله جنه
يخاف أن تقذفه من علا ❊ فلا تنى مهجته جنه

❊(ومنهم أبو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش الكنانى المرسى) سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبى وابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله ورحل الى المشرق سنة تسع وسبعين وخمسمائة فحج سنة ثمانين بعدها وأقام بالحجاز والشام مدة ولقى أبا الطاهر الخشوعى بدمشق فسمع منه مقامات الحريرى وأخذها الناس عنه ومما أفاد زيادة فى قول الحريرى ❊ اذا ما حويت جنى نخلة ❊ الابيات قوله

ولا تأسفن على خارج ❊ اذا ما ثخت سنى الداخل
ولا تكثر الصمت فى معشر ❊ وان زدت عيا على باقل

وسمع من أبى القاسم بن عساكر السنن للبيهقى ومن ابى حفص الميانشى جامع الترمذى وقفل الى الاندلس فى سنة سبع وتسعين وحدث بيسير وكان يحسن عبارة الرؤيا وكف بصره سنة ثمان وعشرين وستمائة أو نحوها وتوفى على اثر ذلك ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى ❊(ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم الغافقى) ويقال فيه ابراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن اندلسى سكن دمشق وولى الحسبة بها ويكنى أبا اسحق سمع ببغداد من ابى بكر بن مالك القطيعى وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابى ويوسف بن القاسم الميانجى وبمصر من أبى طاهر الذهلى وأبى أحمد العطريفى وله أيضا سماع بالرملة واطرابلس والدينور وغيرها من البلدان وحدث بيسير روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجيانى من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكتانى وكان مالكيا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان صارما فى الحسبة وولها سنة خمس وتسعين وثلثمائة فى أيام الحاكم العبيدى وتوفى بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع وأربعمائة قيل ثانى عيد الاضحى وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر رحمه الله تعالى قلت ما سمعت بمالكى معتزلى غير هذا ولعله كان مالكيا بالمغرب فلما دخل فى خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله تعالى أعلم ❊(ومنهم أبو أمية ابراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد الغافقى) من أهل المرية ونزل مرسية سمع ببلده من ابن شفيع وأخذ عنه القراآت ومن الحافظ ابن سكرة وابن رغيبة وعبد القادر بن الحناط وبقرطبة من ابن عتاب

هؤلاء من ذكرنا من الامم من سكن قطع الارض وابتنى المدائن شرقا وغربا (ورأت العرب) ان جولان الا[رض ...]
بقاءها على الايام اشبه بالعز واليق بذى الانفة وقالوا الآن نكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء اصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من اجل ذلك (وذكر آخرون) ان القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار ونيل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من العرة والهرب من العار بدأت التفكر فى المنازل والتقدير للمواطن فتاملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذوو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء ربما فسد واضر باجسام سكانه واحال امزجة ابدانه وقال ذوو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا ايضا ان الابنية والاظلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء
وتسد سروحه عن المرور وتنداه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة

وابن طريف وأبي بحر الاسدي وأبي مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي علي بن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرها في شعبان سنة ست وعشرين وسمع أيضا من أبي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي وقفل الى بلده واستقر بعد الحادثة عليه الى مرسية وولي القضاء والخطبة هنالك وحدث وأخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع منه الاحاديث النسطورية وأسمع صحيح البخاري آخر الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان يحدث به عن سلطان بن ابراهيم عن كريمة المروزية وحكي رحمه الله تعالى عن أبي ذر الهروي أنه قال عند موته عليكم بكريمة فانها تحمل كتاب البخاري من طريق أبي الهيثم رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو القاسم بن فورتش وهو اسمعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطي) وأخوه ... يحيى وكانا جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابي ذر الهروي بمكة وعادا ... محمد منهما القضاء وقد لقيهما القاضي الحافظ أبو علي بن سكرة ولم يسمع منهم ... عن أبي عمر الطلمنكي وأبي الحزم بن درهم وتوفي أبو القاسم في نحو الخمسمائة * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن أحمد بن عمر القرشي العلري الاشبيلي) رحل حاجا ودخل العراق والموصل وبلاد الشام وروى وسمع من أبي حفص الميانشي بمكة ... الحسن علي بن هابيل الانصاري عن ابي الوليد الباجي ... انه كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال أبو الصبر كان ... في ... دته ينقص منه رجل واحد فاستربت في الرواية عنه ... رلان ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون وأبو الصبر ممن روى عن المذكور وهو ابو الصبر السبتي والله تعالى أعلم بحقيقة حال الرجل * (ومنهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن خليل النفري الحميري التاكرني) قال في تاريخ اربل كان شابا متأدبا فاضلا قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذري انشدنا المذكور لنفسه

* أوما يقربك الزمان قرار
* ولكل عهد سالف تذكار

...

لم ترع في البيد الا الشمس والقمرا
فهي الغداة كرنجي اذا كفرا
هي من قطر قرطبة وتوفي بأرزن من ديار بكر
ن بديع شعره
* أبدى لعينيك أزهارا وأشجارا
وان ... * بث البرية آجالا واعمارا

وتاكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشد النون وورد المذكور اربل سنة سبع وعشرين وستمائة وله أبيات اجازفيها ابيات شرف الدين عمر بن الفارض في غلام اسمه بركات قال الاسدي الدمشقي ومن خطه نقلت كنت حاضرا هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال

في هذه المواطن وعناء القرائح في التنقل ... السماء ... مع صحة الامزجة وقوة الفطنة وصفاء الالوان وصيانة الاجسام فان العقول والآراء انما تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الفضاء ... هذا الامن من العاهات والاسقام والعلل والآلام فا ... البوادي والحلول في البيداء فهم اقوى الناس هيما واشدهم احلاما واصحهم اجساما واعزهم جارا واحماهم ... را وافضلهم جوارا واجودهم ... الجو ونقاء الهواء لان الابدان تحتوي اجزاؤها على ... وعناء الاقذار ... اليه ويتلاطم في عرصاته وأفنيته من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه في ا كنافه ... اليه ولذلك ترا ... الاقذاء والادواء والعاهات في أهل المدن وتركبت في أجسا ... أشعا ... ماعد المعتبرة تخيره

الموطن (قال المسعودي) ولذلك جانبوا فظاظة الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغير

ابن الفارض

بركات يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل شمس الضحى تحكيه

فقال أبو الروح وانشدني ذلك

هذا الكمال فقل لمن قد عابه * حسدا وآية كل شئ فيه

لم يدنو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك ملاحة التشبيه

وكأنه رام يغلق جفنه * ليصيب بالسهم الذي يرميه

وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل انشدني ابو الروح

اوصيت قلبي ان يفر عن الصبا * ظنا بأني قد دعوت سميعا

فاجابني لا تخش مني بعدما * افلت مز ... رجوعا

حتى اذا نادى الحبيب رايته * آوى الـ ... يعا

كذبالة اخمدتها فاذا دنا * منها القمر ... ريعا

قال وانشدني

وزائر زارني والليل معتكر * والطيب ... شهره

أمسكت قلبي عنه وهو مضطرب * والشو ...

فبت اصدى الى من لا يحللني * والور ...

تراه عيني وكفي لا تلامسه * حتى ... طره

قال وانشدني قال انشدني الامام ابو عمرو بن غياث الشريشي لمعسر رحمه الله تعالى

صبوت وهل عار على الحب ان صبا * وقيد ثغر الاربعين الى الصبا

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا

وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد اشهبا

وتوفي أبو عمرو سنة ٦٢٠ عن تسعين سنة قال ابن المستوفي وأنشدني المذكور قال انشدني أبو عمرو أيضا لنفسه

أودع فؤادي حسرة أودع * نفسك تؤذي أ ...

أ ... باللحظ أو فارمها * أنت بما ترمي ...

... ربعها القلب وأنت الذي * مسكنه في ذ ...

قال و ... قال انشدني مطرف الغرناطي

أناصب كما تشاء وتهوى * شاء

سنة سنها قديما جميل * وأني

قال وأنشدني أيضا المطرف

وفي فروع الايك ورق اذا * بل الندى أعطافها تسجع

أو هزها نفح نسيم الصبا * شاقك منها غرد شرع

كأنما اطنها منبر * وهي خطيب فوقه مصقع

ان شبها في طرف لوعة * جرى لها في طرف مدمع

ي انخفاضها وارتفاعها
لعدم ... اعتدال
... ارضها فاذا لك أخلاق
... انها على ما هي عليه من
الغلظ (وذكر) الهيثم بن
عدي والشرقي القطامي
وغيرهما من الاخباريين
وفد على كسرى
شروان بعض خطباء
العرب فسأله كسرى عن
العرب وسكناها
اختيارها البدو فقال
الملك ملكوا الارض
... وامنوا من
التحصن بالاسوار
اعتمدوا على المرهفات
الباترة والرماح الشاجرة
... ملك
... الارض فكأنها
له يردون منها خيارها
يقصدون الطافها فال
حضورهم من الفلك
من تحت الفرقدين
رأس الجوزة وسعد الجدي
رفين على الارض بحسب
قال خيارها فال
كثرها ... بالليل

ماجاء من وراء الكعبة فهي دبور وما جاء من قبل ذلك فهي صبا قال فا ... كثر ... اخذه

أخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالقي الخطيب

كأن فؤادي وطرفي معا ... هما طرفا غصن أخضر
إذا اشتعل النار في جانب ... جرى الماء في الجانب الآخر

تم طبع الجزء الأول بعون من عليه الاعتماد والمعول من
كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

ويليه الجزء الثاني أوله ومن أخذ عن أهل الأندلس في المشرق
الامام النحوي اللغوي ...